

موسوعة شرح أسماء الله الحسنى



الجزء الأول

تأليف:

أ.د. نوال بنت عبدالعزيز العيد

شارك في الإعداد والإخراج فريق علمي بإدارة:

أ. وفاء بنت محسن التركي

ح شركة إثراء المعرفة، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العيد، نوال بنت عبدالعزيز

موسوعة شرح أسماء الله الحسنى./ نوال بنت عبدالعزيز العيد.

- الرياض، ١٤٤١هـ

٣مج.

ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٦-٣٨٩٨-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- الأسماء والصفات أ. العنوان

ديوي ٢٤١ ١٤٤١/٨١٩٠

رقم الإيداع: ١٤٤١/٨١٩٠

ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٦-٣٨٩٨-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ

حقوق الطبع محفوظة







المقدمة



رحلة المشروع

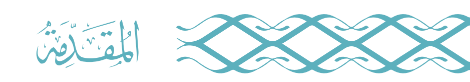
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١][1]، أما بعد:

بدأت فكرة الموسوعة بدروس علمية أسبوعية في جامع عثمان بن عفان في حي الواحة بالرياض في عام ١٤٢٦ من هجرة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كل يوم أحد بعد صلاة العشاء، واستمرت قرابة السبع سنين، أنهينا فيها ولله الحمد شرح الأسماء الحسنىٰ.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، ح: (١٨٩٢)، قال الألباني: حديث صحيح.



وقامت الفاضلة الأستاذة: نورة الغفيلي بتفريغ الشروح وترتيبها، إلا أنه كان من الصعب طباعتها ككتاب بعد هذا التفريغ؛ لحاجته للمراجعة والتهذيب، وتهيئتها لإخراجها كموسوعة.

وعليه تم تشكيل فريق بحثي قام بدراسة مسحية لجميع كتب شروح الأسماء الحسنىٰ العلمية، وإعطاء وصف لكل كتاب، والإضافة العلمية فيه، واستخرت الله مع الفريق لإخراج موسوعة علمية لشرح أسماء الله الحسنىٰ نرجو أن تكون عملًا صالحًا ممتدًا، يبقىٰ أجره وبره بعد انقطاع الأجل.

ومما لا شك فيه أن في كل الكتب والشروح الخاصة بشرح أسماء الله الحسنىٰ فائدة عظيمة وجليلة، ويكفيها في ذلك شرفًا أنها في أجل العلوم علىٰ الإطلاق، إلا أننا اجتهدنا بعد توفيق الله وتسديده في إضافة بعض المزايا في هذه الموسوعة، ويمكن تصنيف هذه المزايا كالتالي:

١- تقسيم الموسوعة، وأسلوب الكتابة:

أولا: تم تقسيم الأسماء فيها علىٰ طريقة بديعة لم يُسبق إليها، -بحسب ما اطلع عليه الفريق العلمي-، وكانت علىٰ النحو التالي:

* الأسماء التي ثبتت في القرآن والسنة.
* الأسماء التي ثبتت في القرآن دون السنة.
* الأسماء التي ثبتت في السنة دون القرآن.

ثانيا: أسلوب الكتابة في الموسوعة كان الأسلوب السهل الممتنع، إذ أنه يسهل علىٰ كل قارئ فهم الموسوعة، فصياغتها تجمع بين الأسلوب الأدبي البليغ، مع سهولة وسلاسة الألفاظ، وقوة وفخامة التراكيب.

٢- العناية بالجانب العملي التطبيقي المستنبط من فهم أسماء الله الحسنىٰ.

حيث اعتمدت الموسوعة علىٰ حصر جميع الآيات الواردة في الاسم، وربطها بآثارها المسلكية لتنمية ملكة الاستدلال والاستنباط لدىٰ القارئ.

وتم التركيز علىٰ جانب الآثار المسلكية في كل اسم من الأسماء الحسنىٰ، بحيث لا تقل نسبة هذه الآثار عن ٨٠٪ من مجمل شرح الاسم، ويقصد بهذه الآثار: التطبيقات الإيمانية والتربوية والسلوكية المستنبطة من الإيمان بهذه الأسماء الجليلة.

٣- العناية بالجانب القيمي والأخلاقي المستنبط من فهم أسماء الله الحسنىٰ.

فإضافة لتركيز الموسوعة علىٰ جانب الآثار المسلكية التطبيقية، فهي تخصص ملحقات خاصة بكل اسم يمكن أن يكون للعبد حظ منه، كاسم الكريم والرحمن والحيي والستير...الخ، وفي هذا الملحق يتم عرض هذه القيم والأخلاق ببيان معناها وفضلها وكيفية التخلق بها.

٤- خضوع الموسوعة لعمليات عديدة في التقييم والتقويم.

فقد خضعت الموسوعة لعمليات عديدة في التقييم والتقويم، وذلك وفق آليات محددة كالتالي:

* حصر جميع الأعمال التي تقدمت في شرح أسماء الله الحسنىٰ، وتقييم العمل فيها قبل البدء بالموسوعة؛ للاستفادة منها، وتقديم إضافة علمية

حقيقة لما تقدم من مشاريع، وقد حقق الفريق العلمي ولله الحمد هذه الإضافة بشهادة المراجعين من أهل الاختصاص.

* عُرضت جميع البحوث بعد الانتهاء منها علىٰ أستاذات فاضلات، حاصلات علىٰ درجة الدكتوراه في تخصصي: العقيدة واللغة العربية؛ للتدقيق العقدي واللغوي.

وقد تولىٰ كامل الإشراف والمتابعة، والمشاركة في التصنيف الأستاذة الفاضلة: وفاء بنت محسن التركي، التي كانت تعمل ليل نهار من أجل هذا العمل المبارك، ولا تألُ جهدًا في إخراجه، حتىٰ يسر الله التمام، وكتب الله صدور هذه الموسوعة المباركة التي نسأل الله لها القبول، (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم).

كتبته:

أ.د. نوال العيد



المنهجية المتبعة في تقسيم الأسماء الحسنى

المنهجية الأولى: **قسمت الأسماء الحسنى في هذه الموسوعة إلى ثلاثة أقسام، وهي:**

أ- الأسماء التي ثبتت في القرآن والسنة.

ب-الأسماء التي ثبتت في القرآن دون السنة.

ج- الأسماء التي ثبتت في السنة دون القرآن.

وهذا الشرط مضطردًا إلا في مواضع عشرة -سيأتي تفصيلها-، فقد تم تصنيف الاسم في أحد الأقسام الثلاثة المتقدمة بناء على الاسم الأول منها، كالخالق الخلاق البارئ المصور وضعناه تحت القسم الأول (الأسماء التي ثبتت في القرآن والسنة)؛ لأن الاسم الأول منها(الخالق) جاءت نصوص تثبته من كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أما الخلاق فلم يرد إلا في القرآن دون السنة......، وهكذا في بقية الأسماء العشرة، وتفصيل ذلك ما يلي:

أ- الأسماء التي أثبتت في القرآن والسنة، بناء على أن الاسم الأول منها ثابت فيهما:

١. الخالق والخلاق والبارئ والمصور.
٢. الرازق والرزاق.
٣. الكريم والأكرم.
٤. الناصر والنصير والغالب.

٥. الملك والمالك والمليك.

٦. القدير والقادر والمقتدر.

٧. القهار والقاهر.

٨. الوكيل والكفيل والكافي.

ب-الأسماء التي أثبتت في القرآن دون السنة، بناء علىٰ ان الاسم الأول منها ثبت في القرآن دون السنة، وهو اسم واحد:

الحسيب والديان.

ج- الأسماء التي أثبتت في السنة دون القرآن، بناء علىٰ أن الاسم الأول منها ثابت في السنة دون القرآن، وهو اسم واحد:

السبوح والقدوس.

المنهجية الثانية: اضطراد العمل في الموسوعة علىٰ إفراد كل اسم بشرح مستقل إن كان مفردًا كالجبار والعفو والرفيق، أما الأسماء المختلفة في اللفظ والدالة علىٰ صفة واحدة كالحافظ الحفيظ، والكريم الأكرم، والمالك الملك...وغير ذلك من الأسماء فتم جمعها في شرح واحد، وكذلك الأسماء التي اختلف لفظها وتقاربت آثارها المسلكية تم جمعها في شرح واحد كالحيي الستير، والحاسب الديان، والقريب المجيب، وغيرها.



تقسيمات البحث

- رحلة المشروع.
- المنهجية المتبعة في تقسيم الأسماء.
- تقسيمات البحث.
- أهمية العيش مع أسماء الله وصفاته، وأثرها على المتدبر.
- قواعد في أسماء الله وصفاته وفق منهج أهل السنة والجماعة.

شرح أسماء الله الحسنى، كالتالي:

أولًا: الأسماء التي ثبتت في القرآن الكريم والسنة النبوية:

١) الأول والآخر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٢) بديع السماوات والأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٣) البصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤) التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٥) الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٦) الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٧) الحكيم والحكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٨) الحليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٩) الحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٠) الحي والقيوم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١١) الخالق والخلاق والبارئ والمصور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٢) الخبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٣) ذو الجلال والإكرام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٤) الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٥) الرحمن والرحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٦) الرازق والرزاق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٧) الرؤوف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٨) السلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٩) السميع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٠) الشكور والشاكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢١) الشهيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٢) الصمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٣) الظاهر والباطن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٤) العزيز سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٥) العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٦) العفو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٧) العلي والأعلىٰ والمتعال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٨) العليم والعالم وعلام الغيوب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٩) الغفور والغفار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٠) الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣١) فاطر السماوات والأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٢) القدير والقادر والمقتدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٣) القريب والمجيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٤) القهار والقاهر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٥) الكبير والمتكبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٦) الكريم والأكرم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٧) اللطيف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٨) الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٩) المجيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٠) المستعان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤١) الملك والمالك والمليك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٢) الناصر والنصير والغالب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٣) نور السماوات والأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٤) الواحد والأحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٥) الودود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤٦) الوكيل والكفيل، والكافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤٧) الولي والمولىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤٨) الوهاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: الأسماء التي ثبتت في القرآن الكريم فقط

١) البر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٢) الحسيب والديان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٣) الحفيظ والحافظ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤) ذو الفضل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٥) الرقيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٦) الفتاح سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٧) القوي والمتين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٨) المبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٩) المحيط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٠) المهيمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١١) المؤمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٢) الهادي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٣) الوارث سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٤) الواسع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثالثًا: الأسماء التي ثبتت في السنة النبوية فقط:

١) الجميل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٢) الحيي والستير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٣) الرفيق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤) السبوح والقدوس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٥) السيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٦) الشافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٧) الطيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٨) القابض والباسط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٩) المحسن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٠) المقدم والمؤخر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١١) المنان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٢) الوتر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



أهمية العيش مع أسماء الله وصفاته، وأثرها على المتدبر

إن أهم ما يتضمنّه الإيمان بالله تَعَالَى -الذي هو أول أركان الإيمان- هو التعرف علىٰ الله سُبْحَانَهُ بأسمائه وصفاته، ولهذه المعرفة آثار عظيمة في حياة المؤمن في الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما يلي:

١- العلم بأسماء الله وصفاته أشرف العلوم وأفضلها:

«فشرف العلم بشرف المعلوم، وهو الرب، وأن العلم به ثلاث مقامات: العلم بالذات، والصفات، والأفعال»[١]، «وكما أن العلم به تَعَالَى أجل العلوم وأشرفها، فهو أصلها كلها ...، وكل موجود سوىٰ الله فهو مستند في وجوده إليه استناد المصنوع إلىٰ صانعه، والمفعول إلىٰ فاعله، فالعلم بذاته سُبْحَانَهُ وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه، فهو في ذاته رب كل شيء ومليكه، والعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر:١٩] فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنًا شريفًا عظيمًا، وهو أن من نسىٰ ربه أنساه ذاته، ونفسه، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسىٰ ما به صلاحه وفلاحه في معاشه»[٢].

---

(١) النبوات، ابن تيمية، (ص: ٨٩)

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (١/ ٨٦)

٢- معرفة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ هي الطريق الرئيسي إلىٰ معرفة الله:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معرفة الله سُبْحَانَهُ نوعان: معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس، البر والفاجر، والمطيع والعاصي، والثاني: معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلىٰ لقائه، وخشيته والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخالصة الجارية علىٰ لسن القوم، وتفاوتهم فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه، وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم، وكل أشار إلىٰ هذه المعرفة بحسب مقامه، وما كشف له منها، وقد قال أعرف الخلق به: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»[(١)]، وأخبر أنه سُبْحَانَهُ يفتح عليه يوم القيامة من محامده بما لا يحسنه الآن.

ولهذه المعرفة بابان واسعان: باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله، والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته، ولطفه وإحسانه، وعدله وقيامه بالقسط علىٰ خلقه.

وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنىٰ وجلالها وكمالها، وتفرده بذلك، وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيهًا في أوامره ونواهيه، فقيهًا في قضائه وقدره، فقيها في أسمائه وصفاته، فقيهًا في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٦)

(٢) الفوائد، ابن القيم، (ص: ١٧٠)

٣- معرفة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ تقوي الإيمان وتحقق التوحيد، وتورث خشية الله:

فهناك تلازم وثيق بين إثبات الأسماء والصفات لله وتوحيد الله تَعَالَى، فكلما حقق العبد أسماء الله وصفاته علماً وعملاً كان أعظم وأكمل توحيداً، وفي المقابل: فإن هناك تلازماً وطيداً بين إنكار الأسماء أو الصفات، وبين الشرك.

يقول ابن القيم في تقرير هذا التلازم: «كل شرك في العالم فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كماله - أو بعضه - وظن السوء به لما أشرك به، كما قال إمام الحنفاء وأهل التوحيد لقومه: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات:٨٦-٨٧].

أي فما ظنكم به أن يجازيكم، وقد عبدتم معه غيره؟ وما الذي ظننتم به حتىٰ جعلتم معه شركاء؟ أظننتم: أنه محتاج إلىٰ الشركاء والأعوان؟ أم ظننتم: أنه يخفىٰ عليه شيء من أحوال عباده، حتىٰ يحتاج إلىٰ شركاء تعرفه بها كالملوك؟ أم ظننتم أنه لا يقدر وحده علىٰ استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم، أم هو قاس؛ فيحتاج إلىٰ شفعاء يستعطفونه علىٰ عباده؟ أم ذليل؛ فيحتاج إلىٰ ولي يتكثر به من القلة، ويتعزز به من الذلة؟ أم يحتاج إلىٰ الولد؛ فيتخذ صاحبة يكون الولد منها ومنه؟ تَعَالَى الله عن ذلك كله علوا كبيرا، والمقصود: أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه، فلا تجد معطلا إلا وشركه علىٰ حسب تعطيله، فمستقل ومستكثر»[1]

يقول الشيخ السعدي في تقرير التوحيد بالإيمان بأسماء الله وصفاته: «إن

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٣/ ٣٢٤)

الإيمان بأسماء الله الحسنىٰ، ومعرفتها يتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبيّة، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي رَوح الإيمان وروحه، وأصله وغايته، فكلّما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه.

ويقول ابن القيم: «إن العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله، ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها، وكمالها وما تزكو به، وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد، والجهل به أصل شقاوته...، فلا شيء أطيب للعبد، ولا ألذ ولا أهنأ، ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه، ودوام ذكره والسعي في مرضاته، وهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل، وقامت السماوات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ولأجله شرعت الشرائع»[1]

ومن قوي إيمانه وعلمه ازدادت خشيته من ربه، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وفي الحديث: يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «أما واللهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له»[2]، ويقول ابن مَسْعُودٍ في ذلكُ: «كفىٰ بخشية الله علما، وكفىٰ بالاغترار بالله جهلا»[3].

---

(١) مفتاح دار السعادة، (١/ ٨٦)

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١١٠٨).

(٣) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر القرطبي، (٢/ ٨١٢)

٤- معرفة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أصل كل عبادة:

فمن أراد امتثال أوامر الله تَعَالَى واجتناب نواهيه فلابد أن يعرف ربه أولا، ولذلك كان أول أمرٍ أمرَ النبي صلىٰ الله عليه به معاذ إذا قدم علىٰ أهل اليمن أن يعرفهم بربهم، ففي حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ اليمن قال: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»(١).

٥- إحصاء أسماء الله الحسنىٰ من أعظم أسباب دخول الجنة:

روىٰ البخاري في صحيحه من حديث أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٢)

يقول ابن القيم في معنىٰ إحصائها: «في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولىٰ: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٤٥٨)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٩٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٧).

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وهو مرتبتان، إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة فلا يثنىٰ عليه إلا بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ وكذلك لا يسأل إلا بها»[1].

٦- العمل بمقتضىٰ أسماء الله الحسنىٰ:

قال ابن بطال في معنىٰ حديث «من أحصاها دخل الجنة»: «يحتمل أن يكون الإحصاء المراد في هذا الحديث والله أعلم: العمل بالأسماء والتعبد لمن سُمي بها، فإن قال قائل: كيف وجه إحصائها عملًا؟ قيل له وجه ذلك:

أن ما كان من أسماء الله تَعَالَى مما يجب علىٰ المؤمن الاقتداء بالله تَعَالَى فيه: كالرحيم والكريم، والعفو والغفور، والشكور والتواب وشبهها، فإن الله تَعَالَى يُحب أن يرىٰ علىٰ عبده حلاها ويرضىٰ له معناها، والاقتداء به تَعَالَى فيها، فهذا العمل بهذا النوع من الأسماء، وما كان منها مما لا يليق بالعبد معانيها كالله والأحد، والقدوس والجبار، والمتعال والمتكبر، والعظيم والعزيز، والقوي وشبهها، فإنه يجب علىٰ العبد الإقرار بها، والتذلل لها، والإشفاق منها.

وما كان بمعنىٰ الوعيد: كشديد العقاب، وعزيز ذي انتقام، وسريع الحساب وشبهها، فإنه يجب علىٰ العبد الوقوف عند أمره، واجتناب نهيه، واستشعار خشية الله تَعَالَى من أجلها، خوف وعيده، وشديد عقابه، هذا وجه إحصائها عملًا، فهذا يدخل الجنة إن شاء الله، وأخبرني بعض أهل العلم عن

---

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/ ١٦٤)

أبىٰ محمد الأصيلىٰ أنه أشار إلىٰ هذا المعنىٰ غير أنه لم يشرحه فقال: الإحصاء لأسمائه تَعَالَى هو: العمل بها، لا عدّها وحفظها فقط؛ لأنه قد يعدها المنافق والكافر وذلك غير نافع له»[1].

٧- معرفة أسماء الله الحسنىٰ من أعظم أسباب إجابة الدعاء:

فالله سُبْحَانَهُ أمر عباده أولا بدعائه بأسمائه الحسنىٰ، في قول تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ووعد بالإجابة في قوله تَعَالَى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌ ولا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إني عَبْدُك، ابْنُ عَبْدِك، ابْنُ أَمَتِك، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِك، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحَزَنَهُ وأَبْدَلَ مَكَانَه فَرَحًا**». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نَتَعَلَّمُها؟ فَقَالَ: «**بَلَىٰ يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ سَمِعَها أَنْ يَتَعَلَّمَها**»[2].

٨- محبة الله لمن فقه أسماءه الحسنىٰ وأحبها:

ومما يدل علىٰ ذلك حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِم، فَيَخْتِمُ بقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ للنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: «**سَلُوهُ لأَي شَيْءٍ يَصْنَعُ**

(١) شرح صحيح البخاري، (١٠/ ٤٢٠)

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦)

ذلك؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأَنَّها صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوه أنَّ اللهَ يُحِبُّه**»[1]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ، قالَ الرَّجُلُ: إِنِّي أُحِبُّها، فَقَالَ: «**حُبُّك إِياها أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[2].

٩- معرفة أسماء الله الحسنىٰ تورث حياة طيبة للعبد:

ومن ذلك: الصبر علىٰ المكروهات والمصائب النازلة بالعبد، فهو سُبْحَانَهُ حكيم عليم، حكم عدل، ولا يظلم أحداً فمن عرف ربًا كذلك صبر علىٰ قضائه وقدره، يقول ابن القيم: «من صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن الذي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع، التي لا يحصيها علمه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب»[3].

ومن ذلك أيضًا: حسن الظن بالله والثقة به تَعَالَى، فمعرفة أنه قادر حكيم، فعال لما يريد، يوجب ذلك، يقول ابن القيم: «وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه، فقد ظن به ظن السوء، ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أن يترك خلقه سدىٰ معطلين عن الأمر والنهي،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٧٣٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري في مختصره، رقم الحديث: (١٣٠).

(٣) الفوائد، (ص:٩٢)

ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل عليهم كتبه، بل يتركهم هملا كالأنعام، فقد ظن به ظن السوء...»[1]

ومن ذلك أيضًا: حسن الخلق وسلامة السلوك والسلامة من الآفات كالعجب والكبر والحسد، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته لم يتكبر ولم يحسد أحداً علىٰ ما آتاه الله؛ لأن الحسد في الحقيقة مضاد لله في حكمته، فإنعام الله علىٰ عبده تابع لحكمته والحاسد يكره هذا الإنعام وقد اقتضته حكمة الله، فهو مضاد لله تَعَالَىٰ في حكمته وقضائه وقدره.



---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٣/ ٢٠٦)

قواعد في أسماء الله وصفاته
وفق منهج أهل السنة والجماعة[1]

إن من أجل العلوم وأعظمها نفعًا وأكثرها فائدة معرفة القواعد والأصول، والضوابط الكلية الجامعة، وذلك لأن «الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلا بها، والأصول تبنىٰ عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوىٰ بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوىٰ وينمىٰ نماءً مطردًا، وبها تعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيرا، كما أنها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعها، غير ذلك من الفوائد العظيمة والمنافع الجليلة»[2].

وعليه فإذا ضُبطت هذه القواعد وفهمت الأصول، أمكن الإلمام بكثير من المسائل التي هي بمثابة الفروع لها، وأمن الخلط بين المسائل التي قد تشتبه، وكان فيها تسهيل لفهم العلم وحفظه وضبطه، وبها يكون الكلام مبنيًا علىٰ علم متين وعدل وإنصاف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: «لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية تُرد إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقىٰ في كذب وجهل في الجزئيات،

---

(١) المرجع الأساسي: القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، ابن عثيمين، بتصرف يسير، وما تم نقله بالنص أضفته بين قوسي تنصيص، وأحلت علىٰ رقم الصفحة من الكتاب في الهامش.

(٢) طريق الوصول إلىٰ العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، السعدي، (ص:٦).

وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم»[1].

وفيما يلي جملة من القواعد الأساسية، والضوابط المهمة في فقه أسماء الله الحسنىٰ، مستمدة من الشريعة الإسلامية، معلومة بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة، وفي فهمها إعانة لفهم أسماء الله تَعَالَى وصفاته وفق منهج أهل السنة والجماعة، بعيدًا عن أراء أهل البدع والضلال.



(١) الفتاوىٰ، ابن تيمية، (١٩/ ٢٠٣)

أولاً: أبرز القواعد في أسماء الله تعالى:

القاعدة الأولىٰ: أسماء الله تَعَالَىٰ كلها حسنىٰ:

أي: بالغة في الحسن غايته، وقد وصف الله سُبْحَانَهُ أسماءه بالحسنىٰ في أربع آيات من القرآن الكريم، وهي:

١. قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

٢. قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء:١١٠].

٣. قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

٤. قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٤].

وسميت بالحسنىٰ؛ لأنها متضمنة للصفات الكاملة، التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا، فمثلًا اسم الله (العليم) متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، يقول تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥١-٥٢]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩]، والحسن في أسماء الله تَعَالَىٰ يكون باعتبار كل اسم علىٰ انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلىٰ غيره، فيحصل

بجمع الاسم إلىٰ الآخر كمال فوق كمال.

ويشترط في الاسم ليكون من أسماء الله الحسنىٰ اجتماع ثلاثة شروط، وهي:

١. أن يكون قد جاء في الكتاب والسنة، يعني نُص عليه في الكتاب والسنة، نُص عليه بالاسم لا بالفعل، ولا بالمصدر.

٢. أن يكون مما يدعىٰ الله عَزَّوَجَلَّ به.

٣. أن يكون متضمنًا لمدح كامل مطلق غير مخصوص.

القاعدة الثانية: أسماء الله تَعَالَىٰ أعلام وأوصاف:

فهي أعلام باعتبار: دلالتها علىٰ الذات، وبهذا الاعتبار تعد مترادفة؛ لدلالتها علىٰ مسمىٰ واحد، وهو الله عَزَّوَجَلَّ، أما اعتبارها أوصافًا فبما دلت عليه من المعاني، وبهذا الاعتبار تعد متباينة، لدلالة كل واحد منهما علىٰ معناه الخاص.

فمثلا: «الحي، العليم، القدير، السميع، البصير»، كلها أسماء لمسمىٰ واحد وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لكن معنىٰ الحي غير معنىٰ العليم، ومعنىٰ العليم غير معنىٰ القدير، وهكذا.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تَعَالَىٰ إن دلت علىٰ وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

مثال ذلك: «السميع» يتضمن إثبات السميع اسما لله تَعَالَى وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوىٰ، كما قال تَعَالَى «والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير».

وإن دلت علىٰ وصف غير متعد تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ.

مثال ذلك: «الحي» يتضمن إثبات الحي اسما لله عَزَّوَجَلَّ وإثبات الحياة صفة له.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تَعَالَى علىٰ ذاته وصفاته تكون: بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

مثال ذلك: «الخالق» يدل علىٰ ذات الله، وعلىٰ صفة الخلق بالمطابقة، ويدل علىٰ الذات وحدها، وعلىٰ صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل علىٰ صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: «لتعلموا أن الله علىٰ كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما».

ودلالة الالتزام مفيدة جدًا لطالب العلم إذا تدبر المعنىٰ، ووفقه الله تَعَالَى فهمًا للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد علىٰ مسائل كثيرة.

القاعدة الخامسة: أسماء الله تَعَالَى توقيفية لا مجال للعقل فيها.

وعليه فيجب الوقوف فيها علىٰ ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تَعَالَى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك علىٰ النص، يقول تَعَالَى في ذلك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]؛ ولأن تسميته تَعَالَى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمىٰ به نفسه جناية في حقه تَعَالَى، ويدخل في الإلحاد في أسمائه تَعَالَى، وقد يقع صاحبه في التشبيه؛ لأن المشبهة وصفوا الله بما لم يأذن به الله تَعَالَى.

يقول الخطابي في ذلك: «ومن علم هذا الباب، أعني: الأسماء والصفات، ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس؛ فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارف الكلام ...، فقد جاء في الأسماء: «القوي»، ولكن لا يقاس عليه الجلد، وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين؛ لأن باب التجلد يدخله التكلف والاجتهاد، ولا يقاس علىٰ «القادر» المطيق ولا المستطيع؛ لأن الطاقة والاستطاعة إنما تطلقان علىٰ معنىٰ قوة البنية، وتركيب الخلقة، ولا يقاس علىٰ «الرحيم» الرقيق، وإن كانت الرحمة في نعوت الآدميين نوعًا من رقة القلب، وفي صفات الله سُبْحَانَهُ: «الحليم» و «الصبور» فلا يجوز أن يقاس عليها الوقور والرزين»[1].

---

(١) شأن الدعاء، (١/ ١١١)

القاعدة السادسة: أسماء الله تَعَالَى غير محصورة بعدد معين:

لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أوْ علَّمْتَه أحدًا مِنْ خلقِك أو أنزلته في كتابِك أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ»[1]، وما استأثر الله تَعَالَى به في علم الغيب لا يمكن أحدا حصره ولا الإحاطة به.

وفي الجمع بين هذا الحديث وحديث: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2]

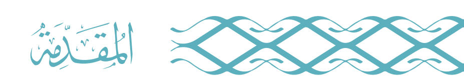
يقول ابن حجر: «وقد اختلف في هذا العدد -يقصد: حديث «إن لله تسعة وتسعين اسما»- هل المراد به حصر الأسماء الحسنىٰ في هذه العدة؟ أو أنها أكثر من ذلك، ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟ فذهب الجمهور إلىٰ الثاني ونقل النووي اتفاق العلماء عليه، فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تَعَالَى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء، ويؤيده قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث بن مسعود: **«أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أوْ علَّمْتَه أحدًا مِنْ خلقِك أو أنزلته في كتابِك أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ»**[3]

«فأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»** فلا يدل علىٰ حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦)

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٩٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٧).

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (١١/ ٢٢٠)



الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تَعَالَى هو الميل بها عما يجب فيها

والإلحاد في أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنواع، وهي:

الأول: أن ينكر شيئًا منها، أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم.

الثاني: أن يجعلها دالة علىٰ صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه.

الثالث: أن يسمىٰ الله تَعَالَى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارىٰ له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة).

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزىٰ من العزيز، واشتقاق اللات من الإله علىٰ أحد القولين، فسموا بها أصنامهم.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم؛ لأن الله تَعَالَى هدد الملحدين بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، ومنه ما يكون شركا أو كفرا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

«وقد برأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم

يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظًا ولا معنىٰ، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئًا من التشبيه، وتنزيههم خليًا من التعطيل، لا كمن شبه حتىٰ كأنه يعبد صنمًا، أو عطل حتىٰ كأنه لا يعبد إلا عدمًا»[1]

ثانيا: أبرز القواعد في صفات الله تعالى:

القاعدة الأولىٰ: صفات الله تَعَالَى كلها صفات كمال لا نقص فيها أو ضعف.

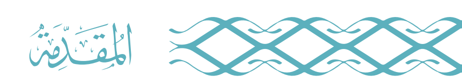
فلصفاته سُبْحَانَهُ الكمال المطلق، يقول تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ [النحل:٦٠]، والمثل الأعلىٰ: هو الوصف الأعلىٰ، وبالمقابل نزه الله نفسه سُبْحَانَهُ عن كل النقائص، يقول تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ [الصافات:١٨٠]

وعليه فكل صفة لا كمال فيها تمتنع في حق الله تَعَالَى، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمىٰ، ونحوها، وفي هذا آيات وشواهد كثيرة منها: قوله تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقوله تَعَالَى علىٰ لسان موسىٰ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه:٥٢]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾ [الزخرف:٨٠]، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدجال: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وإنَّ ربَّكُمْ عَزَّوجلَّ لَيْسَ بأعْورَ»[2]، وقال: «أَيُّها

---

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/ ١٨٠)

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث (٧١٢٧)، ومسلم، رقم الحديث (٢٩٣٣).



النَّاسُ ارْبَعُوا علَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ ليسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»[1].

وإذا كانت الصفة كمالًا في حال، ونقصًا في حال لم تكن جائزة في حق الله تَعَالَىٰ، ولا ممتنعة علىٰ سبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتًا مطلقًا، ولا تنفىٰ عنه نفيًا مطلقًا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالًا، وتمتنع في الحال التي تكون نقصًا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالًا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذ تدل علىٰ أن فاعلها قادر علىٰ مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصًا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تَعَالَىٰ من صفاته علىٰ سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران:٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق:١٥-١٦]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة:١٤-١٥]

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال:٧١]، فقال:

---

(١) أخرجه مسلم، واللفظ له، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

فأمكن منهم، ولم يقل: فخانهم؛ لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهىٰ صفة ذم مطلقا، وبذا عرف أن قول بعض العوام: خان الله من يخون. منكر فاحش يجب النهي عنه.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الإخبار أوسع من باب الصفات.

وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة؛ ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تَعَالَى، وأفعاله لا منتهىٰ لها، كما أن أقواله لا منتهىٰ لها، قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧]، ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تَعَالَى: المجيء، والإتيان، والأخذ، إلىٰ غير ذلك من الصفات التي لا تحصىٰ، كما قال تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران:١١]، فيوصف الله تَعَالَى بهذه الصفات علىٰ الوجه الوارد، ولا يسمىٰ بها، فلا يقال: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

أما ما يتعلق بباب الإخبار عنه تَعَالَى فهو أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالموجود، والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العليا.

القاعدة الثالثة: صفات الله تَعَالَى تنقسم إلىٰ قسمين: ثبوتية، وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبت الله تَعَالَى لنفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك، فيجب إثباتها لله تَعَالَى، حقيقة علىٰ الوجه اللائق به، يقول تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦]، فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

والصفات السلبية: ما نفاها الله سُبْحَانَهُ عن نفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب، فيجب نفيها عن الله تَعَالَى مع إثبات ضدها علىٰ الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تَعَالَى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل علىٰ الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلا عن أن يكون كمالا، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالا، كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا،

مثال ذلك: قوله تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]،

فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته، مثال آخر قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩]، فنفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر:

ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية، التي لاتذكر غالبا إلا في الأحوال التالية:

الأولىٰ: بيان عموم كماله، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص:٤]

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾ [مريم:٩١-٩٢]

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾ [الأنبياء:١٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق:٣٨]

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلىٰ قسمين: ذاتية، وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة، ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تَعَالَى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متىٰ شاء بما شاء، كما في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]، وكل صفة تعلقت بمشيئته تَعَالَى فإنها تابعة لحكمته.

وقد تكون الحكمة معلومة عند البشر، وقد يعجزون عن إدراكها، رغم يقينهم بأن الله سُبْحَانَهُ لا يشاء شيئا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان:٣٠]

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل، والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تَعَالَى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل، يقول تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤]

ومن أدلة العقل في ذلك:

١. أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات؛ لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلًا غير قوة

الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلىٰ وأقوىٰ.

٢. أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلىٰ من يكمله؟ وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، ولكن التعبير بنفي التمثيل أولىٰ لموافقة القرآن: «ليس كمثله شيء».

أما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تَعَالَى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل، وهذا اعتقاد باطل، يقول تَعَالَى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه:١١٠]، ويقول أيضا: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦﴾ [الإسراء:٣٦]، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تَعَالَى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا وقوفًا لما ليس لنا به علم، وقولًا بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عزوجل، فوجب بطلان تكييفها.

وأيضا فإننا نقول: أي كيفية تُقدرها لصفات الله تَعَالَى؟ إن أي كيفية تُقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك، وأي كيفية تُقدرها لصفات الله تَعَالَى فإنك ستكون كاذبًا فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك.

القاعدة السابعة: صفات الله تَعَالَىٰ توقيفية لا مجال للعقل فيها:

فلا نثبت لله تَعَالَىٰ من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة علىٰ ثبوته[1]، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يتجاوز القرآن والحديث».

ولدلالة الكتاب والسنة علىٰ ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها.

الثاني: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك. انظر: القاعدة الثالثة في الأسماء.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء علىٰ العرش، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ [الفجر:٢٢]، والانتقام من المجرمين، في قوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

(١) تراجع القاعدة الخامسة من قواعد الأسماء الحسنىٰ



الأسماء التي ثبتت
في القرآن الكريم
والسنة النبوية



الأول والآخر جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

أولًا: المعنىٰ اللغوي لاسم الله (الأول):

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مادة (أ و ل) الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر، وانتهاؤه، فالأول، هو مبتدأ الشيء، والمؤنثة الأولىٰ، مثل أفعل وفعلىٰ، وجمع الأولىٰ أوليات، مثل الأخرىٰ... قال أبو زيد: كان الجاهلية يسمون يوم الأحد الأول»[1].

ثانيًا: المعنىٰ اللغوي لاسم الله (الآخر):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخر أخرته فتأخر، واستأخر، مثل تأخر، والآخر: بعد الأول، وهو صفة، تقول: جاء آخرًا، أي: أخيرًا... »[2].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(أخر) الهمزة والخاء والراء، أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم»[3].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٥٨-١٥٩).

(٢) الصحاح (٢/ ١٣٧).

(٣) مقاييس اللغة (١/ ٨٨).

ورود اسم الله (الأول والآخِر) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الأول والآخر) مرة واحدة في كتاب الله، وهي: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

ورود اسم الله (الأول والآخر) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الأول والآخر) في السنة النبوية، في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول: **اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرَضِينَ، وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ والنَّوَىٰ، وَمُنْزَلَ التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتِ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، والظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، والبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ**»[1].

معنى اسم الله (الأول والآخر) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم الله الأول[2]:

❁ أحسن التفسيرات في معناه: ما ذكره أعلم البشر بالله تَعَالَىٰ نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**».

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٣)، واللفظ للترمذي، رقم الحديث: (٣٤٠٠).

(٢) قد جرىٰ علىٰ ألسنة كثير من المتكلمين وبعض أهل السنة- أحيانًا- تسمية (الرب) تَعَالَىٰ (بالقديم)، والقديم ليس من أسماء الله تَعَالَىٰ الحسنىٰ، والتزام تسميته بـ(الأول) هو الموافق للكتاب والسنة واللغة، ويؤدي ما يؤديه (القديم) وزيادة؛ فإن (القديم) يعم كل متقدم علىٰ غيره في الزمان، وأما (الأول) فإنه يدل علىٰ التقدم المطلق علىٰ كل شيء.

۞ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو (الأول): قبل كل شيء بغير حد»[(١)].

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الأول) هو السابق للأشياء كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأولية؛ إذ كان موجودًا ولا شيء قبله ولا معه»[(٢)].

۞ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته»[(٣)].

۞ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الأول) يدل علىٰ أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويجب علىٰ العبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية؛ إذ السبب والـمسبب منه تَعَالَىٰ»[(٤)].

ثانيًا: معنىٰ اسم الله الآخر:

۞ أحسن التفسيرات للمعنىٰ وأكملها: ما فسره أعرف البشر بالله عَزَّوَجَلَّ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك في قوله: «**وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**».

۞ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الآخر) بعد كل شيء بغير نهاية»[(٥)].

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الآخر) هو الباقي بعد فناء الخلق، وليس

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٥).

(٢) شأن الدعاء (ص٦٣).

(٣) مدارج السالكين ٣/ ١١٣).

(٤) شرح الأسماء الحسنىٰ (ص١٦٩).

(٥) تفسير الطبري (٢٧/ ٢١٥).

معنىٰ (الآخر) ما له انتهاء، كما ليس معنىٰ (الأول) ما له ابتداء»[1].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته»[2].

وقد نظم ابن القيم في نونيته في معنىٰ هذين الاسمين:

هُـوَ أَوَّلٌ هُـو آخِـرٌ هُـوَ ظَاهِـرٌ ... هُـوَ بَاطِـنٌ هِـيَ أَرْبَـعٌ بِـوزَانِ

مَـا قَبْلَـهُ شَـيْءٌ كَـذَا مَـا بَعْـدَهُ ... شَـيْءٌ تَعَـالَى اللهُ ذُو السُّـلْطَانِ

مَـا فَوْقَـهُ شَـيْءٌ كَـذَا مَـا دُونَـهُ ... شَـيْءٌ وَذَا تَفْسِـيرُ ذِي البُرْهَـانِ[3]

اقتران اسم الله (الأول والآخر) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

- اقتران اسمي الله (الأول والآخر) باسميه (الظاهر الباطن):

لم يقترن اسم الله الأول والآخر إلا باسمه الظاهر والباطن، وذلك في موضع واحد، هو قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن هذه الأسماء الأربعة:** «فمدار هذه الأسماء الأربعة علىٰ الإحاطة، وهيٰ إحاطتان: زمانية ومكانية، فأحاطت أوليته وآخريته

(١) شأن الدعاء (ص٨٤).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١١٣).

(٣) النونية (ص٢٠٣).

بالقبل والبعد، فكل سابق انتهىٰ إلىٰ أوليته، وكل آخر انتهىٰ إلىٰ آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله الأول والآخِر:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الأول والآخر) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ هو الأول والآخر، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه ينتهىٰ الأمر حيث تنتهىٰ الأسباب والوسائل؛ فهو أول كل شيء وآخره، ذو الفضل والجلال والإكرام، الذي خلق وبرأ وصور في ابتداء خلقه، وأدام رزقه ومنه وكرمه وعطاءه لكل خلقه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك:** «فأولية الله عَزَّوَجَلَّ سابقة علىٰ أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته: سبقه لكل شيء، وآخريته: بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سُبْحَانَهُ: فوقيته وعلوه علىٰ كل شيء، ومعنىٰ الظهور يقتضىٰ العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سُبْحَانَهُ: إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه.

وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون، فمدار هذه الأسماء الأربعة علىٰ الإحاطة، وهىٰ إحاطتان: زمانية ومكانية، فأحاطت أوليته

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، (ص٢٤)، وستتأني تتمه قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأثر الأول.

وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهىٰ إلىٰ أوليته، وكل آخر انتهىٰ إلىٰ آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده؛ فالأول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه؛ فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا علىٰ كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهر باطن، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية.

فهذه الأسماء الأربعة تشتمل علىٰ أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته، والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره، لم يزل أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا»[1].

الأثر الثالث: توحيد الله باسميه الأول والآخر:

توحيد الربوبية والألوهية:

«**فعبوديته باسمه الأول**: تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف عليها والالتفات إليها، وتجريد النظر إلىٰ مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد؛ إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأي وسيلة كانت هناك، وإنما هو عدم محض، وقد أتىٰ عليه حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا، فمنه سُبْحَانَهُ الإعداد ومنه الإمداد، وفضله سابق علىٰ الوسائل، والوسائل من مجرد فضله وجوده، لم تكن بوسائل أخرىٰ، فمن نزل اسمه الأول علىٰ هذا المعنىٰ أوجب له فقرًا خاصًّا وعبودية خاصة.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٢٤).

وعبوديته باسمه الآخر: تقتضي - أيضًا- عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها؛ فإنها تعدم لا محالة وتنقضي بالآخرية، ويبقىٰ الدائم الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بالآخر عَزَّوَجَلَّ تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق أن لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنىٰ به»[1].

وكما أنه الأول والآخر سُبْحَانَهُ رب كل شيء، وفاعله وخالقه وبارئه، فهو إلهه وغايته التيٰ لا صلاح له ولا فلاح ولا كمال إلا بأن يكون هو غايته، كما أنه لا وجود له إلا بكونه وحده هو ربه وخالقه، وكذلك لا كمال له ولا صلاح إلا بكونه تَعَالَى وحده هو غايته وحده، ونهايته ومقصوده.

فهو الأول الذي ابتدأت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إليه عبوديتها وإرادتها ومحبتها، فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد ويتأله، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ، فكما كان واحدًا في إيجادك، فاجعله واحدًا في تألهك وعبوديتك، وكما ابتدأ وجودك وخلقك منه، فاجعله نهاية حبك وإرادتك وتألهك إليه؛ لتصح لك عبوديته باسمه الأول والآخر.

وأكثر الخلق تعبدوا له باسمه (الأول)[2]، فالكثير يؤمنون بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق الرازق المدبر، كما الحال مع مشركي العرب وغيرهم ممن أقر بذلك، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، فهم مقرون بذلك، فلا إشكال كبير في تحقيقه.

---

(١) طريق الهجرتين، وباب السعادتين (ص١٩ - ٢٠).

(٢) يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن كثيرًا من الخلق يؤمنون بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق الرازق المدبر، كما الحال مع مشركي العرب وغيرهم ممن أقر بذلك، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] فهم مقرون بذلك، فلا إشكال كبير في تحقيقه.

وإنما الشأن في التعبد له باسمه (الآخر)، فهذه عبودية الرسل وأتباعهم، فهو رب العالمين وإله المرسلين سُبْحَانَهُ وبحمده[1].

توحيد الأسماء والصفات:

وكما أن اسمي الله الأول والآخر دالان علىٰ توحيد الربوبية والألوهية، فكذا هما دالان علىٰ توحيد الأسماء والصفات؛ إذ يدلان علىٰ اسم الله الخالق، والبارئ، والمصور، والكريم، وذو الفضل، وذو الجلال والإكرام، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثالث: الأول والآخر سُبْحَانَهُ، مالك الإرادات ومقلب القلوب والنيات:

فعند تحقيق التوحيد في الاسم يعود الموحد بافتقاره إلىٰ ربه، ويجعل المرجعية في فعله إلىٰ ما اختاره لعبده الأول والآخر سُبْحَانَهُ، مالك الإرادات، ومقلب القلوب والنيات، يصرفها كيف شاء، يهدي من يشاء من عباده، ويزيده هداية علىٰ هدايته، وهذا قول الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى﴾ [محمد:١٧].

فهو المعد، وهو الممد، وكلما ازداد له العبد شكرًا: زاده فضلًا، وكلما ازداد له طاعة: زاده لمجده مثوبة، وكلما ازداد منه قربًا: لاح له من جلاله وعظمته ما لم يشاهده قبل ذلك، وهكذا أبدًا لا يقف علىٰ غاية ولا نهاية.

ومن شاء أن يثبته ثبته، ولذا كان دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

(١) انظر: طريق الهجرتين، لابن القيم (ص٢٠).

فلا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا يهدي لأحسن الأعمال والأخلاق إلا هو، ولا يصرف سيئها إلا هو، قال تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

فعلىٰ العبد أن يسأل الله الهداية، وأن يسأله الاستدامة عليها.

الأثر الرابع: محبة الأول والآخر:

إن صدق التعبد باسم الله الأول، والآخر؛ يقود إلىٰ مطالعة منة الله ومحبته، والتبرؤ من كل سبب، فالنعم أولها من الله، ودوامها منه، وانتهاؤها إليه، فكيف يحب العبد غير ربه، أو يشقي نفسه مع خلقه، وهو مؤمن بالأول الآخر سُبْحَانَهُ!

الأثر الخامس: قِصر الأمل في الدنيا والزهد في مباحاتها والبعد عن شهواتها:

من علم أنه سُبْحَانَهُ الآخر، وأنه الدائم الحي الذي لا يموت فكل شيء ينتهي إليه، ويعود إليه، فلا يفلت أحد من قبضته ولا يدوم أحد إلا وجهه الكريم، فكل من علىٰ ظهر الأرض فان،كما قال تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦] فالخلائق كلها مرجعها إليه سُبْحَانَهُ، ومنتهاها إليه جل في علاه، كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق:٨] وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢].

فهو سُبْحَانَهُ الذي ينتهي إليه سير السائرين ومعارف العارفين، فكل معرفة قبل معرفته سُبْحَانَهُ فهي سلم علىٰ معرفته، وكل رتبة قبل الوصول إليه

والنظر إلىٰ وجهه الكريم فهي رتبة نازلة عند من همتهم. قوله تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢].

فمثل هذا العلم يورث العبد معرفة حقيقة الدنيا، فيقصر أمله فيها؛ لعلمه أنها منقطعة، والكل عنها راحلون، وعن وراثتها زائلون، فعليه أن يجتهد للآخرة، فلا يفرح فيها بموجود، ولا يأسف منها بمفقود، فنعيم الدنيا بحذافيره في جنب نعيم الآخرة أقل من ذرة في جنب جبال الدنيا، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٠ - ٢١].

يخبر تَعَالَىٰ عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلىٰ الله، من النفع القاصر والمتعدي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغايات والنهايات كلها إليه تنتهي: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢]؛ فانتهت إليه الغايات والنهايات؛ وليس له سُبْحَانَهُ

غاية ولا نهاية؛ لا في وجوده، ولا في مزيد جوده؛ إذ هو (الأول) الذي ليس قبله شيء، و(الآخر) الذي ليس بعده شيء، ولا نهاية لحمده وعطائه؛ بل كلما ازداد له العبد شكرًا: زاده فضلًا، وكلما ازداد له طاعة: زاده لمجده مثوبة، وكلما ازداد منه قربًا: لاح له من جلاله وعظمته ما لم يشاهده قبل ذلك، وهكذا أبدًا لا يقف علىٰ غاية ولا نهاية، ولهذا جاء: إن أهل الجنة في مزيد دائم بلا انتهاء [1].

فإن نعيمهم متصل ممن لا نهاية لفضله ولا لعطائه؛ ولا لمزيده، ولا لأوصافه، فتبارك الله ذو الجلال والإكرام: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، (**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ**)[2]»[3].

وقد يبدو في الظاهر أن بقاء أهل الجنة والنار أبدًا، متعارض مع إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالبقاء، وأنه الآخر الذي ليس بعده شيء، لكن هذا التعارض يزول إذا علمنا أنه لا بد أن نفرق في قضية البقاء والآخرية بين ما يبقىٰ ببقاء الله وما يبقي بإبقاء الله، أو نفرق بين بقاء الذات والصفات الإلهية، وبقاء المخلوقات التي أوجدها الله كالجنة والنار وما فيهما؛ فالجنة مثلًا باقية بإبقاء الله وما يتجدد فيها من نعيم متوقف في وجوده علىٰ مشيئة الله، أما ذاته وصفاته فباقية ببقائه، وشتان بين ما يبقي ببقاء الله وما يبقي بإبقائه، فالجنة مخلوقة خلقها الله عَزَّوَجَلَّ وكائنة

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٦٨).

بأمره ورهن مشيئته وحكمه، فمشيئة الله حاكمة علىٰ ما يبقىٰ وما لا يبقىٰ.

ومِن ثَمَّ فإن السلف الصالح يعتبرون خلود الجنة وأهلها إلىٰ ما لا نهاية إنما هو بإبقاء الله وإرادته، فالبقاء عندهم ليس من طبيعة المخلوقات ولا من خصائصها الذاتية، بل من طبيعتها جميعا الفناء، فالخلود ليس لذات المخلوق أو طبيعته، وإنما هو بمدد دائم من الله تَعَالَىٰ وإبقاء مستمر لا ينقطع، أما صفات الله عَزَّوَجَلَّ ومنها وجهه وعزته وعلوه ورحمته ويده وقدرته وملكه وقوته، فهي صفات باقية ببقائه ملازمة لذاته، حيث البقاء صفة ذاتية لهم، كما أن الأزلية صفة ذاتية له أيضًا.

فلا بد إذًا أن نفرق بين صفات الأفعال الإلهية وأبديتها، ومفعولات الله الأبدية وطبيعتها، وهذا ما جاء به القرآن؛ حيث فرق بين نوعين من البقاء؛ الأول: وهو بقاء الذات بصفاتها، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦ - ٢٧]، والثاني: في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ:١٧].

فالآية الأولىٰ دلت علىٰ صفة من صفات الذات، وهىٰ صفة الوجه، ودلت علىٰ بقاء الصفة ببقاء الذات، فأثبتت بقاء الذات بصفاتها، وأثبتت فناء ما دونها أو إمكانية فنائه؛ إذ إن الله هو الأول والآخر، وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء.

الأثر السادس: الدعاء باسمي الله الأول والآخر:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول: **اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرَضِينَ، وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ**

شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ والنَّوَى، وَمُنْزَلَ التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتِ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، والظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، والبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ»[1].

اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، أغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك.



(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٣).

بديع السماوات والأرض جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أبدعت الشيء: اخترعته لا علىٰ مثال، والله تَعَالَى بديع السموات والارض، والبديع: المبتدع»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(بدع) الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه، لا عن مثال...»[2].

ورود اسم الله (بديع السماوات والأرض) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (بديع السماوات والأرض) في كتاب الله مرتين، وروده كالتالي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام:١٠١].

---

(١) الصحاح (٣/ ٣١٨)

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

ورود اسم الله (بديع السماوات والأرض) في السنة النبوية:

ورد اسم (بديع السماوات والأرض) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا- يعني: ورجل قائم يصلي- فلما ركع وسجد وتشهد دعا، فقال في دعائه: **اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجِلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ**، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: **تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[1].

معنى اسم الله (بديع السماوات والأرض) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧]: مبدعها، ومعنىٰ المبدع: المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلىٰ إنشاء مثله وإحداثه أحد»[2].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «(البديع) هو الذي خلق الخلق، وفطره مبدعًا له مخترعًا، لا علىٰ مثال سبق»[3].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعناه: المبتدع، وهو يحدث ما لم يكن مثله قط، قال الله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧]، أي: مبدعهما،

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٤٩٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٤)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٠)، حكم الألباني: صحيح لغيره، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٨٩٠).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤٦٤).

(٣) شأن الدعاء (ص٩٦).

والمبدع من له إبداع»[1].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله عَزَّوَجَلَّ بديع السموات والأرض، أي: منشئها وموجدها ومبدعها، ومخترعها على غير حد ولا مثال»[2].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧] أي: خالقهما ومبدعهما في غاية ما يكون من الحسن، والخلق البديع، والنظام العجيب المحكم»[3].

اقتران اسم الله (بديع السماوات والأرض) بأسمائه الحسنى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله بديع السماوات والأرض بالأسماء الأخرى.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله بديع السماوات والأرض:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (بديع السماوات والأرض) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الله سُبْحَانَهُ هو البديع الذي لا مثيل له ولا شبيه، لا في ذاته، ولا في صفاته أو أفعاله، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال في سورة الأنعام: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنعام:١٠١]، فسبحان الله أنى يكون له ولد، وهو مالك ما في السموات والأرض، تشهد

---

(١) المنهاج (١/ ١٩٢).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٨٦).

(٣) تفسير السعدي (ص٩٤٨).

له جميعًا بدلالتها عليه بالوحدانية، وتقر له بالطاعة؛ وهو بارئها وخالقها، وموجدها من غير أصل، ولا مثال احتذاها عليه، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلىٰ الله جل ثناؤه بنوته، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلىٰ غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والد بقدرته»[1].

ومن تأمل في آيات الله الكونية رأىٰ الجلال والإجلال والمهابة لهذا الإله العظيم، خالق هذا الكون علىٰ أحسن صورة.

وقد وردت آيات كثيرة تدعو إلىٰ النظر في الكون، وما فيه من آيات باهرة عظيمة، ومنها:

- **الدعوة للنظر في عجائب السماء**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:٥] ومما ورد في تفسير الآية: «أي: ولقد جملنا ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ التي ترونها وتليكم، ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي: النجوم، علىٰ اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفًا مظلمًا، لا حسن فيه ولا جمال، ولكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء، وجمالًا، ونورًا وهداية يهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح، أن يكون كثير من النجوم فوق السماوات السبع، فإن السماوات شفافة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها»[2].

- **الدعوة للنظر في عجائب الأرض**، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٦٥).

(٢) تفسير السعدي (ص٨٧٥).

مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

«فمن الآيات علىٰ كمال قدرته وبديع صنعته: أن جعل ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ﴾ فيها أنواع الأشجار ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ وغير ذلك، والنخيل التي بعضها ﴿صِنْوَانٌ﴾ أي: عدة أشجار في أصل واحد، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ بأن كان كل شجرة علىٰ حدتها، والجميع ﴿صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ وأرضه واحدة ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ لونًا وطعمًا ونفعًا ولذة؛ فهذه أرض طيبة تنبت الكلأ والعشب الكثير والأشجار والزروع، وهذه أرض تلاصقها لا تنبت كلأ ولا تمسك ماء، وهذه تمسك الماء ولا تنبت الكلأ، وهذه تنبت الزرع والأشجار ولا تنبت الكلأ، وهذه الثمرة حلوة، وهذه مُرَّة، وهذه بين ذلك»[1].

- **الدعوة للنظر في عجائب البحار**، ومنه قوله تعالَىٰ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢١].

«والمراد بالبحرين: البحر العذب، والبحر المالح، فهما يلتقيان كلاهما، فيصب العذب في البحر المالح، ويختلطان ويمتزجان، ولكن الله تعَالَىٰ جعل بينهما برزخًا من الأرض، حتىٰ لا يبغي أحدهما علىٰ الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسمك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرًّا مسخرًا للسفن والمراكب»[2].

---

(١) المرجع السابق (ص٤١٢).

(٢) تفسير السعدي (ص٨٣٠).

- **الدعوة للنظر في عجائب الليل والنهار،** يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢].

«فمخالفته بين الليل والنهار؛ ليسكنوا في الليل، وينتشروا في النهار للمعايش والصناعات، والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك؛ ولهذا قال: ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك، ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نسقًا واحدًا وأسلوبًا متساويًا لما عرف شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧١-٧٣]»[١].

ومن المعلوم أن من ازداد تأملًا وتفكرًا في خلق الله تعالى؛ ازداد إيمانًا ويقينًا بكمال قدرة البديع وجماله، وهذا يقر في نفس المؤمن توحيد الله بالألوهية والربوبية.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «وانفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالخلق والإبداع ونفوذ المشيئة، وأن الخلق أعجز من أن يعصوه بغير مشيئته، وهذا شاهد لتفرد

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٩).

الله بالخلق والإبداع وأنه لا حول ولا قوة إلا به»[1].

ولذلك كانت نسبة الولد إليه مسبة له، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « **قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ**»[2].

وكما أن اسم الله البديع دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله القدير، والخالق، والبارئ، والمصور، والجميل، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: محبة بديع السماوات والأرض سُبْحَانَهُ:

من آمن بأنه سُبْحَانَهُ بديع لا مثيل له ولا شبيه، وأنه المبدع الذي فطر الخلق ابتداء من غير مثال سبق، فهو سُبْحَانَهُ خلق فأبدع في خلقه- مَن عَلِم كل هذا لزمه محبة البديع سُبْحَانَهُ ذي الصفات العلا جل شأنه.

الأثر الثالث: الدعاء باسم الله بديع السماوات والأرض:

فإن من هدي رسولنا كثرة الدعاء وصدق الطلب، ومن دلائل الدعاء باسم الله البديع: ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك، فقال

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٩٧٤).

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ**؟ قال فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[1].

اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم أن تغفر لنا.



(١) سبق تخريجه.

البَصِيْرُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البصر: حاسة الرؤية، وأبصرت الشئ: رأيته»(1).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(بصر) الباء والصاد والراء أصلان، أحدهما: العلم بالشيء؛ يقال: هو بصير به،... وأصل ذلك كله: وضوح الشيء، ويقال: رأيته لمحًا باصرًا، أي: ناظرًا بتحديق شديد، ويقال: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيرًا عالمًا، وأبصرته إذا رأيته، وأما الأصل الآخر: فبصر الشيء غلظه»(2).

ورود اسم الله (البصير) في القرآن الكريم:

ورد اسم (البصير) اثنتين وأربعين مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٣].

٢- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

٣- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

---

(١) الصحاح (٢/ ١٥٣)

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٢٩٣).

ورود اسم الله (البصير) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (البصير) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»[1].

معنى اسم (البصير) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني - جل ثناؤه - بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٩٦] والله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر»[2].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠]: أي: هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وما ذلك إلا لحكمته ورحمته»[3].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(البصير) الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء علىٰ الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع، وأيضًا سميع بصير

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٨٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٤١).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٤).

بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنىٰ الأخير يرجع إلىٰ الحكمة»[1].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهـوَ البَصِيـرُ يَرَىٰ دَبِيـبَ النَّمْلَةِ السَّـ
ـوْدَاءِ تَحْـتَ الصَّخْـرِ وَالصَّـوَّانِ
وَيَـرَىٰ مَجَـارِي القُـوتِ فِـي أَعْضَائِهَا
وَيَـرَىٰ نِيَـاطَ عُرُوقِهَـا بِعيَـانِ
وَيَـرَىٰ خِيَانَـاتِ العُيُـونِ بِلَحْظِهَـا
وَيَـرَىٰ كَـذَاكَ تَقَلُّـبَ الأَجْفَـانِ[2]

اقتران اسم الله (البصير) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (البصير) باسمه سُبْحَانَهُ (السميع):

ورد هذا الاقتران في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في إحدىٰ عشرة آية، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١].

وجه الاقتران:

يمكن أن يقال: «إن اسمي (السميع والبصير) يشيران إلىٰ اتصاف الله سُبْحَانَهُ بكمال السمع والبصر، وإحاطتهما ونفاذهما، فكل منهما صفة كمال له عَزَّوَجَلَّ، ويستفاد من اجتماعهما صفة كمال ثالثة، كما هو الشأن في الصفات

---

(١) تفسير السعدي (٥/ ٢٩٩).

(٢) النونية (ص٢٠٤).

المقترنة.

ويمكن اعتبار هاتين الصفتين مجتمعتين دالتين علىٰ تنزيهه تَعَالَى عن مشابهة المخلوقين، فإن لهم سمعًا وبصرًا لا كسمعه وبصره عَزَّوَجَلَّ، فضلًا عما يوحي به اقتران الصفتين من إحكام الرقابة علىٰ الأقوال والأفعال، والإحاطة التامة للمخلوقات كلها، وأن الله محيط بها لا يفوته شيء منهم، ولا يخفىٰ عليه من أمورهم شيء، بل هم تحت سمعه وبصره.

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (البصير) باسمه سُبْحَانَهُ (الخبير):

ورد هذا الاقتران خمس مرات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، من ذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].

وجه الاقتران:

اقتران (الخبير) مع (البصير) يفيد شمول علم الله تَعَالَى للبواطن والحقائق، وكذلك للذوات والمشاهدات والمبصرات.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (البصير):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم (البصير) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

من كمال الله تَعَالَى وجلاله: سعة بصره وعلمه، «فهو سُبْحَانَهُ من تحيرت العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته ولطفه، وخبرته بالغيب والشهادة، والحاضر والغائب، يرىٰ خائنات الأعين وتقلبات

الأجفان، وحركات الجنان»[1]، فهو سُبْحَانَهُ القائل: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٨].

ومظاهر إبصار الله لعباده كثيرة، يمكن تقسيمها بالتالي:

أولًا: مايتعلق باثبات بصر لله سُبْحَانَهُ، كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، يقول تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ومن مظاهر ذلك:

أن الله سُبْحَانَهُ يبصر كل شيء، وإن دق وإن صغر، يقول تَعَالَىٰ مثنيًا علىٰ نفسه بعظم وكمال سمعه وبصره: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦].

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «وذلك بمعنىٰ المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء»[2].

فهو سُبْحَانَهُ يبصر ماتحت الأراضي السبع، كما يبصر مافوق السموات السبع، لا يخفىٰ عليه خافية في الأرض ولافي السماء، ولا في الدنيا ولا الآخرة، لا تخالطه الظنون ولا تغيره الحوادث والسنون، لا تواري عنه سماء سماءه، ولا أرض أرضه، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قاعه، يبصر كل شيء ويعلمه، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، مطلع علىٰ أعمال الناس وخباياهم.

---

(١) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٣٤ - ٣٦).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٣٣).

«فأحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسموات، حتىٰ أخفىٰ ما يكون فيها، فيرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرىٰ سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات علىٰ اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرىٰ نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك»(1).

ولله در القائل:

يَـا مَـنْ يَـرَىٰ صَـفَّ البَعُـوضِ جَنَاحَهَـا
فِـي ظُلْمَـةِ اللَّيْـلِ البَهِيـمِ الأَلْيَـلِ

وَيَـرَىٰ مَنَـاطَ عُرُوقِهَـا فِـي نَحْرِهَـا
وَالمُـخَّ مِـنْ تِلْـكَ العِظَـامِ النُّحَّـلِ

امْنُـنْ عَلَـيَّ بِتَوْبَـةٍ تَمْحُـو بِهَـا
مَـا كَانَ مِنِّـي فِـي الزَّمَـانِ الأَوَّلِ (2)

ثانيًا: ما يتعلق بإثبات بصر البصيرة بالأشياء، فهو سُبْحَانَهُ **الخبير بها، فيكون متعلقها العلم، ومن مظاهر ذلك:**

- أن الله بصير بمن آمن من عباده ومن كفر، يقول تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

- والله بصير بما يصلح أحوال خلقه من الغنىٰ والمال، ومن يفسده

---

(١) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٣٤ - ٣٦).

(٢) ربيع الأبرار، الزمخشري (١/ ١٠).

ذلك، فيعطي كلًّا منهم ما يستحقه، ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٧][1].

- والله بصير بما يسر عباده وما يخفونه، يقول تَعَالَى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ السر: «الكلام الخفي ﴿وَأَخْفَى﴾ من السر الذي في القلب ولم ينطق به، أو السر ما خطر علىٰ القلب ﴿وَأَخْفَى﴾ ما لم يخطر، يعلم تَعَالَى أنه يخطر في وقته وعلىٰ صفته، المعنىٰ: أن علمه تَعَالَى محيط بجميع الأشياء دقيقها وجليلها خفيها وظاهرها، فسواء جهرت بقولك أو أسررته، فالكل سواء بالنسبة لعلمه تَعَالَى»[2].

- والله بصير بذنوب عباده، السر منها والعلن، ماظهر منها وما بطن، وسيجازيهم عليها سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧][3].

الأثر الثاني: توحيد الله باسمه البصير:

إن إيمان العبد بأن الله سُبْحَانَهُ البصير كما يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، كما قال تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، يجعله يحقق التوحيد الخالص لله، فلا معبود كمل بصره وعلمه، فاستحق العبادة وحده إلا الله.

---

(١) وسيأتي مزيد بيان في الأثر الرابع.

(٢) تفسير السعدي (ص٥٠٢).

(٣) وسيأتي مزيد بيان في الآثار المسلكية اللاحقة.

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات أنواع التوحيد للبصير سُبْحَانَهُ: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ «أي: ليس يشبهه تَعَالَى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلها حسنىٰ، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تَعَالَى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء؛ لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه،... وهذه الآية ونحوها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها رد علىٰ المشبهة في قوله تَعَالَى: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وعلىٰ المعطلة في قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[1].

ولذا قال سُبْحَانَهُ موبخًا الكفار ومسفهًا عقولهم؛ لعبادتهم الأصنام، التي هي من الحجارة الجامدة، لا تتحرك ولا تملك سمعًا ولا بصرًا: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف:١٩٥]، ويقول تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧، ١٩٨].

وأنكر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ أبيه عبادته ما لا يبصر ولا يسمع، يقول تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٤٢].

(١) تفسير السعدي (ص٧٥٤).

الأثر الثالث: مراقبة الله تعالىٰ، والحياء منه:

إن لهذا الاسم مقتضياته من الذل والخضوع ودوام المراقبة، والإحسان والإخلاص في العبادة، والبعد عن الذنوب.

فمن علم أن ربه مطلع علىٰ سائر عمله، واستدام هذا العلم في قلبه؛ استحىٰ أن يراه علىٰ معصية أو علىٰ ما لا يحب، وصار أكثر مراقبة لله تَعَالَى، فاستقام سلوكه وسمت روحه، وراقب الله في سره وعلانيته.

ومن تأمل الآيات الواردة في القرآن والمختومة بهذا الاسم؛ أدرك تمامًا كمال هذا الاسم وهيبته، ومن ذلك ما يلي:

١- إبصار الله تَعَالَى لخفايا الخلق، ومعرفته بأزكاهم، وأحقهم للاصطفاء، يقول تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [الحج: ٧٥ - ٧٦].

٢- إبصار الله تَعَالَى لما يحصل في خفايا الليل والنهار، فيرىٰ دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، يقول تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٦١].

٣- إبصار الله تَعَالَى لما كان وما يكون، وما نبصر وما لا نبصر، وما يعلم العباد وما لا يعلمون، وأحقيته بالعبادة دون سواه.

٤- إبصار الله تَعَالَى لحال عباده بعد أمرهم بالاستقامة، ومدىٰ التزامهم بالأمر، يقول تَعَالَى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [هود: ١١٢].

٥- إبصار الله تَعَالَى بالملحدين في آياته، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

٦- إبصار الله تَعَالَى بالمجادلين في آياته، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

٧- إبصار الله تَعَالَى لنية العامل ومقصده، ومجازاته وفقًا لذلك، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

٨- إبصار الله تَعَالَى لأعمال عباده، وعلمه وحفظه لكل خير يقدمونه، يقول تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ١١٠].

٩- إبصار الله تَعَالَى لمصارف أموال عباده، وأدائهم للحقوق، يقول تَعَالَى: ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ويقول: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

١٠- إبصار الله تَعَالَى وشهادته بأحوال عباده وما يدور بينهم، يقول تَعَالَى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣].

وعليه فمن استشعر كمال إبصار الله له واطلاعه علىٰ أعماله؛ سلم حتىٰ من معاصي الخلوات، التي حذر منها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، فعن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا الله** عَزَّ وَجَلَّ **هَبَاءً مَنْثُورًا**، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: **أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»[(١)].

وكلما استيقن العبد رؤية البصير سُبْحَانَهُ لعمله ظاهره وباطنه، أورثه ذلك مزيد عناية في عبادته حتىٰ يصل لمرتبة الإحسان، التي قال عنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعريفها: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(٢)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه، لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه وعلىٰ الاعتناء بتتميمها علىٰ أحسن وجوهها إلا أتىٰ به»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥٠٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم، (١/ ١٥٧).

ولهذا نجد من تحقق في قلبه الإخلاص، وفهم قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]، زال من قلبه محبة أن يرىٰ الناس عمله، ويثنون عليه، وهذا الفرق بين المخلص والمرائي، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٤ - ٢٦٥].

الأثر الرابع: الله سُبْحَانَهُ بصير بما يصلح عباده، وينفعهم.

فالله سُبْحَانَهُ بصير بأحوال عباده في أمور دنياهم قبل أخراهم، فكثير من العباد لا يصلح حاله إلا إذا كان فقيرًا، ولو اغتنىٰ لفسد، فلطَف الله به من حيث لا يشعر، وكذا من كان عقيمًا، فلعل الذرية في مثل حاله تجعله يطغىٰ، فلطَف به البصير من حيث لا يعلم، يقول تَعَالَىٰ في ذلك: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورىٰ: ٢٧].

وهو البصير سُبْحَانَهُ بمن يصلح للهداية ممن لا يصلح لها: يقول تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وهو البصير سُبْحَانَهُ بالعباد شهيد عليهم، الصالح منهم والطالح، المؤمن والكافر، يقول تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

وهذا يجعل العبد يلحظ نفسه، فإن رأىٰ توفيقًا للطاعة وتيسيرًا لأسبابها، حمد الله؛ لأنه علم أن ربه قد زكاه، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]، ومن رأىٰ أن نفسه تميل عن الطاعة للمعصية، جاهد في إصلاحها؛ لأن هذا دليل علىٰ أن الطاعة منزلة لا يستحقها، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

الأثر الخامس: الاطمئنان والثقة بمعية الله وكمال علمه:

من آمن بأن الله بصير؛ امتلأ قلبه طمأنينة، وصبرًا واحتسابًا، وصدق توكله علىٰ ربه؛ لأن البصير سُبْحَانَهُ يعلم ويرىٰ ما يقع فيه العباد من كربات ومصائب، ومواجهات مع شياطين الجن والإنس، ومن شواهد ذلك:

قوله تَعَالَىٰ - في تطمين موسىٰ وأخيه هارون، عندما أرسلهما إلىٰ فرعون، فخافا من أذيته-: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٥-٤٦]، وقوله أيضًا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وعندما يطمئن العبد ويثق بربه يصل لمنزلة السكينة، وهي المنزلة التي قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصفها: «هذه المنزلة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب،... وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه، من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات، ولهذا أخبر سُبْحَانَهُ عن إنزالها علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رءوسهم، لو نظر أحدهم إلىٰ ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار، لا يلوي أحد منهم علىٰ أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس»[1].

الأثر السادس: محبة البصير سُبْحَانَهُ:

من آمن بأن ربه سُبْحَانَهُ يبصر أعماله، وأحواله، ويرىٰ ضعفه وعجزه وحاجته، ويعلم جميع أمره؛ أحبه سُبْحَانَهُ، ووثق بنصره ومعيته جَلَّجَلَالُهُ.

الأثر السابع: أمر البصير سُبْحَانَهُ لعباده بغض البصر:

فمن عظيم نعم الله تَعَالَى علينا نعمة البصر، وبها امتن الله تَعَالَى علىٰ خلقه في آيات كثيرة، منها قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[المؤمنون:٧٨]، وأمر سُبْحَانَهُ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأمر المؤمنين

---

(١) مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٥٠٣).

بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم، مطلع عليها، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩]، والمراد بـ ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ هي مسارقة النظر إلىٰ ما لا يحل النظر إليه،... قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خائنة الأعين: الهمز بالعين فيما لا يحب الله»[1]، قال الضحاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو قول الإنسان: ما رأيت- وقد رأىٰ-، ورأيت- وما رأىٰ»[2]،... أما ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ أي: من الضمائر، وتسره من معاصي الله، والله يقضي بالحق فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير وشر[3].

ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام متين في تسلسل معاصي النظر: من نظرة، لخطرة، للفظة، لخطوة، فيقول في مختصر كلامه:

إن من حفظ اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات: أن يكون العبد بواب نفسه علىٰ هذه الأبواب الأربعة، فأكثر المعاصي تدخل منها، فاللحظات هي رائدة الشهوات، وحفظها: أصل حفظ الفرج، فمن أطلق بصره أورده موارد الهلكات، وقد قيل: الصبر علىٰ غض البصر أيسر من الصبر علىٰ ألم ما بعده، وفيه يقول الشاعر:

كُلُّ الحَـوَادِثِ مبْدَاهَـا مِـنَ النَّظَـرِ
وَمُعْظَـمُ النَّـارِ مِـنْ مُسْـتَصْغَرِ الشَّـرَرِ
كَـمْ نَظْـرَةٍ بَلَغَـتْ مِـنْ قَلْـبِ صَاحِبِهَـا
كَمَبْلَـغِ السَّـهْمِ بَيْـنَ القَـوْسِ والوَتَـرِ

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠٤).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ١٥٠).

(٣) فتح القدير، الشوكاني (٤/ ٥٥٧).

وَالعَبْـدُ مَـا دَامَ ذَا طَـرْفٍ يُقَلِّبُـهُ
فِـي أَعْيُـنِ العِيـنِ مَوْقُـوفٌ عَلَىٰ الخَطَـرِ
يَسُــرُّ مُقْلَتَـهُ مَـا ضَـرَّ مُهْجَتَـهُ
لَا مَرْحَبًـا بِسُــرورٍ عَـادَ بِالضَّــرَرِ[1]

ولقد عني السلف الصالح بغض البصر عناية عظيمة، ومن ذلك قولهم: «من حفظ بصره؛ أورثه الله نورًا في بصيرته»[2]، وكان سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا خرج في يوم العيد قال: «إن أول ما نبدأ به اليوم غض أبصارنا»[3]، وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الإثم حواز القلوب (يحز في القلوب)، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع»[4].

وكان الربيع بن خثيم يغض بصره، فمر به نسوة، فأطرق (أي: أمال رأسه إلىٰ صدره) فظن النسوة أنه أعمىٰ، وتعوذن بالله من العمىٰ[5].

ومن الوسائل المعينة علىٰ غض البصر:

١- استحضار اطلاع الله، ومراقبته، يقول تعالَى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

٢- الاستعانة بالله والانطراح بين يديه ودعائه، قال تعالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) انظر: الداء والدواء (١/ ٣٧٠-٣٧٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣).

(٣) الورع، لابن أبي الدنيا (ص٦٦).

(٤) أخرجه هناد بن السري في الزهد (٢/ ٤٦٥).

(٥) ذم الهوىٰ، لابن الجوزي (ص٩١).

٣- مجاهدة النفس وتعويدها علىٰ غض البصر والصبر علىٰ ذلك، والبعد عن اليأس، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**»[1].

٤- القيام بحقوق الأماكن العامة، كالأسواق والطرقات من غض البصر، وكف الأذىٰ، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ**، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: **فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: **غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ**»[2].

٥- الإكثار من نوافل العبادات، فإن الإكثار منها مع المحافظة علىٰ القيام بالفرائض، سبب في حفظ جوارح العبد، قال الله تَعَالَىٰ في الحديث القدسي «**مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[3].

٦- تذكر شهادة الأرض التي تمارس عليها المعصية، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ [الزلزلة:٤].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٦٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٢١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٠٢).

٧- تذكر الملائكة الذين يحصون عليك أعمالك، قال تعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار:١٠ - ١٢].

٨- أداء الواجبات كما أمر الله، ومنها: الصلاة قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥].

٩- الزواج، وهو من أنفع العلاج، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[1].

وتجدر الإشارة في نهاية هذا الأثر إلىٰ بيان أن الأنبياء صلوات الله عليهم قد رفعهم الله عن خائنة الأعين، وجعل هذا من صفات النبوة، فعن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتىٰ أوقفه علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه، ثلاثًا، كل ذلك يأبىٰ، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل علىٰ أصحابه فقال: **أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ، يَقُومُ إِلَىٰ هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟** فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك؟ ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: **إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٦٨٣)، والنسائي، رقم الحديث: (٣٥١٦)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٧٢٣).

الأثر الثامن: نعمة البصيرة هي أعظم نعم البصير سُبْحَانَهُ:

إن أعظم نعمة ينعم بها البصير علىٰ عبده حين يرزقه نور البصيرة، وهناك فرق بين البصر والبصيرة: فالبصر يدرك ظواهر الأشياء، بينما البصيرة هي نور في القلب، وهي للقلوب كالضياء للبصر، يفرق به صاحبها بين الحق والباطل، لا تختلط عليه الأمور ولا تتشابه، يعرف الحق فيتبعه، ويعرف الباطل ويفر منه.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معنىٰ البصيرة:** «البصيرة هي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه، فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السموات فأحاطت بهم، وقد جاء الله وقد نصب كرسيه لفصل القضاء، وقد أشرقت الأرض بنوره، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء، وقد نصب الميزان، وتطايرت الصحف، واجتمعت الخصوم، وتعلق كل غريم بغريمه، ولاح الحوض وأكوابه عن كثب، وكثر العطاش وقل الوارد، ونصب الجسر للعبور، وقسمت الأنوار دون ظلمته للعبور عليه، والنار يحطم بعضها بعضًا تحته، والمتساقطون فيها أضعاف أضعاف الناجين.

فالبصيرة نور يقذفه الله في القلب، يرىٰ به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأىٰ عين، فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل وتضرره بمخالفتهم، وهذا معنىٰ قول بعض العارفين: البصيرة تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به، وقال بعضهم: البصيرة ما خلصك من الحيرة إما بإيمان وإما بعيان»[1].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٢٣).

فعندما نتحدث عن نعمة البصيرة نتحدث عن أناس كثر حرمهم الله نور البصر، ولكنه فتح لهم نور البصيرة، وهو الأهم والأنفع، يقول تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، فكم من بصير يرى وينظر، ولكنه لم يبصر طريق الهداية والصلاح، فيرى الحق باطلًا والباطل حقًّا، ولا يعرف معروفًا أو ينكر منكرًا، وهذا- والعياذ بالله- يفقد بصره في الدنيا، كما فقده في الآخرة، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٧٢]، ويقول سُبْحَانَهُ عن حال من عميت بصيرته يوم القيامة: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٥-١٢٦].

ولذا كانت أعظم نعمة يعطيها الله للعبد نور البصيرة ورؤية الحق واتباعه، ورؤية الباطل واجتنابه.

وهو ما يمثله قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع امرأة العزيز، وكانت ذات منصب وجمال، وهي التي دعته وغلقت الأبواب، ولكن ماذا فعل؟ يقول تَعَالَى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٣-٢٤].

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث درجات للبصيرة، من استكملها فقد استكمل البصيرة، وهي: بصيرة في الأسماء والصفات، وبصيرة في الأمر والنهي، وبصيرة في الوعد والوعيد.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالبصيرة في الأسماء والصفات: أن لا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، بل تكون الشبه المعارضة لذلك عندك بمنزلة الشبه والشكوك في وجود الله، فكلاهما سواء في البلاء عند أهل البصائر.

أما المرتبة الثانية من البصيرة: البصيرة في الأمر والنهي، وهي تجريده عن المعارضة بتأويل أو تقليد أو هوىٰ، فلا يقوم بقلبه شبهة تعارض العلم بأمر الله ونهيه، ولا شهوة تمنع من تنفيذه وامتثاله والأخذ به، ولا تقليد يريحه عن بذل الجهد في تلقىٰ الأحكام من مشكاة النصوص، وقد علمت بهذا أهل البصائر من العلماء من غيره.

أما المرتبة الثالثة من البصيرة: البصيرة في الوعد والوعيد، وهي أن تشهد قيام الله علىٰ كل نفس بما كسبت في الخير والشر عاجلًا وآجلًا، في دار العمل ودار الجزاء، وأن ذلك هو موجب إلهيته وربوبيته وعدله وحكمته؛ فإن الشك في ذلك شك في إلهيته وربوبيته، بل شك في وجوده؛ فإنه يستحيل عليه خلاف ذلك، ولا يليق أن ينسب إليه تعطيل الخليقة وإرسالها هملًا وتركها سدًىٰ، تَعَالَىٰ الله عن هذا الحسبان علوًّا كبيرًا، فشهادة العقل بالجزاء كشهادته بالوحدانية»[1].

الأثر التاسع: الدعاء باسم الله البصير:

الدعاء باسم الله (البصير) من الأدعية التي تؤمن الخائف ممن يخيفه، وتقي المظلوم من ظالمه، وهو دعاء مؤمن آل فرعون، يقول تَعَالَىٰ علىٰ

---

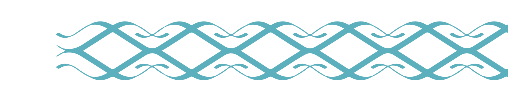
(١) مدارج السالكين (١/ ١٢٦).

لسانه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٤١ - ٤٤].

ودعــاء موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ يقول تَعَالَى علىٰ لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٥ - ٣٦]، أحسَن في الدعـــاء، فأناله الله تَعَالَى ما سأل.

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أبقيتنا، واستعمل جوارحنا في طاعتك، يا سميع يا بصير.






التَّوَّابُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوبة: الرجوع من الذنب، وفي الحديث: **(النَّدَمُ تَوْبَةٌ)**[1]،... وتاب إلىٰ الله توبة ومتابًا، وقد تاب الله عليه: وفقه لها»[2].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التاء والواو والباء، كلمة واحدة تدل علىٰ الرجوع، يقال: تاب من ذنبه، أي: رجع عنه، يتوب إلىٰ الله توبةً ومتابًا، فهو تائب، والتوب: التوبة، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]»[3].

ورود اسم الله (التَّوَّاب) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (التواب) إحدىٰ عشرة مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:١٠].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٣٥٦٨)، وابن ماجه، رقم الحديث (٣٥٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث (٦٨٠٢).

(٢) الصحاح (١/ ١٠٥).

(٣) مقاييس اللغة (١/ ٣٥٧).

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣].

وُرود اسم الله (التوَّاب) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (التواب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «إن كنا لنعد لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس الواحد مائة مرة: **رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»[1].

٢- وعن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «وكان يعلمنا كلمات ولم يكن يعلمناهن كما يعلمنا التشهد: **اللهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا**»[2].

٣- وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «صلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضحىٰ، ثم قال: **اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**»، حتىٰ قالها مائة مرة[3].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥١٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨١٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥١٦).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٩٦٩)، والبيهقي في القضاء والقدر، رقم الحديث: (٣٧٥)، حكم الألباني: «حديث عبد الله: كنا لا ندري ...، فذكر نحوه» صحيح، «قول شريك: وحدثنا جامع..... وأتمها علينا» ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٩٦٩).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٩٨٥٥)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦١٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦١٩).

معنى اسم الله (التوَّاب) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧] «إن الله هو الوهابُ لعباده الإنابةَ إلىٰ طاعته، الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه»[١].

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]: «إن الله- جل ثناؤه- هو التواب علىٰ من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلىٰ طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه،... وتوبة الله علىٰ عبده هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب من غضبه عليه إلىٰ الرضا عنه، ومن العقوبة إلىٰ العفو والصفح عنه»[٢].

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر:٣]: «يقبل رجوع عبده إليه، ومن هذا قيل: التوبة كأنه رجوع إلىٰ الطاعة، وترك المعصية»[٣].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي يتوب علىٰ عبده، ويقبل توبته كلما تكررت التوبة، تكرر القبول،... ومعنىٰ التوبة: عود العبد إلىٰ الطاعة بعد المعصية»[٤].

❁ **قال الحَليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التواب هو المعيد إلىٰ عبده فضل رحمته إذا هو رجع إلىٰ رحمته، وندم علىٰ معصيته، ولا يحبط بما قدم من خير، ولا

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٩٥).

(٣) تفسير أسماء الله (ص٦٢).

(٤) شأن الدعاء (ص٩٠).

يمنعه ما وعد المطيعين من الإحسان»[1].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتوبة العبد محفوفة بتوبة قبلها عليه من الله إذنًا وتوفيقًا، وتوبة ثانية منه عليه قبولًا ورضًا؛ فله الفضل في التوبة والكرم أولًا وآخرًا لا إله إلا هو»[2].

❊ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التواب الذي لم يزل يتوب علىٰ التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلىٰ الله توبة نصوحًا؛ تاب الله عليه، فهو التائب علىٰ التائبين أولًا بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب عليهم بعد توبتهم قبولًا لها، وعفوًا عن خطاياهم»[3].

- قال ابن القيم في نونيته:

وَكَذَلِـكَ التَّـوَّابُ مِـنْ أَوْصَافِـهِ   وَالتَّـوْبُ فِـي أَوْصَافِـهِ نَوْعَـانِ
إِذْنٌ بِتَوْبَـةِ عَبْـدِهِ وَقَبُولِهَـا   بَعْـدَ المَتَـابِ بِمِنَّـةِ المَنَّـانِ[4]

اقتران اسم الله (التوّاب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (التوّاب) باسم الله الرحيم:

جاء اسم الله التواب مقترنًا باسم الله الرحيم، في تسعة مواضع من كتاب الله، ومنها: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

(١) المنهاج (١/ ٢٠٦).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩١).

(٣) تفسير السعدي (١/ ٩٤٦).

(٤) النونية (١/ ٢٠٩).

وجه الاقتران:

قرن الله عَزَّوَجَلَّ التواب بالرحيم؛ لحكم جليلة، منها:

١- أن الرحيم يدل علىٰ تفضله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عبده- مع التوبة- بالرحمة، ورحمته إياه إقالة عثرته، وصفحه عن عقوبة جرمه، فقبول التوبة سببه رحمة الله لعبده.

٢- أن في الجمع بينهما وعدًا بليغًا للتائب بالإحسان مع العفو والغفران.

يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال قتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات:١٢]: إن الله هو الوهاب لعباده الإنابة إلىٰ طاعته، الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه، (الرحيم) بهم أن يعاقبهم بعد التوبة، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة ولا يتوب عليه»[1].

ثانيًا: اقتران اسم الله التواب باسم الله الحكيم:

جاء اسم الله التواب مقترنًا باسم الله الحكيم في موضع واحد، وهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[النور:١٠].

وجه الاقتران:

قرن الله عَزَّوَجَلَّ اسم التواب بالحكيم في هذه الآية، حيث جاء بعد ذكر حد الزنا، وحد قذف المحصنات وأحكام الملاعنة، وفي مناسبة ختمها بهذين الاسمين الكريمين.

يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا تذييل لما مر من الأحكام العظيمة المشتملة علىٰ التفضل من الله والرحمة منه، والمؤذنة بأنه تواب علىٰ من تاب

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٤).

من عباده، والمثبتة بكمال حكمته تَعَالَىٰ؛ إذ وضع الشدة موضعها، والرفق موضعه، وكف بعض الناس عن بعض، فلما دخلت تلك الأحكام تحت كل هذه الصفات كان ذكر الصفات تذييلًا، وفي ذكر وصف (الحكيم) هنا مع وصف (تواب) إشارة إلىٰ أن في هذه التوبة حكمة، وهي استصلاح الناس»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (التوّاب):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (التواب) من صفات الله تعالىٰ:

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو التواب، «قابل الدعاء بالعطاء، والاعتذار بالاغتفار، والإنابة بالإجابة، والتوبة بغفران الحوبة، وإذا تاب العبد إلىٰ الله بسؤاله، تاب الله عليه بنواله»[2].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في لطائف أسرار التوبة**: «أن يعرف -أي: العبد- عزته سُبْحَانَهُ في قضائه، وبره في ستره، وحلمه في إمهال راكبه، وكرمه في قبول العذر منه، وفضله في مغفرته...

- فإذا عرف العبد عز سيده ولاحظه بقلبه، وتمكن شهوده منه؛ كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولىٰ به وأنفع له؛ لأنه يصير مع الله، لا مع نفسه...

- ومن شهود عزته أيضًا في قضائه: أن يشهد أن الكمال والحمد، والغناء التام، والعزة كلها لله، وأن العبد نفسه أولىٰ بالتقصير والذم، والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره؛ ازداد شهوده لعزة

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩/ ١٦٨).

(٢) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ٤١٣).

الله وكماله، وحمده وغناه، وكذلك بالعكس، فنقص الذنب وذلته يطلعه علىٰ مشهد العزة...

- ومنها: أن يعرف بره سُبْحَانَهُ في ستره عليه حال ارتكاب المعصية، مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه، وهذا من كمال بره، ومن أسمائه: البَرُّ، وهذا البَرُّ من سيده كان عن كمال غناه عنه، وكمال فقر العبد إليه، فيشتغل بمطالعة هذه المنة، ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم، فيذهل عن ذكر الخطيئة، فيبقىٰ مع الله سُبْحَانَهُ، وذلك أنفع له من الاشتغال بجناياته، وشهود ذل معصيته؛ فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه هو المطلب الأعلىٰ، والمقصد الأسنىٰ، ولا يوجب هذا نسيان الخطيئة مطلقًا، بل في هذه الحال، فإذا فقدها فليرجع إلىٰ مطالعة الخطيئة، وذكر الجناية، ولكل وقت ومقام عبودية تليق به.

- ومنها: شهود حلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في إمهال راكب الخطيئة، ولو شاء لعاجله بالعقوبة، ولكنه الحليم الذي لا يعجل، فيحدث له ذلك معرفة ربه سُبْحَانَهُ باسمه الحليم، ومشاهدة صفة الحلم، والتعبد بهذا الاسم، والحكمة والمصلحة الحاصلة من ذلك بتوسط الذنب أحب إلىٰ الله، وأصلح للعبد، وأنفع من فوتها، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع عَزَّوَجَلَّ.

- ومنها: معرفة العبد كرم ربه في قبول العذر منه، إذا اعتذر إليه بنحو ما تقدم من الاعتذار، لا بالقدر، فإنه مخاصمة ومحاجة، كما تقدم، فيقبل عذره بكرمه وجوده، فيوجب له ذلك اشتغالًا بذكره وشكره، ومحبة أخرىٰ لم تكن حاصلة له قبل ذلك، فإن محبتك لمن شكرك علىٰ إحسانك وجازاك به، ثم غفر لك إساءتك ولم يؤاخذك بها أضعاف محبتك علىٰ شكر الإحسان وحده،

والواقع شاهد بذلك، فعبودية التوبة بعد الذنب لون، وهذا لون آخر.

- ومنها: أن يشهد فضله في مغفرته، فإن المغفرة فضل من الله، وإلا فلو أخذك بمحض حقه، كان عادلًا محمودًا، وإنما عفوه بفضله لا باستحقاقك، فيوجب لك ذلك- أيضًا- شكرًا له ومحبة، وإنابة إليه، وفرحًا وابتهاجًا به، ومعرفة له باسمه الغفار ومشاهدة لهذه الصفة، وتعبدًا بمقتضاها، وذلك أكمل في العبودية، والمحبة والمعرفة.

- ومنها: أن يكمل لعبده مراتب الذل والخضوع والانكسار بين يديه، والافتقار إليه»[1].

وبذلك يتضح تضمن اسم الله التواب لعدد كبير من أسماء الله وصفاته.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (التواب) علىٰ التوحيد:

من تأمل في اسم الله (التواب) علم أن الألوهية والربوبية لا تكون إلا له سُبْحَانَهُ، «فالتوبة عبادة لله وحده شأنها شأن العبادات الأخرىٰ: كالصلاة، والاستغاثة، والاستعانة، والاستغفار؛ لا يجوز صرفها إلا إلىٰ الله وحده، فلا يتاب إلىٰ نبي مرسل ولا ملك مقرب، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وعليه فلا يطلب العفو والغفران إلا منه سُبْحَانَهُ، ولا يقدر ولا يوفق إلىٰ التوبة ويقبلها إلا هو، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورىٰ:٢٥]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٢٣).

وقد نصب بعض رهبان النصارىٰ وغلاة الصوفية أنفسهم شركاء لله عَزَّوَجَلَّ، فزعموا أن لديهم صلاحية غفران الذنوب والتوبة علىٰ العباد، وهذا من إفكهم وضلالهم.

وكما أن اسم الله التواب دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله الغفور، والبَر، والشكور، والرحيم، والكريم، والحليم، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثالث: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ [التوبة:١١٨]:

إن إقبال العبد علىٰ ربه بالتوبة هو محض توفيق، ومنة من الباري سُبْحَانَهُ؛ وفيه يذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن توبة العبد إلىٰ ربه محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبة منه بعدها، فتوبته بين توبتين من الله: سابقة ولاحقة، فإنه تاب عليه أولًا إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبد فتاب الله عليه ثانيًا قبولًا وإثابة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨]، فأخبر سُبْحَانَهُ أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سببًا ومقتضيًا لتوبتهم، فدل علىٰ أنهم ما تابوا حتىٰ تاب الله عليهم، والحكم ينتفي لانتفاء علته، فالعبد تواب والله تواب، فتوبة العبد رجوعه إلىٰ سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإمداد[1].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٣٣٩).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَكَذَلِكَ التَّوَّابُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالتَّوْبُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
إِذْنٌ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وَقَبُولِهَا بَعْدَ المَتَابِ بِمِنَّةِ المَنَّانِ

الأثر الرابع: تأخير التوبة يحتاج لتوبة أخرىٰ:

علىٰ العبد أن يسارع إلىٰ التوبة النصوح عند الوقوع في المعصية مباشرة، مهما كان عظمها؛ فإن تأخير التوبة من المعصية معصية أخرىٰ.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «إن المبادرة إلىٰ التوبة من الذنب فرض علىٰ الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتىٰ أخرها عصىٰ بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرىٰ، وهي توبته من تأخير التوبة، وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة، ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة، مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم، فإن ما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه، ولا ينفعه في عدم المؤاخذة بها جهله إذا كان متمكنًا من العلم، فإنه عاص بترك العلم والعمل، فالمعصية في حقه أشد، وفي مسند أبي يعلىٰ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**، قال: قلنا: يا رسول الله، وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله، أو دعي مع الله؟ قال: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا صِدِّيقُ، الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِقَوْلٍ يُذْهِبُ صِغَارَهُ وَكِبَارَهُ، أَوْ صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ**، قال: **تَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ، وَالشِّرْكَ أَنْ يَقُولَ: أَعْطَانِي الله وَفُلَانٌ، وَالنِّدُّ أَنْ**

يَقُولَ الْإِنْسَانُ: لَوْلَا فُلَانٌ قَتَلَنِي فُلَانٌ»[1]، فهذا طلب الاستغفار مما يعلمه الله أنه ذنب، ولا يعلمه العبد.

وفي الصحيح عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه كان يدعو بهذا الدعاء: (**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[2]، وفي الحديث الآخر: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في سجوده: (**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**)[3]، فهذا التعميم وهذا الشمول لتأتي التوبة علىٰ ما علمه العبد من ذنوبه وما لم يعلمه»[4].

الأثر الخامس: محبة التواب سُبْحَانَهُ:

حري بمن عرف اسم الله التواب، وأدرك سعه فضله، ولطفه بعباده، وتوفيقه لمن شاء إلىٰ التوبة وتيسير أسبابها، وقبولها منهم، بل وفرحه أشد الفرح بها، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ،**

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٥٨)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٩٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧١٩).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٣).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٢٨٣).

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[1]، فحري بمن عرف هذا كله أن يحب التواب الحبَّ كله، وأن تظهر آثار هذه المحبة في دينه ودنياه.

الأثر السادس: وجوب التوبة لله:

فالتوبة فرض علىٰ كل مسلم ومسلمة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلىٰ الممات، وإن ارتحل إلىٰ منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتىٰ بأداة لعل المشعرة بالترجي؛ إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم علىٰ رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.

وقال تَعَالَىٰ في سورة الحجرات: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]، فقسم العباد إلىٰ تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث البتة، وأوقع اسم الظالم علىٰ من لم يتب، ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقه، وبعيب

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٤٧).

نفسه وآفات أعماله، وفي الصحيح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**)[1]، وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**)[2] مائة مرة، وما صلىٰ صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١] إلىٰ آخرها، إلا قال فيها: (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**)، وصح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (**لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: **وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**)[3]»[4].

وفي الملحق مزيد بيان وتفصيل عن التوبة والتائبين.

الأثر السابع: ﴿فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٦]:

التواب سُبۡحَانَهُ يأمر عباده بالتسامح فيما بينهم لمن أذنب سلفًا ثم تاب وأصلح، يقول سُبۡحَانَهُ: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾[النساء:١٥ - ١٦].

ومن المعلوم أن هذا التسامح ليس تسامحًا في الجريمة، أو رحمة

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٢) سبق تخريجه (ص ٤٣).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨١٦).

(٤) مدارج السالكين (١/ ١٩٦).

بالفاحشين، ولكن سماحة ورحمة بالتائبين المتطهرين المصلحين، وقبولهم في المجتمع، وعدم تذكيرهم وتعييرهم بما كان منهم من ذنب تابوا عنه، وتطهروا منه، وأصلحوا حالهم بعده، فينبغي مساعدتهم علىٰ استئناف حياة طيبة نظيفة كريمة، ونسيان جريمتهم حتىٰ لا تثير في نفوسهم التأذي كلما واجهوا المجتمع بها؛ مما قد يحمل بعضهم علىٰ الانتكاس والارتكاس، واللجاج في الخطيئة، وخسارة أنفسهم في الدنيا والآخرة.

الأثر الثامن: الدعاء باسم الله التواب:

فقد أمر الله تَعَالَىٰ عباده المؤمنين بتطهير أنفسهم بالتوبة، ومن ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[التحريم:٨]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[النور:٣١].

وهذا منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومنهم ما يلي:

- آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين نهاه الله عن الأكل من شجرة من شجر الجنة، فعصاه بالأكل منها، يقول تَعَالَىٰ: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾[طه:١٢٠].

- دعاء إبراهيم وإسماعيل عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا

مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة:١٢٨].

- دعاء موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأعراف:١٤٣].

- أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أصحابه وأمته بالتوبة والاستغفار، ففي الحديث: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[1].

فعلىٰ المؤمن أن يكثر من الاستغفار وطلب التوبة اقتداء بنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، **وأنبياء الله ورسله.**



(١) سبق تخريجه (ص ٥٢).

«التواب يحب التوابين»

في موضوع التوبة سنتطرق لعدة مسائل، وهي:

أولًا: تعريف التوبة:

«التوبة: هي الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم علىٰ ألا يعود إلىٰ مثلها، وأن يكون ذلك حياءً من الله»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكثير من الناس إنما يفسر التوبة بالعزم علىٰ أن لا يعاود الذنب، وبالإقلاع عنه في الحال، وبالندم عليه في الماضي، وإن كان في حق آدمي؛ فلا بد من أمر رابع وهو التحلل منه، وهذا الذي ذكروه بعض مسمىٰ التوبة بل شرطها، وإلا فالتوبة في كلام الله ورسوله كما تتضمن ذلك، تتضمن العزم علىٰ فعل المأمور والتزامه، فلا يكون بمجرد الإقلاع والعزم والندم تائبًا حتىٰ يوجد منه العزم الجازم علىٰ فعل المأمور والإتيان به، هذا حقيقة التوبة، وهي اسم لمجموع الأمرين...»[2].

ثانيًا: فضائل التوبة:

للتوبة إلىٰ الله فضائل عديدة، ومنافع عظيمة، منها:

١ - **التوبة هدي الأنبياء والمرسلين**، يقول تَعَالَىٰ عن آدم: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، وقد فسرت هذه الكلمات

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٩١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٠٥).

في سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، وقال عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قصته مع ابنه في سورة هود: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]، وقال عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥]، وقال عن موسىٰ بعد قتله النفس خطأ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦]، وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أنس قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَتُوبُ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[1].

٢- توبة الله على التائبين، يقول تعالَى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣٩]، وأخرج البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حادثة الإفك أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»[2].

وأخرج مسلم في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»[3]، بل من رحمته سُبْحَانَهُ وفضله أنه: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[4].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١٩٣)، وابن حبان، رقم الحديث: (٩٢٤)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان، رقم الحديث: (٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٦٦١).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٣).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٥٩).

٣- **فرحة الله بتوبة العبد**، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «منها السر الأعظم الذي لا تقتحمه العبارة، ولا تجسر عليه الإشارة، ولا ينادي عليه منادي الإيمان علىٰ رؤوس الأشهاد، بل شهدته قلوب خواص العباد فازدادت به معرفة لربها، ومحبة له، وطمأنينة به، وشوقًا إليه، ولهجًا بذكره، وشهودًا لبره، ولطفه، وكرمه، وإحسانه، ومطالعة لسر العبودية، وإشرافًا علىٰ حقيقة الإلهية، وهو ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**)[١][٢].

٤- **محبة الله للتوابين**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فالطهر في حقيقته طهران: طهر بالماء من الأحداث والنجاسات، وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي، وهذا الطهور أصل لطهور الماء، وطهور الماء لا ينفع بدونه، بل هو مكمل له، معد مهيأ بحصوله، فكان أولىٰ بالتقديم.

٥- **تبديل السيئات حسنات**: وذلك من فضل الرب سُبْحَانَهُ علىٰ عباده، ورحمته بهم، فطوبىٰ للتائب قبول الرب لتوبته، وفرحه بها، وتبديل خطاياه إلىٰ

---

(١) سبق تخريجه (ص ٥١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٠٩).

حسنات، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

واختلف أهل العلم في معنىٰ تبديل السيئات إلىٰ حسنات، علىٰ أقوال، منها:

أ- أنهم بدلوا مكان عمل السيئات عمل الحسنات، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الآية، أنه قال: «هم المؤمنون، كانوا من قبل إيمانهم علىٰ السيئات، فرغب الله بهم عن السيئات، فحولهم إلىٰ الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات»[1].

ب- إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضىٰ ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وجده مكتوبًا عليه فإنه لا يضر به، وينقلب حسنة في صحيفته، واستدلوا علىٰ هذا بما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ، وآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ**

(١) تفسير القاسمي (٧/ ٤٣٨).

عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»[1].

٦- **الفلاح والفوز إنما يكون بالتوبة**، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص:٦٧]، والذنوب سبب تسليط الأعادي علىٰ العبد، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورىٰ:٣٠]، وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥].

فما سلط علىٰ العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وفي الدعاء المشهور الذي أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في الأدب المفرد: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»[2].

٧- **المتاع الحسن**: يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[هود:٣].

يقول الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمىٰ: الموت، ويدل لذلك قوله تَعَالَىٰ في هذه السورة الكريمة- يعني: سورة هود- عن نبيه

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٦).

هود عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود:٥٢]»[١].

٨- **الخروج من الدرع الضيقة التي يلبسها العاصي**، فإن المذنب تحيط به ذنوبه من جميع الجهات حتىٰ تهلكه، ولا ينفك المؤمن منها إلا بالتوبة النصوح، وإبدال السيئة حسنة، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَعْمَلُ الحَسَنَاتِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعٌ ضَيِّقَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً، فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً أُخْرَىٰ، فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ أُخْرَىٰ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَى الأَرْضِ**»[٢].

ثالثًا: شروط التوبة:

للتوبة شروط ثلاثة، وهي: «الإقلاع، والندم، والعزم علىٰ أن لا يعود، والتعبير بالرجوع عن الذنب لا يفيد معنىٰ الندم، بل هو إلىٰ معنىٰ الإقلاع أقرب، وقال بعضهم: يكفي في التوبة تحقق الندم علىٰ وقوعه منه، فإنه يستلزم الإقلاع عنه، والعزم علىٰ عدم العود، فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه، ومن ثم جاء الحديث (**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**)[٣]»[٤].

---

(١) أضواء البيان (٢/ ١٧٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٣٠٧)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢١٩٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) فتح الباري، ابن حجر (١٣/ ٤٧١).

ولا بد أن تكون التوبة صادقة نصوحًا حتىٰ يقبلها الله عَزَّوَجَلَّ وينتفع بها العبد، وقد ذكر العلماء تفصيلًا لهذه الشروط، ومن ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المفردات، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «التوبة هي ترك الذنب علىٰ أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار؛ فإن الاعتذار علىٰ ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة»[1].

رابعًا: تحقيق مرتبة التوبة النصوح لله تعالى:

لا بد للعبد- ليكون من التائبين- أن يستحضر عدة أمور ويستشعرها، ويحرص أن لا تغيب عن ذهنه، ومنها:

١- معرفة الرب سُبْحَانَهُ:

ومعرفته تَعَالَىٰ نوعان، وهما:

الأول: معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس: البر والفاجر والمطيع والعاصي، والثاني: معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلىٰ لقائه، وخشيته، والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه.

ولهذه المعرفة بابان واسعان، وهما: التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والتفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط، وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنىٰ وجلالها وكمالها[2].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني (١/ ١٤٩).

(٢))) ينظر: الفوائد، لابن القيم (ص١٧٠).

٢- الاستعظام لا الاستحقار:

فالذنوب في حقيقتها استجابة لداعي الشيطان الذي تحدىٰ سيدك ومولاك، فقال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦]، فقال الرب سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف:١٨].

واحتقار الذنب- بل والفرح به- دليل علىٰ شدة الرغبة فيه، والجهل بقدر من عصي، والجهل بسوء عاقبة المعصية، وعظم خطرها، فالفرح بالمعصية أشد ضررًا من مواقعتها، والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبدًا، ولا يكمل بها فرحه، بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به، ومتىٰ خلا قلبه من هذا الحزن، واشتدت غبطته وسروره فليتهم إيمانه، وليبك علىٰ موت قلبه، فإنه لو كان حيًّا لأحزنه ارتكابه الذنب، وغاظه، وصعب عليه، ولذا يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:١٢٨].

والمتأمل في قوله: ﴿ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ يدرك أن الإنس تطيع شياطين الجن وتنقاد إليها، حتىٰ صار الجن كالرؤساء والإنس كالأتباع والخادمين، ولا شك أن هذا الرئيس قد انتفع بهذا الخادم، فهذا استمتاع الجن بالإنس، وأما استمتاع الإنس بالجن، فهو أن الجن كانوا يدلونهم علىٰ أنواع الشهوات واللذات المحرمة، ويسهلون تلك الأمور عليهم، وهذا استمتاع

الإنس[1]، والشيطان يريد أن يظفر بالإنسان في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلىٰ ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها، وهذه العقبات هي:

العقبة الأولىٰ: الكفر بالله وبدينه، وإن ظفر بالإنسان في هذه العقبة؛ بردت نار عداوته واستراح.

العقبة الثانية: البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والأمور المحدثة في الدين، والبدعتان في الغالب متلازمتان قل أن تنفك إحداهما عن الأخرىٰ، فإن قطع هذه العقبة وخلص منها بنور السنة، واعتصم منها بحقيقة المتابعة، انتقل به إلىٰ العقبة الثالثة.

العقبة الثالثة: الكبائر، فإن ظفر به فيها زينها له، وحسنها في عينه، وسوَّف به. فترىٰ العبد يشرب الخمر لا يبالي، ثم هو يزني، ثم هو يقتل النفس التي حرم الله وهكذا دواليك، فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها؛ طلبه علىٰ العقبة الرابعة.

العقبة الرابعة: الصغائر، فيقول له: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللمم، أو ما علمت بأنها تكفر باجتناب الكبائر، وبالحسنات، ولا يزال يهون عليه أمرها حتىٰ يصر عليها؛ فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالًا منه، فالإصرار علىٰ الذنب أقبح منه، فمن المعلوم أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.

---

(١))) في قوله: ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أقوال آخر. ينظر: التفسير الكبير (١٣/ ١٥٧)، الدر المنثور (٣/ ٣٥٧).

أخرج الإمام أحمد في المسند، من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**»[1]، فإن نجا العبد من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ ودوام التوبة والاستغفار، وأتبع السيئة الحسنة؛ طلبه الشيطان علىٰ العقبة الخامسة.

العقبة الخامسة: المباحات التي لا حرج علىٰ فاعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلىٰ ترك السنن، ثم من ترك السنن إلىٰ ترك الواجبات، فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة، ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها، فبخل بأوقاته، وضنَّ بأنفاسه أن تذهب في غير ربح، طلبه العدو علىٰ العقبة التي تليها.

العقبة السادسة: الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها، وحسنها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسبًا ورجاءً؛ لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل.

العقبة السابعة: تسليط جنده عليه بأنواع الأذىٰ باليد واللسان والقلب علىٰ حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبة أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده، وسلط عليه حزبه[2].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٨٠٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٦٨٦).

(٢))) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٢١٢-٢٢٦).

٣- إحكام الإغلاق:

فلشيطان مداخل علىٰ الإنسان، جماعها أربعة أبواب، لا بد من إغلاقها وتعاهدها أيضًا، فإنه متىٰ فتح الباب؛ ولج الشيطان معه ليفسد دين المرء.

وهذه الأبواب هي: النظرة، والخطرة، واللفظة، والخطوة[١].

٤- مجالسة الأخيار:

فالتائب حديث عهد بتوبة، وللشهوات طغياتها، وللأهواء مغرياتها، فوجود الصاحب أمر ضروري، ليذكره إذا نسي، ويعظه إذا هم بسوء، ويعينه علىٰ طاعة ربه ومرضاته، ثم إن مجالسة الأخيار حماية للتائب من الخلوة والوقوع في أسر الخواطر، وهي ميدان للمنافسة في الخيرات، والمسابقة لصنوف الطاعات.

والصديق له تأثير كبير علىٰ صديقه؛ لكثرة مخالطته، وشدة ملازمته، وصحبته تمتد مع العبد في دنياه وآخرته، فكما أنه ليس كل بيت يصلح للسكنىٰ، ولا كل راحلة تصلح للركوب، فكذلك أبناء آدم لا يصلح كلهم للصحبة، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**»[٢].

يقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... فالمعنىٰ: لا تجد في مائة إبل راحلة تصلح للركوب؛ لأن الذي يصلح للركوب ينبغي أن يكون وطيئًا سهل الانقياد،

---

(١) سبق بيانها في اسم الله البصير، فتراجع.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٩٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٤٧).

وكذا لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة بأن يعاون رفيقه، ويلين جانبه...»[1].

وأخبر الرب سُبْحَانَهُ في كتابه أن الابتعادَ عن سبيل الرسول، والضلالةَ إنما يكون بسبب صحبة السوء، فيعض الظالم علىٰ يديه يوم القيامة حسرة وأسفًا، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[الفرقان:٢٧ - ٢٩]، بل إن الرابطة بين أهل الشر تمتد حتىٰ بعد دخول النار؛ لكن تنقلب إلىٰ عداوة وبغضاء، يقول الله تعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[فصلت:٢٩].

وإذا كان ما مضىٰ من الأدلة فيه تحذير من صحبة الأشرار؛ فإن الشرع حث علىٰ صبر النفس مع الأخيار، ونهىٰ عن أن تعدو عين المسلم عنهم، يقول الله تعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف:٢٨].

ومن صحب أهل الخير علا ذكره، وارتفع شأنه في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يقول الله تعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾[الكهف:٢٢]، فرفع الله ذكر الكلب لما صحب أهل الخير.

(١) فتح الباري (١١/ ٣٣٥).

أما في الآخرة، فهم أهل الوفاء ولا غرو، أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري مطولًا، وفيه أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا...**»[1].

٥- مفارقة دواعي المعصية:

لا بد للتائب من مفارقة دواعي المعصية أيًّا كانت؛ صديقًا، أو مجلسًا، أو آلة! ذلك أن وجود التائب في مكان المعصية، يذكره بها، ويحرك في نفسه الداعي إليها، فيقع في حبال الشهوة، ويدخل أسر الشيطان بعد أن خرج منه، ولا تزال نفسه الأمارة بالسوء تراوده حتىٰ يعصي ربه، يقول تَعَالَىٰ في ذلك: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾[طه:٩٧] يقول الشيخ السعدي في تفسيره: «ففعل موسىٰ ذلك، فلو كان إلهًا لامتنع ممن يريده بأذىٰ، ويسعىٰ له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ إتلافه وهم ينظرون علىٰ وجه لا تمكن إعادته بالحرق والسحق وذره في اليم ونسفه؛ ليزول ما في قلوبهم من حبه كما زال شخصه، ولأن في إبقائه محنة»[2]، مع أن العجل كان من الحلي، إلا أن موسىٰ لم يتردد في إزالته؛ لما في بقائه من الفتنة.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٣).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٥١٢).

وكذا في دعوة يوسف: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٣ - ٣٤]، فاختار عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ السجن علىٰ المعصية، ولجأ إلىٰ الله، واحتمىٰ بحماه، وسأله أن يخلصه من أسباب المعاصي، فاستجاب له السميع العليم سُبۡحَانَهُۥ.

ومن ذلك- أيضًا- حديث أبي سعيد، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: **«كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»**[1].

فالحديث يشير إلىٰ أن هجر التائب للبيئة السيئة أمر لا بد له منه، وذلك حرصًا علىٰ التائب، وخوفًا عليه من الانحدار إلىٰ قاع الرذيلة، بعد أن رفعه الله لقمَّة الطهر.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٦٦).

٦- محاسبة النفس:

فلا بد للتائب أن يعيش بين محاسبتين، محاسبة قبل توبته تقتضي وجوبها، ومحاسبة بعدها تقتضي حفظها، فالتوبة محفوظة بمحاسبتين، وقد دل عليها قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨].

فأمر سُبۡحَانَهُ العبد أن ينظر ما قدم لغد، والمقصود من هذا النظر هو ما يوجبه ويقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما ينجيه من عذاب الله، ويبيض وجهه عند الله، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية»(١).

٧- التزام العمل الصالح:

فقد نص القرآن الكريم في آيات كثيرة على العمل الصالح وقرنه بالتوبة، يقول تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٦٠]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]، وقال أيضا: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾ [القصص:٦٧]، وأمر الرب سُبۡحَانَهُ خليله ومصطفاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح:٧ - ٨].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، رقم الحديث: (٣٤٤٥٩)، حكم الألباني: موقوف، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (١٢٠١).

علائقها فانصب إلىٰ العبادة، وقم إليها نشيطًا فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة...»[1]، ومن المعلوم أن العمل الصالح يعين التائب علىٰ الاستمرار علىٰ توبته، وذلك لأسباب، منها:

١- أن العمل الصالح بديل عملي لما كان يقترفه من الذنوب، وينشئ في النفس تعويضًا إيجابيًّا للإقلاع عن المعصية، وإلا حنت النفس إلىٰ الخطيئة بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع، وقديمًا قيل: النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

٢- من المتقرر أن المعصية تضعف القلب عن إرادة الخير، والطاعة ضدها تقوي القلب علىٰ إرادة الخير، فبالعمل الصالح تقوىٰ إرادة الطاعات عند التائب، ويشعر بلذة المناجاة، وتصير الطاعة في قلبه هيئة راسخة، وصفة لازمة، وملكة ثابتة، فلو عطل المحسن الطاعة ضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأحس من نفسه بأنه كالحوت، إذا فارق الماء حتىٰ يعاودها، فتسكن نفسه، وتقر عينه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها، حتىٰ يرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ برحمته عليه الملائكة تؤزه إليها أزًّا، وتحرضه عليها، وتزعجه من فراشه ومجلسه إليها، ولا يزال يألف المعاصي، ويحبها، ويؤثرها حتىٰ يرسل الله عليه الشياطين، فتؤزه إليها أزًّا، فالأول قوىٰ جند الطاعة بالمدد، فصاروا من أكبر أعوانه، وهذا قوىٰ جند المعصية بالمدد، فكانوا أعوانًا عليه»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٧).

(٢) الجواب الكافي (ص٥٦).

٨- مداومة الاستغفار:

فالذنوب والخطايا إن أحاطت بقلب أيها الإنسان سودَّته، والاستغفار أداة فعالة في تنقيته وتطهيره، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ، زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤]»[1].

والعبد إذا استغفر ربه وكان صادقًا في استغفاره غفر الله تَعَالَى له، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]، فضلًا على أن كثرة الاستغفار تولد القوة في نفس التائب، وبذلك يصبح قوي الإرادة، يقول الله تَعَالَى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[هود:٥٢]، وإطلاق القوة في الآية: يشمل الروحية والجسمية، كذلك كثرته تفتح أبواب الرزق، وتبعد الهم والحزن، يقول تَعَالَى في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[نوح:١٠ - ١٢].

ولذلك كان من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثرة الاستغفار، وهو الذي غفر له ربه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي**

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٣٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٤).

لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[1].

٩- الدعاء:

فالدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، ومن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة، فإن الله سُبْحَانَهُ يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠] ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[2].

١٠- الحذر من الشماته بالآخرين:

فكل معصية عيرت بها فهي إليك، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأيضًا ففي التعيير ضرب خفي من الشماتة بالمعير، وفي الترمذي أيضًا- مرفوعًا: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ، فَيَرْحَمهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**»[3]، ويحتمل أن يريد تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا من ذنبه، وأشد من معصيته؛ لما فيه من صولة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب، وإن أخاك باء به، ولعل كسرته بذنبه، وما أحدث له من الذلة والخضوع والإزراء علىٰ نفسه، والتخلص من مرض الدعوىٰ والكبر والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٣).

(٣))) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٥٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٦٨)، حكم الألباني: ضعيف، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (٥٤٢٦).

الطرف، منكسر القلب، أنفع له وخير من صولة طاعتك، وتكثرك بها، والاعتداد بها، والمنة علىٰ الله وخلقه بها، فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله، وما أقرب هذا المدل من مقت الله، فذنب تذل به لديه أحب إليه من طاعة تدل بها عليه، وإنك إن تبت نائمًا وتصبح نادمًا، خير من أن تبت قائمًا وتصبح معجبًا، فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مدل، وأنين المذنبين أحب إلىٰ الله من زجل المسبحين المدلين، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلًا هو فيك، فلا تشعر»[1].

١١- قراءة سير الصالحين:

فقد قص الله في كتابه كثيرًا من قصص الأنبياء والصالحين، وأمر بأخذ العظة والعبرة من أحوالهم، وما جرىٰ لهم، فقال تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت:٤٣]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، فقراءة سير الصالحين تبعث الهمة، وتوقظ العزيمة، وتدعو العبد أن يقتدي بهم في المتاب.

«ومن أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء علىٰ محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله علىٰ الاتساء به بمنِّه، آمين»[2].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٧٧).

(٢) قاله ابن حزم في الأخلاق والسير (ص٢٤).

١٢- حسن الظن بالله:

لقد حث الرب سُبْحَانَهُ عباده علىٰ الرجاء وحسن الظن به وعدم اليأس من رحمته، فقال تَعَالَىٰ في كتابه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن كان رجاؤه هاديًا له إلىٰ الطاعة، وزاجرًا له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء، ورجاؤه بطالة وتفريطًا فهو المغرور، ولو أن رجلًا كانت له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يبذرها ولم يحرثها، وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي من حرث وبذر وسقىٰ وتعاهد الأرض، لعده الناس من أسفه السفهاء.

وكذلك لو حسن ظنه، وقوي رجاؤه، بأن يجيئه ولد من غير جماع، أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص تام عليه، وأمثال ذلك، فكذلك من حسن ظنه، وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلا والنعيم من غير تقرب إلىٰ الله تَعَالَىٰ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وبالله التوفيق»[١].

اللهم تب علينا، واغفر لنا خطايانا وجهلنا وإسرافنا في أمرنا، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أعلنَّا وما أسررنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت علىٰ كل شيء قدير.



(١) الجواب الكافي (ص٤١).

الجبَّار جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبر: أن تغني الرجل من فقر، أو تصلح عظمه من كسر. يقال: جبرت العظم جبرًا، وجبر العظم بنفسه جبورًا، أي: انجبر»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(جبر) الجيم والباء والراء أصل واحد، وهو جنس من العظمة والعلو والاستقامة، فالجبار: الذي طال وفات اليد، يقال: فرس جبار، ونخلة جبارة، وذو الجبورة وذو الجبروت: الله جل ثناؤه»[2].

ورود اسم الله (الجبار) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الجبار) في حق الله مرة واحدة في القرآن، وهي:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الحشر:٢٣].

---

(١) الصحاح (٢/ ١٧٠).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٥٠١).

ورود اسم (الجبار) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الجبار) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ**، فأتىٰ رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: **بَلَىٰ**، قال: تكون الأرض خبزةً واحدةً، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنظر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا، ثم ضحك حتىٰ بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا»[1].

٢- وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المنبر، وهو يقول: **يَأْخُذُ الجبار** عَزَّ وَجَلَّ **سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ**...»[2].

معنى اسم الله (الجبار) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]: «المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٢٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٩٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٨٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٤).

۞ **قال الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبار جبروت الله: عظمته، والعرب تسمي الملك الجبار»[1].

۞ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبار هو بمعنىٰ العلي الأعلىٰ، وبمعنىٰ القهار، وبمعنىٰ الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه»[2].

۞ **قال ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبار له ثلاثة معان:

الأول: جبر القوة، فهو الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله عَزَّوَجَلَّ وجبروته وفي يده وقبضته.

الثاني: جبر الرحمة، فإنه سُبْحَانَهُ يجبر الضعيف بالغنىٰ والقوة، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا علىٰ ذلك من أجله.

الثالث: جبر العلو فإنه سُبْحَانَهُ فوق خلقه عال عليهم، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم، ويرىٰ أفعالهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم[3].

---

(١) فتح القدير (٥/ ٢٠٨).

(٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن (٥/ ٣٠١).

(٣) مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثمين (١/ ١٠٦).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَذَلِكَ الجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... وَالجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ

جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلِّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا ... ذَا كَسْرَةٍ فَالجَبْرُ مِنْهُ دَانِ

والثَّانِي جَبْرُ القَهْرِ بِالعِزِّ الَّذِي ... لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ

وَلَهُ مُسَمًّى ثَالِثٌ وَهوَ العُلُوُّ ... فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ

مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ العُلْيَا ... التِّي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانِ[1]

اقتران اسم الله الجبار بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

- اقتران الجبار باسمي العزيز والمتكبر:

اقرن بهما في موضع واحد، وهو قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

(١) النونية (ص٢٠٩).

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالجبار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك، والعظيم والقهار، قال ابن عباس في هذه الآية: هو العظيم وجبروت الله عظمته»[1]، فكلها من أسماء التعظيم لله سُبْحَانَهُ.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله الجبار:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الجبار) من الصفات، ودلالته على التوحيد:

الله تَعَالَىٰ هو الجبار القهار العزيز العلي، الذي له العلو والعزة على خلقه، لا يدنو منه الخلق، ولا يشفعون ولا يتكلمون إلا من بعد إذنه، لن يبلغوا ضره فيضروه ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، فالجبار من أوصافه يرجع إلىٰ كمال القدرة والعزة والملك، ولهذا كان من أسمائه الحسنىٰ.

وقد مدح الله بهذا الاسم نفسه، وأما في حق الخلق فهو مذموم؛ فالله سُبْحَانَهُ قهر الجبابرة وعلاهم بعظمته، فلا يجري عليه حكم حاكم فينقاد، ولا أمر آمر فيلزمه الامتثال، بل هو آمر غير مأمور، قاهر غير مقهور، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ينقسم جبروت الجبار سُبْحَانَهُ بحسب الزمان إلىٰ قسمين: جبروت في الدنيا، وجبروت في الآخرة.

(١) شفاء العليل (ص١٢١).

أولًا: جبروته سُبْحَانَهُ في الدنيا:

الجبار سُبْحَانَهُ قهر الظالمين، وقصم الجبابرة المعتدين، فكل من طغىٰ وبغىٰ، وعصىٰ ربه وغوىٰ، فاستحق من الجبار العقاب، يقول سُبْحَانَهُ في حال الأقوام السابقة: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وفي سورة القمر جاء تفصيل العذاب لبعضهم، فيقول تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٩ - ٢٤].

أما قهر الجبار لأعيان الجبابرة، فمن شواهد ذلك:

١- فرعون:

الذي طفق في قتل أبناء بني إسرائيل؛ ليحافظ علىٰ ملكه، ولكن الجبار أراد أن يتربىٰ موسىٰ أحد أبناء بني إسرائيل في قصره، ويكبر تحت عينه ورعايته، ويكون عدوًّا وحزنًا عليه، ويكون هلاك فرعون علىٰ يده، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا

تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص:٧ - ٨].

٢- النمرود:

الذي قال عنه سُبْحَانَهُ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨]، فهذا الجبار قال عنه زيد بن أسلم: «بعث الله عليه بعوضة، فدخلت في منخره، فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه، وكان جبارًا أربعمائة عام، فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه، وأماته الله»[١].

٣- أخوة يوسف:

أرادوا رميه في الجب، ولكن الجبار أراد أن يكون عزيز مصر، يقول تَعَالَى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [يوسف:١٠].

٤- كفار قريش:

حين أخرجوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة وهي أحب البقاع إليه، ولكن الجبار رزقه بالمدينة وأهلها، وفتح له مكة، يقول تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر:١].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٦).

وما زال جبروت الجبار للجبابرة يتكرر وإن اختلفت أشخاصهم وأماكنهم، والسعيد من اعتبر بغيره.

ثانيًا: جبروته تَعَالَى في الآخرة:

من تأمل في جبروت الله سُبْحَانَهُ ازدادت عظمة الله في قلبه، فالأرض كلها بجبالها وأنهارها، وبحارها وأرضها، وأشجارها وأحجارها، وبيوتها وقصورها، كلها خبزة بيد الجبار يوم القيامة!

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ**»[(١)]، وفي حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول هكذا بيده، ويحركها، يقبل بها ويدبر: **يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ، أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا العَزِيزُ، أَنَا الكَرِيمُ**، فرجف برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر حتى قلنا: ليخرن به»[(٢)].

وهذا الجبروت والقهر للكفار والمكذبين أعظم وأكبر من جبروته تَعَالَى في الدنيا، فقد توعد سُبْحَانَهُ الجبابرة بالعذاب الشديد؛ فقال: ﴿**وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾**

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤١٤)، والنسائي في الكبرى، رقم الحديث: (٧٦٩٦)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، رقم الحديث: (٧٢٨).

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴾ [إبراهيم:١٥ - ١٦]، ولن يعرف العبد هذا حتىٰ يعلم أن نار جهنم هي أعظم مايعذب الجبار بها أعداءه- أجارنا الله وإياكم منها-.

ومن صور العذاب بتلك النار[1]:

١- إنضاج الجلود:

فنار الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تحرق جلود أهلها، والجلد موضع الإحساس بألم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبدل لهم جلودًا أخرىٰ غير تلك التي احترقت، لتحترق من جديد، وهكذا، قال تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾[النساء:٥٦].

٢- الصهر:

وهو صب الحميم فوق رؤوسهم، والحميم هو ذلك الماء الذي انتهىٰ حره، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾[الحج:١٩].

٣- اللفح:

فالنار تلفح وجوههم إهانة لهم، وتغشاها أبدًا، لا يجدون حائلًا يحول بينهم وبينها، يقول سُبۡحَانَهُ: ﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٩]،

(١) انظر: اليوم الآخر، لعمر الأشقر (٣/ ٩٧-١٠٥).

وقال: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦].

٤- **السحب:**

فسحب الكفار علىٰ وجوههم في النار، يقول تَعَالَىٰ: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:٢٤].

٥- **تسويد الوجوه:**

فيسود الله وجوه أهل النار، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران:١٠٦].

٦- **اطلاع النار علىٰ الأفئدة:**

فالنار تدخل في أجسادهم حتىٰ تصل إلىٰ أعمق شيء فيهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة:٤ - ٧].

٧- **قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم:**

أعد الجبار لأهل النار سلاسلًا وأغلالًا وقيودًا ومطارق، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان:٤]، والأغلال توضع في الأعناق ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٣٣]، والأنكال: القيود، سميت أنكالًا؛ لأن الله يعذبهم وينكل بهم بها، ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ [المزمل:١٢]، والسلاسل نوع آخر من ألوان العذاب التي يقيد بها المجرمون كما يقيد المجرمون في الدنيا، وأعد الله لهؤلاء

مقامع من حديد، وهي المطارق التي تهوي علىٰ المجرمين وهم يحاولون الخروج من النار، فإذا بها تطيح بهم مرة أخرىٰ إلىٰ سواء الجحيم، قال تَعَالَى: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢١ - ٢٢].

٨- قرن معبوداتهم وشياطينهم بهم في النار:

فقد كان الكفار والمشركون يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله، ويدافعون عنها، ويبذلون في سبيل ذلك النفس والمال، وفي يوم القيامة يدخل الحق تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دونه للنار؛ إهانة لعابديها وإذلالًا لهم، ليعلموا أنهم كانوا ضالين، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨].

وشواهد القرآن ملأىٰ بجبروته سُبْحَانَهُ في الآخرة لمن تجبر، فعلىٰ المرء أن يتعوذ بالله من عذابه، وأن يتقيه.

وحري بمن عرف اسم الله الجبار، وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته ويستغني بجبره وقوته وعزته وكرمه وعدله عن سائر الخلق، ويسأله وحده سُبْحَانَهُ جبر الدنيا والآخرة.

كما أن اسم الله الجبار دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله القوي، والعزيز، والكبير المتكبر إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: لا راد لأمر الله:

فالله تَعَالَى لا يقع في ملكه إلا ما يريد وما يشاء؛ فهو الجبار الذي تنفذ مشيئته جبرًا، وتظهر أحكامه قهرًا، ولا يخرج أحد عن قبضة تقديره ولا ينفذ أحد من مشيئته في تقديره وأحكامه، وليس ذلك إلا لله، ذي العزة والمنعة في القدر والقهر، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، ويقصد بالإرادة هنا: الإرادة الكونية.

ولذا لا بد من الإشارة إلىٰ الفرق بين الإرادة الكونية القدرية، والإرادة الشرعية الدينية باختصار، كالتالي:

١ - الإرادة الكونية:

وهي مطابقة للمشيئة، والمقصود بها: أن كل ما يحصل في هذا الكون فهو بمشيئة الله وقدره وخلقه، ومن هنا سميت بالإرادة الكونية والقدرية والخلقية، وهذه الإرادة لا يخرج عنها شيء مهما كان صغيرًا؛ قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فهي تشمل النفع والضر، الطاعة والمعصية؛ يقول تَعَالَى: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا﴾ [الفتح:١١]، ويقول أيضًا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنعام:١٢٥].

٢ - الإرادة الشرعية:

وهي مطابقة للمحبة، والمقصود بها: أن كل ما يشرعه الله من الأحكام ويأمر به فهو مراد لله، بمعنىٰ: محبوب له تَعَالَى، ويمثل دينه الذي ارتضاه،

ومن هنا سميت بالشرعية والأمرية والدينية، وهذه الإرادة قد تتحقق كحصول الإيمان من المؤمن، وقد لا تتحقق كحصول الكفر من الكافر، فالله تَعَالَىٰ لا يريد الكفر، بمعنىٰ: لا يحبه ولا يرضيه ذلك، ومع ذلك أوقعه بإرادته الكونية؛ قال تَعَالَىٰ في الإرادة الشرعية: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[الزمر:٧].

- وعلىٰ هذا فإن قال قائل: هل أراد الله الكفر؟ الجواب: بالإرادة الكونية نعم، أراده، ولو لم يرده الله لم يقع، فالإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم، أيضًا الإرادة الكونية عامة فيما يحبه تَعَالَىٰ وما لا يحبه، أما الشرعية فتختص فيما يحبه الله سُبْحَانَهُ فقط[1].

فالله سُبْحَانَهُ جبر خلقه علىٰ ما شاء من أمر أو نهي، بمعنىٰ: أنه شرع لهم من الدين ما ارتضاه هو، فشرع لهم الشرائع، وأمرهم باتباعها ونهاهم عن العدول عنها، فمن أطاع فله الجنة، ومن عصىٰ فله النار، ولم يجبر أحدًا من خلقه علىٰ إيمان أو كفر، بل ترك لهم المشيئة في ذلك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالجبر معناه: القهر والقدرة، وأنه سُبْحَانَهُ قادر علىٰ أن يفعل بعبده ما شاء، وإذا شاء منه شيئًا وقع ولا بد، وإن لم يشأ لم يكن، ليس كالعاجز الذي يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء، والفرق بين هذا الجبر وجبر المخلوق لغيره من وجوه:

أحدها: أن المخلوق لا قدرة له علىٰ جعل الغير مريدًا للفعل محبًّا له، والرب تَعَالَىٰ قادر علىٰ جعل عبده كذلك.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (ص٢٢٢).

الثاني: أن المخلوق قد يجبر غيره إجبارًا يكون به ظالمًا معتديًا عليه، والرب أعدل من ذلك؛ فإنه لا يظلم أحدًا من خلقه، بل مشيئته نافذة فيهم بالعدل والإحسان»[(١)].

فحين يستشعر العبد هذا المعنىٰ كان عبد الله الطائع له، المتبع لما شرعه، المؤتمر بأمره، والمنتهي عن نهيه، وسلَّم لقضاء الله وقدره، متيقنًا أن ما أراده الله له هو خير لا شك في ذلك، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال المؤمن: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[(٢)].

الأثر الثالث: الجبار سُبْحَانَهُ جابر كل كسير:

الجبار سُبْحَانَهُ ملاذ لكل عباده، كل بحسب ضعفه وحاجته وفقره، لا ناصر غيره، ولا مؤمن سواه سُبْحَانَهُ، يجبر المرض بالعافية، والفقد بالعوض، والعسر باليسر، ويجبر كل محتاج بحسب حاجته.

ومن شواهد جبر الجبار لعباده ما يلي:

- جبره سُبْحَانَهُ لحرقة قلب المظلوم، وأخذ حقه ولو بعد حين، ففي الحديث يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]»[(٣)].

---

(١) شفاء العليل (ص١٢٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٩).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٦٨٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٣).

- جبره سُبْحَانَهُ للمنكسرة قلوبهم بالفقد، وتعويضهم بالعاقبة الحسنة والثواب الجزيل إن صبروا واحتسبوا، فيقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٥ - ١٥٧].

وعن أم سلمة، زوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تقول: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾** [البقرة: ١٥٦]، **اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»، قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

- جبره سُبْحَانَهُ للتائبين بأن يقبل توبتهم، ويقيل عثرتهم، ويغفر زلتهم، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٧].

- جبره سُبْحَانَهُ لقلوب اليتامى حتى يهون عليهم ألم الفقد، فيقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠].

- جبره سُبْحَانَهُ لخاطر الخدم والعمال، بأن فرض لهم حقوقًا، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأرقاء: «**أَرِقَّاءَكُمْ أَرِقَّاءَكُمْ أَرِقَّاءَكُمْ، أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩١٨).

تَأْكُلُونَ، وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، فَإِنْ جَاءُوا بِذَنْبٍ لَا تُرِيدُونَ أَنْ تَغْفِرُوهُ فَبِيعُوا عِبَادَ اللهِ، وَلَا تُعَذِّبُوهُمْ»[١].

ومن آمن بكل ما تقدم علم أن الجبار جَلَّجَلَالُهُ يدعوك كل ليلة ليجبرك، ويقضي حاجتك، ويعطيك مرادك، ففي الحديث يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ اللهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يُمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلِ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُضِيءَ الفَجْرُ**»[٢].

الأثر الرابع: محبة الجبار سُبْحَانَهُ:

من آمن بأنه سُبْحَانَهُ الجبار القوي الذي لا يغلبه أحد، والجبار الذي يجبر الضعيف بالغنىٰ، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، والجبار العالي علىٰ خلقه، القريب منهم، يجيب دعاءهم، ويعلم حالهم- من آمن بهذه المعاني العظيمة استقرت محبة الله في قلبه، وقوي رجاؤه به جَلَّجَلَالُهُ.

الأثر الخامس: الجبروت صفة لله وحده:

إن العبد إذا علم أن الجبروت صفة لله وحده؛ أدرك ضعفه وعجزه وخاف ربه، ففي الحديث القدسي: «**قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٤٠٩)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٦٣٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٥٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٣٥٩)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٠٩٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٣١١).

ولذا أنكرت الرسل علىٰ أقوامهم صفة التجبر والتكبر في الأرض بغير الحق، كما قال سُبْحَانَهُ حكاية عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء:١٣٠ - ١٤٠]، ولكنهم عاندوا واتبعوا أمر جبابرتهم، فهلكوا أجمعين؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود:٥٩].

وحذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أيضًا- من العذاب العظيم الذي يلحق كل من تجبر وتكبر، فقال: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَىٰ سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّىٰ بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ**»[1]، وفي الحديث الآخر: «**يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنِ ادَّعَىٰ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ**»[2].

بل أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن محاورة الجنة والنار في شأن الجبابرة المتكبرين، ففي الحديث: «**احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٦٧٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٩٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٠٤٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٤٣٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٥٧٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥١٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٤٦).

فحري بالمؤمن بعد هذه الأدلة أن يتواضع لخلق الله ويساعدهم، ويقتدي بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان أشد الناس تواضعًا، خافضًا لجناحه، رحيمًا بأصحابه، كان يركب الحمار، ويتفقد خادمة المسجد، بل وقصد قبرها فصلىٰ عليها، وكان يباشر الفقراء والمساكين، ويخالط الأعراب لأجل تعليمهم وإرشادهم، ويسلم علىٰ الصبيان ويلاطفهم، وكان متواضعًا في طعامه وهيئته ومسكنه، يأكل علىٰ الأرض ويفترش الحصير، ويتوسد الرمل، ليس له حاجب يمنع الناس عنه، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَّي وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ: الثَّرْثَارُونَ، والمُتَشَدِّقُونَ، والمُتَفَيْهِقُونَ**، قالوا: يارسول الله ما المتفيهقون؟ قال: **المُتَكَبِّرُونَ**»[1]، ومن وصايا سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تواضع لله؛ فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة»[2].

وقد كان السلف الصالح يجاهدون أنفسهم لنزع الكبر والتعالي من قلوبهم منذ البداية، لأنهم يعلمون أنه إن تمكن من قلوبهم وطبع عليها فإنها ستصبح لا تعرف معروفًا، ولا تنكر منكرًا؛ بدلالة قوله تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

فمما روي من حالهم: ما رواه عروة بن الزبير عن عمر بن الخطاب، فقال: «رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٨)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق، رقم الحديث: (٥٩)، حكم الألباني :صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، رقم الحديث: (١/ ٢٠٢)، والبيهقي في البعث والنشور، رقم الحديث: (٢٨٨)، حكم الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٧٣٣).

المؤمنين، ألا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين القبائل بأمرائها وعظمائها دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرها»[1].

و عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[2].

اللهم يا جبار اجبر كسرنا، وآمن خوفنا، وأعذنا من التجبر والكبر.



(١) مدارج السالكين (٢/ ٣١٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩١).

الحقُّ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحق: خلاف الباطل، والحق: واحد الحقوق»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته، فالحق نقيض الباطل، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق، ويقال حق الشيء: وجب»[2].

ورود اسم الله (الحق) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الحق) في كتاب الله في عشر آيات، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

---

(١) الصحاح (٤/ ١٤٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٥).

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢].

ورود اسم الله (الحق) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الحق) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل يتهجد، قال: **اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**- أو: **لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**»[1].

معنى اسم الله (الحق) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠]: «ورجع هؤلاء المشركون يومئذ إلىٰ الله الذي هو ربهم ومالكهم الحق لا شك فيه، دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والأنداد»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣١٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ١٧٥).

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله الحق، أي: هو الحق، وما عبد من دونه باطل، والله عَزَّوَجَلَّ الحق، أي: ذو الحق في أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وجميع ما أنزله علىٰ لسان رسله وأنبيائه»[1].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكما أن ذاته (الحق) فقوله الحق، ووعده الحق، وأمره الحق، وأفعاله كلها حق، وجزاؤه المستلزم لشرعه ودينه ولليوم الآخر حق، فمن أنكر شيئًا من ذلك فما وصف الله بأنه (الحق) المطلق من كل وجه، وبكل اعتبار فكونه حقًّا يستلزم شرعه ودينه وثوابه وعقابه»[2].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تفسيره لقوله تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦]-: «أي: تنزه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعده حق، ووعيده حق ورسله حق، والجنة حق والنار حق، وكل شيء منه حق»[3].

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحق في ذاته وصفاته فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفًا، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا، فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[الحج:٦٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) اشتقاق أسماء الله (ص١٧٨).

(٢) بدائع الفوائد (٤/ ١٦٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٣)

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس:٣٢]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]» (١).

اقتران اسم الله (الحق) بأسمائه الأخرى في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الحق) باسم الله (الـملك):

ورد اقتران هذين الاسمين الجليلين في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في موضعين، هما:

١- قوله تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦].

٢- وقوله تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

وجه الاقتران:

اقترانهما فيه إشارة إلىٰ أن ملكه سُبْحَانَهُ حق، من جهتين:

١- دوام ملكه وكماله، فملكه سُبْحَانَهُ دائم، فلا يزال، ولا يزول، وليس فيه شائبة عجز ولا خضوع لغيره.

وفي هذا تعريض بأن ملك غيره زائف، فغيره من الخلق وإن كان له ملك ففي بعض الأوقات، علىٰ بعض الأشياء، وملكه مع ذلك زائل قاصر يشوبه العجز والخضوع للغير، فهو مالك من جهة ومملوك من جهة أخرىٰ؛ لما فيه

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٤٩).

من نقص واحتياج[1].

٢- المدبر لأمور مملكته علىٰ أتم وجوه الكمال، فلا يتصرف فيه إلا بما هو مقتضىٰ الحكمة[2].

والآية الأولىٰ سبقت بالخلق، وأنه تَعَالَى لم يخلق الإنسان عبثًا، بل كان بحق وحكمة، والثانية سبقت بالحديث عن القرآن، وأنه نزل من عند الله الحق، فالملك الحق هو صاحب الملك الكامل، والذي يتصرف بمقتضىٰ الحكمة، والملك الحق هو الذي أنزل القرآن حقًّا من عنده؛ ليقيم به حياة الناس في دينهم ودنياهم.

ثانيًا: اقتران اسم الله (الحق) باسم الله (المبين):

جاء ذلك مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور:٢٥].

وجه الاقتران:

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾، يقول: ويعلمون أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عند أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون»[3].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٥١٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٦/ ٣١٦).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٢).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحقّ):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الحق) من الصفات:

الله هو الحق جَلَّجَلَالُهُ، ويظهر ذلك من عدة وجوه، منها:

الأول: هو الحق في وجوده تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فله تَعَالَىٰ الوجود الحق، فالله لا يزول ولا يحول بخلاف غيره، فالخلق كلهم يزولون ويحولون، وحياته سُبْحَانَهُ الحياة الأزلية، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، ووجوده كامل فلا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يأخذه مرض ولا تعب، فهذا هو الحق في وجوده تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

الثاني: هو الحق في ربوبيته وألوهيته، فهو الرب الحق في تدبيره وتصريفه ورزقه، وغيره مربوب مملوك مصرف مدبَّر، وهو المعبود الحق لكل مألوه ومعبود ومربوب قام علىٰ إلهيته برهان الفطرة وحجة العقل، وشهد بها ما في الوجود جميعًا من ناطق وصامت، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢]، فعبادة من هذا وصفه حق، وعبادة ما دونه ممن ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ضلال وزيغ وباطل[1]، قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٣٦٣).

الثالث: هو الحق في أسمائه وصفاته، فأسماؤه وصفاته كلها حق، فليس فيها شيء باطل لا في علمه، ولا قدرته، ولا عزته، ولا حكمته، فهو الإله الحق الكامل في ذاته، وأسمائه وصفاته، ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[المؤمنون:١١٦].

الرابع: هو الحق في أفعاله وخبره وشرعه، فأفعاله كلها حق ومقتضىٰ الحكمة، وأخباره كلها حق وصدق، وشرعه حق وعدل، فكل ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به أو نهىٰ عنه فإنه حق ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الأنعام:١١٥].

والله خلق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ السماوات والأرض بالحق، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام:٧٣]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر:٨٥].

ونزل الكتاب بالحق، قال تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة:١٧٦]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٣].

وقص تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القصص بالحق، قال تَعَالَىٰ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [آل عمران:٦٢]، فكل ما حدث الله به من القصص لم يكن كذبًا ولا باطلًا، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١].

بخلاف بعض قصص البشر، فهو كذب كله مختلق، أو صدق خالطه الكذب، والحق الصرف في القصص قليل.

وأرسل رسله بالحق، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [البقرة:١١٩]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة:٣٣]، وقوله تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾[الأعراف:٤٣].

ووعد الله حق لا يمكن أن يخلف، ولا يغير، ولا يبدل، قال تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾[يونس:٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر:٥]، وَعَدَ أمَّ موسىٰ، فقال: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص:٧]، وحقق وعده ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القصص:١٣]، ووعد المؤمنين بالنصر ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، فنصرهم ببدر وهم أذلة، ونصرهم في الأحزاب وهم قلة، ونصرهم في ساعة العسرة.

الأثر الثاني: محبة الله الحق:

الحق سُبْحَانَهُ هو الموجود الحق، والرب الحق والإله الحق، وكل ما سواه فهو مربوب، ووجوده مستمد من وجوده سُبْحَانَهُ؛ لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، فمنه سُبْحَانَهُ الإيجاد، والإعداد، والإمداد، وما سواه فهي أسباب مخلوقة صادرة من مسبب الأسباب الإله الحق، فحري بمن هذه صفاته أن يحَب ويعظَّم ويؤلَّه وتوجَّه العبادة له وحده دون ما سواه.

الأثر الثالث: التصديق الذي لا يخالطه شَك في ما أخبر به الحق سُبْحَانَهُ:

الله حق في أسمائه وصفاته- كما تقدم-، ومن ذلك: كلامه وخبره جَلَّجَلَالُهُ، فكلامه حق ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب:٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾ [ص:٨٤]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَقَوْلُكَ الْحَقُّ»(١).

أنزل القرآن بالحق، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران:٣].

قال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «المشتمل علىٰ الحق في إخباره وأوامره ونواهيه، فما أخبر به صدق، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[النساء:١٢٢]، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه»(٢).

واعتقاد المؤمن بهذا يدعوه إلىٰ القبول التام، والتصديق الجازم الذي لا يخالطه أدنىٰ شك لما ما جاء فيه من أخبار، أو جاء علىٰ لسان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولو زعم العقل إحالته أو لم يتصوره.

وهكذا كان الصحابة- رضوان الله عليهم- يتلقون أخبار الوحي بالتصديق الكامل والإذعان التام، فهذا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخبر عن

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤٤٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٩).

(٢) تفسير السعدي (ص١٢١).

الدجال، فيقول: «**إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: **أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: **أربعونَ يومًا؛ يومٌ كسَنَةٍ، ويومٌ كَشَهْرٍ، ويومٌ كجُمُعُةٍ، وسائِرُ أيامِهِ كأيَّامِكُم**، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كالسنة، تكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: **فَاقْدُرُوا له قَدْرَهُ...**»[1].

فكان همهم السؤال عن الصلاة فقط، وكأن ما أخبرهم به عن الدجال قد عرفوه من قبل؛ وذلك لأنهم جعلوا الشرع التام هو الميزان الثابت للعقل الناقص فقبلوا وسَلَّموا.

وهذا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغه خبر الإسراء والمعراج، فيبادر للتصديق ويقول: «إني لأصدقه في خبر السماء بكرة وعشية، أفلا أصدقه في بيت المقدس!»[2].

وقد نفىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الشك والريب عن كتابه، في مواضع عدة، منها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، وقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:٣٧]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:٩٤]، وقال متحديًا من

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٣٧).

(٢) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣/ ١٣٧).

يشك فيه: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٣، ٢٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:٢] «أي: ضيق وشك واشتباه، بل لتعلم أنه تنزيل من حكيم حميد قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[فصلت:٤٢]، وأنه أصدق الكلام فلينشرح له صدرك، ولتطمئن به نفسك، ولتصدع بأوامره ونواهيه، ولا تخش لائمًا ومعارضًا»[1].

وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حين رأى مع عمر صحيفةً فيها شيء من التوراة: **«أَمُتَهَوِّكُونَ[2] فِيهَا يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً»**[3].

الأثر الرابع: التسليم التام لأحكام الحق سُبْحَانَهُ، والتحاكم إليه دون ما سواه:

معرفة أن الله الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تورث القلب اليقين بأن أحكام الله تَعَالَىٰ كلها حق وخير، وتورثه -أيضًا- الطمأنينة لحكم الله وشرعه؛ لأنها من الله

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٨٣).

(٢) أمتهوكون، أي: متحيرون في كتابكم وفي دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم كما تهوكت اليهود والنصارى، أي: كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم. الفتح الرباني، للساعاتي (١/ ١٧٥).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥١٥٦)، حكم الألباني: حسن، إرواء الغليل، رقم الحديث: (١٥٨٩).

الحق الذي لا يصدر منه إلا الحق ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام:١١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صدقًا في الأخبار وعدلًا في الطلب، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهىٰ عنه فباطل، فإنه لا ينهىٰ إلا عن مفسدة»[١].

فينشأ من ذلك القبول التام، والإذعان والتسليم ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٥]، سواء علمت الحكمة أو لم تعلم فالأمر سواء لليقين بأنها كلها حق؛ لأنها من عند الحق سُبْحَانَهُ.

والتسليم لله عَزَّوَجَلَّ من أخص أركان الدين، وبه يجوز العبد الصراط، وتثقل به الموازين، وهو من أوجب الواجبات، وأعلىٰ القربات؛ بل «إن مبنىٰ العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله علىٰ التسليم، وعدم الخوض في تفاصيل الحكمة في الأوامر، والنواهي، والشرائع؛ ولهذا لم يحك الله سُبْحَانَهُ عن أمة نبي صدقت نبيها وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به، ونهاها عنه، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت، وسلمت، وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها، وإيمانها، واستسلامها علىٰ معرفته، ولا جعلت طلبه من شأنها»[٢].

وقد علَّم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته الانقياد التام والاستلام لأمر الله، فحينما نزل قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٢).

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٤/ ١٥٦٠).

يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٨٤] غم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ غمًّا شديدًا، واشتد ذلك عليهم، فأتوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم بركوا علىٰ الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ**، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، وذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تَعَالَىٰ، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] قال: **نَعَمْ** ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، قال: **نعم** ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قال: **نعم**، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦] قال: **نَعَمْ**»[1].

فتجوز لهم عن حديث النفس، وأخذوا بالأعمال.

وينشأ من ذلك - أيضًا - الاغتباط بأحكام الله وشرعه، والسعي لتحكيمها وإقرارها بين الناس؛ حتىٰ ينعموا بما فيها من الحق والخير والأمن والسلام والقسط؛ لأنها حكم الحق، وحكم ﴿خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٩].

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٢٥).

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ التحاكم إلىٰ ما شرع وأنزل علىٰ لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرطًا للإيمان، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٥]، وقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء:٥٩].

وأنكر علىٰ من خرج عن حكمه المحكم المشتمل علىٰ كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعته وإنما بمحض الأهواء والآراء[1]، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠].

«فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية، فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني علىٰ الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تَعَالَى فمبني علىٰ العلم، والعدل والقسط، والنور والهدىٰ»[2].

الأثر الخامس: الشعور بالغبطة والسرور بالهداية إلىٰ دين الإسلام الحق، والثبات عليه:

الإسلام هو دين الله الحق، قال تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[آل عمران:٨٥].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١).

(٢) تفسير السعدي (ص٢٣٥).

ومن هدي إليه واستقام عليه اطمأنت نفسه، وانشرح صدره، وسلم من التشتت والاضطراب والحيرة التي تكون من نصيب المبطل المعرض عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن دينه، قال تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

واستشعار المسلم لمنة الله عليه بالهداية للدين الحق يبعث في النفس السرور والغبطة بفضل الله عليه ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:٥٨].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به علىٰ عباده ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من متاع الدنيا ولذاتها.

فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب»[1].

وهذا الفرح بالهداية للحق يوجب التمسك به، والثبات عليه، والصبر علىٰ القيام بشرائعه، والصبر عن محارمه، والصبر- أيضًا- علىٰ ما ينال المرء من المصائب والمحن من جرائه، لا سيما مع تأخر الزمان وكثرة الفتن، فقد

(١) تفسير السعدي (ص٣٦٧).

جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَىٰ دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَىٰ الجَمْرِ**»[1].

الأثر السادس: صدق التوكل علىٰ (الحقِّ):

من كان علىٰ الحق وَثقَ في الله عَزَّوَجَلَّ واعتمد عليه في تأييده ونصره، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل:٧٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن كون العبد علىٰ الحق يقتضي تحقيق مقام التوكل علىٰ الله، والاكتفاء به، والإيواء إلىٰ ركنه الشديد، فإن الله هو الحق وهو ولي الحق، وناصره، ومؤيده، وكافي من قام به، فما لصاحب الحق ألا يتوكل عليه؟ وكيف يخاف وهو علىٰ الحق؟ كما قالت الرسل لقومهم: ﴿ **وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [إبراهيم:١٢]»[2].

الأثر السابع: الثقة بنصر الله عَزَّوَجَلَّ لدينه الحق ولأوليائه:

الله الحق عَزَّوَجَلَّ تكفل بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله، وإشاعة نوره علىٰ سائر الأقطار، ولو كره الكافرون، وبذلوا بسبب كراهتهم كل سبب يتوصلون به إلىٰ إطفاء نور الله؛ فإنهم مغلوبون، وحالهم حال من ينفخ عين الشمس بفيه ليطفئها، فلا علىٰ مرادهم حصلوا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدح فيها: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٢٦٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ، رقم الحديث: (٣١)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٩٥٧).

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص٢٥٧).

ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف:٨، ٩]، أي: ليعليه علىٰ سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان.

فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه وبلسه، وصار له الظهور والقهر.

وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهروا علىٰ أهل الأديان، إلا أن الله قد يبتليهم في وقت من الأوقات؛ ليعلم المؤمن الصادق الثابت علىٰ الحق من المنافق أو ضعيف الإيمان، قال تعَالَىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢].

أما إذا ضيعوه واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه؛ لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم(١).

فإذا علم هذا فعلىٰ المسلمين أن يقوموا بالدين ويتمسكوا به ويثقوا بنصر الله ووعده ولو عظم البلاء واشتد، فهذا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب، وقد عظم البلاء علىٰ المؤمنين، واشتد الخوف، فأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتىٰ ظن المؤمنون كل ظن، وإذا به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرَّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ، فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ آمِنًا، وَأَنْ يَدْفَعَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **مَفَاتِحَ الْكَعْبَةِ، وَلَيُهْلِكَنَّ اللهُ**

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٨٥٩).

اكِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ، وَلَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»[1]، قالها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شدة الكرب، وتحالف أهل الكفر والشرك، ولكنها الثقة بوعد الله ونصره، واليقين فيما عنده عَزَّوَجَلَّ.

الأثر الثامن: التواضع للحق، والانقياد له بعد تبينه:

إذا علم العبد أن الخير كله في الحق، وما بعد الحق إلا الضلال والشر والشقاء، تواضع له وأنقاد، ومتىٰ ما ظهر له وبان رجع إليه مهما كان شأنه، ومهما ارتفع قدره، ومهما علت منزلته، فهذا عبدالرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن، وهو علىٰ القضاء، فلما وضع السرير جلس، وجلس الناس حوله، قال: فسألته عن مسألة؛ فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله! القول في هذه الـمسألة كذا وكذا، إلا أني لم أرد هذه، إنما أردت أن أرفعك إلىٰ ما هو أكبر منها، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: إذن أرجع وأنا صاغر!! إذن أرجع وأنا صاغر!!؛ لأن أكون ذَنَبًا في الحق أحب إلي من أن أكون رأسًا في الباطل!»[2].

ومن رد الحق بعد بيانه فهو المتكبر الظالم لنفسه؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الكبرُ بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ النّاسِ**[3]»[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٧٨٦٣)، وفي دلائل النبوة (٣/ ٤٠٢).

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٠/ ٣٠٨).

(٣) بطر الحق، أي: دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا، وغمط الناس، أي: احتقارهم، شرح النووي علىٰ مسلم (٢/ ٩٠).

(٤) سبق تخريجه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما أن من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه، وصغره وحقره، ومن تكبر عن الانقياد للحق- ولو جاء علىٰ يد صغير، أو من يبغضه أو يعاديه- فإنما تكبره علىٰ الله؛ فإن الله هو الحق وكلامه حق؛ ودينه حق، والحق صفته ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله فإنما رد علىٰ الله وتكبر عليه»[1]، واستحق بهذا الوعيد الوارد في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦].

وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينًا قبح التكبر عن الحق: «**وَإِنَّ أَبْغَضَ الكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: اتَّقِ اللهَ، فَيَقُولُ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ**»[2].

الأثر التاسع: عدم الحياء في إظهار الحق:

الله هو الحق، ويحب الحق، ويأمر بالحق، ولا يستحي من بيانه للناس، وإظهاره لهم بأنواع الأمثلة الحسية، التي تعين علىٰ فهمه وقبوله، والإعراض عما سواه من الباطل، قال تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ**﴾[البقرة:٢٦][3].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٣١٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٦٢١)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٥٩٨).

(٣) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ١٤).

وهكذا ينبغي للمؤمن ألا يستحي من الحق وإظهاره، ولما في تركه حياءًا وخوفًا أو مداهنة من تفويت المصالح وتحقيق المفاسد، ومن ذلك: العلم؛ فإنه لا يناله مستحي ولا مستكبر، ولذا أثنىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ نساء الأنصار، فقال: «**نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ**»[1].

الأثر العاشر: الاستعداد للقاء الحق:

وعد تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عباده بلقائه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس:٤]، فلقاؤه حق حاصل لا محالة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، وقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾[الأنبياء:١٠٤]، وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ**»[2].

وأخبر سُبْحَانَهُ عن خسارة المكذبين بلقائه، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣١]، وقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[يونس:٤٥].

ووعد بالجنة والنار، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التوبة:٧٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾[الرعد:٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣١٤-٣١٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٣٢).

(٢) سبق تخريجه.

وقال تَعَالَى عن النار: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة:٦٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٦].

ووعد بالساعة فهي حق واقعة لا ريب فيها ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج:٧]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ:٣٩].

فإذا استقرت هذه الحقائق في قلب العبد المؤمن حمله ذلك علىٰ الاستعداد للقاء ربه، والشوق إلىٰ جنته، والخوف من عذابه، وهذا يثمر التقوىٰ في القلب، والتي علامتها امتثال أوامر الله عَزَّوَجَلَّ وترك مناهيه بإخلاص ومتابعة، والاستقامة علىٰ ذلك.

روىٰ الطبراني عن الحارث بن مالك الأنصاري، «أنه مر برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقال له: **كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ**؟ قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال: **انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ**؟ فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، واطمأن نهاري، وكأني أنظر إلىٰ عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلىٰ أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلىٰ أهل النار يتضاغون فيها، فقال: **يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ**، ثلاثًا»[1].

وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يستفتح صلاته من الليل بذكر هذا المعنىٰ، كما في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، «كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل يتهجد قال: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٣٣٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٠١٠٧)، حكم الألباني: ضعيف، تحقيق الإيمان، لابن أبي شيبة (ص٤٣).

أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(١)]؛ وذلك أن قيام الليل أمر شاق علىٰ النفس، فيحتاج الإنسان لقيامه لتصديق جازم بما ورد فيه من عظيم الأجر، فكان الاستفتاح به تذكير للنفس بوعد الله عَزَّوَجَلَّ.

الأثر الحادي عشر: أعط كل صاحب حق حقه:

إذا عرف العبد أن الله الحق، أحب أن يكون له حظ من اسم ربه، وأن يتحقق به، وذلك بأن:

١- يعطي كل ذي حق حقه، فيبدأ بأعظم الحقوق عليه؛ حق الله تَعَالَى، وهو عبادته وحده لا شريك له، ثم حق نبيه، ثم يؤدي الحقوق لأصحابها، الأحق فالأحق، فيبدأ بحق الوالدين، ثم الأبناء، والزوجة، ثم الأرحام، والجيران، ثم حق أمته عليه، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ**»[(٢)].

٢- يرد الحقوق لأهلها، فلا يأخذ من حق الغير شيئًا بغير حقه ولو قلَّ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه (٨٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٦٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣٦٠٥)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٩٧٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٨٧١).

٣- يشهد بالحق، ولو كان ذلك علىٰ الأحباب، بل حتىٰ علىٰ النفس، قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ ...﴾ [النساء: ١٣٥].

٤- يعدل في القضاء والحكم، كما قال تَعَالَى لنبي الله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦][1].

وقد علَّم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إقامة الحق والحكم به، فعندما سرقت المرأة المخزومية بعث قريش للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة بن زيد لكي يشفع لـها، فكلمه أسامة، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟** ثم قام فاختطب، فقال: **أَيُّها النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْـحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[2].

ولا بد أن يعلم أن لكل شيء حقًّا، فالحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى له حق، ولكتابه حق، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، والنفس لها حق، وللأهل حق، وللجار حق، وللضيف حق، وللصديق حق، وللعمل حق، وللمكان حق، وللطريق حق، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ**، فقالوا: ما لنا بُدٌّ، إنما

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٨٨).

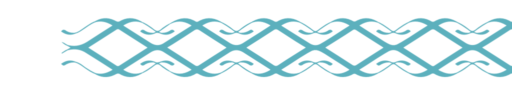
هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: **فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا،** قالوا: وما حق الطريق؟ قال: **غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ**»[1]، وللوقت حق، فعلىٰ المسلم أن يحرص علىٰ أن يعطي كل ذي حق حقه، مستعينًا بربه، سائلًا توفيقه لذلك.

فاللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم.



---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٢١).



الحَكَمُ الحَكِيمُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكم: مصدر قولك: حكم بينهم، يحكم، أي: قضىٰ، وحكم له وحكم عليه، والحكم أيضًا: الحكمة من العلم، والحكيم: العالم، وصاحب الحكمة، والحكيم: المتقن للأمور.

وقد حكم بضم الكاف، أي: صار حكيمًا... وأحكمت الشيء فاستحكم، أي صار محكمًا، والحكم، بالتحريك: الحاكم... وحكمت الرجل تحكيمًا، إذا منعته مما أراد، ويقال أيضًا: حكمته في مالي، إذا جعلت إليه الحكم فيه، فاحتكم علَيَّ في ذلك، واحتكموا إلىٰ الحاكم وتحاكموا بمعنًىٰ»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حكم) الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم؛ وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت علىٰ يديه... وحكم فلان في كذا، إذا جعل أمره إليه، والمحكم: المجرب المنسوب إلىٰ الحكمة»[2].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٩٠١).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٩١).

ورود اسمي الله (الحَكَم الحكيم) في القرآن الكريم:

ورد اسمه (الحَكَم) في آية واحدة، هي:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾[الأنعام:١١٤].

وأما اسم الله (الحكيم)؛ فقد ورد في أربع وتسعين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٨].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:١٥].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[سبأ:١].

ورود اسمي الله (الحَكِيم، الحَكَم) في السنة النبوية:

ورد اسمي الله (الحَكيم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن مصعب بن سعد عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «جاء أعرابي إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: علمني كلامًا أقوله، قال: **قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، والحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ**، قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال: **قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي واهْدِنِي وارْزُقْنِي**»[(١)].

ورد اسمي الله (الحَكم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن شريح عن أبيه هانئ: «أنه لما وفد إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: **إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحَكَمُ، فَلَمْ تُكْنَىٰ أَبَا الحَكَمِ؟** فقال: إن قومي إذا

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٦).

اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟** قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: **فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟** قلت: شريح، قال: **فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**»[(١)].

معنى اسمي الله (الحكيم، الحَكم) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور اسمي (الحَكيم الحَكم) على معنيين:

١- من له كمال الحكم بين العباد، سواء كان حكمًا كونيًّا قدريًّا، أو دينيًّا شرعيًّا، أو جزائيًّا.

٢- من له كمال الحكمة، سواء كانت في خلقه وتدبيره أو شرعه وأمره.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنى الأول:

۞ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله تَعَالَى هو الحاكم وهو الحكم بين الخلق؛ لأنه الحكم في الآخرة، ولا حكم غيره»[(٢)].

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكم الحاكم، ومنه المثل: (في بيته يؤتى الحكم) وحقيقته هو: الذي سلم له الحكم ورد إليه فيه الأمر، كقوله تَعَالَى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦]»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٩٥٥)، والنسائي، رقم الحديث:(٥٣٨٧)، حكم الألباني: صحيح، إرواء الغليل، رقم الحديث: (٢٦١٥).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى (ص٤٤).

(٣) شأن الدعاء (ص٦١).

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالحكم من له الحكم: وهو تنفيذ القضايا وإمضاء الأوامر والنواهي، وذلك بالحقيقة هو الله تَعَالَى، فهذا الاسم يرجع تارة إلىٰ معنىٰ الإرادة، وتارة إلىٰ معنىٰ الكلام، وتارة إلىٰ الفعل، فأما رجوعه إلىٰ الإرادة، فإن الله تَعَالَى حكم في الأزل بما اقتضته إرادته، ونفذ القضاء في اللوح المحفوظ، يجري القلم فيه علىٰ وفاق حكم الله، ثم جرت الأقدار في الوجود بالخير والشر، والعرف والنكر علىٰ وفاق القضاء والحكم، وإذا كان راجعًا إلىٰ معنىٰ الكلام فيكون معناه: المبين لعباده في كتابه ما يطالبهم به من أحكامه، كما يقال- لمن يبين للناس الأحكام وينهج لهم معاني الحلال والحرام-: حكم، وعلىٰ هذا فلا يكون في الوجود حكم إلا كتابه، فعنده يوقف؛ إذ هو الحكم العدل، وإذا كان راجعًا إلىٰ الفعل فيكون معناه الحكم الذي ينفذ أحكامه في عباده بإشقائه إياهم وإسعاده وتقريبه إياهم، وإبعاده علىٰ وفق مراده»[1].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الحكيم):... الذي له الحكم في الأولىٰ والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه»[2].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

«وَهوَ الحَكِيمُ وَذَاكَ مِنْ أَوْصَافِهِ ... نَوْعَانِ أَيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ

حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا ... نَوْعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا البُرْهَانِ

---

(١) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (١/ ٤٣٨).

(٢) تفسير السعدي (ص٩٤٥-٩٤٦).

وَالحُكْـمُ شَـرْعِيٌّ وَكَوْنِـيٌّ وَلَا   يَتَلَازَمَـانِ وَمَـا هُمَـا سِـيَّانِ
بَـلْ ذَاكَ يُوجَـدُ دُونَ هَـذَا مُفْـرَدًا   وَالعَكْـسُ أَيْضًـا ثُـمَّ يَجْتَمِعَـانِ

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحكيم: الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل»[١]، **وقال أيضًا**: «والحكيم: هو ذو الحكمة»[٢].

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكيم: الذي أفعاله محكمة متقنة، لا تفاوت فيها ولا اضطراب، ومنه قيل: (بناء محكم)، أي: قد أتقن وأحكم، فالله عَزَّوَجَلَّ حكيم كما وصف نفسه بذلك، لإتقان أفعاله واتساقها وانتظامها وتعلق بعضها ببعض... وقد يكون حكيم بمعنىٰ: عليم؛ لأن الفاعل للأشياء المتقنة المحكمة لا يجوز أن يكون جاهلًا بها؛ فيكون (حكيم) علىٰ هذا بتأويل المبالغة في الوصف بالعلم والحكمة»[٣].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكيم: قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٣٩] ومعناه: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم»[٤].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حكيم) لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا لغير معنىٰ ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سُبْحَانَهُ صادرة عن

---

(١) تفسير ابن جرير (٢/ ٥٧٨).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٩٦).

(٣) اشتقاق أسماء الله (ص٦٠).

(٤) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩١-١٩٢).

حكمة بالغة لأجلها فعل كما فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل»[1].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ لعلمه وحكمته وعدله»[2].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الحكيم): هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع سدىً»[3].

قال أيضًا: «الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة، ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة»[4].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في النونية:**

وَالحِكْمَةُ العُلْيَا عَلَىٰ نَوْعَيْنِ أَيْـ ـضًا حَصَلَا بِقَوَاطِعِ البُرْهَانِ
إِحْدَاهُمَا فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ أَيْضًا لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
إِحْكَامُ هَذَا الخَلْقِ إِذْ إِيجَادُهُ فِي غَايَةِ الإِحْكَامِ والإِتْقَانِ
وَصُدُورُهُ مِنْ أَجْلِ غَايَاتٍ لَهُ وَلَهُ عَلَيْهَا حَمْدُ كُلِّ لِسَانِ
وَالحِكْمَةُ الأُخْرَىٰ فَحِكْمَةُ شَرْعِهِ أَيْضًا وَفِيهَا ذَانِكَ الوَصْفَانِ
غَايَاتُهَا اللَّائِي حُمِدْنَ وَكَوْنُهَا فِي غَايَةِ الإِتْقَانِ وَالإِحْسَانِ»[5].

(١) شفاء العليل (ص١٩٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٨).

(٣) تفسير السعدي (ص٩٤٥-٩٤٦).

(٤) ()المرجع السابق (ص٧٧٩).

(٥) النونية (ص٢٠٥، ٢٠٦).

الفرق بين الحكم والحاكم:

الحكم أبلغ من الحاكم، من جهتين:

١- «لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق؛ لأنها صفة تعظيم في مدح، والحاكم جارية على الفعل، فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق»[١]؛ لذا قيد الله في القرآن اسمه الحاكم بالخيرية، فقال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧]، والإحكام، فقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين:٨].

٢- الحاكم يطلق على من يحكم بين الناس، قال الله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أما الحكم فيطلق على المتخصص بذلك[٢].

اقتران اسمي الله (الحكيم والحكَم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

١- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم)، باسمه عَزَّوَجَلَّ (العزيز):

ورد اقتران اسمه الحكيم باسمه العزيز، في نحو ستة وأربعين موضعًا، قدم فيها العزيز على الحكيم، منها:

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]، وقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٧٠).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٢٤٩).

وجه الاقتران:

١- «العزة: كمال القدرة، والحكمة: كمال العلم، وبهاتين الصفتين يقضي ما يشاء، ويأمر وينهىٰ، ويثني، ويعاقب، فهاتان الصفتان: مصدر الخلق والأمر»[1].

٢- لدلالة علىٰ «أن عزته تَعَالَىٰ مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف، وكذلك حكمه تَعَالَىٰ وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته؛ فإنها يعتريها الذل»[2].

ولعل سائلًا يسأل: ما سر تقديم اسم الله العزيز علىٰ الحكيم في جميع المواضع؟

وقد أجاب عن هذا التساؤل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أوجه ثلاثة:

١- أن العزة: كمال القدرة، والحكمة: كمال العلم، فقدم وصف القدرة؛ لأن متعلقه أقرب إلىٰ مشاهدة الخلق؛ وهو مفعولاته تَعَالَىٰ وآياته، وأما الحكمة فمتعلقها بالنظر والفكر والاعتبار -غالبًا- فكانت متأخرة عن متعلق القدرة.

٢- أن النظر في الحكمة يكون بعد النظر في المفعول والعلم به، فإذا نظر في المفعول انتقل بعد ذلك للنظر فيما أودع فيه من الحكم والمعاني.

(١) الجواب الكافي، لابن القيم (ص١١٦).

(٢) القواعد المثلىٰ، لابن عثيمين (ص٨).

٣- أن الحكمة غاية الفعل، فهي متأخرة عنه تأخر الغايات عن وسائلها؛ فالقدرة تتعلق بإيجاده، والحكمة تتعلق بغايته؛ فقدم الوسيلة علىٰ الغاية؛ لأنها أسبق في الترتيب الخارجي(١).

٢- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه عَزَّوَجَلَّ (الخبير):

ورد اقتران اسمه الحكيم باسمه الخبير في أربع آيات من القرآن، منها: قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ:١].

وجه الاقتران:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن وجه اقتران هذين الاسمين الجليلين، أنهما دالَّان:** «علىٰ كمال الإرادة، وأنها لا تتعلق بمراد إلا لحكمة بالغة، وعلىٰ كمال العلم، وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات، فهو متعلق ببواطنها التي لا تدرك إلا بالخبرة، فنسبة الحكمة إلىٰ الإرادة كنسبة الخبرة إلىٰ العلم؛ فالمراد ظاهر، والحكمة باطنة، والعلم ظاهر والخبرة باطنة، فكمال الإرادة أن تكون واقعة علىٰ وجه الحكمة، وكمال العلم أن يكون كاشفًا عن الخبرة، فالخبرة باطن العلم وكماله، والحكمة باطن الإرادة وكمالها»(٢).

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ٦٨).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٧٩).

٣- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (العلي):

ورد اقتران اسم الله الحكيم باسمه العلي في آية واحدة، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلو في صفة (العلي) علو عظمة فائقة لا تناسبها النفوس البشرية التي لم تحظ من جانب القدسية بالتصفية، فما كان لها أن تتلقىٰ من الله مراده مباشرة، فاقتضىٰ علوه أن يكون توجيه خطابه إلىٰ البشر بوسائط يفضي بعضها إلىٰ بعض... وأما وصف (الحكيم)؛ فلأن معناه: المتقن للصنع، العالم بدقائقه وما خطابه البشر إلا لحكمة إصلاحهم ونظام عالمهم، وما وقوعه علىٰ تلك الكيفيات الثلاث إلا من أثر الحكمة لتيسير تلقي خطابه، ووعيه دون اختلال فيه، ولا خروج عن طاقة المتلقين»[١].

٤- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (التواب):

تقدم بيانه في اسم الله التواب.

٥- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (الحميد):

ورد اقتران اسمه الحكيم باسمه الحميد في آية واحدة، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ في خلقه وأمره، يضع كل شيء موضعه، وينزله منازله، ﴿حَمِيدٍ﴾ علىٰ ما له من صفات الكمال ونعوت

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٥٠).

الجلال، وعلىٰ ما له من العدل والإفضال؛ فلهذا كان كتابه مشتملًا علىٰ تمام الحكمة، وعلىٰ تحصيل المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار التي يحمد عليها»[1].

٦- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (الواسع):

ورد اقتران اسمه الحكيم باسمه الواسع في آية واحدة، وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾[النساء:١٣٠] أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه حيث وصل إليه علمه، وكان مع ذلك ﴿حَكِيمًا﴾ أي: يعطي بحكمته ويمنع لحكمته؛ فإذا اقتضت حكمته منع بعض عبده من إحسانه بسبب في العبد لا يستحق معه الإحسان، حرمه عدلًا وحكمة»[2].

٧- اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم) باسمه سُبْحَانَهُ (العليم):

اقترن اسمه الحكيم باسمه العليم في نحو سبعة وثلاثين موضعًا، منها: قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: ٨٣].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤].

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٥٠).

(٢) المرجع السابق (ص٢٠٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال، فالعلم يتضمن الحياة ولوازم كمالها من: القيومية والقدرة، والبقاء، والسمع، والبصر، وسائر الصفات التي يستلزمها العلم التام.

والحكمة تتضمن كمال الإرادة والعدل، والرحمة، والإحسان، والجود، والبر، ووضع الأشياء مواضعها علىٰ أحسن وجوهها، ويتضمن إرسال الرسل، وإثبات الثواب والعقاب»[1].

وقال: «خلقه وأمره صدرا عن حكمته وعلمه، وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره، فمصدر الخلق والأمر عن هذين المتضمنين لهاتين الصفتين؛ ولهذا يقرن سُبْحَانَهُ بينهما عند ذكر إنزال كتابه، وعند ذكر ملكه وربوبيته؛ إذ هما مصدر الخلق والأمر»[2].

ويلاحظ أن الله عَزَّوَجَلَّ تارة يقدم اسمه العليم علىٰ الحكيم، وتارة عكس ذلك.

فإن سأل سائل: ما السر في ذلك؟

أجيب: بأن الآيات التي تقدم فيها العليم علىٰ الحكيم منوطة بمقام العلم أولًا، ثم بالحكمة: «ففي مقام الاعتراف بالعجز وقصور العلم يقابله- ولا بد- الإقرار والتسليم للعليم؛ فإذا كان (العليم) هو (الحكيم) فذلك هو العلم البالغ حد الكمال، فيكون الاعتراف مصحوبًا بغاية الرضا والتسليم، كما في قوله تَعَالَى عن الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة: ٣٢].

---

(١) الرسالة التبوكية (ص٦٩).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٤/ ١٥٦٤).

وفي مقام ارتباط الصبر وانتظار الفرج باسم (العليم) ارتباط قوي، وذلك أن العبد إذا كان عظيم الإيمان، عميق الصلة بربه، واستلبث عليه الفرج لم يتزعزع يقينه؛ لأنه معتمد علىٰ علم الله عَزَّوَجَلَّ في اختيار الزمان الأنسب لما يرجوه من الفرج، معول علىٰ حكمته في تهيئة الأسباب له؛ ليقع علىٰ أحسن ما يكون، كما في قوله تَعَالَى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

ومثل ذلك يقال في مقام التواضع والتحدث بنعمة الله وفضله؛ لأن قوامه أحداث ترجع إلىٰ علم ﴿العليم﴾ وحكمة ﴿الحكيم﴾، كما في قوله تَعَالَى عند يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

أما مقام التشريع وإقرار الحكم فالأمر فيه راجع إلىٰ العلم الشامل أولًا؛ لأن العلم هو أساس بناء الأحكام، ثم تأتي الحكمة لتنزل الحكم علىٰ الواقع، كما في قوله تَعَالَى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

أما المقامات التي يتقدم فيها اسم (الحكيم) علىٰ اسم (العليم)، فهي منوطة بمقام التوحيد، كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

ومقام إجراء المعجزات، كما في قوله تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٣٠]؛ وذلك أن مضمون الألوهية في مقام التوحيد قهر وقوة وغلبة، يقابلها من العباد طاعة وعبادة وخضوع، فتقديم

الحكمة في هذا المقام- والله أعلم- ليعلم أن ألوهيته عَزَّوَجَلَّ السارية علىٰ من في السماوات والأرض مسارها الحكمة»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسمي الله (الحكيم، الحَكَم):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الحكم، الحكيم) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ الحكم الحكيم الذي كمل في حكمه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧]، وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨]، وكمل في حكمته، قال سُبْحَانَهُ: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر:٥]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨].

أ- فأما كمال حكمه:

فهو الحكيم الذي يحكم في الدارين بالحكم الكوني القدري، والحكم الديني الشرعي، والحكم الجزائي، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص:٧٠][2].

١- الحكم الكوني القدري:

الله سُبْحَانَهُ الحاكم في خلقه علىٰ وفق ما قضاء وقدر؛ فإنه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كتب مقادير كل شيء:

- كتب في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين

---

(١) ينظر: مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام، لنجلاء كردي (ص٥٥٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٢٢).

ألف سنة، قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ**»[(١)].

- وكتب عند خلق الجنين؛ فعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: حدثنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوح، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[(٢)].

- وكتب ويكتب في ليلة القدر كل ما يكون في السنة، كما قال تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان:٤، ٥][(٣)].

فيجري الله سُبْحَانَهُ علىٰ العباد من الأحكام والأقدار والإيجاد والإعداد والإحياء والإماتة وغير ذلك، علىٰ مقتضىٰ قضائه وقدره، لا يخرج شيء عنه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٤٣).

(٣) ينظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (ص٢٤٣-٢٤٤)، شرح الطحاوية، لصالح آل الشيخ (ص٢٥٣).

٢- الحكم الديني الشرعي:

الله سُبْحَانَهُ الحاكم في خلقه بدينه وشرعه، أرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه، وأمر الخلق أن يسيروا وفق حكمه في عقائدهم وأخلاقهم، وأقوالهم وأفعالهم، وظاهرهم وباطنهم، قال تَعَالَى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، وقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٨، ١٩]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٠].

ولم يجعل لأحد من خلقه أن يحكم في شرعه، بل الحكم له وحده، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦، ١١٧]، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس:٥٩، ٦٠].

٣- الحكم الجزائي:

الله سُبْحَانَهُ الحاكم بالجزاء علىٰ الأعمال خيرها وشرها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧].

فـ«إذا استمررتم علىٰ تكذيبكم، فاعلموا أن العذاب واقع بكم لا محالة، وهو عند الله، هو الذي ينزله عليكم، إذا شاء، وكيف شاء، وإن استعجلتم به،

فليس بيدي من الأمر شيء ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي، فأمر ونهىٰ، فإنه سيحكم بالحكم الجزائي، فيثيب ويعاقب، بحسب ما تقتضيه حكمته»[1].

وأعظم ما يكون حكمه الجزائي وضوحًا وظهورًا: يوم الدين، قال تعالَى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر:١١، ١٢]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦١، ٦٢] فيتولىٰ سُبْحَانَهُ الحكم في عباده فيثيبهم علىٰ ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم علىٰ الشرور والسيئات جزاء وفاقًا[2]، قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [لقمان:٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨].

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٥٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٢٥٩).

وأحكامه الثلاثة كلها قائمة علىٰ العدل والقسط ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

- قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: علىٰ عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره، وفي شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه وعقابه، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم التي يحمد ويثنىٰ عليه بها - ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ:١]-»(١).

كما أن أحكامه الثلاثة نافذة لا محالة، يحكم بما يشاء، ويقضي بما يريد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١]، فيقع حكمه كما شاء ولو عدمت الأسباب، حكم لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولزوجه سارة بالولد، مع ما هم فيه من الكبر والعقم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذاريات:٢٩، ٣٠]، وكذا زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٣٩، ٤٠]، وحكم لمريم بالولد من غير ما زوج، قال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٢٠، ٢١] لا راد لقضائه، ولا ناقض لحكمه، ولا معقب له ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:٤١]،

---

(١) تفسير السعدي (ص٣٨٤).

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣] كمل وحسن حكمه، فلا خلل ولا إخلال ولا جور ولا حيف؛ فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يتعقبه متعقب، ولا يقدح فيه قادح[1].

ب- وأما كمال حكمته:

فهو الحكيم الذي وسعت حكمته كل شيء، فلا يخلق ولا يأمر أمرًا كونيًّا ولا شرعيًّا إلا لحكمة بالغة ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر:٥].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكيم: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئًا إلا لحكمة، ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمةُ: وضع الشيء في موضعه اللائق به»[2].

فتبين من هذا أن حكمته سُبْحَانَهُ ثلاثة أنواع:

الأول: حكمته سُبْحَانَهُ **في خلقه وصنعه.**

الثاني: حكمته في قضائه وقدره.

الثالث: حكمته سُبْحَانَهُ **في دينه وشرعه.**

حكمته سُبْحَانَهُ **في خلقه وصنعه:**

الله سُبْحَانَهُ الحكيم في خلقه، خلق خلقه جميعًا لحكمة، لا عبثًا ولا سدىً، قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ

(١) ينظر: المرجع السابق (ص٤٢٠، ٥٢١).

(٢) تفسير السعدي (ص٤٩).

إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء:١٦، ١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴾[ص:٢٧]، وقال: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾[المؤمنون:١١٥، ١١٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خلق الخلق بالحق، ومشتملًا علىٰ الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطىٰ كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطىٰ كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته، وهيئته، فلا يرىٰ أحد في خلقه خللًا، ولا نقصًا، ولا فطورًا، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلىٰ آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن، والانتظام، والإتقان لم يقدروا، وأنىٰ لهم القدرة علىٰ شيء من ذلك!

وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيرًا من حِكَمِه، ويطلعوا علىٰ بعض ما فيها من الحسن والإتقان، وهذا أمر معلوم قطعًا بما يعلم من عظمته، وكمال صفاته، وتتبع حكمه في الخلق، والأمر.

وقد تحدىٰ عباده، وأمرهم أن ينظروا، ويكرروا النظر، والتأمل هل يجدون في خلقه خللًا أو نقصًا، وأنه لا بد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد علىٰ شيء من مخلوقاته»[1].

حكمته في قضائه وقدره:

يحكم الله سُبْحَانَهُ في عباده بقضائه وقدره علىٰ وفق ما تقتضيه حكمته، فلا يصدر حكم عار عن حكمه ولا قضاء من غير علة، قال تَعَالَىٰ

---

(١) الحق الواضح المبين (ص٥١-٥٢).

عن ليلة القدر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان:٤، ٥].

فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لحكمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤]، وقال: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر:٥] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في هدايته تعالى لمن هداه، وإضلاله لمن أضله»[١].

ويتوب على من اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله من لا يصلح للتوبة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦]، وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٦][٢].

ويعطي ويمنع ويغني ويفقر لحكمة تامة، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٢٨][٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص١٧٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص٣٣٣).

ويجعل لكل شيء قدرًا، ولكل أمر منتهىٰ، بحسب ما تقتضيه حكمته الربانية: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[يوسف:٨٣][1].

حكمته سُبْحَانَهُ في دينه وشرعه:

يحكم الله سُبْحَانَهُ في عباده بشرعه أمرًا ونهيًا، وتحليلًا وتحريمًا لحكمة ومصلحة عائدة علىٰ العباد في الدارين، قال تَعَالَى في آيات الأحكام: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٠]، وقال: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النور:١٨].

اقتضت حكمته سُبْحَانَهُ أن لا يترك عباده هملًا ولا سدىٰ، بل يبعث فيهم الرسل وينزل الكتب، فيأمرهم وينهاهم، قال تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٢ - ٤][2].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأي حكمة أجلُّ من هذا، وأي فضل، وكرم أعظم من هذا؛ فإن معرفته تَعَالَى، وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص ٤٠٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٦٠١، ٨٦٢).

له وحده، وشكره، والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده علىٰ الإطلاق، وأَجَلُّ الفضائل لمن مَنَّ الله عليه بها، وأكمل سعادة، وسرورًا للقلوب، والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلىٰ السعادة الأبدية، والنعيم الدائم.

فلو لم يكن في أمره، وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة، وحق الجزاء، وخلقت الجنة، والنار؛ لكانت كافية شافية.

هذا وقد اشتمل شرعه ودينه علىٰ كل خير، فأخباره تملأ القلوب علمًا، ويقينًا، وإيمانًا، وعقائد صحيحة تستقيم بها القلوب، ويزول انحرافها، وتثمر كل خلق جميل، وعمل صالح، وهدىً، ورشد، وأوامره ونواهيه محتوية علىٰ عناية الحكمة، والصلاح والإصلاح للدين والدنيا؛ فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهىٰ إلا عما مضرته خالصة أو راجحة»[1].

وقد أكد سُبْحَانَهُ هذا المعنىٰ عند ذكره لبعض الأحكام، منها:

١- الزكاة ومصارفها، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٦٠].

٢- الطلاق وأحكامه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٢٨].

---

(١) الحق الواضح المبين (ص٥١-٥٢).

٣- عدة المتوفى عنها زوجها وأحكامها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٠].

٤- الحدود وأحكامها، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة:٣٨].

٥- المواريث وأحكامها، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء:١١].

فسبحان من بحكمته خلق الخلق، و ابتدأه بالحكمة، وجعل غايته و المقصود منه الحكمة، وسبحان من بالحكمة أوجد الأمر والنهي في قضائه وشرعه، وكانت غايته المقصودة: الحكمة[1]، وسبحان من لحكمته وعزته سبح من في السموات والأرض بحمده، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الحديد:١]، وقال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[الجمعة:١][2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٥١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٨٤٩).

الأثر الثاني: دلالة اسمي الله (الحكم، الحكيم) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في اسمي الله (الحكم، والحكيم) وما يتضمنهما من كمال الحكم الصادر عن ملك مطلق، وعلم تام، وخبرة كاملة، وحكمة عظيمة، وعدل لا جور معه، ورحمة بلغت أن كانت أرحم من الوالدة بولدها، بل صدرت ممن له الكمال المطلق الذي لا شيء يقربه ولا يماثله لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١][1] فلا نقص في حكمه ولا عيب ولا خلل ولا إخلال، ولو فرضت العقول وقدرت أكمل ما يكون من الأحكام لكان حكمُه أجلَّ وأعظمَ.

إذا تأمل العبد ذلك كله؛ ساقه لتوحيد الحاكم الحكيم في الحكم، فانقاد لحكمه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]، وقال كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ»[2] ولم يرض حاكمًا سواه، ولا حكمًا غير حكمه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام:١١٤]، «أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه؛ فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل علىٰ النقص، والعيب، والجور»[3].

وقد قرر سُبْحَانَهُ أن الحكم كله له وحده لا شريك له، في مواضع عدة من كتابه بأساليب مختلفة، منها:

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١)، تفسير السعدي (ص٧٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٢٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٩) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) تفسير السعدي (ص٢٧٠).

١- بيان اختصاصه بالحكم، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢].

٢- بيان كمال حكمه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨].

٣- الأمر برد الحكم إليه ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠].

٤- الأمر بتحكيم كتابه، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩].

٥- نفي أن يكون له شريك في الحكم، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦].

٦- الإنكار والتشنيع على من اتخذ حكمًا غير حكمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ

ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:٦٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٥٠].

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينكر تَعَالَىٰ علىٰ من خرج عن حكم الله- المحكم المشتمل علىٰ كل خير، الناهي عن كل شر- وعدل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية»[1].

٧- التحذير من الحكم بغير ما أنزل، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٤٩، ٥٠]، فحذر من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير والصغير والكبير، وبيَّن أن التولي عن حكمه وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم.

فتبين مما سبق: أن توحيد الله سُبْحَانَهُ في الحكم، وتحكيم شرعه واجب وفرض متعين علىٰ الفرد، والمجتمع، ومن لم ير الكفاية في شرع الله تَعَالَىٰ فأعرض عنه أو بدله بغيره ولو في بعضه؛ فإن هذا العمل شرك في الطاعة والاتباع، وشرك في توحيد الربوبية أيضًا؛ لأن من خصائصها السيادة، والحكم والتشريع، وكلها حق لله تَعَالَىٰ لا يجوز صرفها لغيره سُبْحَانَهُ[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١).

(٢) ينظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص٢٧٦، وما بعدها)، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد، لابن العثيمين (٢/ ١٤٩، وما بعدها).

ومن تأمل في وحدانية الله بالحكم المشتمل علىٰ الحكمة؛ دله ذلك علىٰ نوع آخر من التوحيد، ألا وهو توحيد الألوهية، فعلم أن من بيده الحكم وإليه الأمر والشرع هو المستحق وحده أن يفرد بالعبادة؛ فإن كل من دونه محكوم عليه لا حاكم، ليس له من الأمر شيء، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠][1]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ:٢٧].

ودله- أيضًا- علىٰ توحيد الأسماء والصفات، فعلم أن من له الحكم لا بد أن يكون سميعًا بصيرًا عليمًا خبيرًا متكلمًا قادرًا مدبرًا، إلىٰ غير ذلك من أسماء وصفات كماله سُبْحَانَهُ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]

الأثر الثالث: التدبر في كتاب الله الحكيم:

القرآن كتاب الله المنزل من لدن حكيم خبير، قال تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦]، فإذا كان من عند الحكيم الخبير تكلم به وأنزله حكمًا وهدىٰ ورحمة ونورًا وموعظة وذكرىٰ للعالمين، فلا ريب أن يكون في غاية الإحكام والاتقان، مشتملًا علىٰ الحكمة البالغة، والرحمة الواسعة،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٢٧٠).

قال تَعَالَىٰ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس:١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:١، ٢]، وقال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [فصلت:١] فأتقن وأحسن ونظم نظما محكما لا يلحقه تناقض ولا خلل ولا نقص ولا باطل: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

وإحكام الكتاب له أوجه عدة، منها:

١- أن آياته جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها، وأبينها وأدقها دلالة.

٢- أن كل كلمة وكل عبارة مقصودة، وكل معنىٰ فيها وكل توجيه مطلوب، وكل إيماءة وكل إشارة ذات هدف معلوم؛ فلا حشو فيه ولا زيادة.

٣- أن آياته محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف.

٤- أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء، ولم يأت ولن يأتي علم محسوس ولا معقول صحيح يناقض ما دلت عليه.

٥- أنه حكيم في هدايته وأمره ونهيه؛ فآياته جاءت موافقة للحكمة، فما أمر بشيء إلا وهو خالص المصلحة، أو راجحها، وما نهىٰ عن شيء إلا وهو خالص المفسدة أو راجحها، وكثيرًا ما يجمع بين ذكر الحكم وحكمته، فينبه العقول علىٰ المناسبات والأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها.

٦- أن آياته جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة، وتحتكم، فتعمل بالحزم.

٧- أن آياته المتكررة، كالقصص، والأحكام ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف.

٨- أن آياته لا ناسخ لها من غيرها، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لم ينسخها كتاب، بخلاف التوراة والإنجيل»[(١)].

فعلىٰ العبد أن يتدبر هذه الأوجه ويتأملها في كتاب ربه، ويعمل عقله فيه متفكرًا؛ حتىٰ تنفتح له من أسراره وعجائبه ما يبهر عقله ويذهل لبه، فيجزم جزمًا لا مرية فيه أنه تنزيل من حكيم حميد[(٢)].

ثم إذا تقرر إحكام الكتاب، فما معنىٰ قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[آل عمران:٧]؟

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر تَعَالَىٰ أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها علىٰ أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة علىٰ كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلىٰ الواضح منه، وحكم محكمه علىٰ متشابهه عنده، فقد اهتدىٰ، ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧] أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد.

وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه: فروي عن السلف عبارات كثيرة... وأحسن ما قيل فيه: الذي قدمناه، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٣)، وتفسير السعدي (ص٦٤٦، ٦٩٢).

بن يسار رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] فيهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه.

قال: والمتشابهات في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلىٰ الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلىٰ الباطل، ولا يحرفن عن الحق»[1].

الأثر الرابع: التأمل في إحكام الحكيم لخلقه:

إذا عرف العبد اسم الله (الحكم- الحكيم) وما فيهما من حكمة تقتضي إحسان الخلق واتقانه وإحكامه؛ سعىٰ في التأمل في خلق الله ومشاهدة عجيب صنعه، مستشعرًا قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:١٩٠].

فإذا نظر وتأمل وجد خلقًا عجيبًا وصنعًا بديعًا لا ثغرة ولا خلة، و لا نقص، ولا تفاوت ولا نسيان.

الصغير والكبير، والجليل والحقير، كل شيء خُلق بحكمة، فوُضع في موضعه الذي لا يليق به سواه، وخُص من الصفات والإشكال والهيئات والمقادير ما يناسبه، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[الروم:٢٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦-٧).

خلق السماء بحكمة فتناسبت من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من القمر والشمس والكواكب النيرات الثوابت منهن والسيارات، فكمل حسنها، وانتفىٰ عنها النقص والعيب، حتىٰ أمر الله بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٣] عاجزًا عن أن يرىٰ خللًا أو فطورًا، ولو حرص غاية الحرص[1].

وخلق الإنسان بحكمة، فبدأ خلقه من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل له السمع والأبصار والأفئدة، قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون:١٢ - ١٤].

خلق الليل، والنهار، والبحار، والجبال، والأشجار وألوان الثمار إلىٰ غير ذلك من مخلوقاته، كل ذلك بإحكام وإتقان يدهش العقول ويحير الألباب، فتبارك الله الحكيم الخبير.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن له نظر صحيح وفكر مستقيم وأعطىٰ التأمل حقه؛ شهد بذلك فيما رآه وعلمه، واستدل بما شاهده علىٰ ما خفي عنه؛ فإن الكل صنع الحكيم العليم، ويكفي في هذا ما يعلمه من حكمة خلق

(١) تفسير السعدي (ص٨٧٥).

الحيوان وأعضائه وصفاته وهيئاته ومنافعه، واشتماله علىٰ الحكمة المطلوبة منه أتم اشتمال، وقد ندب سُبْحَانَهُ عباده إلىٰ ذلك؛ فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]... إلىٰ آخرها.

وكذلك جميع ما يشاهد من مخلوقاته عاليها وسافلها، وما بين ذلك، إذا تأملها صحيح التأمل والنظر؛ وجدها مؤسسة علىٰ غاية الحكمة، مغشاة بالحكمة، فقرأ سطور الحكمة علىٰ صفحاتها، وينادي عليها هذا صنع العليم الحكيم، وتقدير العزيز العليم...

ومن نظر في هذا العالم وتأمل أمره حق التأمل علم قطعًا أن خالقه أتقنه وأحكمه غاية الإتقان والإحكام؛ فإنه إذا تأمله وجده كالبيت المبني المعد فيه جميع عتاده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والمنافع مخزونة كالذخائر، كل شيء منها لأمر يصلح له، والإنسان كالمالك المخول فيه، وضروب النبات مهيأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصرفة في مصالحه، فمنها ما هو للدر والنسل والغذاء فقط، ومنها ما هو للركوب والحمولة فقط، ومنها ما هو للجمال والزينة، ومنها ما يجمع ذلك كله كالإبل، وجعل أجوافها خزائن لما هو شراب وغذاء ودواء وشفاء، ففيها عبرة للناظرين وآيات للمتوسمين، وفي الطير واختلاف أنواعها وإشكالها وألوانها ومقاديرها ومنافعها وأصواتها، صافات وقابضات وغاديات ورائحات ومقيمات وظاعنات؛ أعظم عبرة، وأبين دلالة علىٰ حكمة الخلاق العليم»[1].

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٤/ ١٥٦٦- ١٥٦٧).

الأثر الخامس: محبة الله تَعَالَىٰ الحكم الحكيم:

إذا تعرف العبد علىٰ اسم ربه الحكم الحكيم وشاهد آثارهما من إنزال الكتاب الحكيم الذي به يخرج العبد من الظلمات إلىٰ النور ويهدىٰ به الصراط المستقيم، وشهد الخلق البديع والصنع المتقن للكون حوله، وتسخير ذلك كله له ولبني جنسه؛ فطابت بذلك حياتهم ونعمت، وشهد حكمه البالغة في أقداره، والمصالح الكبرىٰ في شرعه التي حفظ بها للإنسان دينه، ونفسه، وعقله، وماله، وعرضه، وكفل له بها الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة؛ ساق ذلك كله قلبه للتعلق به والتوجه له بالمحبة والذل.

الأثر السادس: التعامل مع أحكام الحكيم بما يحب:

إذا تأمل العبد في اسم الله (الحكم- الحكيم) وشهد آثارهما في خلقه وشرعه، تعامل مع أحكامهسُبْحَانَهُ بما يجب عليه تجاهها، وقد أوضح ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال:

«الأحكام ثلاثة:

الأول: حكم شرعي ديني: فهذا حقه أن يُتَلَقَّىٰ بالمسالمة والتسليم، وترك المنازعة، بل الانقياد المحض، وهذا تسليم العبودية المحضة، فلا يعارَض بذوق ولا وجد، ولا سياسة، ولا قياس ولا تقليد، ولا يرىٰ إلىٰ خلافه سبيلًا ألبتة، وإنما هو الانقياد المحض والتسليم والإذعان والقبول، فإذا تلقىٰ بهذا التسليم والمسالمة إقرارًا وتصديقًا؛ بقي هناك انقياد آخر وتسليم آخر له، إرادة وتنفيذًا وعملًا، فلا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره، وهذا حقيقة القلب السليم الذي سلم

من شبهة تعارض الحق، وشهوة تعارض الأمر.

ومن التسليم: عدم السؤال عن تفاصيل الحكمة؛ ولهذا لم يحك الله سُبْحَانَهُ عن أمة نبي صدقت نبيها، وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به، ونهاها عنه، وبلغها عن ربها، بل انقادت، وسلمت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها، وإيمانها، واستسلامها علىٰ معرفته، ولا جعلت طلبه من شأنها... بل يسلم لأمر الله وحكمته، ممتثلًا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر، أو فقهها العقل، كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثال، وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده، ولم يقدح في امتثاله»[1].

«**الحكم الثاني**: **الحكم الكوني القدري**: الذي للعبد فيه كسب واختيار وإرادة، والذي إذا حكم به يسخطه ويبغضه ويذم عليه، فهذا حقه أن ينازع ويدافع بكل ممكن، ولا يسالم ألبتة، بل ينازع بالحكم الكوني- أيضًا- فينازع حكم الحق بالحق للحق فيدافع به وله، فإن ضاق ذرعك عن هذا الكلام وفهمه، فتأمل قول عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقد عوتب علىٰ فراره من الطاعون، فقيل له: أتفر من قدر الله؟ فقال: (نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله)[2].

ثم كيف ينكر هذا الكلام من لا بقاء له في هذا العالم إلا به، ولا تتم له مصلحة إلا بموجبه، فإنه إذا جاءه قدر من الجوع والعطش أو البرد نازعه وترك الانقياد له ومسالمته، ودفعه بقدر آخر من الأكل والشرب واللباس، فقد

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٤/ ١٥٦٠- ١٥٦١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٧٢٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٢١٩).

دفع قدر الله بقدره، وهكذا إذا وقع الحريق في داره فهو بقدر الله، فما باله لا يستسلم له ويسالمه ويتلقاه بالإذعان؟ بل ينازعه ويدافعه بالماء والتراب وغيره حتىٰ يطفئ قدر الله بقدر الله، وما خرج في ذلك عن قدر الله، هكذا إذا أصابه مرض بقدر الله دافع هذا القدر ونازعه بقدر آخر يستعمل فيه الأدوية الدافعة للمرض، فحق هذا الحكم الكوني أن يحرص العبد علىٰ مدافعته ومنازعته بكل ما يمكنه، فإذا غلبه وقهره حرص علىٰ دفع آثاره وموجباته بالأسباب التي نصبها الله لذلك، فيكون قد دفع القدر بالقدر، ونازع الحكم بالحكم، وبهذا أُمِر، بل هذا حقيقة الشرع والقدر.

الحكم الثالث: وهو الحكم القدري الكوني: الذي يجري علىٰ العبد بغير اختياره، ولا طاقة له بدفعه ولا حيلة له في منازعته؛ فهذا حقه أن يتلقىٰ بالاستسلام والمسالمة، وترك المخاصمة، وأن يكون فيه كالميت بين يدي الغاسل، وكمن انكسر به المركب في لجة البحر، وعجز عن السباحة وعن سبب يدنيه من النجاة، فها هنا يحسن الاستسلام والمسالمة، مع أن عليه في هذا الحكم عبوديات أخر سوىٰ التسليم والمسالمة، وهي: أن يشهد عزة الحاكم في حكمه، وعدله في قضائه، وحكمته في جريانه عليه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الكتاب الأول سبق بذلك قبل بدء الخليقة، فقد جف القلم بما يلقاه كل عبد، فمن رضي فله الرضىٰ، ومن سخط فله السخط، ويشهد أن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضاها اسم (الحكيم) جَلَّجَلَالُهُ، وصفته الحكمة، وأن القدر قد أصاب مواقعه وحل في المحل الذي ينبغي له أن ينزل به، وأن ذلك أوجبه عدل الله وحكمته وعزته

وعلمه وملكه العادل، فهو موجب أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، فله عليه أكمل حمد وأتمه، كما له الحمد علىٰ جميع أفعاله وأوامره»[1].

الأثر السابع: الأسباب المعينة علىٰ الرضىٰ بحكم الحكيم:

إذا تيقن العبد اسم ربه (الحكم- الحكيم) قاده ذلك لتسليم والرضىٰ بالقضاء والقدر؛ لعلمه أن ما قدر عليه حكم الحكيم الذي هو أرحم به من نفسه، وأعلم بالعواقب منه، وأخبر بما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦][2].

وهنا جملة من الأمور تعين العبد علىٰ الرضىٰ بالقضاء والقدر:

١- **الإيمان بالقضاء والقدر**: كل ما زاد إيمان العبد ويقينه بقضاء الله وقدره زاده ذلك رضىٰ وتسليمًا؛ فإذا تيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنا ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الكل لم يخرج عن كتاب الله الذي كتب فيه المقادير، كما قال سُبۡحَانَهُ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢]، وقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[3] اطمأنَّ قلبه وانشرح لحكم الله، فرضي به، وسلَّم، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن:١١].

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص٣٧-٣٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٣)، وتفسير السعدي (ص٩٧).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٥٣).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه»(١).

وروىٰ مسلم من حديث صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٢).

٢- استشعار ما يترتب عليها من ثواب وتكفير للسيئات: جاء في النصوص ما يدل علىٰ عظيم الأجر لأصحاب البلاء، لا سيما إذا صبروا وسلموا لحكم الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة:١٥٥ - ١٥٧]، وجاء في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يودُّ أهلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعطَىٰ أهلُ البلاءِ الثوابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ**»(٣)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أذًىٰ وَلَا غَمٍّ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةُ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(٤)،

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٩).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٩٤٥١)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٤١).

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[1].

٣- **معرفة حقيقة الدنيا:** فالعبد إذا تيقن أن الدنيا طبعت علىٰ كدر، والإنسان فيها كادح ومكابد، وأنها لا تصفو لأحد، ولو صفت لصفة للخليلين إبراهيم ومحمد صلىٰ الله عليهما وسلم، وأنها سجن المؤمن، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»[2]، وأن المؤمن إذا مات استراح من نصبها وشدتها، كما روىٰ البخاري ومسلم عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يحدث: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ»[3]؛ قاده ذلك كله للتسليم والرضىٰ.

٤- **الدعاء:** الثبات والتثبيت عند نزول المصاب هو من الله عَزَّوَجَلَّ وحده، فالمثبت من ثبته الله، والراضي من أرضاه الله، والصابر من صبره الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، وقال عن أم موسىٰ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص:١٠]،

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٤٧٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٩٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٨١٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٥٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥١٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٥٠).

وحكىٰ عن قوم طالوت سؤالهم الثبات، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠]؛ فكانت العاقبة النصر: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة:٢٥١]، ومن هنا كان الدعاء من أهم الأسباب المحصلة للرضىٰ والتسليم، وقد علمنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سؤال الله الرضىٰ بقوله: «**وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ**»(١).

والدعاء يكون وقاية ويكون علاجًا، ودعاء الوقاية يكون قبل وقوع المكروه، ومن ذلك: دعوة إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم:٤٠]، وقول أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كنت أخدم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكنت كثيرًا ما أسمعه يقول: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»(٢).

وأما العلاج فيكون بعد الوقوع، ومنه: دعوة أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، ويونس: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧]، وغيرهما من الأنبياء.

٥- **الصلاة**: إذا نزلت الأقدار والمصائب علىٰ العبد ثم توجه لصلاة؛

---

(١) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (١٣٠٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث :(١٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٤٢٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٦).

نهته صلاته عن الاعتراض على أحكام الله والتسخط عليها، وأورثت قلبه الطمأنينة والسكينة، فقاده ذلك لتسليم والرضى، لذا أمر الله عباده أن يستعينوا بها على شؤونهم كلها، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر فزع إليها[1].

٦- التفكُّر والتدبُّر:

أ- التفكر في نعم الله على العبد، ومصائب الناس من حوله؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: عَلَيْكُمْ**»[2].

ب- التفكر في المصيبة، متأملًا ومستشعرًا قوله تَعَالَى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦].

هذه الآية التي من تأملها وتدبرها ساقت قلبه للاطمئنان والسكون، فيرضى ويقنع، فلعل وراء المكروه خير، ولعل وراء المحبوب شر؛ فالإنسان لا يدري أين يكون الخير وأين يكون الشر!

خرج المسلمون يوم بدر يطلبون عير قريش وتجارتها، ويرجون أن تكون الفئة التي وعدهم الله إياها هي فئة العير والتجارة، لا فئة الحامية المقاتلة من قريش، كما قال تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ

---

(١) عن حذيفة، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّىٰ»، أخرجه أبو داود رقم الحديث: (١٣١٩) حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٩٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٩٦٣) واللفظ له.

أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال:٧]، لكن الله جعل القافلة تفلت، ولقاهم المقاتلة من قريش، فكان النصر الذي دوىٰ في الجزيرة العربية ورفع راية الإسلام، فأين تكون القافلة من هذا الخير الضخم الذي أراده الله للمسلمين؟ وأين يكون اختيار المسلمين لأنفسهم من اختيار الله لهم؟ والله يعلم والناس لا يعلمون!

ولقد نسي فتىٰ موسىٰ ما كانا قد أعداه لطعامهما- وهو الحوت- فتسرب في البحر عند الصخرة ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:٦٢ - ٦٤]، وكان هذا هو الذي خرج له موسىٰ، ولو لم يقع حادث الحوت ما ارتدَّا، ولفاتهما ما خرجا لأجله في الرحلة كلها!

وكل إنسان- في تجاربه الخاصة- يستطيع حين يتأمل أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم، ولذات كثيرة كان من ورائها الشر العظيم، وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات علىٰ فوته، ثم تبين له بعد فترة أنه كان إنقاذًا من الله أن فوَّت عليه هذا المطلوب في حينه.

وكم من محنة تجرعها الإنسان لاهثًا يكاد يتقطع لفظاعتها، ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشئ له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل، إن الإنسان لا يعلم، والله وحده يعلم.

الأثر الثامن: الحكم بما أنزل الحكيم:

إذا علم العبد أن ربه الحكم الحكيم، الذي من رحمته وحكمته أن جعل التحاكم بين العباد بشرعه ووحيه؛ لأنه المنزه عما يصيب البشر من الضعف والهوىٰ والعجز والجهل؛ سعىٰ لتحكيم شرعه في نفسه وحياته كلها، لسان حاله ومقاله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[الأنعام:٥٧].

وتحكيم شرع الله يعني: إعمال شريعة الإسلام في كل ما يتعلق بأمر الفرد والمجتمع والدولة، من معاملات وجنايات وعلاقات دولية وتجارية وشخصية.

فيشمل ذلك:

١-تطبيق شريعة الإسلام في كل ما يتعلق بأمور البلاد والعباد.

٢- سياسة الناس والقضاء بينهم وتدبير أمورهم؛ طبقًا للأحكام الشرعية، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٤٩، ٥٠].

الأثر التاسع: عدم التسمي باسم الحكيم:

الله سُبْحَانَهُ هو الحكم الحق الذي لا يليق أن يوصف غيره بهذا الاسم؛ فعن هانئ بن يزيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه لما وفد إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكَنَّىٰ أَبَا الْحَكَمِ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ**

أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ . قَالَ : فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟ قُلْتُ : شُرَيْحٌ . قَالَ : فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[1]، فغيَّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيته (أبا الحكم)؛ كراهية لتكنيه بهذا الاسم والتسمي به[2].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «غيره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمرين: الأول: أن الحكم هو الله، فإذا قيل: يا أبا الحكم! كأنه قيل: يا أبا الله!

الثاني: أن هذا الاسم، الذي جعل كنية لهذا الرجل، لوحظ فيه معنىٰ الصفة وهي الحكم؛ فصار بذلك مطابقًا لاسم الله، وليس لمجرد العلمية المحضة، بل للعلمية المتضمنة للمعنىٰ، وبهذا يكون مشاركًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في ذلك، ولهذا كناه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ينبغي أن يكنىٰ به»[3].

الأثر العاشر: السعي للاتصاف بالحكمة:

الحكمة من أفضل الهبات والعطايا، وصاحبها أوتي خيرًا كثيرًا، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]؛ لأنه خرج بها من ظلمة الجهالات إلىٰ نور الهدىٰ، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلىٰ إصابة الصواب فيها، وحصول السداد، ولأنه كمل نفسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع، في دينهم ودنياهم،

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٩٥٥)، والنسائي، رقم الحديث: (٥٤٠٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (٥٣٨٧).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٣) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (٢/ ٢٦٣).

ولأن جميع الأمور لا تصلح ولا تستقيم إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء في مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام[1].

فعلىٰ المسلم أن يسعىٰ لتحصيلها وتحقيقها في نفسه، متخذًا الأسباب التي أقامها الله، وجعلها أسبابًا لنيل هذا الخير العظيم، وقد تناولها الملحق الآتي، ما يعين علىٰ ذلك- بإذن الله-.



(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٥٧).

«حكيم يحب الحكماء»

سنتطرق في موضوع الحكمة لعدة مسائل، وهي:

أولًا: تعريف الحكمة:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكمة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي»[1].

ثانيًا: منزلة الحكمة وفضلها:

الحكمة من الخصال الحميدة والأخلاق الكريمة التي رفع الشارع منزلتها وأعلى من شأنها وبين فضيلتها، ومن ذلك:

١- أن الله قرن الخير الكثير بها، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٢- أن الله امتنَّ بها على عبده الفاضل لقمان وأمره بشكره عليها، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:١٢].

٣- أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرع تمنيها والغبطة عليها، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى [١/ ٢٦] هَلَكَتِهِ فِي

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٤٩).

الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[1].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهي أن يتمنىٰ أن يكون له مثل ما لغيره، من غير أن يزول عنه... فكأنه قال في الحديث: لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين»[2].

أ- أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا بها لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**»[3]، ومعلوم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يختار من الدعاء إلا أفضله.

ب- أن الله جعلها أول مراتب الدعوة إليه، فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥].

ثالثًا: وسائل تحقيق الحكمة[4]:

الحكمة من الصفات الفطرية التي يمنُّ بها الحكيم علىٰ من يشاء من عباده، إلا أنه سُبۡحَانَهُ من رحمته وكرمه أقام أسبابًا تكتسب بها وتنمىٰ، والتي منها:

١- **الدعاء**: لأن الله عَزَّ وَجَلَّ مسديها والممتن بها علىٰ من يشاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٦).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٦٧).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٧٥٦).

(٤) ينظر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، مجلة البحوث الإسلامية.

﴿يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩]، وقد دعاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**».

٢- **العلم**: وأساسه وأهمه: العلم بالكتاب والسنة؛ لذا جاء في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] بأن الحكمة: فهم القرآن والفقه فيه، وجاء في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:٣٤] بأن الحكمة: السنة.

ثم سائر العلوم النافعة التي تثري الثقافة، وتزيد المعرفة، وتوسع الأفق، وتنمي الإدراك، وتطور الفكر.

٣- **البعد عن الذنوب والمعاصي**: لأن الحكمة هبة من الله ونور منه، ونوره لا يهدىٰ لعاص، إضافة إلىٰ أن المعاصي تزيل النعم، وتجلب النقم، وتورث الذل وتفسد العقل، فلا يوفَّق صاحبها لا في أقواله ولا أفعاله.

٤- **الصدقة**: قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة:٢٦٧ - ٢٧٠]... الآيات.

فيلاحظ أن الله أدخل الحكمة بين آيات الصدقة والإنفاق، وكأن الصدقة سبب من أسباب تحصيل الحكمة والإصابة في القول والعمل.

٥- **الحلم**: وهو: ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب.

٦- **الأناة**: وهي: التثبت والتروي والتبصر في الأمور، وعدم العجلة فيها.

فمن رُزِق هاتين الصفتين كانتا سببًا من أسباب انضباط أفعاله وأقواله وحسن تدبيره، فتحصل بهما الحكمة.

٧- **الصمت**: فهو صفة من صفات الحكماء كما جاء عن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ:

قال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمعت الاطباء علىٰ أن رأس الطب: الحمية، وأجمع الحكماء علىٰ أن رأس الحكمة: الصمت»[١].

وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت، ويهرب من الناس فاقتربوا منه، فإنه يلقي الحكمة»[٢].

قال وهيب بن الورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: «الحكمة عشرة أجزاء: فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس»[٣].

قال الربيع بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مكتوب في الحكمة: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل في مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم»[٤].

نسأل الله أن يرزقنا الحكمة؛ فإنه من يؤتَ الحكمةَ فقد أوتي خيرًا كثيرًا.



---

(١) الصمت، لابن أبي الدنيا (ص٢٧٨).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

الحَليمُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... والحلم بالكسر: الأناة، تقول منه: حلم الرجل بالضم، وتحلَّم: تكلف الحلم... »(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حلم) الحاء واللام والميم، أصول ثلاثة: الأول ترك العجلة...

فالأول: الحلم خلاف الطيش، يقال: حلمت عنه أحلم؛ فأنا حليم»(٢).

ورود اسم الله (الحليم) في القرآن الكريم:

ورد اسم (الحَليم) إحدىٰ عشرة مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥].

٢- قوله تَعَالَىٰ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣].

٣- قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥١].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٩٠٣).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٩٣).

ورود اسم الله (الحليم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الحليم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو عند الكرب: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»(١).

٢- وعن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ غُفِرَ لَكَ عَلَىٰ أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَكَ ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»(٢).

معنى اسم الله (الحليم) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥]-: «يعني: أنه ذو أناة، لا يعجل علىٰ عباده بعقوبتهم علىٰ ذنوبهم»(٣).

وقال - أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]-: «إن الله كان حليمًا لا يعجل علىٰ خلقه الذين يخالفون أمره، ويكفرون به، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٨٠)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٧٦٣٠)، حكم الألباني: صحيح لغيره، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٦٨٨٩).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٦).

(٤) المرجع السابق (١٩/ ٦٠٧).

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحليم هو الذي لا يعاجل بالعقوبة»[١].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحليم: هو ذو الصفح، والأناة، الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص»[٢].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها: الحليم، لأن معناه: الذي لا يحبس أنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع وهو منهمك في معاصيه»[٣].

❊ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الحليم) هو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقدارًا فهو منته إليه»[٤].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واسم (الحليم) من حلمه عن الجناة والعصاة، وعدم معاجلتهم»[٥].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحليم الذي يرىٰ عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم، فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]»[٦].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص٤٥).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٦٣).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٠-٢٠١).

(٤) النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٣٣-٤٣٤).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ٣٣١).

(٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٥٧).

❊ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحليم الذي يدرُّ علىٰ خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا»[1].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَهْوَ الحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ   بِعُقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِنْ عِصْيَانِ[2]

اقتران اسم الله (الحليم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الحليم) باسم الله (العليم):

اقترن اسم الله الحليم باسمه العليم في ثلاث آيات من كتاب الله، منها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥١].

وجه الاقتران:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا جاء اسمه (الحليم) في القرآن في أكثر من موضع، ولسعته يقرنه سُبْحَانَهُ باسم (العليم) كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥١]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢]... فإن المخلوق يحلم عن جهل، ويعفو عن عجز، والرب تَعَالَىٰ يحلم مع كمال علمه، ويعفو مع تمام قدرته، وما أضيف شيء إلىٰ شيء أزين من حلم إلىٰ علم ومن عفو إلىٰ اقتدار»[3].

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٤٨).

(٢) النونية (ص٢٠٧).

(٣) عدة الصابرين (ص٢٧٦).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الحليم) باسم الله (الغفور):

اقترن اسم الله الحليم باسمه الغفور في ست آيات من كتاب الله، من وروده:

قوله تَعَالَى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥].

وجه الاقتران:

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي مناسبة اقتران وصف (الغفور) (بالحليم) هنا، دون (الرحيم)؛ لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تَعَالَى؛ فلذلك وصف الله نفسه بالحليم؛ لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للفعلة، ويقبل المعذرة»[1].

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الغني):

اقترن اسم الله الحليم باسمه الغني في قوله تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣]؛ لدلالة علىٰ أن حلمه ليس عن عجز أو فقر أو حاجة بل عن غنىٰ تام، وقدرة كاملة.

وجه الاقتران:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذا الاقتران في الآية الكريمة: «أنه مع غناه التام من كل وجه فهو الموصوف بالحلم والتجاوز والصفح، مع عطائه

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٨٤).

الواسع وصدقاته العميمة، فكيف يؤذي أحدكم بمنه وأذاه مع قلة ما يعطي ونزارته وفقره!»[١].

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الشكور):

اقترن اسم الله الحليم باسمه الشكور في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧]

وجه الاقتران:

لدلالة علىٰ أنه يشكر لعبده طاعته وإحسانه، مع حلمه عليه إذا قصر في عبادة الله.

خامسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحليم) باسمه سُبْحَانَهُ (العظيم):

اقترن اسم الله الحليم باسمه العظيم في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في دعاء الكرب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ،...** »[٢].

وجه الاقتران:

١- أن حلمه سُبْحَانَهُ عن قوة وعظمة، وليس عن عجز وحاجة.

٢- أن عظمته يزينها الحلم؛ لأن الغالب في عظماء البشر وملوكهم ضعف الحلم عندهم؛ لأنهم يغترون بعظمتهم، ويبطشون بمن خالفهم ولا يحلمون عليهم، فبين تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن عظمته مقرونة بحلمه.

---

(١) طريق الهجرتين (ص٣٦٧).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٥٣).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحليم):

الأثر الأول: اثبات ما يتضمنه اسم الله (الحليم) من صفاته تعالىٰ:

الله سُبْحَانَهُ الحليم الذي له كمال الحلم وسعته، قال تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٣٥]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٣].

فأما كمال حلمه:

فهو **الحليم العليم** الذي صدر حلمه عن علم تام، فأحاط بكل شيء علمًا، لم يغب عنه معصية العاصي، ولا شرك المشرك، ولا كفر الكافر ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[الحج:٥٩].

وهو **الحليم العظيم** الذي صدر حلمه عن عظمة وقوة وقدرة تامة، فلم يعجزه ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء «**لا إله إلا اللهُ العظيمُ الحليمُ**»[1].

وهو **الحليم الغني** الذي صدر حلمه عن غنىٰ، فلم يحتج ويفتقر إلىٰ أحد كائن من كان ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٣][2].

وهو **الحليم الحكيم** الذي صدر حلمه عن حكمة كاملة لا سفه معها، يقدر الأمور ويضعها في مواضعها ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[القمر:٥].

وهو **الحليم الغفور الشكور** الذي صدر حلمه عن مغفرة وشكر، فيغفر الكثير من الزلل، ويقبل القليل من العمل، ويضاعفه بغير حساب، فيجعل

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٢٧٧).

القليل كثيرًا، والصغير كبيرًا ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧].

يرىٰ عباده وهم يكفرون به، ويراهم وهم يبارزونه بالعصيان ليل نهار، وهو قادر علىٰ أن ينتقم منهم ويبادرهم بالعقاب، مع غناه عنهم وعدم حاجته إليهم، ومع ذلك كله يحلم بهم؛ لحكمة، فيؤخر وينظر ويؤجل، ولا يعاجلهم بالعقاب، لعلهم يرجعون وينيبون، فإذا رجعوا قبل توبتهم وغفر خطيئتهم وشكر لهم سعيهم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥].

قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله عَزَّوَجَلَّ حليم عن عباده؛ لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم ويمهلهم بعد المعصية، ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام، ويقبل توبتهم بعد ذلك»[(١)].

وهو **الحليم** الذي لا يقطع نعمته عمن غفل عنها وقصر في شكرها، بل لربما نسبها لغيره وشكره عليها، ونسي واهبها ومسديها، فيحلم عليه، ويمده منها.

وهو **الحليم** الذي لا يمنع نعمته عمن عصاه، يواليهم بالنعم، ويغدق عليهم بالمنن مع معاصيهم وكثرة ذنوبهم، بل إن العاصي لا يمكنه أن يعصي إلا أن يتقوىٰ عليها بنعم الله عليه سمعًا وبصرًا ويدًا وقدمًا وصحة ومالًا ونحو ذلك، فيحلم به فلا يسلبها منه، ولا يحرمه منها، بل لربما زاده منها.

قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي لا يحبس إحسانه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع وهو منهمك في معاصيه، كما

---

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص٩٦).

يبقي البر التقي وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره، فضلًا عن أن يدعوه، كما يقيها الناسك الذي يسأله، وربما شغلته العبادة عن المسألة »[1].

بل من عظيم حلمه- جل في علاه- أن يعصي العاصي فيحلم به فيستره، ولا يفضحه، ويقيض له الأسباب لستره، ويكره منه أن يذيع معصيته ويشهر بها، حتىٰ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**»[2].

ومن عظيم حلمه به: أن أمر عباده بستره وعدم فضحه، ورتب علىٰ ذلك الثواب العظيم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

وهو **الحليم** الذي لولا حلمه لهلك العباد، قال تعالَى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، وقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨].

وهو **الحليم** الذي يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض، وأمسكهما من أن تزولا من كثرة ذنوب بني آدم، قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٠-٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٦٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٢).

وأما سعة حلمه:

فهو الحليم الذي وسع حلمه كل شيء، حلم علىٰ من أشرك به وعبد غيره، وحلم علىٰ من كفر به وعادىٰ أوليائه ورسله، وحلم علىٰ من حارب دينه وسعىٰ في إطفاء نوره، حلم علىٰ من شتمه وكذبه، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «**يَشْتُمُنِي وَتَكَذَّبَنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ. أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي**»[1][2].

وَسِعَ حلمُه من قال فيه قولًا تكاد السماوات والأرض تنفطر منه وتخر له الجبال هدًّا، أن دعوا للرحمن ولدًا، فصبر عليهم وأمهلهم وأنعم عليهم وعافاهم ورزقهم، كما جاء في حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذًىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**»[3].

ويدعوهم إلىٰ بابه بخطاب في غاية اللطف واللين؛ ليتوبوا من هذا الذنب العظيم، فيجازيهم بالثواب الجزيل ويغفره لهم، قال تعالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣، ٧٤][4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣١٩٣).

(٢) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (ص٢٣٨).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٧٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨٠٤).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٤٥٩).

وسع حلمُه فرعونَ مع شدة طغيانه وعتوه، وإفساده في الأرض، حتىٰ قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾، فحلم عليه، فلم يعاجله بالعقاب، وأمر رسله بالرفق معه في القول، فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[طه:٤٤]، وقال: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾[النازعات:١٨].

ووسع أصحابَ الأخدود، كفروا به وراودوا المؤمنين للرجوع عن دينهم ومتابعتهم علىٰ كفرهم، فامتنعوا، فشقوا الأخدود في الأرض وأججوا فيه النار، ثم فتنوا المؤمنين وعرضوهم علىٰ النار، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن امتنع قذفوه، وهذا في غاية المحاربة والمحادة لله وأوليائه، ومع ذلك كله حلم بهم ودعاهم للتوبة والرجوع، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾[البروج:١٠] قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة»[1].

ووسع حلمُه من استعجل عقابه ودعا بنزوله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[الأنفال:٣٢-٣٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[ص:١٦، ١٧].

وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾[يونس:١١].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٦٦، ٢٧١)، وتفسير السعدي (ص٩١٩).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تَعَالَى عن حلمه ولطفه بعباده: أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا علىٰ أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلىٰ إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم- والحالة هذه-لطفًا ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم وأولادهم بالخير والبركة والنماء؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس:١١] أي: لو استجاب لهم كل ما دعوه به في ذلك، لأهلكهم، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك، كما جاء في الحديث: حدثنا جابر قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[١][٢].

فما أعظم حلمه، وما أوسع فضله، وما أجزل عطاءه ومننه[٣].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الحليم) علىٰ التوحيد:

إذا علم العبد أن الله جَلَّ جَلَالُهُ له الكمال التام في أسمائه وصفاته الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه، ومن ذلك: اسمه الحليم: فحلم لا عن جهل، بل عن علم تام، وحلم لا عن حاجة، بل عن غنىٰ تام، وحلم لا عن عجز، بل عن قدرة تامة، حلم مع عظمته وجلاله، حلم فأمهل، وحلم فستر، وحلم فأنعم، وسع حلمه كل شيء؛ تيقن أنه لا شبيه له ولا يماثله شيء من مخلوقاته

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٠١٤).

(٣) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٥٦-٥٧).

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، فلا يستحق أن يشرك معه غيره ويعبد أحد سواه، بل هو الواحد الأحد جل في علاه.

الأثر الثالث: محبة الله تَعَالَىٰ الحليم:

إذا نظر العبد وتأمل في كثرة ذنوبه ومعاصيه، وكيف أن ربه الحليم ستره، فلم يفضحه، ولم يقطع عنه نعمه، فضلًا عن كونه لم يعاجله بالعقوبة، ثم التفت عن يمينه ويساره فوجد فلانًا قريبه علىٰ معصية، وصديقه فلانًا علىٰ معصية أخرىٰ، والكل ينعَم بحلم الله، ولولا حلمه لهلك، وهلك أحبابه والناس أجمعون! قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ﴾ [فاطر:٤٥]؛ قاده ذلك التأمل والنظر إلىٰ محبته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حق المحبة وأعظمها.

الأثر الرابع: عدم الاغترار بحلم الله:

إذا تيقن العبد معنىٰ اسم الله (الحليم) وما فيه من كمال وسعة، فعليه أن يضم لهذا اليقين يقينًا آخر، فالله الحليم حسيب يحفظ عمل العبد ولا يخفىٰ عليه شيء منه، والله الحليم قدير لا يعجزه أحد من خلقه ولا يفوته، بل الكل في قبضته، والله الحليم قوي عزيز لا يغلبه أحد ولا يمتنع عليه ممتنع، والله الحليم شديد العقاب، والله الحليم منتقم، والله الحليم بطشه شديد، يمهل ولا يهمل، فإذا أَخَذَ أَخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ، قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾[هود:١٠٢]»[1].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٦٨٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٨٣).

حلم علىٰ قوم نوح وما هم فيه من الشرك والكفر به ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلم يزدهم حلمه وإمهاله لهم إلا عنادًا وطغيانًا، وقدحًا في نبيهم، فقالوا: مجنون، وزجروه وعنفوه أن دعاهم إلىٰ الله، فلم يكفهم الكفر والتكذيب حتىٰ أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، فانتقم الحليم منهم، فقال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾[القمر: ١١ - ١٦][1].

حلم علىٰ عاد وثمود علىٰ ما هم فيه من الشرك والكفر والطغيان، فأعطاهم من القوة وعظم الأجسام ما أعطاهم، والقدرة علىٰ البناء الشيء العجيب، وأرسل إليهم الرسل وأيدهم بالآيات والبراهين، فلما لم تنفع فيهم الآيات والعبر، ولم تُجْدِ شيئًا؛ انتقم الحليم منهم، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[الحاقة: ٤ - ٨].

حلم علىٰ فرعون وقومه مع شدة بطشهم وطغيانهم، فأرسل إليهم موسىٰ الكليم، وأيده بالآيات الباهرات، والمعجزات القاهرات وأشهدهم من العبر ما لم يشهد عليه أحدًا غيرهم، فلما كذبوا بآيات الله كلها، وبيتوا القضاء علىٰ موسىٰ ومن معه؛ فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تَعَالَى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣][2].

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٨٢٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٨٢٧).

فالله حليم ولم يزل ولا يزال حليمًا، ولا يغضب إلا علىٰ من لا يستحق الرحمة ولا يصلح في حقه الحلم، وذلك بعد أن يعطيه المهلة والوقت الكافي؛ ليتوب ويهتدي، فإذا لم يرجع أخذه أخذ عزيز مقتدر.

وقد يمهله- أيضًا- ويتأنىٰ به ويرزقه ولا يعجله بعقوبة في الدنيا، لكن موعده الساعة، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢]، وقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٣ - ٤٨].

فإذا تيقن العبد سعة حلم الله تَعَالَى، وتيقن شدة عذابه، وجمع بين اليقينين، ولاحظ كلًّا منهما؛ سار علىٰ الصراط المستقيم، ولم يغتر بحلم الله عليه، وقام في قلبه المقامان العظيمان: مقام الخوف ومقام الرجاء اللذين جمع الله بينهما في كتابه، حتىٰ لا يغفل غافل عن أحدهما، فيحصل الإفراط أو التفريط، قال تَعَالَى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥]، وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وجمع بينهما رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٥٥).

الأثر الخامس: الحذر من الغفلة:

إذا علم العبد أن الله (حليم)، فليعلم أنه سُبْحَانَهُ يحلم ولا يعاجل بالعقوبة ليتوب العباد وينيبوا، لا لأن يغفلوا ويتمادوا في الكفر والعصيان كما هو مشاهد في كثير من الناس، قال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[يونس:٩٢].

والغفلة من أعظم أمراض القلوب وأخطرها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغفلة والهوىٰ أصل الشر، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، والهوىٰ وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل - أي: الغفلة -»[(١)].

وقد حذر الله منها، ونوّع الأساليب في ذلك مبالغةً في التحذير منها، ومن ذلك:

١- ذم الغافلين عن الآخرة، فقال تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[الروم:٧].

٢- قرن الغفلة بالتكذيب، قال تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف:١٤٦].

٣- عاقب من أصيب بالغفلة الكاملة، بالختم علىٰ قلبه، وسمعه، وبصره، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ

---

(١) الحسنة والسيئة، لابن تيمية (ص٦١).

لَا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾[الأعراف:١٧٩].

٤- عاقب صاحبها- أيضًا- بأن أغفله عن ذكره، وجعله متبعًا لهواه، فكان أمره ضائعًا معطلًا، قال تَعَالَى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[الكهف:٢٨].

٥- جعل الغفلة سببًا للهلاك في الدنيا، فقال في قوم فرعون: ﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾[الأعراف:١٣٥، ١٣٦].

٦- بين أن أهل الغفلة يتحسرون يوم القيامة علىٰ غفلتهم عن الآخرة، قال تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء:٩٦].

٧- جعل الغفلة سببًا لدخول النار- والعياذ بالله-، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[يونس:٧، ٨].

وللغفلة أسباب أوقعت كثيرًا من الناس فيها، منها:

١- الجهل بالله تَعَالَى: بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وشرعه.

٢- مخالطة أهل الغفلة، قال تَعَالَى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ

رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[الكهف:٢٨].

٣- ترك صلاة الجماعة: فعن ابن عباس، وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أنهما سمعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**»[1].

٤- طول الأمل، قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[الحجر:٣].

٥- قلة ذكر الموت، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق:٢٢].

٦- عدم التدبر في آيات الله الكونية، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[يوسف:١٠٥].

٧- الحرص على الدنيا وملذاتها والاستكثار منها، قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر:١].

٨- الاشتغال بالملهيات التي حذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الانغماس فيها، فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُتِنَ**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٢٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٧٩٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٧٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٨٥٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٢٥٦)، والنسائي، رقم الحديث: (٤٣٢٠) حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٢٥٦).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو محمول علىٰ من واظب علىٰ ذلك، حتىٰ يشغله عن غيره من المصالح الدينية وغيرها»[1] فإذا كان هذا في الصيد الذي فيه من المنافع ما فيه من تقوية البدن والإعانة علىٰ جهاد الأعداء، فما بالك بما دونه؟!

وكما أن للغفلة أسبابًا، فلها طرق علاج، منها:

١- العلم بالله وشرعه، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنىٰ- كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر»[2].

٢- التقوىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠١].

٣- قراءة القرآن وتدبره، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:٥٧]، وقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[الأنبياء:٥٠].

٤- ذكر الله تَعَالَىٰ علىٰ كل حال، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٦٦٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه - أي: الذكر - يورث جلاء القلب من صداه... وصدأ القلب: الغفلة والهوىٰ، وجلاؤه: الذكر والتوبة والاستغفار»(١).

٥- المحافظة علىٰ الصلوات الخمس؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ**»(٢).

٦- قيام الليل؛ فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: « **مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ**»(٣).

٧- صيام التطوع، لا سيما عند غفلة الناس؛ فعن أسامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ! قَالَ : ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»(٤).

٨- الدعاء بزوال الغفلة، ومنه: الاستعاذة بالله من مصدرها - الشيطان -، والاستعاذة بالله منها، لا سيما بما ورد عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدعو، يقول: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ**

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٤٢-٤٣).

(٢) أخرجه ابن خزيمة، رقم الحديث: (١١٤٢)، والحاكم رقم الحديث: (١١٦٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٣٩٨)، حكم الألباني، صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٣٩٨).

(٤) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (٢٣٥٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن النسائي رقم الحديث: (٢٣٥٧).

الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ، وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ، وَالْجُنُونِ، وَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ، وَسَيِّيءِ الْأَسْقَامِ»[1].

٩- تدبر حال الدنيا وأن مصيرها ومصير ملذاتها إلىٰ الفناء والزوال، قال الله تعالَى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

١٠- تذكر الموت والبلىٰ؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ؛ فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً**»[2]، وقال في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»[3] يعني: الموت.

الأثر السادس: اتصاف العبد بالحلم:

الله الحليم يحب أن يتصف عبده بصفة الحلم؛ لذا مدح أنبيائه به، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤]، وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥]، وقال عن إسماعيل: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لأشج عبد القيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**»[4].

---

(١) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (١٠٢٣)، والحاكم، رقم الحديث: (١٩٥٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٢٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٢٣٥)، والترمذي، رقم الحديث: (١٠٥٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٢٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٥٨)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧).

فإذا علم العبد ذلك فعليه أن يجاهد نفسه علىٰ التخلق بهذه الخلة والخصلة الكريمة، فيحلم علىٰ من عصا أمره ومن خالفه، ويحلم علىٰ خدمه ومن تحت أمرته كما حلم الله عليه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن الواجب علىٰ من عرف أن ربه حليم علىٰ من عصاه، أن يحلم هو علىٰ من خالف أمره، فذاك به أولىٰ حتىٰ يكون حليمًا، فينال من هذا الوصف بمقدار ما يكسر سورة غضبه، ويرفع الانتقام عمن أساء إليه، بل يتعود الصفح حتىٰ يعود الحلم له سجية.

وكما تحب أن يحلم عنك المالك، فاحلم أنت عمن تملك؛ لأنك متعبد بالحلم، مثاب عليه، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]، وقال ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورىٰ:٤٣]».[١]

وفي الملحق التالي ما يعين -بإذن الله- علىٰ التخلق بخلق الحلم والاتصاف به.



(١) الأسنىٰ، القرطبي (١/ ٩٧-٩٨).

«حليم يحب الحلماء»

في موضوع الحلم سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف الحلم:

قال الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم - أي: مجازاته علىٰ ظلمه-»[1].

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحلم هو احتمال الأعلىٰ الأذىٰ من الأدنىٰ، أو رفع المؤاخذة عن مستحقها بالجناية في حق مستعظم، أو هو رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل»[2][3].

ثانيًا: فضائل الحلم:

الحلم من الصفات المحمودة التي رغب فيها الإسلام، وبيَّن فضلها في الكتاب والسنة، ومن هذه الفضائل:

١ - أن الحلم من صفات عباد الله الصالحين، قال الله تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]،

---

(١) التعريفات (ص٩٢).

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص١٤٦).

(٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، لابن حميد (٥/ ١٧٣٦).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا»[1].

٢- أن الحلم من الصفات التي يحبها الله؛ فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله لأشج عبد القيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**»[2]، وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[3].

٣- أن الحلم سبب لإعانة الله للعبد؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «**يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**[4]، **وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[5].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعناه: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه، وقيل: معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم؛ لكثرة إحسانك

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٢٢).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٩٢٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٩٣)، واللفظ له.

(٤) تسفهم: من السف، أي: تذر الشيء عليهم.
الملّ: الرماد الحار. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٧٥)، شرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٥).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٨).

وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل، وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم»[1].

٤- أن الحلم سبب لدفاع الملائكة عن صاحبه؛ فعن سعيد بن المسيب، أنه قال: «بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر، فآذاه، فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدت علي يا رسول الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ**»[2].

٥- أن من أوتي الحلم- الذي من أعلىٰ صوره وأجلها: العفو عن المسيء مع الإحسان إليه- أوتي حظًّا عظيمًا، قال تعالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥].

٦- أن الحلم سبب لنيل الدرجات العلىٰ والجزاء الأوفى في الآخرة، قال تعالَىٰ: **﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾** [آل عمران:١٣٣، ١٣٤] إلى

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١١٥).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٩٦)، حكم الألباني: حسن لغيره، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٣٧٦).

أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦].

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»[1].

٧- أن الحلم من خلق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال تَعَالَىٰ عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤]، وقال عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات:١٠١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقد انطوت البشارة علىٰ ثلاث: علىٰ أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ الحلم، وأنه يكون حليمًا، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح، فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]؟

وقيل: لم ينعت الله الأنبياء بأقل من الحلم؛ وذلك لعزة وجوده، ولقد نعت إبراهيم به في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤] ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود:٧٥]؛ لأن الحادثة شهدت بحلمهما: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢][2].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٨٧٧)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٧٧٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠٢١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٨٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٦٥٢٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٤/ ٣٣٢).

وقال عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ حكاية لقول قومه له: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧]، وقال عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[القلم:٤].

ومنه الحلم الذي نطقت به سيرته وشهدت به مواقفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك:

١- ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[1].

٢- ما روته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٨٠٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٥٧).

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[1].

٣- عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ **قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»[2].

ثالثًا: وسائل تعين على الاتصاف بصفة الحلم:

الحلم من الصفات الجبلية التي يمتن الله بها علىٰ بعض عباده، كما امتن بها علىٰ الأشج رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقد قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا، أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ **قَالَ: بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا**، قَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَىٰ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ»[3].

ومع ذلك فالحلم من الصفات المكتسبة- أيضًا- لذا جاء في حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّىٰ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم الحديث: (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٢٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٦٥).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٢٢٥)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٥٣١٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٢٢٥).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم الحديث: (٢٦٦٣)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال، رقم الحديث: (٢٤٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٣٢٨).

وهذا ذكر لبعض الوسائل التي تعين علىٰ هذا الخلق الكريم:

١- تذكر كثرة حلم الله علىٰ العبد:

قال أَبُو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب علىٰ العاقل إذا غضب واحتد: أن يذكر كثرة حلم الله عنه، مع تواتر انتهاكه محارمه، وتعديه حرماته، ثم يحلم ولا يخرجه غيظه إلىٰ الدخول في أسباب المعاصي»[١].

٢- تذكر الفضل والثواب المترتب علىٰ الحلم.

٣- استشعار أن مقابلة المسيء بجنس عمله لا تفيد شيئًا، ولا تزيد العداوة إلا شدة، وبضد ذلك الحلم عليه والإحسان إليه فإنه يقلب العداوة مودة، كما قال أصدق القائلين: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤][٢].

٤- ترويض النفس علىٰ الصبر والتخلق به؛ فقد بين الله عَزَّوَجَلَّ أن السبيل للعفو عن المسيء ومقابلة إساءته بالإحسان الذي هو من أعظم صور الحلم سبيله الصبر، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصابر مرتاض بتحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ، فيهون عليه ترك الانتقام»[٣].

---

(١) روضة العقلاء، لابن حبان (ص٢١٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٧٤٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٩٥).

٥- الابتعاد عن الغضب وأسبابه، ومعالجته إذا وقع؛ وذلك لأنه يدفع صاحبه إلىٰ الحقد والانتقام ومقابلة السوء بالسوء، ويصعب معه الحلم، قال لقمان الحكيم: «ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا يعرف الشجاع إلا عند الحرب، ولا يعرف الأخ إلا عند الحاجة»[(١)].

وقد أرشد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ذلك، فأوصىٰ بالابتعاد عنه، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوصني، قال: «**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»[(٢)].

وبين الطرق العملية لمعالجته إذا وقع، فمنها:

١- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ فعن سليمان بن صرد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنت جالسًا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**»،[(٣)] وذلك لأن الغضب من نزغه[(٤)].

٢- الوضوء؛ فعن عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**»[(٥)].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦١١٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٨٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦١٠).

(٤) ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٦٣).

(٥) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٢٦٨)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٧٨٤)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٥١٠).

٣- السكوت؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ**»[1].

٤- تغير الحال الذي يكون عليه؛ فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»[2]. قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «القائم متهيئ للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنىٰ، والمضطجع ممنوع منهما، فيشبه أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما أمره بالقعود والاضطجاع؛ لئلا يبدر منه في حال قيامه وقعوده بادرة يندم عليها في ما بعد»[3].

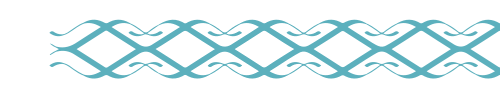
اللهمَّ يا حليمُ يا غفورُ سبحانِكَ وبحمدِكَ، أسأَلُكَ حِلْمَكَ ومَغْفرَتَكَ.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٦٨)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٢٤٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع، رقم الحديث: (٤٠٢٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٧٤٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٧٨٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٧٨٢).

(٣) معالم السنن (٤/ ١٠٨).




الحَميْدُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد: نقيض الذم، تقول: حمدت الرجل، أحمده حمدًا ومحمدة، فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر، والمحمد: الذي كثرت خصاله المحمودة»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حمد) الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل واحد، يدل على خلاف الذم، يقال: حمدت فلانًا أحمده، ورجل محمود ومحمد: إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة، ويقول العرب: حماداك أن تفعل كذا، أي: غايتك وفعلك المحمود منك غير المذموم، ويقال: أحمدت فلانًا، إذا وجدته محمودًا»[2].

ورود اسم الله (الحَميد) في القرآن الكريم:

ورد اسم (الحَميد) سبع عشرة مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[البقرة:٢٦٧].

---

(١) الصحاح (٢/ ٢٨).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠).

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج:٢٤].

ورود اسم الله (الحَمِيد) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الحَمِيد) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنهم قالوا: «يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[1].

معنى اسم الله (الحَمِيد) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو المحمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله»[2]، وقال- في موضع آخر-: «والحميد الذي استوجب عليكم- أيها الخلق- الحمد بصنائعه الحميدة إليكم وآلائه الجميلة لديكم، فاستديموا ذلك- أيها الناس- باتقائه، والمسارعة إلىٰ طاعته فيما يأمركم به وينهاكم عنه»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٣٦٩).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٧١١).

(٣) المرجع السابق (٧/ ٥٧٩).

❊ **قال الزَّجّاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحميد هو فعيل في معنىٰ: مفعول، والله تَعَالَىٰ هو المحمود بكل لسان وعلىٰ كل حال، كما يقال في الدعاء: الحمد لله الذي لا يحمد علىٰ الأحوال كلها سواه»(١).

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(والحميد) هو المحمود الذي استحق الحمد بأفعاله، وهو فعيل بمعنىٰ: مفعول، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود علىٰ كل حال»(٢).

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحميد هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودًا، وإن لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين»(٣).

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو (الحميد) أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه»(٤).

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها؛ فإن أفعاله تَعَالَىٰ دائرة بين الفضل والعدل»(٥).

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص٥٥).

(٢) شأن الدعاء (ص٧٨).

(٣) جلاء الأفهام (ص٣١٦).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢١).

(٥) تفسير السعدي (ص٩٤٦).

❁ **قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:**

وَهْـوَ الحَمِيـدُ فَـكُلُّ حَمْـدٍ وَاقِـعٍ ... أَوْ كَانَ مَفْرُوضًـا مَـدَىٰ الأَزْمَـانِ

مَـلَأَ الوُجُـودَ جَمِيعَـهُ وَنَظِيـرَهُ ... مِـنْ غَيْـرِ مَـا عَـدٍّ وَلَا حُسْـبَانِ

هُـوَ أَهْلُـهُ سُـبْحَانَهُ وَبِحَمْـدِهِ ... كُلُّ المَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحْسَانِ[1]

الفرق بين الحمد والشكر:

الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب.

ومعنىٰ هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا.

ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله علىٰ حياته وسمعه وبصره وعلمه- وهو المحمود عليها- كما هو محمود علىٰ إحسانه وعدله، والشكر يكون علىٰ الإحسان والنعم.

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس؛ فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان[2].

---

(١) النونية (ص٢٠٤).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٢٣٧).

اقتران اسم الله (الحَمِيد) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقترن اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (العزيز):

وذلك في ثلاثة مواضع، ومنها: قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

وجه الاقتران:

يقال: «العزة صفة كمال لله عَزَّوَجَلَّ، والحمد صفة كمال أخرىٰ، واقتران العزة بالحمد صفة كمال ثالثة لله تَعَالَىٰ، فله الحمد علىٰ عزته وغلبته، وعلىٰ إعزازه لأوليائه، ونصره لحزبه وجنده»[1].

ويتلخص من هذا معنيان:

- أن له الحمد علىٰ عزته وغلبته، وعلىٰ إعزازه لأوليائه، ونصره لجنده وحزبه.

- أن العزة تحمل- في الغالب- علىٰ التعسف والظلم والقهر، أما الله عَزَّوَجَلَّ فمع عزته الكاملة إلا أنه محمود في هذه العزة؛ فهي عزة تحمله علىٰ كمال العدل.

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (الغني):

وذلك في عشرة مواضع في كتاب الله، ومن وروده: قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا

---

(١) مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي (ص٢٠٨).

تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧].

وجه الاقتران:

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه سُبْحَانَهُ طيب لا يقبل إلا طيبًا، ثم ختم الآيتين بصفتين يقتضيهما سياقهما، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧]، فغناه وحمده يأبىٰ قبول الرديء، فإن قابل الرديء الخبيث، إما أن يقبله لحاجته إليه، وإما أن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها، وأما الغني عنه الشريف القدر الكامل الأوصاف؛ فإنه لا يقبله»[1].

وكذلك يقال في وجه هذا الاقتران مثل ما قيل في اقتران اسمي الله العزيز والحميد؛ فإن الغنىٰ في العادة يقود إلىٰ الطغيان والبطر، كما قال تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧] أما غنىٰ الرب المحمود بأفعاله؛ فهو غنىٰ مع البذل والعطاء، الذي يستوجب الحمد والثناء.

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم):

وذلك مرة واحدة في كتاب الله: في قوله تَعَالَى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وجه الاقتران:

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ في خلقه وأمره، يضع كل شيء موضعه وينزله منازله، ﴿حميد﴾ علىٰ ما له من صفات الكمال

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص٣٧٤).

ونعوت الجلال، وعلىٰ ما له من العدل والإفضال؛ فلهذا كان كتابه مشتملًا علىٰ تمام الحكمة، وعلىٰ تحصيل المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار التي يحمد عليها»[1].

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (المجيد):

وذلك مرة واحدة في كتاب الله: في قوله تَعَالَىٰ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله؛ فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تثن عليه لم تكن حامدًا له، وكذا من أثنيت عليه- لغرض ما- ولم تحبه لم تكن حامدًا له حتىٰ تكون مثنيًا عليه محبًّا، وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال ونعوت الجلال، والإحسان إلىٰ الغير، فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل، كان الحمد والحب أتم وأعظم، والله سُبْحَانَهُ له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يحب لذاته، ولصفاته، ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه، ولكل ما صدر منه سُبْحَانَهُ، وأما المجد فهو مستلزم للعظمة، والسعة، والجلال، كما يدل عليه موضوعه في اللغة، فهو دال علىٰ صفات العظمة والجلال، والحمد يدل علىٰ صفات الإكرام»[2].

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٥٠).

(٢) جلاء الأفهام (ص٣١٦).

خامسًا: اقترن اسمه سُبْحَانَهُ (الحميد) باسمه سُبْحَانَهُ (الولي):

وذلك مرة واحدة في كتاب الله: في قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

وجه الاقتران:

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الولي الذي يتولىٰ عباده بأنواع التدبير، ويتولىٰ القيام بمصالح دينهم ودنياهم، الحميد في ولايته وتدبيره، الحميد علىٰ ما له من الكمال، وما أوصله إلىٰ خلقه من أنواع الإفضال»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحَمِيد):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الحميد) من الصفات:

الله سُبْحَانَهُ هو له الحمد كاملًا تامًّا، وذلك من وجهين، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والله** سُبْحَانَهُ **حميد من وجهين:**

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد- لم يقع منهم، بل كان مفروضًا ومقدرًا؛ حيثما تسلسلت الأزمان واتصلت الأوقات حمدًا يملأ الوجود كله، العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عد ولا إحصاء؛ فإن الله تَعَالَىٰ مستحقه كله لا غيره.

ثانيهما: أنه يحمد علىٰ ماله من الأسماء الحسنىٰ والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال،

(١) تفسير السعدي (١/ ٧٥٨).

وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد علىٰ خلقه، وعلىٰ شرعه، وعلىٰ أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولىٰ والآخرة، وتفاصيل حمده وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقلام»[1].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الحميد) علىٰ التوحيد:

من تأمل في اسم الله الحميد، وما فيه من دلائل كمال الذات والأسماء والصفات؛ علم أنه لا إله تنبغي له الألوهية والربوبية غيره.

- وقد مدح الله نفسه علىٰ تفرده في الألوهية، وامتناعه عن الاتصاف بما لا يليق به من اتخاذ الولد والشريك، أو موالاة أحد من الخلق لحاجة له، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾[الإسراء:١١١].

- ومدح الله نفسه علىٰ تفرده في الربوبية، فقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية:٣٦، ٣٧] وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الفاتحة:٢].

وكما أن اسم الله الحميد دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ كل أسمائه وصفاته حمد تَعَالَىٰ سُبْحَانَهُ وتقدس.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص١٩٠).

الأثر الثالث: كل ما في الكون يحمد الله سُبْحَانَهُ:

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عند تفسيره لقوله تَعَالَى-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء:٤٤]، «أي: من حيوان ناطق وغير ناطق، ومن أشجار ونبات وجامد، وحي وميت ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ بلسان الحال، ولسان المقال، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ أي: تسبيح باقي المخلوقات التي علىٰ غير لغتكم، بل يحيط بها علام الغيوب»[1].

كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال: «وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ»[2]، ويقول سُبْحَانَهُ- في موضع آخر-: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحج:١٨]، ومن تأمل هذه الآية بقلبه علم أن الخلائق كلها ما أدركناه وما لم ندركه، والأفلاك والأجرام جميعها ماعلمناه، وما لم نعلمه، والجبال والأشجار والدواب، كل تلك الحشود تسير في موكب واحد خاشع تسجد كلها لله، وتتجه له وحده دون سواه، إلا ذلك الإنسان، فهو وحده الذي اختلف حاله وانقسم مصيره، ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحج:١٨].

وإنما كان كل ما في الكون حامدًا لله؛ لأنه ملك له، فعمومية الحمد بعمومية الملك.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٧٩).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا-: «الملك والحمد في حقه متلازمان، فكل ما شمله ملكه وقدرته شمل حمده، فهو محمود في ملكه، وله الملك والقدرة مع حمده، فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته؛ ولهذا يحمد سُبْحَانَهُ نفسه عند خلقه وأمره، لينبه عباده علىٰ أن مصدر خلقه وأمره عن حمده، فهو محمود علىٰ كل ما خلقه وأمر به حمد شكر وعبودية، وحمد ثناء ومدح، ويجمعهما التبارك، فتبارك الله يشمل ذلك كله؛ ولهذا ذكر هذه الكلمة عقيب قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

فالحمد أوسع الصفات، وأعم المدائح والطرق إلىٰ العلم به في غاية الكثرة، والسبيل إلىٰ اعتباره في ذرات العالم وجزئياته، وتفاصيل الأمر والنهي واسعة جدًا؛ لأن جميع أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلىٰ أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده، وظهر بحمده، وكان الغاية هي حمده، فحمده سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله، فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات، وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر»[1].

والحمد لله سُبْحَانَهُ ممتد في الدنيا والآخرة، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ [القصص:٧٠]، وممتد كذلك في السماء والأرض، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم:١٨]،

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص١٤- ١٩).

وممتد عبر الزمان يقول سُبْحَانَهُ: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم:١٧].

الأثر الرابع: الحمد المطلق لله وحده:

فالحمد من أوله إلىٰ آخره مستحق لله تَعَالَى، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر:٧٥]، فالألف واللام في الحمد تدل علىٰ الاستغراق، أي: هو الذي له جميع المحامد بأسرها، ولا يكون ذلك لأحد إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهو حميد في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله، وفي كل شأن من شؤونه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في معنىٰ قول: (الحمد كله لله)-: «فإذا قيل: الحمد كله لله، فهذا له معنيان:

أحدهما: أنه محمود علىٰ كل شيء، وهو مايحمد به رسله وأنبياؤه وأتباعهم، فذلك من حمده عَزَّوَجَلَّ، بل هو المحمود بالقصد الأول، والمحمود أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا...

أما المعنىٰ الثاني: أن يقال: (لك الحمد كله) أي: الحمد التام الكامل، وهذا مختص بالله ليس لغيره فيه شركة، والتحقيق: أن له الحمد بالمعنيين جميعًا، فله عموم الحمد وكماله، وهذا من خصائصه سُبْحَانَهُ»[(١)].

الأثر الخامس: افتتاح كل أمر بحمده تعالىٰ، واختتامه به:

- افتتح الله الخلق بالحمد في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١]،

(١) أسماء الله الحسنىٰ (ص٢٠٧).

واختتمه بالحمد- أيضًا- في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥]».

- أهل الجنة يفتتحون دخولهم الجنة بالحمد، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]، وآخر دعواهم في الجنة: الحمد لله، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

- خطبة الحاجة مفتتحة بالحمد لله، وقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يبدأ بها كل خطاب، وهي: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[1].

كل تفاصيل حياة المؤمن تبدأ بالحمد وتختم به، ومن ذلك: النوم[2]، فقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه، قال: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَ**»[3]، فإذا استيقظ قال: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (١٨٩٢)، والدارمي، رقم الحديث: (١٨٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه رقم الحديث: (١٨٩٢).

(٢) سنذكر في الملحق الكثير من مواضع الحمد؛ لذا فقد اكتفينا هنا بالإشارة إلىٰ موضع واحد.

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٥).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٢٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧١١).

الأثر السادس: لا نحصي ثناء علىٰ الحميد سُبْحَانَهُ:

من تأمل الشواهد القرآنية وجد أن الحميد سُبْحَانَهُ نوَّع حمده، وأسباب حمده، فجمعها تارةً وفرقها أخرىٰ؛ ليتعرف العبيد علىٰ ربهم، ويتعلموا كيف يحمدوه ويثنوا عليه.

ويمكن تقسيم هذه المحامد والنعم إلىٰ قسمين:

محامد ونعم دينية:

١- حمده علىٰ وحدانيته، وتعاليه عن الشريك والنظير والمثيل:

فإن من أعظم نعم الحميد سُبْحَانَهُ أن جعلنا عبيدًا له خاصة، ولم يجعلنا منقسمين بين شركاء متشاكسين، فالحميد سُبْحَانَهُ حمد نفسه علىٰ ربوبيته للعالمين، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠]، وعلىٰ تفرده وامتناعه عما ينافي الكمال من اتخاذ الولد والشريك، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

وحمد نفسه بكونه حيًّا لا يموت؛ لتضمنه كمال حياته، فقال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر:٦٥]، ولنعلم بأن حقيقة الحمد تابعة لإثبات أوصاف الكمال، ولهذا لا يحمد نفسه سُبْحَانَهُ بعدم إلا إذا كان متضمنًا لثبوت كمال.

٢- حمده علىٰ كمال ملكه:

يقول الله -حامدًا نفسه علىٰ كمال ملكه-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى

ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ١-٢].

وكيف لا يحمد سُبْحَانَهُ علىٰ كمال خلقه، وهو: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧]، وعلىٰ صنعه وقد أتقنه ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨].

٣- حمده علىٰ نور التوحيد، وجعله وسيلة النجاة لسائر العبيد:

فمن محامد الرب سُبْحَانَهُ: أن هدىٰ عباده المتقين إلىٰ سبيل دار السلام، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وسماهم المسلمين قبل أن يخلقهم، وذكرهم قبل أن يذكروه، وأعطاهم قبل أن يسألوه، وتحبب إليهم بنعمه مع غناه عنهم، وفقرهم إليه، ومع هذا كله فقد جعل لهم دارًا وأعد لهم فيها من كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وملأها من جميع الخيرات، وأودعها من النعيم والسرور والبهجة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، ثم يسر لهم الأسباب التي توصلهم إليها وأعانهم عليها.

وضمن لهم إن أحسنوا أن يثيبهم بالحسنة عشرًا، وإن أساءوا واستغفروه أن يغفر لهم، ووعدهم أن يمحو ما جنوه من السيئات بما يفعلونه بعدها من الحسنات، وذكرهم بآلائه، وتعرف إليهم بأسمائه، وأمرهم بما أمرهم به رحمة منه بهم وإحسانًا، لا حاجة منه إليهم، ونهاهم عما نهاهم عنه حماية وصيانة لهم، لا بخلًا منه عليهم، وأمرهم بأشرف الخصال، ونهاهم عن أقبح الأقوال والأعمال.

وصرف لهم الآيات، وضرب لهم الأمثال، ووسع لهم طرق العمل به ومعرفته، وفتح لهم أبواب الهداية، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه، وتبعدهم عن غضبه، وخاطبهم بألطف الخطاب وأحلاه، ونصحهم بأحسن النصائح، ووصاهم بأكمل الوصايا، وسماهم بأحسن أسمائهم.

ومن أمثلة ذلك: قوله سُبْحَانَهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨]، وقوله: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، وقوله: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ﴾ [إبراهيم:٣١]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

٤- حمده علىٰ إنزال القرآن وإرسال الرسل:

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عند تفسيره لقوله تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف:١-٢]-: «إن أجلَّ نعمه علىٰ الإطلاق: إنزاله الكتاب العظيم علىٰ عبده ورسوله محمد

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه علىٰ إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم»[1].

محامد ونعم دنيوية:

١- حمده علىٰ تسخير الكون لخدمة عبيده:

ولعل من أفضل ماقيل في ذلك: **قول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدنيا قرية، والمؤمن رئيسها، والكل مشغول به، ساع في مصالحه، والكل قد أقيم في خدمته وحوائجه؛ فالملائكة الذين هم حملة عرش الرحمن ومن حوله يستغفرون له، والملائكة الموكلون به يحفظونه، والموكلون بالقطر والنبات يسعون في رزقه ويعملون فيه، والأفلاك سخرت منقادة دائرة بما فيه مصالحه، والشمس والقمر والنجوم مسخرات جاريات بحساب أزمنته وأوقاته وإصلاح رواتب أقواته.

والعالم الجوي مسخر له برياحه وهوائه وسحابه وطيره، وما أودع فيه، والعالم السفلي كله مسخر له مخلوق لمصالحه أرضه وجباله، وبحاره وأنهاره، وأشجاره وثماره، ونباته وحيوانه، وكل ما فيه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤]، فالسائر في معرفة آلاء الله وتأمل حكمته وبديع صفاته أطول باعًا، وأملأ صواعًا من اللصيق بمكانه، المقيم في بلد عادته وطبعه»[2].

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٦٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٦٣).

٢- حمده علىٰ سائر النعم الظاهرة والباطنة:

من تأمل في نعم الله والكرامات التي ميز بها بني آدم عن غيرهم من المخلوقات وجد عجبًا، فقد فضل بنو آدم بالعقل والعلم، والبيان والنطق، والشكل والصورة الحسنة، والهيئة الشريفة، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، والاستنباط والبحث والاستدلال، فضلًا عن الهداية والرزق والكسوة، وفي ذلك يقول الله تَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»[(١)].

ويقول سُبْحَانَهُ- في بيان نعمه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان:٢٠] ويقول- كذلك-: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦]، وغيرها من الشواهد كثير جدًّا.

الأثر السابع: محبة الحميد سُبْحَانَهُ:

معرفة اسم الله الحميد وآثاره ومعانيه، تورث في قلب العبد محبة عظيمة صادقة لله عَزَّوَجَلَّ، لا يشاركه فيها أحد من الخلق، وهذه المحبة بدورها تثمر

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

عبوديات أخرىٰ، كالإخلاص لله تَعَالَى والحياء والأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، والقيام بأوامره تَعَالَى واجتناب نواهيه والتقرب إليه بطاعته، فالحمد يميز المؤمن عن غيره؛ فغير المؤمن يقف حبيس النعمة يتمتع بها غافلًا عن المنعم، أما المؤمن فينتقل مباشرة من شهود النعم والعطايا إلىٰ المنعم سُبْحَانَهُ وعظمته ورحمته ولطفه وبره وإحسانه وحكمته.

الأثر الثامن: (حمد الله علىٰ كل حال):

أقدار الله علىٰ العباد كلها محمودة، فالله عَزَّوَجَلَّ محمود علىٰ ما خلق وشرع ووهب ونزع، وكل أفعاله تَعَالَى إنما هي نعم ومنن في حق العبد، إن قابلها بما يجب لها من رضا وإحسان.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في ذلك-: «والرضا وإن كان من أعمال القلوب، فكماله هو الحمد، حتىٰ إن بعضهم فسر الحمد بالرضا؛ ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله علىٰ كل حال، وذلك بتضمن الرضا بقضائه، وفي الحديث: (**أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ إِلَىٰ الْجَنَّةِ الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَىٰ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**)[1].

وروت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ: **الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**»، وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**)[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٢٣٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٦٩)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٩٥٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٣)، والحاكم، رقم الحديث: (١٨٤٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٧٦٩).

وعن أبي موسىٰ الأشعري أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي! فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ! فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ**)[١].

ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو صاحب لواء الحمد، وأمته هم الحمادون الذين يحمدون الله علىٰ السراء والضراء .

والحمد علىٰ الضراء يوجبه مشهدان:

أحدهما: علم العبد بأن الله سُبْحَانَهُ مستوجب لذلك، مستحق له لنفسه؛ فإنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وهو العليم الحكيم، الخبير الرحيم.

والثاني: علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ -وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ- إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[٢].

فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذي يصبر علىٰ البلاء ويشكر علىٰ السراء فهو خير له.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٠٣٩)، والترمذي، رقم الحديث: (١٠٢١)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٤٠٨).

(٢) سبق تخريجه.

الأثر التاسع: ذكر حمد الحميد سُبْحَانَهُ في كل شعائر الدين:

من تأمل اسم الله الحميد وجد أن الله سُبْحَانَهُ بدأ أم الكتاب (سورة الفاتحة) بالحمد، وكذا كانت سيرة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان يفتح خطابه بالحمد دائمًا بخطبة الحاجة، وهي: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(١)، وفي الحديث: «**كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ فَهُوَ أَجْذَمُ**»(٢)، وما من شعيرة من شعائر الدين إلا وتبدأ بحمد الحميد سُبْحَانَهُ(٣)، ومن ذلك:

١- أعظم كلمة وهي كلمة التوحيد تقرن كثيرًا بالحمد، ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٤).

٢- الصلاة وهي عمود الدين تبدأ بالحمد: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٩٢)، والدارمي (١٨٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه رقم الحديث: (١٨٩٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٧١٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٨٤٠)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٢٥٢)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٢٤٥).

(٣) سنقتصر هنا علىٰ إيراد بعض الشعائر، أما فضل الحمد والأذكار الخاصة به فهي في الملحق الخاص بهذا الاسم (الحميد).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٨٥).

تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[1]، ثم قراءة الفاتحة، وأول آياتها: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، ثم في الركوع والسجود، لحديث عقبة بن عامر: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ركع قال: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ (ثلاثًا)، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ وَبِحَمْدِهِ (ثلاثًا)»[2]، وكذا عند الرفع من الركوع؛ فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»[3]، وفي التشهد- أيضًا-: «**إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ**»، بل وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول- في دبر كل صلاة مكتوبة-: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[4].

٣- الحج والعمرة، ففيهما يقول الحاج والمعتمر: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ**»[5]، وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود رقم الحديث: (٨٧٠)، وابن ماجه رقم الحديث: (٨٧٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٧٣٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٩٣).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٥٤٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٢١٨).

يَقُولُ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»[1].



(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٧٩٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٤٤).

«الحميد يحب الحامدين»

في موضوع الحمد سنتطرق لعدة مسائل:

أولًا: تعريف الحمد:

الحمد: هو الثناء علىٰ الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها.

ثانيًا: من فضائل الحمد:

للحمد فضائل عدة، منها:

١- (الحمد لله) من أفضل الدعاء: يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلهِ**»[١]، «وسمىٰ الحمد لله دعاءً - وهو ثناء محض- لأن الحمد يتضمن الحب والثناء، والحب أعلىٰ أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه؛ فهو أحق أن يسمىٰ داعيًا من السائل الطالب من ربه حاجة»[٢].

٢- (الحمد لله) هو خير الكلام وأحبه إلىٰ الله: يقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[٣].

٣- (الحمد لله) سبب لمغفرة الذنوب: يقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ**

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١١٠٤).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٣/ ٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣١).

تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ .... فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ»[1].

٤- (الحمد لله) غراس الجنة: يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»[2].

٥- (الحمد لله) من الأذكار العظيمة التي تسابقت الملائكة لكتابتها؛ فعن رفاعة بن رافع ، قال: «كنا نصلي وراء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفًا؟ قال: أنا، قال: رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلَ»[3].

٦- بحمد الله تنال الرحمة: يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِذَا قَالَ العَبْدُ: الْحَمْدُ لله كَثِيرًا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي رَحْمَتِي كَثِيرًا»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٢)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٠٣٦٣) حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٩٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٠٠).

(٤) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٦٨٥)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٥١١)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣٤٥٢).

٧- بحمد الله ينال العبد رضا الله تَعَالَى: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[1].

٨- بالحمد تستجلب النعم: يقول تَعَالَى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء:١٤٧].

٩- الحمد لله صدقة من الصدقات: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ**»[2].

ثالثًا: كيف تكون من الحامدين؟

الأمر الأول لتكون من الحامدين: أن تكون محمودًا في كل أحوالك:

فالعبد إذا علم أن ربه تَعَالَى هو الحميد ويحب المحامد؛ اشتاقت نفسه وتطلعت أن يتخلق بما يحمد عليه؛ فيكون محمودًا في كل أقواله وأفعاله وأحواله، محمودًا عند الله وعند المؤمنين، فهذا هو التحقق باسم الله الحميد.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَىٰ حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَىٰ حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: **مَا أَجْلَسَكُمْ**؟ قَالُوا: جَلَسْنَا

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠٠٦).

نَذْكُرُ اللهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا قَالَ: **آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟** قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: **أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ**»[1].

فلله تَعَالَىٰ الحمد والشكر والثناء، حيث أعطىٰ العباد من مصالحهم ومنافعهم فوق مايطلبون، وأعلىٰ ما يتمنون، وآتاهم من كل ما سألوه، لا نحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه.

الأمر الثاني لتكون من الحامدين: أَكْثِرْ من حمد الحميد سُبْحَانَهُ:

المؤمن يستشعر جيدًا أن حمد النعم عند الله سُبْحَانَهُ أهم وأفضل وأعظم من النعم نفسها، ففي الحديث الصحيح يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَإِنْ عَظُمَتْ**»[2].

وهناك مواطنُ عِدَّةٌ يتأكَّدُ فيها الحمدُ، ومنها:

١- **عند النوم**: فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَ**»[3].

٢- **عند الانتباه ليلًا**: يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٧٩٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٥٦٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٥).

الْحَمْدُ لِلهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»[1].

٣- عند رؤية الرؤيا الحسنة في المنام: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَىٰ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ**»[2].

٤- دُبُرَ الصلاة: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً**»[3].

٥- قبل الدعاء: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يُصَلِّي فَمَجَّدَ اللهَ وَحَمِدَهُ وَصَلَّىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ**»[4].

٦- عندَ حلولِ النعمِ: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِلَّا كَانَ مَا أَعْطَىٰ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٩٨٥).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٩٦).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٦)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٢٠٨)، واللفظ للطبراني، حكم الألباني: صحيح، صفة الصلاة (٣/ ٩٩٠).

(٥) سبق تخريجه.

٧- بعدَ الأكلِ والشربِ: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١).

٨- عند لبس الثوب: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»(٢).

٩- عند رؤيةِ المبتَلَىٰ: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَىٰ صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ»(٣).

١٠- في ختام المجلس: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ -قَبْلَ أَنْ يَقُومَ-: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ ثُمَّ أَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»(٤).

١١- عند العطاس: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٨٧٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٥٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٢٨٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٦٠٨٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٣١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٩٢)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٠٢).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٠٥٥٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٣٣)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١٥٧)، حكم الألباني: صحيح، تخريج الكلم الطيب، رقم الحديث: (٢٢٣).

لِلهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[١].

اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، ولَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ، نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ.



(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٢٢٤).

الحيُّ القيُّوم جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: (الـحَيُّ):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «[حيا] الحياة: ضد الموت والحي: ضد الميت، والمحيا مفعل من الحياة. تقول: محياي ومماتي. والجمع المحايىٰ...»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حي) الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت... فأما الأول فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والموتان، ويسمىٰ المطر حيًّا؛ لأن به حياة الأرض...»[2].

ثانيًا: (القَيُّومُ):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوام الأمر بالكسر: نظامه وعماده،... والقيوم: اسم من أسماء الله تَعَالَىٰ»[3].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « (قوم) القاف والواو والميم أصلان صحيحان،

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٣٢٣-٢٣٢٤).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢).

(٣) الصحاح (٥/ ٢٩٦).

يدل أحدهما علىٰ جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم، والآخر علىٰ انتصاب أو عزم...

قام قيامًا، والقومة: المرة الواحدة، إذا انتصب، ويكون قام بمعنىٰ العزيمة، كما يقال: قام بهذا الأمر، إذا اعتنقه، وهم يقولون في الأول: قيام حتم، وفي الآخر: قيام عزم»[1].

ورود اسم الله (الحي القَيُّوم) في القرآن الكريم:

أولًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الحَي) خمسَ مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٦].

ثانيًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ (القيُّوم) ثلاث مرات في كتاب الله، وهي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٣).

وروود اسم الله (الحَي - القَيُّوم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الحَي القيوم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن زيد بن حارثة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**»[1].

٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا**»[2].

٣- عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»[3].

معنى اسم الله (الحَي - القَيُّوم) في حقه سُبۡحَانَهُ:

أولًا: الحي: هو من له الحياة الكاملة التي لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال، ولا يعتريها نقص، أو سنة، أو نوم، أو مرض.

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥١٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٧٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٧٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١١٢٣٣)، والترمذي، رقم الحديث : (٣٣٩٧)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٢٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، رقم الحديث: (٣٣٧)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٧٧٧).

وحول هذا المعنىٰ تدور أقوال العلماء:

- **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الحي) فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد؛ إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيًّا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها»[1]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع، ونفىٰ عنها ما هو حال لكل ذي حياة من خلقه، من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله»[2].

۞ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحي يفيد دوام الوجود، والله تَعَالَىٰ لم يزل موجودًا ولا يزال موجودًا»[3].

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحي من صفة الله تَعَالَىٰ هو الذي لم يزل موجودًا، وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتورهم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معًا، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]»[4].

۞ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحي الذي لا يموت أبدًا، الذي هو ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣] الدائم الباقي السرمدي الأبدي»[5].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٣٨٦).

(٢) المرجع السابق (٦/ ١٥٧).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص٥٦).

(٤) شأن الدعاء (ص٨٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ١١٨).

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالحي من له الحياة الكامل المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك»[1].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالحَيُّ يَتْلُوهُ فَأَوْصَافُ الكَمَا ... لِ هُمَا لِأُفْقِ سَمَائِهَا قُطْبَانِ

فَالحَيُّ والقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الـ ... أَوْصَافُ أَصْلًا عَنْهُمَا بِبَيَانِ[2]

ثانيًا: (القَيُّومُ):

يدور معنىٰ اسم الله (القيوم) في حقه تَعَالَىٰ حول ثلاثة معان:

١- الدائم الذي لا يزول.

٢- القائم بنفسه.

٣- القائم بغيره؛ فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غني عنها، ولا قوام لها بدون أمره، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[الروم:٢٥].

وحول هذه المعاني الثلاث تدور أقوال العلماء:

❊ **قال أبو عبيدة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القيوم): القائم، وهو الدائم الذي لا يزول»[3].

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القائم بأمر كل شيء في رزقه والدفع عنه وكلاءته وتدبيره وصرفه في قدرته، من قول العرب: فلان قائم بأمر هذه البلدة، يعني

---

(١) تفسير السعدي (ص١١٠).

(٢) النونية (ص٢١١).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٧٨).

بذلك: المتولي تدبير أمرها»[1].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القيوم): فَيْعُول، من قام يقوم، وهو من أوصاف المبالغة في الفعل، وهو من قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣] أي: يحفظ عليها ويجازيها ويحاسبها»[2].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القيوم) هو: القائم الدائم بلا زوال، ووزنه: فَيْعُول، من القيام، وهو نعت المبالغة في القيامة علىٰ الشيء، ويقال: هو القيم علىٰ كل شيء بالرعاية له، ويقال: قمت بالشيء إذا وليته بالرعاية والمصلحة»[3].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(القيوم): من أسماء الله تَعَالَىٰ المعدودة، وهو القائم بنفسه مطلقًا لا بغيره، وهو مع ذلك يقوم به كل موجود، حتىٰ لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به»[4].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القيوم) من قام، أي: القائم بتدبير ما خلق»[5].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القيم لغيره، وكان عمر يقرأ: (القيام) فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غني عنها، ولا قوام لها بدون أمره، كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥]»[6].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٧٨- ١٧٩).

(٢) اشتقاق الأسماء (ص١٠٥).

(٣) شأن الدعاء (ص٨٠).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٤/ ١٣٤).

(٥) تفسير القرطبي (٣/ ٢٧١).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٧).

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي قام بنفسه، فاستغنىٰ عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح»[1].

❁ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَـذَا وَمِـنْ أَوْصَافِـهِ: القَيُّـومُ وَالـ ـقَيُّومُ فِـي أَوْصَافِـهِ أَمْـرَانِ
إِحْدَاهُمَـا القَيُّـومُ قَـامَ بِنَفْسِـهِ والكَـوْنُ قَـامَ بِـهِ هُمَـا الأَمْـرَانِ
فَـالأَوَّلُ اسْـتِغْنَاؤُهُ عَـنْ غَيْـرِهِ والفَقْـرُ مِـنْ كُلٍّ إِلَيْـهِ الثَّانِـي

الخلاف في الاسم الأعظم، وقول بعض أهل العلم: إن (الحي القيوم) اسم الله الأعظم[2]:

دلت النصوص علىٰ أن أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا تتفاضل، فليست كلها علىٰ درجة واحدة، بل ثبت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لله اسمًا أعظم إذا سُئِل به أعطىٰ، وإذا دُعِي به أجاب، وهذه فضيلة عظيمة اختص بها هذا الاسم، ولم يرد تعيينه صريحًا في النصوص، إلا أنه وردت أحاديث تدل علىٰ أنه (الحي القيوم)، علىٰ خلاف في ذلك بين العلماء، منها:

١- عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ،

---

(١) تفسير السعدي (ص١٢١).

(٢) سبق بيان الخلاف فيه، والأدلة في اسم الله الأعظم في اسم الله (الله) جَلَّ جَلَالُهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟**، قالوا: الله ورسوله أعلم، **قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[1].

٢- عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **عن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ - فِي سُوَرٍ ثَلَاثٍ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه**»[2].

واختار أنه الحي القيوم جمع من أهل العلم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن عثيمين رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وهو الاسم الأعظم»[3].

وفي ترجيح كونه الاسم الأعظم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال؛ ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ هو اسم الحي القيوم»[4].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «اسم الله الأعظم هو الحي القيوم[5]»، وعلل هذا، فقال: «قال أهل العلم: وإنما كان الاسم الأعظم في اجتماع هذين

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٦)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٧٥٨)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ.

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٨٥).

(٥) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب.

الاسمين؛ لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنىٰ؛ فصفة الكمال في (الحي)؛ وصفة الإحسان، والسلطان في (القيوم)»[1][2].

اقتران اسم الله (الحَيِّ - القَيُّومِ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله الحَي إلا باسمه القَيُّوم.

وذلك في ثلاثة مواضع، منها:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة:٢٥٥].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[آل عمران:٢].

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه:١١١].

وجه الاقتران:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «انتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنىٰ التام والقدرة التامة، فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تَعَالَى، وبكل صفة من صفاته، فما أولىٰ الاستغاثة بهذين الاسمين أن يكونا في مظنة تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإنالة الطلبات»[3].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الجمع بين الاسمين الكريمين (الحي القيوم) استغراق لجميع ما يوصف الله به بجميع الكمالات؛ ففي الحي: كمال

(١) تفسير العثيمين (٣/ ٢٥٨).

(٢) سبق بحث اسم الله الأعظم في اسم (الله)، وأن الراجح فيه- والله أعلم- أنه اسم (الله).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ١٨٤).

الصفات، وفي القيوم: كمال الأفعال، وفيهما جميعًا كمال الذات، فهو كامل الصفات والأفعال والذات»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحَي القَيُّوم):

أولًا: إثبات ما يتضمنه اسمي الحي والقيوم من صفات الله تعالىٰ:

فالله سُبْحَانَهُ **هو الحي** دائم الحياة، له البقاء المطلق، لم يسبق وجوده عدم، ولا يلحق بقاؤه فناء ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٦].

وهو **الحي** الذي كمل حال حياته، فلا يدخلها النقص بوجه من الوجوه، ولا يعتريها عيب ولا خلل؛ فلا مرض، ولا تعب ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، ولا سنة ولا نوم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥].

فهو الحي: الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، فلو نام لضاع الخلق، ولفسدت السموات والأرض كما جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ** - وفي رواية أبي بكر: **النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»**[2][3].

---

(١) تفسير القرآن الكريم (١/ ٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٩).

(٣) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٧٠-٧١).

و**حياته** تستلزم كمال صفاته سُبْحَانَهُ من علم، وقدرة، ورحمة، وسمع وبصر إلىٰ غير ذلك من صفات كماله[1]، قال الشيخ الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحياة تعتبر شرطًا للاتصاف بجميع الكمالات في الذات من: العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام... إلخ؛ فإن غير الحي لا يتصف بهذه الصفات، فمن كملت حياته كان أكمل في كل صفة تكون الحياة شرطًا لها».

وهو **الحي** الذي أحيا غيره، فالأرض وما عليها من نبات وحيوان وإنسان تحيا بإحياء الله لها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، وقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وهو **الحي** الذي له وحده البقاء والدوام وما عداه «من إنس، وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنىٰ ويموت ويبيد»[2]، قال تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وهو **الحي** الذي يحي الخلق بعد فنائهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن عثيمين (١/ ٧).

(٢) تفسير السعدي (ص ٨٣٠).

ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾[يونس:٤].

وهو سُبْحَانَهُ **القيوم** الذي قام بنفسه واستغنىٰ عن جميع خلقه غنىٰ مطلقًا، كما قال تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

والقيوم هو الذي تمت قيوميته، فلا تشوبه شائبة حاجة ولا نقص، ولا يمكن أن تأخذه سنة ولا نوم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[البقرة:٢٥٥].

والقيوم الذي أقام غيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فكل شيء فقير إليه لا يستغني عنه طرف عين، فالعرش والكرسي والملائكة والسموات والأرض، والجبال والأشجار، والناس والحيوان، كلها فقيرة إلىٰ الله، قال تَعالَى: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡ﴾ [الرعد:٣٣]، فهو الذي أوجدها وأمدها، وأعدها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، وأي شيء منها لو تخلىٰ عنه القيوم لباد وهلك ولما استقام له شأن.

فالمخلوقات كلها إنما قامت به سُبْحَانَهُ، ومن ذلك:

- قيام السماوات والأرض به:

قال تَعالَى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ** فهو سُبْحَانَهُ القائم بأمر السموات والأرض فبقيموميته استقرت وثبتت ولم تزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ

وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر: ٤١]، وبقيوميته لم تسقط السماء علىٰ الأرض ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥][1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم تأمل الممسك للسموات والارض الحافظ لهما أن تزولا أو تقعا أو يتعطل بعض ما فيهما، أَفَتَرَىٰ مَنِ الممسك لذلك؟! ومَنِ الحافظ له؟ ومَنِ القيم بأمره؟! ومَنِ المقيم له؟! فلو تعطلت بعض آلات هذا الدولاب العظيم والحديقة العظيمة من كان يصلحه ويعيده؟! وماذا كان عند الخلق كلهم من الحيلة في رده كما كان؟! فلو أمسك عنهم قيم السموات والارض الشمس فجعل عليهم الليل سرمدًا، من الذي كان يطلعها عليهم ويأتيهم بالنهار؟! ولو حبسها في الأفق ولم يسيرها فمن ذا الذي كان يسيرها عنهم ويأتيهم بالليل؟! فلو أزال السماء والارض، فمن ذا الذي كان يمسكها من بعده؟!»[2].

- قيام الإنس والجن وسائر الدواب به:

قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهمَّ لَكَ الْـحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ**»[3] قائم علىٰ ما فيهما من النفوس بالرزق، وتدبير الشؤون وتصريفها، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]» يغني فقيرًا، ويجبر كسيرًا، ويعطي قومًا، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه إلحاح

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٤٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٥).

(٣) سبق تخريجه.

الملحين، ولا طول مسألة السائلين... وهذه الشؤون التي أخبر أنه تَعَالَى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها، لا يزال تَعَالَى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته»[1].

وهذا القيام يستلزم كمال أفعاله من الاستواء، والنزول، والكلام، والخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وسائر أنواع التدبير.

ومن قيامه بهم: إنزاله للكتب بالحق وإرساله للرسل؛ حتىٰ تستنير بصائرهم، ويرشدون لما فيه صلاحهم وفلاحهم، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٢، ٣][2].

- المقيم أمر أوليائه وأهل طاعته:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه سُبْحَانَهُ القيوم المقيم لكل شيء من المخلوقات طائعها وعاصيها، فكيف تكون قيوميته بمن أحبه وتولاه وآثره علىٰ ما سواه، ورضىٰ به من الناس حبيبًا وربًّا، ووكيلًا وناصرًا ومعينًا وهاديًا، فلو كشف الغطاء عن ألطافه وبره وصنعه له من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم لذاب قلبه حبًّا له وشوقًا إليه ويقع شكرًا له، ولكن حجب القلوب عن مشاهدة ذلك إخلادها إلىٰ عالم الشهوات والتعلق بالأسباب، فصدت عن كمال نعيمها، وذلك تقدير العزيز العليم»[3].

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٣٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص١٢١).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص١٨٠).

فهو الحي القيوم الذي بهما جمع معاني الأسماء الحسنىٰ، وعليهما دارت الصفات العليا؛ وذلك أن الحياة تستلزم جميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أكمل حياة وأتمها؛ استلزم إثباتها إثبات كل صفة كمال.

وكذلك القيام؛ فإنه مستلزم لكمال الأفعال، ولا يتخلف شيء منها إلا لضعف القيام، فإذا كان قيامه سُبْحَانَهُ أتم قيام وأكمله؛ استلزم إثباته إثبات كل فعل كمال، وبهذا انتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام[1].

الأثر الثاني: دلالة اسمي الله الحي القيوم علىٰ التوحيد:

إذا علم العبد أن الله جَلَّجَلَالُهُ الحي الباقي الدائم الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون، وكل شيء هالك إلا وجهه؛ أيقن أن لا أحد يستحق أن يعبد إلا الحي الباقي، قال تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر:٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(الحي) الذي لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتُّخِذ من دونه ربًّا، ويبيد كل من ادُّعِيَ من دونه إلهًا، واحتج علىٰ خلقه بأن: من كان يبيد فيزول ويموت فيفنىٰ، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأن الإله هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنىٰ، وذلك الله الذي لا إله إلا هو»[2].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ١٨٤).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٥٧).

وإذا علم العبد أن الله جَلَّجَلَالُهُ هو القيوم الذي استغنىٰ عن كل شيء، وكل شيء افتقر إليه، فلا قوام له إلا بقيوميته؛ علم أنه لا يستحق أن تكون العبادة إلا له وحده لا شريك له، قال تَعَالَىٰ محتجًّا علىٰ خلقه بقيوميته: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ ﴾[الرعد:٣٣]».

أيستوي الرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك، قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق، متضمن لها، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال، رقيب عليهم، لا يعزب عنه شيء أينما كانوا، كمن هو هالك بائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئًا، ولا يدفع عن نفسه ولا عمن يعبده ضرًّا، ولا يجلب إليهما نفعًا؟ كلاهما سواء؟»[1].

الأثر الثالث: التوكل علىٰ الحي القيوم:

يقين العبد بأن ربه هو الحي الذي له الحياة الكاملة فلا يموت أبدًا،، القيوم الذي يقوم بأموره ويدبر شؤونه، ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا غفلة؛ يوجب له التعلق به والتوكل عليه في رغبه ورهبه، ومعاذه وملاذه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في أمورك كلها كن متوكلًا علىٰ الله الحي الذي لا يموت أبدًا، الذي هو ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم رب كل

(١) المرجع السابق (١٦/ ٤٦٢).

شيء ومليكه، اجعله ذخرك وملجأك، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك»[١].

ويوجب له قطع كل تعلق ورجاء بالمخاليق الضعفاء الفقراء الذين يلحقهم الموت والنوم والغفلة والنسيان؛ فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم، وإذا ناموا أو نسوا أو غفلوا خُذِلَ من توكل عليهم، وهم مع ذلك كله لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكوا ذلك لغيرهم.

روي أن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية كان خلًّا لعبد الملك بن مروان، فلما مات عبد الملك وتصدع الناس عن قبره، وقف عليه، فقال له: «أنت عبد الملك الذي كنت تعدني فأرجوك، وتوعدني فأخافك، أصبحت وليس معك من ملكك غير ثوبيك، وليس لك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين»[٢]، فكل حي يموت، ولا يبقىٰ إلا الحي الذي لا يموت.

كما يوجب له التبرؤ من الحول والقوة والافتقار التام للحي القيوم، لسان حاله ومقاله: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**)، أي: لا تحول من حال إلىٰ حال، ولا حصول قوة علىٰ القيام بأي أمر من الأمور إلا بالله، أي: إلا بعونه وتوفيقه وتسديده.

وهذه الكلمة شرعها رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لأمته، وحثهم عليها في جملة من الأحاديث، منها:

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قال: قال رسول الله

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١١٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الاعتبار وأعقاب السرور، رقم الحديث: (٥٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا عَلَىٰ الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[1].

- وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرَفًا، وَلَا نَعْلُو شَرَفًا، وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[2].

- وعن قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أباه دفعه إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخدمه، قال: فمر بي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد صليت فضربني برجله، وقال: **أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ؟** قلت: بلىٰ، قال: **لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**»[3].

الأثر الرابع: مراقبة الحي القيوم والخوف منه:

إذا علم العبد أن ربه الحي القيوم الذي لا ينام ولا يغفل ولا ينسىٰ، يحفظ عليه عمله ويحصيه ويجازيه عليه بالعدل والقسط، كما قال تَعَالَى:

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٠٩٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٦١٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٧١٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٨١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٥٨٢).

﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾ [الرعد:٣٣][1]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: حفيظ عليم رقيب علىٰ كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفىٰ عليه خافية»[2] أوجب ذلك له الخوف منه سُبۡحَانَهُ ومراقبته، وخشيته في السر والعلن.

الأثر الخامس: محبة الله الحي القيوم:

إذا علم العبد أن ربه حي قيوم، واستشعر أن له الحياة الكاملة المطلقة التي بها أحياه وأوجده، وله القيومية والسيادة المطلقة التي أقام بها السموات والأرض وأقام به شؤونه ودبَّرها، واستشعر ما يتضمنه هذان الاسمان من صفات الكمال له عَزَّوَجَلَّ؛ أوجب ذلك له محبته وإجلاله؛ مما يثمر في القلب الابتهاج، واللذة، والسرور وتندفع به الكروب، والهموم، والغموم.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته وإجلاله وتوحيده، فيحصل له من الابتهاج، واللذة، والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب، والهم، والغم، وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسره ويفرحه، ويقوي نفسه، كيف تقوىٰ الطبيعة علىٰ دفع المرض الحسي، فحصول هذا الشفاء للقلب أولىٰ وأحرىٰ»[3].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٦٢)، تفسير السعدي (ص٤١٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٣).

(٣) زاد المعاد (٤/ ٢٠٥).

الأثر السادس: الخضوع والتذلل للحي القيوم:

إذا علم العبد أن ربه حي قيوم تخضع له الخلائق يوم القيامة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] واستشعر ذلك الموقف العظيم الذي يرىٰ فيه الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ذليلين خاضعين، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين علىٰ ركبهم، لا يدرون ماذا ينفصل كل منهم به[١]؛ خضع وذل وافتقر واستكان لربه في الدنيا قبل الآخرة.

فـ«العبد ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل، فهو ذليل لعزه، وذليل لقهره، وذليل لربوبيته فيه وتصرفه، وذليل لإحسانه إليه، وإنعامه عليه؛ فإن مَن أحسن إليك: فقد استعبدك، وصار قلبك معبَّدًا له»[٢].

والخضوع والذل لله هو أحد أصلَي العبادة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبَّد، أي: مذلَّل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له؛ لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له، حتىٰ تكون محبًّا خاضعًا»[٣].

فتحقيقهما يكون بتحقيق العبودية لله تَعَالَىٰ وحده، وأعظم العبادات التي فيها عظيم الذل والخضوع لله: الصلاة المفروضة، لا سيما في السجود،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٥١٣).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٢٨٩).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٩٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «لفظ السجود، فإنه إنما يستعمل في غاية الذل والخضوع، وهذه حال الساجد»[1].

الأثر السابع: الزهد في دار الفناء، والعمل لدار البقاء:

الله تَعَالَى هو الحي الدائم الذي لا يزول، وكل الخلائق إلىٰ زوال ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧] ومهما أعطي العبد من العمر فلا بد أن ينقضي يومًا ما، أما الحياة الدائمة السرمدية التي يهبها الله لعبادة فإنما هي في الدار الآخرة: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: «أي: الحياة الدائمة الحق، الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد»[2].

وجاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ. ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٩﴾ **وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا،** ﴿وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩]»[3].

---

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية (١/ ٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٣٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨٤٩).

فإذا عرف العبد هذا، وعرف حقيقة الدنيا، وأنها ليست دار بقاء، وإنما متاع ولعب ولهو زائل، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢]، وقال: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥]، وعرف ما جاء في ذمها وحقارتها من النصوص، كما في قول جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[1] مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟** فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: **أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟** قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فَقَالَ: **فَوَاللهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»[2] زهد فيها، ولم يتعلق بها، ممتثلًا قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ، **وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**»[3].

ولم يقدم ما فيها من ملاذ وشهوات علىٰ الدار الباقية، وجعلها معبرًا للآخرة، وزادًا يبلغ به إلىٰ الجنات؛ فإن الموفق من طال عمره وحسن عمله، كما جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سُئِلَ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»[4].

---

(١) كنفتيه: جانبيه، الأسك: صغير الأذنين. ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١٨/ ٩٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٥٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٢)، والحاكم، رقم الحديث: (٧٩٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٢).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٨٣٤)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٩).

الأثر الثامن: الدعاء باسم الله الحي القيوم:

جاء في جملة من الأحاديث ما يدل علىٰ عظم هذين الاسمين والدعاء بهما مجتمعين، ومنها:

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»[1].

وهناك مناسبة بين التوسل بهذين الاسمين، وبين كشف الكرب والضيق، قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «وفي تأثير قوله: (يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث) في دفع هذا الداء مناسبة بديعة؛ فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال،... والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم، ولا غم، ولا حزن، ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمال القيومية لكمال الحياة، فـ(الحي) المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتة، و(القيوم) لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة، ويضر بالأفعال»[2].

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يدعو بهما قائلًا: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»[3].

(١) سبق تخريجه.

(٢) زاد المعاد (٤/ ٢٠٥).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٧).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ: **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ....**»[(١)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ رجلاً دعا، فقال: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجِلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكُ، فقال النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأصحابه: تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[(٢)].

وعنه أيضًا: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفَاطِمَةَ: **مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ: أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»[(٣)]، فعلىٰ العبد أن يحرص علىٰ الدعاء بهما؛ فإن التوسل لله بهما له تأثير في حصول المطلوب ودفع المرهوب[(٤)].

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.



---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه. (ص:١٧).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٣٣٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، رقم الحديث: (٤٩)، حكم الألباني :صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٢٧).

(٤) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٧٨-٧٩).



الخالقُ الخلَّاقُ البَارئُ المصوِّرُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: معنىٰ الخالق والخلاق:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخلق: التقدير، يقال: خلقت الأديم: إذا قدرته قبل القطع...، والخلاق: النصيب، يقال: لا خلاق له في الآخرة»[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(خلق) الخاء واللام والقاف أصلان؛ أحدهما: تقدير الشيء، والآخر: ملاسة الشيء، فأما الأول: فقولهم: خلقت الأديم للسقاء، إذا قدرته... »[2].

ثانيًا: معنىٰ البارئ:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...وبرأ الله الخلق برءًا، وأيضًا هو البارئ، والبرية: الخلق»[3].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(برأ) فأما الباء والراء والهمزة فأصلان- إليهما ترجع فروع الباب- أحدهما: الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءًا،

(١) الصحاح (٤/ ١٥٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٢١٣- ٢١٤).

(٣) الصحاح (١/ ٣٧).

والبارئ الله- جل ثناؤه- قال الله تَعَالَى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤]... والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته»(١).

ثالثًا: معنىٰ المصور:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصور، بالتحريك: الميل، ورجل أصور بين الصور: أي: مائل مشتاق، وأصاره فانصار، أي: أماله فمال، وصوره الله صورة حسنة، فتصور»(٢).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صور يصور، إذا مال، وصرت الشيء أصوره، وأصرته، إذا: أملته إليك...، ومن ذلك: الصورة، صورة كل مخلوق، والجمع: صور، وهي هيئة خلقته، والله تَعَالَى البارئ المصور» (٣).

ورود اسم الله (الخالق، الخلاق، البارئ، المصور) في القرآن الكريم:

أولًا: ورد اسم الله (الخَالق) إحدىٰ عشر مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾[الحشر:٢٤].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون:١٤].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة:٥٨-٥٩].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٢٣٦).

(٢) الصحاح (٢/ ٢٨٠).

(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٠).

ثانيًا: وورد ذكر (الخلاق) مرتين في كتاب الله، وهما:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

ثالثا: وورد اسم الله (البارئ) ثلاث مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- مرتان في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

رابعًا: وورد اسم الله (المُصَوِّر) مرة واحدة في كتاب الله، وهي:

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر: ٢٣].

ورود اسم الله (الخالق، البارئ، المصور) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله (الخالق) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «غَلَا السِّعْرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ سَعَّرْتَ، فَقَالَ: **إِنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ الْمُسَعِّرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ وَلَا يَطْلُبُنِي أَحَدٌ بِمَظْلِمَةٍ ظَلَمْتُهَا إِيَّاهُ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٧٨٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (٣٤٥١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٨٤٦).

٢- وعن النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»[1].

ثانيًا: ورود اسم الله (الخلاق) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله الخلاق في السنة النبوية.

ثالثًا: ورود اسم الله (البارئ) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله البارئ في السنة النبوية.

رابعًا: ورود اسم الله (المصور) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله المصور في السنة النبوية.

معنى اسم الله (الخالق، الخلاق، البارئ، المصور) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم الله الخالق في حق الله تعالىٰ:

❊ **قال مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]-: «يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين»[2].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالخلق في اسم الله تَعَالَىٰ هو ابتداء تقدير النشء، فالله خالقها ومنشئها، وهو متممها ومدبرها، فتبارك الله أحسن الخالقين»[3].

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (٢٤٥٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٨٠).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٩).

(٣) تفسير الأسماء (ص٣٦-٣٧).

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الخالق) هو المبدع للخلق المخترع له علىٰ غير مثال سابق، قال سُبْحَانَهُ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]»[١].

ثانيًا: معنىٰ اسم الله الخلاق في حق الله تعالىٰ:

الخلاق من أفعال المبالغة من الخالق، تدل علىٰ كثرة خلق الله تَعَالَىٰ وإيجاده، فكم يحصل في اللحظة الواحدة من بلايين المخلوقات التي هي أثر من آثار اسمه سُبْحَانَهُ الخلاق: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر:٨٦]».

❊ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخلاق ومعناه: الخالق خلقًا بعد خلق»[٢].

❊ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ربك هو الخلاق، أي: المقدر للخلق والأخلاق، العليم بأهل الوفاق والنفاق»[٣]

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الـ ... ـخَلَّاقُ بَاعِثُ هَذِهِ الأَبْدَانِ[٤]

ثانيًا: معنى اسم الله (البارئ) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته»[٥].

---

(١) شأن الدعاء (ص٤٩).

(٢) المنهاج (١/ ١٩٣).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٥٤).

(٤) النونية (ص١٩٤).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٥).

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البارئ هو الخالق»... ثم قال: «إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من الخلق، وقلما يستعمل في خلق السماوات والأرض والجبال، فيقال:برأ الله السماء كما يقال: برأ الله الإنسان، وبرأ النسم»[1].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخلق هو التقدير، والبراء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلىٰ الوجود، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر علىٰ تنفيذه وإيجاده سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ»[2].

❁ **قال الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البارئ: الخالق، وقيل: إن البارئ هو المبدع المحدث»[3].

ثالثًا: معنى اسم الله (المُصَوِّر) في حقه سُبْحَانَهُ:

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]: «صرفك وأمالك إلىٰ أي صورة شاء، إما إلىٰ صورة حسنة، وإما إلىٰ صورة قبيحة، أو إلىٰ صورة بعض قراباته»[4]، ويقول في قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]-: «هو المعبود الخالق، الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته،

---

(١) شأن الدعاء (ص٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).

(٣) فتح القدير (١/ ١٠١).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٨).

المصور خلقه كيف شاء، وكيف يشاء»[1].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المصور) هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها، فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤]»... **وقال**: التصور التخطيط والتشكيل»، **ثم قال**: وخلق الله جَلَّ وَعَلَا الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق: جعله علقة، ثم مضغة، ثم جعلها صورة، وهو التشكيل الذي به يكون ذا صورة وهيئة يعرف بها، ويتميز بها عن غيره بسماتها ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون ١٤]»[2].

❁ **يقول السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾-: «الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل، ولا يزال علىٰ هذا الوصف العظيم»[3].

ومما سبق يتضح لنا اتساق هذه الأسماء الحسنىٰ وأن بينها علاقة وطيدة، إلا أن لكل صفة من هذه الصفات الثلاث ما يخصها من حيث المعنىٰ:

❁ **قال الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلىٰ الخلق والاختراع، ولا ينبغي أن يكون كذلك؛ بل كل ما يخرج من العدم إلىٰ الوجود فيفتقر إلىٰ تقدير أولًا، وإلىٰ الإيجاد علىٰ وفق التقدير ثانيًا، وإلىٰ التصوير بعد الإيجاد ثالثًا، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **خالق** من حيث إنه مقدر، **وبارئ** من حيث إنه مخترع، موجد، **ومصور** من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب»[4].

(١) المرجع السابق (٢٢/ ٥٥٥).

(٢) شأن الدعاء (ص٥١-٥٢).

(٣) تفسير السعدي (ص٩٤٧).

(٤) المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (ص٧٢).

❁ **قال الطِّيبيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: إن الألفاظ الثلاثة مترادفة، وهو وهم؛ فإن: (الخالق) من الخلق، وأصله: التقدير المستقيم، ويطلق علىٰ الإبداع، وهو إيجاد الشيء علىٰ غير مثال.

و(البارئ) من البرء، وأصله: خلوص الشيء عن غيره، إما علىٰ سبيل التقصي منه، وعليه قولهم: برئ فلان من مرضه، والمديون من دينه، ومنه استبرأت الجارية، وإما علىٰ سبيل الإنشاء، ومنه برأ الله النسمة، وقيل: البارئ الخالق البريء من التفاوت والتنافر المخلين بالنظام.

و(المصور) مبدع صور المخترعات ومرتبها بحسب مقتضىٰ الحكمة، فالله خالق كل شيء، بمعنىٰ أنه موجده من أصل ومن غير أصل، وبارئه بحسب ما اقتضته الحكمة من غير تفاوت ولا اختلال، ومصوره في صورة يترتب عليها خواصه ويتم بها كماله، - إلىٰ أن قال -: وعلىٰ هذا فالتقدير يقع أولًا، ثم الإحداث علىٰ الوجه المقدر يقع ثانيًا، ثم التصوير بالتسوية يقع ثالثًا»[(١)].

وهذه الفروق بين هذه الأسماء لله تَعَالَىٰ إنما تتحقق عند اجتماع هذه الأسماء، أما عند افتراقها فإن كل اسم من هذه الأسماء الحسنىٰ يشمل معناه ومعاني الاسمين الآخرين، والله أعلم.

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٢٠ / ٤٨٥).

اقتران اسم الله (الخالق، البارئ، المصور) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الخالق) بأسمائه الأخرىٰ سُبْحَانَهُ:

اقتران اسم الخالق باسمي البارئ والمصور:

وذلك في آية واحدة، وهي قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جعل سُبْحَانَهُ اسمه الجبار مقرونًا بالعزيز والمتكبر، وكل واحد من هذه الأسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين، وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة، وهي: الخالق، البارئ، المصور؛ فالجبار المتكبر يجريان مجرىٰ التفصيل لمعنىٰ اسم العزيز، كما أن البارئ المصور تفصيل لمعنىٰ اسم الخالق»[1].

يقول صاحب (أضواء البيان): «فالخالق هو المقدر قبل الإيجاد، و(البارئ) الموجد من العدم علىٰ مقتضىٰ الخلق والتقدير، وليس كل من قدر شيئًا أوجده إلا الله، و(المصور) المشكل لكل موجود علىٰ الصورة التي أوجده عليها، ولم يفرد كل فرد من موجوداته علىٰ صورة تختص به إلا الله، كما هو موجود في خلق الله للإنسان والحيوان والنبات كل في صورة تخصه»[2].

---

(١) شفاء العليل (ص١٢١).

(٢) أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي (٨/ ٧٧).

اقتران اسم (الخلاق) باسم (العليم):

وذلك في آيتين، وهما: قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الحجر: ٨٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

وجه الاقتران:

أن خلقه سُبْحَانَهُ للمخلوقات إنما هو عن علم منه سُبْحَانَهُ بما يخلق، كيف يخلقه، ومتىٰ يخلقه، ويعلم الحكمة من خلقه، فكل شيء عنده بقدر وبعلم ولحكمة.

ثانيًا: اقتران اسم الله (البارئ والمصور) بأسمائه الأخرىٰ سُبْحَانَهُ:

تقدم بيانه في اسم الخالق بالبارئ والمصور.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الخالق، الخلاق، البارئ، المصوِّر):

الأثر الأول: اثبات ما تتضمنه أسماء الله (الخالق، الخلاق، البارئ، المصور) من الصفات لله تعالىٰ:

الله سُبْحَانَهُ هو الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، الحي، القيوم، القادر، العالم، المريد، الحكيم؛ إذ لا يمكن أن يكون خالقًا غير قادر ولا مريد ولا عالم بما خلق، أو أنه ليس له فيما خلق حكمة ولا علة؛ وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فمن طرق إثبات الصفات: دلالة الصنعة عليها؛ فإن المخلوق يدل علىٰ وجود خالقه، علىٰ حياته وعلىٰ قدرته، وعلىٰ علمه ومشيئته؛ فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزامًا ضروريًّا، وما فيه من الإتقان والإحكام

ووقوعه علىٰ أكمل الوجوه يدل علىٰ حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان والنفع، ووصول المنافع العظيمة إلىٰ المخلوق يدل علىٰ رحمة خالقه، وإحسانه وجوده، وما فيه من آثار الكمال يدل علىٰ أن خالقه أكمل منه، فمعطي الكمال أحق بالكمال»(١).

ومن مظاهر ودلائل عظمة الخالق الخلاق البارئ المصور سُبْحَانَهُ ما يلي:

- **أوجد الخلق من العدم**، وقدر أمورها في الأزل، يقول تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:٢٠].

- **نوَّع خلقهم**؛ فاختلفت أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وطباعهم وأجناسهم، وأنواعهم، مع أن أصلهم واحد(٢)، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور:٤٥].

- **خلق ما شاء علىٰ ما شاء من الصفات**، فيزيد في خلق بعض خلقه ما يشاء من القوة، والحسن، وزيادة الأعضاء، وحسن الأصوات، ولذة النغمات ونحو ذلك(٣)، قال تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٣٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٧)، وتفسير السعدي (ص٥٧١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٨٤).

- **خلق الإنسان علىٰ أطوار ومراحل**، وفق تركيب وتركيب دقيق عجيب، يقول تعالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون:١٢، ١٤]، فبدأ بنطفة حتىٰ اكتمل بأحسن صورة، وفي أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفي الأجزاء، محكم البناء، كما قال تعالَى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[غافر:٦٤]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤].

- **فاوت بين عباده فيما خلق لهم**، «فمنهم من يهب له إناثًا، ومنهم من يهب له ذكورًا، ومنهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يجعله عقيمًا لا يولد له»[1].

يقول تعالَى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[الشورىٰ: ٤٩، ٥٠].

- **خلق السماوات** بما فيهما علىٰ عظمهما وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما، يقول تعالَى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[لقمان:١٠]، ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[يس:٨١].

---

(١) المرجع السابق (ص٧٦٢).

- **خلق الأرض مهادًا للخلق**، يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، وأودع بها ما أودع، من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحاجاتهم.

يقول تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح:١٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾[الرحمن:١٠ - ١٢].

فأنزل علىٰ هذه الأرض المطر، «وهو لقاح واحد، والأم واحدة، وهي الأرض، والأولاد مختلفو الأصناف والأوصاف، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد:٤]»[(١)].

- **خلق الشمس والقمر** متعاقبان، لا يفتران، يسعيان لمصالح العباد، من حساب أزمنتهم ومصالح أبدانهم، وحيواناتهم، وزروعهم، وثمارهم.

يقول تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[إبراهيم:٣٣]، بهما تعاقب الليل والنهار.

«واختلافا في الحر، والبرد، والتوسط، وفي الطول، والقصر، والتوسط، وما ينشأ عن ذلك من الفصول، التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم، وجميع ما علىٰ وجه الأرض، من أشجار ونوابت، كل ذلك بانتظام وتدبير، وتسخير، تنبهر له العقول»[(٢)].

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٧١).

(٢) تفسير السعدي (ص٢٦٥).

يقول سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[الزمر:٥].

فمن تأمل في خلق الخالق سُبْحَانَهُ وتصويره وبرئه؛ أيقن بعظمة قدرة الله سُبْحَانَهُ وكمال علمه وحكمته، ورحمته ولطفه، وتصريفه وتدبيره سُبْحَانَهُ.

الأثر الثاني: توحيد الله بأسمائه: الخالق، الخلاق، الباريء، المصور:

- دلالة أسماء الله الخالق، الخلاق، الباريء، المصور، علىٰ توحيد الألوهية والربوبية:

من آمن بهذه الأسماء؛ علم أن الله سُبْحَانَهُ له الخلق والأمر كله، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤].

«فله الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها، والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، **فالخلق**: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، **والأمر**: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء»[(١)].

«فكما أنه لا خالق سواه، فليس علىٰ الخلق إلزام ولا أمر ولا نهي إلا من خالقهم سُبْحَانَهُ»[(٢)].

---

(١) المرجع السابق (ص٢٩١).

(٢) تفسير السعدي (ص٥٠١).

وقد جاء التأكيد على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر:٦٢، ٦٣]: «فالله ربكم المنفرد بالإلهية، والمنفرد بالربوبية؛... ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقرير أنه المستحق للعبادة وحده، لا شريك له، و﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تقرير لربوبيته، ثم صرح بالأمر بعبادته، فقال: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تصرفون عن عبادته، وحده لا شريك له، بعد ما أبان لكم الدليل، وأنار لكم السبيل؟ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أي: عقوبة على جحدهم لآيات الله، وتعديهم على رسله، صرفوا عن التوحيد والإخلاص، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧]»[1].

وقد ضرب الله مثلًا لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

يقول السعدي عند هذه الآية: «في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ شمل كل ما يدعى من دون الله، ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب أولى، ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾، بل أبلغ من ذلك لو ﴿يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾، وهذا غاية ما يصير من العجز، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾

(١) المرجع السابق (ص٧٤١).

الذي هو المعبود من دون الله ﴿وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين، فهذا ما قدر الله حق قدره، حيث سوىٰ الفقير العاجز من جميع الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوَّىٰ من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف»(١).

وعليه فالايمان بهذه الأسماء يستلزم الإيمان بوحدانيته سُبۡحَانَهُ، وألوهيته، وإفراده وحده بالعبادة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤، ٨٩]، ويقول سُبۡحَانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[العنكبوت:٦١، ٦٣].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «هذا استدلال علىٰ المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا به

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٤٦).

الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وحده، ولا اعترفوا بعجز الأوثان، ومن عبدوه مع الله علىٰ شيء من ذلك!

فاعجب لإفكهم وكذبهم، وعدولهم إلىٰ من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئًا، وسجل عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلًا وأقل بصيرة، ممن أتىٰ إلىٰ حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار»[1].

- دلالة أسماء الله الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

كما أن أسماء الله الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، تدل علىٰ توحيد الربوبية والألوهية، فهي تدل - أيضًا- علىٰ توحيد الأسماء والصفات، وتدل علىٰ عدد كبير منها كالقدير، والخبير، والعلي المتعال، وذو الجلال والإكرام، والجبار، وغيرها من الأسماء الدالة علىٰ ذلك.

الأثر الثالث: الله سُبْحَانَهُ خالق الأسباب ومسبباتها:

فالله سُبْحَانَهُ جعل الحياة مبنية في العادة علىٰ ترابط الأسباب بمسبباتها، والعلل بمعلولاتها، فلا يخلق النتيجة إلا إذا خلق السبب أو العلة، فلا يخلق التفكير إلا إذا خلق العقل، ولايخلق الإحراق إلا إذا خلق النار، ولا يخلق النبتة إلا إذا خلق البذرة، ولا يخلق الابن إلا إذا أوجد الأب والأم.

---

(١) تفسير السعدي (ص٦٣٥).

وهذا لا ينفي أن الله تَعَالَى قد يخلق بقدرته العلل والأسباب بغير أسبابها ومعلولاتها، وهو ما يسمىٰ بخوارق العادات أو الكرامات والمعجزات.

وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأسباب مظهر حكمته وحمده، وموضع تصرفه لخلقه وأمره فتقدير تعطيلها تعطيل للخلق والأمر، وهو أشد منافاة للحكمة وإبطالًا لها، واقتضاء هذه الأسباب لمسبباتها كاقتضاء الغايات لأسبابها، فتعطيلها منها قدح في الحكمة وتفويت لمصلحة العالم التي عليها نظامه وبها قوامه، وأن الرب سُبْحَانَهُ قد يخرق العادة ويعطلها عن مقتضياتها أحيانًا إذا كان فيه مصلحة راجحة علىٰ مفسدة فوات تلك المسببات، كما عطل النار التي ألقىٰ فيها إبراهيم، وجعلها عليه بردًا وسلامًا عن الإحراق؛ لما في ذلك من المصالح العظيمة، وكذلك تعطيل الماء عن إغراق موسىٰ وقومه وعما خلق عليه من الإسالة والتقاء أجزائه بعضها ببعض، هو لما فيه من المصالح العظيمة والآيات الباهرة والحكمة التامة التي ظهرت في الوجود، وترتب عليها من مصالح الدنيا والآخرة ما ترتب.

فهكذا سائر أفعاله سُبْحَانَهُ، مع أنه أشهد عباده بذلك أنه مسبب الأسباب، وأن الأسباب خلقه، وأنه يملك تعطيلها عن مقتضياتها وآثارها، وأن كونها كذلك لم يكن من ذاتها وأنفسها، بل هو الذي جعلها كذلك وأودع فيها من القوىٰ والطبائع ما اقتضت به آثارها، وأنه إن شاء أن يسلبها إياها سلبها، لا كما يقول أعداؤه من الفلاسفة والطبائعيين وزنادقة الأطباء: إنه ليس في الإمكان تجريد هذه الأسباب عن آثارها وموجباتها، ويقولون: لا تعطيل في الطبيعة، وليست الطبيعة عندهم مربوبة مقهورة تحت قهر قاهر، وتسخير مسخر يصرفها كيف يشاء، بل هي المتصرفة المدبرة.

ولا كما يقول من نقص علمه ومعرفته بأسرار مخلوقاته وما أودعها من القوىٰ والطبائع والغرائز، وبالأسباب التي ربط بها خلقه وأمره وثوابه وعقابه، فجحد ذلك كله ورد الأمر إلىٰ مشيئة محضة مجردة عن الحكمة والغاية، وعن ارتباط العالم بعضه ببعض ارتباط الأسباب بمسبباتها والقوىٰ بمحالها»[1].

وعليه فأهل اليقين ينظرون إلىٰ الأسباب، ويعلمون أنها صادرة عن الخلاق، وأن الله سُبْحَانَهُ تارة ينسب الفعل إليه؛ لأنه الخالق بتقدير وقدرة، وتارة ينسب الفعل إلىٰ عباده عند دعوتهم إلىٰ العمل في الأسباب بمقتضىٰ الشريعة والعقل والحكمة، فمرة يقول سُبْحَانَهُ في بيان التقدير والقدرة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٣، ٦٤]، وقال أيضًا: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس:٢٤ - ٣٢]، فنفىٰ عن الناس خلقهم لأفعالهم وتأثير الأسباب بمفردها في أرزاقهم، وأثبت لنفسه تصريف الأسباب وانفراده بخلقها وتقليبها؛ لأنه الخالق الخلاق علىٰ الحقيقة، فهو الذي علم وكتب، وشاء وخلق، قدر كل شيء بعلمه، وكتبه في أم الكتاب بقلمه، وأمضاه بمشيئته، وخلقه بقدرته.

ثم أمر الناس أن يأخذوا بالأسباب التي خلقها وأحكم ابتلاءهم بها، فقال: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف:٤٧]، وقال تَعَالَىٰ أيضا: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فسماهم زرَّاعًا، وقال: تزرعون، وسماهم كفارًا؛ لأنهم يضعون

(١) طريق الهجرتين (ص٢٥٧).

البذرة ويغطونها ويغيبونها في الأرض، فكلف عباده بالعمل لأنهم في دار ابتلاء وامتحان، والأخذ بالأسباب حتم علىٰ بني الإنسان؛ فهم مستخلفون في ملكه ومخولون في أرضه، فطالب بالعمل والإنفاق مع الإيمان بأنه الخلاق؛ ليصل كل منهم إلىٰ ما قدر له من الأرزاق، فقال تَعَالَى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:٧].

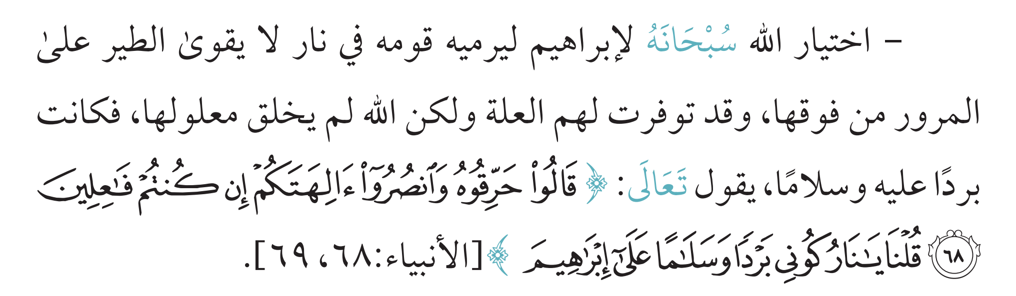
أما ما يتعلق بخلق الله سُبْحَانَهُ للأسباب والعلل من غير مسبباتها وعللها، فمن شواهد ذلك أيضًا:

- خلق الثمار لمريم بنت عمران من غير نباتها، فكانت تأكل من الثمار بدون أسباب، وفي غير أوانها، كما قال تَعَالَى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧]، قيل: إنها كانت ترزق بفاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف[1].

- اختيار الله سُبْحَانَهُ لمريم- أيضًا- لتكون محلًّا للابتلاء، فتحمل من غير زوج، علىٰ غير عادة النساء، وتلد عيسىٰ، كمعلول بغير علة ونتيجة بلا سبب، يقول تَعَالَى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:١٧ - ٢١].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٤٤).



- اختيار الله سُبْحَانَهُ لإبراهيم ليرميه قومه في نار لا يقوىٰ الطير علىٰ المرور من فوقها، وقد توفرت لهم العلة ولكن الله لم يخلق معلولها، فكانت بردًا عليه وسلامًا، يقول تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٨، ٦٩].

- اختيار الله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتضع له السم يهودية، ويتخلف السم عن معلوله، فلم يضره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا، فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا ؟»[1]، وفي رواية مسلم: «فَجِيءَ بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ: **مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَىٰ ذَاكِ**، أَوْ قَالَ: **عَلَيَّ**، قَالَ: قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: **لَا**»[2]، إلىٰ غير ذلك من الشواهد والمعجزات الربانية.

الأثر الرابع: الحكمة من خلق الخلق:

إن الإيمان بأسماء الله الخالق الخلاق البارئ المصور سُبْحَانَهُ يستلزم الإيمان بحكمته سُبْحَانَهُ من هذا الخلق، فالله تَعَالَى لم يخلق الخلق عبثًا- تَعَالَى عن ذلك وتقدس-، يقول تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٧٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٩٠).

بل إنه سُبْحَانَهُ خلق الخلق لحكمة جليلة وغاية عظيمة، ألا وهي معرفة الله سُبْحَانَهُ بآياته ومخلوقاته، ثم القيام بعبادته علىٰ الوجه الذي أمرنا به.

ودليل الأول: قول الله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

ودليل الثاني: قول الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن سر العبودية، وغايتها وحكمتها إنما يطلع عليها من عرف صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، ولم يعطلها، وعرف معنىٰ الإلهية وحقيقتها...، فمن أنكر حقيقة الإلهية ولم يعرفها، كيف يستقيم له معرفة حكمة العبادات؟ وغاياتها ومقاصدها، وما شرعت لأجله؟ كيف يستقيم له العلم بأنها هي الغاية المقصودة بالخلق، والتي لها خلقوا، ولها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولأجلها خلقت الجنة والنار؟...، إن العبادة هي الغاية التي خلق لها الجن والإنس والخلائق كلها، قال الله تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] أي: مهملًا، قال الشافعي: لا يؤمر ولا ينهىٰ، وقال غيره: لا يثاب ولا يعاقب، والصحيح: الأمران، فإن الثواب والعقاب مترتبان علىٰ الأمر والنهي، والأمر والنهي طلب العبادة وإرادتها، وحقيقة العبادة امتثالهما، وقال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]»(١).

(١) مدارج السالكين (١/ ١١٨).

وقد ضل في هذا الباب- الغاية من خلق الخلق- أكثر الخلق؛ فعرفوا أن الذي خلقهم هو الله وحده لا شريك له، وأنه وحده سُبْحَانَهُ تفرد بخلقهم، وخلق السماء، والأرض، والجبال، والأشجار، وغيرها من المخلوقات، ومع هذا الإقرار، صرفوا العبادة لغير الله، وهذا هو معنىٰ قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون»[١].

وقال عكرمة رَحِمَهُٱللَّهُ: «تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، فذاك إيمانهم بالله وهم يعبدون غيره»[٢].

وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام:١] أي: «يجعلون له شريكًا في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شركه في خلق شيء من ذلك، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله، وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره، فسبحان الله ما أبلغها من حجة، وأوجزها من عظة، لمن فكر فيها بعقل، وتدبرها بفهم !»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٦ / ٢٨٦).

(٢) المرجع السابق (١٦ / ٢٨٦).

(٣) المرجع السابق (١١ / ٢٥٢).

الأثر الخامس: محبة الله الخالق الخلاق، البارئ، المصور سُبْحَانَهُ:

من تأمل في خلقه سُبْحَانَهُ وبرئه وتصويره لعباده في أحسن تقويم، وهدايته وتوفيقه، وتسخير الكون العظيم البديع كله لخدمته، وفق حكمة ربانية وعلم إلهي؛ أورث ذلك في قلبه محبة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتعلقًا به سُبْحَانَهُ.

الأثر السادس: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾:

ذكر الله سُبْحَانَهُ الاعجاز في خلق الإنسان، والدعوة إلىٰ التأمل في ذلك في مواضع عديدة في كتابه العظيم، ومن ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق:٥] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [يس:٧٧]، وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢ - ١٤].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «لما كان أقرب الأشياء إلىٰ الإنسان نفسه، دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلىٰ التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر الانسان في نفسه، استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل، فإنه إذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة التوحيد علىٰ ربه ناطقات شاهدة لمدبره، دالة عليه مرشدة إليه، إذا يجده مكونًا من قطره ماء لحومًا منضدة، وعظامًا مركبة، وأوصالًا متعددة، مأسورة مشددة

بحبال العروق والأعصاب، قد قمطت وشدت وجمعت بجلد متين، مشتمل علىٰ ثلاثمائة وستين مفصلًا، ما بين كبير وصغير، وثخين ودقيق، ومستطيل ومستدير، ومستقيم ومنحن، وشدت هذه الأوصال بثلاثمائة وستين عرقًا؛ للاتصال والانفصال والقبض والبسط والمد والضم والصنائع والكتابة.

وجعل فيه تسعة أبواب: فبابان للسمع، وبابان للبصر، وبابان للشم، وبابان للكلام والطعام والشراب والتنفس، وبابان لخروج الفضلات التي يؤذيه احتباسها.

وجعل داخل بابي السمع مرًّا قاتلًا؛ لئلا تلج فيها دابة تخلص إلىٰ الدماغ فتؤذيه، وجعل داخل بابي البصر مالحًا؛ لئلا تذيب الحرارة الدائمة ما هناك من الشحم، وجعل داخل باب الطعام والشراب حلوًا؛ ليسيغ به ما يأكله ويشربه فلا يتنغص به لو كان مرًا أو مالحًا.

وجعل له مصباحين من نور، كالسراج المضيء مركبين في أعلىٰ مكان منه، وفي أشرف عضو من أعضائه، طليعة له وركب هذا النور في جزء صغير جدًّا يبصر به السماء والأرض وما بينهما، وغشاه بسبع طبقات وثلاث رطوبات بعضها فوق بعض، حماية له وصيانة، وحراسة، وجعل علىٰ محله غلقًا بمصراعين أعلا وأسفل، وركب في ذيل المصراعين أهدابًا من الشعر وقاية للعين وزينة وجمالًا، وجعل فوق ذلك كله حاجبين من الشعر يحجبان العين من العرق النازل ويتلقيان عنها ما ينصب من هناك، وجعل سُبْحَانَهُ لكل طبقة من طبقات العين شغلًا مخصوصًا، ولكل واحد من الرطوبات مقدارًا مخصوصًا، لو زاد علىٰ ذلك أو نقص منه لاختلت المنافع والمصالح المطلوبة.

وجعل هذا النور الباصر في قدر عدسة، ثم أظهر في تلك العدسة صورة السماء والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والجبال، والعالم العلوي والسفلي، مع اتساع أطرافه وتباعد أقطاره، واقتضت حكمته سُبْحَانَهُ أن جعل فيها بياضًا وسوادًا، وجعل القوة الباصرة في السواد، وجعل البياض مستقرًّا لها ومسكنًا وزين كلًّا منهما بالآخر.

وجعل الحدقة مصونة بالأجفان والحواجب كما تقدم، والحواجب بالأهداب، وجعلها سوداء؛ إذ لو كانت بيضاء لتفرق النور الباصر، فضعف الإدراك، فإن السواد يجمع البصر ويمنع من تفرق النور الباصر، وخلق سُبْحَانَهُ لتحريك الحدقة وتقليبها أربعًا وعشرين عضلة، لو نقصت عضلة واحدة لاختل أمر العين.

ولما كانت العين كالمرآة التي إنما تنطبع فيها الصور إذا كانت في غاية الصقالة والصفاء، جعل سُبْحَانَهُ هذه الأجفان متحركة جدًّا بالطبع إلىٰ الانطباق من غير تكلف؛ لتبقىٰ هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدورات، ولهذا لما لم يخلق لعين الذبابة أجفانًا، فإنها لا تزال تراها تنظف عينها بيدها من آثار الغبار والكدورات...»[1].

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص٣٠٣).

الأثر السابع: الحذر من عيب ما صوره المصور سُبْحَانَهُ:

فالله سُبْحَانَهُ امتن علىٰ عباده بأن صورهم فأحسن صورهم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، وهذا التصوير يتم علىٰ وجهين:

الأول: تصوير آدم، فقد خلقه الله بيده، وصوره، ثم نفخ فيه الروح، وأسجد له ملائكته: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف:١١].

والثاني: التصوير الذي تم في الأرحام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١١].

وعليه فمن آمن بأن الله هو الخالق الخلاق البارئ المصور، لم يعب علىٰ أحد خلقه، وشكله، وهيئته؛ لأن عيب الصنعة إنما هو عيب لصانعها، ولذا قيل لمن يعيب بعض الناس: أتعيب الخالق، أم تعيب المخلوق!، وفي ذلك يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١١].

فالله تَعَالَىٰ لا يقدر الناس بأشكالهم ولا صورهم، وإنما الميزان الحقيقي للتفاضل هو تقواهم التي في قلوبهم وجهادهم في تحقيق ذلك كما في الآية

السابقة، عندما ذكر الله تَعَالَىٰ التفاضل الحقيقي بالتقوىٰ عقَّب النهي عن الغيبة، واحتقار الناس لبعضهم؛ وذلك تنبيهًا منه سُبْحَانَهُ لتساويهم في البشرية، وأن التفاضل إنما يكون بالأمور الدينية[1].

وهذا هو المنهج النبوي والتربية النبوية، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ**»[2]، **ومن شواهد ذلك ما يلي:**

- حديث أنس بن مالك: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُقَالُ لَهُ زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ، كَانَ يُهْدِي إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ زَاهِرًا بَادِينَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ**، قَالَ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَالرَّجُلُ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ**؟ فَقَالَ زَاهِرٌ: تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللهِ كَاسِدًا، قَالَ: **لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، أَوْ قَالَ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ**»[3].

- حديث عمرو بن الشريد، يحدث عن أبيه، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفَ حَتَّىٰ هَرْوَلَ فِي إِثْرِهِ حَتَّىٰ أَخَذَ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: **ارْفَعْ إِزَارَكَ**،

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٥٧٩٠)، والضياء في المختارة، رقم الحديث: (١٨٠٦)، حكم الألباني: صحيح، مختصر الشمائل، رقم الحديث: (٢٠٤).

فَكَشَفَ الرَّجُلُ، عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَحْنَفُ وَتَصْطَكُّ رُكْبَتَايْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ خَلْقِ اللهِ حَسَنٌ**»، فَلَمْ نَرَ ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَّا وَإِزَارُهُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ حَتَّىٰ مَاتَ [١].

- حديث معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: «كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَلَىٰ شَجَرَةٍ يَجْنِي لَهُمْ مِنْهَا، فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهِ، فَضَحِكُوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ**»[٢].

- حديث أنس، قال: «خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَىٰ أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّىٰ أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَنَعَمْ إِذًا**، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَا هَا اللهِ إِذًا، مَا وَجَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا جُلَيْبِيبًا، وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟ قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ؟ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ، قَالَ: فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا، وَقَالَا: صَدَقْتِ، فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ فَقَدْ رَضِينَاهُ، قَالَ: **فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ**، فَزَوَّجَهَا، ثُمَّ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَرَكِبَ جُلَيْبِيبٌ، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار، رقم الحديث: (١٧٠٨)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٢١٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٤٤١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٠٧٢)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٥٣١٠)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٨٤٥٢)، حكم الألباني : صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣١٩٢).

وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا، وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ»[1].

الحمدُ لله الذي خلقَ السماواتِ والأرضَ، وجعلَ الظلماتِ والنورَ، اللهمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي.



(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث (١٢٥٨٨)، وابن حبان، رقم الحديث : (٤٠٥٩)، حكم الألباني : صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث : (٤٠٤٧).

الخبيرُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❋ **قال الجوهري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «الخَبَر: المزادة العظيمة، والجمع: خبور... والخبر بالتحريك: واحد الأخبار...والاسم: الخُبر بالضم، وهو العلم بالشيء. والخبير: العالم. والخبير: الاكار، ومنه المخابرة، وهي: المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض...»(١).

❋ **قال ابن فارس** رَحِمَهُٱللَّهُ: «الخاء والباء والراء أصلان: فالأول العلم، والثاني يدل علىٰ لين ورخاوة وغزر، فالأول الخبر: العلم بالشيء، تقول: لي بفلان خبرة وخبر. والله تَعَالَىٰ الخبير، أي العالم بكل شيء، وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]، والأصل الثاني: الخبراء، وهي الأرض اللينة...»(٢).

ورود اسم الله (الخبير) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الخبير) خمسًا وأربعين مرة في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[آل عمران:١٨٠].

٢- قوله تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الأنعام:٧٣].

٣- قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر:٣١].

---

(١) الصحاح (٢/ ١٤٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٩٣٢).

ورود اسم الله (الخبير) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الخبير) في السنة النبوية، ومن وروده: حديث مُحَمَّد بْنِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي، قَالَ: فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أُمَّهُ الَّتِي وَلَدَتْهُ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: بَلَىٰ، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَىٰ إِثْرِهِ، حَتَّىٰ جَاءَ الْبَقِيعَ، فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ، فَانْحَرَفْتُ فَأَسْرَعَ، فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ، فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: لَتُخْبِرِينِي، أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ...»[1].

معنى اسم الله (الخبير):

❁ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٤]: «خبير: يعني ذو خبرة وعلم، لا يخفىٰ عليه منه شيء»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٧٩).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤٩).

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخبير: العالم بالشيء، يقال: خبرت الشيء واختبرته، إذا علمته...»[1].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخبير: هو العالم بكنه الشيء، المطلع علىٰ حقيقته، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] »[2].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخبير: الذي انتهىٰ علمه إلىٰ الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها، كما أحاط بظواهرها»[3].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العليم الخبير: هو الذي أحاط علمه بالظواهر، والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء»[4].

اقتران اسم الله (الخبير) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الخبير) باسمه (اللطيف):

اقترن اسم الله (الخبير) باسمه (اللطيف) في خمس آيات من القرآن الكريم، ومنها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

---

(١) اشتقاق أسماء الله (ص: ٧٢١).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٣٦).

(٣) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٢/ ٢٩٤).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٥٤٩).

وجه الاقتران[1]:

١- أن خبرة الله عَزَّوَجَلَّ وعلمه أحاط بأفعاله، التي لطفت عن أن تدركها العقول والأفهام، كما أحاط – أيضًا – بكل ما لطف ودق.

٢- أن لطف الله عَزَّوَجَلَّ الذي دق عن إدراك العقول والأفهام، إنما هو جارٍ علىٰ مقتضىٰ خبرته وعلمه وحكمته.

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الخبير) باسمه (العليم):

ورد اقتران اسمه (الخبير) باسمه (العليم) أربع مرات في القرآن الكريم، منها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النساء:٣٥]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[لقمان:٣٤].

وجه الاقتران:

يدل علىٰ كمال علم الله؛ إذ شمل علمه العالم الظاهر المشهود الذي دل عليه اسم الله (العليم)، وشمل علمه العالم الباطن الغيبي الذي دل عليه اسم الله (الخبير)، وإن كل من الاسمين بمفردهما دال علىٰ العلم بالظاهر والباطن، إلا أنهما إذا اجتمعا خص كل واحد منهما بعلم معين.

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٧٨)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٨١٤).

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الخبير) باسمه (الحكيم):

تقدم بيانه في اسم الله الحكيم.

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الخبير) باسمه سُبْحَانَهُ (البصير):

تقدم بيانه في اسم الله البصير.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الخبير):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الخبير) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ الخبير الذي وسع ودق ولطف علمه وخبرته، حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن، فلم يخف عليه شيء منها، قال تَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣](١).

ومن مظاهر كمال هذا الاسم ما يلي:

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بذاته الجليلة، وبأسمائه الحسنىٰ، وبصفاته العلىٰ، وبأفعاله العظيمة التي لا يحيط بها خلقه، قال تَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] «يعني بذلك: نفسه الكريمة،

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٦٢).

فهو الذي يعلم أوصافه وعظمته وجلاله»[1].

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بما في أرجاء السموات والأرض وأقطارهما من مخلوقاته، حتىٰ الصغير الدقيق الخفي منها، قال تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤][2].

فيعلم الخبير حبة الخردل- التي هي من أصغر الأشياء وأحقرها- في داخل الصخر أو في أي جزء من أجزاء السماوات و الأرض، قال تَعَالَى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:١٦][3].

ويعلم الخبير بسقوط الجزء الصغير من ورق الشجر ونحوه، يعلم من أي موضع سقط، وفي أي مكان من الأرض سقط، وكيف سقط، كما يعلم سُبْحَانَهُ الحبة الصغيرة الساقطة في قاع البحر، المدفنة في تربته، حتىٰ وإن كانت في ليلة مظلمة، مغيمة، ممطرة، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩]»[4]، ويعلم ما يدخل في باطن الأرض من قطر المطر، أو بذر الأرض، كما يعلم ما يخرج منها من ذلك كله، قال تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[سبأ:١، ٢][5].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩١/ ٧٨٢)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٥٤)، وتفسير السعدي (ص: ٥٨٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٧٧٢) (٥/ ٠٥٤)، وتفسير السعدي (ص: ٤٠٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).

(٤) ينظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (١/ ٢٣٣-١٣٣).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٧٦).

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بما يصلح من الأقدار لخلقه مما خفي وغاب عنهم، ولم يدركوا حكمته وسره، قال تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الأنعام:٧٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨].

ومن تلك الأقدار مايلي:

- **تقدير الأرزاق**؛ إذ مبناها علىٰ علم الله وخبرته بحال عباده وما يصلح لهم ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الملك:١٤]، فيعطي هذا ويمنع هذا؛ لعلمه وخبرته بحالهما وما يصلح لكل واحد منهما، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾[الإسراء:٣٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾[الشورىٰ:٢٧]، وقال لأمهات المؤمنين: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب:٣٤] أي: فبخبرته بحالكن، وأنكن أهل لهذه المنزلة العظيمة من الزواج من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وتنزل الوحي في بيوتكن، وذكر السنة فيها، رزقكن ذلك وخصكن به واختاركن له[1].

- **تقدير الشرائع والأحكام**، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾[فاطر:٣١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «فيعطي كل أمة وكل شخص، ما هو اللائق بحاله، ومن ذلك: أن الشرائع السابقة لا تليق إلا بوقتها وزمانها، ولهذا ما زال

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٨٦٢)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٦١٤).

الله يرسل الرسل رسولًا بعد رسول، حتىٰ ختمهم بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء بهذا الشرع، الذي يصلح لمصالح الخلق إلىٰ يوم القيامة، ويتكفل بما هو الخير في كل وقت.

ولهذا لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولًا وأحسنهم أفكارًا، وأرقهم قلوبًا، وأزكاهم أنفسًا؛ اصطفاهم الله تَعَالَى، واصطفىٰ لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيمن علىٰ سائر الكتب»(١).

وجاء هذا الكتاب من الخبير سُبْحَانَهُ، قال تعالَى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، فأحكامه من لدن الخبير الذي يعلم ما يصلح لخلقه منها، وأخباره من لدن الخبير الذي لم تخف عليه دقائق الأخبار وتفاصيلها الماضية منها والحاضرة بل والمستقبلة، قال تَعَالَى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

ومن هنا كان كتاب الله أعظم كتاب وأكمله، وأصدق خبر، وأعدل حكمًا وأحسنه؛ إذ لا مثل الله في العلم والخبرة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

- **تقدير الهدىٰ والضلال**، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء:٩٦، ٩٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليم بهم بمن يستحق الإنعام والإحسان والهداية،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٨٦).

ممن يستحق الشقاء والإضلال والإزاغة، ولهذا قال: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[الإسراء:٩٧]»[1].

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بما دق وخفي من العلوم التي توصل إليها خلقه علمًا وخبرة، والعلوم التي لم يتوصلوا إليها أيضًا، بل علم وخبر سُبْحَانَهُ ما فوق ذلك من تفاصيل ودقائق وخفايا علم الغيب، قال تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:٧٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[لقمان:٣٤]، ثم إنه قد يتوهم متوهم أن خبرة الخلق وعلمهم بالعلوم والأشياء كخبرة الله وعلمه، وهذا باطل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، فعلم الخالق وخبرته كاملة من كل وجه، وعلم الخلق وخبرتهم قاصرة ناقصة من كل وجه.

ومن أوجه قصور علم الخلق وخبرتهم، ما يلي[2]:

أ- افتقار خبرتهم وعلمهم إلىٰ بذل الأسباب والمقدمات الحسية والعقلية للتوصل إليها.

ب- احتمال الخطأ والغلط، بعد العلم والخبرة بالشيء.

ج- تعلق خبرتهم وعلمهم بشيء معين دون جميع الأشياء، فتجد الواحد منهم عالمًا خبيرًا بشيء ما، جاهلًا أميًّا بغيره.

د- تعلق خبرتهم وعلمهم بالدنيا دون الآخرة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٢١).

(٢) ينظر: شأن الدعاء، للخطابي (١/ ٣٦).

- **أنه الخبير** الذي أحاط علمه بما خفىٰ وبطن مما يصدر من خلقه، سواء أكان ذلك نية أو قولًا، أو فعلًا، حسنًا كان أو سيئًا، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورىٰ:٢٧][1]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، لا تخفىٰ عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير»[2].

- **فيعلم الخبير** ما يكون في الصدور من الخفايا، وما يكون في القلوب من النوايا والمقاصد، وما يكون في النفوس من الأفكار والوساوس والخواطر وكمائن الخير والشر مما لا يطلع عليه إلا صاحبها، قال تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك:١٣، ١٤][3]، ومن هنا علم الخبير سُبۡحَانَهُ بسرائر المتخلفين من الأعراب والمنافقين وما في ضمائرهم مما أخفوه وأظهروا خلافه، قال تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا﴾ [الفتح:١١]، وقال: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [النور:٥٣][4].

وعلم مقصد الحكم بين الزوجين ونيته أأرادَ الإصلاح أم غيره، قال تَعَالَى:

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٠٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٧).

(٣) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٦٤).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٧٣٣).

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥][1].

- **ويعلم الخبير** ما يسر من الأقوال، ويهمس من الأصوات كعلمه بما يجهر منها، قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد:١٠]، كما علم الخبير سُبْحَانَهُ بما أسرَّته بعض أمهات المؤمنين من الخطاب لبعض في حادثة التحريم، وأطلع نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣].

- **ويعلم الخبير** ما يصدر من الأفعال والأعمال ولو على وجه الخفاء والخباء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨] سواءأكان ذلك خيرًا أم شرًّا، قال تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء:١٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء:١٣٥]، وقال: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ [الإسراء:١٧]، فيعلم الخبير ما يبذل من الصدقات خفية، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٞ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢٧١]،

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٣٣).

ويعلم **الخبير** ما يكون من مسارقة النظر للحرام، قال تعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]، ويعلم الخبير دفع كفارة الظهار أكانت قبل المساس أم بعده مما يخفىٰ علىٰ الناس ولا يخفىٰ علىٰ الخبير المتعال، قال تعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:٣]، ويعلم الخبير عدة المرأة المتوفىٰ عنها زوجها أقامت بحقها من مدتها، وحدادها، وامتناعها من النكاح ومقدماته أم لا مما لا يظهر لكثير من الناس، قال تعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٤].

فيعلم ذلك كله وغيره من أفعال الخير والشر وإن كان في عتمة الليل وظلمته، أو كان في أماكن الخفاء كالكهوف، والمغارات، والأدغال، وأعماق البحار والقفار، قال تعَالَىٰ: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠][1].

بل لا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نفس ولا يطمئن، إلا وقد علمه الخبير اللطيف[2].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٧٣٤)، وتفسير السعدي (ص: ٥٣٧).

(٢) ينظر: المقصد الأسنىٰ، للغزالي (ص: ٣٠١).

- **أنه الخبير** الذي يحيط علمه بخلقه في الآخرة كما أحاط بهم في الدنيا، قال تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:٩ - ١١] وإنما «خص خبره بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت؛ لأن المراد بذلك: الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه»(١).

وبمقتضىٰ علمه وخبرته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجازيهم علىٰ ما كان منهم من الأقوال، والأعمال، والنوايا، قال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود:١١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:٩ - ١١]، فلا يخاف المحسن ضياعًا ولا نقصًا ولا نسيانًا لحسناته وثوابها، وإن كانت مجرد نية لم يتبعها عمل كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»(٢).

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناسبة ختم قوله تَعَالَى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:١١] باسمه الخبير: «وإيقاع هذه الجملة بعد ذكر ما يقطعه الموت من ازدياد الأعمال الصالحة؛ إيماء إلىٰ أن ما عسىٰ أن يقطعه الموت من العزم علىٰ العمل إذا كان وقته المعين له شرعًا ممتدًّا، كالعمر للحج علىٰ المستطيع لمن لم يتوقع طرو مانع، وكالوقت المختار للصلوات- أن حيلولة الموت دون إتمامه لا يرزئ المؤمن ثوابه؛ لأن المؤمن إذا اعتاد حزبًا أو عزم علىٰ عمل صالح ثم عرض له ما منعه منه؛ أن الله يعطيه أجره.

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٣٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٣١).

ومن هذا القبيل: أن من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، كما في الحديث الصحيح»[1].

وكذا المسيء لا يظن فواتًا ولا نسيانًا لسيئاته وعقابها، إلا أن يتغمده الله برحمته وعفوه.

ومن هنا نجد أن الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا ما يختم أعمال البر باسمه الخبير ترغيبًا فيها؛ ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

٢- قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:١٣].

٣- قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١].

٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

وكذا يختم أعمال السوء باسمه الخبير ترهيبًا منها، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨٢/ ٦٥٢).

وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء:١٣٥]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٨].

فسبحان **الخبير** الذي أحاط علمه بالظواهر، والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله الخبير علىٰ التوحيد:

إن الإيمان باسم الله الخبير يدعو العبد إلىٰ توحيد الله في الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات؛ وذلك أن الله أنزل كتابه الصادر عن علمه وخبرته، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، وأخبر فيه بأنواع التوحيد الثلاثة ودعا الخلق إليها.

فأخبر الخبير بأنه الخالق وحده، وأنه الرازق وحده، وأنه النافع الضار وحده، وأنه المحيي المميت وحده، ونحو ذلك من أفراد الربوبية، وهذا يعني أن يوحد الله فيها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٧، ١٨].

وأخبرهم **الخبير** بأنه المستحق للعبودية وحده، وأن كل ما سواه لا يستحق منها شيئًا؛ إذ هو فقير عاجز لا يملك شيئًا لنفسه ولا لعابده، فليس بيده نفع ولا ضر ولا تصريف ولا ملك لشيء قليل ولا كثير، بل حتىٰ ولا القطمير ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾[فاطر:١٣]، فما كان كذلك كيف يدعىٰ ويعبد؟ وكيف يجعل ندًّا لله الملك الذي بيده كله شيء؟

ثم إنه في آية فاطر: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤] أخبر بأمور كل واحد منها كاف لنبذ كل معبود سوىٰ الله، ونبذ العبادة إليه؛ إذ أخبر[1]:

أولًا: أن هذه المعبودات لا تسمع ولا تعلم بعابدها وداعيها؛ لأنهم ما بين جماد، وأموات، وملائكة مشغولين بطاعة ربهم ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾[فاطر:١٤]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾[الأحقاف:٥].

ثانيًا: أن هذه المعبودات من دون الله لو قدر أنها سمعت وعلمت بعابدها وداعيها؛ فهي لا تملك شيئًا ولا حتىٰ الشفاعة التي تعلق بها الكثير ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾[الزمر:٤٤]، فكيف تجيبهم لمطالبهم؟! ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾[فاطر:١٤].

ثالثًا: أن هذه المعبودات من دون الله تتبرأ يوم القيامة من عابدها وداعيها، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ﴾[فاطر:١٤]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ۝٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾[مريم:٨١، ٨٢].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٥)، وتفسير السعدي (ص: ٧٨٦).

وأخبرهم الخبير بأن له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ، وأن طريق معرفتها الوحي، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩]، قال جماعة من المفسرين: يعني بذلك: نفسه الكريمة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[١]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد- صلوات الله وسلامه علىٰ سيد ولد آدم علىٰ الإطلاق في الدنيا والآخرة، الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ- فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق...»[٢].

وهذا يعني: إثبات ما أثبتها الله لنفسه ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات.

كل ذلك من غير تحريف ولا تعطيل؛ إذ خبرهما أفصح خبر وأبينه، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ لأخبره سُبْحَانَهُ أنه لا مثيل ولا شبيه له، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]، وبهذا يوحد الله في أسمائه وصفاته.

ثم إن هذا الإخبار من الله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد أصدق خبر وأكمله وأحقه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]، فلا يخبرك بالأمور وأحكامها

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩١/ ٧٨٢)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٥٤)، وتفسير القرطبي (٣١/ ٣٦)، وفتح القدير، للشوكاني (٤/ ٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ١١٩).

وعواقبها ومآلها، وما تصير إليه أصدق من الله العليم الخبير، «فاجزم بأن هذا الأمر الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا تمتر»[1].

الأثر الثالث: الرجوع للكتاب والسنة في معرفة الله الخبير:

إن الإيمان باسم الله الخبير يدعو العبد للرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا ما أراد أن يتعرف علىٰ معوده الحق الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كان ذلك من ناحية التعرف علىٰ أسمائه وصفاته وأفعاله، أو من ناحية التعرف علىٰ محبوباته ومرغوباته ومراضيه، وبالمقابل مكروهاته ومساخطه؛ إذ في الكتاب والسنة خبر ذلك علىٰ وجه التفصيل والإحكام، قال تَعَالَى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١].

ثم إنه لا أحد أعرف بالله من الله، ولا أحد من الخلق أعلم بالله، ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٩]، يعني بذلك: نفسه سُبْحَانَهُ، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما تقدم-، والكل صحيح[2].

وهذا يعني: الرجوع إلىٰ خبر الله ورسوله في العلم بذلك دون غيرهما، سواء أكان عقلًا أو هوىٰ أو شيخًا مبتدعًا أو طريقًا من طرق الصوفية أو غير ذلك.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآية: «والمعنىٰ: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلىٰ غيري»[3].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٨٦).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٠٧٢).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٣٥٤).

الأثر الرابع: إصلاح الباطن:

إذا علم العبد أن ربه الخبير خبير بباطنه كظاهره، وسره كجهره، يعلم خطره وفكره، وما في قلبه من العقائد والمقاصد والأحقاد والأضغان والكبر والعجب، والتعلق بالدنيا، وإضمار الشر مع إظهار الخير، والتجمل بالإخلاص مع الإفلاس ونحو ذلك، وأن الكل مكشوف أمامه لا يخفىٰ عليه ولا يغيب عنه، بل هو محل نظره، كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

فإذا علم العبد هذا سارع لإصلاح باطنه كما يصلح ظاهره، وتخلص من آفاته كما يتخلص من آفات ظاهره، واعتنىٰ بعمل قلبه كما يعتني بعمل جوارحه، وراقبه دومًا ولم يغفله.

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في أهمية هذا الأمر: «إن لله علىٰ العبد عبوديتين: عبودية باطنة، وعبودية ظاهرة؛ فله علىٰ قلبه عبودية، وعلىٰ لسانه وجوارحه عبودية، فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع التعري عن حقيقة العبودية الباطنة لا يقربه من الله، ولا يوجب له الثواب، وقبول عمله؛ فإن المقصود امتحان القلوب، وابتلاء السرائر، فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح، والنية هي عمل القلب الذي هو ملك الأعضاء، والمقصود بالأمر والنهي.

فكيف يسقط واجبه، ويعتبر واجب رعيته وجنده وأتباعه اللاتي إنما شرعت واجباتها لأجله ولأجل صلاحه! وهل هذا إلا عكس القضية وقلب

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٦٥٢).

الحقيقة! والمقصود بالأعمال كلها ظاهرها وباطنها: إنما هو صلاح القلب، وكماله، وقيامه بالعبودية بين يدي ربه وقيومه وإلـهه»[1].

الأثر الخامس: محبة الله الخبير:

إن إيمان العبد باسم الله الخبير وما فيه من تمام العلم والخبرة؛ يورث القلب محبة الله عَزَّوَجَلَّ؛ ذلك أنها صفة كمال، والقلوب فطرت علىٰ محبة من له الكمال.

ثم إن العبد إذا ضم إليها صفات ربه الأخرىٰ كالحكمة، والحلم، والستر، ونحوها، وتأمل كيف أنه قدر له ما فيه مصلحته بمقتضىٰ خبرته وحكمته ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨]، وتأمل كيف أنه يطلع عليه ويخبره، وهو يتقلب في معاصيه ليل نهار ومع ذلك يحلم عليه ويستره؛ زاد حبه لربه الخبير.

فاللهمَّ يا خبير يا عليم، أصلح لنا ظاهرنا وباطننا، وسرنا وعلانية، وشأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.



---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٩١).

ذو الجلال والإكرام جَلَّجَلَالُهُ

ثبوت الأسماء المبدوءة بـ«ذو» في حق الله تعالىٰ:

يرىٰ بعض أهل العلم أن «الوارد في الكتاب والسنة من الأسماء المبدوءة بـ(ذو) المضافة إلىٰ صفة من صفات الله، أو فعل من أفعاله، أو خلق من مخلوقاته، من أعظم ما يمدح به رب العزة ويدعىٰ به، ولكنها لا تدخل في أسمائه الحسنىٰ التسعة والتسعين... لأن معنىٰ (ذي القوة، وذي الرحمة، وذي الكبرياء): صاحب القوة والرحمة والكبرياء؛ فذو في اللغة بمعنىٰ: صاحب، وهذه الأسماء ثلاثة أقسام:

الأول: ما أضيف منها إلىٰ صفة من صفات الباري، وهذا نوعان:

النوع الأول: أن تكون لهذه الصفات أسماء تدل عليها صرحت بها النصوص، وهي: ذو الرحمة، ذو القوة، ذو المغفرة، ذو الجبروت، ذو الملكوت، ذو الكبرياء، ذو العظمة.

والأسماء التي تضمنت هذه الصفات هي: الرحمن، الرحيم، القوي، الغفار، الغفور، الجبار، الملك، الكبير، العظيم.

والنوع الثاني: صفات ليس لها أسماء تدل عليها في الكتاب والسنة.

وهي: ذو الطول، ذو الفضل، ذو الجلال والإكرام، فإن هذه الصفات أضيفت «ذو» إلىٰ كل منها، وليس لأي منها اسم مصرح به في النصوص.

القسم الثاني: ما أضيف إلىٰ فعل من أفعال الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهما اسمان هما: ذو عقاب أليم، وذو انتقام.

القسم الثالث: ما أضيف إلىٰ بعض مخلوقاته، وهما اسمان هما: ذو العرش، وذو المعارج»[1].

-أما بالنسبة لحكم تسمية الله بهذه الأسماء المضافة:

فقد اختلف أهل العلم في تسمية الله بـ«ذو الجلال والإكرام»، فمنهم من لم يجعله من أسماء الله، وجعله من الصفات باعتبار أن معنىٰ (ذو): صاحب.

واختار آخرون: أنه من الأسماء؛ للنصوص الصحيحة الواردة فيه، وقد ذكره الشيخ محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أسماء الله في (القواعد المثلىٰ)[2]، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أسماء الله تَعَالَىٰ ما يكون مضافًا، مثل: مالك الملك، ذي الجلال والإكرام».

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكرام بالضم، مثل الكريم، فإذا أفرط في الكرم قيل: كرَّام بالتشديد، وكارمت الرجل، إذا فاخرته في الكرم، فكرمته أكرمه بالضم، إذا غلبته فيه، ... والإكرام: مصدر مثل مخرج ومدخل»[3].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(جل) الجيم واللام أصول ثلاثة، (منها):

---

(١) أسماء الله الحسنىٰ الهادية إلىٰ الله والمعرفة به، لعمر الأشقر (ص٣٢-٤٢).

(٢) القواعد المثلىٰ (ص: ٦١).

(٣) الصحاح (٥/ ٨٩٢).

جل الشيء: عظم، وجل الشيء معظمه، وجلال الله: عظمته، وهو ذو الجلال والإكرام...»[1].

ورود اسم الله (ذي الجلال والإكرام) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (ذي الجلال والإكرام) مرتين في القرآن الكريم، وهما:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

ورود اسم الله (ذي الجلال والإكرام) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (ذي الجلال والإكرام) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**». قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ[2].

٢- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»[3].

٣- وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَلْقَةِ وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ جَلَسَ وَتَشَهَّدَ ثُمَّ دَعَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٧١٤-٨١٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٤٢٥٣)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٣٣٨٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٣٥١).

إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[1].

- معنى اسم الله (ذي الجلال والإكرام) في حقه تعالى:

يدور معنىٰ اسم الله (ذو الجلال والإكرام) علىٰ أنه سُبْحَانَهُ هو الموصوف بنعوت الجلال، وهي: كمال العز، والملك والتقدس، والعلم والغنىٰ، والقدرة، وغيرها من الصفات.

وحول هذا المعنىٰ تدور أقوال العلماء، ومنها:

❁ **قال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: ذو العظمة والكبرياء»[2].

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٧٨] يقول- تَعَالَى ذكره-: تبارك ذكر ربك يا محمد ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾، يعني: ذي العظمة ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه»[3].

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذو الجلال: أنه المستحق لأن يجل ويكرم»[4].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٠٨٢١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٩٤١)،، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث (٢٤٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٨٧٢).

(٤) تفسير الأسماء الحسنىٰ (ص: ٢٦).

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذو الجلال والإكرام: الجلال: مصدر الجليل. يقال: جليل بين الجلالة والجلال، والإكرام: مصدر أكرم، يكرم، إكرامًا، والمعنىٰ: أن الله- جل وعز- مستحق أن يجل ويكرم فلا يجحد، ولا يكفر به، وقد يحتمل أن يكون المعنىٰ: أنه يكرم أهل ولايته، ويرفع درجاتهم بالتوفيق لطاعته في الدنيا، ويجلهم بأن يتقبل أعمالهم ويرفع في الجنان درجاتهم، وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين- وهو الجلال- مضافًا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ، بمعنىٰ: الصفة له، والآخر مضافًا إلىٰ العبد بمعنىٰ: الفعل منه، كقوله سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦] فانصرف أحد الأمرين- وهو المغفرة- إلىٰ الله سُبْحَانَهُ، والآخر إلىٰ العباد، وهو التقوىٰ»[١].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الجلال) عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح، يقال: جل الشيء، أي: عظم، وأجللته، أي: عظمته... (والإكرام) أي: هو أهل لأن يكرم عما لا يليق به من الشرك، كما تقول: أنا أكرمك عن هذا، ومنه: إكرام الأنبياء والأولياء»[٢].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]: «وقد نعت تَعَالَىٰ وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، أي: هو أهل أن يجل فلا يعصىٰ، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨]، وكقوله إخبارًا

(١) شأن الدعاء (ص: ١٩-٢٩).

(٢) تفسير القرطبي (٧١/ ٥٦١).

عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩]»[1].

❊ **وقال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياءه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه»[2].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَهْوَ العَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنًى يُوجِبُ التَّـ ـعْظِيمَ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إِنْسَانِ

وَهْوَ الجَلِيلُ فَكُلُّ أَوْصَافِ الجَلَا لِ لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِلَا بُطْلَانِ[3]

اقتران اسم الله (ذو الجلال والإكرام) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله (ذو الجلال والإكرام) مقترنًا بأي من أسمائه الأخرىٰ.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٩٤).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٣٠).

(٣) النونية (ص: ٢٠٣).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (ذو الجلال والإكرام):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (ذوالجلال والإكرام) من صفات، وتوحيد الله به:

إن الله هو المستحق وحده لأن يجل وينزه ويعظم لكمال ذاته وصفاته وأسمائه، وليس في الوجود من هو بمثل هذه الصفة غيره - جَلَّجَلَالُهُ وتقدست أسماؤه.

ولقد اختص الله سُبْحَانَهُ وحده بالجلال؛ لأن جلاله ليس بأنصار وأعوان وسبب من الأسباب، بل للأوصاف الرفيعة والعزة والعلو التي تلحق به.

وكل جلال وكل كرامة منه، والجلال له في ذاته، والإكرام هو فيض متناه منه علىٰ خلقه، فلا شرف ولا مجد ولا عزة ولا قوة إلا وهي له وبه ومنه، قال الأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يقال: (الجلال) إلا لله عَزَّوَجَلَّ»(١).

والإكرام فيض منه علىٰ خلقه، وإكرامه لخلقه بالعطايا والمنح، والآلاء والنعم لا يحصر ولا يعد؛ فهو الجدير بالإكرام من خلقه تعظيمًا لجلاله، وعرفانًا بفضله وإكرامه، وتقديرًا لآلائه وإحسانه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أعز أنواع المعرفة: معرفة الرب سُبْحَانَهُ بالجمال، وهي معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفه بصفة من صفاته، وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله، وجماله، سُبْحَانَهُ ليس كمثله شيء في سائر صفاته!»(٢).

---

(١) اشتقاق الأسماء الحسنىٰ (ص: ١٠٢).

(٢) الفوائد (ص: ٢٨١).

فـ«لا يستطيع بشر النظر إلىٰ جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سُبْحَانَهُ في جنات عدن أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذ إلىٰ شيء غيره»[1].

فَسُبْحَانَهُ وهب الجمال لبعض خلقه وسلبهم الجلال، ووهب الجلال لبعض خلقه وسلبهم الجمال، ووهب بعض خلقه الجمال مع الجلال، لكنه سلبهم دوام الحال، وتفرد سُبْحَانَهُ الجليل الجميل بالجلال المطلق والجمال التام مع دوام الحال[2].

وحري بالقلب أن يتعلق بصاحب الجلال والإكرام سُبْحَانَهُ، ويوحده بألوهيته وربوبيته، ويديم النظر والتفكر في آلائه وأسمائه وصفاته، ويكثر بالتضرع والخضوع لجلاله سُبْحَانَهُ، وطلب فضله وإكرامه.

وكما أن اسم الله (ذو الجلال والإكرام) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله (ذو الفضل)، و(القدوس)، و(الكريم)، و(الجميل)، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

---

(١) روضة المحبين، لابن القيم (ص: ١٢٤).

(٢) سيأتي مظاهر جلال الله وعظمته في اسم الله (العظيم)، وآثار كرمه في اسم الله (الكريم) جَلَّجَلَالُهُ.

الأثر الثاني: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦]: كتب الله تَعَالَىٰ علىٰ خلقه الفناء، وكتب علىٰ نفسه البقاء، يقول تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وفي تفسير هذه الآية يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من علىٰ الأرض، من إنس وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنىٰ ويموت ويبيد ويبقىٰ الحي الذي لا يموت ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياءه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه»[(١)].

والقلب إن استحضر حقيقة فناء كل المخلوقات، وبقاء رب البريات وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَهِمَ القاعدة الربانية التي هي أساس الخلق، فالله سُبْحَانَهُ لم يجعل الدنيا دار مقر، وإنما جعلها دار ممر، الرابح فيها من صلح زرعه، والخاسر من فسد ثمره، فالرابح قد أصلح زرعه في الدنيا؛ ليقطف ثمره في الآخرة، وأخلص العمل لذي الجلال والإكرام، الذي يجل من أطاعه ويكرمه في الدنيا والآخرة، ورغب فيما عنده من الثواب، وخشي ما عنده من العقاب.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٣٠).

الأثر الثالث: تكريم ذو الجلال والإكرام للإنسان:

«وهذا التكريم مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، والتكريم: جعله كريمًا، أي: نفيسًا غير مبذول ولا ذليل»[1].

ومظاهر تكريم الله لعباده كثيرة، لعل من الأصول الجامعة له ما يلي:

١- تكريم الله للإنسان عند خلقه، وما رافق ذلك الخلق من مظاهر التعظيم والعناية والحفاوة التي خص الله بها هذا المخلوق وذريته منذ البداية، ومن ذلك:

- **خلقه وتسويته في أحسن تقويم**: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: «أي: يمشي قائمًا منتصبًا علىٰ رجليه، ويأكل بيديه، وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كله، وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية».

-**-إسجاد الملائكة له**، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٣٤].

- **إسكانه الجنة**، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:٣٥].

- **تعليمه ما لم تعلمه حتىٰ الملائكة الكرام**، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة:٣١].

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ١٦٥).

٢- تكريمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته والتي استأهل بها الخلافة في الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج وينشئ، ويركب ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، فخصه الله بملكة العقل والفكر، وهي الصفة التي خولت الإنسان القابلية والقدرة على التعلم والتعليم، والتفكير والتدبير، وعن ذلك نشأ وتحصل للإنسان ما لا يعد ولا يحصى من المعارف والعلوم والخبرات الإنسانية المكتسبة.

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادَر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة»[١].

٣- تكريمه بتسخير ما لا يحصى من مخلوقات هذا الكون وخيراته ونعمه له، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٢ - ٣٤]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٢، ١٣][٢].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٦٤).

(٢) للاستزادة، يراجع: اسم الله الكريم.

٤- **وأعظم تكريم: إرسال الرسل له**، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٦٣]، وإكرامه بالإسلام، وهي كرامة خاصة بالمؤمنين، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:٣١].

الأثر الرابع: محبة ذي الجلال والإكرام سُبْحَانَهُ:

(ذو الجلال والإكرام) اسم جامع للجلال والجمال؛ فإنه تَعَالَى له جلال مهيب وجمال عجيب، فالجمال له، والإجلال كله منه، فلا يستحق أن يحب بذاته من كل وجه سواه؛ لما له من كمال الجمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فليس في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله صفة نقص وذم، بل هي جميلة جليلة، حسنىٰ طيبة، وخير كلها.

الأثر الخامس: تعظيم الله وإجلاله:

(ذو الجلال والإكرام) سُبْحَانَهُ الذي يكرم عباده، حق علىٰ عباده أن يكرموه بطاعته وتقواه، وبتعظيمه وإجلاله ثناء عليه، وتمجيدًا له وتعظيمًا له، وتنزيهًا له عن كل نقص وعيب، ومن مظاهر إجلال الله:

١) إجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

إن أعظم توقير يجب أن يكون لمن أسبغ عليك النعم، ورفع عنك البلاء والنقم، ومن تأمل قول الله تَعَالَى علىٰ لسان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[نوح:١٣]؛ أدرك عظمة ذي الجلال وهيبته، ومن إجلاله تَعَالَى ما يلي:

إجلال أسمائه وصفاته، بإثباتها له سُبْحَانَهُ كما أثبتها لنفسه من غير

تحريف أو تعطيل أو تمثيل أو تكييف، يقول تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

من إجلال تَعَالَى **إجلال القرآن العظيم**: فهو كلامه الجليل سُبْحَانَهُ الذي عظمه، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، وتعظيم القرآن يكون بالإيمان بما جاء فيه، وتلاوة كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، وتعلمه وتعليمه والإنصات إليه والعمل به.

ومن عظمة القرآن: جعل الله أهل القرآن هم أهله وخاصته، كما في الحديث: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ، وَخَاصَّتُهُ**»[1].

٢) إجلال كل ما أجله الجليل سُبْحَانَهُ من خلقه، ومن ذلك:

- إجلال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتوقيره، يقول الله تَعَالَى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الفتح:٩].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: «والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار، ومن ذلك: أنه خصه في المخاطبة بما يليق به، فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور:٦٣]، فنهىٰ أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أكرمه في مخاطبته

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٧٤٢١)، والنسائي، رقم الحديث: في الكبرىٰ (٧٧٩٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٥١٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٦١٢).

إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[الأحزاب:٢٨] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأحزاب:٥٩]»[1].

إجلال ثلاثة نص عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**إِنَّ مِنَ إِجْلَالِ اللهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»[2].

فمن إجلال الله: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام، بتوقيره في المجالس، والرفق به، والشفقة عليه، ونحو ذلك كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله، وإجلال حامل القرآن وإكرامه لحفظه كتاب الله، وسماه حاملًا له؛ لتحمله المشقة في ذلك، وإجلال السلطان القسط العادل بين الناس[3].

٣) إجلال حرمات ذي الجلال وحدوده:

فعظمة الله تَعَالَى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته؛ «لأن تعظيم حرمات الله من الأمور المحبوبة لله، المقربة إليه، التي مَن عظَّمها وأجلَّها أثابه الله ثوابًا جزيلًا، وكانت خيرًا له في دينه، ودنياه وأخراه عند ربه.

وحرمات الله: كل ما له حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها، فتعظيمها: إجلالـها بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية

---

(١) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول (ص: ٢٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٥٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير (٩٩١٢).

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (٣١/ ٢٣١).

فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل»[1]، ويدل علىٰ ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج:٣٢].

الأثر السادس: ذو الجلال يُخاف عقابُه، وذو الإكرام يُرجىٰ ثوابُه:

لا ينال العبد المعرفة إلا إذا عرف ذا الجلال والإكرام؛ لأنه جمع بين الرغبة والرهبة والرجاء والخوف.

فلا نجاة للإنسان حقًّا إلا إذا خاف ورجا؛ لأن الخوف المطلق يسلم إلىٰ اليأس، والرجاء المطلق يسلم إلىٰ التفريط.

وقد حثنا الله سُبْحَانَهُ علىٰ أن نخاف ونرجو، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦] وتدبر قول الله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي: جامعين بين الوصفين، خوفًا أن ترد أعمالهم، وطمعًا في قبولها، وخوفًا من عذاب الله[2].

وفسر بعضهم التقوىٰ بأنها الوقوف بين منزلة الخوف والرجاء، فالمؤمن إذا تذكر جلال الله رهب، وإذا تذكر كرمه طمع ورجا، وهكذا يعيش في مقام الرهبة فيعمل ويجتهد في الطاعة، ويحترز من المعاصي، ويعيش في مقام الرجاء فيأنس ويطمئن قلبه ويأمن.

وفي ذلك يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٤٦] «وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهىٰ عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٣٥).

(٢) المصدر السابق (ص: ٥٥٦).

إحدىٰ الجنتين جزاء علىٰ ترك المنهيات، والأخرىٰ علىٰ فعل الطاعات»[1].

الأثر السابع: الدعاء باسم الله ذو الجلال والإكرام:

هذا الأثر وصية من وصايا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ**»[2].

و«**أَلِظُّوا**» بظاء معجمة مشددة، وفي رواية بحاء مهملة، «**بِيَا ذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ**»، أي: الزموا قولكم ذلك في دعائكم؛ لئلا تركنوا وتطمئنوا لغيره، وقد ذهب بعضهم إلىٰ أنه اسم الله الأعظم[3].

وقد جاء في الحديث الذي فيه ذكر اسم الله الأعظم الدعاء بذي الجلال والإكرام، وفي الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسا- يعني: ورجل قائم يصلي- فلما ركع وسجد وتشهد دعا، فقال في دعائه: اللهم إني أسألك، بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[4].

اللهم يا ذا الجلال والإكرام أكرمنا بطاعتك، واقسم لنا من خشينك ما تحول به بيننا وبين معاصيك.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٣٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (١/ ٧٢٢).

(٤) سبق تخريجه.

الربُّ جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رب كل شئ: مالكه، والرب: اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك... والرباني: المتأله العارف بالله تَعَالَى، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩]: وربيت القوم: سستهم، أي: كنت فوقهم، قال أبو نصر: وهو من الربوبية، ومنه قول صفوان: (لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن)، ورب الضيعة، أي: أصلحها وأتمها، ورب فلان ولده يربه ربًّا، وربه، وتربه، بمعنىً، أي: رباه»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرب) الراء والباء يدل علىٰ أصول؛ **فالأول**: إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب: المالك، والخالق، والصاحب، والرب: المصلح للشيء، يقال: رب فلان ضيعته، إذا قام علىٰ إصلاحها... والله- جل ثناؤه- الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه.

والأصل الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول. يقال: أربت السحابة بهذه البلدة، إذا دامت...

---

(١) الصحاح (١/ ٠٣١).

والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء، وهو- أيضًا- مناسب لما قبله، ومتىٰ أنعم النظر كان الباب كله قياسًا واحدًا»[1].

ورود اسم الله (الرَّب) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الرب) في كتاب الله في مواضع عديدة، وفي سياقات متنوعة، فجاء مضافًا إلىٰ (العالمين)، وإلىٰ (كل شيء)، وإلىٰ (موسىٰ وهارون)، وإلىٰ (العرش العظيم)، وإلىٰ (السماوات والأرض)، وإلىٰ (المشرق والمغرب)، ومضاف للضمير (ربكم...)، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام:١٦٤].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[الرحمن:١٧].

كما جاء مفردًا في إحدىٰ وخمسين ومائة مرة، ومن ورود ما يلي:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس:٥٨].

ورود اسم الله (الرب) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الرب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُقَالُ لِجَهَنَّمَ: هَلِ امْتَلَأْتِ، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، فَيَضَعُ الرَّبُّ** عَزَّوَجَلَّ **قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ**»[2].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٤٨٤).

٢- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: «كشف رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الستارة، والناس صفوف خلف أبي بكر؛ فقال: **أَيُّها النَّاسُ! إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّراتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المُسْلِمُ، أَوْ تُرَىٰ لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ القُرْآنَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا؛ فَأَمَّا الرُّكوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ** عَزَّوَجَلَّ، **وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»[(١)].

٣- وعن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَكُنْ**»[(٢)].

معنى اسم الله (الرب) في حقه تعالى:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «فربنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل له في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر»[(٣)].

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُٱللَّهُ: «رب العالمين، أي: مالكهم، وكل من ملك شيئًا فهو ربه، فالرب: المالك... والرب: السيد، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[يوسف:٤٢]، وفي الحديث: (**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**)[(٤)]، أي:

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٩٧٥٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي (٩٧٥٣).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٤١).

(٤) أخرجه مسلم (٨).

سيدتها،... والرب: المصلح والمدبر والجابر والقائم، قال الهروي وغيره: يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد رَبَّهُ يُرَبِّهِ فهو ربٌّ له ورابٌّ، ومنه سمي الربانيون لقيامهم بالكتب، وفي الحديث: «**هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا**»[1]، أي: تقوم بها وتصلحها، والرب: المعبود»[2].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح، والله تَعَالَى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها»[3].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تَعَالَى»[4].

❊ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرب، هو المربي جميع العالمين- وهم من سوى الله- بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة، فمنه تَعَالَى»[5].

اقتران اسم الله (الرب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم (الرَّبِّ) باسم (الله) عَزَّوَجَلَّ:

سبق بيانه في اسم الله (الله).

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٥٢) .

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٣٦-١٣٧).

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٢).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٣٩).

ثانيًا: اقتران اسم (الربِّ) باسميه سُبْحَانَهُ (الرحمن، الرحيم):

اقترن اسم (الرب) باسمي (الرحمن، الرحيم) كما في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٢، ٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [النبأ:٣٧]، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

وجه الاقتران:

١- الجمع بين الترغيب والترهيب، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصف نفسه تَعَالَى بعد «رب العالمين»، بأنه «الرحمن الرحيم»؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ «رب العالمين» ترهيب قرنه بـ «الرحمن الرحيم»، لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، فيكون أعون علىٰ طاعته وأمنع، كما قال تَعَالَى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠]، وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر:٣]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»[1]»[2].

٢- بيان سعة رحمته وشمولها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها أقصىٰ شمول للرحمة وسعتها؛ فوسع كل شيء برحمته وربوبيته»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٥٧٢).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٩٣١).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٣).

ثالثًا: اقتران اسم (الربِّ) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور):

اقترن اسم (الرب) باسمه (الغفور) كما في قوله تَعَالَى: ﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ:١٥].

وجه الاقتران:

التأكيد علىٰ أن من أخص صفات الرب: المغفرة، وأنها من موجبات ربوبيته ولوازمها[١].

رابعًا: اقتران اسم (الربِّ) باسمه سُبْحَانَهُ (العزيز):

اقترن اسم (الرب) باسمه (العزيز) كما في قوله تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٦].

وجه الاقتران:

للدلالة علىٰ أن صفة العزة والغلبة من موجبات الربوبية والسؤدد.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرَّبِّ):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرب) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ الرب الذي خلق الخلق، ولم يتركهم هملًا، بل تصرف فيهم بما يصلح شؤونهم ويقيم أحوالهم، وتعاهدهم بالتربية والرعاية، فجاءت تربيته لهم علىٰ نوعين:

---

(١) ينظر: المرجع السابق بنفس الصفحة.

النوع الأول: الربوبية العامة:

الشاملة لكل خلقه، فالله سُبْحَانَهُ رب العالمين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، والعالمين: جمع عالم، وكل ما سوى الله عَزَّوَجَلَّ عالم[1]، فشمل بربوبيته كل شيء سواه.

فهو رب العرش العظيم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، وقال تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦].

وهو رب السموات والأرض وما بينهما وما فيهما، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٦]، وقال تَعَالَى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٣، ٢٤].

وهو رب المشرق والمغرب، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩]، وقال تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧].

وهو رب الأولين والأخرين: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:١٢٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:٢٦].

وصلت ربوبيته لكل إنس وجن، بر وفاجر، مؤمن وكافر، وكل حيوان، ونبات، وجماد.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

لا يخرج شيء عن ربوبيته البتة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام:١٦٤] ولا أوسع ولا أشمل كلمة و لا أكثر استغراقًا من كلمة شيء؛ فالذرة شيء، وجزئيات الذرة شيء، والنواة شيء، والشمس شيء، والمجرات شيء، والكون شيء...إلخ.

ومن آثار ربوبيته العامة:

- خلقه وإيجاده لهم من عدم، وتصويره إياهم علىٰ ما قضىٰ وقدر، قال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[الأنبياء:٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٤٩]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطىٰ كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال علىٰ حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته- ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[غافر:٦٤]»[1].

- إنعامه ورزقه لهم، فرباهم بما أغدق عليهم من النعم والأرزاق الظاهرة والباطنة التي لو فقدوها لاختلت حياتهم وما كان لهم بقاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[غافر:٦٤]، وقال حاكيًا عن فرعون سؤاله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٤٩، ٥٠] إلىٰ أن قال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٠٥).

فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾[طه:٥٣، ٥٤].

- القيام على شؤنهم وتدبير أمورهم، كما قال تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٤٩، ٥٠] هدى كل مخلوق لما خلق له من المنافع، وهداه لدفع المضار عنه، حتى أن الله أعطى الحيوان البهيم من العقل ما يتمكن به من ذلك(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قائم على كل نفس بخيرها وشرها، قد استوى على عرشه، وتفرد بتدبير ملكه، فالتدبير كله بيديه، ومصير الأمور كلها إليه، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع، والخفض والرفع، والإحياء والإماتة، والتوبة والعزل، والقبض والبسط، وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩] لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا معقب لحكمه، ولاراد لأمره، ولا مبدل لكلماته، تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال- أول النهار وآخره- عليه، فيقدر المقادير ويوقت المواقيت، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها، قائمًا بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه»(٢).

- تعريف عباده بنفسه وبغايتهم التي خلقوا من أجلها، وتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم؛ فلم يترك عباده سدى هملًا لا يعرفهم بنفسه ولا ما

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ٢٤١).

ينفعهم ولا يضرهم في المعاش والمعاد، كما لم يخلقهم عبثًا يأكلون ويشربون ويمرحون دون أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب، كما قال تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون:١١٥، ١١٦] تعاظم عن هذا الظن الباطل الذي يقدح في حكمته تَبَارَكَ وَتَعَالَى[١].

النوع الثاني: الربوبية الخاصة:

التي اختص الله بها أولياءه وأهل طاعته، حيث رباهم فوفقهم للإيمان به، والقيام بعبوديته، وغذاهم بمعرفته، ونمىٰ ذلك بالإقامة عليه، وأخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، ويسرهم لليسرىٰ وجنبهم العسرىٰ، ودفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

فحقيقتها: التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر[٢].

ومن صور هذه التربية: أن يلقي في نفوس أوليائه إذا أقبلوا عليه بالطاعات الراحة والسكينة والانشراح، فيحببها لهم، وإذا عصوه أو هموا بمعصيته الضيق والكآبة والحزن فيبغضها لهم، قال تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[الحجرات:٧].

فمن وجد في نفسه هداية وإيمانًا فهو محض فضل رب العالمين، فهو سُبْحَانَهُ الذي دفعه وساقه إلىٰ طاعته، وألقىٰ في قلبه محبته ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٦٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٣)، وفتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٨٤).

أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

ومنها: أن يصيب العبد ببعض البلايا والمحن؛ ليرجع ويعود إليه، وتكون سببًا لقربه منه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]، وكما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨] فساق هذه الشدائد ليحملهم علىٰ التوبة والرجوع إليه.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الرب) علىٰ التوحيد:

اسم الله الرب دال علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

- فأما توحيد الربوبية:

فالله سُبْحَانَهُ هو الرب علىٰ الحقيقة، فلا رب علىٰ الحقيقة سواه، رب كل شيء وخالقه ومليكه، والقادر عليه والمتصرف في جميع أموره، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله سُبْحَانَهُ رب الأرباب، ومعبود العباد، يملك المالك والمملوك وجميع العباد، وهو خالق ذلك ورازقه، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق، وكل مخلوق فمملَّك بعد أن لم يكن، ومنتزع ذلك من يده،

وإنما يملك شيئًا دون شيء»[1].

وقد استدل الله علىٰ وحدانيته في الربوبية بدليل التمانع، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون:٩١]، فالعالم العلوي والسفلي، علىٰ ما يرىٰ، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة فالشمس والقمر، والكواكب الثابتة والسيارة، منذ خلقت وهي تجري علىٰ نظام واحد، وترتيب واحد، كلها مسخرة بالقدرة، مدبرة بالحكمة لمصالح الخلق كلهم، ليست مقصورة علىٰ مصلحة أحد دون أحد؛ فدل ذلك علىٰ أن مدبره واحد، وربه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه؛ فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معًا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل علىٰ عجز الآخر وعدم اقتداره، واتفاقهما علىٰ مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن، فإذًا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو الرب الواحد القهار[2].

وبهذا التوحيد أقر أكثر طوائف المشركين ولم ينكروه، كما حكىٰ الله عنهم في كتابه، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١].

---

(١) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ٥٩٣).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٥، ٨٥٥).

ومع هذا الإقرار منهم إلا أنه لم يكفهم في الدخول في الإسلام لإخلالهم بتوحيد الألوهية الذي بعث الله الرسل داعين إليه، كما قال تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦].

- وأما توحيد الألوهية:

فاسم (الرب) عَزَّوَجَلَّ يقتضي ويستلزم عبادة الله وحده دون ما سواه؛ إذ إن الخالق للكون وما فيه، والمالك لكل شيء من العالم العلوي، والعالم السفلي، ما نبصره منه، وما لا نبصره، والمتصرف فيه بالإحياء، و الإماتة، والرزق، والتدبير هو المستحق للعبادة وحده، فإن كل من دونه عبيد مربوبون لا خلق لهم ولا ملك، عاجزون من جميع الوجوه، فكيف يتخذون أندادًا وشركاء لله؟![1].

وقد احتج الله بالربوبية علىٰ الألوهية في مواضع عديدة من كتابه بأساليب متنوعة، منها: قوله تَعَالَىٰ: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١]، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزمر:٣٨].

ففي هذه الآيات احتجاج علىٰ العباد بأن الله هو وحده مالك الأرض والسماء ومن فيها، وخالقهم وربهم ومليكهم، فإذا كان كذلك فهو وحده إلههم ومعبودهم، فكما لا رب لهم غيره، فهكذا لا إله لهم سواه[2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٥٥).

(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٣١٤)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٤٩-٥٩).

- وأما توحيد الأسماء والصفات:

فاسم (الرب) عَزَّوَجَلَّ مقتضٍ ومستلزم لسائر أسمائه وصفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فالخالق المالك الرازق المدبر لا بد أن يكون قادرًا، بارئًا مصورًا، حيًّا قيومًا، عليمًا، سميعًا بصيرًا، غنيًّا، جوادًا، كريمًا إلىٰ غير ذلك من أسمائه وصفاته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ربوبيته سُبْحَانَهُ إنما تتحقق بكونه: فعالًا مدبرًا؛ متصرفًا في خلقه؛ يعلم، ويقدر، ويريد، ويسمع، ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته: انتفت ربوبيته، وإذا انتفت عنه صفة الكلام: انتفىٰ الأمر والنهي ولوازمها، وذلك ينفي حقيقة الإلهية»[1].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن (الرب): هو القادر الخالق البارئ المصور؛ الحي القيوم؛ العليم السميع البصير؛ المحسن المنعم الجواد؛ المعطي المانع؛ الضار النافع؛ المقدم المؤخر؛ الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ ويسعد من يشاء، ويشقي ويعز من يشاء ويذل من يشاء؛ إلىٰ غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنىٰ»[2].

الأثر الثالث: الرضا بالله عَزَّوَجَلَّ ربًّا:

من عرف اسم الله (الرب) وعلم أنه وحده الخالق المالك الرازق المدبر، لم يطلب غيره ربًّا ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٦٤]، بل رضي به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربًّا، وساقه رضاه به لأنواع من الرضىٰ:

١-الرضىٰ به إلهًا معبودًا.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (ص: ٧٩٤).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٩٤٢).

٢-الرضىٰ به حاكمًا مشرعًا، فيرضىٰ عما أمره به ونهاه عنه.

٣-الرضىٰ به قاسمًا قاضيًا، فيرضىٰ عما قسمه وقدره له، ويرضي عما أعطاه واختاره له وعما منعه منه.

فالرضىٰ به ربًّا متعلق بذاته وأسمائه وصفاته وألوهيته وربوبيته العامة والخاصة، فهو الرضىٰ به خالقًا ومدبرًا وآمرًا وناهيًا، ومالكًا ومعطيًا ومانعًا، وحكمًا ووكيلًا ووليًّا وناصرًا، ومعينًا وكافيًا وحسيبًا ورقيبًا، وقابضًا وباسطًا، ومبتليًا ومعافيًا، إلىٰ غير ذلك من صفات أفعاله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومن كانت هذه صفته ذاق طعم الإيمان وحلاوته، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»[(١)].

ومتىٰ تذوق العبد طعم الإيمان فلا تسأل عن السعادة التي يحيا بها، ولا عن الأنس الذي يشعر به، ولا عن الطمأنينية والثبات حتىٰ ولو احتوشته البلايا والرزايا.

ومن لم يرض بتلك الأنواع أو بعضها لم يكن قد رضي به ربًّا من جميع الوجوه، ولا ذاق حلاوة الإيمان حتىٰ يرضىٰ به من جميع الوجوه.

والرضىٰ بالله ربا يختلف عن الرضا عنه؛ فالرضىٰ به متعلق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والرضىٰ عنه متعلق بثوابه وجزائه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٧٢] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة:٨]، فربط الرضا عنه بدخول الجنة، بينما في الحديث علق

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٣).

رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذوق طعم الإيمان بمن رضي بالله ربًّا، ولم يعلقه بمن رضي عنه، فجعل الرضىٰ به قرينًا للرضىٰ بدينه ونبيه، وهذه الثلاثة هي أصول الإسلام التي لا يقوم إلا بها وعليها.

الأثر الرابع: التوكل علىٰ الربِّ سُبْحَانَهُ:

إذا آمن العبد باسم الله (الرب) وما يدل عليه من اختصاصه بجلب المنافع ودفع المضار، والتكفل بالأرزاق، وتيقن ذلك؛ أورثه التعلق به والتوكل عليه في جلب المصالح، ودفع المساوئ والمخاطر عنه، وفي تصريف جميع أموره، فلا يتعلق إلا باللهتَعَالَىٰ ولا يرجو إلا هو، ولا يخاف إلا منه سُبْحَانَهُ، ولقد قال نبي الله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو في موقف شديد عصيب؛ أدركه فرعون فيه بجبروته وطغيانه وجنوده وعتاده، كما ذكر الله سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء:٥٣ - ٥٦] ولا مفر، فالبحر أمامه، وفرعون خلفه، والجبال الشاهقة ترىٰ عن يمينه وشماله، حتىٰ ظن أصحابه أنهم مدركون ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] قال واثقًا بربه متوكلًا عليه: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢].

فكل مخلوق ضعيف لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فضلًا عن أن يملكه لغيره، فكيف يخاف أو يرجىٰ أو يتعلق بمن هذا حاله؟

الأثر الخامس: محبة الله الرب:

لما كان من معاني (الرب) أنه الذي يربي عباده بخلقه إياهم علىٰ أحسن صورة، والإنعام عليهم بما يقيم حياتهم ومعاشهم، والقيام علىٰ شؤونهم وحاجتهم أتم قيام وأكمله.

فإن هذه المعاني من شأنها أن تورث في قلب العبد المحبة العظيمة لربه سُبْحَانَهُ، وحب ما يحبه ومن يحبه، وبغض ما يبغضه ومن يبغضه، والمسارعة في مرضاته، وتعظيمه وإجلاله وشكره، وحمده الحمد اللائق بجلاله وعظمته وسلطانه وإنعامه.

الأثر السادس: التضرع باسم الله (الرب):

اسم الله (الرب) تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقتضي جلب المنافع ودفع المضار، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات، ومن هنا صمد إليه العباد وقصدوه صغيرهم وكبيرهم، برهم وفاجرهم، بل وحتىٰ كافرهم في حاجاتهم ومطالبهم، كما قال الله تَعَالَىٰ عن الكفار: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[لقمان:٣٢]، وقال: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وكلما عرف العبد اسم الله (الرب) وزاد يقينه بمعانيه؛ زاد لهجه ودعاؤه به؛ لذا كثر في أدعية الأنبياء والصالحين تكرار الدعاء بقولهم: (ربنا، ربنا)، ومن ذلك:

- دعاء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين تاب الله عليه هو وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[الأعراف:٢٣].

- دعاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾[نوح:٢٨].

- دعاء إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧، ١٢٨].

- دعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف:١٠١].

- دعاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ...»[1]، وكان إذا افتتح صلاته من الليل قال: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...»[2].

- دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[آل عمران:٨].

- دعاء المتقين: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٦].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣١٧٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٠٧٧).

ولعل من أسرار كثرة دعاء الأنبياء بلفظ الرب: أن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة، فسألوه بالاسم المناسب لمطالبهم؛ فهو الذي يربيهم بتربيته الخاصة[1].

الأثر السابع: التأدب مع الرب في الألفاظ:

الله عَزَّوَجَلَّ هو الرب وحده تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ لذا جاء في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي**»[2].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: «وفيه: نهي العبد أن يقول لسيده: (ربي)، وكذلك نهىٰ غيره، فلا يقول له أحد: ربك، ويدخل في ذلك أن يقول السيد ذلك عن نفسه، فإنه قد يقول لعبده: اسق ربك، فيضع الظاهر موضع الضمير علىٰ سبيل التعظيم لنفسه»[3].

والسبب في النهي:

الأول: «أن حقيقة الربوبية لله تَعَالَىٰ؛ لأن الرب هو المالك القائم بالشيء، فلا توجد حقيقة ذلك إلا لله تَعَالَىٰ»[4].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٥٥٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٤٢٢). واللفظ للبخاري.

(٣) فتح الباري (٥/ ١٧٩).

(٤) المرجع السابق.

الثاني: «أن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله، وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة في الاسم؛ لئلا يدخل في معنىٰ الشرك»[1].

وهل معنىٰ هذا عدم جواز أن يقال لأحد غير الله: رب؟

إطلاق لفظ الرب إما يكون علىٰ سبيل الإطلاق أو الإضافة، فإما إن كان علىٰ سبيل الإطلاق فلا يجوز؛ لأن هذا مما يختص الله به، **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة، تقول: رب الدار، رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عَزَّوَجَلَّ»[2]، وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يختص بالله تَعَالَىٰ إطلاق الرب بدون إضافة»[3].

أما إن كان مضافًا، فالإضافة يختلف حكمها باختلاف أقسامها، وقد أوضح ذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «**إضافة الربِّ إلىٰ غير الله** تَعَالَىٰ **تنقسم إلىٰ أقسام:**

القسم الأول: أن تكون الإضافة إلىٰ ضمير المخاطب، مثل: أطعم ربك، وضئ ربك، فيكره هذان لمحذورين:

١- من جهة الصيغة؛ لأنه يوهم معنىٰ فاسد بالنسبة لكلمة رب؛ لأن الرب من أسمائه سُبْحَانَهُ، وهو- سُبْحَانَهُ - يطعم ولا يطعم، وإن كان بلا شك أن الرب هنا غير رب العالمين الذي يُطعِم ولا يُطعَم، ولكن من باب الأدب في اللفظ.

---

(١) أعلام الحديث، للخطابي (٢/ ١٧٢١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

(٣) فتح الباري (٥/ ٩٧١).

٢- من جهة المعنىٰ أنه يشعر العبد أو الأمة بالذل؛ لأنه إذا كان السيد ربًّا كان العبد أو الأمة مربوبًا.

القسم الثاني: أن تكون الإضافة إلىٰ ضمير الغائب، فهذا لا بأس به كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أشراط الساعة: «**إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا**»[١] ....

القسم الثالث: أن تكون الإضافة إلىٰ ضمير المتكلم، بأن يقول العبد: هذا ربي، فهل يجوز هذا؟

قد يقول قائل: إن هذا جائز؛ لأن هذا من العبد لسيده، وقد قال تَعَالَىٰ عن صاحب يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف:٢٣] أي: سيدي؛ ولأن المحذور من قول: (ربي) هو إذلال العبد، وهذا منتف؛ لأنه هو بنفسه يقول: هذا ربي.

القسم الرابع: أن يضاف إلىٰ الاسم الظاهر، فيقال: هذا رب الغلام، فظاهر الحديث الجواز، وهو كذلك ما لم يوجد محذور؛ فيمنع، كما لو ظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق ونحو ذلك»[٢].

الأثر الثامن: كن ربانيًّا:

الله عَزَّوَجَلَّ الرب يحب من عباده أن يكونوا ربانيين، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

وسيتناول الملحق - بإذن الله - ما يوضح هذا المعنىٰ ويساعد علىٰ تحقيقه.

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٩).

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٩٣٣-٠٤٣).

الرَّبَّانِيةِ والرَّبَّانِيون

في هذا الموضوع سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: المقصود بالرَّبَّانية والرَّبَّانيين:

تعددت عبارات العلماء في معنىٰ الرباني، إلا أنها تدور حول ثلاثة معان:

١-العلم الراسخ بالله وشرعه.

٢-العمل بالعلم.

٣-تعليم الناس وتربيتهم عليه بالحكمة، كالبدء بصغار العلم قبل كبارها.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩] «حلماء فقهاء، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره»[١].

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأولىٰ الأقوال عندي بالصواب في (الربانيين): أنهم جمع (رباني)، وأن (الرباني) المنسوب إلىٰ (الربان)، الذي يربُّ الناس، وهو الذي يصلح أمورهم، ويربُّها، ويقوم بها،... فالربانيون إذًا هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: (وهم فوق الأحبار)؛ لأن الأحبار هم العلماء، والرباني: الجامع إلىٰ العلم والفقه، البصرَ

(١) صحيح البخاري (١/ ٥٢).

بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم»[1].

وقال أبو عمر الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت ثعلبًا عن هذا الحرف، وهو الرباني، فقال: «سألت ابن الأعرابي، فقال: إذا كان الرجل عالمًا عاملًا معلمًا، قيل له: هذا رباني، فإن خرم عن خصلة منها لم نقل له: رباني»[2].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه؛ لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم»[3].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بعدما نقل جملة من تفسيرات العلماء للرباني-: «ولا يوصف العالم بكونه ربانيًّا حتىٰ يكون عاملًا بعمله، معلمًا له»[4].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علماء حكماء حلماء، معلمين للناس ومربيهم بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل»[5].

ثانيًا: وسائل تحقيق الربانية:

الربانية تقوم علىٰ ثلاث ركائز، كما يظهر مما نُقِل من كلام العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ سابقًا، وهي:

١-العلم الراسخ بالله وشرعه.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٤٠-٥٤٤).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٤٢١).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٢٢١).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٢١).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٦٣١).

٢-العمل بالعلم.

٣-تعليم الناس وتربيتهم عليه بالحكمة.

ولكل واحد من هذه الركائز الثلاث أدلته من الكتاب والسنة، منها:

ما يتعلق بالعلم: قال تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

فوصف الله الربانيين والأحبار بأنهم ﴿ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ **قال ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بما استودعوا علمه من كتاب الله، الذي هو التوراة»[١].

ووصف الربانين- أيضًا- بالدرس للكتاب الذي به يرسخ العلم ويبقىٰ[٢]، قال تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[آل عمران: ٧٩].

والذي يظهر أن المراد بالعلم: العلم الراسخ الواسع؛ لذا إنما أطلق السلف هذا الوصف علىٰ من تبحر في العلم، ومن ذلك:

لما مات زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اليوم مات رباني هذه الأمة، ولعل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل في ابن عباس مثله خلفًا»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٥٤).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٣١).

(٣) الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم (٣٩٣).

وقال محمد ابن الحنفية يوم مات ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مات رباني هذه الأمة»[1].

ما يتعلق بالعمل: وهذه الركيزة معلومة بنصوص كثيرة، ذمت المقصرين في هذا الباب، كقوله تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤] وقوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٢، ٣].

فلو كان الربانيون لا يعملون بعلمهم، لاستحقوا الذم لا المدح، والله أشاد بهم في مواضع، فدل علىٰ أنهم حققوا العمل بالعلم.

ما يتعلق بالتعليم والتربية: قال تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران:٧٩] الباء «باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقىٰ، تكونون ربانيين»[2].

ووصفهم الله بأنهم استحفظوا الكتاب، كما في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، والحفظ لا يكون بمجرد الجمع في الفؤاد والعمل به، بل بنقله للأجيال وتربيتهم عليه أيضًا، فالحفظ لا يتم ويكمل بغير التبليغ والنقل للناس.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١/ ٦٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٣١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أي: بسبب أن الله استحفظهم علىٰ كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه.

وهم شهداء عليه؛ بحيث إنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه علىٰ الناس منه، فالله تَعَالَىٰ قد حمَّل أهلَ العلم ما لم يحمِّله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حُمِّلوا.

وأن لا يقتدوا بالجهال، بالإخلاد إلىٰ البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا علىٰ مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا.

وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلِّموا الناس، وينبهوهم علىٰ ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصًا الأمور الأصولية، والتي يكثر وقوعها، وأن لا يخشوا الناس، بل يخشون ربهم»[1].

وفي هذه الركائز الثلاث يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسلف مجمعون علىٰ أن العالـم لا يستحق أن يسمىٰ ربانيًّا حتىٰ يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعىٰ عظيمًا في ملكوت السماوات»[2].

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٣٢).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٩).

ثالثًا: صفات الربانيين:

وللربانيين أوصاف، جعلتهم يحوزون هذا الشرف العظيم، منها:

١-خشية الله عَزَّوَجَلَّ التي أورثها العلم بالله عَزَّوَجَلَّ، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨].

٢-الثبات علىٰ الحق، وعدم التذبذب في الفتن والكروب؛ لعلمه بها.

٣-القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تَعَالَى موضحًا الدور المنبغي علىٰ الربانيين القيام به: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾[المائدة:٦٣]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبوهم في الخير ويرهبوهم من الشر»[1].

٤-الحرص علىٰ تحكيم شريعة الله عَزَّوَجَلَّ في جميع الأمور، كما قال تَعَالَى عنهم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾[المائدة:٤٤]، فيحكِّمون ما أنزل الله من التوراة، ويَحْكُمُونَ به.

٥-الحكم بين الناس بكتاب الله، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾[المائدة:٤٤].

٦-الصبر علىٰ العلم وأعباء الدعوة والتعليم، قال تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٣٢).

مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فبين أنهم وصلوا لهذه المرتبة بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجهاد النفس أربع مراتب أيضًا:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين»[2].

٧-اليقين بآيات الله، قال تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فبين أنهم وصلوا لهذه المرتبة الرفيعة بما وصلوا إليه من الإيمان إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل[3].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٦٥٦).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٣/ ٩).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (٦٥٦).

٨- السمت والوقار، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السَّمْتُ الحَسَنُ، والتؤدَة والاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»(١)، فالأنبياء أحسن الناس سمتًا وأحسنهم وقارًا، والربانيون ورثة الأنبياء، بهم يقتدون وعلىٰ آثارهم يسيرون، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**»(٢).

٩-ملاحظة تقصير النفس وسؤال الله المغفرة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٦، ١٤٧]، ففي هذا الموقف العصيب الذي تزهق فيه الأروح لم يغفلوا عن ملاحظة تقصيرهم وذنوبهم، فسألوا الله مغفرته.

وهذا الاستدلال إنما يصح علىٰ القول بأن الربِّيِّين بمعنىٰ: الربانيين.

فمن حقق ركائز الربانية الثلاثة، واتصف بصفاتها؛ حقق الربانية، واستحق أن يوصف بكونه ربانيًّا.

فاللهمَّ اسْتَعْمِلْنَا وَلَا تَسْتَبْدِلْنَا، واحشُرْنَا في زمرةِ عبادِكَ الرَّبَّانِيين الصَّالحينَ.



(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث (٢٠١٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، رقم الحديث: (١١٠٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٠١٠).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٦٤١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٦٨٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٦٨٢).

الرحمن الرحيم جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا، والرحموت من الرحمة... والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، ونظيرهما في اللغة: نديم وندمان، وهما بمعنًى»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(رحم) الراء والحاء والميم أصل واحد يدل علىٰ الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه..»[2].

ورود اسم الله (الرحمن - الرحيم) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله الرحمن في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الرحمن) في كتاب الله سبعًا وخمسين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم: ٨٥].

---

(١) الصحاح تاج اللغة (٥/ ٩٢٩١).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٨٩٤).

٢- قوله تَعَالَى: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٣].

٣- قوله تَعَالَى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا ﴾ [الملك: ٢٩].

ثانيًا: ورود اسم الله (الرحيم) في القرآن الكريم:

وورد اسم الله (الرحيم) في كتاب الله مائةً وأربع عشرة مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الحجر:٤٩]

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[الشعراء:٢١٧]

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾[الأحزاب: ٣٤].

ورود اسم الله (الرَّحْمَن - الرَّحِيْم) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله (الرحمن) في السنة النبوية:

ورد اسم الله الرحمن في السنة، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي التَّيَّاحِ قَالَ: **قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ - وَكَانَ كَبِيرًا -: أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ ؟ فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنَ الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ يَحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ** [عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ]**، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ . قَالَ: مَا أَقُولُ ؟ قَالَ: قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا**

يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ . قَالَ: فَطُفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.[1]

٢- عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِن اسْمِي اسْمًا، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**»[2].

٣- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**الخَيْلُ ثَلَاثَةٌ، فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ: فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَعَلَفُهُ وَرَوْثُهُ وَبَوْلُهُ**- وذكر ما شاء الله- **وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ: فَالَّذِي يُقَامَرُ أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الإِنْسَانِ: فَالفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الإِنْسَانُ يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ تَسْتُرُ مِنْ فَقْرٍ**»[3].

ثانيًا: ورود اسم الله (الرحيم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله الرحمن في السنة، ومن وروده ما يلي:

١- عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا**

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٩٦٥١)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٠٤٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٧١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٩٦١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٧٨٤١). واللفظ لأحمد.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤١٨٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٠٥٣٣).

كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[1].

٢- عن مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَىٰ صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ: فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، ثَلَاثَ مَرَارٍ»[2].

٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[3].

معنى اسمي الله (الرَّحْمَن - الرَّحِيْم) في حقه تعالى:

هما اسمان جليلان مشتقان من الرحمة علىٰ وجه المبالغة، وحول هذا المعنىٰ تدور أقوال العلماء:

❊ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الرحمن، الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب، قال: الرحمن الرحيم: الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد علىٰ من أحب أن يعنف عليه»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٠٧٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٧٢٩١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٨٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩). واللفظ لأحمد.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧١٨٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٦١٥١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٧٥٣١). واللفظ لأبي داود.

(٤) تفسير الطبري (١/ ٩٢١).

۞ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فربنا- جل ثناؤه- رحمن لجميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيم بالمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة»[1].

۞ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صفتان لله عَزَّوَجَلَّ مشتقتان من الرحمة، فالرحمن فعلان، والرحيم فعيل»[2].

۞ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالرحمن: ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم، وأسباب معاشهم، ومصالحهم، وعمت المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح، وأما الرحيم: فخاص للمؤمنين، كقوله تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣]»[3].

۞ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسمان دالان على أنه تَعَالَى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها»[4].

وقال أيضًا: «الرحمن، الرحيم، البر...هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تَعَالَى:

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٨٢١).

(٢) اشتقاق أسماء الله (ص: ٨٣).

(٣) شأن الدعاء (١/ ٨٣).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٣).

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦] الآية»[١].

الفرق بين اسم الله الرحمن واسمه الرحيم:

ذكر أهل العلم جملة من الفروق بين الاسمين، منها[٢]:

١- أن اسم الله «الرحمن» رحمته شاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، وأما اسم الله الرحيم فرحمته خاصة بالمؤمنين، كما قال تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[الأحزاب:٤٣][٣].

ولكن يشكل على هذا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[الإسراء:٦٦]؛ إذ ذكرت الرحمة العامة باسم الله الرحيم.

٢- أن اسم الله «الرحمن» دال على الصفة الذاتية لله عَزَّوَجَلَّ، وأما اسم الله الرحيم فيدل على الصفة الفعلية لله عَزَّوَجَلَّ.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن (الرحمن) دال على الصفة القائمة به سُبۡحَانَهُ، و(الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم-أي: بمن ي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قول الله عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) المرجع السابق (ص: ٦٤٩).

(٢) ينظر: النهج الأسمى، للنجدي (ص: ٨٧-٨٠).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢١-٦٢١).

﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧] ولم يجئ قط (رحمن بهم)، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، والرحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم ينجل لك صورتها»[1].

وقال في موضع آخر: «ولم يجئ (رحمن بعباده، ولا رحمن بالمؤمنين)؛ مع ما في اسم (الرحمن) -الذي هو علىٰ وزن فعلان- من سعة هذا الوصف؛ وثبوت جميع معناه للموصوف به؛ ألا ترىٰ أنهم يقولون: غضبان، للممتلئ غضبًا؛ وندمان، وحيران، وسكران، ولهفان، لمن ملئ بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول.

ولهذا يقرن عَزَّوَجَلَّ استواءه علىٰ العرش بهذا الاسم كثيرًا، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩] فاستوىٰ علىٰ عرشه باسم الرحمن؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات؛ قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق؛ واسعة لهم، كما قال تَعَالَى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فاستوىٰ علىٰ أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء»[2].

٣-أن اسم الله «الرحمن» خاص الاسم عام المعنىٰ، واسم الله «الرحيم» عام الاسم خاص المعنىٰ، وتوضيح ذلك: أن اسم الله الرحمن من الأسماء التي لا يجوز أن يتسمىٰ بها مخلوق، قال الله تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ

(١) بدائع الفوائد (١/ ٤٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٣).

أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾[الإسراء:١١٠]، فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وهو «الله»، وأما اسم الله «الرحيم» فجائز، وقد وصف الله به نبيه في قوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[التوبة:١٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اسم «الرحمن»: «ولما كان هذا الاسم مختصًّا به تَعَالَى حسن مجيئه مفردًا غير تابع، كمجيء اسم الله كذلك، ولم يجئ قط تابعًا لغيره، بل متبوعًا وهذا بخلاف العليم، والقدير، والسميع والبصير، ونحوها؛ ولهذا لا تجيء هذه مفردة، بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة»[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحاصل: أن من أسمائه تَعَالَى ما يسمىٰ به غيره، ومنها ما لا يسمىٰ به غيره، كاسم (الله)، (الرحمن)، (الخالق)، (الرازق) ونحو ذلك...»[2].

اقتران اسمي الله (الرَّحْمَن - الرَّحِيْم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ:

أولًا: اقتران اسم الله الرحمن باسمه الرحيم:

اقترن اسم الله الرحمن باسمه الرحيم في ستة مواضع من القرآن، ومنها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣].

(١) بدائع الفوائد (١/ ٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٢).

وجه الاقتران:

١-للجمع بين صفة الله عَزَّوَجَلَّ المتعلقة بذاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، التي يدل عليها اسم الله (الرحمن)، وإيصال الرحمة للخلق التي يدل عليها اسم الله (الرحيم)[١].

٢- للجمع بين الرحمة العامة التي يدل عليها اسم الله الرحمن، والرحمة الخاصة بالمؤمنين التي يدل عليها اسم الله الرحيم، وهذا علىٰ قول من قال: إن الرحيم رحمته خاصة بالمؤمنين.

والناظر يجد أن الله عَزَّوَجَلَّ يقدم اسمه الرحمن علىٰ الرحيم، ووجه ذلك:

١- تقديمًا للاسم الخاص بالله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الاسم العام، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إنما قدمه؛ لأن (الله) اسم خاص بالباري لا يسمي به غيره، لا مفردًا ولا مضافًا فقدمه، والرحيم يوصف به غيره مفردًا ومضافًا فأخره، والرحمن يوصف به غيره مضافًا، ولا يوصف به مفردًا إلا الله تَعَالَىٰ فوسطه»[٢].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلهذا بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولًا إنما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص»[٣].

٢- تقديمًا للرحمة العامة التي دل عليها اسم الله «الرحمن» علىٰ الرحمة الخاصة، التي دل عليها اسم الله «الرحيم»[٤].

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ٤٢).

(٢) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، للرازي (ص: ٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٦٢١).

(٤) ينظر: مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي (ص: ٧٥٣).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الرحمن- الرحيم) باسمه (الرب):

تقدم بيانه في اسم الله «الرب».

ثالثًا: اقتران اسم الله الرحيم بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ:

١- اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور):

اقترن اسم الله الرحيم باسمه «الغفور» في اثنين وسبعين موضعًا من القرآن، منها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[يوسف:٥٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾[سبأ:٢].

وهذا الاقتران يدل علىٰ:

١- أن مغفرته للعبد مع استحقاقه للعقوبة، إن هو إلا أثر من آثار رحمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[١].

٢- أن في ذكرهما جمعًا بين تخلية العبد من الذنوب التي يدل عليها اسم الله «الغفور»، وبين تحليته بفضل الله وثوابه التي يدل عليها اسم الله «الرحيم».

٢-اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (التواب):

تقدم بيانه في اسم الله «التواب».

٣- اقتران اسم (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (الرؤوف):

اقترن اسم الله الرحيم باسمه تَعَالَىٰ الرؤوف في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، منها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور:٢٠].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ١٢١).

وهذا الاقتران فيه تأكيد للرحمة؛ إذ فيه عطف للعام علىٰ الخاص، فالرأفة رحمة خاصة تقتضي دفع المكروه وإزالة الضر، والرحمة عامة يدخل فيها ما سبق ويدخل فيها الإنعام والإفضال[1].

٤-اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (العزيز):

اقترن اسم الله «الرحيم» باسمه تَعَالَى «العزيز» في ثلاثة عشر موضعًا من القرآن الكريم، تسعة منها في سورة الشعراء تعقيبًا علىٰ قصة كل نبي مع قومه، بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الشعراء:٩]، ومنها: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[السجدة:٦]، وقوله: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[يس:٥].

وجه الاقتران:

١-الجمع بين مقام الترهيب والترغيب؛ فهو سُبْحَانَهُ عزيز قوي غالب قاهر، ومع ذلك: رحيم بر محسن رؤوف[2].

٣-تمام قدرته علىٰ تعجيل العقوبة؛ وذلك لاتصافه بالعزة، إلا أن رحمته اقتضت الإمهال والانظار، قال تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾[الكهف:٥٨][3].

٤-أن العزيز بعزته يهلك الأشقياء بأنواع العقوبات، وبرحمته ينجىٰ السعداء من كل شر وبلاء.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ٥٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩١/ ٢٠١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩١/ ٢٠١).

٥-اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سُبْحَانَهُ (البَر):

تقدم بيانه في اسم الله «البر».

٦-اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الرحيم) باسمه عَزَّوَجَلَّ (الودود):

اقترن اسم الله الرحيم باسمه تَعَالَى الودود، في موضع واحد من القرآن الكريم، وذلك في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[هود: ٩٠].

وجه الاقتران:

أن الرحمة تتوجه إلىٰ من يحب و من لا يحب، فلما كانت كذلك أتبعت باسم الله الودود الدال علىٰ المحبة، وبهذا أجتمع للتائب رحمة الله ومحبته، وقبل ذلك مغفرته.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما ألطف اقتران اسمه (الودود) بـ(الرحيم) وبـ(الغفور)؛ فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، والرب تَعَالَى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك، فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان»[1].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٩).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرَّحْمَن - الرَّحِيْم):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرحمن، الرحيم) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ الرحمن الرحيم الذي كتب الرحمة علىٰ نفسه تفضلًا منه وإحسانًا[1]، قال تَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] ووسعت هذه الرحمة كل شيء، قال تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧][2].

ومن سعتها وعظمتها[3]:

١- أن رحمة الرحمن الرحيم بعباده أرحم من كل رحمة، حتىٰ من رحمة الإنسان بنفسه، ورحمة الأم بولدها التي لا يساويها شيء من رحمات الناس، بل لو جمعت رحمات الراحمين كلهم لم تساو شيئًا عند رحمة أرحم الراحمين، قال تَعَالَى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥١]، وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[4].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٠٣).

(٣) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٨٨-٩٩).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٩٩٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٥٧٢). واللفظ للبخاري.

وقال حماد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلىٰ أبوي»(١).

٢- أن رحمة الرحمن الرحيم سبقت غضبه؛ إذ استوىٰ سُبۡحَانَهُ علىٰ عرشه وكتب كتابًا عنده وضعه علىٰ عرشه «إن رحمته سبقت غضبه»، فكان كالعهد للخليقة كلهم بالرحمة، والعفو، والصفح، والمغفرة، والتجاوز، والستر، والإمهال، والحلم، والأناة، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَه كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**»(٢)، فقام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب، الذي لولاه لكان للخلق شأن آخر(٣).

قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في سبق الرحمة إشارة إلىٰ أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنينًا ورضيعًا وفطيمًا وناشئًا، قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه من الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك»(٤).

٣- وضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون بها فيما بينهم، فيرحم الغني الفقير، والكبير الصغير، والأم أولادها، سواء كانت إنسانًا أو حيوانًا وحشًا

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ٠٥١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٥٥٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٥٧٢). واللفظ للبخاري.

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم (ص: ٩٦٣).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٢٩٢).

أو طيرًا أو هوامًّا، قال تَعالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[الفتح:٢٩].

٤- وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ والإِنْسِ والبَهَائِمِ والهَوَام، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1]، وفي رواية: «**حَتَّىٰ تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا؛ خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**»[2].

٥- أن رحمة الرحمن الرحيم بلغت آثارها من الكثرة ما تعجز العقول عن الإحاطة به، والأرقام والأعداد عن حصره؛ إذ جميع ما في العالم العلوي والسفلي من النعم وحصول المنافع والمحاب والمسار والخيرات من آثار رحمته، كما أن ما فيه من صرف المكاره والنقم والمخاوف والأخطار والمضار من آثار رحمته، قال تَعالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النحل:١٨][3].

ورحمته التي وصلت لخلقه قسمان:

أ-رحمة عامة: وسعت كل شيء من العالم العلوي والسفلي، ووصلت لكل حي مكلف وغير مكلف، بر وفاجر، مؤمن وكافر، حتىٰ فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[النازعات:٢٤]، يقول تَعالَى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٠٠).

(٣) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٣٣).

شَيۡءٖ﴾[الأعراف:١٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾[غافر:٧][1]، وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في بيان رحمة الله للكافر قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لَـمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[يونس:٩٠] فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ؛ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ»[2]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»[3].

وهي رحمة جسدية، دنيوية، دينية، ومن آثارها[4]:

١- خلق المخلوقات وإيجاده من العدم علىٰ صورة محكمة متقنة، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾[السجدة:٦]، فخلق الإنسان وبرحمته جعله في أحسن صورة مكتمل الأعضاء مستوفي الأجزاء، محكم البناء، وعلمه البيان النطقي والخطي، قال تَعَالَى في سورة الرحمن التي جاءت بذكر آثار رحمته التي أوصلها لخلقه: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن:٣، ٤][5].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٠٣)، النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٨٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٨٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٧٠١٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٥٣٤). واللفظ للترمذي.

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٦٤٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٥٧٢). واللفظ لمسلم.

(٤) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم (ص: ٨٦٣، وما بعدها).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٢٨).

٢- خلق الخلق ذكورًا وإناثًا، وجعل الرحمة والمودة بينهم؛ ليقع التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، وتمتع كل واحد منهما بصاحبه، قال تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم:٢١].

٣- رعاية الخلق بالتدبير، والتصريف، والحفظ، وسوق الأرزاق والمعاش، قال تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، فبرحمته رعىٰ الخلق بما قدر لهم؛ إذ علم سُبْحَانَهُ مصالحهم ومنافعهم، فقدرها لهم ويسر لهم تحصيلها، ولربما أجرىٰ عليهم المكاره والبلاء ليوصلهم إلىٰ ما يحبون، قال تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[الكهف:٨٠، ٨١]، وربما منعهم من كثير من شهواتهم ومحاب نفوسهم؛ لعلمه أن ذلك أصلح لهم[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كان من إتمام رحمة أرحم الراحمين: تسليط أنواع البلاء علىٰ العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أعراضه وشهواته: من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه»[٢].

٤- خلق هذا الكون علىٰ صفة تكفل للإنسان وغيره من الكائنات حسن العيش؛ فرفع السماء وأمسكها برحمته من أن تقع علىٰ الأرض، قال تَعَالَى:

---

(١) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٤٣).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ٤٧١).

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحج:٦٥].

وخلق الأرض وبرحمته أرساها بالجبال؛ كي لا تميد ولا تحيد، بل جعلها مهدًا وفراشًا يستقر عليها، ويتمكن من حرثها وغرسها وحفرها، وبرحمته شق طرقها ومنافذه ليتصل الشرق بالغرب والشمال بالجنوب، قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ [طه:٥٣]، وقال سُبۡحَانَهُ في سورة الرحمن: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ [الرحمن:١٠][1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن رحمته: أحوج الخلق بعضهم إلىٰ بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنىٰ بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وانحل نظامهم، وكان من تمام رحمته بهم: أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والمراعي والمرعي، ثم أفقر الجميع إليه، ثم عمَّ الجميع برحمته»[2].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تقرير ما سبق من آثار الرحمة العامة:** «فالله خلق الخلق برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة، والباطنة برحمته، ودبرهم أنواع التدبير وصرفهم بأنواع التصريف برحمته، وملأ الدنيا والآخرة من رحمته، فلا طابت الأمور، ولا تيسرت الأشياء، ولا حصلت المقاصد، وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمتُه فوق ذلك، وأجلُّ وأعلىٰ»[3].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٠٥).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (ص: ٩٦٣).

(٣) المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص: ١١١).

ب-الرحمة الخاصة: التي خص الله بها عباده الصالحين وأولياءه المتقين، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:١٥٦].

وهي رحمة إيمانية، دينية، دنيوية، أخروية، ومن آثارها[1]:

١- هداية أوليائه إلىٰ الحق الذي جهله غيرهم، وتبصيرهم بالطريق المستقيم الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلىٰ الكفر والبدعة وأشياعهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣].

٢- توفيق أوليائه لطاعته، وتيسير الخير لهم، وإعانتهم عليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٢١].

٣- تثبيت أوليائه علىٰ الحق علىٰ الرغم من الدواعي للزيغ، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:٨٣].

٤- إجابة دعوات أوليائه، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[الطور:٢٨].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٦٣٤)، تفسير السعدي (ص: ٧٦٦).

٥- امتنانه علىٰ أوليائه باستغفار ودعاء أفضل ملائكته- حملة العرش- لهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[غافر:٧].

٦- جعل مصائب المؤمنين وبلاءهم كلها خير ورحمة؛ فما ينزل بهم من مصائب وآلام وأحزان إلا تكفر به سيئاتهم، وترفع به درجاتهم، قال تَعَالَىٰ عن مؤمن آل ياسين أنه قال لقومه: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾[يس:٢٣].

٧- تخفيف أهوال القيامة وشدتها علىٰ أوليائه؛ فيؤمن فزعهم بتلقي الملائكة الكرام لهم بالبشرىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾[فصلت:٣١، ٣٢].

٨- إدخال أوليائه الجنة التي هي أثر من آثار رحمة الرحمن الرحيم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾[الجاثية:٣٠].

٩- إخراج أهل التوحيد من النار؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال في الحديث: «**فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[1]، وفي رواية: أن الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٥١٠)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩٣). واللفظ للبخاري.

يقول للرسل: «**اذْهَبُوا أو انْطَلِقُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: أَنَا الآنَ أُخْرِجُ بِعِلْمِي وَرَحْمَتِي، قال: فَيَخْرُجُ أَضْعَافُ مَا أُخْرِجُوا وَأَضْعَافُهُ، فَيُكْتَبُ فِي رِقَابِهِمْ: عُتَقَاءُ اللهُ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمَّوْنَ فِيهَا: الجُهَنَّمِيِّينَ**»[1].

وبعد هذا فلابد أن يعلم أن رحمته جَلَّجَلَالُهُ في غاية الكمال والجلال، فلا ضعف معها ولا رقة ولا عجز، بل رحمة مع عزة وقوة وقدرة تامة، قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[السجدة:٦].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الرحمن الرحيم) علىٰ التوحيد:

اسم الله «الرحمن الرحيم» دال علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأماء والصفات، وبيان ذلك:

أن اسم الله «الرحمن الرحيم»، وما ورد فيه من النصوص المتكاثرة في الكتاب والسنة دالة علىٰ إثبات صفة الرحمة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي صفة كمال لائقة بذات الرب عَزَّوَجَلَّ، كما هو الحال في سائر صفاته، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]، ولا يجوز نفيها أو تأويلها أو تحريفها أو تكيفها كما هو مقرر في مذهب أهل السنة والجماعة في جميع الصفات، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥١٧٤١)، وابن حبان (٣٨١)، حكم الألباني: صحيح لغيره، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٤٥٠٣). واللفظ لأحمد.

إلا أنه لا بد أن يعلم أن الرحمة المضاف إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قسمان:

١- رحمة ذاتية يتصف بها علىٰ وجه يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وهذه الرحمة يجب إثباتها لله عَزَّوَجَلَّ من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل- كما تقدم-.

٢- رحمة مخلوقه أنزل الله منها رحمة واحدة، يتراحم بها الخلائق، وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة، كما جاء في الحديث: «**إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ والإِنْسِ والبَهَائِمِ والهَوَام، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[١].

ومن هذه الرحمة: ما جاء في الحديث، أن الله عَزَّوَجَلَّ قال عن الجنة: «**أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ**»[٢]، وسميت بذلك؛ لأنها خلقت بالرحمة وللرحمة، وخص بها أهل رحمة الله، وإنما يدخلها الرحماء.

فهذه الرحمة ليست صفة لله عَزَّوَجَلَّ، بل هي من آثار اتصافه بالرحمة الذاتية، وإنما أضيفت له من باب إضافة المخلوق للخالق.

ثم إذا تقرر اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بالرحمة وتيقن العبد ذلك وتأمله، وجد أن الخلق إنما وجدوا برحمة الرحمن الرحيم، وإنما جلبت النعم لهم برحمته، ودفعت عنهم النقم برحمته، وليس لأحد من الخلق نفع ولا ضر في العاجل

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

ولا الآجل، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧] علم بهذا أن الرحمن الرحيم هو الرب الواحد المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣][(١)].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي هذه الآية، إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين، وبيان أصل الدليل علىٰ ذلك، وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع [جميع] النقم، فهذا دليل إجمالي علىٰ وحدانيته تَعَالَىٰ»[(٢)].

الأثر الثالث: الرجاء والتعلق برحمة الرحمن الرحيم:

إذا نظر الإنسان في سعة رحمة الله وعظمتها؛ أثمر ذلك في نفسه الرجاء وعدم اليأس من رحمة الله ومغفرته؛ إذ إنه سُبْحَانَهُ علم ضعف عباده وعجزهم وسرعان سقوطهم واغترارهم وانحرافهم عن الصراط، لا سيما أن نفوسهم ركب فيها الميل للشهوات، وتسلط عليهم الشيطان وقعد لهم بالمرصاد، يأخذ عليهم كل طريق، ويجلب عليهم بخيله ورجله، ويجدُّ كل الجدِّ في إضلالهم وإيقاعهم في السوء، فلا خلاص لهم من الذنوب والزلات، وكل ابن آدم خطاء.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٦٦٢)، تفسير السعدي (ص: ٧٧).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٧).

فلما علم سُبْحَانَهُ ذلك كله من خلقه؛ رحمهم بفتح أبواب التوبة والمغفرة لهم، ولو أسرفوا في الذنوب ما أسرفوا، وظنوا أنهم طُردوا وانتهوا، ولم يعد يُقبل منهم ولا يُستقبل، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»[(١)]، وذكر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم كمل المائة بقتل العابد[(٢)]، ومع ذلك أدركته رحمة الله ومغفرته.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آية الزمر: «واعلم أن هذه الآية أرجىٰ آية في كتاب الله سُبْحَانَهُ؛ لاشتمالها علىٰ أعظم بشارة؛ فإنه أولًا أضاف العباد إلىٰ نفسه لقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولىٰ.. »[(٣)].

كما أن ملاحظة رحمة الله وسعتها؛ تثمر الأمل في النفوس المكروبة، وتبث فيها الروح وحسن الظن بالرحمن الرحيم، وانتظار الفرج بعد الشدة، لذا قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ متذكرًا رحمة الله، مع أن أسباب الولد معدومة:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٦٦٧٢).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٨٣٥).

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، وقال يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مع أن عود يوسف إليه أشبه بالمحال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤]، وقال: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

وضد ما سبق من الأمل والرجاء: القنوط من رحمة الله واليأس من روحه، وهما من كبائر الذنوب، ومن علامات الكفر والضلال، قال تَعَالَى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، فعلىٰ المسلم أن يحذر من أن يتسلل اليأس إليه وينسيه رحمة أرحم الرحمين.

الأثر الرابع: عدم الاغترار برحمة الله:

إذا تيقن العبد رحمة ربه الرحمن الرحيم وسعتها، فلا بد أن يضم لهذا العلم علمًا آخر، وهو: أنه سُبْحَانَهُ شديد العقاب، شديد المحال، ذو البطش الشديد، والعذاب الأليم، قال تَعَالَى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠].

فإذا علم العبد هذا؛ لم يغتر برحمة الله، بل جمع بين رجاء الرحمة، وخوف العقاب كما جمع الله بينهما في كتابه وعلىٰ لسان رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد:٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وغير ذلك من الآيات المشتملة علىٰ الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه»[2].

الأثر الخامس: محبة الله الرحمن الرحيم والحياء منه:

إذا تأمل العبد في اسم الله «الرحمن- الرحيم» ونظر في آثار رحمته التي لم تزل سارية في الوجود، مالئة للموجود، تنزل بها الخيرات آناء الليل والنهار، وتوالىٰ بها النعم علىٰ العباد والفواضل في السر والجهار، ورحمته سبقت غضبه وغلبته، والعطاء أحب إليه من المنع؛ قاده ذلك كله إلىٰ محبته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ إذ النفوس جبلت علىٰ محبة من يحسن إليها ويرفق بها ويعطف، فكيف لا تحب من أفاض عليها من رحمته وعطفه ونعمه ما يفوق الحصر والعد![3].

كما يقوده- أيضًا- إلىٰ الحياء منه والخجل؛ إذ كيف يعصي من يحسن إليه برحمته، ولولا إحسانه ونعمته ما استطاع أن يعصيه، وكيف يعصي من هو علىٰ أخذه وعقابه قادر، إلا أنه يمهله ويحلم عليه برحمته!!

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٥٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨٣).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٢٧).

الأثر السادس: الأسباب الجالبة لرحمة الله تعالىٰ:

كتب الله علىٰ نفسه الرحمة، وبين أنها وسعت كل شيء، إلا أنه جعل لها أسبابًا إذا قام بها العبد كانت أقرب إليه وأسرع، وحظه منها أكبر، لا سيما الرحمة الخاصة، وبالمقابل جعل أسبابًا للحرمان منها، إذا قام بها العبد أغلق علىٰ نفسه باب الرحمة، وحرم نفسه من رحمة أرحم الرحمين، وبيان ذلك كالتالي:

أولًا: أسباب نيل رحمة الرحمن الرحيم:

الأسباب كثيرة ومتعددة، ومنها:

١- طاعة الله ورسوله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٦][1].

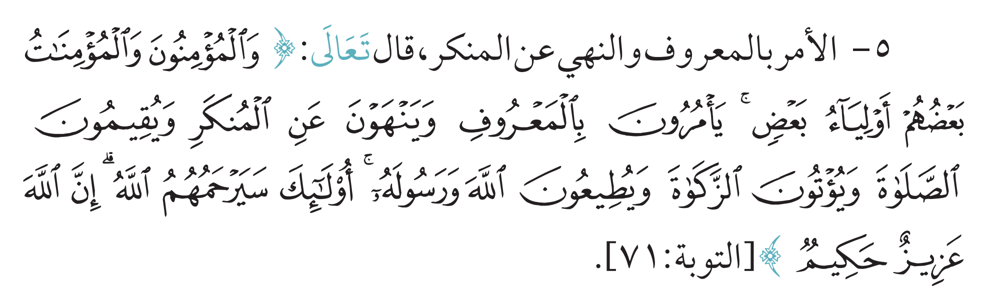
٢- تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

٣- إقامة الصلاة وأداء الزكاة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٦].

٤- الإنفاق في سبيل الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:٩٩].

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٢٩).



٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٧١].

٦- التوكل على الله، قال تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[النساء:١٧٥].

٧- الاستغفار والتوبة، قال عَزَّوَجَلَّ على لسان صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[النمل:٤٦].

٨- الإحسان في عبادة الله وإلى عباد الله، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦][١].

٩- الاستماع والإنصات للقرآن الكريم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف:٢٠٤].

١٠- صلة الرحم؛ فعن عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ اللهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِن اسْمِي اسْمًا، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**»[٢]، وبتته: أي قطعته.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٩٢).

(٢) سبق تخريجه.

ثانيًا: أسباب الحرمان من رحمة الرحمن الرحيم:

رحمة الله- كما تقرر- وسعت كل شيء، فإذا ضاقت عن أحد من الخلق ولم تصبه؛ دل ذلك على شقائه، ولضيقها وحرمانها أسباب كثيرة، منها:

١- الكفر؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧].

٢- العمل بما يوجب لعنه وطرده من رحمة الله؛ ومن ذلك:

- كتمان الحق وعدم بيانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩].

- القتل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

- رمي العفيفات بالفاحشة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور:٢٣].

- القسوة وعدم رحمة الخلق؛ فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[1].

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٩٩٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٣٢). واللفظ للبخاري.

٣- قطيعة الرحم؛ فعن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهَا: مَهْ، قَالَتْ: هَذا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ**»، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٢٢][1].

٤- الاختلاف والفرقة، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

الأثر التاسع: اتصاف العبد بالرحمة:

الله عَزَّ وَجَلَّ الرحمن الرحيم، ويحب أن يتصف عباده بالرحمة؛ فقد امتدح بها أشرف رسله، فقال تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وامتدح بها الصحابة، فقال تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ [الفتح: ٢٩]، لا سيما أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي قال عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مادحًا: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ**»[2].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرغبًا فيها: «**وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»[3]، وقال: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٣٨٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٩٠٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٧٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، حكم الألباني: صحيح، الصحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٩٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٢٨٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٢٣).

يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[1]، فعلىٰ المسلم أن يحرص علىٰ الاتصاف بالرحمة، ويجاهد نفسه علىٰ التخلق بها، ويعلم ما رتب الله عليها من الثواب، وما في فواتها من حرمان الثواب؛ فيرغب في فضل ربه، ويسعىٰ بالسبب الذي ينال به ذلك، ويعلم أن الجزاء من جنس العمل[2] وفي الملحق ما يعين علىٰ ذلك -بإذن الله-.

الأثر التاسع: الدعاء باسم الله «الرحمن الرحيم»:

فالدعاء من أعظم ما تدرك به المطالب والمطامع، والتي من أجلِّها رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، لا سيما وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حثنا علىٰ سؤاله إياها بصور مختلفة في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ بين أن طلب الرحمة دعوة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٣]، وقال تَعَالَىٰ عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل:١٩]، وقال تَعَالَىٰ عن دعاء موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأعراف:١٥١]، ومن دعائه أيضًا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٠٦٦)، وأبو داود (١٤٩٤)، والترمذي، رقم الحديث: (٤٢٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٢٥٣).

(٢) ينظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للألباني (ص: ٩٨١).

٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ أَمَرَ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والأمة من بعده بسؤاله الرحمة، قال تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[المؤمنون:١١٨].

٣- أن الله عَزَّوَجَلَّ بيَّن أنها دعوة عباده الناجين من عذاب الله، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١٠٩].

٤- أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ علَّم أمته سؤال الله الرحمة في يومهم وليلتهم، ومن ذلك:

- ما رواه أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنه قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قُلْ: **اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[1].

- وما رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِينَ**»[2].

- وما رواه أبو بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٠٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث:(٠٢٣٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤١٧٢).واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٥٧٠٢)، وأبو داود (٠٩٠٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٨٣٣).

- وما رواه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «**جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ؟ قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي فَمَا لِي؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»[1].

وبعد هذا فإن من الأدب في سؤال الله رحمته أن تسأل علىٰ سبيل الجزم لا التعليق علىٰ المشيئة والتردد؛ فقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَقُولَن أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ؛ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّه لَا مُكْرِهَ لَهُ**»[2].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما نهىٰ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا القول؛ لأنه يدل علىٰ فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب، فإن هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنىٰ عنه، ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حالته الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء، ودليل علىٰ قلة معرفته بذنوبه وبرحمة ربه، وأيضًا فإنه لا يكون موقنًا بالإجابة، وفي الحديث: (**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**)[3]»[4].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٩٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣٦)، ومسلم (٩٧٦٢). واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أحمد (٥٥٦٦)، والترمذي (٩٧٤٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير (٥٤٢). واللفظ للترمذي.

(٤) المفهم شرح صحيح مسلم، القرطبي (٢٢/ ٧٨). ينظر: حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن ابن قاسم (ص: ٣٤٣).

«الرحمن الرحيم يحب الرحماء»

في موضوع الرحمة سنتطرق للمسائل التالي:

أولًا: تعريف الرحمة:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلىٰ العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك، ودفع المضار عنك»[(١)].

وبهذا يتبين أن الرحمة تكون في القلب، وتظهر آثارها علىٰ الجوارح واللسان، وذلك بالسعي في إيصال البر والخير والمنافع إلىٰ الناس، وإزالة الأضرار والمكاره عنهم.

فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه علىٰ التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتىٰ أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل»[(٢)].

وهذه الرحمة هي الرحمة المحمودة المطلوبة، والتي جاءت النصوص بالترغيب فيها، والحث علىٰ الاتصاف بها؛ إذ الرحمة من حيث المدح والذم قسمان:

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٤٧١).

(٢) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ٥١٩).

١- رحمة محمودة، وهي الأصل في خلق الرحمة.

٢- رحمة مذمومة، ويراد بها: الرحمة التي تؤدي إلىٰ تعطيل شرع الله، أو التهاون في تطبيق حدوده وأوامره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن دين الله هو طاعته وطاعة رسوله المبني علىٰ محبته ومحبة رسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فإن الرأفة والرحمة يحبهما الله ما لم تكن مضيعة لدين الله»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة يصلح الله بها مرض القلوب، وهي من رحمة الله بعباده، ورأفته بهم الداخلة في قوله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض، فهو الذي أعان علىٰ عذابه وهلاكه، وإن كان لا يريد إلا الخير؛ إذ هو في ذلك جاهل أحمق»[2].

لذا نهىٰ الله تَعَالَى المؤمنين أن تأخذهم رأفة أو رحمة في تطبيق حدود الله وإقامة شرعه، فقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور:٢].

ثانيًا: منزلة الرحمة وفضلها:

الرحمة خلق سامٍ، وسجية كريمة، حث الإسلام علىٰ التخلق والاتصاف بها، ورغب في ذلك ببيان منزلتها وفضلها، ومما ورد في ذلك:

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٢٩١).

(٢) المرجع السابق (١٥/ ٢٩٠).

١- أن الله جعل الرحمة ركيزة من الركائز التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي بين أفراده؛ فعن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّىٰ**»[1].

٢- أن الله جعل هذه الصفة خلق لصفوة خلقه وخيرة عباده، وهم الأنبياء والمرسلون، ومن سار علىٰ نهجهم من الصالحين، قال تَعَالَىٰ عن نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[التوبة:١٢٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿**فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ**﴾[آل عمران:١٥٩].

٣- أن الله جعل الرحمة من أهم أسباب نيل رحمته؛ إذ الجزاء من جنس العمل، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[2].

٤- أن الله عَزَّوَجَلَّ حكم بالشقاء علىٰ من نزعت منه الرحمة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أبا القاسم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨٥٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٠٨)، وأبو داود (٢٤٩٤)، والترمذي (٣٢٩١)، حكم الألباني :حسن، صحيح الجامع الصغير (٧٦٤٧).

ثالثًا: الأسباب المعينة على التخلق بالرحمة:

الرحمة أولًا نوعان:

١- رحمة غريزية جبل الله بعض عباده عليها، وجعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والحنان علىٰ الخلق، ففعلوا بمقتضىٰ هذه الرحمة جميع ما يقدرون عليه من نفعهم، بحسب استطاعتهم.

فهم محمودون مثابون علىٰ ما قاموا به، معذورون علىٰ ما عجزوا عنه، وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم.

٢- رحمة مكتسبة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة وسبب، يجعل قلبه علىٰ هذا الوصف الكريم، ومما يعين علىٰ ذلك:

أ- مجالسة الرحماء ومخالطتهم، والابتعاد عن ذوي الغلظة والفضاضة، فالمرء يكتسب من جلسائه طباعهم وأخلاقهم.

ب- معرفة الآثار المترتبة عن التحلي بهذا الخلق والثمار، التي يجنيها الرحماء في الدنيا قبل الآخرة.

ج- معرفة جزاء الرحماء وثوابهم، وأنهم هم الجديرون برحمة الله دون غيرهم، ومعرفة عقوبة الله لأصحاب القلوب القاسية؛ فإن هذا مما يدفع للرحمة، ويردع عن القسوة.

د- الاختلاط بالضعفاء والمساكين وذوي الحاجة؛ فإنه مما يرقق القلب ويدعو إلىٰ الرحمة والشفقة بهم، وجاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ**

قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»[1].

هـ- تربية الأبناء علىٰ هذا الخلق العظيم ومحاولة غرسه في قلوبهم، ومتىٰ نشأ الناشئ علىٰ الرحمة، ثبتت في قلبه وأصبحت سجية له.

و- القراءة في سيرة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، الذين قال الله عنهم: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[الفتح:٢٩]، وملاحظة اتصافهم بالرحمة، والتأسي بهم في ذلك.

وهنا نماذج من رحمة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام:

أولًا: نماذج من رحمة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لقد كان له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النصيب الأوفر من هذا الخلق العظيم، كيف لا والله هو الذي اختصه به كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩]، ومن رحمته:

١- رحمته بالأمة:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»**[2].

٢- رحمته بأصحابه:

عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٢٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٨٨).

فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فقال: «**ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»[1].

٣- رحمته بالخدم:

عن المعرور بن سويد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَىٰ غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[2].

٤- رحمته بالعصاة:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: **ادْنُهْ**، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ** قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٠٠٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٧٦).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٦١).

لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[1].

٥- رحمته بالكفار:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**[2].

٦- رحمته بالحيوانات:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٤٦٢٢)، والطبراني في الكبير (٩٧٦٧)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٠٧٣). واللفظ لأحمد.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٢٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٩٧١).

وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: **مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ** ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**»[1].

فهذه نماذج من رحمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أمرنا بالتأسي به، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب:٢١].

وما سبق أمثلة علىٰ الرحمة، وإلا فأفرادها وصورها كثيرة جدًّا لا تكاد تحصىٰ؛ لأنه ما من معاملة من المعاملات أو رابطة من الروابط الاجتماعية أو الإنسانية، إلا وأساسها وقوام أمرها الرحمة.

فاللهم يا رحمنا يا رحيم، برحمتك نستغيث، أصلح شأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.



(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٦٧١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٩٤٥٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٩٤٥٢).

الرَّزَّاقُ الرَّازِق جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي لاسم (الرَّزَّاق - الرَّازِق):

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرزق: ما ينتفع به، والجمع: الأرزاق، والرزق العطاء، وهو مصدر قولك: رزقه الله، والرَّزْقَة بالفتح: المرة الواحدة، والجمع: الرَّزَقَات، وهي أطماع الجند.

وارتزق الجند، أي: أخذوا أرزاقهم... وقد يسمىٰ المطر رزقًا، وذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[الجاثية:٥]»[١].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الراء والزاء والقاف أصل واحد، يدل علىٰ عطاء لوقت، ثم يحمل عليه غير الموقوت، فالرزق: عطاء الله جل ثناؤه، ويقال: رزقه الله رزقًا، والاسم: الرزق، والرزق بلغة أزدشنوءة: الشكر، من قوله جل ثناؤه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾[الواقعة:٨٢]. وفعلت ذلك لما رزقتني، أي: لما شكرتني»[٢].

---

(١) الصحاح (٤/ ١٤٨١).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٣٨٨).

ورود اسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق) في القرآن:

ورد اسم الله الرزاق مفردًا مرة واحدة في كتاب الله:

وذلك في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨].

وورد بصيغة الجمع خمس مرات، منها:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[الجمعة:١١].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[الجمعة:١١].

ورود اسم الله (الرزاق - الرازق) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الرزاق - الرازق) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، غَلَا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا. فقال: **إِنَّ اللهَ هُوَ الْـمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ؛ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ منكم يَطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ، وَلَا مَالٍ»**[1].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥٤٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٤١٣١)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٤٩٨٢).

معنى اسم الله (الرَّزَّاق- الرَّازِق):

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]: «إن الله هو الرزاق خلقه، المتكفل بأقواتهم»[١].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو المتكفل بالرزق، والقائم علىٰ كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته، فلم يختص بذلك مؤمنًا دون كافر، ولا وليًّا دون عدو، يسوقه إلىٰ الضعيف الذي لا حيل له، ولا متكسب فيه، كما يسوقه إلىٰ الجلد القوي ذي المرة السوي، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦]»[٢].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في معنىٰ: (الرازق)-: «المفيض علىٰ عباده ما لم يجعل لأبدانهم قوامًا إلا به، والمنعم عليهم بإيصال حاجتهم من ذلك إليهم؛ لئلا تتنغص عليهم لذة الحياة بتأخره عنهم، ولا يفقدوها أصلًا لفقدهم إياه»[٣].

وقال- في معنىٰ (الرزاق)-: «وهو الرزاق رزقًا بعد رزق، والمكثر الواسع لها»[٤].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرزاق) وهو الذي خلق الأرزاق، وأعطىٰ

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٥٥-٦٥٥).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٤٥).

(٣) المنهاج (١/ ٣٠٢).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٠٢).

الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم»[1].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرزاق) لجميع عباده، فما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها»[2].

❊ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَذَلِـكَ الـرَّزَّاقُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ
والـرِّزْقُ مِـنْ أَفْعَالِـهِ نَوْعَـانِ
رِزْقٌ عَلَـىٰ يَـدِ عَبْـدِهِ وَرَسُـولِهِ
نَوْعَـانِ- أَيْضًـا- ذَانِ مَعْرُوفَـانِ
رِزْقُ القُلُـوبِ العِلْـمِ والإِيمَـان
والـرِّزْقُ الـمعَدُّ لِهَـذِهِ الأَبْـدَانِ
هَـذَا هُـوَ الـرِّزْقُ الحَـلَالُ وَرَبُّنَـا
رَزَّاقُـهُ والفَضْـلُ لِلْمَنَّـانِ
والثَّـانِي سَـوْقُ القُـوتِ لِلأَعْضَـاءِ فِي
تِلْـكَ المَجَـارِي سَـوْقُهُ بِـوَزَانِ
هَـذَا يَكُـونُ مِـنَ الحَـلَالِ كَمَـا يَكُـو
نُ مِـنَ الحَـرامِ كِلَاهُمَـا رِزْقَـانِ
واللهُ رَازِقُـهُ بِهَـذا الاعْتِبَـا
رِ وَلَيْـسَ بِالإِطْـلَاقِ دُونَ بَيَـانِ[3]

(١) النهاية (٢/ ٩١٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٤٩).

(٣) النونية، لابن القيم (ص١١٢).

الفرق بين اسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق):

«الرزاق يعني: هو صاحب العطاء الذي يعطي، فالرزق بمعنىٰ: العطاء، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[النساء:٨]، أي: أعطوهم، وكلمة (الرزاق) أبلغ من كلمة (الرازق)؛ لأن (الرزاق) صيغة مبالغة تدل علىٰ كثرة الرزق، وعلىٰ كثرة المرزوق، فرزق الله تَعَالَىٰ كثير باعتبار كثرة المرزوقين، فكل دابة في الأرض علىٰ الله رزقها، من إنسان وحيوان، ومن طائر وزاحف، ومن صغير وكبير»[1].

اقتران اسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الرازق) بغيره من الأسماء الحسنىٰ:

لم يقترن اسم الرزاق بغيره من الأسماء.

ثانيًا: اقتران اسم الله (الرزاق) بغيره من الأسماء الحسنىٰ:

اقترن اسم الله الرزاق باسمه (ذو القوة المتين) في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨].

وجه الاقتران:

في جمع الله اسمه «الرزاق» واسميه «ذو المتين» وصفه بالقوة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾[الذاريات:٥٨]، وفي هذا كمال زائد في القوة، حيث التناهي في القدرة، والتناهي في شدة القوة.

---

(١) تفسير العثيمين، الحجرات- الحديد (ص: ٨٦١).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرازق الرزاق) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ الرزاق الذي كثر رزقه، ووسع الخلائق كلها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، خلق الخلق لعبادته وتكفل برزقهم ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦ - ٥٨]، فما خلقهم لحاجته إليهم، فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه، تَعَالَى الله الغني المغني عن الحاجة إلىٰ أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق فقراء إليه، في جميع حوائجهم ومطالبهم[1].

ورزق الله لعباده نوعان:

«١- رزق عام، شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان.

٢- ورزق خاص وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يعين علىٰ صلاح الدين»[2].

فأما الرزق العام:

فهو رزق عام لجميع المخلوقات إنسهم، وجنهم، وحيوانهم، صغيرهم وكبيرهم، قويهم وعاجزهم، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦]، وقال:

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣١٨).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٤٩).

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾ [العنكبوت:٦٠]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا تطيق جمعه ولا تحصيله، ولا تدخر شيئًا لغد، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾، أي: يقيض لها رزقها- علىٰ ضعفها- وييسره عليها، فيبعث إلىٰ كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتىٰ الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء»[١]، يرزق الثعبان في جحره، والطير في وكره، والسمك في بحره.

يرزق الكل، وكل ذلك بلا ثقل ولا كلفة ولا مشقة ولا نقص في ملكه، قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رازق بلا مؤنة»[٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»[٣][٤].

وأما الرزق الخاص:

فهو الرزق الذي خص الرزاق عباده المؤمنين به من الهداية والإيمان والتوفيق للعلم به وبشرعه في الدنيا؛ فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلىٰ أن تكون عالمةً بالحق مريدةً له متألـهةً لله متعبدةً، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٤).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص١٢٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: مختصر النهج الأسمىٰ (ص: ١٠٦-١٠٧).

وأما في الأخرة: فيرزقهم أعظم الرزق وأجلَّه، ألا وهو رضاه والجنة، قال تَعَالَى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق:١١]، وقال تَعَالَى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٣، ٥٤].

وهذا الرزق- الرزق الخاص- أعظم الرزق وأنفعه، وهو الرزق علىٰ الحقيقة، أما رزق البهائم والكفار فهو منقطع ومنتهي؛ ولذلك لما ذكر سُبْحَانَهُ فضله علىٰ العباد عامة، ذكر امتنانه علىٰ عباده الموحدين بالرزق الخاص في الدنيا بالإيمان وبالجنة في الآخرة، قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢٠، ٢١].

وهذا الرزق مع عظمه، إلا أن كثيرًا من الناس يغفل عنه، لا سيما في حال الدعاء، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منبهًا علىٰ استحضاره: «والرزق الذي خص به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، ينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنىٰ: (اللهم ارزقني) أي: ما يصلح به قلبي من العلم والهدىٰ والمعرفة، ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهني الذي لا

صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه»[1].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الرَّزَّاق - الرَّازِق) علىٰ التوحيد:

اسم الله «الرازق، الرزاق» دال علىٰ التوحيد؛ وذلك من جهة: تفرد الله عَزَّوَجَلَّ بالرزق، فهو الرازق الرزاق وحده لا شريك له، قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر:٣]، وقال مبينًا عجز الخلائق كلهم عن الرزق إن أمسكه ومنعه: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢١][2]، فلا يملك أحد أن يفتحه عليهم من دون الله: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

وكان من دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -دبر كل صلاة إذا سلم-: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[3].[4].

وقد جاء التذكير بهذا- وحدانية الله في الرزق- في القرآن في مقامين:

الأول: مقام التفضل والامتنان.

والثاني: مقام الدعوة إلىٰ توحيد العبادة، والخير والإحسان.

---

(١) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٥٨-٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٨١)، وتفسير السعدي (ص: ٧٧٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: مختصر النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٥٠١-٦٠١).

فأما الأمثلة على مقام التفضل والامتنان، فمنها:

- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وأما الأمثلة على مقام الدعوة إلى توحيد العبادة والخير والإحسان، فمنها:

- الأمر بالإنفاق في سبيله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

- الأمر بالشكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢][1].

الأثر الثالث: إدراك التفاوت في الأرزاق، وأنه تابع لعلم الله تعالى:

فاضل الله عَزَّوَجَلَّ بين عباده في الرزق، فمنهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم الموسع عليه ومنهم المقتر، وله في ذلك حكم بالغة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) والآيات في هذا المعنى كثيرة، يطول المقام بذكرها.

«أي: خبير بصير بمن يستحق الغنىٰ، ومن يستحق الفقر»[1].

فمن العباد من لا يصلح حاله إلا بالغنىٰ، فإن أصابه الفقر فسد حاله، ومنهم العكس ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء:٣٠]».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أيضًا- في قوله تعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورىٰ:٢٧] -: «ولو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق؛ لحملهم ذلك علىٰ البغي والطغيان من بعضهم علىٰ بعض أشرًا وبطرًا»[2].

لكن هذا التفضيل في الرزق ليس له ارتباط برضا الله وغضبه ولا محبته وكرهه للعبد، فليس إنعامه علىٰ خلقه بكثرة الرزق وسعة العيش دليل علىٰ محبته لهم، ولا أن تضييقه علىٰ آخرين في أرزاقهم لكرهه لهم، قال تعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ﴾ [الفجر:١٥ - ١٧]، «أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم عليَّ، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لديَّ، وإنما الغنىٰ والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد؛ ليرىٰ من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه علىٰ ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلىٰ العذاب الوبيل»[3][4].

وقد ظن الكفار والمترفون لجهلهم أن الأموال والأولاد دليل علىٰ محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٠٤١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٢٩).

(٤) ينظر: مختصر النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٩٠١-٠١١).

الآخرة، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥]، فرد عليهم ظنهم هذا بقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٦، ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥، ٥٦].

ولم يعلموا أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة؛ ولذلك فإن الله يعطيها من يحب ومن لا يحب، وسع الرزق علىٰ الأخيار أمثال: نبيه داود وسليمان عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، ووسعه علىٰ الأشرار أيضًا، أمثال: فرعون وهامان وقارون، وضيق علىٰ الأخيار والأشرار؛ ذلك أنه لا يعبأ بالدنيا، فهي هينة عليه، ولو كانت تساوي عنده جناح بعوضة ما سقىٰ منها كافرًا شربة ماء، كما جاء في حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لو كانتِ الدنيا تَعْدِلُ عندَ الله جناحَ بعوضةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا منها شربةَ ماءٍ**»[1].

فعلىٰ المؤمن إذا وسع الله عليه في الرزق، أن يعمل عمل داود وسليمان عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، قال الله عنهما: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل:١٥]، وقال تعالى عن سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩]، ويحذر من عمل قارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٠)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١١٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٠).

عِندِيٓ﴾[القصص:٧٨] وأمثاله، وإذا ضيق عليه في رزقه أن يصبر ويحتسب، متمثلًا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[1].

الأثر الرابع: محبة الله تَعَالَىٰ الرازق الرَّزَّاقِ:

التأمل في خلق الرازق للأرزاق، وإيصالها إلىٰ خلقه رزقًا بعد رزق؛ كل ذلك يورث العبد محبة الرازق والتعلق به لعظيم إحسانه وإفضاله؛ فإن كل ما يراه الإنسان من مظاهر الرزق والعطاء والكرم والجود وما أودع فيها من جودة، وطعم، ومكانة، وسهولة في الوصول إليها كله خلق الله عَزَّوَجَلَّ وفضله.

الأثر الخامس: التوكل علىٰ الرزاق الرازق في طلب الرزق:

اليقين بتفرد الرازق برزق العباد، وتكفله بأقواتهم، وتقديره لرزقهم قبل خلقهم، وتوليه تنفيذ المقدر الذي يخرجه في السماوات والأرض، في السماوات؛ لأنه مقضي مكتوب، وفي الأرض؛ لأنه سينفذ لا محالة، كل ذلك يثمر التوكل الصادق علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في طلب الرزق، الذي يثمر بدوره الطمأنينة في القلب والسكينة وعدم الهلع والخوف علىٰ الرزق؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو المتكفل بأرزاق عباده، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾[هود:٦]، وقد أقسم الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أنه ضمن الرزق للعباد: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، سمعها أعربي فصاح صيحته المشهورة، وقال: «يا سبحان الله! من الذي أغضب الجليل حتىٰ حلف! ألم يصدقوه في قوله حتىٰ ألجأوه

---

(١) سبق تخريجه.

إلىٰ اليمين؟ قالها ثلاثًا، وخرجت بها نفسه»[1].

وتكفل باستكمالها ولو بعد حين، فلن تموت نفس إلا باستكمال رزقها، كما أخبرنا الصادق الأمين صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيها الناسُ اتَّقوا اللهَ، وأَجْمِلوا في الطَّلَبِ، فَإِنَّ نفسًا لن تموتَ حتىٰ تَسْتَوفِيَ رِزْقَهَا، وإنْ أَبْطَأَ عنها، فاتَّقوا اللهَ وأَجْمِلوا في الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ**»[2].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نفسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»[3]، وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُه**»[4]، وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ تمرة عائرة[5] فأخذها فناولها سائلًا، فقال: **خُذْهَا، لَوْ لَمْ تَأْتِهَا لَأَتَتْك**»[6].

---

(١) تفسير القرطبي (٧١/ ٣٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٤١٢)، وابن حبان، رقم الحديث: (٩٣٢٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، رقم الحديث: (٤٤١٢). واللفظ لابن ماجه.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٤٩٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٠١/ ٦٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٨٠٢).

(٤) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٨٣٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٨)، حكم الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٠٧١).

(٥) الأصل: «غائرة»، و«المجمع: غائرة»، والتصحيح من «موارد الضمآن» و«النهاية» وفيه: «العائرة الساقطة لا يعرف لها مالك»، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٨٢٣).

(٦) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٠٤٢٣)، والبيهقي في القضاء والقدر، رقم الحديث: (٠٤٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٥٠٧١).

وإذا حقق العبد التوكل رزقه الرزاق كما يرزق الطير؛ فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ، كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا**[1] **وَتَرُوحُ بِطَانًا**[2]»[3]، فـ«لو توكلوا علىٰ الله في ذهابهم، ومجيئهم وتصرفهم، ورأوا أن الخير بيده ومن عنده، لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير، تغدوا خماصًا وتروح بطانًا، لكنهم يعتمدون علىٰ قوتهم وجلدهم، ويغشُّون ويكذبون ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل»[4].

ولا يعني التوكل عدم الأخذ بالأسباب والقعود عن الكسب، بل التوكل: الاعتماد علىٰ الله مع الأخذ بالأسباب؛ لأن هذه الأسباب من رزق الله تَعَالَى الذي يسره لعباده وأقدرهم عليه، وأوصلهم إليه، لكن لا يعتمد الإنسان عليها، وإنما يجعل اعتماده علىٰ الله ويوقن أن مفاتيح الرزق بيده، وأن خزائن السموات والأرض بيده.

كما يثمر هذا اليقين- بوحدانية الرازق في الرزق وتقديره له- في نفس العبد عدم الخوف من المخلوقين في قطع الرزق؛ لعلمه أن الرزق بيد الله وحده وقد قدره وكتبه، ولا بد أن يصله رضي الخلق أو سخطوا.

---

(١) تغدو، أي: تذهب أول النهار، خماصًا، أي: ضامرة البطن من الجوع. ينظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري (٧/ ٧).

(٢) تروح، أي: ترجع آخر النهار، بطانًا جمع بطين، أي: عظيمة البطن من الشبع. ينظر: المرجع السابق بنفس الصفحة.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٤٤٣٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٦١٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٤٥٢٥).

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي (٢/ ٥٠٤).

وقد رد الله علىٰ المنافقين الذين قالوا: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون:٧]، فقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧] فبين أن هؤلاء الذين يحاولون أن يتحكموا في أرزاق المؤمنين، إنما هم يرزقون من خزائن الله، فليسوا هم الذين يخلقون رزق أنفسهم، فضلًا عن أن يرزقوا غيرهم أو يمنعوا رزقه، فما أقل فقههم وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين.

ولضعف هذ اليقين تجد الإنسان يسأل: من الذي يرزقك؟ فيجيب علىٰ البديهة: الله، ثم تجده إذا ضيق عليه مخلوق في الرزق، قال: فلان يريد قطع رزقي!

فلا بد أن يستقر في القلوب إلىٰ درجة اليقين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن الله هو المحيي المميت، وأن الله هو الضار النافع، وأن الله هو المعطي والمانع، وأن الله هو المدبر، وأن الله هو الذي بيده كل شيء.

الأثر السادس: الأخذ بأسباب نَيلِ الأرزاقِ:

قد جعل الرزاق تحصيل الأرزاق منوطًا بالأخذ بالأسباب، فبها تنال الأرزاق وتستجلب الخيرات، وتحصل البركات وتدفع عن العباد الشرور والآفات.

وقد بين سُبْحَانَهُ هذه الأسباب وأوضحها لعباده في كتابه وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها:

١- الإيمان والتقوىٰ:

من أهم أسباب نيل الرزق: الإيمان بالله والاستقامة علىٰ طريق الحق، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦]، وقال

سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣]، فـ«يسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر، ولا يعلم»[1].

وما دام أن التقوىٰ والعمل الصالح باب إلىٰ الرزق والبركة، فإن المعصية تنقص الرزق والبركة، أو تكون بابًا للعاصي إلىٰ النكد والشقاء، قال تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، وقال تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

٢- التوبة والاستغفار:

قال تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ﴾ [هود:٣] قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة تدل علىٰ أن الاستغفار والتوبة إلىٰ الله تَعَالَى من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعًا حسنًا إلىٰ أجل مسمىٰ؛ لأنه رتب ذلك علىٰ الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء علىٰ شرطه.

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا»[2].

---

(١) تفسير الطبري (٣٢/ ٥٤٤).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (٢/ ١٧٠).

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

فـ«الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار، قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد علىٰ الاستغفار حتىٰ رجع، فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر؛ ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]»[(١)].

٣- شكر الرَّزَّاقِ:

رزق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عظيم، منه: الإسلام، والعافية، والعقل، والطعام، والشراب، والولد، والمال، والجمال، والشباب، والقوة، والفتوة، والطبيعة، والإلهام.

وقد اعتاد كثير من الناس أن تحصل لهم كل هذه الأشياء بشكل طبيعي معتاد، ولا يتفطنون إلىٰ حقيقة كونها نعمة من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بينما الإنسان صاحب القلب الحي يدرك هذا المعنىٰ ويتأمله.

جاء رجل يشتكي إلىٰ حكيم الفقر، فقال له: هل تبيع لي بصرك بمائة ألف دينار؟ قال: لا، قال: هل تبيع سمعك بمائة ألف دينار؟ قال: لا، قال: فيدك، فرجلك، فعقلك، فقلبك، فجوارحك، ... وهكذا عدد له، حتىٰ بلغ الأمر مئات الألوف من الدنانير، في هذا الإنسان، فقال له: يا هذا!! عليك ديون كثيرة، وحقوق مثبتة فمتىٰ تؤدي شكرها، ومع ذلك تطلب الزيادة، إن ربك عفو كريم.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٩٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣٨).

وقد أرشدنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ شكره علىٰ ما تفضل علينا به من رزقه، ووعدنا إن شكرنا زادنا من فضله، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

٤- الإنفاق من هذا الرِّزْق:

لقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ عباده بالإنفاق في سبيله، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[إبراهيم:٣١].

وقد وعد سُبْحَانَهُ أن يخلف ما ينفق، قال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[سبأ:٣٩]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكِ**»[1]، وقال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**»[2].

٥- الصلاة:

ومن أسباب سعة الرزق في الدنيا والآخرة: الصلاة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٨٦٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٩٩). واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨٨٥٢).

هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧]، وقال جل شأنه: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٨، ٣٩].

٦- صلة الرحم:

مما يستجلب به الرزق: صلة الرحم، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن أَحَبَّ أنْ يُبْسَطَ له في رزقِهِ، وَيُنْسَأَ له في أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[1]، بل حتىٰ أن الفجرة إذا تواصلوا بسط الله لهم في الرزق، كما جاء في الحديث، عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ أعجلَ الطاعةِ ثوابًا: صلةُ الرَّحِمِ، حتىٰ إنَّ أهلَ البيتِ ليكونوا فَجَرةً، فتنموَ أموالُهم، ويَكْثُرَ عددُهُم إِذَا تَوَاصَلُوا**»[2].

الأثر السابع: طلب الرزق الحلال، والحذر من الرزق الحرام:

اليقين بأن الله الرزاق الذي تكفل للعباد بأرزاقهم؛ يدفع العبد إلىٰ ترك الرزق الحرام في مأكله ومشربه وملبسه وعمله ونحو ذلك، ولو كان كثيرًا موفورًا؛ لأنه يعلم أن الرزاق سيفتح له أبواب من الرزق الحلال، وأنه لن يحصل من الرزق إلا ما قسم له، وأن ما عند الله لا ينال بمعصيته، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نفسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيا حَتَّىٰ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٩٨٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٤٤٠)، والطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (١٠٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع، رقم الحديث: (٥٧٠٥).

تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»[1].

وقد حذر الله عَزَّوَجَلَّ وتوعد من أكل الرزق الحرام، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ**[2] **إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ**»[3]، وقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]** ثم ذكر **الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[4].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا الحديث إشارة إلىٰ أنه لا يقبل العمل ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وإنَّ أكل الحرام يفسد العمل، ويمنع قبوله... وما ذكره بعد ذلك من الدعاء، وأنه كيف يتقبل مع الحرام، فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام»[5]، وقال: «فيؤخذ من هذا: أن التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الإجابة»[6].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) السحت: الحلق، ويطلق في الشريعة علىٰ المال الحرام؛ لأنه يحلق الدين. العرف الشذي، للكشميري (٢/ ٣٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٦٤١)، والترمذي، رقم الحديث: (٤١٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٤١٦).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥١٠١).

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٠٦٢).

(٦) المصدر السابق (١/ ٥٧٢).

فعلى المؤمن أن يحذر الرزق الحرام بمختلف صوره وأشكاله، ومنها:

- الربا، وقد تكاثرت النصوص في النهي عنه، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢٧٨].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: **هُمْ سَوَاءٌ**»[١].

والربا ممحوق البركة منزوع الخير، قال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[البقرة:٢٧٦].

- الرشوة، عن عبد الله بن عمرو قال: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ**»[٢].

- اليمين الغموس، وهو: الحلف كذبًا؛ لاقتطاع مال الغير[٣]، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: **وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»[٤]، وقال: «**مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**، قَالَ عَبْدُ اللهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِصْدَاقَهُ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٥٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٥٨٠)، والترمذي، رقم الحديث: (١٣٣٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابي داود، رقم الحديث: (٣٥٨٠).

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٥٥٧).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٣٧).

مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧٧] الآية[١].

- سؤال الناس بلا حاجة أو ضرورة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[٢].

- أخذ أموال الناس بقصد السلف والدين، مع إضمار النية بعدم رده وسداده، أو التهاون في ذلك، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّىٰ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَها يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»[٣].

- الغلول، وهو: الخيانة مطلقًا، وغلب في الاستعمال تخصيصه بالخيانة في الغنيمة[٤]، وللغلول صور عدة، من أهمها: الأخذ من المال العام[٥].

وجاء في الغلول حديث أبي هريرة، قال: «قام فينا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «**لَا أُلْفِيَنَّ[٦] أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ:**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٤٤٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٨٣١). واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٠٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٨٣٢).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (٢١/ ٦١٢).

(٥) للغلول صور متعددة، منها: أخذ الموظفين من الهدايا، اغتصاب الأراضي والعقارات ونحو ذلك بغير حق.

(٦) ألفين، أي: لا أجدن أحدكم علىٰ هذه الصفة، ومعناه: لا تعملوا عملاً أجدكم بسببه علىٰ هذه الصفة، شرح النووي علىٰ مسلم (٢١/ ٦١٢).

لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ[1]**، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ**[2]**، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ صَامِتٌ**[3]**،فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ**»[4].

وفي صحيح مسلم: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: حدثني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا- أو عَبَاءَةٍ-**»[5] .

---

(١) الرغاء، والحمحمة، والغثاء: وصف لصوتها، فصوت البعير الرغاء وصوت الفرس الحمحمة هكذا. ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم (٢١/ ٦١٢-٧١٢).

(٢) المراد: ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقاع، تخفق: تتحرك، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ١٥٢).

(٣) الصامت، أي: الذهب والفضة، شرح النووي علىٰ مسلم (٢١/ ٧١٢).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٧٠٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٨١).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤١١).

وكل رزق فيه شبهة ينبغي للعبد أن يتجنبه؛ لأن المال الحرام يمحق بركة الإنسان في جميع أمره: في ماله وولده وبيته، حتىٰ في دعائه: «**فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[1].

الأثر الثامن: الإنفاق من رزق الرزاق الرازق:

إيمان العبد باسمه سُبْحَانَهُ (الرزاق) يبعد عن القلب الشح والبخل؛ لأن الشعور بأن ما في اليد من رزق فهو من الله وحده، وما في القلب من علم وهداية فالمانُّ به سُبْحَانَهُ، فهو رزقه وفضله، وقد أمره بالإنفاق منه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[المنافقون:١٠]؛ يدفع المؤمن إلىٰ التواضع، والجود بما رزقه الله سُبْحَانَهُ من علم أو مال أو جاه في سبيل الله تَعَالَىٰ، وإيصاله للمحتاجين إليه.

الأثر التاسع: الاشتغال بطلب الرزق الباقي:

أرزاق الله كثيرة، لا تعد ولا تحصىٰ، إلا أن علىٰ المؤمن أن يكون همه السعي لنيل أحسنها وأكملها وأكرمها، مما خص الله به عباده المؤمنين في الآخرة من النعيم، وهو رزق عظيم واسع، لا يحده حد، ولا يقدر قدره إلا الله، فرزق أهل الجنة لا نفاد له ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[ص:٥٤]، وهو يرزقهم بغير حساب ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٖ﴾[غافر:٤٠].

---

(١) سبق تخريجه.

ومن طالع صفة الجنة؛ علم سعة رزق أهلها وكثرته وطيبه وتنوعه، قال تَعَالَى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:١٢ - ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١].

وإذا علم العبد ذلك؛ لم يشتغل برزق الدنيا الفاني عن رزق الآخرة الباقي، قال تَعَالَى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦]، فالعاقل لا يشغله رزق الدنيا وإن كثر عن الغاية التي خلق لأجلها وأوجد لتحقيقها، وهي عبادة الله وإخلاص الدين له، بل يجعل ذلك سبيلًا لنيل رضا الله، وبلوغ جنات النعيم.

فاللهمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ علمًا نافعًا، ورِزْقًا طَيِّبًا، وعملًا صالِحًا مُتقَبَّلًا.

اللهمَّ اغفِرْ لنا وارْحَمْنَا، وَاهْدِنَا، وعَافِنَا، وارْزُقْنَا.



الرَّؤُوفُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «الرأفة: أشد الرحمة»(١).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُٱللَّهُ: «(رأف) الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة، تدل علىٰ رقة ورحمة، وهي الرأفة»(٢).

ورود اسم الله (الرؤوف) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الرؤوف) في كتاب الله في عشر مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحج:٦٥].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[آل عمران:٣٠].

---

(١) الصحاح (٤/ ٨٤).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٧٤).

وورد اسمه سُبْحَانَهُ (الرؤوف) في السنة النبوية:

من وروده ما يلي:

عن يحيىٰ بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: كتب إلي أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، يخبرني عن هدي عبد الله بن مسعود في الصلاة، وفعله وقوله فيها، فكان مما ذكره في دعائه: «سبحانك لا إله غيرك، اغفر لي ذنبي، وأصلح لي عملي، إنك تغفر الذنوب لمن تشاء، وأنت الغفور الرحيم، يا غفار اغفر لي، يا تواب تب علي، يا رحمن ارحمني، يا عفو اعف عني، يا رؤوف ارأف بي، يا رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي.. »[1].

معنى اسم الله (الرؤوف):

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج:٦٥]: «إن الله بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة أعلىٰ معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة»[2].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرؤوف) هو الرحيم العاطف برأفته علىٰ عباده، وقال بعضهم: الرأفة: أبلغ الرحمة وأرقها، ويقال: إن الرأفة أخص والرحمة أعم، وقد تكون الرحمة في الكراهة للمصلحة، ولا تكاد الرأفة تكون في الكراهة، فهذا موضع الفرق بينهما»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٢٤٩٩).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢١).

(٣) شأن الدعاء (ص: ١٩).

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرؤوف) ذو الرأفة، والرأفة: شدة الرحمة، فهو بمعنىٰ: الرحيم مع المبالغة»[1].

يظهر مما سبق أن هناك ارتباطًا بين الرأفة والرحمة، وقد يظهر الفرق بينهما في:

- أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾[النور:٢] أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما.

وأما الرحمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنىٰ، ويدخل فيه الإفضال والإنعام[2].

- الرحمة تكون للمؤمن والكافر والبر والفاجر، ومن رحمة الله: إرسال الرياح والأمطار، وهي رحمة يشترك فيها الإنسان مؤمنًا وكافرًا، والحيوان والأشجار وكثير من مخلوقات الله تَعَالَىٰ.

بينما الرأفة تكون فقط للمؤمنين، تأمل قوله الله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[الفرقان:٤٨] وهذا عام للمؤمن والكافر، بينما رأفة الله لا تكون إلا للمؤمن، فانظر إلىٰ قوله الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[البقرة:٢٠٧][3].

---

(١) المرجع السابق (ص: ٩٨٢).

(٢) المنهاج الأسنىٰ، للقرطبي (١/ ١٠٢).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٤/ ٩٩).

اقتران اسم الله (الرؤوف) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

اقتران اسم الله (الرؤوف) باسم الله (الرحيم):

لم يقترن اسم الله الرؤوف بغيره من الأسماء إلا باسم الله الرحيم، وجاء هذا الاقتران في تسع آيات من القرآن الكريم، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣].

قوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد:٩].

وقد سبق الحديث عن وجه هذا الاقتران، وذلك عند كلامنا عن اسم الله تَعَالَى (الرحمن الرحيم).

سر تقديم اسم الله الرؤوف علىٰ اسمه الرحيم:

يقول الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقدم علىٰ رحيم؛ لأن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي رفع المكروه وإزالة الضرر، كما يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٢] أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، والرحمة أعم منه، ومن الإفضال، ودفع الضرر أهم من جلب النفع، وقول القاضي: لعل تقديم (الرؤوف)- مع أنه أبلغ- محافظة علىٰ الفواصل- ليس بشيء؛ لأن فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع- فالمراعاة حاصلة علىٰ كل حال-، ولأن الرحمة حيث وردت في القرآن قدمت ولو في غير الفواصل، كما في قوله تَعَالَى: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:٢٧]

في وسط الآية»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرؤوف):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرؤوف) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

لقد أثبت الله عَزَّوَجَلَّ صفة الرأفة لنفسه، وقرنها بصفة الرحمة؛ ليؤكد مدلول أحدهما بمدلول الآخر، والرأفة هي: صفة شاملة لاستصلاح العباد والرفق بهم في تربيتهم جملة وتفصيلًا، والنظر لهم بما هم عليه من الضعف والحاجة والمسكنة والفقر[2].

ومن يتأمل في الكون يرىٰ آثار رحمة الله ورأفته في الكون، **ومن مظاهر تلك الرأفة:**

- من رأفته تَعَالَى: إنزاله الكتاب علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليخرجنا من ظلمات الكفر والشرك إلىٰ نور الحق ودين الإسلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد:٩].

- ومن رأفته تَعَالَى أنه لا يضيع لعباده طاعة أطاعوه بها، فلم يبطل عمل عباده الذين صلوا قبل تحويل القبلة، فقد تساءل الصحابة عن عملهم وعمل إخوانهم الذين ماتوا وهم يصلون إلىٰ بيت المقدس، بعد أن حُولت القبلة إلىٰ الكعبة، فأنزل الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣].

---

(١) روح المعاني (١/ ٦٠٤).

(٢) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ٤٧١).

- ومن رأفته تَعَالَىٰ: توبته علىٰ عباده، وأنه يقبل توبة التائبين، ولا يرد عن بابه العاصين المنيبين مهما كثرت سيئاتهم، وتعاظمت خطيئاتهم ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١١٧][1]، فهو يفتح لهم باب التوبة ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»[2]، وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[3].

- ومن رأفته سُبْحَانَهُ: تسخيره المخلوقات لخدمتنا، كالجمال والخيول والبغال والحمير قديمًا، والسيارات والطائرات حديثًا: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل:٧]، ففي الأنعام دفء من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار، ومنافع في هذه وفي اللبن واللحم وغير ذلك، وفي حمل الأثقال إلىٰ البلد البعيد الذي لا يبلغونه إلا بشق الأنفس، وفيها كذلك جمال عند الإراحة في المساء وعند السرح في الصباح، والتعقيب بقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٧] توجيه إلىٰ ما في خلق الأنعام من نعمة، وما في هذه النعمة من رحمة.

---

(١) للاستزادة: يرجع لأسماء الله (الرحمن الرحيم، اللطيف، الرفيق).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٠٧٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٥٧٢).

- ومن رأفته سُبْحَانَهُ: حفظه لعباده في سمعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم، كما ورد عند البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الحديث القدسي: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ،...**»[1]، وهذا منتهىٰ الرأفة بالصادقين.

- ومن رأفته سُبْحَانَهُ: أنه أخبر عباده بما سيلاقونه في يوم القيامة، حيث تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا، وهذا الإخبار من رأفته؛ حتىٰ يستعد الناس لذلك اليوم: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ**﴾ [آل عمران: ٣٠].

وحري بمن عرف اسم الله الرؤوف وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله وحده رأفته ورحمته.

الأثر الثاني: محبة الله الرؤوف:

حينما يفكر العبد وينظر في مظاهر رأفة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده، والتي لا تعد ولا تحصىٰ؛ فإن هذا يثمر تجريد المحبة لله تَعَالَىٰ والعبودية الصادقة له سُبْحَانَهُ، وتقديم محبته عَزَّوَجَلَّ علىٰ النفس، والأهل، والمال، والناس جميعًا، والمسارعة إلىٰ مرضاته، والدعوة إلىٰ توحيده، والجهاد في سبيله، وفعل كل

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٠٥٦).

ما يحبه ويرضاه.

يقول تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران:٣١].

والرؤوف سُبْحَانَهُ متصف بصفات الكمال والجلال، والمنزه عن النقائص والعيوب؛ ومن كان هذا وصفه فإن النفوس مجبولة علىٰ حبه وتعظيمه، وهذه المحبة تورث حلاوة في القلب، ونورًا في الصدر، وهذا هو النعيم الدنيوي الحقيقي الذي يصغر بجانبه كل نعيم.

الأثر الثالث: التخلق بخلق الرأفة:

فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرؤوف الرحيم شديد الرأفة والرحمة بأمته، فهو أرحم بهم من والديهم، عطوف رفيق، وقد أعطاه اللهتَعَالَى في هذه الآية اسمين من أسمائه، وهو في نهاية الكرامة[1].

قال الله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

ومعنىٰ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، فيحب لكم الخير ويسعىٰ جهده في إيصاله إليكم، ويحرص علىٰ هدايتكم إلىٰ الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعىٰ جهده في تنفيركم عنه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مقدمًا علىٰ سائر حقوق الخلق،

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٢٦٣).

وواجب علىٰ الأمة الإيمان به وتعظيمه وتوقيره وتعزيره[١].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأقرب الخلق إلىٰ الله تَعَالَىٰ: أعظمهم رأفة ورحمة، كما أن أبعدهم منه: من اتصف بضد صفاته»[٢].

وكان مِنْ رأفته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته:

- أنه ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه[٣].

- وما انتقم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها[٤].

- وكان يدخل في الصلاة، وهو يريد أن يطول فيها فيسمع بكاء الصبي؛ فيتجوز في صلاته كراهية أن يشق علىٰ أمه[٥].

- وكان يراعي ما ركبه الله بهم من غرائز، فيمكن أصحابه من أن يقضوا وطرهم المباح؛ فعن مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أتينا إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحيمًا رفيقًا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا، سألنا

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٥٣).

(٢) الروح (ص: ١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠٦٥٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٢٣٢).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠٦٥٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٢٣٢). واللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٠٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٠٧٤).

عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: «ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ- وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها- وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[1].

فمالكٌ ورفقته كانوا في سن الشباب، والشباب مظنة قوة الشهوة، فلما قضوا هذه المدة عنده، أمرهم بالرجوع إلىٰ أهلهم؛ ليقضوا وطرهم المباح.

- ومن مظاهر رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رحمته بالصغار، فقد كان يقبِّل الصغار، ويداعبهم، بل ويكنيهم، فعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَىٰ فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَىٰ فَخِذِهِ الْأُخْرَىٰ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: اللهُمَّ ارْحَمْهُمَا؛ فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»[2].

وروىٰ البخاري- أيضًا- من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا حَتَّىٰ يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْر، مَا فَعَلَ النُّغَيْر»[3]، والنغير: تصغير نغر، وهو طائر يلعب به ذلك الصبي، فمات.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ، فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[4].

- وامتدت رأفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحيوانات، يقول سهل بن الحنظلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «مرَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فقال:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٠٠٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٢١٦).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨١٣٢).

اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»**[2].

وعن معاوية بن قرة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا، أَوْ قَالَ: إِنِّي أَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا. فَقَالَ:**وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ»**[3].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا، إِلَّا سَأَلَهُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **عَنْهَا**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: **يَذْبَحُهَا فَيَأْكُلُهَا، وَلَا يَقْطَعُ رَأْسَهَا يَرْمِي بِهَا»**[4].

فانظر إلىٰ الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف رفقه بالحيوان وشفقته عليه، وكيف أنه يوصي أصحابه وأمته من بعده بأن يتقوا الله فيها، ويرأفوا بحالها!

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٢٦٧١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٨٤٥٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٤٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٧٦٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٧٥٦٢).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٠٩٦٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٧٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٢).

(٤) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (٠٦٣٤)، والدارمي، رقم الحديث: (١٢٠٢)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (٩٤٣٤). واللفظ للنسائي.

- **أما عن رأفته بغير المسلمين**: فانظر إلىٰ هذا الموقف الذي يتجلىٰ فيه رفق النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالكافرين، وهم يتعرضون له بالأذىٰ، حتىٰ أن النبي وصف هذا اليوم بأشد يوم مر عليه؛ لشدة ما وقع به صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذىٰ بدني ومعنوي؛ لكنه يرأف بهم ويحلم عليهم، ويرفض أن يرد علىٰ إساءاتهم بأي عنف أو شدة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل أتىٰ عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١).

- ثم هو صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخشىٰ أن تُقبض نفس علىٰ الكفر؛ فتُخلد في نار جهنم، فيسمع بمرض طفل يهودي، فيسارع بالذهاب إليه ويرأف بحاله؛ طلبًا لنجاته من الهلاك وخوفًا من إلقائه في النار، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: **أَسْلِمْ**. فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: **الحَمْدُ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٢٣).

لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[1][2].

الأثر الرابع: الدعاء باسم الله الرؤوف:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.



(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٣١).

(٢) للاستزادة يرجع إلىٰ اسم الله (الرحمن الرحيم).

السَّلامُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السلام: الاسم من التسليم، والسلام: اسم من أسماء الله تَعَالَى... والسلام: البراءة من العيوب... »[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(سلم) السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذىٰ... والسلام: المسالمة»[2].

ورود اسم الله (السلام) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله السلام مرة واحدة في كتاب الله، وهي:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣].

ورود اسم الله (السلام) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (السلام) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انصرف

---

(١) الصحاح (٥/ ١٥٩١).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٩٠).

من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: **اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ**»[1].

٢- عن شقيق بن سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال عبدالله: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ، فَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ-؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ- أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[2].

٣- عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «إن السلام اسم من أسماء الله، وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم، إن الرجل إذا سلم علىٰ القوم فردوا عليه كانت له عليهم فضل درجة؛ لأنه ذكرهم السلام، وإن لم يرد عليه رد عليه من هو خير منه وأطيب»[3].

معنى اسم الله (السلام) في حقه تعالى:

يدور معنىٰ اسم الله (السلام) في حق الله علىٰ معنين:

١- السلامة والبراءة من كل عيب ونقص في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله سُبْحَانَهُ.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٩٣٠١)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٩٣٠١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٣٦١).

٢- أنه سُبْحَانَهُ منه السلام للخلق عامة، والأمن لعباده المؤمنين خاصة.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذو سلامة مما يلحق المخلوقين من الفناء والموت والنقص والعيب»[(١)].

❊ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها السلام: لأن معناه السالم من المصائب...»[(٢)].

❊ قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السلام؛ أي: من جميع العيوب والنقائص؛ لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله»[(٣)].

❊ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أسمائه: القدوس، السلام، أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال»[(٤)].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السلام الذي يسلم خلقه من ظلمه، وهو اسم من أسمائه»[(٥)].

---

(١) اشتقاق أسماء الله (ص: ٥١٢).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٦٩١).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).

(٤) القول الحق المبين، للسعدي (ص١٨).

(٥) تفسير الطبري (٣٢/ ٢٠٣).

❊ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويقال السلام: هو الذي سلم من عذابه من لا يستحقه»[1].

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين، وقيل: هو الذي سلم الخلق من ظلمه»[2].

❊ قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة، وهذه صفة يستحقها بذاته، وقيل: هو الذي سلم المؤمنون من عقوبته»[3].

❊ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما السلام الذي هو اسم من أسماء الله ففيه قولان: أحدهما: أنه كذلك اسم مصدر، وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه، والمعنىٰ: أنه ذو السلام، وذو العدل علىٰ حذف المضاف، والثاني: أن المصدر بمعنىٰ الفاعل هنا، أي: السالم؛ كما سميت ليلة القدر سلامًا، أي: سالمة من كل شر، بل هي خير لا شر فيها»[4].

❊ وقال في نونيته:

وَهْوَ السَّــلَامُ عَلَــىٰ الــحَقِيقَةِ سَالِــمٌ
مِــنْ كُلِّ تَــمْثِيلٍ وَمِــنْ نُقْصَــانِ[5]

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٣).

(٢) شأن الدعاء (١/ ١٤).

(٣) الاعتقاد (ص: ٩٥).

(٤) بدائع الفوائد (٢/ ٦٦٣).

(٥) النونية (ص:٢١٠).

اقتران اسم الله (السلام) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

اقترن اسم الله السلام باسمه القدوس:

وذلك في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣].

وجه الاقتران:

اقترن اسم الله (السلام) بـ(القدوس)، وفي اقترانهما دلالة علىٰ براءة الله عَزَّوَجَلَّ من جميع العيوب والنقائص في كل الأوقات؛ إذ القدوس يشير إلىٰ البراءة من جميع العيوب في الماضي والحاضر، والسلام يشير إلىٰ البراءة من أن يطرأ عليه شيء من العيوب في المستقبل[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (السلام):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (السلام) من الصفات:

لما كان لله عَزَّوَجَلَّ الكمال من كل وجه سلم من كل عيب ونقص؛ فهو سُبْحَانَهُ السلام الحق بكل اعتبار، يقول تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾[الحشر:٢٣]، ويقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**»[2]، فهو سلام في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (٩٢/ ٣١٥).

(٢) سبق تخريجه .

فأما سلامة ذاته: فذاته العلية سالمة من كل عيب ونقص يمكن أن تتخيله الأوهام وتمليه الخواطر والأفكار، فهو بذاته نور سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، وحجابه- الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه- نور، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والسماء والأرض، بل وبه استنارت الجنة[١].

ومن كمال هذه الذات وجلالها: أن أهل الجنة مع عظم ما هم فيه من النعيم الذي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، إذا راوا ذاته الجليلة نسوا كل نعيم نظروا إليه؛ إذ هو الجميل الذي سلم من كل عيب ونقص.

وأما سلامة أسمائه: فأسمائه التي لا تحصىٰ عدًّا جميعها سلام من العيب والنقص، وسلام من الدلالة علىٰ ما فيه ذم وقدح، بل كلها حسنىٰ بلغت من الحسن أجمعه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]؛ فكلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد وسلام.

وأما سلامة صفاته وأفعاله: فكل صفة من صفاته، وكل فعل من أفعاله سلام من كل عيب ونقص وخلل.

وفي تفصيل هذا وتقريره يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولذلك إذا نظرت إلىٰ أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلامًا مما يضاد كمالها: فحياته سلام من الموت ومن السِّنة والنوم، وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه، أو عروض نسيان أو حاجة إلىٰ تذكر

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٦٥).

وتفكر، وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة، وكلماته سلام من الكذب والظلم، بل تمت كلماته صدقًا وعدلًا، وغناه سلام من الحاجة إلىٰ غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه، وهو غني عن كل ما سواه، وملكه سلام من منازع فيه، أو مشارك، أو معاون مظاهر، أو شافع عنده بدون إذنه، وإلاهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلا هو.

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه، أو ذل، أو مصانعة، كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه، وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلمًا، أو تشفيًا، أو غلظة، أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه علىٰ إحسانه، وثوابه، ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضًا لحكمته ولعزته، فوضعه العقوبة موضعها هو من عدله، وحكمته، وعزته، فهو سلام مما يتوهم أعداؤه الجاهلون به من خلاف حكمته.

وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، ومن توهم وقوعه علىٰ خلاف الحكمة البالغة، وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته، بل شرعه كله حكمة، ورحمة، ومصلحة، وعدل، وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلىٰ المعطىٰ، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق، بل عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبه بخل ولا عجز.

واستواؤه وعلوه علىٰ عرشه سلام من أن يكون محتاجًا إلىٰ ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاج إليه، وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش، وعن حملته، وعن كل ما سواه، فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر، ولا حاجة إلىٰ عرش ولا غيره، ولا إحاطة شيء به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل كان سُبْحَانَهُ ولا عرش، ولم يكن به حاجة إليه، وهو الغني الحميد، بل استواؤه علىٰ عرشه واستيلاؤه علىٰ خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلىٰ عرش ولا غيره بوجه ما. ونزوله كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا سلام مما يضاد علوه، وسلام مما يضاد غناه وكماله. وسلام من كل ما يتوهم معطل أو مشبه، وسلام من أن يصير تحت شيء أو محصورا في شيء، تَعَالَىٰ الله ربنا عن كل ما يضاد كماله وغناه.

وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل، وموالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل كما يوالي المخلوق المخلوق، بل هي موالاة رحمة، وخير، وإحسان، وبر، كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾[الإسراء:١١١]، فلم ينف أن يكون له ولي مطلقًا، بل نفىٰ أن يكون له ولي من الذل.

وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه، أو تملق له، أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوله المعطلون فيها،وكذلك ما أضافه إلىٰ نفسه من اليد والوجه؛ فإنه سلام عما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل»[(١)].

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٥٣١-٧٣١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «ومن بعض تفاصيل ذلك: أنه الحي الذي سلمت حياته من الموت والسنة والنوم والتغير، القادر الذي سلمت قدرته من اللغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد، العليم الذي سلم علمه أن يعزب عنه مثقال ذرة أو يغيب عنه معلوم من المعلومات، وكذلك سائر صفاته علىٰ هذا، فرضاه سُبْحَانَهُ سلام أن ينازعه الغضب، وحلمه سلام أن ينازعه الانتقام، وإرادته سلام أن ينازعها الإكراه، وقدرته سلام أن ينازعها العجز، ومشيئته سلام أن ينازعها خلاف مقتضاها، وكلامه سلام أن يعرض له كذب أو ظلم، بل تمت كلماته صدقًا وعدلًا، ووعده سلام أن يلحقه خلف، وهو سلام أن يكون قبله شيء، أو بعده شيء، أو فوقه شيء، أو دونه شيء، بل هو العالي علىٰ كل شيء، وفوق كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، والمحيط بكل شيء، وعطاؤه ومنعه سلام أن يقع في غير موقعه، ومغفرته سلام أن يبالي بها أو يضيق بذنوب عباده أو تصدر عن عجز عن أخذ حقه كما تكون مغفرة الناس ورحمته، وإحسانه، ورأفته، وبره، وجوده، وموالاته لأوليائه، وتحببه إليهم، وحنانه عليهم، وذكره لهم، وصلاته عليهم- سلام أن يكون لحاجة منه إليهم أو تعزز بهم أو تكثر بهم.

وبالجملة، فهو السلام من كل ما ينافي كلامه المقدس بوجه من الوجوه»[1].

ومن سلامة أفعاله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أنه يسلم عباده بإعطائهم الأمن والسلام كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ**».

فمنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل سلام يحصل للخلق صغر أو كبر، قل أو كثر، دنيوي أو ديني أو أخروي.

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/ ٤١٤- ٥١٤).

ثم إذا ثبت ما سبق لربنا السلام؛ علم أنه سُبْحَانَهُ سلم بذلك من أن يكون له شبيه أو مثيل، أو كفو أو سمي، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله(١)، وأنىٰ ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١](٢)، وسلم بهذا من الصاحبة، والولد، والشريك، والند تَعَالَىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣].

ويمكن تقسيم مظاهر تسليم السلام لخلقه إلىٰ قسمين، وهما:

١) **التسليم العام:** وهو الذي يعم المسلم والكافر، والبر والفاجر، ومنه:

تسليم الأجنة من السقوط، وتسليم الأبدان من العلل والأمراض، وتسليم الأعضاء من العاهات والتشوهات، وتسليم الأجساد من الحرق والغرق والهدم والحوادث ونحو ذلك، وتسليمها من الجوع والعطش، وتسليم النفوس من السحر والحسد والعين، وتسليمها من كل شر مخلوق فيه شر من شياطين الإنس والجن، وشر السباع والهوام، ونحوهم(٣).

وتسليم البلدان من الحروب والنكبات والزلازل والبراكين ونحو ذلك، وتسليم قلوب أهلها من الخوف والفزع، وتسليم اقتصادها وأموال أهلها من الخسارات والفاقات، وتسليم حياتها الاجتماعية من الظلم والتعدي، وتسليم نفوس أهلها وأموالهم بما شرع لهم من الأحكام والحدود.

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٣١).

(٢) ينظر: الحق الواضح المبين (ص: ١٨).

(٣) ينظر: التفسير القيم، لابن القيم (ص: ٢٦٠).

وتسليم الفطر من الشرك بما أرسل من الرسل، وأنزل من الكتب داعين للإسلام، الذي هو الاستسلام والانقياد لله والتخلص الشرك وشوائبه، إلا أنه سعد مَن سعد بالإيمان، وشقي مَن شقي بالتكذيب والكفران، وتسليم الآخرة من الظلم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] .

٢) التسليم الخاص: وهو التسليم الذي خص الله به أوليائه وأهل طاعته؛ إذ سلموا اعتقادهم من الباطل، وسلموا جوارحهم من الذنوب والمعاصي، فكان جزاؤهم من جنس عملهم[1]، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه:٤٧]، أي: سلامة لهم في دنياهم، وسلامة لهم في دينهم، وسلامة لهم في آخرتهم[2]، كما حصل ليحيىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذ سلمه الله بقوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥].

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد، فيرىٰ نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرىٰ قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث، فيرىٰ نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيىٰ بن زكريا فخصه بالسلام عليه، قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥]»[3]، وكذا عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذ قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٣]»[4].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٠٧).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٠٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٧١٢).

(٤) وفي الأثر الثالث بسط لمظاهر هذا التسليم.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (السلام) علىٰ التوحيد:

اسم الله السلام دال علىٰ سلامته جَلَّجَلَالُهُ من الشريك والند في الربوبية والألوهية؛ إذ كل من دونه أيًّا كان فيه ما فيه من النقائص والعيوب التي تمنع كونه ربًّا أو إلهًا يعبد، وبالمقابل هو سُبْحَانَهُ سلام سلم من كل نقص وعيب؛ فاستحق بذلك أن يفرد بالربوبية والألوهية، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣].

ثم إن اسم الله (السلام) دال علىٰ ثبوت صفات الكمال له بطريق اللزوم، فانتفاء العيب والنقص يلزم منه ثبوت الكمال كله؛ إذ انتفاء العيب والنقص ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا، فهو عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء فضلًا عن أن يكون مدحًا أو كمالًا[1].

وإذا ثبتت صفات الكمال وسلم فيها سُبْحَانَهُ من كل نقص وعيب؛ كان بهذا واحدًا فيها لا مماثل له ولا مناظر، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]، وبهذا كان اسم ربنا (السلام) دالًّا علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

الأثر الثالث: تسليم السلام لعباده المؤمنين في أمور دنياهم وأخراهم:

فمن مظاهر تسليم الله لعباده المؤمنين في أمور دنياهم ما يلي:

- تسليمهم من شر أعدائهم وبطشهم، كما سلم سُبْحَانَهُ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من كيد قومه؛ إذ جمعوا الحطب الكثير، وأضرموا النيران فيها، ثم ألقوه فيها، فسلمه الله من

(١) ينظر: التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية (ص: ٧٥).

شرهم وشر النار، فقال تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[الأنبياء:٦٩].

ويسلمهم من العذاب الذي ينزله بأقوامهم بإنجائهم، كما أنجىٰ الله نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه من المؤمنين من الغرق، قال تَعَالَىٰ: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[هود:٤٨].

- تسليمهم من الكفر والشرك والضلال، ومن شياطين الجن والإنس ووساوسهم، ويسلمهم من الضلال وطرق الغواية بالهداية إلىٰ الطريق المستقيم، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[المائدة:١٦][1].

- تسليمهم من الفتنة؛ فتنة الشبهات والشهوات، كما سلم يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من الوقوع بامرأة العزيز مع قوة الداعي، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[يوسف:٢٤].

- تسليمهم من الفتنة الكبرىٰ، فتنة المسيح الدجال، كما في تسليمه سُبۡحَانَهُۥ للرجل الذي أخبر عنه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بقوله: «**يَأْتِي الدَّجَّالُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ [2]، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ [3] الَّتِي تَلِي**

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٨٦).

(٢) النقاب: أي: طرقها وفجاجها، وهو جمع نقب وهو الطريق بين جبلين. شرح النووي علىٰ مسلم (٨١/ ١٧).

(٣) السباخ: جمع سبخة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٣٣).

المَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»[1].

ومن مظاهر تسليم الله لعباده المؤمنين في أمور أخراهم ما يلي:

- تسليمهم من كل شقاء وعذاب، فيسلمهم عند قبض أرواحهم من الخوف مما هو قادم أمامهم، ويسلمهم من الحزن علىٰ ما خلفوه ورائهم، قال تعالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:٣٢].

- تسليمهم من شدة الموقف وهوله، ويسلمهم من مناقشة الحساب التي قال عنها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ»[2]، ويسلمهم من الصراط وظلمته بما يعطيهم من النور وسرعة السير، ثم يسلمهم السلام الأعظم بالنجاة من النار، فلا يسمعون حسيسها، وهم عنها مبعدون.

- تسليمهم بإدخالهم جنة السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:١٢٧]، وتتلقاهم الملائكة بالسلام ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد:٢٣، ٢٤]، ويسلم بعضهم علىٰ بعض ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس:١٠].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٥٦).

والأعظم من ذلك كله: سلامه عليهم بنفسه سُبْحَانَهُ، قال تَعَالَىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

«وإذا سلَّم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلىٰ منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا، فلولا أن الله تَعَالَىٰ قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك»[1].

الأثر الرابع: محبة الله السلام:

إذا تعرَّف العبد علىٰ اسم الله السلام وجد فيه معنيين، كل واحد منهما كفيل بأن يملأ القلب حبًّا لله عَزَّوَجَلَّ، وهما:

الأول: ما فيه من الكمال والجلال والسلامة من كل عيب ونقص؛ وقد جبلت النفوس علىٰ محبة من له الكمال.

الثاني: إحسانه إلىٰ العبد بالتسليم من الشرور والمخاوف؛ وقد جبلت النفوس - أيضًا - علىٰ محبة من أحسن إليها.

فإذا تأمل العبد هذا ولاحظ آثاره؛ قاده ذلك إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ التي تورث القلب حلاوة الإيمان، ويحصل بها النعيم الدنيوي الحقيقي الذي يصغر بجانبه كل نعيم.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٩٦).

الأثر الخامس: التأدب مع الله السلام في الألفاظ:

فالله سُبْحَانَهُ السلام ومنه السلام سُبْحَانَهُ، وقد جاء النهي عن قول العبد: السلام علىٰ الله؛ فعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «كنا نصلي خلف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فنقول: السلام علىٰ الله، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ، فَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ-؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ- أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(١).

قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم- صاحب حاشية كتاب التوحيد-: «لما كان حقيقة لفظ (السلام) السلامة والبراءة والخلاص والنجاة من الشرور والعيوب، فإذا قال المسلم: السلام عليكم، فهو دعاء للمسلم عليه، وطلب له أن يسلم من الشر كله، ومرجع السلامة إلىٰ حظ العبد مما يطلبه من السلامة من الآفات والمهالك، والله هو المطلوب منه، لا المطلوب له، وهو المدعو لا المدعو له، وهو الغني له ما في السماوات وما في الأرض، وهو السالم من كل تمثيل ونقص، وكل سلامة ورحمة له ومنه، وهو مالكها ومعطيها؛ استحال أن يسلم عليه سُبْحَانَهُ، بل هو المسلِّم علىٰ عباده، فهو السلام ومنه السلام، لا إله غيره، ولا رب سواه»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٤٣).

الأثر السادس: من أراد الأمن والطمأنينة التزم بشرع الله:

إن يقين العبد بأن الله مصدر الأمن والسلام يبعث في قلبه الشعور بالسلامة والطمأنينة وزوال الخوف والوحشة والقلق والهم والغم، ويدعوه للتعلق به سُبْحَانَهُ؛ إذ كل ما يصيبه أو يخشىٰ أن يصيبه قادر سُبْحَانَهُ علىٰ تأمينه وتسليمه منه ووقايته من شره، ألا أنه لا بد أن يعلم أن من أراد الأمن والسلام في الدنيا سواء في نفسه أو بيته أو مجتمعه، وأرادها في الأخرة كذلك، فإنه لن يجدها إلا في الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والأنس به، والالتزام بأحكامه وشريعته؛ إذ كلها أمن وسلام علىٰ الفرد والأسرة والمجتمع، وكلما كان العبد وكذا البيت والمجتمع أكثر التزامًا بشريعة الله عَزَّوَجَلَّ كان أكثر تحصيلًا للسلام في الدارين، قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْه الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**»[1].

والعكس بالعكس، قال تعالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]، وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في تمام الحديث السابق: «**وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٥٦٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٧٠٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٥٦٤٢).

(٢) سبق تخريجه.

الأثر السابع: إفشاء السلام:

الله عَزَّوَجَلَّ السلام، وشرع لعباده ما ينشر السلام والأمن بينهم، ويحقق المودة والمحبة، ألا وإن ذلك هو السلام تحية أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النور:٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةً مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[النور:٦١]، أي: «فليسلم بعضكم على بعض، لأن المسلمين كأنهم شخص واحد، من تواددهم، وتراحمهم، وتعاطفهم»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[(٢)]، وعن عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أول ما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه واستثبته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب، قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٧٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٥).

(٣) أخرجه والترمذي، رقم الحديث: (٥٨٤٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٣٣١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٣٣١).

والمراد بتحية السلام، قول: السلام عليكم، وهي علىٰ مراتب ثلاثة:

١-أدناها، قول: السلام عليكم.

٢-وأوسطها، قول: السلام عليكم ورحمة الله.

٣-وأعلاها، قول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كما دل علىٰ هذا حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **عَشْرٌ** ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: **عِشْرُونَ** ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: **ثَلَاثُونَ**»[١] .

وفي معناها قولان[٢]:

١-أن السلام يراد به السلامة، فعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: الإعلام بالسلامة من ناحيته، وتأمينه من شره وغائلته، كأنه يقول له: أنا سلم لك غير حرب، وولي غير عدو، فلا تحذر ولا تخف.

٢- أن السلام في التحية يراد به: اسم الله السلام، فعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: الله يحفظك ويرعاك، والله تَعَالَىٰ يعيذك، والله تَعَالَىٰ يمنعك ويحميك، ففيه دعاء له بالسلامة من الشرور والآفات.

ثم إن السلام لم يقيد بشيء مخصوص، فيقال: السلام عليك من كذا،

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٩١٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٩٨٦٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٩١٥).

(٢) ينظر: شأن الدعاء (١/ ١٤)، شرح النووي علىٰ مسلم (٤/ ٧١١).

ولم تتصل به تاء التحديد التي تدل علىٰ الخصلة الواحدة فلم يقل: (السلامة عليكم)، إيذانًا بالسلامة المطلقة وعمومها لكل شر، بل شمولها لحصول الخير أيضًا؛ إذ فوات الخير يمنع السلامة المطلقة، فإن العبد إذا فاته الخير قد يحصل له الهلاك والعطب، أو النقص والضعف[1].

وجاء مع السلام حرف (علىٰ)، وكأن الذي يسلم علىٰ أخيه المسلم يلقي عليه هذا اللفظ إيذانًا باشتمال معناه، كاشتمال ملابسه عليه، فالسلامة تحيط به، كما يحيط به ثوبه.

وأضيف للسلام الرحمة والبركة؛ وذلك لأن الإنسان لا سبيل له إلىٰ انتفاعه بالحياة إلا بثلاثة أشياء[2]:

أ-سلامته من الشر، وقد تضمنها (السلام عليكم).

ب-حصول الخير له، وقد تضمنه (ورحمة الله).

ج-دوام الخير وثباته، وقد تضمنه (وبركاته).

وبهذه المعاني الجليلة كان السلام أولىٰ من جميع تحيات الأمم، وفيما يلي جملة من الفضائل والخصائص التي تدل علىٰ تميز هذه التحية عن سائر التحيات الأخرىٰ، ومن ذلك:

١- أن السلام تحية ربانية، طيبة مباركة؛ فالله عَزَّوَجَلَّ تولىٰ تشريعه بنفسه ورضيه تحية لخير الأمم أمة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بخلاف غيره من التحيات التي ترجع للأعراف والثقافات، ويدل علىٰ هذا قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا

---

(١) ينظر: أحكام أهل الذمة (١/ ٤٢٠).

(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٨٧١).

﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[النور:٦١]، وجاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلَقَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، قَالَ فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّىٰ الْآنَ**»(١).

٢- أن السلام تحيةٌ صاحبها أولىٰ الناس بالله عَزَّوَجَلَّ؛ فعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ باللهِ: مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»(٢).

٣- أن تحية السلام من خير الإسلام؛ فقد سئل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟! قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ، وَعَلَىٰ مَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(٣).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيه بذل السلام لمن عرفت ولمن لم تعرف، وإخلاص العمل فيه لله تَعَالَى لا مصانعة ولا ملقًا، وفيه مع ذلك: استعمال خلق التواضع وإفشاء شعار هذه الأمة»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٢٣٣)، أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٤٨٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٧٩١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٨٠٤٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي دواد، رقم الحديث: (٧٩١٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٢٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٣).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (٢/ ١١).

٤- أن السلام تحية تؤدي إلىٰ الجنة؛ فعن عبدالله بن سلام، قال: كان أول ما سمعت من كلامه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ**»[(١)][(٢)].

٥- أن السلام تحية اختارها الله لأهل الجنة، ولا يختار لهم إلا الطيب الكامل، فيحيىٰ بعضهم بعضًا بها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم:٢٣]، ويحيهم الملائكة بها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣]، بل ويحيهم الرب عَزَّوَجَلَّ بها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٤].

٦- أن السلام تحية تنشر الألفة والمحبة في المجتمعات؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[(٣)].

وبهذا يعرف فضل هذه التحية وكمالها علىٰ سائر تحيات الأمم؛ مما يدعو المسلم لتمسك بها علىٰ وجه الاعتزاز، وإشاعتها بين المسلمين.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ (١/ ٩١١).

(٣) سبق تخريجه.

الأثر الثامن: اتصاف العبد بالسلام:

الله عَزَّوَجَلَّ السلام، ويحب من عباده أن يكون لهم نصيب من اسمه السلام، وذلك: بسلامة النفس، وبسلامة الخلق من شره وأذاه.

فأما سلامة النفس:

فبسلامتها من الذنوب والعيوب والنقائص، قال تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[الشمس:٩]، أي: طهرها وسلمها من الذنوب، ونقاها من العيوب[1].

فيسلم جوارحه من مواقعة الحرام، ويسلم قلبه من أمراض الشبهات والشهوات، وأدران الحقد والغل والحسد، فيقدم علىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ بقلب سليم يحصل معه فوزه ونجاته، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء:٨٧ - ٨٩].

والقلوب ثلاثة: قلب سليم، وقلب مريض، وقلب ميت.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك، والغل، والحقد، والحسد، والشح، والكبر، وحب الدنيا والرياسة؛ فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله؛ فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ، وفي الجنة يوم المعاد.

ولا تتم له سلامته مطلقًا حتىٰ يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٢٩).

وهوىً يناقض التجريد والإخلاص[1]»[2].

وقد جاء في فضل القلب السليم نصوص عدة، منها:

١- أن القلب السليم سبب للنجاة يوم القيامة من العذاب، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٧ – ٨٩].

٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ أثنىٰ علىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالقلب السليم، فقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٣، ٨٤].

٣- أن صاحب القلب السليم من أفضل الناس؛ فقد سئل صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أي الناس أفضل؟ قال: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»[3].

٤- أن القلب السليم سبب لدخول الجنة؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

---

(١) الداء والدواء (ص: ٢٨٢– ٣٨٢).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧، وما بعدها).

(٣) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٦١٢٤) واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٢٦٤٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٦١٢٤).

مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَىٰ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّىٰ تَمْضِيَ فَعَلْتَ . قَالَ: نَعَمْ . قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيَ الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّىٰ يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ . قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ . قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ[٣]، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَىٰ خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ»[١].

وعن سفيان بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «قلت لأبي بشير: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا، قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٩٨٢١)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٣٣٦٠١)، وعبد الرزاق في المصنف، رقم الحديث: (٩٥٥٠٢)، ومسند البزار (٨٠٣٦)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (١٨١٦)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٨٢٧١).

(٢) الزهد، ابن السري (٢/ ٦٠٠).

وعن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «دُخِل علىٰ أبي دجانة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو مريض وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين؛ أما إحداهما: فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرىٰ فكان قلبي للمسلمين سليمًا»(١).

وقال قاسم الجوعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل الدين: الورع، وأفضل العبادة: مكابدة الليل، وأقصر طرق الجنة: سلامة الصدر»(٢).

وإن من الأسباب التي تعين علىٰ الظفر بالقلب السليم:

١- عدم تعريض النفس لمواطن الشبهات والشهوات؛ إذ النفوس ضعيفة والشيطان يجري منها مجرىٰ الدم، وكل منهما داع للوقوع في أسرها.

٢- مجاهدة النفس علىٰ ترك الشهوات، ودفع الشبهات، قال ابن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كابدت نفسي أربعين سنة حتىٰ استقامت لي»(٣)، وقال أبو حفص النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرسني عشرين سنة»(٤).

٣- العلم النافع الذي تدفع معه الشبهات؛ فإن الجاهل قد يمرض قلبه بما يرد عليه من الشبهات التي لا يملك ردها؛ لجهله، بخلاف العالم.

٤- الدعاء بسلامة القلب وطهارته، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠]، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الصمت، ابن أبي الدنيا (٣١١).

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٢٥/ ٠٨).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ١٤٧).

(٤) صفة الصفوة (٢/ ٢١٣).

يدعو، ويقول: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ، اللهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**»[1]، والسخيمة، هي: الحقد.

٥- الاشتغال بمعالي الأمور؛ فإن الاشتغال بها يحمل العبد علىٰ الترفع عن سفاسف الأمور من القيل والقال، وما يتبعها من الحقد والغل.

٦- حفظ الأذن من سماع ما ينقل من النميمة؛ فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**»[2].

٧- أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، فلا يحسده علىٰ ما أعطاه الله من النعم، ولا يحقد عليه ويغل ولو صدر منه ما يزعج؛ إذ لا يحب أن يعامل بذلك فكذا أخيه.

٨- حسن الظن بالإخوان والتماس الأعذار لهم، قال جعفر بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره فالتمس له عذرًا واحدًا إلىٰ سبعين عذرًا، فإن أصبته وإلا قل: لعل له عذرا لا أعرفه»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥١٠) واللفظ له، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي دواد، رقم الحديث: (١٥١٠).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٦٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٨٩٦)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي دواد، رقم الحديث: (٤٨٦٠).

(٣) دليل الواعظ (٢/ ٥٩٩).

٩- الهدية؛ إذ هي مدعاة للمحبة والمودة، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَهَادُوْا تَحَابُّوا**»[(١)]، وقال: «**تَهَادُوْا؛ فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ**»[(٢)].

وأما سلامة الخلق من شره وأذاه:

فبكف الشر والأذىٰ عن المسلمين، سواء كان باللسان كالشتم والسب واللعن والبهتان والغيبة والنميمة، أو كان باليد كالاعتداء علىٰ الأنفس، والدماء، والأموال، والأعراض، ونحو ذلك من صور الأذية.

وفي كف الأذىٰ عن المسلمين نصوص عدة، منها:

١- ما رواه عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال، قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ الله عَنْهُ**»[(٣)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بذلك: المسلم الكامل الإسلام، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فإنه ينتفي عنه كمال الإسلام الواجب، فإن سلامة المسلمين من لسان العبد ويده واجبة، فإن أذىٰ المسلم حرام باللسان وباليد، فأذىٰ اليد: الفعل، وأذىٰ اللسان القول»[(٤)].

٢- ما رواه أبو موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٤٩٥)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٨٤١٦)، حكم الألباني: حسن، الإرواء، رقم الحديث: (١٠٦١).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٠٣١٢)، والطيالسي، رقم الحديث: (٣٥٤٢)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٠٣١٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠١) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٤).

(٤) فتح الباري (١/ ٧٣-٨٣).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٤).

٣- ما رواه عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ مِيقَاتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِكَ**»، ثُمَّ سَكَتَ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي»[١].

٤- ما رواه أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»[٢].

٥- ما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِيَّاكُمْ والجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**، قالوا: وما حقه؟ قال: **غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، والأَمْرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**»[٣].

٦- ما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد المنبر فنادىٰ بصوت رفيع: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ، لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**»، قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَىٰ الْبَيْتِ أَوْ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث: (٢٠٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٩٧٥٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٢٥٨٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٢٢٦)، و مسلم، رقم الحديث: (١٢١٢).

حُرْمَتَكِ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ[1].

وجاء الوعيد علىٰ أذية المسلمين، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: **هِيَ فِي النَّارِ**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: **هِيَ فِي الجَنَّةِ**»[2].

وعن أبي شريح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**واللهِ لَا يُؤْمِنُ، واللهِ لَا يُؤْمِنُ، واللهِ لَا يُؤْمِنُ**، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: **الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ**»[3].

وهذه النصوص كما قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تضمنت «أن المسلم لا يحل إيصال الأذىٰ إليه بوجه من الوجوه؛ من قول أو فعل»[4].

ثم إن كف الأذىٰ عن الغير لا يقتصر علىٰ المسلم، بل يشمل الكافر غير الحربي أيضًا، كما في قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأبيه مع أنه من أكفر الكفرة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٢)،وابن حبان، رقم الحديث ٣٦٧٥، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٠٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٩٩٠٩)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٩٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦١٠٦).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٨٢).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! قَالَ: **وَعَلَيْكُمْ**. قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا عَائِشَةُ، لَا تَكُونِي فَاحِشَةً**. فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فقَالَ: **أَوَ لَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمِ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**، وفي رواية: **مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ**»[2].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[3]: «تنبيه: ذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب؛ لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيدًا، ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا وإن كان فيهم من يجب الكف عنه»[4].

وإن من كف الشر والأذى عنهم دعوتهم بالحال والمقال للإسلام الذي هو دين السلام في الأرض والسعي في نشره بينهم؛ إذ فيه كف لأذى الكفر والعصيان والعذاب عنهم.

كما يشمل كف الأذى: الحيوانات؛ فقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه مر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها، فلما رأوا ابن

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٥٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم الحديث: (٩٩٧٨١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٢٥٠٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٦١٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) فتح الباري (١/ ٣٥).

عمر تفرقوا عنها، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ»[1] وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «نَهَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ»[2] أي: أن تحبس حتىٰ تموت.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»[3].

الأثر التاسع: سعي العبد لدار السلام:

الله عَزَّ وَجَلَّ السلام خلق الجنة، وسماها دار السلام، قال تَعَالَى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٧].

وأسباب تسميتها بدار السلام الآتي:

- سلمت من كل عيب ونقص، فلا يتبول أهلها فيها ولا يتغوطون، ولا يبزقون، ولا يمتخطون.

- سلمت من كل كدر وكبد، فلا هم ولا حزن ولا نصب، ولا خوف ولا قلق، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر:٤٥].

- سلمت من الحقد والحسد واللغو والتأثيم، بل كلام أهلها سلام طيب طاهر، مسر للنفوس، مفرح للقلوب، يتعاشرون أحسن عشرة،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣١٥٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٥٩١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٣٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٤٢٢) واللفظ له.

ويتنادمون أطيب المنادمة، قال تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[الحجر:٤٧]، ولا يسمعون من ربهم، إلا ما يقر أعينهم، ويدل علىٰ رضاه عنهم ومحبته لهم، قال تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨][1]، وهي دار السلام التي سلمت من كل مرض وألم وهرم، قال تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر:٤٨].

- سلمت من الموت؛ إذ فيها الحياة الدائمة التي لا انقطاع معها ولا نهاية لها، وفي الحديث عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ**- زاد أبو كُرَيْب: **فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ،** واتفقا في باقي الحديث- **فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**»[2].

- سلمت لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه حتىٰ لا يقدر علىٰ وصفه الواصفون، ولا يتمنىٰ فوقه المتمنون من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون[3].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥١٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠٣٧٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٤٨٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٥١/ ٩٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٦٢)، وتفسير السعدي (ص: ٣٧٢، ٢٦٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

هِـيَ جَنَّـةٌ طَابَـتْ وَطَـابَ نَعِيمُهَـا فَنَعِيمُهَـا بَـاقٍ وَلَيْـسَ بِفَـانِ
دَارُ السَّـلَامِ وَجَنَّـةُ المَـأْوَىٰ وَمَنْـ ـزِلُ عَسْـكَرِ الإِيمَـانِ والقُـرْآنِ
فَالـدَّارُ دَارُ سَـلَامَةٍ وَخِطَابُهُـمْ فِيهَـا سَـلَامٌ واسْـمُ ذِي الغُفْـرَانِ[1]

فمن علم هذا تاقت نفسه لدار السلام، وسعىٰ للظفر بها، لا سيما وأن الله عَزَّوَجَلَّ داعيه إليها، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [يونس:٢٥]، بل وأرسل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعيًا إليها، كما في الحديث: «**جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَىٰ مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ**»[2].

فحري بالعبد أن يجيب دعوة ربه وداعيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أعظم دعوة وأكمل مقام وأطيب عيش، وذلك بالإيمان والعمل الصالح وسلوك

---

(١) النونية (ص٩٠٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٨٢٧).

الصرط المستقيم، قال تعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[يونس:٢٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[المائدة:١٦].

فَاللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، نسألك يا ربنا أن تسلمنا في الدارين.



السَّميعُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «السمع: ...في الاصل مصدر قولك: سمعت الشيء، ... واستمعت كذا، أي: أصغيت، وتسمعت إليه»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُٱللَّهُ: «(سمع) السين والميم والعين أصل واحد، ... يقال: سمع بمعنىٰ: استمع»[2].

ورود اسم الله (السميع) في القرآن:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (السميع) في كتاب الله خمسًا وأربعين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

(١) الصحاح (٣/ ٦٦٣).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٠٢).

ورود اسم الله (السميع) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (السميع) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَىٰ جَدُّهُ**»[1].

٢- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام إلىٰ الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: **سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**، ثم يقول: **الله أَكْبَرُ كَبِيرًا**، ثم يقول: **أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»[2].

٣- وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٩٩٢) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٤٠٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٧٧)، وحكم الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (٥٧٧).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٨٨٣٣) واللفظ له، وأبو داود، رقم الحديث: (٨٨٠٥)، والنسائي، رقم الحديث: (٦٠١٠١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٩٦٨٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث: (٩٦٨٣).

معنى اسم الله (السميع) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله السميع علىٰ معنيين[1]:

١- السامع لجميع الأصوات الظاهر منها والباطن، والجليل منها والخفي.

٢- المجيب للسائلين والداعين والعابدين.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١] «يقول جل ثناؤه واصفًا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما ينطق به خلقه من قول»[2].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] «أي: السميع لأقوال عباده، مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم...»[3].

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السميع: بمعنىٰ السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل: بناء المبالغة، كقولهم: عليم: من عالم، وقدير: من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوىٰ سواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق، والسكوت.

---

(١) ينظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٥٣)، والنهج الأسمىٰ، النجدي (١/ ٦٢٢-٨٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٧٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٥-٦).

وقد يكون السماع بمعنىٰ: القبول والإجابة، كقول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ**»[1]، أي: من دعاء لا يستجاب، ومن هذا قول المصلي: «سمع الله لمن حمده، معناه: قبل الله حمد من حمده»[2].

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السميع الذي قد استوىٰ في سمعه سر القول وجهره...»[3].

وقال في قوله تَعَالَىٰ عن دعوة إبراهيم: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩]: «فالمراد بالسمع هنا: السمع الخاص، وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام؛ لأنه سميع لكل مسموع، وإذا كان كذلك فالدعاء هنا يتناول دعاء الثناء ودعاء الطلب، وسمعُ الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له: إثابته علىٰ الثناء، وإجابته للطلب فهو سميع لهذا وهذا»[4].

❁ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسمعه تَعَالَىٰ نوعان: أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، واحاطته التامة بها، والثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥٤٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٥٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥٤٨).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٥٩).

(٣) طريق الهجرتين (ص ١٢٨).

(٤) بدائع الفوائد (٣/ ٤).

(٥) الحق الواضح المبين (٣٥).

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هُـوَ السَّـمِيعُ يَسْـمَعُ وَيَـرَىٰ كُلَّ مَـا
فِـي الكَـوْنِ مِـنْ سِـرٍّ وَمِـنْ إِعْـلَانِ
وَلِـكُلِّ صَـوْتٍ مِنْـهُ سَـمْعٌ حَاضِـرٌ
فَالسِّـرُّ والإِعْـلَانُ مُسْـتَوِيَانِ
والسَّـمْعُ مِنْـهُ وَاسِـعُ الأَصْـوَاتِ لَا
يَخْفَـىٰ عَلَيْـهِ بَعِيدُهَـا والدَّانِـي[1]

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحَمْـدُ للهِ السَّـمِيعِ لِسَـائِرِ الـ
أَصْـوَاتِ مِـنْ سِـرٍّ وَمِـنْ إِعْـلَانِ[2]

اقتران اسم الله (السميع) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (السميع) باسم الله (العليم):

ورد هذا الاقتران في القرآن الكريم في اثنتين وثلاثين آية، ومن وروده:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

---

(١) النونية (ص: ٣٠٢).

(٢) النونية (ص: ٢١٣).

وجه الاقتران:

يدل علىٰ مزيد من الكمال لله عَزَّوَجَلَّ، فإذا كانت صفة (السميع) تنبئ بإحاطة السمع بكل المسموعات فلا يندر عنه عَزَّوَجَلَّ شيء، ولا يعزب عنه كبير ولا صغير، فإن صفة (العليم) تنبئ بتجاوز علمه المسموعات إلىٰ المشاهدت والغيبيات، والظواهر والبواطن[1].

«والملاحظ أن اسم (السميع) حيثما ورد مع اسم (العليم) قُدّم عليه فالنسق دائمًا: السميع العليم ولا عكس، فلا بد أن يكون من وراء ذلك حكمة، ذكر منها: أن السمع يتعلق بالأصوات، ومن سمع صوتك فهذا أقرب إليك في العادة ممن يقال لك: إنه يعلم، فذكر السميع أوقع في التخويف من ذكر (العليم)، فهو أولىٰ بالتقديم، ولا يقتصر الأمر علىٰ مقام التخويف؛ فإن لتقديم صفة (السميع) في مقام الدعاء أثره في انطلاق اللسان بالدعاء، والطلب، والشكوىٰ حين يستشعر الداعي أنه يخاطب من يسمعه ويصغي إلىٰ نجواه»[2].

ثانيًا: اقتران اسم الله (السميع) باسم الله (البصير):

تقدم بيانه في اسم الله البصير.

ثالثًا: اقتران اسم الله (السميع) باسم الله (القريب):

وذلك في موضع واحد، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾ [سبأ: ٥٠].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٩٥)، التحرير والتنوير (٩/ ١٣٢)، مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لزينب كردي (ص: ٧٤٢-٨٤٢).

(٢) مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لزينب كردي (ص: ٧٤٢-٨٤٢).

وجه الاقتران:

«أن الله لا يغيب عنه شيء من حال من يكذب عليه، فهو جدير بأنه يفضحه كما فضحكم في جميع ما تدعونه ولا يبعد عليه شيء ليحتاج في إدراكه إلىٰ تأخير لقطع مسافة أو نحوها، بل هو مدرك لكل ما أراد كلما أراد»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (السميع):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (السميع) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

يتضمن اسم الله السميع صفة السمع، فالله عَزَّوَجَلَّ السميع الذي له سمع يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا تكييف، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١][2]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف:٢٦] «قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذلك بمعنىٰ المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه»[3].

وسمع الله نوعان[4]:

١- سمع يتعلق بالمسموعات، ومعناه: إدراك الأصوات.

٢- سمع يتعلق بالعبادات والدعوات، ومعناه: الاستجابة.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٥١/ ٥٣٥).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ (١/ ٨٢٢).

(٣) تفسير الطبري (٧١/ ٥٠٦).

(٤) كما تقدم في معنىٰ الاسم.

فالأول: السمع المتعلق بالمسموعات:

فالله عَزَّوَجَلَّ السميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، ووسع جميع الأصوات، ومن سعته وإحاطته ما يلي:

١- أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يسمع الأصوات التي في العالم العلوي والعالم السفلي من أصوات الملائكة والإنس والجن والحيوانات والنباتات والجمادات والسائلات وغيرها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام:١٣]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنبياء:٤][1]، ومن ذلك:

- سمعه جل في علاه لشكوىٰ خولة بنت ثعلبة، قال تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

- وسمعه لقول الجن، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن:١، ٢]...إلىٰ آخر الآيات.

- وسمعه لقول النملة، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل:١٨].

- وسمعه لقول السماء والأرض لما قال لهما، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١].

(١) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٦٣).

- وسمعه تسبيح الجبال، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص:١٨]، والمخلوقات أجمع، قال تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].

٢- أنه سُبْحَانَهُ يسمع الأصوات علىٰ اختلاف أحوالها، فيسمعها سواء أكانت جهرًا أم سرًّا أم حديث نفس، ظاهرة أم باطنة، جلية أم خفية، فالكل عنده سواء، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠][1]، وقال منكرًا علىٰ من زعم من المشركين وغيرهم أنه لا يسمع السر والنجوىٰ، قال تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠][2].

وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «كنا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: **ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»[3].

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ**» أي: ارفقوا بأنفسكم، ولا تكلفوها رفع الصوت؛ إذ لا حاجة له، فإن من تكبرون سميع بصير، يسمع الأصوات الخفية، كما يسمع الأصوات الجلية، قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به ويتفوه، أقرب إليه من حبل الوريد[4].

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٧٠)، النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٣٢)، فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ١٤٧).

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٠)، شرح النووي علىٰ مسلم (١٧/ ٢٦)، فتح الباري، لابن حجر (٦/ ١٣٥)، فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ١٤٧).

ويسمعها - أيضًا- سواء نطق بها الخلق حال الانفراد والتفرق أم حال الاجتماع والاختلاط، ففي اللحظة الواحدة يسمع دعاء الداعين وقراءة القارئين، وأنين الشاكين، وبكاء الباكين، ويجتمع الحجيج في بقعة واحده ويلهج الكل بالدعاء، فيسمعهم في نفس الوقت لا تختلط عليه الأصوات ولا اللغات ولا اللهجات، لا تتداخل ولا تشتبه عليه، ولا يشغله سماع عن سماع، ولا مسألة عن مسألة، لا تغلطه كثرة المسائل، ولا تبرمه كثرة السائلين وإلحاحهم[1].

بل لو قام الجن والإنس كلهم من أولهم إلىٰ أن يرث الله عَزَّوَجَلَّ الأرض ومن عليها في صعيد واحد، وسألوا الله جميعًا في لحظة واحدة، وكلٌّ عرض حاجته، وكلٌّ تحدث بلهجته ولغته، لسمعهم أجمعين دون أن يختلط عليه صوت بصوت أو لغة بلغة أو حاجة بحاجة.

ومن الدلائل علىٰ هذا: قوله سُبْحَانَهُ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»[2].

٣- أنه سُبْحَانَهُ يسمع الأصوات علىٰ اختلاف أماكنها، فيسمعها في السماء كانت أم في الأرض أم في الجو، قرب مكانها أم بعد، صدرت في خفي المواضع والجهات أم ظاهرها، قال تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الأنبياء: ٤][3].

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ٨٢١)، الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٤٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٩٧)، الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٦٣).

٤- أنه سُبْحَانَهُ يسمع الأصوات علىٰ اختلاف أزمانها، فيسمعها في جميع الأوقات، سواء صدرت في ظلمة الليل أم في وضح النهار، ويسمعها في الحاضر والمستقبل كما سمعها في الماضي، ولا يزال جل في علاه سميعًا بصيرًا، قال تَعَالَى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج:٦١][1].

٥- أنه سُبْحَانَهُ يسمع الأقوال علىٰ اختلاف أنواعها، فيسمع مباحها كما في عموم قوله سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنبياء:٤]، ويسمع الخير منها كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠]، ويسمع الشر منها كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [آل عمران:١٨١].

ثم إنه سُبْحَانَهُ يجازي خلقه عليها، قال تَعَالَى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠]، يكتبون ما يقولون وما يعملون، فيحفظ عليهم حتىٰ يردوا يوم القيامة، فيجدون ذلك حاضرًا، ولا يظلم ربك أحدًا[2].

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٩٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٧٧٠).

فهذا سمع الله وإحاطته التي لا يقدر قدرها إلا الله، ولا يعلم كنهها إلا هو جل في علاه، وبناء عليها وعلىٰ علمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجري الأقدار علىٰ خلقه، فيصطفي منهم من يستحق الاصطفاء، ويزكي منهم من كان لها أهلًا، ويخذل ويرد من لا يستحق، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[الحج:٧٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٣٣، ٣٤]، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[النور:٢١][1].

ويقدر عليهم الشرائع التي تناسبهم وتصلح لهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الدخان:٤ - ٦]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[النساء:٥٨]، «وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه، لاشتمالها علىٰ مصالح الدارين ودفع مضارهما؛ لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفىٰ عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون»[2].

إلىٰ غير ذلك من التقديرات المبنية علىٰ سمعه وعلمه جل في علاه.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٢١).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٨١).

والثاني: السمع المتعلق بالعبادات والدعوات:

فالله عَزَّوَجَلَّ سميع مجيب للعابدين والداعين السائلين، **فيجيب مِن عبده** بالقبول والإثابة، ومنه قول إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، وقول امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[آل عمران:٣٥] فهم في عمل صالح، ويسألون الله تَعَالَىٰ أن يتقبل منهم ويثيبهم؛ إذ هو السميع المجيب[١].

ومنه- أيضًا- قول المصلي في صلاته: سمع الله لمن حمده، أي: «قبل الله حمد من حمده»[٢].

ويجيب من دعاه بالعطاء، فلا يرده صفرًا خائبًا، ومنه قول إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[إبراهيم:٣٩]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة:١٠٣] والصلاة هنا بمعنىٰ الدعاء، والمعنىٰ: ادع للمؤمنين؛ فإن الله سميع لدعائك بالإجابة والقبول[٣].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٣٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٧٢٤).

(٢) شأن الدعاء، للخطابي (ص: ٩٥).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٥٠)، والتحرير والتنوير (١١/ ٣٢).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله السميع علىٰ التوحيد:

إن الإيمان باسم الله «السميع» يدفع العبد إلىٰ تو حيد العبادة إذا ما تفكر فيه ونظر؛ إذ إن كل ما يعبد من دون الله إما لا يسمع كالجمادات والموتىٰ، قال تعالَى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[الأعراف:١٩٧]، وقال تعَالَى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف:١٩٥]، أو يسمع إلا أن سمعه ناقص كذوات الأرواح من الملائكة والإنس والجن والحيوان، وليس كمال السمع وعظمته إلا لله عَزَّوَجَلَّ كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١] فسمعه لا يشبه ولا يماثل سمع شيء من خلقه، وإنما علىٰ وجه يليق بجلاله وعظمة سلطانه[1].

ثم إذا تقرر هذا: فهل يصح في عقلٍ ونقلٍ أن يُعبد من لا يَسمع؟ أو يُعبد من يَسمع لكن سمعه ناقص كسمع العابد؟ أو كيف يُجعل من هذا حاله ندًّا وشريكًا لله السميع البصير علىٰ وجه الكمال والجلال؟ قال تعَالَى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[المائدة:٧٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص:٤٥٧).

دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[غافر: ٢٠]، وقال الله حاكيًا استنكار إبراهيم علىٰ أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾[مريم: ٤٢][1].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا برهان جلي دال علىٰ أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلًا وشرعًا، ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن: عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تَعَالَى»[2].

وقال في موضع آخر: «فالكامل تَعَالَى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له الدين»[3].

ثم إن الإيمان باسم الله «السميع» يدعو العبد- أيضًا- إلىٰ توحيد الأسماء والصفات، فهو يعني: أن تثبت لله سمعًا من غير تعطيل ولا تحريف، ثم تضم لهذا الإثبات قوله تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورىٰ: ١١]، فتثبته علىٰ وجه لا تمثيل فيه ولا تكييف؛ خلافًا للمعطلة والنفاة، سواء من نفىٰ هذا الاسم لفظًا ومعنًىٰ كالجهمية ومن تبعهم في هذا، أو من أثبت اللفظ ولم يثبت المعنىٰ كالمعتزلة ومن تبعهم من المفوضة وأشباههم، وخلافًا للمشبهة والمجسمة، قال تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٩٤).

(٢) المرجع السابق (ص: ٤٩٤).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٤٢).

رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل»[1].

ثم إنه لا بد أن يعلم أن الاشتراك بين المخلوق والخالق في اسم الصفة لا يعني: المشابهة والمماثلة في المسميات، فإن صفات المخلوق تناسب صنعته وضعفه وعجزه، وصفات الخالق عَزَّوَجَلَّ كاملة تامة لا يعتريها ضعف أو نقص، بل هي كما تليق بكماله وجلاله وجماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأثر الثالث: مراقبة الله السميع:

إذا علم العبد يقينًا أن ربه السميع يسمع قول لسانه، سواء أسره أم جهر به، وسواء كان ذلك في جماعة أو في خلوة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]، وقال: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الأنبياء:٤].

وعلم- أيضًا- أن قوله وفعله مكتوب مسجل، فالله سامع والملائكة كاتبة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[الزخرف:٨٠]، وقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨].

أثمر ذلك العلم في قلبه مراقبة الله السميع في الأقوال والأفعال، فيراقبه في عمل الخير فيخلص له فيه، ويقيمه علىٰ أتم وجه وأكمله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الشعراء:٢١٧ - ٢٢٠].

قال الطبري رَحِمَهُٱللَّهُ: «إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد، وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها، ويعمل فيها من يتقلب فيها

(١) التدمرية (ص:٨).

معك مؤتمًّا بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإنك بمرأىٰ من ربك ومسمع»[1].

ويراقبه- أيضًا- في عمل الشر فيجتنبه قبل الوقوع، ويتوب منه بعد الوقوع، قال تَعَالَى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[البقرة:١٨١].

سميع: «يسمع جميع الأصوات، ومنه: سماعه لمقالة الموصي ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجور في وصيته»[2].

ويراقب ربه السميع- أيضًا- في جوارحه، فيحفظ عينه، وأذنه، ولسانه، ويده، ورجله، وقلبه من الحرام.

وإنَّ حفظ اللسان ومراقبة ما هو قائل من أكد الأمور وأهمها؛ ولذا جاءت النصوص بأساليب عدة مرغبة في حفظ اللسان، و محذرة من إطلاقه، ومن ذلك[3]:

١- بيان بغض الله ومقته لمن يقول السوء، قال تَعَالَى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٨] «أي: يبغض ذلك ويمقته ويعاقب عليه، ويشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التي تسوء وتحزن، كالشتم والقذف والسب ونحو ذلك، فإن ذلك كله من المنهي

---

(١) تفسير الطبري (٩١/ ٣١٤).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٨).

(٣) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية (١/ ٩٥٣، وما بعدها)، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٧/ ٧٣٦٢، وما بعدها).

عنه الذي يبغضه الله، ويدل مفهومها أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين»[1].

٢- بيان أن قول العبد محفوظ مسجل، وسيحاسب عليه في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٧، ١٨].

٣- الحث على الصمت إلا من قول الخير؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**»[2] أي: «أنه إذا أراد أن يتكلم؛ فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين؛ فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه مندوبًا إلى الإمساك عنه؛ مخافةً من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا»[3].

٤- بيان أن حفظ اللسان من أسباب النجاة؛ فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قال: **أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»[4].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢١٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٤).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٩١).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٦٢٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٦٠٤٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٦٠٤٢).

٥- بيان أن من صفات أهل الجنة ورثة الفردوس: الإعراض عن لغو الحديث، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾[المؤمنون:٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اللغو: «وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، ﴿مُعۡرِضُونَ﴾ رغبة عنه، وتنزيهًا لأنفسهم، وترفعًا عنه، وإذا مروا باللغو مروا كرامًا، وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولىٰ وأحرىٰ، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه- إلا في الخير- كان مالكًا لأمره، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ حين وصاه بوصايا قال: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**؟ قلت: بلىٰ يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه وقال: **كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»[(١)](٢).

٦- بيان أن حفظ اللسان سبب لدخول الجنة؛ فعن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»(٣).

٧- بيان أن إطلاق اللسان سبب لدخول النار؛ فعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟**»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٦١٦٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٧٩٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٦١٦٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٤٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٤٦).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٨٤٢٢)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث: (٦١١)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٤٨٢٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[1].

الأثر الرابع: الثقة بكفاية الله السميع شر الأعداء:

إذا تذكر العبد أنه ربه سميع، لا يخفىٰ عليه شيء مما يقوله أعداء دينه وأوليائه من الكفار والمنافقين والفاسقين ونحوهم، فمكرهم مسموع، وكيدهم مسموع، وكذبهم وبهتانهم وتهمهم الباطلة مسموعة، وسبهم وشتمهم وظلمهم كله مسموع، لا يخفىٰ علىٰ السميع العليم، كما قال سُبْحَانَهُ في الأعراب: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[التوبة:٩٨]، يسمع ما يتناجون به وما يدبرونه من الترصد، عليم بما يبطنون وبما يقصدون إخفاءه[2].

فإذا تذكر العبد ذلك؛ أثمر في قلبه: الاطمئنان والسكينة والثقة بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لعلمه بأن ربه السميع سيكفي دينه وأولياءه شرور الأعداء بقدرته، ويمنعهم بعزته، ويرد كيدهم بقوته، ويحفظهم بحفظه، ويكلؤهم برعايته.

وهذا ما حدث مع موسىٰ وهاورن، لما خافا من مواجهة فرعون، فقالا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه:٤٥] فذكرهم الله بسمعه وبصره، فقال تَعَالَى: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه:٤٦] فزال الخوف عنهما واطمأنت قلوبهما، وانطلقا لفرعون بالرسالة، وحصل لهما الحفظ والنصر[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث:)٦٤٧٨).

(٢) يظر: التحرير والتنوير (١١/ ٤١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٠٥).

وهذا ما حدث -أيضًا- مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد وعده الله بالكفاية من شرور أعدائه، مذكرًا إياه بأنه السميع لجميع أصواتهم في أي مكان، وعلىٰ أية حال كانوا، العليم بما بين أيديهم وما خلفهم، قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٣٧]، «وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتىٰ قتل بعضهم، وسبىٰ بعضهم، وأجلىٰ بعضهم، وشردهم كل مشرد»[١].

وقال تَعَالَىٰ له أيضًا: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[يونس:٦٥] يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلًا، وهذا يعني أمرين:

١- كفايتك وحفظك وتوليك ونصرك، وكذا أمتك من بعدك.

٢- مجازاة أعدائك علىٰ قولهم ومكرهم وكيدهم، في الدنيا أو الآخرة، أو فيهما معًا، وكذا أعداء أمتك من بعدك[٢].

وفي هذا تهديد وتخويف لأعداء دينه وأوليائه.

وهو كقوله تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] يسمع ما يقول المشركون من أهل مكة في مسرىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلىٰ بيت المقدس، لا يخفىٰ عليه شيء، ولا يعزب عنه،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٤١).

بل هو محيط بجميعه علمًا، ومحصيه عددًا، وهو لهم بالمرصاد؛ ليجزي جميعهم بما هم أهله[1].

كما أن تذكُّر هذا المعنىٰ يحي في القلوب الأمل بالنصر والفرج، وعدم استبطائه أو اليأس منه؛ لأن الله سُبْحَانَهُ يسمع ويعلم، ولكنه يمهل ولا يهمل.

ويثمر أيضًا: الصبر علىٰ الأذىٰ والظلم[2]؛ لعلم العبد بأن ربه السميع يسمع قول ظالمه ويعلم مظلمته؛ فينصره عليه ويجيب دعوته فيه، ولا يردها صفرًا، كما جاء في الحديث: «**اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[3].

الأثر الخامس: محبة الله السميع:

الله سُبْحَانَهُ السميع الذي يسمع شكوىٰ العبد وأنينه، ويسمع نداءه وتضرعه، ويجيب دعاءه وسؤاله، ما وقف أحد ببابه فردَّه، ولا لاذ به فصدَّه، ولا لجأ إليه فخذله، وهذا كله يدعو العبد المتأمل إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ والتعلق به.

الأثر السادس: حفظ نعمة السمع:

إذا علم العبد أن ربه السميع أنعم عليه بجارحة السمع، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وعلم أن حق النعمة الشكر بالقلب، واللسان، والجوارح، وأن أعظم ما يكون من الشكر استعمال النعمة في الطاعة دون المعصية.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧١/ ٢٥٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (٩١).

وعلم أنه مسؤول عن هذه النعمة العظيمة، كما هومسؤول عن سائر النعم، وبقية الحواس، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابًا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له، وكفها عما يكرهه الله تَعَالَى»[1].

إذا علم العبد هذا؛ **دفعه ذلك كله** إلىٰ استعمال سمعه في طاعة الله من سماع القرآن، والعلم، والمواعظ، ونحوها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، وقال في صفات المؤمنين: إنهم ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٨]، أي: هم «الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله علىٰ توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوىٰ ذلك من القول الذي لا يدل علىٰ رشاد، ولا يهدي إلىٰ سداد»[2].

كما يدفعه أيضًا: إلىٰ كف سمعه عن سماع الحرام، من سماع الغناء، والغيبة، والسخرية، والباطل، ونحو ذلك، فذلك كله لا ينفعه سماعه، بل

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٥٤).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٧٢).

يكون عليه وبالًا وعقابًا، حتىٰ يقول يوم القيامة حين يرىٰ العذاب: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

الأثر السابع: دعاء الله السميع:

إذا علم العبد أن من معاني اسم الله السميع: المجيب للدعاء؛ **دفعه ذلك** العلم إلىٰ الإكثار من مناجاة السميع القريب، وسؤاله من حاجات الدنيا والآخرة، من غير ملل أو يأس من كشفه للشدائد وقضائه للحوائج.

كما يدفعه أيضًا إلىٰ التوسل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ باسمه «السميع»، لا سيما وأنه مظنة الإجابة؛ فقد دعا زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨][1]، فأجابه السميع، فرزقه الولد وأرسل له الملائكة بالبشرىٰ ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩]، بل زاده في الجواب والعطاء، فأصلح له زوجه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ودعا إبراهيمُ بالولد، فما لبث أن قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩].

ودعا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا

---

(١) وفي هذا الدعاء يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد قيل: إنه دعاء المسألة؛ والمعنىٰ: أنك عودتني إجابتك وإسعافك، ولم تشقني بالرد والحرمان، فهو توسل إليه تَعَالَى بما سلف من إجابته له وإحسانه إليه، وهذا كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:٤]». بدائع الفوائد (٣/ ٤).

﴿تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]، فأجابه بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٤].

ودعت امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥]، فأجابها السميع بقوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران:٣٧].

ويدفعه أيضًا: إلىٰ الاستعاذة بالله السميع، والالتجاء إليه عند حصول وساوس شياطين الجن والإنس، لا سيما وأن الله أمره بذلك، مذكرًا إياه بأنه السميع العليم، فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦]، فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك وفقرك واضطرارك إلىٰ عصمته وحمايته[1].

فاللهم يا سميع يا عليم، نعوذ بك من شر شياطين الإنس والجن ووساوسهم، فاكفناهم بما شئت.



(١) تفسير السعدي (ص: ٨٥٧).

الشَّكُور الشَّاكِرُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكر: الثناء علىٰ المحسن بما أولاكه من معروف، يقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشين والكاف والراء أصول أربعة متباينة بعيدة القياس، فالأول- وهو المراد-: الثناء علىٰ الإنسان بمعروف يوليكه......»(٢).

ورود اسمي الله (الشكُور - الشاكر) في القرآن الكريم:

ورد اسم (الشكور) في كتاب الله تَعَالَىٰ في أربع آيات، ومن وروده مايلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٣].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

---

(١) الصحاح (٢/ ٥٦٢).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٠٧).

وورد اسم (الشاكر) في آيتين، وهما:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨].

٢- قوله سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٧].

ورود اسمي الله (الشَّكُور- الشاكر) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله تَعَالَى (الشكور) في السنة النبوية، إلا في حديث سرد الأسماء[١].

أما اسم الله (الشاكر) سُبْحَانَهُ فقد ورد في بعض الأحاديث، ومن وروده ما يلي:

١- قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنِ اصْطَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَجَازُوهُ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ مُجَازَاتِهِ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّكُمْ قَدْ شَكَرْتُمْ، فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ**»[٢].

٢- عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: «لما أذن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالحج قال الأقرع ابن حابس: أكل عام يا رسول الله؟ قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **لَا، بَلْ حَجَّةٌ، فَمَنْ حَجَّ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهُوَ تَطَوُّعٌ، وَلَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَسْمَعُوا وَلَمْ تُطِيعُوا**»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٦١)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي ، رقم الحديث: (٣٥٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٢٩)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي، رقم الحديث: (٥٠١)، حكم الألباني: ضعيف جدًّا، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (٥٣١٠).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٥٧٩) واللفظ له، والنسائي، رقم الحديث: (٢٦٢٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف النسائي، رقم الحديث: (٢٦٢٠).

معنى اسمي الله (الشكُور والشاكر) في حقه تعالى:

❊ **قال قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]: «إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم»، وقال: «إن الله غفور للذنوب، شكور للحسنات يضاعفها»[١].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكور هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، فيرضىٰ باليسير من الشكر، كقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]»[٢].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] أي: يثيب علىٰ القليل بالكثير»[٣].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملًا، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عد ولا حساب»[٤].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَهْوَ الشَّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ ... لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلَا حُسْبَانِ

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِب ... هُوَ أَوْجَبَ الأَجْرَ العَظِيمَ الشَّانِ

---

(١) النهج الأسمىٰ (١/ ٢٩٢).

(٢) شأن الدعاء (ص٥٦-٦٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٧٤).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص: ٢١٠).

كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ   إِنْ كَانَ بِالإِخْلَاصِ والإِحْسَانِ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا   فَبِفَضْلِهِ والحَمْدُ للمَنَّانِ[1]

اقتران اسمي الله (الشَّكُور - الشاكر) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله الشَّكُور باسم الله الحليم:

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم) سُبْحَانَهُ.

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الشكور) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور):

ورد هذا الاقتران ثلاث مرات في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٠]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣].

وجه الاقتران:

«وجملة ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٠] تذييل وتعليل للزيادة؛ لقصد تحقيقها بأن الله كثيرة مغفرته لمن يستحقها، كثير شكره للمتقربين إليه»[2].

---

(١) النونية (ص: ٨٠٢-٩٠٢).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥٢/ ٥٨).

ثالثًا: اقتران اسم الله (الشاكر) باسم الله (العليم):

ورد هذا الاقتران مرتين في القرآن الكريم، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٧].

وجه الاقتران:

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ دليل الجواب؛ إذ التقدي:ر ومن تطوع خيرًا جوزي به؛ لأن الله شاكر، أي: لا يضيع أجر محسن، عليم لا يخفىٰ عنه إحسانه، وذكر الوصفين؛ لأن ترك الثواب عن الإحسان لا يكون إلا عن جحود للفضيلة أو جهل بها؛ فلذلك نفيا- بقوله: شاكر عليم»[1].

«وأما عن المعنىٰ الزائد في اجتماع هذين الاسمين الكريمين (الشاكر)، (والعليم) فهو- والله أعلم-: أن الله سُبْحَانَهُ عليم بمن يستحق الشكر علىٰ عمله وقبوله وإثابته عليه، فليس كل عامل ومتطوع بالخير يقبل الله سعيه ويشكره عليه، فهوسُبْحَانَهُ أعلم بالشاكرين حقيقة، وبالمتقربين المخلصين في تقربهم له- سُبْحَانَهُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]»[2].

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٥٦).

(٢) ولله الأسماء الحسنىٰ، لعبد العزيز الجليل (ص ١٥٣).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الشكُور- الشاكر):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الشكور) من صفات الله تعالىٰ:

إن شكر الله تَعَالَى لعباده في حقيقته امتنان منه سُبْحَانَهُ، وكمال إحسان وكرم وحلم وفضله منه، رغم أن ملكه سُبْحَانَهُ لا يزداد شيئًا بشكر الناس له ونسبتهم الفضل إليه، كما أنه لا يتضرر بكفرهم؛ لأنه الغني الحميد، ولكنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يحب أن يحمد ويشكر، ويرضىٰ عن العبد بذلك، ويكره أن يكفر به وبنعمته، ويسخط علىٰ العبد بذلك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «وأما شكر الرب تَعَالَى فله شأن آخر كشأن صبره، فهو أولىٰ بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور علىٰ الحقيقة»[(١)].

ثم ذكر ابن القيم بعض مظاهر شكر الله لعباده، ومنها:

- من شكره سُبْحَانَهُ: أن العبد إذا ذكر ربه وأثنىٰ عليه في ملأ أو مجلس ذكر؛ شكره الله وأثنىٰ عليه وذكره في ملأ أعلىٰ وأخير منه، يقول الله تَعَالَى في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،...**»[(٢)].

- من شكره سُبْحَانَهُ: أنه إذا أحب عبدًا ألقىٰ محبته بين العباد، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ**

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٠٨٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠٤٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٧٦٢).

فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ»(١).

- من شكره سُبْحَانَهُ: توفيقه لعباده إلىٰ الخير، ثم إعطاؤهم وإثابتهم علىٰ العمل به، فالله عَزَّوَجَلَّ يشكر القليل من العمل، ويعطي عليه ثوابًا جزيلًا أكثر من العمل نفسه، فيضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ أضعاف مضاعفة، إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبد علىٰ العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي: «**يقول الله تعالىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»**(٢).

- من شكره سُبْحَانَهُ: أنه لا يجزي بالسيئة إلا سيئة واحدة مثلها؛ يقول سُبْحَانَهُ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

- من شكره سُبْحَانَهُ: أن الهم بالحسنة يكتبها حسنة كاملة، والهم بالمعصية وتركها من أجل الله يكتب بها حسنة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٨٤٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٣٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[١].

- من شكره سُبْحَانَهُ: أنه لا يقتصر شكره لعباده المؤمنين، بل يجازي حتىٰ عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَّ الله لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا»، وفي رواية: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ الله يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ»[٢].

- من شكره سُبْحَانَهُ: غفرانه للكثير من الزلل شكرًا للقليل من العمل، فيثيب الثواب الجزيل ولو كان العمل قليلًا، ومن ذلك ماثبت من غفرانه للمرأة البغىٰ بسقيها كلبًا، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»[٣]، وغفرانه لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٤٦)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨٠٨٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٦٤٣).

فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ الله لَهُ فَغفَرَ لَهُ»[1]، وفي الحديث الآخر يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**»[2].

- من شكره سُبْحَانَهُ: إخراجه للعبد من النار بأدنىٰ مثقال ذرة من خير، وشكر هذا القدر له، ففي الحديث: «**فَأَخْرِج مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخرِجهُ مِنْ النَّارِ**»[3].

- من شكره سُبْحَانَهُ: أن العبد من عباده يقوم له مقامًا يرضيه بين الناس فيشكر له، وينوه بذكره، يخبر ملائكته وعباده المؤمنين، كما شكر لمؤمن آل فرعون، وأثنىٰ به عليه، ونوه بذكره بين عباده، وكذلك شكره لصاحب يس مقامه ودعوته إليه.

- من شكره سُبْحَانَهُ: أن العبد إن ترك شيئًا لله أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئًا رده عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل، ولكنه شكره علىٰ هذا وذاك[4]، **ومن شواهد ذلك:**

* «لما عقر نبيه سليمان الخيل غضبًا له؛ إذ شغلته عن ذكره فأراد ألا تشغله مرة أخرىٰ أعاضه عنها بمتن الريح.

* و لما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن؛ شكر له ذلك بأن مكن له في

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٥٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤١٩١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤١٩١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠١٥٧).

(٤) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم (ص:٠٨٢).

الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٥٦].

* ولما بذل الرسل كافة أعراضهم فيه لأعدائهم، فنالوا منهم وسبوهم؛ أعاضهم من ذلك بأن صلىٰ عليهم هو وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه، فأخلصهم بخالصة؛ ذكرىٰ الدار.

* ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته؛ أعاضهم عنها أن ملكهم الدنيا، وفتح لهم ملك فارس والروم، فمما روي عن أبي ذر أنه عندما فتح قبرص بكىٰ بكاءً أبكىٰ من حوله، قالوا: تبكي وهو يوم عظيم فتح الله بلاد الكفر لأهل الإيمان؟ قال: أبكي؛ لأنه لما غيروا نعمة الله عليهم غير الله ما بهم؛ فأورثنا أرضهم.

* ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتىٰ مزقها أعداؤه؛ شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرًا خضرًا أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها إلىٰ يوم البعث، فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه»[١].

ولذلك كله: نُهينا أن نستصغر شيئًا من أعمال البر، ولو كان يسيرًا، يقول تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]، وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي ذر: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[٢].

---

(١) عدة الصابرين، لابن القيم (ص ١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٢٦٢).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الشكور) علىٰ التوحيد:

من تأمل في اسم الله (الشكور) وما فيه من جزيل العطايا والكرم والامتنان الإلهي، علم أن أعظم الشكر هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له؛ لأنه هو الذي خلق وأوجد من العدم، ورزق الإنسان الأرزاق الكثيرة، ولم يشاركه في ذلك أحد، فلا يستحق أحد العبادة معه، ولكن أكثر الناس أعرضوا عن هذه الحقيقة، كما قال تعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [النمل:٧٣] وجعلوا له أندادًا، ونسبوا لها الضر والنفع، والتصرف في الأرزاق، ودفع الأمراض، وقضاء الحاجات، وتفريج الكبريات.

فمن الشرك الذي يقع من العباد: نسبتهم ما يحصل لهم من الأرزاق إلىٰ المخلوقين، قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: باب قول الله تعَالَى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «شُكركم»[(١)].

وروىٰ زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أنه قال: «صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: **هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**»[(٢)]، وفي رواية: «**ما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ**

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٢/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٣٠١)، ومسلم، رقم الحديث: (١٧).

فَيَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا»[(١)].

وكما أن اسم الله (الشكور) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله المحسن، الرزاق، الرحمن، الرحيم، الكريم، الحليم إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثالث: كل عمل صالح يشكره الله، وهناك أعمال مخصوصة ورد شكر الله عليها:

من فضل الشكور وعظيم شكره وامتنانه، أن كل عمل صالح يقبله الله ويشكره لعباده، إلا أن هناك أعمالًا جاء النص علىٰ شكر الله لها علىٰ سبيل التخصيص، ومنها:

- الإيمان الصادق والشكر لله تَعَالَى علىٰ إنعامه:

قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٧].

- قراءة القرآن:

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر:٢٩، ٣٠]، فالذي يتلو كتاب الله له بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧).

- الحج والعمرة:

قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨].

الصدقة:

قال تَعَالَى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[التغابن:١٧]، و يقول سُبْحَانَهُ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦١].

وبالإجمال- فكما تقدم-: الله تَعَالَى يشكر لعبده كل حسنة يفعلها بمضاعفة أجرها، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[الشورى:٢٣].

ولذلك إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ تقالُّوا عملهم فيما يرون من الجنة، يقول تَعَالَى عنهم: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر:٣٣، ٣٤]، فأهل الجنة يدركون تمامًا أن الله تَعَالَى غفر لهم السيئات، وضاعف لهم الحسنات، وبرحمته أدخلهم الجن؛ وذلك لأن عبادة ستين أو سبعين سنة، لا تعادل ماهم فيه من نعيم الجنة العظيم، وفي الحديث: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجَرُّ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ، لَحَقَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[١].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٢٩٧١)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٣٠٣)، حكم الألباني:صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٦٤٤).

وعليه فإن كل ما يتقرب به إلىٰ الله سُبْحَانَهُ من صلاة وصيام وحج وصدقة وجهاد، وغيرها من أعمال البر المحدودة بالأعمار القصيرة، والتي يتخللها التقصير والسهو والنسيان، لا يمكن بحال أن تكون ثمنًا لدخول الجنة السرمدية، فدخول العبد الجنة والفوز بها إنما هو بفضل الله تَعَالَى ورحمته[1]، ولذا جاء في الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟، قال: **وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**»[2].

ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قوله تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الزخرف:٧٢] فالباء هنا ليست للعوض، فليست الجنة عوضًا للعمل، وإنما باء السببية، فمن أسباب دخول الجنة: العمل، وقيل: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأعمال التي قبلها الله برحمته.

الأثر الرابع: الله سُبْحَانَهُ يشكر أعمال عباده جملة وتفصيلًا:

فالله سُبْحَانَهُ يعطي المتاجرين معه أجرًا علىٰ العمل الصالح جملة مرة، وتفصيلًا مرة أخرىٰ، وبيان ذلك ما يلي:

١) **في عبادة الصلاة**: يعطي عباده الأجر عليه جملة كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّلاةُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ**

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للنجدي (١/ ٦٩٢)، ومنهج الإمام ابن القيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنىٰ، لمشرف الغامدي (ص٤٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٦٤٦).

الكَبَائِرُ»[1]، ثم يعطيهم الأجر علىٰ كل عمل في الصلاة أو تابع لها، علىٰ وجه التفصيل، فمثلًا:

- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر الوضوء والذكر بعده: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ** - أو **فَيُسْبِغُ** - **الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»**[2].

- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر الخطوات نحو الصلاة: **«مَنْ غَدَا إِلَىٰ المَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»**[3].

- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر من مشىٰ إلىٰ الصلاة في الظلمات: **«بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[4].

- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر السجود: **«عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»**[5].

- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر الأذكار بعد الصلاة: **«مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»**[6].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٣٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٣٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٦٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٦٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٢٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٧٨١) حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٦١).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٨).

(٦) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٩٧).

٢) **في عبادة الصيام**: يعطي عباده الأجر عليه جملة كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[١]، ثم يعطيهم الأجر علىٰ كل عمل في الصيام أو تابع له، علىٰ وجه التفصيل، فمثلًا:

- قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر صوم اليوم الواحد في سبيل الله: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»[٢].

- قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أجر رائحة فم الصائم: «**وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»[٣].

٣) **في عبادة الحج**: يعطي عباده الأجر عليه جملة، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[٤]، ثم يعطيهم الأجر علىٰ كل عمل في الحج أو تابع له، علىٰ وجه التفصيل، فمثلًا:

- قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر التلبية: «**مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي، إِلَّا لَبَّىٰ، مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ، مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا**»[٥].

- قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر يوم عرفة: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٠٦٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠٤٨٢) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٣٥١١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٢٩٥) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٥١١).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٢٥١)، ومسلم، رقم الحديث: (٠٥٣١).

(٥) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٨٢٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٢٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٨٢٨).

فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»[1].

- قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أجر الصلاة في المسجد الحرام: «**وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**»[2].

وهكذا في كل الأعمال الصالحة، فالله يشكرها جملة وتفصيلًا، منة منه وفضلًا وكرمًا وإحسانًا.

الأثر الخامس: محبة الله الشكور سُبْحَانَهُ:

إن التأمل في اسم الله الشكور وما يتصف به سُبْحَانَهُ من إثابة العمل القليل قبل الكثير، وشكر المذنب العاصي والمؤمن الصالح جميعًا، وعظم هذا الشكر والجزاء في الدنيا والآخرة مقابل يسر العمل وقلته؛ لا شك أن ذلك يورث العبد حياء من ربه ويملأ قلبه حبًّا له وعرفانًا تجاه إنعامه ومننه، فَسُبْحَانَهُ قد غمر العباد بفضله وإحسانه وكرمه، وهو الذي أنعم عليهم بنعمة الإيجاد والإعداد والإمداد، ومع ذلك فهو يجازيهم علىٰ العمل الصالح القليل الذي هو بتوفيقه وفضله؛ يشكرهم عليه ويضاعف لهم الأجور ويغفر لهم الذنوب، فَسُبْحَانَهُ من إله شكور بر رحيم جواد كريم يستحق الحمد كله والحب كله، وإفراده وحده بالعبادة لا شريك له.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٣٤٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٤٦٩٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٠٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٠٦).

الأثر السادس: الكفر بنعم الله مؤذن بزوالها عمن كفر بها:

علىٰ المؤمن أن يدرك أن النعم التي يتفضل الله بها علىٰ عباده المؤمنين؛ جزاء لهم علىٰ أعمالهم الصالحة ليست جزاء توفية، بل إنها بعض نعمته العاجلة لهم، وأنهم إذا أطاعوه زادهم إلىٰ هذه النعم نعمًا أخرىٰ، ثم في الآخرة يوفيهم أجور أعمالهم تامة غير منقوصة ويزيدهم من فضله، يقول تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤١]، والعبد الشاكر لربه الشكور يعلم علمًا يقينيًّا أن لشكره عاقبة ومنزلة عظمىٰ، فبالشكر تقيد للنعم الحاضرة، وجلب للنعم المفقودة، فضلًا علىٰ أن الشكر سبب لزيادة النعم وبقائها، يقول سُبْحَانَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧].

وبالمقابل: كفران النعم وجحودها مؤذن بزوالها، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[النحل:١١٢، ١١٣].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير الآية**: وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، حتىٰ إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية، فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع، كانت

بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسَّر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلىٰ أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن؛ وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم قال تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[النحل:٣٣][1].

ولذا كان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ من زوال النعمة في دعائه، كما جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان من دعاء النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**»[2].

الأثر السابع: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»:

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»[3]: «معناه أن اللهتَعَالَى لا يقبل شكر العبد علىٰ إحسانه إليه، إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر أمرهم؛ لاتصال أحد الأمرين بالآخر، وقيل معناه: أن من كان عادته وطبعه كفران نعمة الناس وترك شكره لهم؛ كان من عادته كفر نعمة الله عَزَّوَجَلَّ وترك الشكر له، وقيل: معناه أن من لا يشكر الناس كان كمن لا يشكر الله عَزَّوَجَلَّ، وأن شكره كما تقول: لا يحبني من لا

(١) تفسير السعدي (ص: ١٥٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٣٧٢).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٥١٩)، وأبو داود (١١٨٤)، والترمذي، رقم الحديث: (٤٥٩١)، حكم الألباني:صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٤٥٩١).

يحبك، أي: أن محبتك مقرونة بمحبتي، فمن أحبني يحبك، ومن لا يحبك فكأنه لم يحبني»[1].

وفي الحديث الآخر: «**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»[2]، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا «**مَنْ أُتِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَلْيُكَافِئْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلْيَذْكُرْهُ، فَمَنْ ذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ**»[3].

وعن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ، التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[4]، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إن المهاجرين قالوا يا رسول الله: ذهبت الأنصار بالأجر كله، قال: **لَا، مَا دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ**»[5].

وأولىٰ الناس بالشكر هما: الوالدان، فقد قرن الله شكرهما بشكره، قال تَعَالَى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، فأمر بشكره ثم بشكر الوالدين؛ إذ كانا سبب وجوده في الدنيا، وسهرًا وتعبًا في تربيته وتغذيته، فمن عقهما أو

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ١٠٢١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣٢٥٢)، حكم الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٢٧٩).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٨٤٧٠)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٧٦٦).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٨١٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٨٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨١٢).

أساء إليهما فما شكرهما علىٰ صنيعهما؛ بل جحد أفضالهما عليه، ومن لم يشكرهما فإنه لم يشكر الله الذي أجرىٰ تلك النعم علىٰ أيديهما، وقال الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ**، قيل: من يا رسول الله؟ قال: **مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**»[1].

من أذم الخصال: أن لا تشكر المرأة زوجها مع إحسانه، فأكبر إحسان أنه اختار المرأة من نساء العالمين، وربط اسمه باسمها، وجعلها موطن الولد له، وأسكنها بيته، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما زار بيت ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وسأل كيف رزقكم؟ فذمت، فقال: قولي لزوجك إذا أتىٰ يغير عتبة داره، ولما أتىٰ أسماعيل قال: ذاك أبي أبراهيم وأمرني أن أطلقك[2]؛ لأنها امرأة لا تشكر، وفي الصحيحين أنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا أكثر أهل النار؟ قال: **تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»[3] «جزلة» بفتح الجيم وسكون الزاي أي: ذات عقل ورأي، والجزالة: العقل والوقار، فقد توعد علىٰ كفران العشير، وهو في الأصل: المعاشر، والمراد هنا: الزوج، توعد علىٰ كفران العشير والإحسان بالنار؛ فدل علىٰ أنه كبيرة علىٰ نص أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بخلاف اللعن، فإنه قال: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ**» والصغيرة تصير كبيرة بالكثرة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (٠٨).

الأثر الرابع: وجوب شكر الله تَعَالَىٰ علىٰ نعمائه:

علىٰ العبد أن يستشعر وجوب الشكر علىٰ كل مكلف بالاتفاق، فهو أساس الإيمان، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان؛ ولذلك كان أرفعها وأعلاها، وهو فوق الرضا، وهو يتضمن الصبر من غير عكس، ويتضمن التوكل والإنابة، والحب والإخبات، والخشوع والرجاء، فجميع المقامات مندرجة فيه، لا يستحق صاحبه اسمه علىٰ الإطلاق إلا باستجماع المقامات له، ولهذا كان الإيمان نصفين: نصف صبر، ونصف شكر، والصبر داخل في الشكر، فرجع الإيمان كله شكرًا، والشاكرون هم أقل العباد، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]»[1].

وفي الملحق ما يعين- بإذن الله- علىٰ تحقيق هذه العبادة العظيمة والمنزلة الكريمة.

الأثر الخامس: دعاء الله باسمه الشكور:

لم يرد الدعاء بالاسم، ولكن ورد الدعاء بمقتضىٰ الاسم، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

وثبت في السنة والسيرة النبوية أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كثير الشكر

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٧٥١).

لربه، ومن دعائه: «**رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا**»[1]، ومما روت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولها: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلىٰ، قام حتىٰ تفطر رجلاه، فتقول: يا رسول الله! أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: **يَا عَائِشَةُ أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[2]، وهي وصيته لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففي الحديث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٠٢)، والترمذي، رقم الحديث: (١٥٥٣) وابن ماجه، رقم الحديث: (٠٣٨٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (١٥٥٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٢٥١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٢٢٥١).

«الشكور يحب الشاكرين»

في موضوع الشكر لله سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف الشكر:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكر: ظهور أثر نعمة الله علىٰ لسان عبده ثناء واعترافًا، وعلىٰ قلبه شهودًا ومحبة، وعلىٰ جوارحه انقيادًا وطاعة»[1].

ويقول أيضًا: «الشكر مبني علىٰ خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعمله فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتىٰ عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور»[2].

ثانيًا: فضائل الشكر:

لشكر الله فضائل عديدة، ومنافع عظيمة، منها:

١- الشاكرون هم من أكثر المنتفعين بآيات الله تَعَالَىٰ، فهم ينظرون بعين البصيرة إلىٰ من قص الله أخبارهم في القرآن، كقصة سبأ في سورة سبأ، وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم، فيعرفون أن تلك العقوبة جزاء كفرهم

(١) مفهوم الشكر عند ابن تيمية (ص: ٥٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٢).

نعمة الله تَعَالَى، وأن من فعل مثل فعلهم فعل به مثلهم، هي سنة الله، ولهذا قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عند ذكره لقصة سبأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [سبأ:١٩].

٢- الشكر من مقامات الإيمان؛ ولذلك عمل الشيطان جاهدًا علىٰ صد العباد عنه، قال تَعَالَى عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦، ١٧].

٣- تحقيق الشكر لله تَعَالَى دليل العبودية الحقة، قال تَعَالَى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤].

٤- الشكر وسيلة لنيل رضىٰ الرب، قال تَعَالَى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾[الزمر:٧].

٥- الشكر إن قُرن بالإيمان مَنَع من العذاب، يقول تَعَالَى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾[النساء:١٤٧].

٦- ثناء الله تَعَالَى في كتابه علىٰ أهل الشكر، ووصفه بعض خواص خلقه بهذه الخصلة، قال تَعَالَى عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء:٣]، وقال تَعَالَى عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِ﴾[النحل:١٢٠، ١٢١].

٧- الشكر مطلب عباد الله الصالحين، فجاء في القرآن علىٰ لسان سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قوله تَعَالَى: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾

[النمل:١٩]، وورد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا**»[1] وأوصىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحبه له أن يستعين بالله علىٰ شكره فقال: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، واللهِ إني لَأُحِبُّكَ، فقال: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[2].

٨- جعل الله الشكر سببًا للمزيد من النعم، فقال تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧].

٩- جعل الله تَعَالَى شكره هدفًا من أهداف تفضله بالنعم، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:٧٨]، وقال في شأن تسخيره الأنعام: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الحج:٣٦].

١٠- جعل اللهُ شكرَه هدفًا من أهداف العفو والنصر، يقول تَعَالَى في العفو: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:٥٢]، ويقول في النصر: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الأنفال:٢٦].

١١- وعد الله تَعَالَى الشاكرين بأحسن الجزاء فقال تَعَالَى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٥] وبين أنه تَعَالَى وإن كان يحب الشاكرين إلا أنه لا يعود عليه شيء من النفع بشكرهم، بل النفع لهم، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

﴿لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾[لقمان:١٢].

١٢- الشكر يرفع منزلة المفطر إلىٰ منزلة الصائم، فقد روىٰ الترمذي وحسنه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ**»[1].

ثالثا: مسألة: أيهما أفضل الشكر أم الصبر؟

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حكىٰ ابن الجوزي في ذلك ثلاث أقوال:

القول الأول: أن الصبر أفضل.

القول الثاني: أن الشكر أفضل.

القول الثالث: أنهما سواء، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت)[2].

ثم قال: «وانبنىٰ علىٰ هذه المسألة مسألة: الغني الشاكر، والفقير الصابر، أيهما أفضل؟

والتحقيق أن يقال: أفضلهما أتقاهما لله تَعَالَى، فإن فرض استواؤهما في التقوىٰ استويا في الفضل، فإن الله سُبْحَانَهُ لم يفضل بالفقر والغنىٰ كما لم يفضل بالعافية والبلاء، وإنما فضل بالتقوىٰ، كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[الحجرات:١٣].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٩٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٦٨٤٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٦٧١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث (٦٨٤٢).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٧٢٣).

والتقوىٰ مبنية علىٰ أصلين: الصبر والشكر، وكل من الغنىٰ والفقير لا بد له منهما، فمن كان صبره وشكره أتم كان أفضل، فإن قيل: فإذا كان صبر الفقير أتم وشكر الغني أتم فأيهما أفضل؟ قيل: أتقاهما لله في وظيفته ومقتضىٰ حاله، ولا يصح التفضيل بغير هذا البته، فإن الغني قد يكون أتقىٰ لله في شكره من الفقير في صبره، وقد يكون الفقير أتقىٰ لله في صبره من الغني في شكره، فلا يصح أن يقال: هذا بغناه أفضل، ولا هذا بفقره أفضل، ولا يصح أن يقال: هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر، ولا بالعكس، لأنهما مطيتان للإيمان لا بد منهما»[1].

رابعًا: أركان شكر الله تعالىٰ:

الشكر في حقيقته هو القيام بثلاثة أركان، وهي: (شكر القلب، وشكر اللسان، وشكر الجوارح)، مع ما يكمل ذلك من محبة المشكور والخضوع له، واستعمال نعمه في مرضاته، علىٰ أن الإنسان لا يمكن أن يكافئ نعم الله عليه، ولا أن يقوم بوظيفة الشكر لله تَعَالَى، كما دل علىٰ ذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النحل:١٨]، وقد دل آخر الآية علىٰ تقصير بني آدم في شكر النعم؛ لأن من لا يستطيع إحصاء النعم كيف يقوم بشكرها؟ بل وأي نعمة يعرفها قد لا يدرك حقيقتها، فكيف يقوم باتمام شكرها؟ ولكن حسب الإنسان أن يسدد ويقارب.

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم الجوزية (ص: ٦٧).

وفيما يلي بيان موجز لهذه الأركان:

١- شكر القلب:

وهو معرفة القلب وإقراره بأن ما بالعبد من نعمة فهي فضل من الله تَعَالَى وحده، وأن ذلك إحسان منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتىٰ لو وصلت بعض هذه النعم علىٰ يد عبد من عباد الله، إلا أن الشكر أولًا وأخيرًا لله الذي سخر ذلك العبد ليوصلها إليك، فالله تَعَالَى هو الذي أجراها علىٰ يديه، وإلا فهو لا يد له فيه ولا صنع، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النحل:٥٣].

وهذا ما أرشد إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين أمر المسلم أن يقول إذا أصبح وإذا أمسىٰ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ**»[١].

ومن هنا ندرك أن العبد لا خروج له عن نعمة ربه وفضله ومنته وإحسانه طرفة عين، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فالله تَعَالَى هو الذي يمنح النعم لا أحد سواه يشاركه، فلا يقول الإنسان كما قال قارون في قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[القصص:٧٨].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «الشكر: اسم لمعرفة النعمة؛ لأنها السبيل إلىٰ معرفة المنعم، ولهذا سمىٰ الله تَعَالَى الإسلام والإيمان في القرآن: شكرًا، فمعرفة النعمة: ركن من أركان الشكر، لا أنها جملة الشكر...، فالشكر

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٦٨)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٠٣٧٥).

اسم لمعرفة النعمة، مستلزمًا لمعرفة المنعم، ومعرفته تستلزم محبته، ومحبته تستلزم شكره»[1].

٢- شكر اللسان:

وهو الثناء علىٰ الله تَعَالَىٰ بنعمه، وحمده عليها مع محبته والتحدث بها علىٰ سبيل الاعتراف بفضله وإظهار الفاقة، لا لرياء وسمعة وخيلاء؛ ليكون الذكر داعيًا إلىٰ شكر القلب والجوارح.

«وشكر اللسان المتعلق بالنعمة نوعان:

١- عام: وهو وصفه بالجود والكرم، والبر والإحسان، وسعة العطاء، ونحو ذلك.

٢- خاص: وهو التحدث بنعمته، والإخبار بوصولها إليه من جهته، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحىٰ: ١١]، وفي هذا التحديث المأمور به قولان:

- **أحدهما**: أنه ذكر النعمة، والإخبار بها، وقوله: أنعم الله عليَّ بكذا وكذا، قال مقاتل: يعني اشكر ما ذكر من النعم عليك في هذه السورة: من جبر اليتم، والهدىٰ بعد الضلال، والإغناء بعد العيلة، والتحدث بنعمة الله شكر، كما في حديث جابر مرفوعًا: **«مَنْ أُتِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَلْيُكَافِئْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلْيَذْكُرْهُ، فَمَنْ ذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ تَشَبَّعَ بِمَا لَمْ يَنَلْ، فَهُوَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»**[2].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٨٣٢).

(٢) سبق تخريجه.

فذكر أقسام الخلق الثلاثة: شاكر النعمة المثني بها، والجاحد لها والكاتم لها، والمظهر أنه من أهلها، وليس من أهلها، فهو متحل بما لم يعطه.

- **والقول الثاني**: أن التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية: هو الدعوة إلىٰ الله، وتبليغ رسالته، وتعليم الأمة، قال مجاهد: هي النبوة، قال الزجاج: أي بلغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي آتاك الله. وقال الكلبي: هو القرآن، أمره أن يقرأه.

- **والصواب**: أنه يعم النوعين؛ إذ كل منهما نعمة مأمور بشكرها والتحدث بها، وإظهارها من شكرها»[1].

٣- شكر الجوارح:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الشكر فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرًا وباطنًا»[2]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكر هو الاعتراف بالنعمة، والقيام بالخدمة»[3].

فشكر الجوارح معناه: قيام الجوارح بالعبودية لله رب العالمين؛ لأن كل جارحة لها حظها من العبودية، ولا يتم ذلك إلا بالعمل بطاعة الله تَعَالَىٰ وطاعة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وذلك بفعل المأمور واجتناب المحذور، ويدخل في ذلك صرف نعمه فيما يحبه ويرضاه، والاستعانة بها علىٰ طاعته، والحذر من صرفها في معصيته، أو الاستعانة بها علىٰ ذلك، ومن لوازم ذلك معرفة ما يحبه

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ٩٣٢).

(٢) الفوائد (ص: ٤٣٢).

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (٣/ ٥١).

الله تَعَالَى لأجل أن تستعمل نعمه في محابه، قال تَعَالَى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، فجعل سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ العمل شكرًا، ذلك أن الشكر سلوك عملي، وليس كلمة تقال باللسان، كما أن الإيمان سلوك عملي وليست كلمة تقال باللسان، يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ**»[(١)]، وهذا الحديث دليل بين علىٰ أن الشكر يكون بالعمل والطاعة.

«ومما روي أن رجلًا سأل أبا حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيرًا أعلنته، وإن رأيت بهما شرًّا سترته، قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرًا وعيته، وإن سمعت بهما شرًّا دفعته، قال: شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقًّا لله هو فيهما، قال: فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعامًا، وأعلاه علمًا، قال: فما شكر الفرج؟ قال: قال الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾[المؤمنون:٥ – ٧]، قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إن علمت ميتًا تغبطه استعملت بهما عمله، وإن مقته رغبت عن عمله وأنت شاكر لله، وأما من شكر بلسانه، ولم يشكر بجميع أعضائه، فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه، فما ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٠٢٧).

(٢) عدة الصابرين، لابن القيم (ص ٤٣١).

ومن هذا الباب: شُرع سجود الشكر عند تجدد النعم أو اندفاع النقم، سواء كانت عامة أو خاصة، وذلك بأن يخر المسلم لله ساجدًا، فيضع أشرف عضو من أعضائه- وهو الوجه - علىٰ الأرض، ويذكر الله ربه في هذا السجود، وهو علىٰ هذه الحال بأنواع الذكر من الشكر والتسبيح والدعاء والاستغفار وغيرها، فيكون قد شكر المنعم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا السجود بقلبه ولسانه وجوارحه، وقد ثبت في قصة كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنه لما جاءه البشير بتوبة الله عليه خر ساجدًا لله تَعَالَىٰ[1].

خامسًا: تحقيق مرتبة الشكر لله تعالىٰ:

لا بد للعبد- ليكون من الشاكرين- أن يستحضر عدة أمور ويستشعرها، ويحرص أن لا تغيب عن ذهنه، ومنها:

١- **التفكر في نعم الله تَعَالَىٰ واستحضارها وتذكرها**؛ فالإنسان في كل حالة من أحواله في نعمة، بل لا يمر عليه لحظة في حياته إلا وهو يتقلب في نعم الله تَعَالَىٰ، واستحضار هذه النعم والوقوف عليها يوجه انتباهه لنعم كثيرة كان غافلًا عنها فيزداد شكرًا لله تَعَالَىٰ، وفي هذا استجابة لأمر الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [فاطر:٣].

٢- **النظر إلىٰ من هو أقل في أمور الدنيا**؛ إن نظر الإنسان إلىٰ من هو دونه في الدنيا يجعله يعلم ويستعظم ما أعطاه الله تَعَالَىٰ وفضله به من نعم علىٰ غيره، فمن كان دخله مئتين فلينظر إلىٰ من دخله مئة، ومن كان بعين واحدة فلينظر إلىٰ من فقد كلتا عينيه، ومن كان مريضًا بمرض واحد فلينظر إلىٰ من مرض

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨١٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٦٧٢).

بعدة أمراض، وهذا أجدر لمعرفة النعم واستشعارها، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»**[1]، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مُبْتَلًى، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَيكَ، وَعَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلًا؛ كَانَ شَكَرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ»**[2].

٣- أن يفكر الإنسان في حاله، ويتأمل حياته لو أنه خسر هذه النعمة؛ فينظر كيف حاله، فإن كان غنيًّا فإلىٰ حاله لو كان فقيرًا، وإن كان صحيحًا فإلىٰ حاله لو كان في عداد المرضىٰ، وهكذا كل نعمة لديه ينظر إلىٰ حاله لو خسرها؛ ليعرف بذلك قدرها فيشكرها.

٤- دعاء العبد ربه وسؤاله إياه أن يجعله من الشاكرين؛ فالعبد لا يستطيع أن يصل إلىٰ مقام من مقامات الإيمان إلا بتوفيق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ ولذلك لم يقل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل: كن ذاكرًا شاكرًا وأحسن العبادة، وإنما أمره أن يدعو الله أن يعينه علىٰ ذلك ؛ فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ له: **«لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**[3].

٥- قراءة أخبار الشاكرين؛ فمن وقف علىٰ تراجم الشاكرين من العلماء والعباد والزهاد؛ اقتدىٰ بهم؛ فازداد شكرًا لله تَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٦٩٢).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٩٢١٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٥٥).

(٣) سبق تخريجه.

٦- استشعار سؤال الله عباده يوم القيامة عن شكر النعمة؛ فالعاقل يسأل نفسه الآن، فالوقت بين يديه، يستطيع إن لم يجد جوابًا أن يعمل ويحسن ويستعد بالجواب والصواب؛ لأن الله تَعَالَى سيسأله في يوم لايستطيع فيه العمل، يقول الله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[التكاثر:٨]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ماذا قابلتم به نعمه من شكر وعبادة؟»(١).

٧- أن يعلم الإنسان يقينًا أن النعم إذا شُكرت استقرت وزادت، وإذا كُفرت فرَّت وزالت؛ يقول تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧].

٨- عدم نسبة النعمة لغير الرب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فنسبة النعمة لغير الله من كفر النعمة، فمن كان مريضًا فشفي، فشفاؤه بفضل الله أولًا، ثم بالأسباب الأخرىٰ التي من فضل الله سُبْحَانَهُ أن سخرها له، يقول تَعَالَى في ذلك: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[النحل:٨٣] يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «أي: يعرفون أن الله تَعَالَى هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلىٰ غيره»(٢).

اللهم اجعلنا لك شاكرين، لك ذاكرين، لك طائعين، إليك مخبتين، لك أواهين منيبين، اللهم اقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، وسدد ألسننا، واسلل سخيمة قلوبنا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٩٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٩٥).

الشَّهِيدُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشهادة: خبر قاطع، تقول منه: شهد الرجل علىٰ كذا، وربما قالوا: شهد الرجل، بسكون الهاء للتخفيف»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(شهد) الشين والهاء والدال أصل يدل علىٰ حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه، من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام... والشاهد: الملك»[2].

ورود اسم الله (الشهيد) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الشهيد) في كتاب الله ثماني عشرة مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء:١٦٦].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة:١١٧] .

٣-قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾[يونس:٤٦].

---

(١) الصحاح (٢/ ٦٥).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٢٢).

ورود اسم الله (الشهيد) في السنة النبوية:

ورد اسم (الشهيد) في السنة النبوية، و من وروده ما يلي:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَىٰ باللهِ شَهِيدًا، قال: فَأْتِنِي بالكَفِيلِ، قال: كَفَىٰ باللهِ كَفِيلًا، قال: صَدَقْتَ»[1]، وسيأتي -بإذن الله- تتمة الحديث في الأثر الثالث من الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الشهيد).

معنى اسم الله (الشهيد) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٦، ١١٧]:«وأنت تشهد علىٰ كل شيء؛ لأنه لا يخفىٰ عليك شيء»[2].

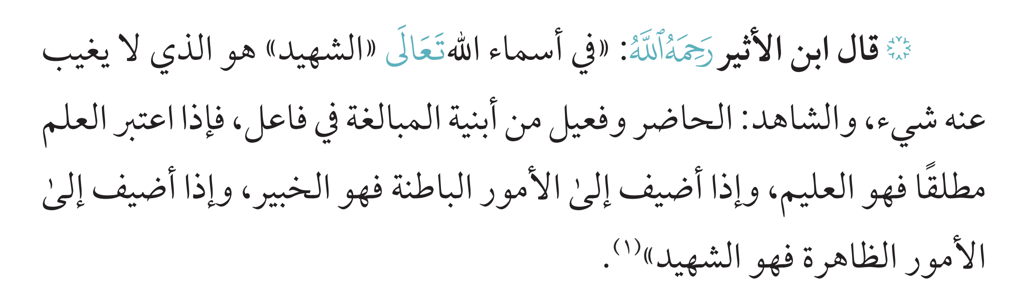
❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد، كعالم وعليم، أي: كأنه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٧٣١).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٥٧).



❊ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في أسماء الله تَعَالَى «الشهيد» هو الذي لا يغيب عنه شيء، والشاهد: الحاضر وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم، وإذا أضيف إلىٰ الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلىٰ الأمور الظاهرة فهو الشهيد»(١).

❊ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير اسم الله الشهيد: «أنه يشهد علىٰ الخلق يوم القيامة بما علم»(٢).

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أسمائه: (الشهيد) الذي لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ بل هو مطلع علىٰ كل شيء، مشاهد له، عليم بتفاصيله»(٣).

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧] «عليم بسرائرهم وما تكنّ ضمائرهم»(٤).

قال عند قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[الحج:١٧]: «أي: شهيد علىٰ أفعالهم، حفيظ لأقوالهم»(٥).

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣١٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣١٥).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٣٣٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٤).

(٥) المرجع السابق (٥/ ٢٠٤).

۞ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[النساء:٣٣]: «مطلعًا علىٰ كل شيء بعلمه لجميع الأمور، وبصره لحركات عباده، وسمعه لجميع أصواتهم»[1].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحًا العلاقة بين اسم الله الرقيب واسمه الشهيد: «(الرقيب) و(الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدل علىٰ إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب علىٰ ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولىٰ الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المجادلة:٦]»[2].

اقتران اسم الله (الشهيد) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله الشهيد بأي اسم من أسماء الله تَعَالَى.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الشهيد):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الشهيد) من الصفات، ودلالته علىٰ التوحيد:

الله سُبْحَانَهُ الشهيد الذي شهد بعلمه وسمعه وبصره، فعلمه أحاط بالمعلومات، وسمعه أحاط بالمسموعات، وبصره أحاط بالمبصرات، فلا يخفىٰ عليه شيء من مخلوقاته ظاهرها وباطنها، كبيرها وصغيرها، يرىٰ

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٧١).

(٢) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٨٥-٩٥).

مكانها، ويسمع أصواتها، ويعلم أحوالها كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[آل عمران:٥].

– ومن مظاهر شهوده سُبْحَانَهُ:

– هو الشهيد الذي يرىٰ الكون كله وهو مستو علىٰ عرشه، يرىٰ الهباءة الطائرة والجبال الشاهقة، ويرىٰ الحيوانات والنباتات والذرات في قعر البحر الأسود، ويسمع دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء فسبحان ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[البروج:٩].

– هو الشهيد القريب من خلقه، الذي يراهم جميعًا في آن واحد، ويسمع ما يتناجون به ويرىٰ ما يخوضون فيه، ويعلم ما يجول في خواطرهم، وما تهجس به ضمائرهم، ولا يغيب عنه من أمرهم شيء يقولونه أو يفعلونه أو يكتمونه قال تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ[1] وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[يونس:٦١].

– هو الشهيد الذي يشهد أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، خيرها وشرها، ويحصيها عليهم قبل فعلها وبعد فعلها؛ لأنه علم ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ، قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المجادلة:٦][2].

(١) تخصيص القرآن بالذكر مع أنه داخل فيما قبله ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ وما بعده ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ تعظيمًا لشأنه ودعوة للعناية به.

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨١٩).

- هو الشهيد علىٰ ما يكون بين العباد من حقوق ومظالم وخصومات، فيشهد ويفصل بينهم يوم القيامة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[الحج:١٧].

- هو الشهيد الذي شهد بالحق، فشهد لنفسه بالتوحيد، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨] «فتضمنت هذه الآية أجل شهادة وأعظمها، وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد بأجل مشهود»[1].

شهد لكتابه بأنه منزل من عنده، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦].

وشهد لرسوله بالرسالة والصدق، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[الرعد:٤٣].

- وشهادته سُبْحَانَهُ أعظم وأعلىٰ وأرفع شهادة، شهادة حضور ومعاينة، فلا يخفىٰ عليه شيء من جوانب الحقيقة كما يحدث للبشر، لا غلط فيها ولا ظلم تَعَالَى عن ذلك، فمن شهد الله له فهو حسبه، ولا يحتاج إلىٰ شهادة غيره، ولذلك أمر الله رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول للمشركين الذين ينازعونه في التوحيد وفي صدق ما جاء قال تَعَالَى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةًۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً

(١) مدراج السالكين، لابن القيم (٣/ ٨١٤).

أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٩](١)، وفي حجة الوداع أشهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ربه على إبلاغه الرسالة، وأداءه الأمانة، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلِّغٍ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَىٰ لَهُ**»(٢).

ومن رضي بشهادة «الشهيد»- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لم يخيبه أبدًا، بل إنه سُبۡحَانَهُ يملأ قلبه طمأنينة ورضا بأنه شهيد له وعليه، وكفىٰ به شهيدًا، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ(٣) مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَىٰ بِهَا إِلَىٰ البَحْرِ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاَ، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَىٰ بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّىٰ وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي**

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٥٣٦).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٧٠٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٧٦١).

(٣) أي: سوىٰ موضع النقر وأصلحه، ويحتمل أن يكون مأخوذًا من الزج، وهو النصل، كأن يكون النقر في طرف الخشبة، فشد عليه زجًا ليمسكه ويحفظ ما فيه، وقيل: معناه: سمرها بمسامير كالزج أو حشىٰ شقوق لصاقها بشيء ورقعه بالزج. ينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/ ٦٩٢)، وفتح الباري، ابن حجر (٤/ ١٧٤).

ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَىٰ بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَىٰ بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»[1].

فإذا تيقن العبد عِظم شهادة الشهيد، وأنه لا أكبر منها ولا أعظم، وأيقن إقامته للشهود، ثم علم أنه شهد لنفسه بالتوحيد وأشهد خواص خلقه من الملائكة وأهل العلم عليه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]؛ أقام نفسه علىٰ توحيده سُبْحَانَهُ وإفراده بالعبادة، فلم يتوجه ولم يقصد غيره سُبْحَانَهُ[2].

الأثر الثاني: الشهيد سُبْحَانَهُ يقيم شهودًا من خلقه يوم القيامة؛ لكمال عدله:

ومع أن شهادته سُبْحَانَهُ تعتبر أكبر شهادة وكفىٰ بها، إلا أن الله من تمام عدله لا يكتفي بشهادة نفسه سُبْحَانَهُ بل يقيم الشهود يوم القيامة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الزمر:٦٩].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٢٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٢١-٥٢١).



قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليسألوا عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ من الملائكة، والأعضاء والأرض ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العدل التام والقسط العظيم؛ لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا علىٰ ذلك الحكم»(١).

فيشهد الأنبياء علىٰ أممهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل:٨٩]، وقال أيضًا: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١].

وتشهد أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ الأمم بتبليغ الأنبياء رسالات الله إليهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وجاء تفسير هذه الآية عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقد أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يُدْعَىٰ نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ،**

(١) المرجع السابق (ص: ٠٣٧).

فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة:١٤٣]» والوسط: العدل.[1]

وأيضًا هذه الأمة يشهد بعضها علىٰ بعض، فتقبل شهادتها: عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «مَرُّوا بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خيرًا، فقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ». ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَىٰ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فقَالَ: وَجَبَتْ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قال: هَذَا **أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[2].

وتشهد **الملائكة** الكرام الكاتبون الذين يرقبون أعمال العبد وأقواله، ويتلقيان أعماله كلها، كما قال تَعَالَى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٧] ويشهدان عليه بما عمل، قال تَعَالَى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[ق:٢١]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ملك يسوقه إلىٰ المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله»[3].

وتشهد **الجوارح والأعضاء** علىٰ أصحابها، فإن الكافر يوم القيامة يحاول الفرار من عذاب الله بكتمان ما عمل كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:٢٨]، وقال حكاية

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٨٤٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٦٣١) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٩٤٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٤).

عن قولهم: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾[غافر:٧٤] وقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٢٣]، فإذا أنكرت ألسنتهم ما عملوه، أقام الشهيد عليهم شهادة الجوارح والأعضاء فيشهد عليهم كل عضو من أعضائهم، فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا وكذا، يوم كذا وكذا[1] كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[يس:٦٥]، وقال تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[فصلت:٢٠، ٢١].

وروىٰ مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضحك فقال: **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَىٰ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**»[2].

وكما أن هذه الأعضاء تشهد علىٰ أصحابها بكل سوء عملوه، كذلك تشهد لهم بكل خير عملوه، يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأصابع حين يسبح بها الله: «**عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ**

(١) تفسير السعدي (٧٤٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٦٩٢).

مُسْتَنْطقَاتٌ، وَلاَ تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ»[1].

بل لو قدر الله بعدله دخول أحد من عباده النار لذنوبه، فإن من كرمه تَعَالَىٰ أن النار لا تمس مواضع الوضوء والسجود، جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَحَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ**»[2].

وتشهد **الأرض** بما عمل عليها من خير أو شر، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[الزلزلة:٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «تحدث بما عمل العاملون علىٰ ظهرها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[الزلزلة:٤]، قال: **أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلْتَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا**، قال: **فَهُوَ أَخْبَارُهَا**»[3]»[4].

فإذا علم العبد هذا حرص أن يطيع الله بهذه الجوارح والجلود، وحرص علىٰ أن لا يعصي الله علىٰ أرضه، وإذا حصلت منه معصية حاول محيها بفعل طاعة في نفس الموطن، مستشعرًا قول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٧٧٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٨٥٣). حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٨٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٨٩٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٩٢٤٢)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٩٢٤٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٤).

ﵟذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَﵞ [هود:١١٤]، ولذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»[(١)] قالوا: الحسنة قول العبد: أستغفر الله، وقيل: فعل الطاعة.

الأثر الثالث: مراقبة الله الشهيد:

إذا أيقن المؤمن بشهادة الشهيد جَلَّ جَلَالُهُ، وعلم أن ربه شهيد عليم خبير يراه، ويسمع كلامه ويعلم سره وعلانيته، أورثه ذلك مراقبة الله التي توجب له حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه[(٢)].

كما يورث العبد تحري الإخلاص في أقواله وأعماله؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ شاهد على ما في القلوب من النوايا والمقاصد، قال تَعَالَى: ﵟيَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُﵞ [غافر:١٩]، ولا يقبل إلا ما كان خالصًا صوابًا.

ويقين العبد باسم الله الشهيد يورثه- أيضًا- الحذر من ظلم العباد والتعدي على حقوقهم؛ لأن الله شاهد على ذلك، قال تَعَالَى: ﵟإِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌﵞ [الحج:١٧].

الأثر الثالث: الحياء من الله الشهيد جَلَّ جَلَالُهُ:

إذا علم العبد أن الله شهيد مطلع عليه، عالم بسره ونجواه، وغيبه وشهادته؛ أورثه ذلك الحياء منه، فاستحيا أن يراه حيث نهاه، وألا يكون حيث أمر الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٠٧)، والترمذي، رقم الحديث: (١٩٨٧)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٩٨٧).

(٢) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٨٥-٩٥).

والحياء من الله أعظم الحياء شأنًا وأعلاه مكانة، وينشأ عن **أمور ثلاثة:**

الأول: رؤية نعمة الله ومنته وفضله علىٰ العبد.

الثاني: رؤية تقصير العبد في حق الله، وقيامه بما يجب عليه من امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

الثالث: رؤية اطلاع الله علىٰ العبد في كل أحواله وشؤونه.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة في القلب، تحرك فيه الحياء من الله، الذي ينشأ عنه كل خير وفضيلة كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[1]، فإذا وجد انكفت النفس عن الأخلاق الرذيلة، والمعاملات السيئة والأفعال المحرمة، وأقبلت النفس علىٰ فعل الواجبات، والعناية بمكارم الأخلاق وعظيم الآداب وجميلها.

الأثر الرابع: محبة الله الشهيد:

إذا علم العبد أن الله شهيد، وأنه يراه ويسمع كلامه، ويعلم سره وعلانيته، وهو أقرب إليه من نفسه وشهد ذلك كله، أورثه هذا حبه والسعي إلىٰ مرضاته.

الأثر الخامس: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج:٣٣]:

علىٰ العبد إذا علم أن الله شاهد علىٰ جميع شئونه أن يؤدي حق الشهادة، ومن ذلك:

١-الإشهاد فيما أمر الله أن يشهد فيه، كالإشهاد في أداء مال اليتيم، قال تَعالَى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦١١٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٧).

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

٢-أداؤها وعدم كتمانها، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البقرة:٢٨٢]، فإذا دعي الشاهد لأدائها فعليه الإجابة[1].

وقد حرم الله تَعَالَى كتمانها، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣]؛ لأن الحق مبني عليها لا يثبت بدونها، فكتمها من أعظم الذنوب، لأنه يترك ما وجب عليه من الخبر الصدق ويخبر بضده وهو الكذب، ويترتب علىٰ ذلك فوات حق من له الحق[2].

٣- إقامتها من غير خيانة ولا تزوير، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٣٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريبًا ولا صديقًا ونحوه، ويكون القصد بها وجه الله»[3].

ووردت نصوص تحذر من شهادة الزور، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ**، ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، **قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ**

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٧).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٠٢١).

(٣) المصدر السابق (ص: ٧٨٨).

الْوَالِدَيْنِ وَجلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، **فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ** قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»[1]؛لأن مفسدة الزور متعدية إلىٰ غير الشاهد بخلاف مفسدة الشرك؛ إذ إنها قاصرة عليه.

٤-عدم شهادة مجالس الزور، قال تَعَالَىٰ في وصف عباده: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[الفرقان:٧٢] أي: لا يحضرون الزور من القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة علىٰ الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالشهادة بالباطل، والخوض في آيات الله، والجدال الباطل، والغيبة والنميمة، والسب والقذف، والاستهزاء، والغناء المحرم، وشرب الخمر، وفرش الحرير، والصور، ونحو ذلك[2].

الأثر السادس: الحرص علىٰ شهود الأوقات الفاضلة:

معرفة العبد بأن ربه شهيد؛ يجعله حريصًا كل الحرص علىٰ شهود الأوقات التي تتنزل فيها الرحمات، ويتقرب فيها من الحق عَزَّوَجَلَّ، ومن تلك الأوقات:

١- صلاة الفجر: قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا﴾[الإسراء:٧٨].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: يشهده الله عَزَّوَجَلَّ، وملائكته، وقيل: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فيتفق نزول هؤلاء وصعود أولئك، فيجتمعون في صلاة الفجر؛ وذلك لأنها أول ديوان النهار وآخر ديوان الليل، فيشهدها

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٥٦٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٨).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٨٥).

ملائكة الليل والنهار، واحتج لهذا القول بما في الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضْلُ صَلَاةِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ صَلَاةِ الْوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ**». يقول أبو هريرة: واقرأوا إذا شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨])[١]، وهذه الشهادة شهادة خاصة، وهي شهادة حضور ودنو متصل بدنو الرب، ونزوله إلىٰ سماء الدنيا في الشطر الأخير من الليل، كما جاء في الأحاديث الصحاح التي أثبتت نزول الرب- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وهو نزول يليق بجلاله وعظمته وندائه لأهل الأرض: «**إِذَا مَضَىٰ شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**»[٢].

ففي هذه الأحاديث: أن النزول يدوم إلىٰ صلاة الفجر، وعلىٰ هذا يكون شهود الله لقرآن الفجر مع شهود ملائكة الليل والنهار له هذه خاصة بصلاة الصبح ليست لغيرها من الصلاة، (**حَتَّىٰ يَسْطَعَ الفَجْرُ**)[٣]، وذلك هو وقت صلاة الفجر...»[٤].

فإذا علم العبد ذلك الفضل العظيم حرص علىٰ هذا الوقت الشريف وشهوده، كما جاء في الحديث: «**مَنْ صَلَّىٰ صلاة الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ**»[٥] أي:

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧١٧٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث (٨٥٧).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٩٨٣)، وابن خزيمة في التوحيد، رقم الحديث: (١/ ٧٣١).

(٤) طريق الهجرتين، ابن القيم (ص: ٢١٢-٣١٢).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٥٦).

حفظه، وفي رواية: «وَمَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّىٰ اللَّيْلَ كُلَّهُ»[1].

٢- **يوم الجمعة:** لأن هذا اليوم يشهد عليك أو يشهد لك أمام الله، وقد فسر بعض العلماء الشاهد في قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[البروج:٣] بالجمعة، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأقسم بشاهد، قالوا: وهو يوم الجمعة، ومشهود، قالوا: وهو يوم عرفة»[2].

٣- **يوم عرفة:** الذي يدنو فيه الرب عَزَّوَجَلَّ، ويباهي بأهل الموقف أهل سمواته، ثم يقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: «مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»[3]، وقد فسر بعض العلماء المشهود في قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[البروج:٣] بعرفة، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومشهود، قالوا: وهو يوم عرفة»[4].

٤- **مجالس الذكر:** التي تحفُّها الملائكة وتغشاها الرحمة، كما قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[5].

فاللهم يا شهيد يا مجيد، اجعلنا ممن يعبدك كأنه يراك، واجعلنا ممن يشهد كل خير.



---

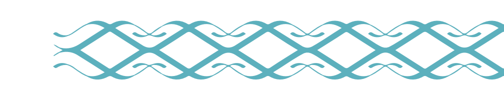
(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٤٢/ ٣٦٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) تفسير الطبري (٤٢/ ٣٦٢).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٩٦٢).




الصَّمدُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... والمصمد: لغة في المصمت، وهو الذي لا جوف له... وصمده يصمده صمدًا، أي: قصده. والصمد: السيد؛ لأنه يُصمد إليه في الحوائج»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(صمد) الصاد والميم والدال أصلان: أحدهما القصد، ...

فالأول: الصمد: القصد. يقال: صمدته صمدًا، وفلان مصمد؛ إذا كان سيدًا يقصد إليه في الأمور، وصمد أيضًا، والله جل ثناؤه الصمد؛ لأنه يصمد إليه عباده بالدعاء والطلب... »(٢).

ورود اسم الله (الصمد) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ **(الصمد) في كتاب الله مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١-٢].

---

(١) الصحاح، للجوهري (٢/ ٤٩٩).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٠٩).

ورود اسم الله (الصمد) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الصمد) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: «سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فقال رسول الله ﷺ: **قَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِ اللهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[١].

٢- عن محجن بن الأدرع، حدثه «أن رسول الله ﷺ دخل المسجد إذا رجل قد قضىٰ صلاته، وهو يتشهد فقال: اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله ﷺ: **قَدْ غُفِرَ لَهُ**. ثلاثًا»[٢].

معنى اسم الله (الصمد) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «(الصمد): الذي ليس بأجوف»[٣]

❁ قال ابن عباس أيضًا: «هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٦٩٢٢)، وأبو داود (٣٩٤١)، والترمذي، رقم الحديث: (٥٧٤٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٩٤١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير الطبري (٤٢/ ١٣٧).

جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سُبۡحَانَهُ هذه صفته، لا تنبغي إلا له»[١].

❁ قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الصمد) الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب»[٢].

❁ قال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي لم يخرج منه شيء، ولم يلد، ولم يولد»[٣].

❁ قال الطبري: الصمد عند العرب: هو السيد الذي يصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمىٰ أشرافها»[٤].

❁ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصمد: السيد الذي قد انتهىٰ سودده، فالناس يصمدونه في حوائجهم، أي: يقصدونه ويعتمدونه»[٥].

❁ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الصمد): هو السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج والنوازل»[٦].

❁ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها الصمد: ومعناه المصمود بالحوائج، أي المقصود»[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٤٢/ ٦٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٤٢/ ٢٣٧).

(٣) تفسير الطبري (٤٢/ ٦٣٧).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٤٢/ ١٩٦-٣٩٦).

(٥) اشتقاق أسماء الله (ص: ٢٥٢).

(٦) شأن الدعاء، للخطابي (ص٨٥).

(٧) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ١٠٢).

❊ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الصمد من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة؛ وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له»[1].

❊ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصمد: هو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وأحوالها وضروراتها؛ لما له من الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله»[2].

وقال أيضًا: «و(الصمد): المعنىٰ الجامع، الذي يدخل فيه كل ما فسر به هذا الاسم الكريم، فهو الصمد الذي تصمد إليه أي: تقصده جميع المخلوقات بالذل والحاجة والافتقار، ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي قد كمل بعلمه وحكمته وحلمه وقدرته وعظمته ورحمته وسائر أوصافه»[3].

وكل ما سبق من الأقوال يصح أن يوصف به ربنا عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الصمد اسم دال علىٰ جملة من الأوصاف، لا علىٰ صفة معينة[4].

❊ قال أبو القاسم الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كما نقل ابن كثير بعد إيراده لكثير من الأقوال في تفسير الصمد-: «وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عَزَّوَجَلَّ، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهىٰ سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه»[5].

---

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ١٠٢٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٤٥).

(٣) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٧٥).

(٤) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٩٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٩).

❁ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهوَ الإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي	صَمَدَتْ إِلَيْهِ الخَلْقُ بِالإِذْعَانِ
الكَامِلُ الأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُو	هِ كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ[1]

اقتران اسم الله (الصمد) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

- اقتران اسم الله الصمد باسمه الأحد:

لم يقترن اسم الله «الصمد» إلا باسم الله «الأحد»، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص:١-٢].

وجه الاقتران راجع إلىٰ أمرين:

١- للدلالة علىٰ أن الأحد المتفرد بالكمال في أسمائه وصفاته وأفعاله هو المستحق بأن تصمد له القلوب وتنزل به الحوائج.

٢- للدلالة علىٰ انفراد الله عَزَّوَجَلَّ بجميع صفات الكمال، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص، والأحدية تثبت الانفراد بذلك»[2].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الصمد):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الصمد) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ الصمد السيد العظيم الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص:٢][3].

---

(١) نونية ابن القيم (ص: ٩٠٢).

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٧٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٤٩).

فهو الصمد في ذاته التي لا يقدر قدرها ولا كمالها ولا جلالها إلا هو سُبْحَانَهُ، فتعالت ذاته العلية عن النقائص فلم تحتج إلىٰ جوف ولا أحشاء ولا طعام ولا شراب ولا داخل ولا خارج، كما هو الحال في المخاليق، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص:٢، ٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[الأنعام:١٤] وقرأ بعضهم بالفتح: «ولا يَطْعَمُ» أي: لا يأكل[1].

وهو الصمد في أسمائه فكلها حسنىٰ بلغت من الكمال المنتهىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]، و تعالت عن الدلالة علىٰ الذم والقدح، أو الدلالة علىٰ الاسم المجرد عن الصفة قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

وهو الصمد في صفاته، فلم يبق صفة كمال إلا اتصف بها، ووصف بغايتها وكمالها[2].

فهو صمد في غناه، فلم يحتج للوالد ولا للولد فضلًا عن الصاحبة، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص:٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنعام:١٠١]، أي: «كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد الذي لا صاحبة له، أي: لا زوجة له، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٢).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للسعدي (ص: ٢٠٢).

خالق كل شيء، وليس شيء من المخلوقات مشابهًا لله بوجه من الوجوه»[1].

ولم يحتج للشريك ولا للوزير ولا للمعين ولا للنصير، قال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾[الإسراء:١١١].

ولم يحتج للطعام ولا للشراب، قال تَعَالَى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٧، ٥٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ﴾[الأنعام:١٤].

وهو صمد في حياته، فلم يحتج معها إلىٰ خالق ولا والد ولا حافظ، قال تَعَالَى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾[الإخلاص:٣]؛ فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، كما جاء في الحديث: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»[2].

ولا يعتري حياته ما ينقص كمالها من النوم والنعاس، ولا يهددها الموت، وإنما حياة دائمة، وبقاء لا انقطع معه، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تَعَالَى أيضًا: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وهو صمد في علوه، فما زال جَلَّجَلَالُهُ ولا يزال عاليًا بذاته مستويًا علىٰ عرشه، عاليًا بأسمائه وصفاته وأفعاله، لا يعلوه أحد، ولا يكون فوقه أحد لا في

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٦٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣١٧٢).

الذات ولا في الأسماء ولا في الصفات ولا في الأفعال، قال تعالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»[١].

وهو الصمد في أفعاله فكلها حكمة، ورحمة، ومصلحة، وعدل كما جاء في الحديث: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ كُلُّه بِيَدِكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[٢].

تعالت أفعاله سُبْحَانَهُ عن العبث واللهو، والظلم والجور، ونحو ذلك من النقائص.

وبذلك اجتمعت في الصمد صفات الشرف جميعها في الذات والأسماء والصفات والأفعال، واجتمعت فيه صفات السيادة كلها علىٰ وجه الكمال والدوام، فهي باقية لم تزل ولا تزال أبدًا، لا يطرأ عليها النقص ولا الآفات ولا الاختلال، كما هو الحال في المخلوق الذي يكون سؤدده وكماله في حال دون حال، ويعتيريه من النقص ما يعتريه[٣].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الصمد) علىٰ التوحيد:

إن اسم الله «الصمد» وما فيه من الدلالة علىٰ صفات الكمال لله عَزَّوَجَلَّ؛ دال علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة، وبيان ذلك علىٰ النحو الآتي:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٧٦)، والحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٥٧)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٢٠١)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ١٣١-٠٣١).

١- دلالته علىٰ توحيد الألوهية والربوبية:

إن اسم الله «الصمد» يضم جملة من الأسماء والصفات الدالة علىٰ الربوبية كالخلق، والرزق، والملك، والتدبير، والإحياء والإماتة ونحو ذلك، فإثباته إثبات لها علىٰ وجه الكمال؛ لما سبق من دلالة الصمد علىٰ الكمال.

ثم إن كل صفة من صفات الربوبية منفردة تدعو العبد إلىٰ إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بها، قال تَعَالَى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص:١، ٢]، فلا مثيل ولا نظير ولا شريك ولا والد ولا ولد، قال تَعَالَى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[الإخلاص:٤][1]، ولا يستحق العبادة إلا هو سُبۡحَانَهُ، وعبادة ما سواه باطل[2]، وحينئذ يفرد العبد ربه الصمد بجميع أنواع العبادة، فلا يَسجد ولا يركع ولا يصلي إلا لله، ولا يستغيث ولا يستعين، ولا يستعيذ إلا بالله، ولا يخاف ولا يرهب، ولا يشفق إلا من الله، ولا يتوكل إلا علىٰ الله، ولا يرجو ولا يدعو ولا يسأل إلا الله الصمد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

٢- دلالته علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

إن اسم الله «الصمد» وما فيه من الدلالة علىٰ قصد الخلائق له وصمودهم بين يديه؛ دال علىٰ اتصافه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بصفات الكمال، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن السيد الذي يصمد إليه لا يكون إلا متصفًا بجميع صفات الكمال التي استحق لأجلها أن يكون صمدًا»[3]، وذلك كالحياة والعلم، والسمع، والبصر،

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ١٠٠-١٠١).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٩٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٧٦).

والغنىٰ، والقدرة، والكلام، والاستواء، والعلو، ونحو ذلك، كما يدل- أيضًا- علىٰ انتفاء النقائص عنه سُبْحَانَهُ.

الأثر الثالث: محبة الله الصمد:

لا شك أن اسم الله «الصمد» يقود مَن تدبره وتأمل فيه لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ؛ وذلك لأنه دال علىٰ صفات الكمال والجمال علىٰ الدوام للرب عَزَّوَجَلَّ من الحياة، والغنىٰ، والعلو، وقصد الخلائق وهرعهم إليه في قضاء الحاجات وتفريج الكربات، إلىٰ غير ذلك مما يدل عليه من الكمالات، ومن المعلوم أن القلوب فطرت علىٰ محبة من له الكمال والجمال.

ثم إذا تذكر العبد- أيضًا- أن كل كمال للمخلوق يشاهده أويسمع به، فيعجبه ويحب صاحبه لا شيء أمام كمال الله عَزَّوَجَلَّ يورثه ذلك محبة الله الذي هو أولىٰ مَن يُحَب وَيُجَل.

الأثر الرابع: الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها:

إذا علم العبد أن ربه الصمد باق دائم بعد خلقه، قال تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فكل شيء زائل فان، المال والمتاع والجاه والسلطة والقوة، بل والأرض ومن عليها، والسماء وما فيها ومن فيها، والكون كله ما نعلم منه وما نجهل، كله هالك إلا وجه الله الصمد الباقي المتفرد بالبقاء ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فنزلت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، فأيقنت الملائكة بالهلاك»[1].

---

(١) تفسير القرطبي (٧١/ ٥٦١).

فمن عرف ذلك وتيقنه؛ زهد في الدنيا ومتاعها، وطلب الآخرة ونعيمها، قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[القصص:٦٠].

بخلاف من غفل عن ذلك أو تغافل، فألهته الدنيا بزخرفها، وصارت غايته وأكبر همه، وراح يطلبها بالمباح وبالحرام، حتىٰ إنه ليعمل الصالحات يريد بها عرضًا من الدنيا غافلًا عن ثواب الآخرة، قال تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦].

وقوله تَعَالَى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾[هود:١٥] أي: نعطيهم من متاع الدنيا ما كتب وقدر لهم في اللوح المحفوظ، لا ينقصون شيئًا منه، ولا يزيدون شيئًا منه، وإن بلغوا من الحرص عليها كل مبلغ[١].

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، والدِّرْهَمِ، والقَطِيفَةِ، والخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»[٢].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الطيبي: قيل: خص العبد بالذكر؛ ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا يجد خلاصًا...

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص ٨٧٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٨٨٢).

وفيه إشارة إلىٰ الدعاء عليه بما يثبطه عن السعي والحركة وسوغ الدعاء عليه؛ كونه قصر عمله علىٰ جمع الدنيا واشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات»[1].

الأثر الخامس: قصد الله الصمد في جميع الحاجات:

لما كان ربنا عَزَّوَجَلَّ صمد، متصف بالكمال المطلق، فلا شيء فوقه، ولا شيء يعجزه، ولا شيء يفقره؛ صمدت إليه جميع المخلوقات، وقصدته كل الكائنات، وفزع إليه العالم بأسره، أهل سمائه وأرضه، صغيره وكبيره، ذكره وأنثاه، غنيه وفقيره، مسلمه وكافره، فالكل مفتقر إليه غاية الافتقار، قاصد إياه في جميع أحواله وشؤونه في أمر دينه ودنياه وآخرته، طارق بابه في مطالبه ومساعيه الضروري منه، والحاجي، والكمالي، يسأله بلسان الحال والمقال، لا يستغني عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك فلا ملجأ ولا منجىٰ منه إلا إليه، إليه وحده المفر، وفيه المرغب والمطمع، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩].

فهؤلاء الملائكة صمدوا إليه، فسألوه لأهل الإيمان، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾[غافر:٧، ٨] الآيات.

وهؤلاء الأنبياء والمرسلين صمدوا إليه في مختلف أحوالهم، فسألوه في حال عبادتهم، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٢٧].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١١/ ٤٥٢).

وسألوه في حال تقصيرهم وخطئهم، قال تَعَالَى عن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، وقال تَعَالَى عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما قتل القبطي: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦].

وسألوه في حال كربهم وشدتهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣، ٨٤].

وسألوه في حال نعمته عليهم، كما قال سُبْحَانَهُ عن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩].

وسألوه ما يتعلق بالآخرة، كما قال سُبْحَانَهُ عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الشعراء:٨٥ - ٨٧].

وصمد إليه كذلك عباده الصالحون، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ [الكهف:١٠]، وقال: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠].

بل وصمد إليه الكافرون المشركون، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[يونس:٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥].

وكل هذا يوجب للعبد ألا يلجأ إلا لربه الصمد، ولا يطلب حاجته إلا منه، ولا تكون استعانته إلا به، ولا يكون توكله إلا عليه؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا معلمًا ولغيره من الأمة: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[١][٢].

فتجد المؤمن يصمد إلىٰ ربه الصمد، فيرفع حوائجه إليه، ولا يشكو فاقته إلا إليه، ويتعلق به، ويتضرع إليه، ويرفع كفيه إليه يناديه ويناجيه، فما يلبث إلا ودعاؤه مجاب، وفاقته مسدوده، وحاجته مقضيه، كما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ، أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالْغِنَىٰ، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ، أَوْ غِنًىٰ عَاجِلٍ**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣١٧٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٦١٥٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٦١٥٢).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٦٠١).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٤٦١)، حكم الألباني:صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٤٦١).

ولا يقتصر في سؤاله علىٰ مطالب الدنيا، بل يضم إلىٰ ذلك مطالب الدين والآخرة؛ فيقصد ربه الصمد بسؤال الهداية والإعانة علىٰ الطاعة، والمغفرة والرحمة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار ونحو ذلك؛ كما جاء في حديث محجن بن الأدرع «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل المسجد فإذا رجل قد قضىٰ صلاته، وهو يتشهد فقال: اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ غُفِرَ لَهُ**. ثلاثًا»[1].

ويقصده- أيضًا- بالاستغفار والتوبة عند الوقوع في المعصية، قال تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آلعمران:١٣٥]، وجاء عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[2].

الأثر السادس: عدم قصد المخلوق بالسؤال:

إذا تأمل العبد في اسم الله (الصمد) وما فيه من الترغيب في قصد بابه، باب من بيده مقاليد كل شيء، باب من هو علىٰ كل شيء قدير، باب الكريم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٠).

الجواد الذي يحب أن يسأل ويرغب إليه في الحوائج والنوائب والمزعجات، ويحب أن يتضرع إليه في الشدائد والكربات والملمات، ويحب أن يستغاث به في المصاعب والمشقات، ويحب الإلحاح في السؤال والدعاء، ويغضب علىٰ من لا يسأله، ويدعو عباده لسؤاله: هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وهو عند حاجة خلقه، ولديه تفريج كربهم، السميع لندائهم، العليم بحالهم، واسع الرحمة والرأفة والحنان والكرم، عظيم القدرة والعزة والسلطان[1].

ثم نظر متأملًا في المخلوق وما فيه من الفقر والعجز والشح والكره للسؤال والإلحاح فيه، والرغبة في عدمه؛ **دعاه هذا** إلىٰ الزهد في سؤال المخلوق وقصد بابه، وقطع تعلق القلب به وإن عظم جاهه وعلا منصبه، ولهذا قال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجل كان يأتي الملوك: «ويحك، تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار، ويظهر لك غناه، ويقول: ادعني أستجب لك؟!»[2].

وقال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال لي طاوس: يا عطاء، لا تُنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلىٰ يوم القيامة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]»[3].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص:٠٣٨، ٧٣٩)، الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٥٧).

(٢) صفة الصفوة، لابن الجوزي (١/ ٤٥٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٥٤).

ودخل هشام بن عبدالملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبدالله، فقال له: يا سالم سلني حاجة، فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت، فسلني حاجة، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا، فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها[1].

ومن هنا كان سؤال المخلوق مذمومًا، ووبالًا علىٰ صاحبه يوم القيامة إن كان من غير حاجة؛ فعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[2].

وقد تكفل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة لمن ترك السؤال، فعن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَكَفَّلَ لِيْ أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ**؟ فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل الناس شيئًا»[3]، فحري بالعبد أن يزهد في سؤالهم، ويرغب في باب ربه الصمد.

الأثر السابع: دعاء الله باسمه الصمد:

إن يقين العبد باسم الله «الصمد» الذي تصمد إليه الخلائق كلها، وتقصده بالدعاء في الشدائد والمسرات ومختلف الأحوال، يدعو العبد إلىٰ قصد باب

(١) المصدر السابق (١/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠٤٠).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٨٠٧)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٦٤٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٨٣٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٦٤٣).

الصمد، والتضرع إليه بالدعاء والسؤال، ولا سيما باسمه الصمد؛ امتثالًا لقوله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ولا سيما- أيضًا- بما ورد في السنة مما هو مظنة الإجابة؛ فعن محجن بن الأدرع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل المسجد، فإذا رجل قد قضىٰ صلاته، وهو يتشهد فقال: اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ غُفِرَ لَهُ**. ثلاثًا»[1].

وعن عبدالله بن بريدة، عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا، يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الدعاء: «فهذا توسل إلىٰ الله بتوحيده، وشهادة الداعي له بالوحدانية، وثبوت صفاته المدلول عليها باسم الصمد... وبنفي التشبيه والتمثيل عنه، بقوله تَعَالَى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة، والتوسل بالإيمان بذلك»[3].

فاللهم إنا نسالك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لنا ذنوبنا؛ إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٧٤).

الظَّاهر والباطنُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: المعنى اللغوي لاسم (الظاهر):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظهر: خلاف البطن، وقولهم: لا تجعل حاجتىٰ بظهر، أي: لا تنسها»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل علىٰ قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورًا فهو ظاهر؛ إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كله: ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة...»[2].

ثانيًا: المعنى اللغوي لاسم (الباطن):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البطن: خلاف الظهر»[3].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الباء والطاء والنون أصل واحد لا يكاد يخلف، وهو إنسي الشيء والمقبل منه، فالبطن خلاف الظهر، تقول: بطنت الرجل: إذا

---

(١) الصحاح (٢/ ٣٩٢).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٧٤).

(٣) الصحاح (٥/ ٧٥٣).

ضربت بطنه، قال بعضهم: إذا ضربت موقرًا فابطن له، وباطن الأمر دخلته، خلاف ظاهره، والله تَعَالَى هو الباطن؛ لأنه بطن الأشياء خبرًا، تقول: بطنت هذا الأمر: إذا عرفت باطنه»[1].

وُرود اسم الله (الظاهر و الباطن) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ **(الظاهر و الباطن) في كتاب الله مرة واحدة، وهي:** قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وُرود اسم الله (الظاهر و الباطن) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الظاهر و الباطن) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي هريرة، قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»[2].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٩٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٣١٧٢).

معنى اسم الله (الظاهر و الباطن) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم «الظاهر» في حقه تعالىٰ:

يدور معنىٰ اسم الله «الظاهر» في حقه تَعَالَى حول علو الله تَعَالَى وفوقيته، وأحسن التفسيرات للمعنىٰ وأكملها ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»[1].

ومن أقوال العلماء في ذلك:

❁ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو الظاهر علىٰ كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلىٰ منه»[2].

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اسمه (الظاهر) من لوازمه: أن لا يكون فوقه شيء، كما في الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»[3]؛ بل هو سُبْحَانَهُ فوق كل شيء، فمن جحد فوقيته سُبْحَانَهُ فقد جحد لوازم اسمه الظاهر، ولا يصح أن يكون الظاهر هو من له فوقية القدر فقط،... مقابلة الاسم بـ«الباطن»، وهو الذي ليس دونه شيء، كما قابل الأول الذي ليس قبله شيء، بـ«الآخر» الذي ليس بعده شيء»[4].

❁ قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهر: يدل علىٰ عظمة صفاته، واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات، وعلىٰ علوه»[5].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٥٨٣).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مدارج السالكين (١/ ٥٥).

(٥) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٧٠).

❊ وقد ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

والظَّاهِرُ العَالِي الَّذِي مَا فَوْقَهُ   شَيْءٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو البُرْهَانِ
حَقًّا رَسُولُ اللهِ ذَا تَفْسِيرُهُ   وَلَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِضَمَانِ

ثانيًا: معنىٰ اسم الله «الباطن» في حقه تعالىٰ:

❊ أحسن التفاسير وأكملها ما قاله النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»[1].

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾[الحديد:٣] يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلىٰ شيء منه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]»[2].

❊ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الباطن هو العالم ببطانة الشيء، يقال: بطنت فلانًا وخبرته، إذا عرفت باطنه وظاهره، والله تَعَالَىٰ عارف ببواطن الأمور وظواهرها، فهو ذو الظاهر وذو الباطن»[3].

❊ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والباطن: يدل علىٰ اطلاعه علىٰ السرائر والضمائر والخبايا والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل علىٰ كمال قربه ودنوه، ولا يتنافىٰ الظاهر والباطن؛ لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت؛ فهو العلي في دنوه القريب في علوه»[4].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٣).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٦).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٠٧١).

اقتران اسم الله (الظاهر و الباطن) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله الظاهر والباطن إلا باسم الله الأول الآخر، وذلك في آية واحدة، وهي قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، وقد تقدم بيان مناسبة الاقتران في اسمي الله الأول والآخر.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الظاهر و الباطن):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الظاهر والباطن) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

إن مدار هذين الاسمين علىٰ بيان إحاطة الرب بكل شيء، فقد أحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، فالله سُبْحَانَهُ هو العليم، الخبير، المحيط، المطلع علىٰ خفايا الأمور وأسرارها، العلي الأعلىٰ المتعال، فهو مع كمال علوه علىٰ عرشه قريب من خلقه، محيط بهم، فلا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهر باطنًا؛ بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية، تستوي في علمه الأمور، يقول تَعَالَىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]، يستوي عنده من هو مختف في قعر داره، ومن هو سائر في سربه طريقه في بياض النهار وضيائه، فعلم الله يتعقب كل فرد من بين يديه ومن خلفه، ويقيد عليه كل شاردة وكل واردة آناء الليل وأطراف النهار، يقول تَعَالَىٰ

في معرفته ببواطن الأمور وخفاياها مع علوه سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

فهو سُبْحَانَهُ المتفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، ويعلم أحواله، وما يسره، ويوسوس في صدره، فهو أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلىٰ الإنسان[١].

فـ«الظاهر» سُبْحَانَهُ هو المدرك بالعقول والدلائل الدالة عليه، والأفعال المؤدية إلىٰ العلم به ومعرفته، وهو الباطن سُبْحَانَهُ غير المشاهد، كسائر الأشياء المشاهدة في الدنيا تَعَالَىٰ الله عزوجل عن ذلك علوًّا كبيرًا، يظهر ويتجلىٰ لبصائر المتفكرين، ويحتجب عن أبصار الناظرين، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٠٣].-

ومن آمن باسمي الله «الظاهر» و«الباطن»؛ تعلق قلبه بالله، وشهد وجود الله محيطًا به في كل لحظة من لحظات حياته، وأخلص له في توحيده بألوهيته وربوبيته، حتىٰ يصل لمقام الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإن الله يراه.

وكما أن اسمي الله «الظاهر» و«الباطن» دالان علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هما دالان علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدلان علىٰ اسم الله العليم، والمحيط، والقدير، والعلي، والقريب، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص: ٥٠٨).

الأثر الثاني: الثقة بنصر الله لدينه:

من علم أن الله هو «الظاهر» الغالب؛ علم أنه ناصر لدينه علىٰ جميع الأديان بعز عزيز أو بذل ذليل، يقول تَعَالَى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[التوبة:٣٢]، ويقول تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

فأهل هذا الدين منصورون غالبون عالون، ويتفاوت نصرهم وعلوهم بقدر ما معهم من الإيمان قولًا وعلمًا وعملًا ظاهرًا وباطنًا، فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، يقول الله تَعَالَى: ﴿**وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران:١٣٩].

وقد أطال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذكر الحكمة من ظهور الكفار في بعض الأحيان، وذكر أصولًا كثيرة، منها:**

«.... الأصل الثاني: أن ما يصيب المؤمنين في الله تَعَالَى مقرون بالرضا والاحتساب، فإن فاتهم الرضا فمعولهم علىٰ الصبر، وعلىٰ الاحتساب، وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء ومؤنته؛ فإنهم كلما شاهدوا العوض هان عليهم تحمل المشاق والبلاء، والكفار لا رضا عندهم ولا احتساب، وإن صبروا فكصبر البهائم، وقد نبه تَعَالَى علىٰ ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]؛ فاشتركوا في الألم، وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزلفىٰ من الله تَعَالَى.

... الأصل الثامن: أن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم وقهرهم، وكسرهم لهم أحيانًا، فيه حكمة عظيمة لا يعلمها علىٰ التفصيل إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

فمنها: استخراج عبوديتهم وذلهم لله، وانكسارهم، وافتقارهم إليه، وسؤاله نصرهم علىٰ أعدائهم، ولو كانوا دائمًا منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا.

ولو كانوا دائمًا مقهورين مغلوبين منصورًا عليهم عدوهم لما قامت للدين قائمة، ولا كانت للحق دولة، فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن صرفهم بين غلبهم تارةً، وكونهم مغلوبين تارةً؛ فإذا غلبوا تضرعوا إلىٰ ربهم، وأنابوا إليه، وخضعوا له، وانكسروا له، وتابوا إليه، وإذا غلبوا أقاموا دينه وشعائره، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وجاهدوا عدوه، ونصروا أولياءه.

ومنها: أنهم لو كانوا دائمًا منصورين، غالبين، قاهرين؛ لدخل معهم من ليس قصده الدين ومتابعة الرسول؛ فإنه إنما ينضاف إلىٰ من له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائمًا لم يدخل معهم أحد، فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة، وعليهم تارة، فيتميز بذلك بين من يريد الله ورسوله، ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه.

ومنها: أنه سُبْحَانَهُ يحب من عباده تكميل عبوديتهم علىٰ السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم، فلله سُبْحَانَهُ علىٰ العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضىٰ تلك الحال لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها؛ كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد،

والجوع والعطش، والتعب والنصب، وأضدادها، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني والاستقامة المطلوبة منه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع.

ومنها: أن امتحانهم بإدالة عدوهم عليهم يمحصهم، ويخلصهم، ويهذبهم؛ كما قال تَعَالَى في حكمة إدالة الكفار علىٰ المؤمنين يوم أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران:١٣٩ - ١٤١]»[(١)].

الأثر الثالث: استشعار قرب الله الخاص من عباده المؤمنين:

ولأنه سُبْحَانَهُ «الباطن» الذي ليس دونه شيء، فهو سُبْحَانَهُ أقرب إلىٰ كل شيء، ومن أعظم ثمرات الإيمان به سُبْحَانَهُ: استشعار قرب الله الخاص من عباده المؤمنين.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

ومن رام هذا القرب سعىٰ لتحصيل أسبابه[(٢)]، فهو القريب سُبْحَانَهُ لمن دعاه ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] وهو القريب

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٧٨١).

(٢) ستأتي مفصلة في اسم الله «القريب» سُبْحَانَهُ.

سُبْحَانَهُ ممن أحسن ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]، فوجد الخبر، وهو: «قريب» عن لفظ الرحمة، وهي مؤنثة؛ إيذانًا بقربه تَعَالَىٰ من المحسنين، فكأنه قال: إن الله برحمته قريب من المحسنين.

وأقرب الهيئات إلىٰ الله: السجود له، وفي الصحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»[1]، وأقرب الأوقات له سُبْحَانَهُ جوف الليل، «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخر**»[2]، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون، وفي الصحيح من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنهم كانوا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فارتفعت أصواتهم بالتكبير، فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسكُمْ، فإنكم لا تَدْعُونَ أَصمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّه معكم سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تباركَ اسمُه وتعالىٰ جدُّه**»[3]، فهذا قربه من داعيه وذاكره، يعنىٰ: فأي حاجة بكم إلىٰ رفع الأصوات وهو لقربه يسمعها وإن خفضت، كما يسمعها إذا رفعت؛ فإنه سميع قريب، وهذا القرب هو من لوازم المحبة، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر، والتعبد بهذا الاسم هو التعبد بخالص المحبة وصفو الوداد، وأن يكون الإله أقرب إليه من كل شيء وأقرب إليه من نفسه، مع كونه ظاهرًا ليس فوقه شيء.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٩٧٥٣)، والنسائي، رقم الحديث: (١٧٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٩٧٥٣).

(٣) سبق تخريجه.

الأثر الرابع: محبة الله الظاهر والباطن سُبْحَانَهُ:

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في طريق الهجرتين: «...والمقصود: أن التعبد باسمه (الظاهر) يجمع القلب علىٰ المعبود، ويجعل له ربًّا يقصده، وصمدًا يصمد إليه في حوائجه، وملجأً يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه (الظاهر) استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه، ويهرب إليه، ويفر في كل وقت إليه... وأما التعبد باسمه (الباطن) فإذا شهدت إحاطته بالعوالم وقرب البعيد منه، وظهور البواطن له، وبدو السرائر وأنه لا شيء بينه وبينها؛ فعامِله بمقتضىٰ هذا الشهود، وطهِّر له سريرتك؛ فإنها عنده علانية، وأصلِح له غيبك؛ فإنه عنده شهادة، وزكِّ له باطنك؛ فإنه عنده ظاهر»[1]، ومَن فَقه ما تقدم أحبَّ «الظاهر» الباطن سُبْحَانَهُ.

الأثر الخامس: الشوق لرؤية الله تعالىٰ، والعمل له:

إيماننا بأنه سُبْحَانَهُ «الباطن» الذي لا تدركه أبصار خلقه في الدنيا، تجعلنا نسعىٰ لرؤيته سُبْحَانَهُ في الآخرة، عند البخاري من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ أَوْ لاَ تُضَاهُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**»[2].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٥٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٣٣) واللفظ له.

ومن تلك الأسباب التي توصل لرؤية الله في الآخرة:

- المحافظة علىٰ صلاة العصر والفجر في وقتها، فعن جرير بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنا عند النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نظر إلىٰ القمر ليلة البدر، فقال: **أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ أَوْ لاَ تُضَاهُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**»[1].

- الإحسان، يقول تعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فالحسنىٰ: الجنة، والزيادة: هي النظر إلىٰ وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة من بعده، كما روىٰ مسلم في صحيحه عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قرأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ** عَزَّ وَجَلَّ»[2].

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلىٰ وجهك الكريم، والشوق إلىٰ لقائك، وأن تجعلنا من عبادك السابقين، وأوليائك الصالحين.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨١).

الأثر السادس: ترك الذنوب والمعاصي في السر والعلن:

من آمن بالظاهر والباطن سُبْحَانَهُ، ترك ظاهر الإثم وباطنه، يقول تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ المعصية في السر والعلانية، وفي رواية عنه: هو ما ينوي مما هو عامل، وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ أي: سره وعلانيته قليله وكثيره[1].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد بالإثم: جميع المعاصي التي تؤثم العبد، أي: توقعه في الإثم والحرج من الأشياء المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، فنهىٰ الله عباده، عن اقتراف الإثم الظاهر والباطن، أي: السر والعلانية، المتعلقة بالبدن والجوارح والمتعلقة بالقلب، ولا يتم للعبد ترك المعاصي الظاهرة والباطنة إلا بعد معرفتها، والبحث عنها، فيكون البحث عنها ومعرفة معاصي القلب والبدن والعلم بذلك واجبًا متعينًا علىٰ المكلف، وكثير من الناس تخفىٰ عليه كثير من المعاصي، خصوصًا معاصي القلب، كالكبر والعجب والرياء، ونحو ذلك، حتىٰ إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم، وعدم البصيرة.

ثم أخبر تَعَالَى أن الذين يكسبون الإثم الظاهر والباطن، سيجزون علىٰ حسب كسبهم، وعلىٰ قدر ذنوبهم، قلت أو كثرت، وهذا الجزاء يكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا، يعاقب العبد، فيخفف عنه بذلك من سيئاته»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٧٢).

الأثر السابع: قمع وساوس الشيطان المهلكة للإنسان:

في اسم الله الظاهر والباطن جماع المعرفة بالله وجماع العبودية له، كما أن فيها قمعًا للوساوس المهلكة، والشكوك المردية التي يلقيها الشيطان في قلب الإنسان؛ بغية إهلاكه وصرفه عن الإيمان.

وقد بين لنا ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا العلاج من وساوس الشيطان، عن أبي زميل سماك بن الوليد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي قَالَ: مَا هُوَ ؟ قُلْتُ: وَاللهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ . قَالَ: فَقَالَ لِي: أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ ؟ قَالَ وَضَحِكَ قَالَ: مَا نَجَا أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:٩٤] الآية، قَالَ: فَقَالَ لِي: إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]»(١)، فأرشد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ هذا الذكر الحكيم لطرد الوساوس، وقطع الشكوك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأرشدهم بهذه الآية إلىٰ بطلان التسلسل الباطل ببديهة العقل، وأن سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي إلىٰ أول ليس قبله شيء، كما تنتهي في آخرها إلىٰ آخر ليس بعده شيء، كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء، وبطونه هو الإحاطة التي لا يكون دونه فيها شيء، ولو كان قبله شيء يكون مؤثرًا فيه لكان ذلك هو الرب الخلاق، ولا بد أن ينتهي الأمر إلىٰ خالق غير مخلوق وغني عن غيره، وكل شيء فقير إليه قائم بنفسه، وكل شيء قائم به موجود بذاته، وكل شيء موجود به.

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥١١٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث: (٣١٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥١١٠).

قديم لا أول له، وكل ما سواه فوجوده بعد عدمه باق بذاته، وبقاء كل شيء به فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء»[1].

الأثر الثامن: التقرب للباطن سُبْحَانَهُ بخبيئة لا يعلمها غيره.

الباطن سُبْحَانَهُ يحب أن يكون لعبده خبايا من أعمال صالحة يتقرب بها إليه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢٧١]: «فأخبر أن إعطاءها للفقير في خفية خير للمنفق من إظهارها وإعلانها، وتأمل تقييده تَعَالَى الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة، ولم يقل: (وإن تخفوها فهو خير لكم)، فإن من الصدقة ما لا يمكن إخفاؤه كتجهيز جيش، وبناء قنطرة، وإجراء نهر أو غير ذلك، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد؛ الستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة، وأن يرىٰ الناس أن يده هىٰ اليد السفلىٰ، وأنه فقير لا شيء له، فيزهدون في معاملته ومعاوضته، وهذا قدر زائد من الإحسان إليه بمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص، وعدم المراءاة وطلبهم المحمدة من الناس، وكان إخفاؤها للفقير خيرًا من إظهارها بين الناس، ومن هذا مدح النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدقة السر وأثنىٰ علىٰ فاعلها، وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة»[2]، وفي الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ،**

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٠٦٦٠)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٠١).

الخَفِيَّ»[1]، وفي الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبْءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ»**[2].

الأثر التاسع: الدعاء باسم الله الظاهر و الباطن:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول: **«اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»**[3].

اللهم يا من أظهر الجميل وستر القبيح، نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة.



(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٦٩٢).

(٢) أخرجه الضياء في المختارة، رقم الحديث: (٣٨٨)، والخطيب في تاريخ بغداد، رقم الحديث: (٤٢٠٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣١٧٢).

العزيز جَلَّجَلَالُهُ

المعنىٰ اللغوي:

❋ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العز: خلاف الذل..والاسم: العزة، وهي القوة والغلبة»[1].

❋ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(عز): العين والزاي أصل صحيح واحد، يدل علىٰ شدة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر، قال الخليل: العزة لله جل ثناؤه، وهو من العزيز»[2].

ورود اسم الله (العزيز) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (العزيز) في كتاب الله اثنتين وتسعين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

٢- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران:٤].

٣- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٦].

---

(١) الصحاح (٣/ ٨٨٥-٦٨٨).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٨٣).

ورود اسم الله (العزيز) في السنة النبوية:

ورد اسم (العزيز) في السنة النبوية، ومن وروده يلي:

١- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا تضور- أي: تقلب- من الليل قال: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**»[1].

٢- جاء أعرابي إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «علمني كلامًا أقوله، قال: **قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، والحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ**، قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال: **قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، واهْدِنِي وارْزُقْنِي**»[2].

معنى اسم الله (العزيز) في حق الله تعالى:

العزيز الذي له العزة بجميع معانيها، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠] عزة القوة، وعزة القهر والغلبة، وعزة الغنىٰ والامتناع.

وحول هذه المعاني تدور أقوال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ:

❁ **قال قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العزيز) أي: في نقمته إذا انتقم»[3].

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العزيز) في انتقامه ممن أراد الانتقام منه، لا يقدر

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦٣٤)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٥٣٠)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٠٦٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٥١).

أحد يدفعه عنه»[1]، **وقال أيضًا**: «القوي الذي لا يعجزه شيء أراده»[2].

۞ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تَعَالَىٰ هو الغالب كل شيء، فهو العزيز الذي ذل لعزته كل عزيز»[3].

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العزيز: هو المنيع الذي لا يغلب»[4].

والعز في كلام العرب علىٰ ثلاثة أوجه: أحدها: بمعنىٰ الغلبة...والثاني: بمعنىٰ الشدة والقوة... والوجه الثالث: أن يكون بمعنىٰ: نفاسة القَدْر، يقال منه: عز الشيء يعز- بكسر العين- من يعز، فيتأول معنىٰ العزيز علىٰ هذا، أنه الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له، ولا نظير»[5].

۞ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي لا يوصل إليه ولا يمكن إدخال مكروه عليه»[6].

۞ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(والعزيز) معناه: المنيع الذي لا ينال ولا يغالب»[7].

۞ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العزيز) أي: الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء؛ فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه»[8].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٩٣١).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٨٨).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٤٣).

(٤) شأن الدعاء (ص٧٤) .

(٥) شأن الدعاء (١/ ٧٤- ٨٤).

(٦) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٥٩١).

(٧) تفسير القرطبي (٢/ ١٣١).

(٨) تفسير ابن كثير (٨/ ٠٨).

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العزيز) الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، دانت له الخليقة وخضعت لعظمته»(١).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُـوَ العَزِيـزُ فَلَـنْ يُـرَامَ جَنَابُـهُ ... أَنَّىٰ يُـرَامُ جَنَـابُ ذِي السُّـلْطَانِ؟!

وَهُـوَ العَزِيـزُ القَاهِـرُ الغَـلَّابُ لَـمْ ... يَغْلِبْـهُ شَـيْءٌ هَـذِهِ صِفَتَـانِ

وَهُـوَ العَزِيـزُ بِقُـوةٍ هِـيَ وَصْفُـهُ ... فَالعِـزُّ حِينَئِـذٍ ثَـلاثُ مَعَـانِ

وَهِـيَ التِـي كَمُلَـتْ لَـهُ سُـبْحَانَهُ ... مِـنْ كُلِّ وَجْـهٍ عَـادِمِ النُّقْصَـانِ(٢)

اقتران اسم الله (العزيز) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

اقترن اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) بأسمائه سُبْحَانَهُ: الغفور، الغفار، الوهاب، المقتدر، العليم، القوي، الحكيم، الرحيم، الحميد.

أولًا: اقتران اسم الله (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور- الغفار):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه (الغفور- الغفار) في خمس مواضع من كتاب الله، في موضعين اقترن بالغفور، وفي ثلاث اقترن بالغفار، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٦].

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٤٩).

(٢) النونية، (ص: ٥٠٢).

وجه الاقتران:

أن الله عَزَّوَجَلَّ العزيز الغالب لكل شيء، قادر علىٰ أن يأخذ عباده بذنوبهم، ولكنه سُبْحَانَهُ غفور رحيم عن عزة وقدرة، لا عن ضعف وعجز؛ فهو كامل في عزته، وكامل في مغفرته .

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (الوهاب):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه الوهاب في قوله تَعَالَى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾[ص:٩] للدلالة علىٰ أن تصرفه التام في صنوف العطاء المادي والمعنوي لا ينازعه فيه منازع، ولا يغالبه فيه مغالب، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، ولا ينوب عنه نائب، ولا يصل عطاء من معط إلىٰ معطًى إلا بإذنه سُبْحَانَهُ، فعزته متضمنة الإنعام علىٰ خلقه، والتفضل عليهم، وتفضله وإنعامه سُبْحَانَهُ صادران عن عزة وقدرة وغنًىٰ وتفضل، لا لجلب نفع أو دفع ضر.

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (المقتدر):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه المقتدر في قوله تَعَالَى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٤٢]، والعزيز الظاهر الذي لا يغلب أبدًا، والمقتدر الذي لا يعجزه شيء، واقترانهما فيه معنًىٰ زائد، وكمال آخر يفيد قوة الأخذ والعقاب.

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيزِ) باسمه سُبْحَانَهُ (العليمِ):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه (العليم) في خمس آيات من كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٨].

وجه الاقتران:

أن عزة الله وقهره وغلبته صادرة عن علم شامل وإحاطة تامه بكل شيء، فعزته تنفذ بعلم ومعرفة بمواطن الأمور وعواقبها، ليس كعزة وقوة المخلوق التي تنطلق في الغالب من الهوىٰ والظلم، لا من العلم والحكمة.

خامسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (القوي):

اقترن اسم الله (العزيز) باسمه (القوي) في سبع آيات، منها:

قوله تَعَالَى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وجه الاقتران:

أن في اجتماعهما معنىٰ زائد، وهو أن العزة التي يتضمنها اسم الله عَزَّوَجَلَّ (العزيز) هي عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، ووصف الله عَزَّوَجَلَّ بالقوة راجع إلىٰ كمال عزته.

سادسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العزيز) باسمه سُبْحَانَهُ (الحكيم):

تقدم بيانه في اسم الله الحكيم.

سابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ العزيز باسمه «الرحيم»:

تقدم بيانه في اسم الله «الرحيم».

ثامنًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ العزيز باسمه «الحميد»:

تقدم بيانه في اسم الله «الحميد».

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (العزيز):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (العزيز) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله العزيز الذي له العزة كلها: عزة القوة، والقهر، والغنىٰ والامتناع، قال تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠].

١- عزة القوة:

الله العزيز القوي الذي لا يعجزه شيء أراده، ولا يلحقه ضعف ولا نصب، ولا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر ولا يقدر عليه قادر، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

بعزته وقوته خلق المخلوقات وسخرها لما خلقها له، فجرت مذللة مسخرة بأمره، لا تتعدىٰ ما حده لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر منقادة لعزته، خاضعة لجلاله.

فخلق السموات والأرض في ست أيام مع عظمهما وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما، قال تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت:١٢][(١)].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص:٦٦٢، ٤٢٤).

وخلق الليل والنهار والشمس والقمر، وقدر ذلك كله علىٰ منوال عجيب لا اختلاف فيه ولا تعاكس، قال تعالَى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر:٥][1].

وخلق المتضادات التي أصلها واحد، ومادتها واحدة، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، قال تعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٧][2].

وبعزته وقوته تَبَارَكَ وَتَعَالَى أحيا الموتىٰ ويحيهم، قال تعالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

وبعزته وقوته غلب، ويغلب أعداءه ونصر، وينصر جنده، فلا ينفع أهل القوة قوتهم، ولا أهل العزة عزتهم، فتبارك القوي العزيز[3].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٧٧٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٨٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٦٦).

غلب أحزاب الكفر: قوم نوح ولوط، وعاد وثمود وأصحاب الأيكة وفرعون وجنده، وجعل في ذلك كله آية وعبرة، قال تَعَالَى بعد ذكر هلكهم: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:١٩٠، ١٩١].

وغلب اليهود وما دبروه من مكائد لقتل عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٧، ١٥٨].

وغلب جمع الأحزاب الذين تحزبوا علىٰ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تَعَالَى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٥ - ٢٧].

وبعزته وقوته ينصر أولياءه وإن ضعف عَددهم وعُدَدهم، وقوي عدد عدوهم وعدتهم، قال تَعَالَى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠][1].

٢- عزة القهر:

الله العزيز القاهر القهار الذي بعزته قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٥٤٠).

المخلوقات، ودانت له البريات، فلهج الحيوان الناطق منه والصامت مسبحًا بحمده، ومنزهًا له عما لا يليق بجلاله، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١][1].

وبعزته وقهره ينفذ حكمه وأمره في عباده، فيحكم بما يشاء ويقضي بما أراد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

وبعزته وقهره يعز من يشاء ويذل من يشاء، بلا معقب علىٰ حكمه، وبلا مجير عليه، وبلا راد لقضائه، فهو صاحب الأمر كله، الفعال لما يريد، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

أعز كتابه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] منيعًا من كل من أراد تحريفه أو تبديله، لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

كما أعزه بحججه وكماله وشموله، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فصار حجة

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٧٣٨).

الله علىٰ العالمين التي انقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدىٰ لهم يهتدون به إلىٰ أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة[1].

وأعز دينه وأهل طاعته، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وأذل الكفر وأهل معصيته، قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء:١٣٩][2].

وأذل أعداءه وقهرهم، فانتقم وينتقم منهم، لا يفوتونه ولا يعجزونه، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤١، ٤٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[آل عمران:٤]، وقال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[إبراهيم:٤٧].

٣-عزة الغنىٰ والامتناع:

الله العزيز الذي بعزته اغتنىٰ بذاته، فلا يحتاج إلىٰ ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلىٰ شيء مما يفتقرون إليه، قال تَعَالَى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات:٥٧].

وبعزته وتمام غناه ملك خزائن كل شيء، قال تَعَالَى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾[ص:٩] ويرزق منها من يشاء من عباده، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾[الشورىٰ:١٩].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨١)، وتفسير السعدي (ص: ٧٤٤، ٥٧٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢١٠).

وعزة الامتناع وهي التي بمعنىٰ الغنىٰ التام، والامتناع عن أن يضره أحد أو ينفعه، وفي الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي**»[1].

وغاية الأمر: أنه العزيز الذي كمل من كل وجه، فكان له من العزة ومن كل شيء أكمله وأتمه، وبرئ من كل نقص وسوء، قال تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[النحل:٦٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات:١٨٠] قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عز؛ فقهر كل شيء، واعتز عن كل سوء يصفونه به»[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العزيز الذي له العزة التامة، ومن تمام عزته: براءته عن كل سوء وشر وعيب؛ فإن ذلك ينافي العزة التامة»[3].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (العزيز) علىٰ التوحيد:

إذا تعرف العبد علىٰ اسم ربه العزيز وما يتضمنه من كمال القوة، والقهر، والغنىٰ والامتناع، وتيقن ذلك كله؛ علم أنه لا يستحق أحد كائنًا من كان أن يُعبد مع العزيز تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ إذ كيف يسوىٰ بين الفقير العاجز من جميع الوجوه بالغني القوي من جميع الوجوه، ومن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بالنافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٥٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٠٧).

(٣) شفاء العليل (ص: ٠٨١).

لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٣، ٧٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سبأ:٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦٢][1].

ثم إن هذا لازم عزته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فعزته تستلزم توحيده وحده لا شريك له؛ إذ الشركة تنافي كمال العزة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه العزة مستلزمة للوحدانية؛ إذ الشركة تنقص العزة، ومستلزمة لصفات الكمال؛ لأن الشركة تنافي كمال العزة، ومستلزمة لنفي أضدادها، ومستلزمة لنفي مماثلة غيره له في شيء منها»[2].

الأثر الثالث: الثقة بإعزاز العزيز دينه:

إذا آمن العبد أن ربه العزيز الذي بيده العزة، يعز من يشاء ويذل من يشاء، لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر، فليثق أن العزة والغلبة لدينه وأوليائه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] ولا تغرنه قوة الباطل وظهوره فإنه زاهق، كما قال تَعَالَى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

تحزبت الأحزاب في الخندق، واجتمعت جيوش الكفر للقضاء على الإسلام وأهله، ثم ماذا كان؟

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٤٥).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٢٤٢).

مات رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فارتدت جموع العرب ما خلا أهل مكة، والمدينة، والطائف، ثم ماذا كان؟[1]

دخل القرامطة المسجد الحرام وأخذوا الحجر الأسود، وقال قائلهم: أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل؟ ومكث عندهم اثنتين وعشرين سنة، ثم ماذا كان؟[2].

وفي أواخر القرن الخامس أخذ الفرنج بيت المقدس، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار، وتبروا ما علوا تتبيرًا، ثم ماذا كان؟[3].

وفي القرن السابع جاء التتار، فقتلوا حتىٰ صار لا يقال: كم قتلوا، بل كم أبقوا؟[4].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعظيم هذا الخطب الجسيم: «فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام، فيا ليت أمي لم تلدني، و يا ليتني مت قبل حدوثها، ثم حثني جماعة علىٰ تسطيرها، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمىٰ والمصيبة الكبرىٰ التي عقمت الدهور عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلقه الله إلىٰ

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢/ ١٠٢) وتاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٠٢)، والبداية والنهاية، ابن كثير (٦/ ١١٣).

(٢) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١١/ ٠٦١).

(٣) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٢١/ ٦٥١).

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٠١/ ٣٣٣)، تاريخ الإسلام، للذهبي (٤٤/ ٧٣)، البداية والنهاية، لابن كثير (٣١/ ٦٨).

الآن لم يبتلوا بمثلها؛ لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها، ومن أعظم ما يذكرون: فعل بخت نصر ببني إسرائيل بالبيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلىٰ ما خرب هؤلاء الملاعين؟! وما بنو إسرائيل بالنسبة إلىٰ ما قتلوا؟!»(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ متمًّا لكلام ابن الأثير: «ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلىٰ أن ينقرض العالم وتفنىٰ الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجال فإنه يبقي علىٰ من اتبعه ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا علىٰ أحد، بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون»،(٢) ثم ماذا كان؟

أعز الله دينه، فولىٰ الأحزاب، والمرتدون، والقرامطة، والفرنج وحتىٰ التتار ولم يبق إلا الإسلام، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال:٣٦] فلم تجد أموالهم، ولا أسلحتهم ولا قوتهم وجموعهم شيئًا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم علىٰ كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومعلن كلمته، ومظهر دينه علىٰ كل دين.

فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم، رأىٰ بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قُتل منهم أو مات، فإلىٰ الخزي الأبدي والعذاب السرمدي(٣).

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (١٠/ ٣٣٣).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١٣/ ٧٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥).

فعلىٰ المسلم أن يثق بأن العزة للإسلام وأهله، ولو بدا يومًا من الأيام ضعيفًا ذليلًا مقهورًا، فإن مصيره العزة والنصرة والغلبة.

وقد تتابعت النصوص في تقرير هذه الحقيقة[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠، ٢١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تميم الداري رضي الله عنه: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ[2] إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ**»، وكان تميم رضي الله عنه يقول: «قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجِزْيَةَ»[3].

والثقة بنصر الله وغلبته لدينه دأب رسل الله وأوليائه، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يلقىٰ في النار، فيقول واثقًا بربه: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فجاء النصر، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

---

(١) للاستزادة يراجع اسم الله «الناصر النصير».

(٢) المدر جمع مدرة، أي: اللبن بكسر الباء، الذي تتخذ منه بيوت المدن والقرىٰ.
والوبر: شعر الإبل الذي يتخذ منه ومن نحوه الخيام بيوتًا لسكان البوادي.
والمعنىٰ: أن دين الاسلام يبلغ جميع سكان الأمصار والقرىٰ والبوادي. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للساعاتي (١/ ٠٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٢٧١)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣).

وهذا موسىٰ الكليم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرعون بعدته وعتاده وراءه والبحر أمامه، فيقول واثقًا بنصرة الله: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]، فجاء النصر: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ [الشعراء:٦٣ - ٦٦].

وهذا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل الغار فارًّا من قريش، فيبلغون مبلغًا حتىٰ لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدمه لأبصره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه، فقال ثقة بالله: قال: «**يا أَبَا بكرٍ، ما ظَنُّكَ باثنينِ الله ثالِثُهُما**»[1]، فجاء نصر الله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

الأثر الرابع: محبة الله العزيز:

إذا تيقن العبد أن ربه العزيز الذي كمل في عزته، فاقترن معها: رحمته، وعفوه، ولطفه، وكرمه، وعلمه، وحكمته .. إلخ؛ ازداد حبًّا لربه وشوقًا إليه، لا سيما وأن القلوب فطرت علىٰ محبة من له صفات الكمال، وربنا العزيز لا أكمل منه ولا أجل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٦٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٨٣٢).

الأثر الخامس: دعاء الله والاستعاذة بعزته:

الله العزيز الذي شرع لعباده سؤاله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، وكان من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤال الله بأسمائه وصفاته، ومن ذلك: عزته التي سأل الله بها وعلم أمته سؤال الله بها، فجاء في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يقول: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(١)، وجاء في حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي، ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وِتْرًا**»(٢).

وأتىٰ عثمان بن أبي العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبه وجع كاد يهلكه، قال: فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ**». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ(٣).

فحري بالمسلم أن يسأل الله بعزته، ويتحرىٰ ما ورد عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك؛ فإنه أعظم الدعاء وأنفعه.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٨٣٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٧١٧٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٨٨٥٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٨٨٥٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٢٥٣)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٩٨٣)، حكم الألباني: صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٩٨٣).

الأثر السادس: الاتصاف بالعزة بالدين:

إذا علم العبد أن الله سُبْحَانَهُ العزيز الذي أعز دين الإسلام وأعز أهله فأرسل خير الرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبلاغه، وأنزل لبيانه كتابًا عزيزًا، ونصر أهله، ومكنهم حتىٰ بلغوا مشارق الأرض ومغاربها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾[النور:٥٥].

قاده ذلك لشعور بالعزة والأنفة، فاعتز بالدين وتمسك به في سفره وحضره أنىٰ كان، وأثمر في نفسه التعالي علىٰ الباطل وأهله، وعدم الاستكانة لهم.

وسيأتي في المحلق التالي تفصيل لذلك- بإذن الله-.



العزيز يحب العزة

في موضوع العزة سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف العزة:

العزة تنقسم إلىٰ قسمين:

١- عزة شرعية.

٢- عزة غير شرعية.

القسم الأول: العزة الشرعية:

هي العزة المرادة، ويقصد بها: العزة المرتبطة بالله تَعَالَىٰ ودينه، فيعتز المرء بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة، فلا يريق ماء وجهه، ولا يبذل عرضه فيما يدنسه، ويتحرر من رق الأهواء ومن ذل الطمع، لا يسير إلا وفق ما يمليه عليه إيمانه والحق الذي يحمله ويدعو إليه.

ومصدرها: الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، ولو لم توجد المقومات المادية؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، وقال لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما رأىٰ قوة وعزة ملأ فرعون، فأصابه شيء من الخوف أو التردد، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨] أعلىٰ بما معك من الإيمان، لا بعدتك وعتادك.

وهذه العزة- العزة بالإيمان- هي العزة الحقيقة الدائمة الباقية وكل عزة تستمد من غيرها فهي باطلة مكذوبة، وعاقبتها الذل، كما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نحن أمة أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»[1].

القسم الثاني: العزة غير شرعية:

وهي: الاعتزاز بغير الله ودينه، كالاعتزاز بالقبلية، والقومية، والعروبة، والجاه ونحو ذلك، وهذه العزة صورها متعددة، وقد جاءت النصوص بشيء منها، وبينت أن عاقبتها الذل والهوان، ومن تلك الصور:

- الاعتزاز بالكفار وما يظهرونه من قوة، قال تَعَالَى عن المنافقين: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء:١٣٨، ١٣٩].

- الاعتزاز بالآباء والأجداد والقبيلة، قال تَعَالَى عن قوم شعيب: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[هود:٩١، ٩٢].

- الاعتزاز بالمال، قال تَعَالَى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف:٤٣] فكان عاقبته الذل والندامة، قال تَعَالَى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف:٢٤، ٣٤].

---

(١) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (٧٠٢)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٤٦١).

- الاعتزاز بالجاه والسلطان، قال تَعَالَى عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:١٥] فكانت نتيجة هذه العزة: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥٥، ٦٥].

ثانيًا: مظاهر العزة الشرعية:

مظاهر هذه العزة عديدة، ومنها:

١- التمسك بالدين والثبات عليه ولو قل السالكون؛ فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ»[1].

٢- قول الحق وفعله من غير أن يخشىٰ في الله لومة لائم، قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

٣- إظهار شعائر الله من غير حياء ولا خجل، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، ولا شك أن من تعظيمها القيام بها علىٰ أتم وجه من غير شعور بخجل أو حياء.

٤- التحدث باللغة العربية؛ إذ هي مظهر من مظاهر الدين وشعائره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٤١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٩١٥).

٥-الدعوة للإسلام والتمسك به، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥].

٦-ترك مشابهة الكفار في الظاهر والباطن، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ محذرًا من ذلك: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١).

٧-عدم الخضوع والذلة للباطل وأهله، حتىٰ حال الهزيمة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩]، وقال أبناء عامر بن صعصعة لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، حينما كان يعرض نفسه علىٰ القبائل في بداية الدعوة: نبايعك علىٰ أن تجعل لنا الملك من بعدك، فقال لهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**الأَمْرُ إِلَىٰ اللهِ، يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»(٢).

ولم يُذَلَّ المسلمون في أُحُد رغم انهزامهم، بل أظهروا العزة والقوة، فهذا أبو سفيان يقول: «أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ . قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **أَلَا تُجِيبُوا لَهُ** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ؟

---

(١) أخرجه أحمد (٩٠٢٥)، وأبو داود (١٣٠٤)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٣٠٤).

(٢) ينظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري (ص: ٨١١).

قَالَ: قُولُوا: اللهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ. قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّىٰ وَلَا عُزَّىٰ لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا تُجِيبُوا لَهُ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ ؟ قَالَ: قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ»[١].

ثالثًا: وسائل تحقيق العزة:

الله العزيز الذي بيده العزة، يهبها من يشاء وينزعها ممن يشاء، وقد جعل لها سُبْحَانَهُ أسبابًا، يستطيع المرء من خلالها تحصيلها بإذن الله، منها:

١- الإيمان بالله وطاعته، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر:١٠]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلا في طاعته، وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك»[٢].

وعلىٰ قدر الإيمان والطاعة تكون العزة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «للعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان، وقال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]، فله من العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظ من العلو والعزة، ففي مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا»[٣].

وقد نص الله في كتابه علىٰ وسائل تحصيل العزة، فقال تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٣٠٣).

(٢) الداء والدواء (١/ ١٤٦).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٨١).

[فاطر:١٠]: «أي: يا من يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله تَعَالَى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب»[1].

٢- الإيمان باليوم الآخر، وذلك أن العبد إذا تيق فناء الدنيا لم يذل نفسه لأجل تحصيل متاعها، ولم يتحسر علىٰ فواتها، ولا يحزن علىٰ فراق لذاتها، قال تَعَالَى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩].

٣- العلم الشرعي الصحيح؛ قال تَعَالَى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة:١١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة مالا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرهما، فالعلم يزيد الشريف شرفًا، ويرفع العبد المملوك حتىٰ يجلسه مجالس الملوك ... قال أبو العالية: كنت آتي ابن عباس وهو علىٰ سريره وحوله قريش، فيأخذ بيدي، فيجلسني معه علىٰ السرير، فتغامز بي قريش، ففطن لهم ابن عباس، فقال: كذا هذا العلم، يزيد الشريف شرفًا، ويجلس المملوك علىٰ الأسرة»[2].

كتاب الله عَزَّوَجَلَّ علمًا وعملًا وتلاوة وحفظًا؛ فعن أبي الطفيل **عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ - وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَىٰ مَكَّةَ - فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِ الْوَادِي ؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَىٰ قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَىٰ ؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا . قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى، قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ**

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٨٦)

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٦١- ٥٦١).

اللهِ عَزَّوَجَلَّ **وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ . قَالَ عُمَرُ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[1].

٤- الجهاد في سبيل الله بشروطه؛ فإن تركه سبب للذلة، كما جاء في الحديث عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»[2].

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقد جعله الله سببًا لعزة الأمة وتكريمها، قال تَعَالَىٰ: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ**﴾[آل عمران: ١١٠].

٦- العفو مع القدرة علىٰ الانتقام ممن اعتدىٰ عليه عليه وأخطأ في حقه.

٧- التواضع وعدم التعالي والكبر.

فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ**»[3].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**(وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا)** فيه- أيضًا- وجهان، أحدهما: أنه علىٰ ظاهره، وأن من عرف بالعفو والصفح ساد عظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧١٨).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٦٤٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٢٦٤٣).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨٨٥٢).

قوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ**» فيه أيضًا وجهان، أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني: أن المراد: ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا، قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة، وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة»[1].

٨- الصبر على الظلم ولو كان فيه ذل له؛ فعن أبي كبشة الأنماري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه سمع رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا، إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ، إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**»[2].

٩- الاستغناء عن الناس وترك سؤالهم؛ قال تعالَى: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقرة:٢٧٣] وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: **جَاءَ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ **إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ « ثُمَّ قَالَ: « يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**»[3].

وقد ربى رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصحابه على ذلك؛ فقال لأبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا**» قلت: نعم، قال: «**وَلَا سَوْطَكَ إِنْ سَقَطَ مِنْكَ،**

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦١/ ١٤١).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٥٢٣٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٥٢٣٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث: (٦١٠٨)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٣٧).

حَتَّىٰ تَنْزِلَ إِلَيْهِ فَتَأْخُذَهُ»[1] وعن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله: «**مَنْ يَكْفُل لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، فَأَتَكَفَّل لَهُ بالجَنَّةِ**؟ فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا»[2]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ سِوَاكٍ**»[3].

وذلك كله؛ لأن السؤال فيه ذلة، والمسلم مطالب بالعزة؛ فعن سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ**[4] **يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا**»[5]، فسائل الناس يسعىٰ بسؤاله إلىٰ ذهاب عرضه وإراقة ماء وجه وذله، ومن أراد بقاء عزه وماء وجهه ترك السؤال وتعفف وسيغنيه الله[6].

١١- سؤال الله العزة والتعلق به في تحصيلها دون خلقه؛ فإن العزة جميعها ملك لله، وليس شيء منها عند أحد سواه، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، فمن أرادها طلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره، فالخلق كلهم ليسوا مصدرًا للعزة، ولا يملكون أن يعطوها

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٠٩١٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٧٠٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٤٦١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٤٦١).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب، رقم الحديث: (١٥٢٣)، والبزار (٤٢٨٤-البحر الزخار). حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: ٧٤٩.

(٤) كدوح من الكدح، بمعنىٰ: الجرح أو هي آثار الخموش. عون المعبود وحاشية ابن القيم (٥/ ٤٣).

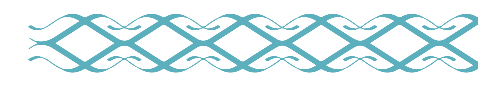
(٥) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٩٣٦١)، حكم الألباني: صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٩٣٦١).

(٦) ينظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم، (٥/ ٤٣).

أحدًا أو يمنعوها، وإن كانت لهم قوة فمصدرها الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كانت لهم منعة فواهبها الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف بعد هذا يتوجه إلىٰ الآخذ المستمد لها من الله وهم مثله طلاب محاويج ضعاف؟!

إلهنا، لا إله إلا أنت العزيز الحكيم، تعز من من تشاء وتذل من تشاء، أعزنا يا عزيز بدينك.





الفهرس





الجزء الثاني

تأليف:

أ.د. نوال بنت عبدالعزيز العيد

شارك في الإعداد والإخراج فريق علمي بإدارة:

أ. وفاء بنت محسن التركي

ح شركة إثراء المعرفة، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العيد، نوال بنت عبدالعزيز
موسوعة شرح أسماء الله الحسنى./ نوال بنت عبدالعزيز العيد.
- الرياض، ١٤٤١هـ
٣مج.
ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٣-٣٨٩٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)
١- الأسماء والصفات أ. العنوان
ديوي ٢٤١ ١٤٤١/٨١٩٠

رقم الإيداع: ١٤٤١/٨١٩٠
ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٣-٣٨٩٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ

حقوق الطبع محفوظة



العظيمُ جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عظم الشيء عظمًا: كبر، فهو عظيم، والعُظَام بالضم مثله، وعظم الشيء: أكثره ومعظمه»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(عظم) العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل علىٰ كبر وقوة، فالعظم: مصدر الشيء العظيم، تقول: عظم يعظم عظمًا، وعظمته أنا، فإذا عظم في عينيك قلت: أعظمته واستعظمته، ومعظم الشيء: أكثره»[2].

ورود اسم الله (العظيمِ) في القرآن الكريم:

ورد اسم (العظيمِ) تسع مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٤].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦].

---

(١) الصحاح (٥/ ٢٦٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٢٨٩).

ورود اسم الله (العظيمِ) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (العظيمِ) في السنة النبوية، ومن وروده مايلي:

١- عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ . فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ . ثُمَّ مَضَىٰ . فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ! فَمَضَىٰ فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا ! ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا. يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ . ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ...**»[1].

٢- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: «كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يدعو عند الكرب، يقول: **لا إِلَهَ إِلَّا الله الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**»[2].

٣- وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ**»[3].

معنى اسم الله (العظيمِ) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «قالوا: فقوله (العظيم) معناه: المعظم الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه.... وقال آخرون: بل تأويل قوله: (العظيم) هو أن له عظمة هي له صفة، وقالوا: لا نصف عظمته بكيفية، ولكنا نضيف ذلك إليه من جهة الإثبات،... وقال آخرون: بل قوله: إنه (العظيم) وصف منه نفسه

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٦).

بالعظم، وقالوا: كل ما دونه من خلقه فبمعنىٰ الصغر؛ لصغرهم عن عظمته»[1].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العظيم): ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه»[2].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العظيم هو ذو العظمة والجلال، ومعنىٰ العظم في هذا منصرف إلىٰ عظم الشأن، وجلالة القدر»[3].

❁ **قال الأصبهاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العظمة صفة من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يقوم لها خلق، والله تَعَالَىٰ خلق بين الخلق عظمةً يعظم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس من يعظَّم لمال، ومنهم من يعظَّم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظَّم بمعنىٰ دون معنىٰ، والله عَزَّوَجَلَّ يعظَّم في الأحوال كلها»[4].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العظيم) هو الذي جاوز قدره تَعَالَىٰ حدود العقول، حتىٰ لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته»[5].

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العظيم) الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة؛ فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم»[6].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤٠٦).

(٢) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي (ص: ١١١- ١١٢).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٦٤).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤١).

(٥) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٥٩).

(٦) الحق الواضح المبين (ص: ٢٧- ٢٨).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُــوَ العَظِيــمُ بِــكُلِّ مَعْنىً يُوجِــبُ التَّـ ـــعْظِيمَ لَا يُــحْصِيهِ مِــنْ إِنْسَــانِ(1)

اقتران اسم الله (العظيمِ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (العظيمِ) باسم الله (العليِّ):

وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وجه الاقتران:

وجه الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين: «أن لله عَزَّوَجَلَّ صفة كمال من اسمه (العلي)، وصفة كمال من اسمه (العظيم)، وصفة كمال ثالثة من اجتماعهما، فقد حاز العلو بكل أنواعه، وجمع العظمة بكل صورها، فهو عظيم في علوه، عال في عظمته سُبْحَانَهُ، ولعل تقديم اسم (العلي) علىٰ (العظيم) من تقديم السبب علىٰ المسبب؛ لأنه عَزَّوَجَلَّ عظم لعلوه علىٰ كل شيء»(2).

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العظيمِ) باسمه سُبْحَانَهُ (الحليمِ):

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم).

---

(١) النونية (ص: ٢٠٣).

(٢) طابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لنجلاء كردي (ص: ٤٧٤).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (العظيمِ):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (العظيم) من صفات الله تعالىٰ:

الله سُبْحَانَهُ هو العظيم في كل شيء، عظيم في ذاته وفي أسمائه وصفاته، عظيم في رحمته، عظيم في قدرته، عظيم في حكمته، عظيم في جبروته وكبريائه، عظيم في هبته وعطائه، عظيم في لطفه وخبرته، عظيم في بره وإحسانه، عظيم في عزته وعدله وحمده، فهو العظيم المطلق، فلا أحد يساويه، ولا عظيم يدانيه.

وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معلقًا علىٰ آية الكرسي**: «ففي آية الكرسي ذكر الحياة التي هي أصل جميع الصفات، وذكر معها قيوميته المقتضية لذاته وبقائه، وانتفاء الآفات جميعها عنه من النوم والسنة والعجز وغيرها، ثم ذكر كمال ملكه، ثم عقبه بذكر وحدانيته في ملكه، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلىٰ علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه.

ثم ذكر سعة كرسيه، منبهًا به علىٰ سعته سُبْحَانَهُ وعظمته وعلوه، وذلك توطئة بين يدي ذكر علوه وعظمته، ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعالم العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب، ثم ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين الدالين علىٰ علو ذاته وعظمته في نفسه»(١).

وتقوم معاني التعظيم الثابتة لله وحده علىٰ نوعين، كالتالي:

«**أحدهما**: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة،

---

(١) صواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٤/ ١٣٧١).

ومن عظمته: أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة، كما قال ذلك ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيره.

وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر: ٤١].

وقال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

وفي المسند عنه صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**قال الله** عَزَّوَجَلَّ: **الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»[(١)].

فلله تَعَالَى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما[(٢)].

النوع الثاني من معاني عظمته تَعَالَى: أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظَّم كما يعظَّم الله؛ فيستحق جَلَّجَلَالُهُ من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم؛ وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

---

(١) خرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٤٨٣)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٠٩٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٠٩٠).

(٢) يأتي مزيد بيان عن عظمة الله في الأثر الثالث.

ومن تعظيمه: أن يُتقىٰ حق تُقاته؛ فيطاع فلا يُعصىٰ، ويُذكر فلا يُنسىٰ، ويُشكر فلا يُكفر، ومن تعظيمه: تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ومن تعظيمه: أن لا يعترض علىٰ شيء مما خلقه أو شرعه»[1].

- **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تَعَالَى عظيم، له كل وصف ومعنىٰ يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه، كما ينبغي له، ولا يحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده»[2].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (العظيم) علىٰ التوحيد:

توحيد الربوبية والألوهية:

من آمن باسم الله العظيم وحَّد ربه بألوهيته وربوبيته وعظمه، ونفي الشركاء والأنداد عنه سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، وكانت عبادته لله بالخشوع والخضوع لله، والاستكانة والتذلل لعظمته وجبروته ومحبته، وإفراده وحده بالعبادة؛ ولذا شرعت الصلاة التي من أولها لآخرها تعظيمًا لله تَعَالَى وخضوعًا لعظمته، وإفراده وحده بالعبادة.

ويصف الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الركوع في الصلاة، فيقول: «ثم يرجع جاثيًا له ظهره خضوعًا لعظمته؛ وتذللًا لعزته؛ واستكانة لجبروته، مسبحًا له

---

(١) حق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٢٧- ٢٨).

(٢) المرجع السابق.

بذكر اسمه (العظيم)، فنزه عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه، وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع، قد تطامن وطأطأ رأسه وطوىٰ ظهره، وربه فوقه يرىٰ خضوعه وذله؛ ويسمع كلامه، فهو ركن تعظيم وإجلال، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ** عَزَّوَجَلَّ»[1]»[2].

توحيد الأسماء والصفات:

إن اسم الله (العظيم) يدل باللزوم علىٰ الحياة والقيومية والسيادة والصمدية، والعزة والأحدية، وانتفاء الشبيه والمثلية، وكذلك يدل علىٰ السمع والبصر، والعلم والحكمة، والمشيئة والقدرة، وغير ذلك من صفات الكمال.

فهو سُبْحَانَهُ العظيم الواسع الكبير في ذاته وصفاته، الذي جاوز قدره حدود الإدراك والخيال والعقل؛ لجلالته وعظمته، يقول تَعَالَىٰ في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١] ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، فإذا كان عرشهسُبْحَانَهُ قد وصفه بالعظمة، وخصه بالإضافة إليه والاستواء عليه، فكيف بعظمة من استوىٰ عليه وعلا فوقه سُبْحَانَهُ.

ومن نفىٰ عنه سُبْحَانَهُ صفاته أو أولها أو فوض معانيها؛ بدعوىٰ أن إثباتها يوهم تشبيهه بالمخلوقين؛ فقد ضل ضلالًا مبينًا، ولم يعظم ربه سُبْحَانَهُ.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٧٩).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٦٣٠).

الأثر الثالث: تعظيم ما أمر الله بتعظيمه:

وتعظيم الله تَعَالَى يكون بتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعظيم كل ما أمر العظيم بتعظيمه، ومن ذلك:

١- تعظيم أسماء الله وصفاته:

وقد وردت نصوص كثيرة تدل علىٰ عظم ذات الله تَعَالَى، منها: ما ورد عند ابن حبان من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ الْحَلْقَةِ**»[1].

وتعظيم أسمائه وصفاته، يكون علىٰ نحوين:

أولًا: تعظيم الله في باب الخبر- كالصفات وسائر الغيبيات-: وذلك باثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولاتكييف ولا تمثيل، يقول تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقد أمر سُبْحَانَهُ بتقديسه باسمه (العظيم)، يقول تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤].

ثانيًا: تعظيم الله في باب الأمر: وذلك بطاعته عن محبة وتعظيم، والإكثار من ذكره؛ ابتغاء مرضاته، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١- ٤٢] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [آل عمران:٤١].

---

(١) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٣٦١)، حكم الألباني: ضعيف جدًّا، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٣٦٢).

٢- تعظيم كتابه العظيم:

فإنَّ تعظيمَ كلام الله تعظيمٌ لله تَعَالَىٰ، وقد عظم الله القرآن بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، يقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع المسلمون علىٰ وجوب تعظيم القرآن العزيز علىٰ الإطلاق وتنزيهه وصيانته»[١].

والمعظمون لكتاب الله هم الذين يقيمون حروفه وحدوده، بالانقياد والتسليم، والتلاوة والعمل والتعليم، وحسن الاستماع والانصات له، يقول تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وللمعظمين لكتاب الله تَعَالَىٰ قصص عظمىٰ، ومواقف تروىٰ، فقد كانوا يمتثلون أمره، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا، ومن أروع القصص في هذا ماروا ه جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةَ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أَنْ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّىٰ أُهَرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا؟ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: كُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَىٰ فَمِ الشِّعْبِ اضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ، وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، وَأَتَىٰ الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَىٰ شَخْصَهُ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةٌ لِلْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ، حَتَّىٰ رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ

(١) التبيان في آداب القرآن (ص١٦٤).

أَسْهُمٍ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ انْتَبَهَ صَاحِبُهُ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ هَرَبَ، فَلَمَّا رَأَىٰ الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدِّمَاءِ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَلَا أَنْبَهْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَىٰ؟ قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا»[1].

ومما يروىٰ عن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنه** «كان ذات يوم يصلي فلسعه الزنبور سبع عشرة مرةً، فلما قضىٰ صلاته قال: انظروا أي شيء هذا الذي آذاني في صلاتي، فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعًا، ولم يقطع صلاته. وقال مرة: كنت في آية فأحببت أن أتمها»[2].

٣- تعظيم نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الذي شهد له ربه بقوله تعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وتعظيمه يكون بالاتباع والطاعة والنصرة له ومحبته، وذكر مناقبه والتعرف علىٰ سيرته، واعتقاد أنه لا سبيل يقرب إلىٰ الله، وتنال به مرضاته إلا السلوك خلفه، واقتفاء أثره وسنته، قال تعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨-٩].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: «﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعزروا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٤٩٣٠)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٩٨)، حكم الألباني: حسن، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (١٩٨).

(٢) نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إشراف: صالح بن حميد (٣/ ١٠٤٣).

وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها»[1].

ولا يؤمن أحد حتىٰ يكون النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين.

أما الغلو والمبالغة في التعظيم فهو مما نهىٰ عنه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حمايةً لجناب التوحيد، فقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ الله، وَرَسُولُهُ**»[2].

٤- تعظيم حرمات الله تعالىٰ:

فمن عظم الله تَعَالَىٰ سارع إلىٰ مرضاته، وغار علىٰ حرماته، وأدىٰ الواجبات، وأقبل في الخيرات، حتىٰ تصبح المباحات لديه طاعات وقربات، تشهد بتوحيده لله وعبوديته وتعظيمه ومحبته، يقول تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن تعظيم أوامر الله** تَعَالَىٰ **ومناهيه:** «تعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الآمر والناهي؛ فإن الله تَعَالَىٰ ذم من لا يعظم أمره ونهيه، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، قالوا- في تفسيرها-: ما لكم لا تخافون لله تَعَالَىٰ عظمة... وأول مراتب تعظيم الحق

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٤٥).

عَزَّوَجَلَّ: تعظيم أمره ونهيه... وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عَزَّوَجَلَّ واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تَعَالَى ونهيه دالًّا علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق، وصحة العقيدة، والبراءة من النفاق؛ فإن الرجل قد يتعاطىٰ فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع علىٰ المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي، ولا تعظيم الآمر والناهي.

ومن علامات التعظيم للأوامر: رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص علىٰ تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها؛ كمن يحزن علىٰ فوت الجماعة، ويعلم أنه لو تُقُبِّلَت منه صلاته منفردًا؛ فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا، ولو أن رجلًا يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون دينارًا لأكل يديه ندمًا وأسفًا، فكيف وكل ضِعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف، وألف ألف، وما شاء الله تَعَالَى، فإذا فوت العبد عليه هذا الربح قطعًا، وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تَعَالَى في قلبه.

وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله تَعَالَى، أو فاته الصف الأول، وكذلك فوت الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها.

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرىٰ، فتفاضل الأعمال

عند الله تَعَالَى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان، والإخلاص، والمحبة، وتوابعها.

وأما علامات تعظيم المناهي: فالحرص علىٰ التباعد من مظانها وأسبابها، وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها؛ كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، ومجانبة من يجاهر بارتكابها، ويحسنها، ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي بما ارتكب منها؛ فإن مخالطة مثل هذا داعية إلىٰ سخط الله تَعَالَى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تَعَالَى وحرماته.

ومن علامات تعظيم النهي: أن يغضب لله عَزَّوَجَلَّ إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وحسرةً إذا عُصي الله تَعَالَى في أرضه، ولم يضطلع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك.

ومن العلامات أيضًا: أن لا يسترسل مع الرخصة إلىٰ حد يكون صاحبه جافيًا غير مستقيم علىٰ المنهج الوسط؛ مثال: ذلك أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخص الجافي أن يبرد إلىٰ فوات الوقت أو مقاربة خروجه؛ فيكون مترخصًا جافيًا.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي: أن لا يعارَضا بترخص جاف، ولا يعرضا لتشديد غال؛ فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بسالكه.

وما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان؛ إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين.

كذلك من علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يحمل الأمر علىٰ علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، بل يسلم لأمر الله تَعَالَىٰ وحكمه، ممتثلًا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك علىٰ مزيد الانقياد والبذل والتسليم»[1].

فالمعظِّم الحقيقي لحرمات الله، لا ينظر لصغر المعصية، ولكن ينظر لعظمة من عصىٰ سُبْحَانَهُ، فإن القلب إن لم يؤمن بعظمة الله حقيقة لن يطيعه علىٰ الدوام، يقول تَعَالَىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٤].

٥- تعظيم بيوت الله:

وقد أقام الإسلام تعظيم بيوت الله، وصيانة حرمتها، وإبقاء قدسيتها علىٰ ثلاثة أركان:

١- **التقدير**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، كذلك يسن لمن دخل المسجد ألا يجلس مباشرة، بل يركع ركعتين، وبهذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ في قوله: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ**»[2].

٢- **التطهير**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

---

(١) انظر: الوابل الصيب (ص: ١٢- ٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٧١٤).

٣- **التعمير**، وقد وصف الله من يقوم بعمارة المسجد بالإيمان، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

الأثر الرابع: نماذج من تعظيم الأنبياء والصالحين لله العظيم سُبْحَانَهُ:

من تأمل في حال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، رأىٰ عظم تعظيمهم لله تَعَالَى، ومن ذلك:

- تأدب الأنبياء مع العظيم سُبْحَانَهُ في ألفاظهم، ومن ذلك: خطاب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢].

- يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في جمعه لمواضع تشمل الأدب مع الله في اللفظ: «فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلىٰ نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] وأما الخير، فأضافه إلىٰ الله تَعَالَى لقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢]، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، مع أن الكل بقضاء الله وقدره»[1].

- كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يغضب لنفسه أبدًا، وإنما يغضب بشدة إذا انتهكت حدود الله، وهذا واضح في قصة المرأة المخزومية التي سرقت واستشفع أسامة لها، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ**»!

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٨٢).

ثم قام فخطب، قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»[1]، وشواهد السنة كثيرة في ذلك.

- موقف صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما نزل تحريم الخمر فعن ثابت، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ. قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ»[2]

- قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن المؤمن يرىٰ ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرىٰ ذنوبه كذباب مر علىٰ أنفه، فقال به، وأشار بيده هكذا»[3].

- قول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا»[4]، وما كان إلا توقيرًا لاسم الله تَعَالَى.

اللهم اجعلنا ممن عظمك حق تعظيمك، وتب علينا واغفر لنا.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٧٨٨) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٦٤) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٩٨٠).

(٣) الداء والدواء، لابن القيم (ص: ٥٨).

(٤) طبقات الشافعيين، لابن كثير (ص: ٢٢).

الأثر الخامس: محبة الله العظيم:

إن الإيمان بعظمة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وعظيم قدرته يدفع المسلم لمحبة ربه؛ فهو العظيم في نفسه، والعظيم في أفعاله، والعظيم في جماله، والعظيم في جلاله.

وهذا الحب هو في ذاته تعظيم لله جَلَّ وَعَلَا، فكلما زاد حب العبد لربه تَعَالَىٰ، زاد تعظيمه، وتعظيم شرعه الحنيف.

الأثر السادس: دعاء الله تَعَالَىٰ باسمه العظيم:

وفي السنة شواهد ودلائل كثيرة علىٰ دعاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ربه باسمه العظيم، ومن ذلك:

- في حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: «لم يكن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: **اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»[1].

- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: «كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يدعو عند الكرب يقول: **لاَ إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٨٧٧)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٧٤)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (١٠٣٢٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٧١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود،رقم الحديث: (٥٠٧٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

- وصح من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه كان إذا دخل المسجد قال: **أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[1].

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٦٦)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث: (٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٦٦).

العَفُوُّ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعفوت عن ذنبه، إذا تركته ولم تعاقبه، والعفُوُّ: الكثير العفو، وعفا الماء: إذا لم يطرقه شئ يكدره»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(عفو) العين والفاء والحرف المعتل أصلان يدل أحدهما علىٰ ترك الشيء، والآخر علىٰ طلبه، والعفو: عفو الله تَعَالَىٰ عن خلقه، وذلك تركه إياهم فلا يعاقبهم، فضلًا منه، قال الخليل: وكل من استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه»(٢).

ورود اسم الله (العفو) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (العفو) في القرآن الكريم في خمس آيات، ومن وروده ما يلي:

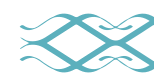
١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴾ [النساء:٩٩].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩].

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٨٣).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٥٦).



٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

ورود اسم الله (العفو) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (العفو) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: تَقُولِينَ: **اللهمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[1].

٢- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ قُطِعَ فِي الْإِسْلَامِ، أَوْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ أُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا سَرَقَ، فَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَادًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيْ: يَقُولُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: **وَمَا يَمْنَعُنِي؟ وَأَنْتُمْ أَعْوَانُ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ، وَاللهُ** عَزَّوَجَلَّ **عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ، وَلَا يَنْبَغِي لِوَالِي أَمْرٍ أَنْ يُؤْتَىٰ بِحَدٍّ إِلَّا أَقَامَهُ**، ثم قرأ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]»[2].

معنى اسم الله (العفو):

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]-: «إن الله لم يزل عفوًّا عن ذنوب عباده، وتركه العقوبة علىٰ كثير منها ما لم

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥١٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٠) واللفظ له، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٠٥٧)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٨٥٧٢)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٧٦٩٠). حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٣٨).

يشركوا به»[1].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العفو: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء»[2].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣]، أي: لم يزل كائنًا يقبل العفو وهو السهل، ويغفر الذنب، أي: يستر عقوبته فلا يعاقب»[3].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العفو: الغفور الغفار، الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران، والصفح عن عباده موصوفًا»[4].

❁ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهوَ العَفُوُّ فَعَفْوُهُ وَسِعَ الوَرَىٰ   لَوْلَاهُ غَارَ الأَرْضُ بِالسُّكَّانِ[5]

اقتران اسم الله (العفو) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (العفو) باسم الله (الغفور):

ورد ذلك في القرآن الكريم أربع مرات، ومن ذلك: قوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٩].

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٢٦).

(٢) شأن الدعاء (ص:٩٠).

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٢٤١).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦)

(٥) النونية (٢/ ٢٢٧).

فالله العفو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه؛ فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر[1].

قال الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتمثل الفرق بين العفو والغفران في أمور عديدة، أهمها:

- أن الغفران يقتضي إسقاط العقاب، ونيل الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يكون إلا في حق البارئ تَعَالَى؛ أما العفو فإنه يقتضي إسقاط اللوم والذم ولا يقتضي نيل الثواب، ويستعمل في العبد- أيضًا-.

- العفو قد يكون قبل العقوبة أو بعدها، أما الغفران؛ فإنه لا يكون معه عقوبة البتة، ولا يوصف بالعفو إلا القادر عليه.

- في العفو إسقاط للعقاب، وفي المغفرة ستر للذنب وصون من عذاب الخزي والفضيحة»[2].

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العفو) باسمه سُبْحَانَهُ (القدير):

جاء هذا الاقتران مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩].

وجه الاقتران:

«من المعلوم أن العفو الممدوح هو الذي يصدر مع القدرة علىٰ

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٩٧)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري (٢/ ٤٢١).

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي (ص: ٦٣٣).

الانتقام، وكماله لا يكون إلا من الله تَعَالَى الذي عفوه ومغفرته ناشئان عن قدرته وحكمته، لا عن عجز وضعف؛ ولذا قرن الله عَزَّوَجَلَّ بين عفوه وقدرته، فهو سُبْحَانَهُ كامل في عفوه، وكامل في قدرته، وكامل في عفوه مع مقدرته»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (العفو):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (العفو) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الله سُبْحَانَهُ هو صاحب العفو الشامل، الذي يسع ما يصدر عن العباد من الذنوب، لاسيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سُبْحَانَهُ يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

ومن مظاهر كمال عفوه سُبْحَانَهُ مايلي:

- **العفو عن المذنب**: فمهما أسرف العبد علىٰ نفسه، ثم تاب إلىٰ ربه ورجع، غفر له ربه جميع جرمه، يقول تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، ولولا كمال عفوه وسعة حلمه سُبْحَانَهُ ما ترك علىٰ ظهر الأرض من دابة تدب، ولا نفس تطرف، قال تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:٦١].

---

(١) ولله الأسماء الحسنىٰ، للجليل (ص: ٥٢٤).

- **العفو في الأحكام الشرعية للمحتاج:** فهو سُبْحَانَهُ وإن كان أوجب الوضوء لمن أراد الصلاة، إلا أنه عفا عمن لا يجد الماء أو لم يستطيع استعماله، وأباح له التيمم مراعاة لضعفه، ولو شاء لأعنته، وألزمه بالوضوء أبدًا، يقول تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣].

- **العفو في ستر عباده في الدنيا والآخرة:** فلايفضحهم في الدنيا، ويستر علىٰ كثير منهم في الآخرة، فيعرِّفهم بعض ذنوبهم، ثم يسترهم بغفرانه لها، بل ويبدلها حسنات، فَسُبْحَانَهُ ما أكرمه! وما أعظم عفوه وغفرانه! يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

فالله سُبْحَانَهُ بهذا الشمول الإلهي في عفوه قد أقام الحجة علىٰ عباده كلهم، فحري بهم أن يحسنوا عبادة ربهم، ويخلصوا توحيده سُبْحَانَهُ.

الأثر الثاني: الثقة بعفو الله وعدم تضييع أمره ونهيه:

فإن كون الله سُبْحَانَهُ عفو كريم غفور لا يعني أن يسرف العبد في الخطايا والذنوب، ويتجرأ علىٰ معصية الله تَعَالَى، بحجة أن الله عفو غفور رحيم؛ لأن المغفرة لا تكون إلا بشروطها وانتفاء موانعها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل:١١]، وهناك فرق كبير بين حسن الظن بالله والغرور.

وعن هذا المعنىٰ **يقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكثير من الجهال اعتمدوا علىٰ رحمة الله وعفوه وكرمه، وضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يُرد بأسُه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد علىٰ العفو مع الإصرار علىٰ الذنب فهو كالمعاند.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ... عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**، ثم تلا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]»[1].

وقال بعض السلف: «إذا رأيت الله يتابع عليك نعمه، وأنت مقيم علىٰ معاصيه فاحذره؛ فإنما هو استدراج منه يستدرجك به، وقد قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]. وقد رد سُبْحَانَهُ علىٰ من يظن هذا الظن بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧] أي: ليس كل من أنعمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمته، وليس كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته، بل ابتلي هذا بالنعم، وأكرم هذا بالابتلاء.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٥٨٤)، والطبراني في الأوسط، رقم الحديث (٩٢٧٢)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٤٢٢٠) حكم الألباني: إسناده جيد، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٥٢٠١).

وفي الحديث عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ**»[1]، وقال بعض السلف: رب مُستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم، ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم، ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم»[2].

الأثر الثالث: الحرص علىٰ تحصيل ثواب العفو وفضله:

للعافين عن الناس ثواب عظيم في الدنيا والآخرة، ومن ذلك مايلي:

أولًا: ثواب الدنيا، ومنه:

- **تحقيق الامتثال لأمر الله تعالىٰ**، فقد أمر بالعفو علىٰ سبيل العموم في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]

بل وأمر نبيه بالعفو مع أهل الخيانة والغدر، فكيف بالعفو!!!؟ وأخبره أنه يحب أهل الإحسان، يقول تعالى عن بني إسرائيل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣]

- **محبة الله للعفو**، ففي الحديث: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٧٤٦)، ومسند البزار (٢٠٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦٦)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (١٦٢٥).

(٢) ينظر: الداء والدواء، لابن القيم (ص: ٧٤- ٧٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٠)، حكم الألباني: صحيح، رقم الحديث: (٣٨٥٠).

- **انقلاب العدو لولي حميم**، يقول تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦]

- **نيل العزة**، ففي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: **لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»(١)، في الحديث: «**ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا**»(٢).

ثانيًا: ثواب الآخرة:

- **أجر العافين على الله**: يقول تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ومن أحب أن يعفو الله عنه عفا عن خلقه، يقول تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وقد كان سبب نزولها: ما رواه البخاري أن مِسطَح بن أُثاثة تكلم مع من تكلم في عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في حادثة الإفك، فلما أنزل الله براءة عائشة، قَالَتْ: فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لَا يَنْفَعَ مِسْطَحًا بِنَافِعَةٍ أَبَدًا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٣١٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥).

﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور:٢٢]، يعني: أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ﴿وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ [النور:٢٢] يعني: مسطحًا، إلىٰ قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلَىٰ وَاللهِ يَا رَبَّنَا، إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا، وَعَادَ لَهُ بِمَا كَانَ يَصْنَعُ[1].

- **نيل المغفرة والجنة**: يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الأثر الرابع: محبة الله العَفُو:

من علم أن الله عفو غفور رحيم أثمر في قلبه محبته تَعَالَىٰ، والتوقي عن معصيته بقدر الطاقة، وإذا زلت القدم ووقع المؤمن في الذنب فإنه يتذكر أن الله عفو يحب العفو، فيسري الرجاء في قلبه، ويقطع الطريق علىٰ اليأس من رحمة الله تَعَالَىٰ، ويحسن الظن بربه الذي يعفو عن المسيئين، ويغفر الذنوب جميعًا.

الأثر الخامس: اتصاف العبد بالعفو:

العفو والتجاوز لا يقتضي الذلة والضعف، بل إنه قمة الشجاعة والامتنان وغلبة الهوىٰ، لا سيما إذا كان العفو عند المقدرة علىٰ الانتصار.

وقد بوب البخاري في صحيحه بابًا عن الانتصار من الظالم؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورىٰ:٣٩]، وذكر عن إبراهيم النخعي

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٥٧).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُسْتَذَلُّوا فَإِذَا قَدَرُوا عَفَوْا»[1]، قال الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «لو أن رجلًا شتمني في أذني هذه، واعتذر في أذني الأخرىٰ، لقبلت عذره»[2].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ ؟ فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ إِلَيْهِ الْكَلَامَ، فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: **اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[3].

وقال جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن أندم علىٰ العفو عشرين مرة، أحب إلي من أندم علىٰ العقوبة مرة واحدة»[4].

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا، فقل: يا أخي، اعف عنه؛ فإن العفو أقرب للتقوىٰ، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله عَزَّوَجَلَّ، فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فارجع إلىٰ باب العفو؛ فإنه باب واسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره علىٰ الله، وصاحب العفو ينام علىٰ فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور؛ لأن الفتوة هي العفو عن الإخوان»[5].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٩).

(٢) الآداب الشرعية، ابن مفلح (١/ ٣١٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٠٠٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥١٦٤)، والترمذي، رقم الحديث: (١٩٤٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥١٦٤).

(٤) أدب المجالسة، لابن عبد البر (ص: ١١٦).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٠).

ولنا في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أسوة حسنة**، ومن تأمل في السيرة النبوية وجدها مليئة بنماذج، يتجلىٰ فيها عفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يتعلق بحق نفسه، ولا يغضب من أجلها، **ومن هذه النماذج:**

- عفوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رجل قد هم بقتله، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: **اللهُ**، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟** قَالَ: كُنْ **كَخَيْرِ آخِذٍ**، قَالَ: **أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟** قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ فَخَلَّىٰ سَبِيلَهُ قَالَ: فَذَهَبَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ»[1].

- عفوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن امرأة يهودية، تضع سمًّا في طعامه، وعندما أصيب النبي بهذا السم نهىٰ عن قتلها، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ **مَسْمُومَةٍ** فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا، فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: لَا . فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

- عفوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قاتل عمه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ قَتْلَىٰ أُحُدٍ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَىٰ مَنْظَرًا أَسَاءَهُ ؛ رَأَىٰ حَمْزَةَ قَدْ شُقَّ بَطْنُهُ، وَاصْطُلِمَ أَنْفُهُ، وَجُدِعَتْ أُذُنَاهُ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥١٥٩)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (١٧٧٨)، وابن حبان، رقم الحديث: (٢٨٨٣)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٢٨٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٦١٧).

لَوْلَا أَنْ يَحْزَنَ النِّسَاءُ، أَوْ يَكُونَ سُنَّةً بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ، لَأُمَثِّلَنَّ مَكَانَهُ بِسَبْعِينَ رَجُلًا. ثُمَّ دَعَا بِبُرْدِهِ فَغَطَّىٰ بِهَا وَجْهَهُ، فَخَرَجَتْ رِجْلَاهُ، فَغَطَّىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ، وَجَعَلَ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْإِذْخِرِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِ عَشْرًا، ثُمَّ جَعَلَ يُجَاءُ بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ وَحَمْزَةُ مَكَانَهُ، حَتَّىٰ صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعِينَ صَلَاةً، وَكَانَ الْقَتْلَىٰ سَبْعِينَ، فَلَمَّا دُفِنُوا، وَفَرَغَ مِنْهُمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] إلىٰ قوله: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧] فَصَبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُمَثِّلْ بِأَحَدٍ»[1].

والمعروف أن الذي قتل حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو وحشي، فلما فتح رسول الله مكة هرب إلىٰ الطائف، فلما خرج وفد الطائف إلىٰ رسول الله ليعلنوا إسلامهم ضاقت علىٰ وحشي السبل، وبعد فترة قدم علىٰ رسول الله المدينة وكان قد أسلم، قال وحشي: فَلَمَّا رَآنِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَحْشِيٌّ**» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**اجْلِسْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ كَانَ قَتْلُكَ حَمْزَةَ**» فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمَا فَقَالَ: «**وَيْحَكَ غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ بِأَنْ لَا أَرَاكَ**» قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ كَانَ حَيًّا حَتَّىٰ قَبَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ»[2].

---

(١) أخرجه الدارقطني، رقم الحديث:، (٤٢٠٩)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، رقم الحديث: (٤٨٣)، وابن حبان، رقم الحديث: (٧٠١٧)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٢٩٤٧) والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٨٢٥٨)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٦٩٧٨)، وينظر: أسباب النزول، الواحدي (ص: ٥٦).

فهذا موقف يبين كيف كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكظم غيظه، فأي كظم للغيظ هذا؟ بل أي حلم وعفو هذا الذي يلقىٰ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل عمه الأثير وصديقه النصير، وشريكه في الجهاد، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادرًا علىٰ أن يثأر لعمه، بل كان كثير من الصحابة الكرام ينتظر إشارة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقتل بها وحشيًّا؛ ليشفي غيظ نبيه، لكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عفىٰ عنه ابتغاء وجه الله تَعَالَى، وفي هذا بيان لأمته أن تتعلم العفو والصفح الجميل.

- عفوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العفو الشامل العام في فتح مكة، عندما وقف مخاطبًا أهل مكة قائلًا: «**مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ**؟ قالوا: خيرًا؛ أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: **أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ**: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] **اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»[١].

نماذج من تخلق السلف الصالح بخلق العفو:

- **أبو بكر الصديق** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كان يحسن إلىٰ مسطح الذي مس ابنته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في عرضها، عندها أوقف الصديق المعونة عنه، فجاء العتاب الإلهي، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]، فكان الصديق يقرأ هذه الآية ويبكي، يقول: بلىٰ، أحب أن يغفر الله لي، وعاد علىٰ مسطح بالمساعدة![٢].

(١) زاد المعاد، ابن القيم (٣/ ٣٥٩).

(٢) سبق تخريجه.

- **أم المؤمنين صفية بنت حيي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «روينا أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب، فقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها، فقالت: أما السبت، فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة؛ وأما اليهود، فإن لي فيهم رحمًا، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك علىٰ ما صنعت؟ قالت: الشيطان: قالت: فاذهبي، فأنت حرة»[1].

ومن الأمور المعينة لتربية النفس علىٰ العفو عن الناس ما يلي:

- **تنقية القلب من شوائب الحقد والحسد، أو الغل علىٰ المسلمين**، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَىٰ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّىٰ تَمْضِيَ فَعَلْتَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيَ الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّىٰ يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ. قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ

---

(١) الاستيعاب علىٰ هامش الإصابة، لابن عبد البر (٤/ ٢٠٢).

لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ [٣]، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَىٰ خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ»[١].

- **استشعار الحاجة لعفو الله ورحمته ومغفرته**، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك: «اعلم أن لك ذنوبًا بينك وبين الله تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها، ويغفرها لك، ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر علىٰ مجرد العفو والمسامحة حتىٰ ينعم عليك ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك، فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك، جزاء وفاقًا، فانتقم بعد ذلك أو اعفُ، وأحسن أو اترك، فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يُفعل معك، فمن تصور هذا المعنىٰ وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلىٰ من أساء إليه، هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي شكىٰ إليه قرابته وأنه يحسن

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٨٩٤)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦٣٣)، وعبد الرزاق في المصنف، رقم الحديث: (٢٠٥٥٩)، ومسند البزار (٦٣٠٨)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٦١٨١)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٧٢٨).

إليهم وهم يسيئون إليه، فقال: **(لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُم المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ)**[1]».

- **قطع طريق الشيطان في الاسترسال باستدعاء تفاصيل خطأ من ظلم،** فإن الاسترسال يؤجج نار العداوة، ويضرب القلوب بعضها ببعض؛ ولذا جاءت آية العفو مقرونة بالأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، يقول تعالَى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠].

بل يأتي الأمر الإلهي باختيار أحسن الكلام عند مخاطبة الناس؛ حتى لا يترك للشيطان فرصة للإفساد، يقول تعالَى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾ [الإسراء:٥٣]، ويقول تعالَى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٦].

- **العفو عن المسيء والدعاء له:** وذلك تأسيًا برسل الله الكرام، فهذا يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ألقاه أخوته في البئر، وقال تعَالَى عنهم: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ ﴾ [يوسف:٧٧]، فكان رد يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عندما اقتدر ودخلوا عليه في ملكه: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف:٩٢]، فابتدأ كلامه بنفي التعيير والتوبيخ، ثم دعا لهم.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٨).

وفي الصحيحين حكاية رسول الله عن نبي من الأنبياء، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ **فَأَدْمَوْهُ** وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: **اللهمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»(١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في ذلك: «وتأمل حال النبي الذي حكىٰ عنه نبينا أنه ضربه قومه حتىٰ أدموه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان: قابل بها إساءتهم العظيمة إليه، أحدها: عفوه عنهم، والثاني: استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه»(٢).

- **بذل الهدية والعطية**، يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**تَهَادُوا؛ فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ**»(٣).

- **صيام ثلاثة أيام من كل شهر**، فهي كفيلة بغسل قلب المؤمن، يقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٧٧) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٧٩٢).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢١٣٠)، حكم الألباني: ضعيف لكن الشطر الثاني منه صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢١٣٠).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣٥٣٩)، والطيالسي، رقم الحديث: (٤٨٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٣٨٠٤).

ومما تجدر الإشارة إليه: أن المؤمن مكلف بالعفو مع الإصلاح، يقول تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى:٣٩-٤٠].

ومن فضل الله وسعة كرمه: أنه لم يلزم عباده بالعفو عمن أساء إليهم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى:٣٩-٤١].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «فذكر المقامات الثلاثة: العدل وأباحه، والفضل وندب إليه، والظلم وحرمه، فإن قيل: فكيف مدحهم علىٰ الانتصار والعفو وهما متنافيان، قيل: لم يمدحهم علىٰ الاستيفاء والانتقام، وإنما مدحهم علىٰ الانتصار، وهو القدرة والقوة علىٰ استيفاء حقهم، فلما قدروا ندبهم إلىٰ العفو، قال بعض السلف في هذه الآية: كانوا يكرهون أن يستذلوا، فإذا قدروا عفوا، فمدحهم علىٰ عفو بعد قدرة لا علىٰ عفو ذل وعجز ومهانة، وهذا هو الكمال الذي مدح سُبْحَانَهُ به نفسه في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾[النساء:١٤٩]»[1].

الأثر السادس: الدعاء باسم الله العفو:

عفو الله تَعَالَىٰ من أعظم العطاء الذي يعطيه الله لعبده، ولذا كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير السؤال به، وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لم يكن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: **اللهمَّ إنِّي**

(١) الروح (ص: ٢٤٢).

أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[1].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «فَأَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»، ثُمَّ أَتَاهُ الْغَدَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ**»[2].

وفي أفضل ليالي السنة دل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة إلىٰ سؤال العفو، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**قُولِي: اللهمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[3].

فاللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا، اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا.



---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٣٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٣٧).

(٣) سبق تخريجه.

الأعلى العلِيُّ المُتعَالِ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علا في المكان يعلو علوًّا، وعلي في الشرف بالكسر يعلىٰ علاء، ويقال أيضًا: علا بالفتح يعلىٰ،... والعُلاء والعَلاء: الرفعة والشرف»[(١)].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العين واللام والحرف المعتل- ياءً كان أو واوًا أو ألفًا- أصل واحد يدل علىٰ السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء، ومن ذلك: العلاء والعلو، يقولون: تَعَالَى النهار، أي: ارتفع...، والعلو: العظمة والتجبر»[(٢)].

ورود اسماء الله (العَلِيِّ -الأعلى- المُتَعَالِ) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله العلي في ثمانية مواضع من القرآن، ومن وروده ما يلي:

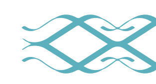
١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٨٤).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ١١٢- ١١٣).



٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

وأما (الأَعْلَىٰ) فقد ورد مرتين، وهما:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ:١].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:٢٠].

وأما (المُتَعَالِ) فقد ورد مرة واحدة، وهي:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

ورود اسم الله (العلي- المتعالِ) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (العلي) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ- حِينَ يَسْتَيْقِظُ-: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ قال: اللهم اغْفِرْ لِي، أو دعا، استُجيب له، فَإِنْ تَوَضَّأَ، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**»[1].

٢- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يقول- عند الكرب-: **لَا إِلَهَ إِلَّا الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٤١٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٨٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٠٤٥).

ورد اسم الله (الأعلىٰ) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ:١] قال: **سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَىٰ**»(١).

٢- عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ، وَإِذَا سَجَدَ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ ثَلَاثًا، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ»**(٢).

٣- عن حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ . فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ . ثُمَّ مَضَىٰ . فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ ! فَمَضَىٰ فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا ! ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا . يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ . ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ** . فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ . ثُمَّ قَالَ: **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ** . ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ**، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ »(٣).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٩٥)، وأبو داود، رقم الحديث: (٨٨٣)، والحاكم، رقم الحديث: (٩٧٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٨٨٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٦١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٨٩٠)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٨٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٢).

ورد اسم الله (المتعالِ) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: «قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] قال: **يَقُولُ الله** عَزَّوَجَلَّ **أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمُتَعَالِي - يُمَجِّدُ نَفْسَهُ-** قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُرَدِّدُهَا حَتَّىٰ رَجَفَ بِهِ الْمِنْبَرُ، حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ **سَيَخِرُّ بِهِ**»[1].

معنى أسماء الله (العَلِيِ- الأعلى - المتعالِ) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسمي الله (العلي، الأعلىٰ):

هو الذي له العلو المطلق بجميع أنواع العلو الثلاثة:

١- علو الذات.

٢- علو القهر والغلبة.

٣- علو المكانة والقدر والصفات.

وحول أنواع العلو تدور أقوال العلماء، ومنها[2]:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «هو ذو العلو والارتفاع علىٰ كل شيء، والأشياء كلها دونه؛ لأنهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٧١٢)، وابن خزيمة في التوحيد، رقم الحديث: (١/ ١٧١)، والبيهقي في الأسماء والصفات، رقم الحديث: (٥٢)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣١٩٦).

(٢) مزيد من التفصيل في أنواع العلو سيكون في الأثر الثاني من الآثار الإيمانية والمسلكية.

(٣) تفسير الطبري، (٢٠/ ٤٦٦).

❊ **قال البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو العالي علىٰ كل شيء»[1].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلىٰ منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تَعَالَى وتقدس وتنزه عَزَّوَجَلَّ عما يقول الظالمون المعتدون علوًّا كبيرًا»[2]، وقال أيضًا: «هو العلي الذي لا أعلىٰ منه، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه»[3].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن من لوازم اسم (العلي): العلو المطلق، بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات؛ فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه (العلي)»[4].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر؛ فهو الذي علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهىٰ»[5].

---

(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٩٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤٩).

(٣) المرجع السابق (٦/ ٣٥٠).

(٤) التفسير القيم (ص: ٣٥).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).

ثانيًا: معنى اسم الله (المتعالِ):

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتعال علىٰ كل شيء قد أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب، ودان له العباد طوعًا وكرهًا»[1].

فالمتعال هو الذي ليس فوقه شيء في قهره وقوته، فلا غالب ولا منازع له سُبْحَانَهُ، بل كل شيء تحت قهره وسلطانه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١] فلو فرضنا وجود إلهين اثنين متنازعين متشاكسين، مختلفين ومتضادين، وأراد أحدهما شيئًا خالفه الآخر، فلا بد عند التنازع من غالب وخاسر، فالذي لا تنفذ إرادته فهو المغلوب العاجز، والذي نفذت إرادته هو المتعالي القادر، وقد أحسنت الجن لما قالت: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَـذَا وَثَانِيهَـا صَرِيحُ عُلُـوِّهِ ... وَلَـهُ بِحُكْـمِ صَرِيــحِهِ لَفْظَـانِ

لَفْظُ العَلِـيِّ وَلَفْظَةُ الأَعْلَـىٰ مَعْرِ ... فَـةً أَتَتْـكَ هُنَـا لِقَصْـدِ بَيَـانِ

إِنَّ العُلُـوَّ لَـهُ بِمُطْلَقِـهِ عَلَـىٰ التَّـ ... عْمِيـمِ والإِطْـلَاقِ بِالبُرْهَـانِ

وَلَـهُ العُلُـوُّ مِـنَ الوُجُـوهِ جَـمِيعِهَا ... ذَاتًـا وَقَهْـرًا مِـنْ عُلُـوِّ الشَّـانِ[2]

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠٤).

(٢) النونية (ص: ٧٣).

اقتران اسم الله (العَليِّ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليِّ) باسمه سُبْحَانَهُ (الحكيمِ):

تقدم بيانه في اسم الله (الحكيم).

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العَلِي) باسمه سُبْحَانَهُ (العظيمِ):

تقدم بيانه في اسم الله (العظيم).

ثالثا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العَلِيِّ) واسمه سُبْحَانَهُ (الـمُتَعَالِ) باسمه سُبْحَانَهُ (الكبيرِ):

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليِّ) باسمه سُبْحَانَهُ (الكبيرِ):

ومن وروده ما يلي: يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤].

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الـمُتَعَالِ) باسمه سُبْحَانَهُ (الكبيرِ):

لم يرد إلا مرة واحدة، في قوله تَعَالَى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

وجه الاقتران فيهما:

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو (العلي) بذاته فوق جميع المخلوقات، وقهره لهم وعلو قدره؛ لـما له من الصفات العظيمة الجليلة المقدار، (الكبير) في ذاته وصفاته، ومن علوه: أن حكمه تَعَالَى يعلو وتذعن له النفوس حتى نفوس المتكبرين والمشركين»[١].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٧٨).

الآثار المسلكية للإيمان باسماء الله (العَلِي- الأعلى- المتعال):

الأثر الأول: إثبات ما تتضمنه أسماء الله (العلي، الأعلىٰ، المتعال) من الصفات:

فالله سُبْحَانَهُ هو العلي الأعلىٰ المتعال، له جميع أنواع العلو بكمالها وتمامها، ومن أنكر شيئًا منها فقد ضل ضلالًا بعيدًا، ولإثبات أنواع العلو لله شواهد وأدلة، ومنها ما يلي:

- **علوُّ الذَّاتِ**، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مستو علىٰ عرشه، وعرشه فوق مخلوقاته، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢].

- والله مستو علىٰ عرشه فوق عباده، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال عن عباده المؤمنين: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

- ومن عنده تتنزل الآيات، يقول تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه:٤].

- وإليه تعرج وتصعد الملائكة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤].

- وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

وفي إثبات علو الذات الإلهية **يقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

فَهوَ العَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ
إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَا بِبَيَانِ
وَهوَ الَّذِي حَقًّا عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوىٰ
قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلْأَكْوانِ[1]

علوُّ القهرِ والغلَبِ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤]، فلا ينازعه منازع، ولا يغلبه غالب، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد وصف الحق نفسه بصفات كثيرة، تدل علىٰ علو القهر والغلب كالعزيز، والقوي، والقدير، والقاهر والغالب، ونحو ذلك، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

١- **علو المكانة والقدر**، فله سُبْحَانَهُ كمال الحياة والدوام، وكمال الجمال والجلال، وكمال العلم والقدرة، وكمال الجود والرحمة، وكمال الحكمة، والحلم، فلله سُبْحَانَهُ المثل الأعلىٰ والصفات العليا التي لا يستحقها غيره، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل: ٦٠]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

---

(١) النونية (ص٢٠٣).

فالله سُبْحَانَهُ هو الإله الواحد الأحد، وهو المتعال عن الشريك والمثيل والند والنظير، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وفي إثبات كل أنواع العلو للعلي العظيم يقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ العَلِيُّ فَكُلُّ أَنْوَاعِ العُلُـ ـوِّ لَهُ فَثَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ[1]

الأثر الثاني: توحيد الله باسمائه العلي الأعلىٰ المتعال:

- دلالة أسماء الله العلي الأعلىٰ المتعال علىٰ توحيد الربوبية والألوهية:

إن من آمن أن الله سُبْحَانَهُ له كمال العلو بأنواعه وحده، علم أنه وحده العلي بذاته فوق كل خلقه، المسيطر عليهم بقهره وقوته وقدرته، المدبر لأمورهم بكمال علمه وحكمته ورحمته، وهو الذي له الأمر من قبل ومن بعد، فلا راد لأمره وقضائه، ولا تدبير إلا تدبيره، ولا يجري من الأقدار إلا ما أراده سُبْحَانَهُ، فهو الرب الخالق العلي المستحق للعبادة وحده دون سواه، يقول تَعَالَىٰ في أعظم آية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، يقول تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]

---

(١) النونية (ص: ٢٠٣).

ومن مقتضىٰ الإيمان بعلو الله في ذاته، وقدره، وغلبته: أن يسبح المؤمن ربه عما لا يليق به تَعَالَى من قول المشركين، وأنه ينزه عن النقص بكل وجوهه مما يصفه به الملحدون، يقول تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ:١-٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل:٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء:١١١].

- دلالة أسماء الله العلي الأعلىٰ المتعال علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

فعقيدة المسلم إثبات العلو المطلق الكامل لله كما يليق بجلاله، دون تعطيل أو تحريف أو تأويل أو تشبيه، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددًا من النصوص المتنوعة المحكمة الدالة علىٰ علو الله علىٰ خلقه وكونه فوق عباده، ومنها:

أحدها: التصريح بالفوقية، مقرونة بأداة (من) المعينة لفوقية الذات نحو، قال تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٥٠]

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه، نحو قوله تَعَالَى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤]، وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**ثم يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٥٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٣٢).

الرابع: التصريح بالصعود إليه، كقوله تَعَالَى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تَعَالَى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال علىٰ جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشورىٰ:٤]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تَعَالَى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الزمر:١] ﴿تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢] ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩].

التاسع: التصريح بأنه سُبْحَانَهُ في السماء، وهذا عند أهل السنة علىٰ أحد وجهين: إما أن تكون «في» بمعنىٰ «علىٰ»، وإما أن يراد بالسماء: العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز حمل النص علىٰ غيره.

العاشر: التصريح بنزوله سُبْحَانَهُ كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلىٰ أسفل[1].

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٢/ ٢١٥).

الأثر الثالث: تعظيم العلي الأعلىٰ المتعال سُبْحَانَهُ:

«فمن شهد مشهد علو الله علىٰ خلقه، وفوقيته لعباده، واستوائه علىٰ عرشه، كما أخبر به أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضىٰ هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب إليه مناجيًا له مطرقًا واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدىٰ الملك العزيز، فيشعر بأن كلامه وعمله صاعد إليه، معروض عليه، مع أوفىٰ خاصته وأوليائه، فيستحىٰ أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك»(١).

وبذلك يثمر الإخلاص والتعظيم في قلبه لله تَعَالَىٰ، فلا يخشىٰ سواه ولايطلب الثواب من غيره سُبْحَانَهُ، ويكون ممن قال الله عنهم سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠].

ولذا فمن سنة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في سجود الصلاة قوله: «**سبحان ربي الأعلىٰ**»، وعلل ذلك بأن السجود غاية في الخضوع والتذلل من العبد بأشرف شيء فيه لله- وهو وجهه- بأن يضعه علىٰ التراب؛ فناسب في غاية سفوله أن يصف ربه بأنه الأعلىٰ؛ فالعبد ليس له من نفسه شيء، وليس له من العظمة نصيب؛ فهو خلق من العدم.

الأثر الرابع: محبة العلي الأعلىٰ المتعال:

فمتىٰ استوطنت في نفس العبد معرفة الله تَعَالَىٰ بأسمائه العلي الأعلىٰ المتعال سُبْحَانَهُ، فعلم كماله من كل الوجوه، وتنزهه عن النقص من كل الوجوه، وأخلص له عالمًا أنه المرجو وحده، والمخوف وحده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص: ٤٣).

إذ تدبير أموره وأمور كل الخلق راجع إليه، ونظر فرأىٰ كمال لطف العلي سُبْحَانَهُ ورحمته وحكمته في هذا التدبير، ورأىٰ كمال قدرته وقوته، ورأىٰ كمال عظمته وجلاله سُبْحَانَهُ، أورثه ذلك- مع الخضوع والإخبات لربه- محبة تنقدح في نفسه، وتنمو في روحه، وتزداد بازدياد معرفته بخالقه سُبْحَانَهُ؛ وذلك لأن العبد مجبول علىٰ حب من حظه من الصفات أعلاها وأتمها.

الأثر الخامس: من آمن بالأعلىٰ سُبْحَانَهُ تواضَع:

فإن الإيمان بعلوه سُبْحَانَهُ وقهره لعباده، يورث في القلب تواضعًا وحياءً، وتعظيمًا لله تَعَالَى وأوامره ونواهيه، فإن أوتي العبد شيء من العلو في الدنيا فإنما هو علو نسبي، وبإعلاء الله له، فلا فضل له فيه ولا منة، يقول تَعَالَى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٧٦]، كما علم أن الله الذي رفع منزلته وأعلىٰ شأنه في الأرض قادر علىٰ أن يمحقه ويجعله من الأسفلين، يقول تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وعليه فيجب الحذر من العلو علىٰ الناس، واجتناب ظلم العباد والتكبر عليهم وقهرهم والعدوان عليهم، ولا ينجو من ذلك إلا من تذكر علو الله تَعَالَى وقهره، وأن العبد مهما علا وظلم وقهر فإن الله (العلي المتعال) فوقه يراه، وسيقتص للمظلومين ممن ظلمهم، وما من جبار علا في الأرض وتجبر إلا وقصمه الله تَعَالَى وأهلكه؛ ولذلك لما ذكر سُبْحَانَهُ علاج من يخاف نشوزها من الزوجات في سورة النساء ختم ذلك باسميه سُبْحَانَهُ (العلي) (الكبير)، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي

ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٣٤].

يقول القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند تفسير قوله تعالىٰ:** ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ [النساء:٣٤]: «فاحذروه بتهديد الأزواج علىٰ ظلم النسوة من غير سبب؛ فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم، وعجزن عن الإنصاف منكم، فالله سُبۡحَانَهُ علي قاهر كبير قادر، ينتقم ممن ظلمهن وبغىٰ عليهن، فلا تغتروا بكونكم أعلىٰ يدًا منهن، وأكبر درجةً منهن؛ فإن الله أعلىٰ منكم وأقدر منكم عليهن، فختم الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة»[١].

الأثر السادس: دعاء الله باسمه العلي الأعلىٰ المتعال:

من الأدعية المأثورة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الدعاء باسمه العلي، حديث عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ - حِينَ يَسْتَيْقِظُ -: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، ثُمَّ دَعَا: رَبِّ اغْفِرْ لِي، غُفِرَ لَهُ**، قال الوليد: أو قال: **دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَلَّىٰ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**»[٢].

فاللهم يا علي يا عظيم، وفقنا لما تحب وترضىٰ.



(١) محاسن التأويل (٣/ ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤)، واللفظ لابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٧٨).

العليمُ العالِمُ علّامُ الغُيوب جَلَّ جَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...وعلمت الشيء أعلمه علمًا: عرفته، وعالمت الرجل فعلمته، أعلمه بالضم: غلبته بالعلم... ورجل علامة، أي: عالم جدًّا، والهاء للمبالغة، كأنهم يريدون به داهيةً...».[1]

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(علم) العين واللام والميم أصل صحيح واحد،... والعلم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العلم والعلامة»[2].

ورود اسم الله (العليم - العالم - علام الغيوب) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله العليم في القرآن:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) في القرآن الكريم مائةً وسبعًا وخمسين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٩٩٠).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ١٠٩).

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

ثانيًا: ورود اسم الله العالم في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (العالم) في القرآن الكريم ثلاثة عشر مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون:٩٢].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر:٣٨].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦].

ثالثًا: ورود اسم الله علام الغيوب في القرآن:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (علام الغيوب) في القرآن الكريم أربع مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١٠٩].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة:٧٨].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [سبأ:٤٨].

ورود اسم الله (العليم-العالم-علام الغيوب) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله (العليم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (العليم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ- ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ- ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ**»[(١)].

٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل كبر، ثم يقول: **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ- ثلاثًا-، ثُمَّ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا- ثلاثًا- أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٣٥)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٨) واللفظ له، والترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٨)، والنسائي، رقم الحديث: (٣٤٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٦٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٨٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١١٦٤٩)، وأبو داود، رقم الحديث: (٧٧٥)، والترمذي، رقم الحديث: (الحديث: (٢٤٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٧٧٥). داود، تخريج الكلم الطيب، رقم الحديث: (١٣٠).

ثانيًا: ورود اسم الله (العالم) في السنة النبوية:

وورد اسم الله (العالم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «سألت عائشة أم المؤمنين، بأي شيء كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال: **اللهمَّ رَبَّ جِبرِيلَ ومِيكائِيلَ وإِسرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمواتِ والأرضِ، عَالمَ الغَيبِ والشهادَةِ، أَنتَ تَحكم بَينَ عِبَادِكَ فيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفون، اهدني لِما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بِإِذنِكَ، إِنَّكَ تَهدي مَن تَشاءُ إلىٰ صِراطٍ مُستقيم**»(١).

٢- عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «يا رسول الله، مُرني بكلمات أقولهن إذا أمسيت وإذا أصبحت. قال: **قُلْ: اللهمَّ فَاطِرَ السمواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيب والشَّهادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَليكَهُ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا أَنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشيطانِ وشِرْكِهِ، قال: قُلهَا إذَا أَصْبَحْتَ، وإِذَا أمْسَيْتَ، وإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَك**»(٢).

ثالثًا: ورود اسم الله (علام الغيوب) في السنة النبوية:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (علام الغيوب) في السنة النبوية، ومن وروده ما جاء في حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال: «**كان رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يعلمنا الاستخارة**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧).

في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الأَمْرَ- ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ- خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - قَالَ: أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، اللهمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- أو قال: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»[1].

معنى اسم الله (العليم-العالم-علام الغيوب) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]: «إنك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالم للغيوب دون جميع خلقك»[2]، وقال أيضًا: «إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر، وحق وباطل، وخير وشر، وما تستجنه مما لم تجنه بعد»[3].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العليم والعالم بمعنىً واحد...وحسن الإعادة لاختلاف معنييهما؛ لأن العليم فيه صفة زائدة علىٰ ما في العالم»[4].

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العليم والعالم صفتان مشتقان من العلم،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٩٠).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٩٥).

(٣) المرجع السابق (١٥/ ٢٣٩).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٣٩).

فالعالم اسم الفاعل من علم يعلم فهو عالم، والعليم من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم...»[1].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العليم: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال:٤٣]، وجاء علىٰ بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٧٦]»[2].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها العليم: لأن معناه: المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم، وما لا يستطيعون إدراكه، من غير أن يكون موصوفًا بعقل أو حس، وذلك راجع إلىٰ أنه لا يعزب عنه شيء، ولا يعجزه إدراك شيء، كما يعجز عن ذلك من لا عقل له ولا حس من المخلوقين، ومعنىٰ ذلك: أنه يشبههم ولا يشبهونه.

ومنها العلام: ومعناه العلام بأصناف المعلومات علىٰ تفاوتها، فهو يعلم الموجود، ويعلم ما هو كائن، وإنه إذا كان كيف يكون، ويعلم ما ليس بكائن، وأنه لو كان كيف كان يكون»[3].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الرعد:٩] أي: يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفىٰ عليه منه شيء»[4].

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ، للزجاجي (ص: ٥٠-٥٧).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٥٧).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٧).

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء»[1].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ العَلِيمُ بِمَا يُوَسْوِسُ عَبْدُهُ
فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ نُطْقِ لِسَانِ
بَلْ يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ الدَّانِي مَعَ الـ
قَاصِي وَذُو الإِسْرَارِ وَالإِعْلَانِ
وَهُوَ العَلِيمُ بِمَا يَكُونُ غَدًا وَمَا
قَدْ كَانَ والمعْلُوم فِي ذَا الآنِ
وَبِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْـ
ـفَ يَكُونُ مَوْجُودًا لَدَىٰ الأَعْيَانِ[2]

اقتران اسم الله (العليم-العالم-علام الغيوب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (العليم) باسم الله (الحكيم):

تقدم بيانه في اسم الله (الحكيم).

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٤٥).

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٣٦).

ثانيًا: اقتران اسم الله (العليم) باسم الله (العزيز):

تقدم بيانه في اسم الله (العزيز).

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الواسع):

اقترن اسم الله العليم باسم الله (الواسع) في سبع آيات من القرآن الكريم، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

وذلك للدلالة علىٰ أن سعة فضله وعطائه وجوده؛ راجع إلىٰ علمه بمن يستحق ذلك من خلقه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]: «... ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنىٰ مطابقين لسياقهما، وهما: (الواسع)، (العليم)، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطاؤه؛ فإن المضاعِف واسع العطاء، واسع الغنىٰ، واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق؛ فإنه عليم بمن تصلح له المضاعفة، وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها؛ فإن كرمه وفضله تَعَالَىٰ لا يناقض حكمته، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه»[1].

(١) طريق الهجرتين (١/ ٥٤٠).

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (القدير):

جاء اقتران اسم الله (العليم) باسم الله (القدير) في أربعة مواضع من كتاب الله، منها: قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل:٧٠]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورىٰ:٥٠].

وذلك للدلالة علىٰ كمال الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ «العلم بدون قدرة عجز، والقدرة بدون علم مظنة الإفساد والظلم والطغيان»(١).

خامسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الفتاح):

ورد اقتران اسم الله (العليم) باسمه (الفتاح) مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ:٢٦].

(والفتاح) له معنىٰ عام يشمل فتح كل مغلق من الأسباب كالرزق والعلم، وله معنىٰ خاص، كما هو المراد من آية (سبأ)، وهو الفصل والحكم الحق؛ ولذا فيقال- في وجه اقتران هذين الاسمين الجليلين-: «إنه إذا حمل الفتح علىٰ عموم معناه، فشمل فتح كل مغلق من الأسباب، كالرزق والعلم كان اقتران اسم (العليم) به دالًّا علىٰ كمال الفتح، وأنه يجري علىٰ مقتضىٰ العلم، وفي ذلك صلاح العباد واستقامة أحوالهم، بخلاف ما لو كان فتحًا بغير علم، تَعَالَىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام، لنجلاء كردي (ص: ٤٣٣).

وإذا أريد بالفتح: القضاء والحكم كان اقتران (الفتاح) بـ(العليم) دالًّا علىٰ كمال الفتح- أي: الحكم- مشيرًا إلىٰ استقامته علىٰ العدل والقسط، فلا تميل به الأهواء، ولا ينحرف به الجهل، ومثل هذا الحكم جدير بأن يرهب ويخاف»[1].

سادسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الخلاق):

تقدم بيانه في اسم الله (الخالق الخلاق).

سابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (السميع):

تقدم بيانه في اسم الله (السميع).

ثامنًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الشاكر):

تقدم بيانه في اسم الله (الشاكر الشكور).

تاسعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الحليم):

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم).

عاشرًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الخبير):

تقدم بيانه في اسم الله (الخبير).

ثانيًا: اقتران اسم الله (العالم) بأسمائه الأخرىٰ سُبْحَانَهُ:

لم يقترن اسم الله (العالم) بأي اسم من أسماء الله الحسنىٰ.

ثالثًا: اقتران اسم الله (علام الغيوب) بأسمائه الأخرىٰ سُبْحَانَهُ:

لم يقترن اسم الله (علام الغيوب) بأي اسم من أسماء الله الحسنىٰ.

---

(١) المرجع السابق (ص: ٦٣٨).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (العليم- العالم- علام الغيوب):

الأثر الأول: إثبات ما تتضمنه اسماء الله (العليم- العالم- علام الغيوب) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ العليم العالم، علام الغيوب الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي، ووسع ما فيه من المخلوقات علمًا، فلا يخلو عن علمه ذات ولا حال ولا مكان ولا زمان، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، وقال: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨١].(١)

ومن مظاهر سعة علمه سُبْحَانَهُ(٢):

١- شمول علمه وإحاطته لكل ما في السموات السبع، والأرضين السبع من المخلوقات والكائنات الصغيرة والكبيرة، والدقيقة والجليلة، الساكنة والمتحركة، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، وقال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [العنكبوت:٥٢].(٣)

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٥)، والحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٣٧).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢١٦، وما بعدها).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣١٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٣٦)، وفتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٤٦)، والحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٣٧-٣٨)

- **فيعلم العليم** سُبْحَانَهُ ما في سمائه من الملائكة، علىٰ الرغم من كثرتهم، حتىٰ قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عنها: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله**»(١).

- **ويعلم العليم** سُبْحَانَهُ ما في الأرض من البراري والقفار، وما فيها من الحيوانات، والأشجار، ويعلم ما فيها من البحار وحيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩](٢).

٢- إحاطة علمه بأحوال خلقه في جميع مراحلهم: قبل الخلق، وبعد الخلق في الحياة، والممات، والمعاد وما يكون من الجزاء في دار القرار، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥].

- **فعلم العليم قبل أن يخلق** الخلق كل شيء كائن، علمه بكلياته وجزائيته وتفاصيله ودقائقه، وكتب ذلك كله في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، عن عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٩١٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣١٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٩٠). حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣١٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٥٩).

(٣) ينظر: شرح الأربعين النووية، لصالح آل الشيخ (ص: ٦٦).

- **وعلم العليم بعد خلقهم** جميع أمورهم، فيعلم ما في الأرحام من حمل كل إناث الحيوانات، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨]، ويعلم هل هو ذكر أو أنثىٰ، حسن أو قبيح، غني أو فقير، طويل الأجل أو قصير، شقي أو سعيد.

- **ويعلم العليم بعد خروجهم** علىٰ وجه الأرض أعمالهم وأقوالهم الظاهرة والباطنة، قال تَعَالَى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل:٢٥].

٣- إحاطة علمه بالظواهر والبواطن، والإعلان والإسرار، بل علمه بما هو أخفىٰ منها مما تنطوي عليه الصدور وتواريه، قال تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك:١٣]، قال تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود:٥].

- فيعلم العليم سُبْحَانَهُ ما يظهر من الأقوال ولو صدرت في آن واحد، ويعلم الأعمال ولو صغرت، خيرها وشرها، قال تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء:٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢٨][1].

- ويعلم العالم سُبْحَانَهُ السر كعلمه بالجهر؛ فالكل سواء، والعامل في ظلمة الليل المدلهم كالعامل في وضح النهار سيان، قال تَعَالَى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧].

- ويعلم سُبْحَانَهُ ما تكنه القلوب، وتخفيه الصدور من الإيمان والكفر والنفاق، وما تخفيه من النوايا الطيبة والخبيثة، والمقاصد الحسنة والقبيحة،

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤١٤).

وما تخفيه من أعمال القلوب الصالحة والفاسدة، قال تَعالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥].

٤- إحاطة علمه بما يصلح لخلقه من الأحكام الشرعية والقدرية، قال تَعالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]

- فيعلم ما يصلحهم من الشرائع التي تنتهي بهم إلىٰ سعادة الدارين، والتي أرسل بها الرسل وأنزل بها الكتب، قال تَعالَى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦]، وكثير من آيات الأحكام يختمها الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب:١]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:٤] كما في أحكام المواريث، والنكاح، والكفارات، والحدود، وغيرها، إشارة إلىٰ أن هذه الأحكام إنما صدرت عن علم تام، وحكمة بالغة.

- ويعلم ما يصلح لهم من الأقدار غنىٰ وفقرًا، وصحة ومرضًا، وولدًا وعقمًا، ونحو ذلك؛ وبناء عليه قدَّر وقضىٰ، قال تَعالَى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت:٦٢]، وهذا يظهر بجلاء في قصة الخضر مع موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ إذ قدر سُبْحَانَهُ لأصحاب السفينة واليتيمين ما فيه صلاح دنياهم، وقدر لوالدي الغلام ما فيه صلاح دينهم، وإن كان ظاهر الأمر في أوله شر وسوء[1].

٥- إحاطة علمه بالأزمان كلها؛ فيعلم ما كان من الماضي، قال تَعالَى عن قول فرعون وجواب موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له، قال تَعالَى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١- ٥٢].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٨٥).

- ويعلم ما يكون في الحاضر، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ [الرعد: ٨]، ويعلم ما سيكون في المستقبل الذي لا نهاية له؛ قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

- ويعلم سُبْحَانَهُ ما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

- **ومن ذلك**: علمه بمفاتح الغيب التي طوىٰ علمها عن جميع خلقه، فلا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا بتعليمه إياه، قال تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩][1]، وفسرها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، ثم قرأ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]»[2].

وما سبق كله دال علىٰ عظمة علم الله عَزَّوَجَلَّ وسعته، وأن الخلق من أولهم إلىٰ آخرهم لو اجتمعوا علىٰ أن يحيطوا ببعض هذه الصفة لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب الواسع العليم، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١١٥][3].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٧٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٥٩).

ثم إن هذا ليس مقتصرًا علىٰ صفة العلم، بل كذا ذاته العلية وأسمائه الحسنىٰ وصفاته الأخرىٰ لا يحيط الخلق بها، ولا يعلمون منها إلا ما أعلمهم العليم وأطلعهم عن طريق رسله وكتبه، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠][(١)].

الأثر الثاني: توحيد الله بأسمائه العليم العالم علام الغيوب:

- دلالة أسماء الله العليم، العالم، علام الغيوب، علىٰ توحيد الألوهية والربوبية:

فأسماء الله: العليم، العالم، علام الغيوب؛ تدعو العباد إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعلم الغيب؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، ويقول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]»[(٢)].

فالغيب خاص بعلام الغيوب، لا يشاركه في علمه أحد من خلقه ولو كان ملكًا أو نبيًّا، يقول تَعَالَىٰ علىٰ لسان الملائكة: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]، ويقول أشرف الأنبياء والمرسلين صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأله أشرف رسول ملكي وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: أخبرني

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٠).

(٢) سبق تخريجه.

عن الساعة؟ قال: «**مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»[1]، أي: كما أنه لا علم لك بها، فلا علم لي بها أيضًا[2].

ومن هنا فاختصاص الله وحده بعلم الغيب واطلاعه علىٰ كل شيء أكبر داع إلىٰ توحيد العبادة، يقول تعالَىٰ: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٤-٦٥].

- دلالة أسماء الله العليم العالم علام الغيوب علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

كما أن أسماء الله العليم العالم علام الغيوب تدل علىٰ توحيد الربوبية والألوهية، فهي تدل - أيضًا - علىٰ توحيد الأسماء والصفات، وتدل علىٰ عدد كبير منها كالبصير، والسميع، والقدير، والخبير، وغيرها من الأسماء الدالة علىٰ ذلك.

الأثر الثالث: تحريم إتيان من ادعىٰ علم الغيب:

من آمن بأسماء الله العليم العالم علام الغيوب؛ أيقن أن الكهان والعرافين ونحوهم لا يعلمون شيئًا من الغيب، وإنما يخبرون بما تمليه عليهم الشياطين والجن مما استرقوه من السمع؛ ولذلك جاء النهي عن سؤالهم والتغليظ في ذلك، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (١/ ١٩٤).

عَلَىٰ مُحَمَّدٍ» [1]، وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**» [2].

ولذا فمن ادعىٰ علم الغيب، أو اعتقد أن أحدًا من الخلق يشارك الله في ذلك، فإنه كافر وفعله مناقض للإسلام؛ لما فيه من مصادمة النصوص وتكذيبها، يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالكاهن من يزعم أنه يعلم بعض المغيبات، وأكثر ما يكون ذلك ممن ينظرون في النجوم لمعرفة الحوادث، أو يستخدمون من يسترقون السمع من شياطين الجن، كما ورد بالحديث الذي مر ذكره، ومثل هؤلاء من يخط في الرمل أو ينظر في الفنجان أو في الكف ونحو ذلك، وكذا من يفتح الكتاب؛ زعمًا منهم أنهم يعرفون بذلك علم الغيب، وهم كفار بهذا الاعتقاد؛ لأنهم بهذا الزعم يدعون مشاركة الله في صفة من صفاته الخاصة وهي علم الغيب، ولتكذيبهم بقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وقوله تَعَالَىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾ [الأنعام:٥٠]، ومن أتاهم وصدقهم بما يقولون من علم الغيب فهو كافر؛ لما رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البزار، رقم الحديث: (٣٥٧٨)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم (٢٦٥٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٩٠٦)، حكم الألباني: صحيح، غاية المرام، رقم الحديث: (٢٨٤).

قال: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»[1][2].

وقد قسم الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ سؤال العراف والكاهن ونحوهما إلىٰ أقسام، فقال:

«**القسم الأول**: أن يسأله سؤالًا مجردًا؛ فهذا حرام؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا**)؛ فإثبات العقوبة علىٰ سؤاله يدل علىٰ تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا علىٰ فعل محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله؛ فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال تعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]

القسم الثالث: أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله؛ فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث...

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه، وهذا مطلوب، وقد يكون واجبًا...»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٠٣٠٨)، والحاكم، رقم الحديث: (١٥)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٦٥٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٩٣٩).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن باز (٢/ ١٢٠).

(٣) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١/ ٥٣٣-٥٣٤).

الأثر الرابع: الرضا بأقدار العليم العالم علام الغيوب:

إن يقين العبد باسم ربه العليم العالم علام الغيوب وما فيه من العلم السابق للأشياء قبل وقوعها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ قبل خلقها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقوله تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]- كله داع إلىٰ التسليم والرضا والاطمئنان لحكم الله عَزَّوَجَلَّ، ولو كان مكروهًا للنفس، شديدًا عليها، لا سيما إذا ضم إليه اليقين بحكمة الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لم يقدِّر ما قدَّر عبثًا ولا لهوًا ولا سفاهة وطيشًا.

ولهذا المعنىٰ نجد أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ يذكرون علم الله كعزاء لهم في ما يواجههم من المصائب والآلام، فهذا نبي الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول عند فقد أبنائه الثلاثة: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، ولما عاتب الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ سؤاله لابنه، قال معتذرًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

ونجد الله عَزَّوَجَلَّ يختم الآيات التي يذكر فيها تفاوت أرزاق الناس بعلمه سُبْحَانَهُ، كما في قوله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقال تَعَالَى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ١٢].

وإن من التسليم لقدر الله واختياره المبني علىٰ علم «دعاء الاستخارة»؛ إذ فيه التسليم لله وتفويض الحكم والاختيار إليه؛ لتمام علمه وخبرته وقدرته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان العبد يحتاج في فعل ما ينفعه في معاشه ومعاده إلىٰ علم ما فيه من المصلحة، وقدره عليه وتيسره له، وليس له من نفسه شيء من ذلك، بل علمه ممن علم الإنسان ما لم يعلم وقدرته منه، فإن لم يقدره عليه وإلا فهو عاجز، وتيسيره منه، فإن لم ييسره عليه وإلا فهو متعسر عليه بعد أقداره؛ أرشده النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ محض العبودية، وهو جلب الخيرة من العالم بعواقب الأمور وتفاصيلها وخيرها وشرها، وطلب القدرة منه؛ فإنه إن لم يقدره وإلا فهو عاجز، وطلب فضله منه، فإن لم ييسره له ويهيئه له وإلا فهو متعذر عليه.

ثم إذا اختاره له بعلمه وأعانه عليه بقدرته ويسره له من فضله؛ فهو يحتاج إلىٰ أن يبقيه عليه ويديمه بالبركة التي يضعها فيه، والبركة تتضمن ثبوته ونموه، وهذا قدر زائد علىٰ إقداره عليه وتيسيره له، ثم إذا فعل ذلك كله فهو محتاج إلىٰ أن يرضيه به، فإنه قد يهيء له ما يكرهه؛ فيظل ساخطًا، ويكون قد فضّله الله به.

قال عبد الله بن عمران رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرجل ليستخير الله، فيختار له، فيسخط علىٰ ربه، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو قد خار له...

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تكرهوا النقمات الواقعة، والبلايا الحادثة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تؤثره فيه عطبك»[(١)].

كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] ولكن كثير من

---

(١) شفاء العليل، لابن القيم (ص: ٣٤).

الناس علىٰ خلاف هذا، فتجد الواحد منهم يستخير ثم يحدث المقدور علىٰ خلاف ما يحب ويشتهي، فيسخط علىٰ ربه، ولا يرضىٰ بحكمه، مع أن مقتضىٰ الاستخارة التي لهج بها خلاف ذلك؛ إذ هي توكيل لله العليم الخبير بالأمر؛ ومن ثم الرضىٰ بحكمه والتسليم إليه.

الأثر الخامس: التسليم لشريعة العليم العالم علام الغيوب، والرضىٰ بها:

إذا تيقن العبد اسم ربه العليم العالم علام الغيوب، وما فيه من تمام العلم بالخلق، وتمام الخبرة بما يصلح لهم من الأحكام والشرائع، كما قال تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، وختم كثير من آيات الأحكام باسمه «العليم الحيكم» كقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقوله سُبْحَانَهُ بعد أن ذكر أحكام الاستئذان: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]، وقوله تَعَالَى بعد أن ذكر المحرمات من النساء: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤]؛ دفعه هذا إلىٰ التسليم والرضىٰ بحكم الله الشرعي، سواء كان أمرًا أو نهيًا أو خبرًا، بل ويدعوه- أيضًا- إلىٰ الفرح والاغتباط بحكمه؛ لأنه من لدن حكيم عليم.

ثم إن التسليم لحكم الله الشرعي والفرح به يقتضي الحكم به، والتحاكم إليه، وسلامة القلب من الحرج منه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، بل ويقتضي- أيضًا- رفض ما سواها من السياسات الجائرة، والأقيسة الفاسدة، والأحكام الجاهلية، والسعي بالدعوة والجهاد في سبيل الله لإقامتها حتىٰ يكون الدين كله لله، وينعم الناس بشريعة الله عَزَّوَجَلَّ المبرأة من الجهل، والظلم، والهوىٰ، والنقص؛ لأنها من لدن حكيم عليم.

الأثر السادس: الثقة بكفاية العليم العالم علام الغيوب شر الأعداء:

إذا تأمل المسلم في اسم الله العليم العالم علام الغيوب، ثم نظر إلىٰ أعداء الإسلام وتكالبهم، وعظم مكرهم وكيدهم، حتىٰ أنهم يعملون الليل والنهار، وينفقون الأموال الطوال؛ حربًا علىٰ الإسلام وأهله- بعثت هذه الأسماء الكريمة في نفسه شعورًا بالاطمئنان واستقرار القلب، وثبوت القدم، والإقدام علىٰ مواجهة الاعداء ومقارعتهم من غير مهابة ولا وجل، وإنما ذلك لعلمه بأن المسلمين وإن قصر علمهم عن كيد عدوهم ومكرهم، إلا أن ربهم العليم القوي العزيز لا يخفىٰ عليه من أمرهم خافية، وهو من ورائهم محيط وعليهم قدير، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦]، وقال تَعَالَىٰ عن المنافقين: ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ

ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: ٧٦-٧٧].

فسيكفي أهل الإسلام مكر عدوهم، كما كفىٰ نبيه صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مكر قومه إذ قال الأشقياء منهم: ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [النمل:٤٩]، فكانت صيحة العذاب أسرع نزولًا عليهم من تنفيذ مكرهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٠ - ٥٢][1].

وسيكفيهم العليم، كما كفىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مكر اليهود، حينما خططوا ودبروا لقتله، بل مكر بهم سُبْحَانَهُ كما قال جل في علاه: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٤- ٥٥].[2]

وسيكفيهم كما كفىٰ عبده ورسوله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكر كفار قريش، حينما تشاوروا في دار الندوة فيما يصنعون به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحبس والإيثاق، أو القتل، أو الإخراج من دارهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال:٣٠]، حتىٰ إذا اتفقوا علىٰ

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٠٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ١٣٢).

قتله وترصدوا به صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الليل ليوقعوا به إذا قام من فراشه؛ كادهم الله وكفىٰ رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مكرهم، فخرج من بين أظهرهم يذر التراب علىٰ رؤوسهم، بعد أن أعمىٰ الله أبصارهم، قال تعالَىٰ: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠][1].

وكفاه مكر يهود بني النضير، حينما خرج صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إليهم في نفر من أصحابه يكلمهم في إعانته بالدية، إلا أن نفوسهم الخبيثة سولت لهم قتله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحىٰ، ويصعد فيلقيها علىٰ رأسه يشدخه بها؟ فجاء الوحي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقام من فوره وتوجه إلىٰ المدينة، ثم أحاط مكرهم به وذاقوا عاقبته، فأجلوا من المدينة إلىٰ الشام، ليس معهم من متاعهم إلا ما تحمله رواحلهم من غير السلاح، قال تعالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: ٢-٣][2].

الأثر السابع: إصلاح الباطن للعليم العالم علام الغيوب:

اسم الله العليم العالم علام الغيوب وما فيه من علم الله بالبواطن وما تخفيه الصدور، كما قال سُبۡحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وقال: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] يدفع العبد إلىٰ

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣١٩)، والرحيق المختوم، للمباركفوري (ص: ١٤٦-١٤٨).

(٢) ينظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري (ص: ٢٦٨-٢٧٠).

الاهتمام بباطنه وإصلاحه بالتخلية والتحلية، **فيخليه** ويخلصه من آفات القلوب التي تخفىٰ علىٰ الناس، ولكنها لا تخفىٰ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ كالرياء، والنفاق، والشبه، والشكوك، والحسد، والغل، والعجب، والكبر، و الخواطر الرديئة والوساوس الشيطانية، ونحو ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قلت: فما السبيل إلىٰ حفظ الخواطر قلت: أسباب عدة، أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب سُبْحَانَهُ ونظره إلىٰ قلبك، وعلمه بتفصيل خواطرك.

الثاني: حياؤك منه.

الثالث: إجلالك له أن يرىٰ مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفته ومحبته.

الرابع: خوفك أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته...»[(١)].

ثم بعد هذه التخلية يحلي قلبه بالعبادات القلبية التي شرعها الله لعباده وأمرهم بها من المحبة، والرجاء، والخوف، والخشية، والتعظيم، والمراقبة ونحوها من أعمال القلوب.

الأثر الثامن: محبة العليم والعالم وعلام الغيوب:

فإن العبد إذا تيقن علم الله الشامل لكل شيء علىٰ وجه لا نقص فيه، ولا عيب معه؛ أثمر ذلك في قلبه حبًّا للعليم العالم علام الغيوب؛ إذ النفوس

(١) طريق الهجرتين (ص: ١٧٥).

جبلت علىٰ حب من له صفات الكمال، فكيف إذا كان كماله لا نقص فيه البتة، سُبْحَانَهُ.

الأثر التاسع: اتصاف العبد بطلب العلم:

إن اسم الله العليم العالم علام الغيوب يقتضي حب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للعلم والعلماء، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحب الخلق إليه: من اتصف بمقتضيات صفاته،...عالم يحب العلماء وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال»[1]

وهذا يدفع العبد إلىٰ طلب العلم وسلوك طريقه؛ إذ هو من أهم الواجبات علىٰ العبد، فلا يمكن أن يعبد الرب بما شرع إلا بعد معرفته، ومعرفة دينه، ومعرفة ما يحبه ويرضاه، ومعرفة ما يكرهه ويسخطه.

ومن هنا كان للعلم وأهله المكانة العظيمة والمنزلة الشريفة التي يطول ذكرها، إلا أن منها علىٰ وجه الإيجاز:

- رفعة الدرجة في الدنيا والآخرة، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، وعن عامر بن واثلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن: نافع بن عبد الحارث لقي عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعسفان- وكان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يستعمله علىٰ مكة فقال-: من استعملت علىٰ أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزىٰ، قال: ومن ابن أبزىٰ؟ قال: مولىٰ من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولىٰ؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ**

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٣٤).

آخَرِينَ»[1].

- تفضيل العالم علىٰ العابد؛ فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ذُكر لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلان؛ أحدهما: عابد، والآخر: عالـم، فقال رسول الله: **فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ**، ثم قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[2].

- طلب المزيد منه دون غيره، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

- تفضيل العلم علىٰ نوافل العبادات، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه إذا كان كل من العلم والعمل فرضًا، فلا بد منهما كالصوم والصلاة، فإذا كانا فضلين- وهما النفلان المتطوع بهما- ففضل العلم ونفله خير من فضل العبادة ونفلها؛ لأن العلم يعم نفعه صاحبه والناس معه، والعبادة يختص نفعها بصاحبها، ولأن العلم تبقىٰ فائدته وعلمه بعد موته، والعبادة تنقطع عنه»[3].

وإنما هذه الفضائل لمن طلب العلم فعمل به ودعا إليه، وازداد به خشية، وتواضع له وللخلق، لا من طلبه فأداه علمه للكبر والفخر والمباهاة دون العمل والخشية.

ثم إن العلم ربما حمل صاحبه علىٰ الكبر والتعالي، إلا أن مما يعين علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨١٧).

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٢٦٨٥)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٩١١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٦٨٥).

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (ص١٢٠).

التواضع أن يتذكر العالم وطالب العلم أن علمه إنما هو بتعليم الله له، لا بحوله وقوته، قال تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة:٣٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل:٧٨]، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:٥].

ويتذكر- أيضًا- أن ما أوتيه من العلم إنما هو قطرة من بحر علم الله، قال تَعَالَى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥]، وقال الخضر لموسىٰ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ عندما رأىٰ عصفورًا ينقر بمنقاره في البحر: «**يَا مُوسَىٰ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ**»[1].

فاللهم يا عليم يا عالم يا علام الغيوب، علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا.



(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٠١).

الغفورُ الغفَّارُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغفر: التغطية، والغفر: الغفران، وغفرت المتاع: جعلته في الوعاء»[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغين والفاء والراء، عظم بابه الستر، ثم يشذ عنه ما يذكر، فالغفر: الستر، والغفران والغفر، يقال: غفر الله ذنبه غفرًا ومغفرة وغفرانًا...»[2].

ورود اسم الله (الغفور و الغفار) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الغفور) في القرآن الكريم في إحدىٰ وتسعين آية في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

---

(١) الصحاح (٢/ ٣٣٤).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٥).



وأما اسمه سُبْحَانَهُ (الغفار) فقد ورد في القرآن الكريم في خمسة مواضع، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾[ص: ٦٦].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾[نوح: ١٠].

ورود اسم الله (الغفور- الغفار) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الغفور) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال- لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[1].

٢- وعن محجن بن الأدرع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَىٰ صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،: فقال: **قَدْ غُفِرَ له، قَدْ غُفِرَ لَهُ**. ثلاثًا»[2].

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٣٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٥).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٩٧٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٩٨٥)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٩٨٥).

٣- عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللهمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[1].

وورد اسم الله (الغفار) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا الله، الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**»[2].

معنى اسم الله (الغفور- الغفار) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله الغفور الغفار- في حقه تَعَالَىٰ- حول ستر الذنوب.

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنىٰ الغفر- في حق الله سُبْحَانَهُ-: هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره»[3].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغفار: الستير لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته، ومعنىٰ الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٢٦٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٣٢٠٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٩٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داد، رقم الحديث: (٣٢٠٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦٣٤)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٥٣٠)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٧٦٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٠٦٦).

(٣) تفسير الأسماء الحسنىٰ (ص: ٣٨).

يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم»[1].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغافر: وهو الذي يستر على المذنب ولا يؤاخذه به فيشهره ويفضحه، ومنها الغفار: وهو المبالغ في الستر، فلا يشهر المذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومنها الغفور: وهو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته»[2].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العفو- الغفور- الغفار): الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]»[3].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

وَهُـوَ الغَفُـورُ فَلَـوْ أَتَـىٰ بِقُرَابِـها ... مِنْ غَيْرِ شِـرْكٍ بَـلْ مِـنَ العِصْيَـانِ
لَأَتَـاهُ بِالغُفْـرَانِ مِـلْءَ قُرَابِـهَا ... سُـبْحَانَهُ هُـوَ وَاسِـعُ الغُفْـرَانِ[4]

الفرق بين اسم الله الغفور، واسمه الغفار:

«أن الغفور الذي يغفر الذنوب العظيمة، والغفار الذي يغفر الذنوب الكثيرة»[5]، وقيل: «الغفار: هو المبالغ في الستر، فلا يشهر المذنب لا في الدنيا

(١) شأن الدعاء (ص: ٥٢).
(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠١).
(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).
(٤) نونية ابن القيم (٢/ ٢٣١).
(٥) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (١/ ١٥٦).

ولا في الآخرة، والغفور: هو الذي يكثر منه الستر علىٰ المذنبين من عباده، ويزيد عفوه علىٰ مؤاخذته»[1].

اقتران اسم الله (الغفور - الغفار) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله الغفور باسم الله الرحيم:

تقدم بيانه في اسم الله (الرحيم).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الغفور - الغفار) باسم الله (العزيز):

تقدم بيانه في اسم الله (العزيز).

ثالثًا: اقتران اسم الله (الغفور) باسم الله (العفو):

تقدم بيانه في اسم الله (العفو).

رابعًا: اقتران اسم الله (الغفور) باسم الله (الشكور):

تقدم بيانه في شرح اسم الله (الشكور).

خامسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الغفور) باسمه سُبْحَانَهُ (الحليم):

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم).

سادسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الغفور) باسمه سُبْحَانَهُ (الودود):

ومن ذلك قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٢ -١٤].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناسبة هذا الاقتران: «وما ألطف اقتران اسم (الودود) بـ(الرحيم)؛ وبـ(الغفور)؛ فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، والرب تَعَالَىٰ يغفر لعبده إذا تاب إليه؛ ويرحمه ويحبه مع ذلك»[1]، وقال في موضع آخر: «إن الله تَعَالَىٰ يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه، كما قال: «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»، فالتائب حبيب الله، والود أصفىٰ الحب»[2].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الغفور والغفار):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الغفور والغفار) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الغفور سُبْحَانَهُ يرخي ستره علىٰ عباده، ويغفر لهم، ويعفو عنهم، ويرحمهم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وهو سُبْحَانَهُ الذي يفتح للعصاة من خلقه باب التوبة، ويدعوهم إلىٰ الولوج فيه، فيبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وهو الذي يغفر الذنب مهما عظم إن تاب صاحبه منه، يقول تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣].

وفي هذه الآية بشارة ربانية عظيمة، مفادها: أنه مهما كان الذنب عظيمًا، ومهما كانت الخطيئة كبيرة لا تيأس ولا تقنط، بل أقبل علىٰ الغفور الغفار فهو

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٢٤).

(٢) روضة المحبين (ص: ٤٧)

وحده غافر الذنب وقابل التوب، وفي ذلك يقول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله فَاعْبُدِ الله مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ الله، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ**»، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَىٰ بِصَدْرِهِ[1]. فهذا قتل وأكثر، وتاب إلىٰ الله فأدركته الرحمة فكيف بما دون ذلك من الذنوب؟!

ومغفرته سُبْحَانَهُ أعظم من كل ذنب، ففي الحديث القدسي: «**قَالَ الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[2].

يقول علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية:

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٠).

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣]، وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: وهذه أرجىٰ آية في القرآن، فرد عليهم ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: أرجىٰ آية في القرآن قول تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾»[1]،

بل من فضله وجوده وكرمه: أن وعد بأن يبدل سيئات المذنبين إلىٰ حسنات، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

فحري بالقلب أن يتعلق بالغفور الغفار سُبْحَانَهُ، ويوحده بألوهيته وربوبيته، وينظر باستحياء لمظاهر مغفرته وعفوه، ويدعوه تضرعًا وخفية بأن يغفر الذنب ويقبل التوب.

وكما أن اسم الله الغفور الغفار دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله العفو، والرؤوف، والرحمن، والرحيم، والمنان، والكريم إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾:

كل الذنوب تحت المشيئة في الآخرة، إن شاء الله غفر لأصحابها، وإن شاء عذبهم، إلا الشرك به سُبْحَانَهُ، فإنه لا يغفره، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

«وهذا وعيد بأنه تَعَالَىٰ لم يجعل مغفرته لمن أشرك به، وقد قال العلماء في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]: إن في هذه الآية

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٩).

دليلًا علىٰ أن المغفرة لا تكون لمن أشرك شركًا أكبر، أو أشرك شركًا أصغر؛ فإن الشرك لا يدخل تحت المغفرة، بل يكون بالموازنة، فهو لا يغفر إلا بالتوبة، فمن مات علىٰ ذلك غير تائب فهو غير مغفور له ما فعله من الشرك، وقد يغفر الله تَعَالَىٰ غير الشرك، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فجعلوا الآية دليلًا علىٰ أن الشرك الأكبر والأصغر لا يدخل تحت المشيئة.

ووجه الاستدلال من الآية: أن (أن) في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] موصول حرفي، فتؤول مع الفعل الذي بعدها وهو يشرك بمصدر- كما هو معلوم-، والمصدر نكرة وقع في سياق النفي، وإذا وقعت النكرة في سياق النفي عمت، قالوا: فهذا يدل علىٰ أن الشرك الذي نفي هنا يعم الأكبر والأصغر، والخفي، فكل أنواع الشرك لا يغفرها الله جَلَّ وَعَلَا وذلك لعظم خطيئة الشرك؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي خلق، ورزق، وأعطىٰ، وهو الذي تفضل، فكيف يتوجه القلب عنه إلىٰ غيره؟! لا شك أن هذا ظلم في حق الله جَلَّ وَعَلَا ولذلك لم يغفر، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وأكثر علماء الدعوة.

وقال آخرون من أهل العلم: إن قوله تَعَالَىٰ هنا: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] دال علىٰ العموم، لكنه عموم مراد به خصوص الشرك الأكبر، فالمقصود بالشرك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[النساء: ٤٨] هو: الشرك الأكبر فقط دون غيره، وأما ما دون الشرك الأكبر فإنه يكون داخلًا تحت المشيئة، فيكون بالعموم في الآية مرادًا به الخصوص؛ لأنه غالبًا ما يرد في القرآن هذا اللفظ: ﴿أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ ونحو ذلك، ويراد به الشرك الأكبر دون الأصغر،

وهذا في الغالب- كما سبق- فالشرك غالبًا ما يطلق في القرآن على الأكبر دون الأصغر، ومن شواهد ذلك، قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، فقوله في الآية: يشرك هو- أيضًا-: فعل داخل في سياق الشرط، فيكون عامًّا.

لكن هل يدخل فيه الشرك الأصغر والخفي؟ الجواب: أنه لا يدخل بالإجماع؛ لأنه تحريم الجنة، وإدخال النار، والتخليد فيها، إنما هو لأهل الموت على الشرك الأكبر، فدلنا ذلك على أن المراد بقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢] أهل الإشراك بالله الشرك الأكبر، فلم يدخل فيه الأصغر، ولم يدخل ما دونه من أنواع الأصغر، فيكون المفهوم- إذًا- من آيتي سورة النساء كالمفهوم من آية سورة المائدة، ونحوها، وهذا كقوله تَعَالَى في سورة الحج ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

فهذا ونحوه وارد في الشرك الأكبر، ويكون- على هذا القول- المراد بما نفي هنا في قوله تَعَالَى: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن﴾ [النساء: ٤٨] الشرك الأكبر.

ولما كان اختيار إمام الدعوة، كما هو اختيار عدد من المحققين: كشيخ الإسلام: ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما أن العموم هنا شامل لأنواع الشرك: الأكبر، والأصغر، والخفي؛ كان الاستدلال بهذه الآية صحيحًا؛ لأن الشرك أنواع، وإذا كان الشرك بأنواعه لا يغفر، فهذا يوجب الخوف منه أعظم الخوف، فإذا كان الشرك الأصغر: كالحلف بغير الله، وتعليق التميمة،

والحلقة، والخيط، ونحو ذلك من أنواع الشرك الأصغر، كقولك: ما شاء الله وشئت، ونسبة النعم إلىٰ غير الله، إذا كان ذلك لا يغفر فإنه يوجب أعظم الخوف كالشرك الأكبر.

وإذا كان كذلك، فيقع في الخوف من الشرك من هم علىٰ غير التوحيد، كمن يعبدون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ويتوجهون إلىٰ غيره، ويذبحون وينذرون لغيره، ويحبون غير الله محبة العبادة، ويرجون غير الله رجاء العبادة، ويخافون خوف السر من غير الله، إلىٰ غير ذلك من ألوان الشرك، فيكون هؤلاء أولىٰ بالخوف من الشرك؛ لأنهم وقعوا فيما اتفق عليه: أنه لا يغفر.

كما يقع في الخوف من الشرك أهل الإسلام الذين قد يقعون في بعض أنواع الشرك الخفي، أو الشرك الأصغر بأنواعه، وهم لا يشعرون أو وهم لا يحذرون»[1].

الأثر الثالث: الأنبياء يطلبون المغفرة من الغفور سُبْحَانَهُ:

من تأمل سيرة صفوة الخلق وهم الأنبياء، وجدهم أكثر الناس توبة واستغفارًا، سواء لأنفسهم أو لأممهم، ومن أمثلة ذلك وشواهده:

- قول الله علىٰ لسان آدم وزوجه عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

- قول الله علىٰ لسان نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧] وكان من دعائه أيضًا: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨].

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح عبدالعزيز آل الشيخ (ص: ٤٥-٤٨).

- قول الله على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

- قول الله على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [طه:١٥١]، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]

- قول الله على لسان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٤-٢٥].

- قول الله على لسان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]

- قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[1]، وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تصف حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتقول: «ما صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة بعد أن نزلت عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إلا يقول فيها: **سَبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»[2]، وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٩٦٧).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٩).

فإن كان هؤلاء الكرام الأصفياء يتضرعون إلىٰ الله بخالص الدعاء، ويستغفرونه ويتوبون إليه؛ فحري بكل عبد دونهم أن يقتدي بهديهم، وأن يستن بسنتهم.

ومن أدعية الاستغفار الجامعة دعاء سيد الاستغفار، وهو مارواه شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»، قال: «**وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[1].

الأثر الرابع: محبة الغفور الغفار سُبْحَانَهُ:

فالغفور الغفار سُبْحَانَهُ هو من أسدل الستر علىٰ الذنوب في الدنيا، وتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، فأظهر الجميل وستر القبيح بكرمه وجوده وفضله، ومن هذه صفاته فهو أحق بالمحبة الكاملة التامة.

الأثر الخامس: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾:

إن المغفرة الواسعة صفة اتصف بها الغفور عَزَّوَجَلَّ، وأودع شيئًا منها في قلوب من يشاء من عباده، بل أمرهم بالتأدب بها، فقال تَعَالَىٰ مخاطبًا نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦).

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «يأمر تَعَالَى عباده المؤمنين بحسن الخلق والصبر علىٰ أذية المشركين به، الذين لا يرجون أيام الله أي: لا يرجون ثوابه ولا يخافون وقائعه في العاصين، فإنه تَعَالَى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون، فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم علىٰ إيمانكم وصفحكم وصبركم، ثوابًا جزيلًا»[1].

لذلك يجب أن يتصف الإنسان بالمغفرة للعباد، والصفح عنهم الصفح الجميل، ومن غفر للناس غفر الله له، ومن تجاوز عنهم تجاوز الله عنه، والجزاء من جنس العمل، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ الله لَكُمْ...**»[2].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «أَنَّهُ حَرَسَ لَيْلَةً مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ شَبَّ لَهُمْ سِرَاجٌ فِي بَيْتٍ فَانْطَلَقُوا يَؤُمُّونَهُ حَتَّىٰ إِذَا دَنَوْا مِنْهُ إِذَا بَابٌ مُجَافٍ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ فِيهِ أَصْوَاتٌ مُرْتَفِعَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَتَدْرِي بَيْتَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَذَا بَيْتُ رَبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَهُمُ الْآنَ شَرْبٌ فَمَا تَرَىٰ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَرَىٰ قَدْ أَتَيْنَا مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، نَهَانَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ فَقَدْ تَجَسَّسْنَا فَانْصَرَفَ عُمَرُ عَنْهُمْ وَتَرَكَهُمْ»[3]، وهذا يدل علىٰ وجوب الستر، وترك التتبع.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٧٦).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧١٦٢)، والطبراني في مسند الشاميين، رقم الحديث: (١٠٥٥)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٦٨٤٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٤٨٢).

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، رقم الحديث: (١٨٠٦)، والحاكم، رقم الحديث: (٨٢٢٨)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٧٧٠٣).

الأثر السادس: التعرض لأسباب المغفرة:

فقد جعل الله سُبْحَانَهُ للمغفرة علامات ومبشرات، فمن رزقها يرجىٰ أن يكون قد غفر له، ومن هذه الأسباب:

١- **الإسلام**، فهو يكفر كل ما سبق من السيئات، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحسُنَ إِسْلَامُهُ يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ القَصَاصِ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، والسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا»**(١).

٢- **الموت علىٰ التوحيد**، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: **« يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»**(٢).

٣- **طاعة الله واتباع رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

٤- **الأذان**، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ، وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَّ صَوْتِهِ، وَيُصَدِّقُهُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّىٰ مَعَهُ»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٨٠٠)، والنسائي، رقم الحديث: (٦٤٦)، حكم الألباني، صحيح،صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (٦٤٦).

٥- **الذكر عند الأذان**، فيقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ باللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبالإِسْلَامِ دِينًا- غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»[1].

٦- **إحسان الوضوء**، فيقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**»[2].

٧- **الصلاة**، بقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرَأَيْتُم لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟** قَالُوا: **لَا يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ**. قَالَ: **فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؛ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**»[3].

٨- **صلاة ركعتين بعد الوضوء**، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**»[4] زاد أحمد: «**وَغُفِرَ لَهُ**»[5].

٩- **من وافق تأمينه تأمين الملائكة**، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا؛ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[6].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٨٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٤٥).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٦٧).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣٤).

(٥) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٥٨٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٨٠٢).

(٦) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤١٠).

١٠- الذكر دبر كل صلاة، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمائَةِ: لَا إِلَهَ إلا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[1].

١١- قيام الليل، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ**»[2].

١٢- الصدقة، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**»[3].

١٣- صيام رمضان إيمانًا واحتسابًا، وكذا قيامه، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[4]، ويقول: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[5].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٩)، وابن خزيمة، رقم الحديث: (١١٣٥)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٤٦٦)، والحاكم، رقم الحديث: (١١٦٠)، حكم الألباني: حسن، الإرواء، رقم الحديث: (٤٥٢).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٥١٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٦١٤)، وابن حبان، رقم الحديث: (١٧٢٣)، ، حكم الألباني:صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٦١٤).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٠).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٥٩).

١٤- **قيام ليلة القدر**، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1].

١٥- **صيام أيام خاصة تطوعًا**، كصيام يوم عرفة، فيقول فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، فَقَالَ-: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ**»[2]، كذلك صيام يوم عاشوراء، يقول فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ -: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ**»[3].

١٦- **الحج المبرور**، فيقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[4].

١٧- **العمرة**، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا**»[5].

١٨- **قول سبحان الله وبحمده**، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[6].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٠١)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٠).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١١٦٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١١٦٢).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٨١٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٥٠).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٧٧٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٤٩).

(٦) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٥)، ومسلم، رقم الحديث:(٢٦٩١).

١٩- **الصلاة علىٰ النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ**»[1].

٢٠- **كفارة المجلس**، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَتْ كَالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ كَانَتْ كَفَّارَتَهُ**»[2].

٢١- **عيادة المريض**، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**»[3].

الأثر السابع: ثمرات الاستغفار:

إن العبد إن تاب إلىٰ ربه، واستغفره وأناب إليه؛ أكرمه الله بكرامات عديدة، ومنحه عطايا جليلة، وأغدق عليه الثمرات النافعة في الدنيا والآخرة، ومنها:

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢١٨٠)، والنسائي، رقم الحديث: (١٢٩٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث:(١٢٩٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١٨٥)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٥٨٦)، حكم الألباني:صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٨١).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٠٩٨)، والحاكم، رقم الحديث: (١٢٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٧١٧).

١- انشراح الصدر، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ الله لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»[2].

٢- دواء شافي من الذنوب، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

٣- رحمة الله للمستغفرين، يقول تَعَالَىٰ على لسان شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

٤- جلب النعم عامة، يقول تَعَالَىٰ على لسان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ٩-١٢]. ويقول تَعَالَىٰ على لسان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

٥- دفع العقوبة عن المستغفرين، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

٦- حل المشاكل الصعبة والعويصة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشهدت شيخ الإسلام إذا أعيته المسائل واستصعبت عليه فر منها إلىٰ التوبة والاستغفار،

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥١٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨١٩)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥١٨).

والاستغاثة بالله واللجأ إليه، واستنزال الصواب من عنده، والاستفتاح من حزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيتهن يبدأ، ولا ريب أن من وفق هذا الافتقار علمًا وحالًا، وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد، فقد أعطي حظه من التوفيق، ومن حُرمه فقد منع الطريق والرفيق، فمتىٰ أعين مع هذا الافتقار ببذل الجهد في درك الحق فقد سلك به الصراط المستقيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[1].

ويمكن إيجاز كل هذه الثمرات بقول: إن المستغفرين وعدوا بالمتاع الحسن في الدنيا، والفضل العظيم في الآخرة، يقول تعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:٣]

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك، ونتوب إليك، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت؛ فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا؛ إنك أنت الغفور الرحيم.



(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٣٢).

الغَنِيُّ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غنىٰ فهو غَنِيٌّ، وتغنىٰ الرجل: أي استغنىٰ وأغناه الله، وتغانَوا: أي استغنىٰ بعضهم عن بعض»(١).

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما: يدل علىٰ الكفاية، والآخر: صوت؛ فالأول الغنىٰ في المال، يقال: غني يغنىٰ غنىٰ، والغَنَاء- بفتح الغين مع المد: الكفاية، يقال: لا يغني فلان غناء فلان، أي: لا يكفي كفايته، وغني عن كذا فهو غانٍ، وغني القوم في دارهم: أقاموا، كأنهم استغنوا بها»(٢).

ورود اسم الله (الغني) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الغني) في كتاب الله ثماني عشرة مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

(١) الصحاح (٦/ ٣٠٠).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٣٩٧- ٣٩٨).

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٦].

ورود اسم الله (الغني) في السنة النبوية:

ورد اسم الله الغني في السنة النبوية، ومن وروده فيها ما يلي:

- عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنها قالت: «شَكَا النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّىٰ، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَىٰ الْمِنبَرِ فَكَبَّرَ، وَحَمِدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: **إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ المَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**، ثم قال: **الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الغَنِيُّ وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَىٰ حِينٍ**، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّىٰ بَدَا بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَىٰ النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، وَنَزَلَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ، وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللهِ فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّىٰ سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَىٰ سُرْعَتَهُمْ إِلَىٰ الْكِنِّ ضَحِكَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: **أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[١].

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١١٧٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١١٧٣).

معنى اسم الله (الغني) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغني – في كلام العرب –: الذي ليس بمحتاج إلىٰ غيره، وكذلك الله ليس بمحتاج إلىٰ أحد، جَلَّ وَعَلَا عن ذلك علوًّا كبيرًا، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، فالله عَزَّوَجَلَّ ليس بمحتاج إلىٰ أحد فيما خلق ويخلق، ودبر ويدبر، ويعطي ويرزق، ويقضي ويمضي، لا رادَّ لأمره، وهو علىٰ ما يشاء قدير»[1].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغني هو الذي استغنىٰ عن الخلق، وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه، فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون، كما وصف نفسه تَعَالَى، فقال – عز من قائل –: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]»[2].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه الكامل بما له وعنده، فلا يحتاج معه إلىٰ غيره، وربنا جل ثناؤه بهذه الصفة؛ لأن الحاجة نقص، والمحتاج عاجز عما يحتاج إليه إلىٰ أن يبلغه ويدركه، وللمحتاج إليه فضل بوجود ما ليس عند المحتاج، فالنقص منفي عن القديم بكل حال، والعجز غير جائز عليه، ولا يمكن أن يكون لأحد عليه فضل؛ إذ كل شيء سواه خلق له، وبدع أبدعه لا يملك من أمره شيئًا، وإنما يكون كما يريد الله عَزَّوَجَلَّ، ويدبره عليه، فلا يتوهم أن يكون له مع هذا اتساع لفضل عليه»[3].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٦٣).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٩٢-٩٣).

(٣) الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ١٠١).

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغني بذاته، الذي له الغنىٰ التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات؛ لكماله وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًّا؛ لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقًا قادرًا رازقًا محسنًا، فلا يحتاج إلىٰ أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني جميع خلقه غنىٰ عامًّا، والمغني لخواص خلقه مما أفاض علىٰ قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية»[1].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَهوَ الغَنِيُّ بِذَاتِهِ فَغِنَاهُ ذَا تِيٌّ لَهُ كَالجُودِ والإِحْسَانِ

اقتران اسم الله (الغني) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الغني) باسم الله (الحليم):

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الغني) باسم الله (الحميد):

تقدم بيانه في اسم الله (الحميد).

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الغني) باسمه سُبْحَانَهُ (الكريم):

جاء هذا الاقتران مرة واحده في القرآن الكريم، وهو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٢٩).

وجه الاقتران:

أن الله غني عن الشكر، كريم يعطي عن كرم، لا عن ارتقاب للشكر علىٰ العطاء، وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله سُبْحَانَهُ غني كريم، عزيز رحيم، فهو محسن إلىٰ عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانًا»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الغني):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الغني) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الغني سُبْحَانَهُ هو المستغني عن الخلق بذاته وصفاته وسلطانه، والخلق جميعًا فقراء إلىٰ إنعامه وإحسانه، فهو سُبْحَانَهُ لم يخلق خلقه ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه ولا ليدفعوا عنه، ولا ليستأنس بهم من وحشة، ولا ليستكثر بهم من قلة، ولا لينصروه علىٰ عدو، ولكن خلقهم ليذكروه كثيرًا، ويعبدوه طويلًا، ويسبحوه بكرة وأصيلًا، فهو الذي لا يحتاج لأحد في شيء؛ لأنه المالك لكل شيء، المتصرف بمشيئته في خلقه أجمعين، خزائنه لا تنقص ولا تنفد، يعطي من يشاء ما يشاء من فضله، ويقسم لكل مخلوق ما يخصه في رزقه، وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال - فيما روىٰ عن الله عَزَّ وَجَلَّ أنه قال-: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ**

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٤١).

الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

فالله غني بذاته عن كل ما سواه، **ومن علامات ذلك الغنىٰ:**

- **غناه** سُبْحَانَهُ **عن الطعام والشراب**، وهي دلالة الاستغناء الذاتي، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٦- ٥٨].

- **غناه** سُبْحَانَهُ **عن الزوجة والولد**، وهذا يعني وحدانية الله المطلقة؛ ليس كما يسبه الكفار أصحاب عقيدة التثليث؛ فإن الحاجة إلىٰ الزوجة والولد ضعف وافتقار، تَعَالَى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، يقول تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس:٦٨].

- **غناه** سُبْحَانَهُ **عن خلقه**، ومع ذلك فهو محسن إليهم، رحيم بهم، وهذا من كمال غناه وكرمه ورحمته، فهو الغني عن عباداتهم، ومن ذلك:

أ- غناه عن إيمانهم، قال تَعَالَى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

ب- غناه عن شكرهم، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠].

جـ- غناه عن جهادهم، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

ويذكر الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مظاهر غنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فيقول:

- «**ومن كمال غناه وكرمه**: أنه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم، وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه، وما لم يسألوه.

- **ومن كمال غناه**: أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطىٰ كلًّا منهم ما سأله، وما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه مثقال ذرة.

- **ومن كمال غناه وسعة عطاياه**: ما يبسطه علىٰ أهل دار كرامته من النعيم، واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

- **ومن كمال غناه**: أنه لم يتخذ صاحبًا ولا ولدًا ولا شريكًا في الملك، ولا وليًّا من الذل، وهو الغني الذي كمل بنعوته، وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته»[1].

وحري بمن عرف اسم الله (الغني) ومظاهر غناه وآمن به، أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله وحده رزقه وبره وغناه.

---

(١) الحق الواضح، للسعدي (ص: ٤٧-٤٨).

الأثر الثاني: ليس كمثله سُبْحَانَهُ شيء في الغِنىٰ:

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له صفات الكمال والجلال، ليس كمثله شيء في غناه:

وهذا من وجوه:

الأول: كثرة ما عند الله:

قال تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ﴾ [المائدة: ١٢٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذه الآية-: «أي: هو الخالق للأشياء المالك لها، المتصرف فيها، القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره، وقدرته وفي مشيئته، فلا نظير له ولا وزير، ولا عديل ولا والد، ولا ولد، ولا صاحبة، ولا إله غيره، ولا رب سواه»(١).

الثاني: غناه دائم:

فما من مخلوق أصبح غنيًّا إلا بعد فقر، أو تكون عاقبته إلىٰ فقر، أو يفني المال وصاحبه، أما الله جَلَّجَلَالُهُ فغناه دائم لا يفنىٰ أبدًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

الثالث: غناه ذاتي:

أي: أن غنىٰ الله في ذاته، وليس فيما يراه الناس من الملك في السماوات والأرض، فإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، ولكن غنىٰ الخلق إنما يكون بما يمتلكون من ثروات وأموال، فكل من وُصف بالغنىٰ من الخلق فإنما يحتاج إلىٰ ما يملك، أما الله جَلَّجَلَالُهُ فإنما يحتاج كل ملكه وكل خلقه إليه،

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٦).

فلا يحتاج الله إلىٰ العرش ولا حملته، ولا الكرسي وعظمته، ولا يحتاج إلىٰ ميكائيل ليرزق الخلق، ولا إلىٰ جبريل لتبليغ رسالته، بل كل هؤلاء وغيرهم من خلق الله يحتاجون إليه من كل الوجوه، وهو غني عنهم من كل الوجوه.

الرابع: غناه مطلق:

فإن الخلق يحتاجون إلىٰ ما تقوم به أبدانهم وأرواحهم، وهذا يجعلهم فقراء إلىٰ رزق الله من كل الوجوه؛ فإنهم فقراء إلىٰ الطعام وإلىٰ الشراب، والنفس والروح والسعادة والزوجة والولد، والسمع والبصر... هذا فقر مطلق إلىٰ الله الذي بيده هذه النعم وغيرها مما لا غنىٰ عنه للخلق، أما الله جَلَّجَلَالُهُ فإنه غني عن ذلك كله، بل وعن كل ما سواه؛ لذلك فإن غنىٰ الله غنًىٰ مطلق، وكل العباد فقرهم إلىٰ الله فقر مطلق.

الأثر الثالث: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾:

إن الفقر إلىٰ الله سُبْحَانَهُ هو عين الغنىٰ به، فأفقر الناس إلىٰ الله أغناهم به، وأذلهم له أعزهم به، وأضعفهم بين يديه أقواهم، وأجهلهم عند نفسه أعلمهم بالله، وأمقتهم لنفسه أقربهم إلىٰ مرضاة الله، والغنىٰ بالله مع الفقر إليه متلازمان متناسبان، فالغنىٰ علىٰ الحقيقة لا يكون إلا بالله الغني بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فموسوم بسمة الفقر، كما هو موسوم بسمة الخلق والصنع[(١)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله هو الغني المطلق، والخلق فقراء محتاجون إليه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، بين سُبْحَانَهُ في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (ص: ٥٩).

لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيًّا حميدًا ذاتي له، فغناه وحمده ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد إلىٰ ربه لذاته، لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنىٰ الرب سُبْحَانَهُ لذاته لا لأمر أوجب غناه، **وفقر العباد إلىٰ ربهم فقران:**

الأول: **فقر اضطراري**، وهو فقر عام، لا خروج لبر ولا فاجر عنه، وهذا الفقر لا يقتضي مدحًا ولا ذمًّا، ولا ثوابًا ولا عقابًا، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقًا، ومصنوعًا.

الفقر الثاني: **فقر اختياري**، وهو فقر الخشية والطاعة وذلة العبودية، وهو نتيجة علمين شريفين؛ أحدهما: معرفة العبد لربه، والثاني: معرفته بنفسه، فمتىٰ حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقرًا هو عين غناه، وعنوان فلاحه وسعادته، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين، فمن عرف ربه بالغنىٰ المطلق، عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة، عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربه بالعز التام، عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومَن عرف ربه بالعلم التام والحكمة التامة، عرف نفسه بالجهل.

فإن الله تَعَالَى قد أخرج العبد من بطن أمه ضعيفًا مسكينًا، جاهلًا، كما قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، وسخر له ما في البر والبحر مما يصلحه ويعينه علىٰ أمر دينه ودنياه، فلما شعر بأن له قدرة علىٰ السعي، واستطاعة علىٰ التدبير ظن المسكين أن له نصيبًا من الملك، وادعىٰ لنفسه ملكًا مع الله سُبْحَانَهُ، ورأىٰ نفسه بغير هذا الضعف

الأول الذي كان عليه، ونسي ما كان فيه من حالة الإعدام والفقر والحاجة؛ حتىٰ كأنه لم يكن هو ذلك الفقير المحتاج، بل كأن ذلك شخص غيره، كما روىٰ الإمام أحمد في مسنده من حديث بسر بن جحاش القرشي (أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا إِصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ: **قَالَ اللهُ: ابْنَ آدَمَ أَنَّىٰ تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّىٰ إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدلْتُكَ، مَشيتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّىٰ أَوَانُ الصَّدَقَةِ**)[1].

ومن هنا خُذِل مَن خُذِل، ووُفِّقَ مَن وُفِّقَ، فحُجِبَ المخذول عن حقيقته ونسي نفسه، فنسي فقره وحاجته وضرورته إلىٰ ربه، فطغىٰ وعتا؛ فحقت عليه الشقوة، قال تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل ٥- ١٠]، فأكملُ الخلق أكملُهم عبودية، وأعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إلىٰ ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين»[2].

فالله جَلَّ جَلَالُهُ غني عن العلائق والروابط والصلات، فصلته بخلقه صلة رب رزاق لعباد محتاجين، وصلته بهم صلة عطاء وتفضل بعد خلق وإيجاد، أما صلة الخلق به سُبْحَانَهُ فصلة افتقار لرزقه وانتفاع بما عنده، فالعبد يدعو والله يجيب، والخلق يحتاجون والرزاق يعطيهم، والعباد يفتقرون والغني

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨١٢٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٧٠٧)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١١٤٣).

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ٨-١٠) بتصرف.

يغنيهم، وإذا قدموا شيئًا من أموالهم فإنما هم الذين ينتفعون بها، ويجازيهم بأضعاف ما عملوا، ويزيدهم من فضله.

الأثر الرابع: محبة الغني سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ هو الغني غنًىٰ كاملًا مطلقًا من كل الوجوه، فهو المستغني عن العالمين، وجابر حاجة الفقراء والمساكين، لا يترك من تعلق ببابه ووقف بجنابه بدون غنىٰ، فهو مع غناه وعزته ذو رحمة بالغة، والنفس بطبيعتها تحب صفات الكمال والجلال في الصفات، ولذا فإن العبد المسلم يتعلق ويزداد محبة للغني كلما زادت معرفته له سُبْحَانَهُ.

الأثر الخامس: افتقار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ربه:

لقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الناس افتقارًا إلىٰ ربه، وكان يقول: «**دَعَوَاتُ الْـمَكْرُوبِ: اللهمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**»[1].

فهو يعلم أن قلبه الذي بين جنبيه بيد الرحمن عَزَّوَجَلَّ لا يملك منه شيئًا، وأن الله سُبْحَانَهُ يصرفه كما يشاء، وكان يدعو: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوْبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِيْنِكَ**»[2]، بدلالة قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٤]؛ فضرورته إلىٰ ربه وفاقته إليه بحسب معرفته به، وحسب قربه منه ومنزلته عنده.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٧٥٩)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٩٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٢٩٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢١٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢١٤٠).

فأصبح – بهذا النوع من الافتقار– سيد ولد آدم، وصاحب لواء الحمد، وأول من تفتح له الجنة، وصاحب المقام المحمود، وأسري به في السماوات السبع؛ لأنه كان كامل العبودية، وكامل الافتقار لربه، قال تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، واستحق أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ففي حديث الشفاعة: «أن المسيح يقول لهم: **ائْتُوا مُحَمَّدًا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **عَبْدًا غَفَرَ الله لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»[1][2].

الأثر السادس: الغنىٰ غنىٰ النفس:

فمن أغناه الله من فضله، ووهبه الغنىٰ الحقيقي بأن يخضع لربه، ويتواضع لخلقه، ويعلم أنه مستخلَف في أرضه، مبتلىٰ في ملكه، فرد الفضل لربه، وشكره علىٰ نعمه؛ لعلمه بأن الغنىٰ غنىٰ النفس، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ**»[3]، ويقول أيضًا: «**وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ**»[4]، وفي صحيح البخاري من حديث الحسن أنه قال: «حدثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَىٰ رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٤٧٦).

(٢) ينظر: طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ١٠).

(٣) أخرجه البخارى، رقم الحديث: (٦٤٤٦)، أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠٥١).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٢١٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٥).

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَىٰ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ والهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَىٰ مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَىٰ والخَيْرِ، فَيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ، فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حُمْرَ النَّعَمِ**»[(١)].

ولا يمنع ذلك الأخذ بالأسباب طلبًا للغنىٰ والفضل، والتقوي علىٰ طاعة الله، وحفظ النعمة، وإغناء الفقراء من فضل الله، مع ملازمة الاعتقاد بأن في القلب فاقة عظيمة، وضرورة تامة وحاجة شديدة، لا يسدها إلا فوزه بحصول الغنىٰ القلبي، الذي إن حصل للعبد حصل له كل شيء، وإن فاته فاته كل شيء، فكما أنه سُبْحَانَهُ الغنىٰ علىٰ الحقيقة ولا غنىٰ سواه، فالغنىٰ به هو الغنىٰ في الحقيقة ولا غنىٰ بغيره ألبتة، فمن لم يستغن به عما سواه تقطعت نفسه علىٰ السوىٰ حسرات، ومن استغنىٰ به زالت عنه كل حسرة، وحَضَرَهُ كل سرور وفرح.

فما أسعد من تعفف عن الناس واستغنىٰ بربه سُبْحَانَهُ في قضاء حوائجه وطلب رزقه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِي أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[(٢)].

الأثر السابع: للغنىٰ أسباب تطلب:

الغنىٰ والعطاء بيد من له ملك الأرض والسماء، فلا يغتني أحد إلا بإذنه، ولا يُرزق أحد إلا من عطائه، أمر عباده بصدق التوكل عليه واليقين بما لديه، مع تمام بذل أسباب الغنىٰ والعطاء، ومن أسباب نيل الغنىٰ ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٢٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٦٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٥٣).

١ - التفرغ للعبادة:

يقول تَعَالَى في الحديث القدسي: «ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي، أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى»[١]، والمراد من التفرغ للعبادة: «إيثارها علىٰ حظوظ الدنيا والإتيان بما أمر به منها، فلا تلهيه عن ذكر الله، لا أنه لا يفعل إلا العبادة»[٢].

ومن هنا يفهم أن الشرع ينهىٰ عن انقطاع العبد عن طلب أسباب رزقه بحجة الاعتكاف في مصلاه، وإنما المراد: ألا يلهيه طلب الرزق عن عبادة الله، بل إن من اعظم أسباب الرزق والغنىٰ الإقبال علىٰ عبادة الله، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور:٣٧]: «وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله: ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ من باب عطف الخاص علىٰ العام؛ لكثرة الاشتغال بالبيع علىٰ غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه، لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها علىٰ ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾، بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه»[٣].

٢ - تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ:

يقول تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢- ٣]، وقال الله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٨١٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٦).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، الكحلاني (٣/ ٤١٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٦٩).

﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتِ الآخرة هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ،...**»[(١)]، وكان أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينصح بعضهم بعضًا بثلاثة أمور، فيقولون: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله الذي بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن اهتم بآخرته كفاه الله أمر دنياه»[(٢)].

٣- الاستغفار:

يقول تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠- ١٢]، وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»[(٣)].

٤- إنزال الفاقة بالله تعالىٰ:

يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالغِنَىٰ، إِمَّا أَجَلٌ عَاجِلٌ، أَوْ غِنًى عَاجِلٌ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٥٩٠)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٥).

(٢) الزهد، لوكيع (٥٢٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٩٤٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٦٤٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٦٤٥).

٥- المتابعة بين الحج والعمرة:

يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرَةِ، فَإِنَّهُما يَنْفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ...**»[١].

٦- إرادة الزواج تعففًا:

يقول تعالَى: ﴿**وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٣٢]، قال أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح؛ ينجز لكم ما وعدكم من الغنىٰ»[٢]، وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «التمسوا الغنىٰ في النكاح»[٣].

٧- الاستغناء بالله عن الخلق:

يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**... مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**»[٤]، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ**»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٧٤٣)، والنسائي، رقم الحديث: (٢٦٣٠)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٨٨٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (٢٦٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٣).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٥١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٤٦)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٥١).

٨- صلة الرحم:

يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[١].

٩- الزكاة والصدقة:

يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ لِصَدَقَةٍ أَوْ صِلَةٍ إِلَّا زَادَهُ الله** عَزَّ وَجَلَّ **بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ الله بِهَا قِلَّةً**»[٢].

١٠- الدعاء:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**إِذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضُّرَّ فَأَكْشِفَهُ عَنْهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الفَجْرُ**»[٣]، وعن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: « لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ: وَاحِدَةٌ لِي وَوَاحِدَةٌ لَكَ وَوَاحِدَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لِي فَتَعْبُدُنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَكَ فَمَا عَمِلْتَ مِنْ شَيْءٍ جَزَيْتُكَ بِهِ، وَأَنْ أَغْفِرَ فَأَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ؛ وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٩٨٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٧٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٣١٤٠)، حكم الألباني:صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٦٤٦).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٦٢٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٢٨٢٩). حكم الألباني: صحيح دون جملة الاسترزاق، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٩١٥).

وَبَيْنَكَ فَمِنْكَ الْمَسْأَلَةُ وَالدُّعَاءُ وَمِنِّي الْإِجَابَةُ وَالْعَطَاءُ»[1].

١١- السعي لطلب الرزق:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»**[2]

الأثر الثامن: للفقر أسباب تجتنب:

كما أن هناك أسبابًا للعطاء والغني، فكذلك توجد أسباب أخرىٰ من تعرض لها حُرِم العطاء، ومن هذه الأسباب:

١- معصية الله تعالىٰ:

جاء في الأثر: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»**[3].

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»**[4].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٦١٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٠٧٦)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٠٥٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٤٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٦٤)، حكم الألباني:صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٤٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٨٢١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٠٢٢)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٤٥٢).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية، رقم الحديث: (١٠/ ٢٦)، والبغوي في شرح السنة، رقم الحديث: (٤١١٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٠٨٥).

٢- سؤال الناس:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ**، قال: **مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**»[(١)].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ** عَزَّ وَجَلَّ، **أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا أَجَلٌ عَاجِلٌ، أَوْ غِنًى عَاجِلٌ**»[(٢)].

٣- أكل الربا:

قال تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر الله تَعَالَى أنه يمحق الربا يذهبه إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعدمه به في الدنيا، ويعاقبه عليه يوم القيامة، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ**)[(٣)]»[(٤)].

٤- الكذب:

عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٠٣١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (٣٨٣١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٢٧٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٢٧٩).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٠).

مُـحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[1].

٥- الـحلف في البيع:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الـحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَـمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»[2]، وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الـحَلِفِ فِي البَيْعِ؛ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ»[3].

٦- منع الزكاة:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يَمْنَعْ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»[4].

٧- ترك الحكم بما أنزل الله:

فإن من فعل ذلك فقد خالف الغني في حكمه فأفقرهم؛ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسٌ بِخَمْسٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قال: مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَلَا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إِلَّا فَشَا

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٠٧٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٢٠٨٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٠٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٠٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٠١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٣٠٤٢)، وأبو نعيم في الحلية، رقم الحديث: (٣/ ٣٢٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٢٠٤).

فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلَا طَفَّفُوا الْمِكْيَالَ إِلَّا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا حُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ»[1].

٨- الاهتمام بالدنيا دون الآخرة:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ الله عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخرة نِيَّتَهُ، جَمَعَ الله لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»**[2]، وعليه فإن غض الطرف عن زينة الدنيا من أسباب الرزق ودوامه، يقول تَعَالَى في ذلك: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١]، ويروىٰ أن عروة بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان إذا رأىٰ شيئًا من أخبار السلاطين وأحوالهم، بادر إلىٰ منزله فدخله، وهو يقرأ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه:١٣١]... الآية ثم ينادي بالصلاة: الصلاة يرحمكم الله، ويصلي[3].

اللهم إنا نعوذ بك من الفقر، والقلة، والذلة، رب قنعنا بما رزقتنا، وبارك لنا فيه، واخلف علينا كل غائبة لنا بخير.



---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٠٩٩٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٢٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٥).

(٣) تفسير القرطبي (١١/ ٢٦٣).

فاطرُ السماواتِ والأرض جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفطر أيضًا: الشق، يقال: فطرته فانفطر،... وتفطر الشيء: تشقق، وسيف فطار، أي: فيه تشقق...، والفطر: الابتداء والاختراع، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كنت لا أدرى ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها»[1].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه، من ذلك الفطر: من الصوم....»[2].

ورود اسم الله (فاطر السماوات والأرض) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (فاطر السماوات والأرض) ست مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:١].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ

---

(١) الصحاح (٢/ ٣٤٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٥١٠).

فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

ورود اسم الله (فاطر السماوات والأرض) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (فاطر السماوات والأرض) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١– عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «**اللهمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[١].

٢– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ . قَالَ: «**قُلْ: اللهمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ،** قال: **قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٣٩٢)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٧٦٤٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧).

٣- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**اللهمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي، تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ، وَتُبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا، تُوَفِّينِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، إِلَّا قَالَ الله لِمَلَائِكَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّ عَبْدِي قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، فَأَوْفُوهُ إِيَّاهُ، فَيُدْخِلُهُ الله الْجَنَّةَ**»[١]، قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف[٢].

معنى اسم الله (فاطر السماوات والأرض) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال السدي وقتادة** رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وغيرهما في قوله تَعَالَى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:١]: «خالق السماوات والأرض»[٣].

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:١] مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما»[٤].

❊ وقال الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنىٰ الفاطر: «إنه فاتق المرتتق من السماء والأرض، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٩٩٣)، والحاكم، رقم الحديث: (٣٤٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٧١).

(٢) تحقيق أحمد شاكر علىٰ المسند (٤/ ٨٣).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٧٥، ١٧٦).

(٤) المرجع السابق (١١/ ٢٨٣).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٤).

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفاطر: هو الذي فطر الخلق: أي: ابتدأ خلقهم، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٥١]، ومن هذا قولهم: فطر ناب البعير، وهو أول ما يطلع»[١].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١] «الذي خلقها وابتدعها علىٰ غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه»[٢].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: «﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١] أي: خالقهما بقدرته ومشيئته وحكمته»[٣].

اقتران اسم الله (فاطر السماوات والأرض) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله فاطر السموات والأرض بأي اسم من أسماء الله تعالى.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (فاطر السماوات والأرض):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (فاطر السماوات والأرض) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ فاطر السموات والأرض الذي خلقها وأبدعها علىٰ غير مثال

---

(١) شأن الدعاء (١/ ١٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٥٤).

سابق، يقول تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١]، وفي بيان مظاهر ذلك ما يلي:

أنه سُبْحَانَهُ فطر السماء والأرض في ستة أيام، وفطر الأرض الكثيفة العظيمة، في يومين، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت:٩] ثم بسطها في يومين، وجعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال والتزلزل، فكمل خلقها، وأخرج أقواتها، وتوابع ذلك قوله تَعَالَى: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠]، ثم بعد أن خلق الأرض خلق السماء ذات الجرم العظيم، والخلق القوي، والارتفاع الباهر في يومين، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت:١٢][1].

كل ذلك من غير تعب، ولا نصب، ولا إعياء، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨].[2]

فطر الأرض وبسطها، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩-٢٠] فسهلها غاية التسهيل؛ ليستقر الخلائق على ظهرها، وأودع فيها من المنافع والمصالح لهم ما أودع، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠]، فأخرج منها الأشجار والنبات، ومعادن الأرض، وأنواع الصنائع والتجارات،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٤٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٨٠٧).

وشق فيها الأنهار والعيون، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام، وأنواع الحيوانات، وسخر ذلك كله لبني آدم، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠][(١)].

وفطر السموات «السبع علىٰ عظمها، وسعتها، وكثافتها، وارتفاعها الهائل، قال تَعَالَىٰ: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد:٢] أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرئيت، وإنما استقرت واستمسكت، بقدرة الله تَعَالَىٰ»[(٢)]، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج:٦٥].

فطر السموات وزينها «بالنجوم الخنس، والجوار الكنس، التي ضربت من الأفق إلىٰ الأفق في غاية الحسن والملاحة»[(٣)]، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:٥].

فطر السموات قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ [النازعات:٢٩] أي: أظلمه، فعمت الظلمة جميع أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٢٩] أي: أظهر فيه النور العظيم، حينما أتىٰ بالشمس التي جعلها ضياء، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس:٥] [(٤)] فـ«جعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٦)، تفسير السعدي (ص: ٧٧٦، ٩٢٢).

(٢) المرجع السابق (ص: ٦٤٧).

(٣) المرجع السابق (ص: ٨٠٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص: ٩٠٩).

ما يبدو صغيرًا، ثم يتزايد نوره وجرمه، حتىٰ يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتىٰ يرجع إلىٰ حاله الأول في تمام شهر، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩-٤٠]»[1].

فطرها وعاقب بين ليلها ونهارها، إذا جاء هذا ذهب هذا، وإذا ذهب هذا جاء هذا، لا يتأخر عنه شيئًا، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ﴾ [يس:٤٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦].

كل ذلك بإتقان وإحكام عجيب لا يرىٰ فيه عيب، ولا خلل ولا إخلال ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨][2].

وقد ضرب الله عَزَّوَجَلَّ صورة من صور إتقانه لخلقه، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤] سبع سموات كل واحدة فوق الأخرىٰ لا يرىٰ فيها خلل ولا نقص، ولو كرر العبد النظر إليها والتأمل في أرجائها لعله يجد خللًا؛ لعاد بصره عاجزًا عن أن يرىٰ خللًا أو فطورًا[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٨).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٢٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٨٧٥).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (فاطر السماوات والأرض) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد أن الله فاطر السماوات بارتفاعها وصفائها، وما فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة، وفاطر الأرض بقوتها وثباتها، وما فيها من الجبال والسهول، والفيافي والقفار، والأشجار والزروع، والبحور والحيوان علىٰ اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وما في ذلك من عظيم الخلقة وبديع النظام؛ علم أن فاطر ذلك وحده من غير شريك ولا معين هو المألوه المعبود الحق، الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له وحده سُبْحَانَهُ(١).

وقد نبه الله عباده علىٰ توحيده وبطلان عبادة غيره، مستدلًّا بخلقه للسموات والأرض في مواضع عدة من كتابه، منها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، فالكل خلق مدبرون، وعبيد مسخرون، لربهم العظيم، القاهر المالك، فقيرون لرزقه وعطاءه، فكيف يليق أن يتخذ ولي من هؤلاء المخلوقات العاجزة؟(٢).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٨٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٥٢).

فمن كان يتولىٰ مخلوقًا لينصره ويعينه، فالله هو فاطر السماوات والأرض، فله السلطان في السماوات والأرض، ومن كان يتولاه ليرزقه ويطعمه، فالله هو الرازق المطعم لمن في السماوات ومن في الأرض، ففيم الولاء لغير صاحب السلطان الرزاق؟

فالله هو الولي وحده، ربًّا، ومعبودًا، وناصرًا، يستنصر به ويعتمد عليه، ويتوجه إليه في الملمات، فيجب إخلاص الولاية له سُبْحَانَهُ، كما قال تَعَالَىٰ بعد أن أنكر أن يُتَّخَذَ وليٌّ غيره: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

وتجدر الإشارة إلىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا ما يحتج علىٰ المشركين بما اعترفوا به من توحيد الربوبية علىٰ ما أنكروه من توحيد الألوهية؛ وذلك لأن توحيد الربوبية فطرت علىٰ قبوله والاعتراف به قلوب بني آدم، فلم ينكره إلا شُذَّاذ قليلون، من بني آدم، ففرعون القائل: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، والقائل: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] معترف في حقيقة الأمر بوجود خالق لهذا العالم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقال موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢][1].

والمشركون أنفسهم الذين بُعث فيهم رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معترفون بالله تَعَالَىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، [يونس: ٣١]، فمن عرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر

---

(١) ينظر: التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، لعبد الله بن حميد (ص١٧-٢٠).

لجميع الأمور؛ أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له[1].

ومن هنا يظهر خطأ من جعل التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية وأن الله خلق كل شيء، وظن بذلك أنه حقق التوحيد وأثبت لا إله إلا الله، مفسرًا لها بالقدرة علىٰ الاختراع، أو نحو ذلك.

ولو كان هذا هو التوحيد الذي يدخل المرء به للإسلام؛ لكان مشركوا العرب الذي قاتلهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مؤمنين مسلمين؛ لإقرارهم أن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، المتصرف في هذا العالم، قال عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾[المؤمنون: ٨٤ - ٨٩][2].

فتوحيد الربوبية وإن كان ركنًا من أركان التوحيد والإيمان بالله إلا أنه لا يحصل به وحده التوحيد الواجب، ولا يخلص صاحبه بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر؛ بل لا بد أن يخلص لله الدين، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه كله لله[3].

الأثر الثالث: التوكل علىٰ فاطر السماوات والأرض:

إذا تأمل العبد في اسم الله فاطر السموات والأرض وعظيم فطرها لهما؛ أيقن قوته جَلَّجَلَالُهُ وعظيم قدرته، وعلم أنه لا يعجزه شيء، يقول تَعَالَىٰ:

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص١٢٥).

(٢) ينظر: التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، لعبد الله بن حميد (ص١٧-٢٠).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣٨٧).

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: ٤٤]، وأن حاجته ومطلبه مهما عظم لن يعجز فاطر السموات والأرض، فيورث ذلك قلبه السكينة والطمأنينة لله، فيثق بقدرته ويتوكل عليه ويصدق في الاعتماد عليه في جلب منافعه الدينية والدنيوية، وفي دفع المضار عنه الدينية والدنيوية أيضًا.

وحين يقلب نظره في السماء والأرض ويستشعر عظيم خلقها، ثم يستحضر عظمة خالقهما وفاطرهما، تستقر في نفسه مهابة الله وخشيته، ويستصغر من دون الله جَلَّ وَعَلَا من العباد مهما كان مقدَّمًا معظَّمًا مبجَّلًا، فيزيد توكله واعتماده علىٰ ربه.

فهذا نبي الله هود، ليس له أنصار ولا أعوان، يصرخ في قومه ويناديهم وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، فيقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤-٥٦][1]، وقبله نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

الأثر الرابع: التأمل في خلق السماوات والأرض:

وقد دعا الله عَزَّوَجَلَّ عباده إلىٰ التفكر في آيات الله الكونية وما خلق في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، وحثهم علىٰ ذلك في

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٨٣-٣٨٤).

مواضع من كتابه، منها:

قوله تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

قال **السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**يدعو** تَعَالَى عباده إلىٰ النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر والاعتبار والتأمل، لما فيها، وما تحتوي عليه»[1].

ويقول تَعَالَى في معرض المدح لأهل الإيمان: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

وإنما شرع الله هذه العبادة لما تثمره من توحيده سُبْحَانَهُ ومعرفته بأسمائه وصفاته، فإذا تفكر العبد في خلق السموات والأرض مثلًا وجد «أن خلقها وتدبيرها وتسخيرها دال علىٰ نفوذ مشيئة الله وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن الخلقة دال علىٰ كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة دال علىٰ سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية دليل علىٰ سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره، وكل ذلك دال علىٰ أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له»[2]، فتتعلق القلوب به، ويبذل الجهد في مرضاته[3].

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٧٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٧٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ١٦١).

الأثر الخامس: محبة (فاطر السماوات والأرض):

إذا تأمل العبد في اسم الله فاطر السموات والأرض وما يتضمنه من الإحسان لعباده، بخلق السموات والأرض، وما أودع فيهما من مصالح شتىٰ، بها تستقيم حياتهم وتطيب، وما سخره لهم من النعيم يوجب كل ذلك محبة فاطرهما وموجدهما، وأن يحب غاية الحب وأن يتذلل له غاية التذلل، وهذان هما قطبا التعبد لله عَزَّوَجَلَّ.

الأثر السادس: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١]:

التأمل في اسم الله فاطر السماوات والأرض، يشعر بمنة الله علىٰ عباده بأن خلق السماوات والأرض وأودع فيهما من المصالح والمنافع التي تعود عليهم بالخير الكثير، وسخر ذلك كله لهم كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣].

فسخر ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وعاقب بين الليل والنهار والشمس والقمر فحصل بذلك الحر والبرد، والفصول، ومعرفة الأيام والحساب، والاستقرار والسكن في الليل، والانتشار والسعي في النهار[1].

وسخر لهم ما في الأرض من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في الأرض مسخر لبني آدم، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:٦٥] حيواناتها، لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها، وثمارها، يقتاتها، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:٣٣]، وقد سلط علىٰ غرسها واستغلالها، واستخراج معادنها والانتفاع بها.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٩)، تفسير السعدي (ص: ٥٢٢).

وسخر لهم البحر، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل:١٤]

تسير سفنه بتسخيره في البحر العجاج، وتلاطم الأمواج، تجري بأهلها بريح طيبة، ورفق وتؤدة، فيحملون فيها ما شاءوا من متاجر وبضائع ومنافع، من بلد إلىٰ بلد، وقطر إلىٰ قطر، ويأتون بما عند أولئك إلىٰ هؤلاء، كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلىٰ أولئك، مما يحتاجون إليه، وجعل فيها الأسماك والحيتان وأحلها لهم في الحل والحرم، وخلق فيه اللآلئ والجواهر النفيسة، وسهل للعباد صيدها واستخراجها من قرارها[1].

ومن نظر في هذا كله وتأمله أوجب له ذلك حمد فاطر السموات والأرض ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:١]، وشكره علىٰ ما أنعم وأولىٰ، والاستعانة بهذه النعم علىٰ طاعته، وترك الاستعانة بشيء منها علىٰ معصيته[2].

الأثر السابع: التدرج والأناة في سائر الأمور:

إن المتدبر في اسم الله فاطر السماوات والأرض، يجد التدرج يظهر جليًّا في خلق الله للسموات والأرض، فقد فطرهما سُبۡحَانَهُ في ستة أيام، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الحديد:٤] مع أنه قادر علىٰ خلقهما في لحظة واحدة، وبكلمة واحدة (كن) ولكن مع أنه قدير، فهو حكيم رفيق، فمن حكمته ورفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة[3].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٢) (٥/ ٤٥١)، تفسير السعدي (ص: ٥٤٤).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٤٩).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٤٥).

لنأخذ من هذا منهجًا شرعيًّا جاءت به الشريعة وأقرته، ألا وهو منهج: التدرج والأناة في الأمر.

فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث ثلاثًا وعشرين سنة يبني المجتمع الإسلامي لبنة لبنة، قام عَلَيْهِ السَّلَامُ طيلة هذه السنين يغرس العقيدة في النفوس، ثم تدرج في فرض الأحكام في العهد المدني، بل الفريضة الواحدة تدرج في فرضها، فالصلاة فُرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ثم أقرت في السفر، وزيدت في الحضر علىٰ أربع للظهر والعصر والعشاء، وكذا الصيام فرض أولًا علىٰ التخيير من شاء صام ومن شاء أفطر وفدىٰ، ثم فرض علىٰ الإلزام.

وحصل التدرج- أيضًا- في التحريم، فالخمر أول ما حرم حرم أوقات الصلوات فقط، ثم حرم مطلقًا، فعلي المسلم أن يلتزم هذا المنهج ويسلكه في حياته ويرفع من قيمة «الإنجاز المتدرج».

الأثر الثامن: الدعاء باسم (فاطر السماوات والأرض):

أمر الله عباده أن يدعوه علىٰ وجه الخصوص باسمه فاطر السموات والأرض، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦].

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ: «إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط، فسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه: قوله تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦]».[1]

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٥).

ودعاء يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه باسمه فاطر السموات والأرض، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه باسمه فاطر السموات والأرض، كما ثبت في جملة من الأحاديث، منها:

- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت و إذا أمسيت، قال: «**اللهمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ**، قال: **قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»[١].

- وما جاء عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَالَ: **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ...**»[٢][٣].

وما جاء عن أبي سلمة بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: **اللهمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ،**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

(٣) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٣٢١).

وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1]، فاختار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الدعاء في ظلمة الليل، التي هي مظنة الاضطراب لذهاب الضوء، والمؤمن عند الاختلاف يرىٰ الأمور مضطربة، ولا غنىٰ له عن هداية الحق له للحق المختلف فيه.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم.



(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٠).

القديرُ القادرُ المقتدرُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قدر الشيء: مبلغه، وقدر الله وقدره بمعنىٰ، وهو في الأصل مصدر، وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر:٦٧]، أي: ما عظموا الله حق تعظيمه، والقدر و القدر أيضًا: ما يقدره الله عَزَّوَجَلَّ من القضاء...»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدر: مبلغ كل شيء؛ يقال: قدره كذا، أي: مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته: أقدره، والقدر: قضاء الله تَعَالَىٰ الأشياء علىٰ مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها،... وقدرة الله تَعَالَىٰ علىٰ خليقته: إيتاؤهم بالمبلغ الذي يشاؤه ويريده...»(٢).

ورود اسم الله: (القدير القادر المقتدر) في القرآن الكريم:

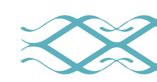
ورد اسمه سُبْحَانَهُ (القدير) في كتاب الله (خمسًا وأربعين مرة)، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:١٤٨].

---

(١) الصحاح (٢/ ٧٨٦).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٦٢-٦٣).



٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩].

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (القادر) في كتاب الله (اثنتي عشرة مرة) سبعة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٧].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]

ورد اسمه سُبْحَانَهُ: (المقتدر) في كتاب الله أربع مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤٢].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

ورود اسم الله: (القدير القادر المقتدر) في السنة النبوية:

ورد اسم الله: (القدير) في السنة النبوية، ومن وروده يلي:

١- عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»[١].

٢- وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٢].

٣- وعن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمْسَىٰ قَالَ: أَمْسَيْنَا وَأَمْسَىٰ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، قال: أراه قال فيهن: لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٩٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧١٩).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢٣).

ورد اسم الله: (القادر) في السنة النبوية، ومن وروده يلي:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في آخر رجل يدخل الجنة، أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول له: «**يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟**، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**»[(١)].

معنى اسم الله (القدير القادر المقتدر):

القدير والقادر والمقتدر أسماء لله عَزَّ وَجَلَّ متقاربة المعاني، ترجع إلىٰ معنيين:

١- القدرة الكاملة التي لا عجز معها.

٢- التقدير للأشياء.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]: «إن الله علىٰ كل ما أراد بعباده من نقمة، أو عفو، قدير»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٣).

۞ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]: «قدير، إن شاء انتقم منهم بعنادهم ربهم، وإن شاء هداهم لما هداكم الله له من الإيمان، لا يتعذر عليه شيء أراده، ولا يتعذر عليه أمر شاء قضاءه؛ لأن له الخلق والأمر»(١)، وقال في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤٢]: «مقتدر علىٰ ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف»(٢).

۞ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القادر علىٰ ما يشاء، لا يعجزه شيء ولا يفوته مطلوب»(٣).

۞ قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي له القدرة الشاملة، والقدرة له صفة قائمة بذاته»(٤).

۞ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تَعَالَىٰ: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئًا فعله من غير ممانع ولا معارض».

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ القَدِيرُ وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا ... مَا رَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانِ(٥)

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥٠٤).

(٢) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٦٠٠).

(٣) تفسير الأسماء (ص: ٥٩).

(٤) الاعتقاد (ص: ٦٣).

(٥) النونية (ص: ٢٠٥).

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❁ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد يكون القادر بمعنىٰ المقدر للشيء، يقال: قدرت الشيء وقدرته بمعنىٰ واحد كقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] أي: نعم المقدرون»[١].

❁ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (المقتدر): «وإن كان يقدر علىٰ أشياء كثيرة لم يفعلها، ولو شاء لفعلها، فاستحق بذلك أن يسمىٰ: مقتدرًا»[٢].

❁ قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدير كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها علىٰ ما يشاء ويريد»[٣].

الفرق بين القدير والقادر، والمقتدر:

يمكن أن نقول: إن الفرق بين هذه الأسماء أن القادر هو المتمكن، في حين أن القدير صيغة مبالغة منه، والمقتدر أبلغ وأعم.

❁ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المقتدر) مبالغة في الوصف بالقدرة، والأصل في العربية أن زيادة اللفظ زيادة المعنىٰ، فلما قلت: اقتدر، أفادت زيادة اللفظ زيادة المعنىٰ»[٤].

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٨٦).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٤).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٧).

(٤) تفسير الأسماء (ص: ٥٩).

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المقتدر)... ووزنه: (مفتعل) من القدرة، إلا أن الاقتدار أبلغ وأعم؛ لأنه يقتضي الإطلاق، والقدرة قد يدخلها نوع من التضمين بالمقدور عليه»[1].

❊ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أسماء الله تَعَالَى: (القادر، والمقتدر، والقدير): فالقادر: اسم فاعل، من قدر يقدر، والقدير: فعيل منه، وهو للمبالغة، والمقتدر: مفتعل، من اقتدر، وهو أبلغ»[2].

اقتران اسم الله: (القدير القادر المقتدر) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (القدير) باسمه سُبْحَانَهُ (العليم):

تقدم بيانه في اسم الله (العليم).

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ: (القدير) باسمه سُبْحَانَهُ (العفو):

تقدم بيانه في اسم الله (العَفُو).

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (القدير) باسميه سُبْحَانَهُ (الغفور الرحيم):

اقترن اسم الله (القدير) باسمه (الغفور الرحيم) مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:٧].

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٨٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٤/ ٢٢).

ووجه الاقتران بينهما: لدلالة علىٰ أن مغفرته ورحمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن قدرة كاملة تامة، لا عن ضعف وحاجة.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله: (القدير القادر المقتدر):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (القدير، القادر، المقتدر) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ قدير، قادر، مقتدر له القدرة والتقدير الشامل التام من كل وجه.

أ- فأما قدرته سُبْحَانَهُ: فله جَلَّجَلَالُهُ القدرة الواسعة التي وسعت كل شيء، والقدرة الكاملة التي كملت من كل وجه.

فأما سعة قدرته:

فقدرته عامه شاملة لكل شيء، إذا أراد شيئًا قال له: (كن) فيكون، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق:١٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

ومن أثار سعة قدرته ما يلي:

١- أنه بقدرته خلق الخلق وأوجدهم من العدم، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:٢٠].

٢-أنه بقدرته خلق السموات السبع والأرضين السبع علىٰ عظمهما وسعتهما، وما فيهما من إتقان وإحكام في ستة أيام من غير تعب ولا نصب،

ونشر بقدرته فيهما أصناف الدواب من الإنس والجن وسائر الحيوانات[1]، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٢٩].

٣- أنه بقدرته نوَّع خلقهم، فاختلفت أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وطباعهم وأجناسهم، وأنواعهم مع أن أصلهم واحد[2]، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور:٤٥] «كما أنزل المطر على الأرض، وهو لقاح واحد، والأم واحدة، وهي الأرض، والأولاد مختلفو الأصناف والأوصاف، قال تَعَالَى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤]»[3].

٤- أنه بقدرته يخلق ما يشاء على ما يشاء من الصفات، ويزيد في خلق بعضهم ما يشاء من القوة، والحسن، وزيادة الأعضاء، وحسن الأصوات، ولذة النغمات ونحو ذلك[4]، قال تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٧)، تفسير السعدي (ص: ٨٧٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٧)، تفسير السعدي (ص: ٥٧١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٧١).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٨٤).

﴿رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر:١].

٥- أنه بقدرته خلق الآدمي من ماء مهين، ثم نشر منه ذرية كثيرة، وجعلهم أنسابًا وأصهارًا متفرقين ومجتمعين، ومرجعهم كلهم ذلك الماء المهين[1] قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهْرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٤].

٦- أنه بقدرته فاوت بينهم فيما خلق لهم، فمنهم من يهبه البنات، ومنهم من يهبه البنين، ومنهم من يهبه من النوعين ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيمًا لا نسل له ولا ولد، قال تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠][2].

٧- أنه بقدرته يقيم الساعة في لمح البصر، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [النحل:٧٧]، ويجمع الأولين والأخرين في صعيد واحد مهما كان تفرق أبدانهم وأجسادهم، ومهما كان مكان مهلكهم ومصرعهم[3]، قال تَعَالَى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾ [الشورى:٢٩].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ١٩٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٣).

٨- أنه بقدرته يكرم أهل الجنة بألوان النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر من غير انقطاع ولا زوال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [سورة القمر: ٥٤-٥٥]، وبقدرته يعذب المكذبين بأصناف العذاب وألوان النكال من غير زوال ولا انقطاع بحال من الأحوال(١).

وكل ذلك الخلق وما فيه من كثرة وتنوع واختلاف، والبعث وما فيه من تفرق واجتماع ما هو إلا كخلق نفس واحدة وبعثها؛ إذ لا يتعذر علىٰ الله القدير شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فسواء خلق واحد وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم، قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:٢٨](٢).

وأما كمال قدرته:

فقدرته تبارك وتعالى كاملة سالمة من اللغوب، والإعياء، والتعب، والعجز عما يريد، قائمة علىٰ العلم، والملك، والحكمة، والقهر، والنصر ونحو ذلك من صفات كماله.

فهو القدير الذي أحاط بكل شيء علمًا، فعلم السرائر والضمائر والظواهر، لا تخفىٰ عليه خافية، ولا تغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا

---

(١) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٤٥-٤٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٣)، تفسير السعدي (ص: ٦٥١).

﴿فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٩].

وهو **القدير الذي ملك العالم العلوي والسفلي**، وتصرف فيه بما شاء، ودبر أمره على ما أراد لا يمتنع عليه أمر من الأمور، ولا يعجزه أحد، بل كل شيء طوع مشيئته وقدرته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٩]، وقال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٢٠]، وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١][1].

وهو **القدير الذي يحكم** في ملكه بما قدر وقضى، فيعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويصح من يشاء، ويمرض من يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧].

وبقدرته وحكمه أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأقام الحجج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٩][2].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٦)، تفسير السعدي (ص:١٢١، ١٦١).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٢٧).

وحكم بشرعه، فأحل ما شاء، وحرم ما شاء، وأباح ما شاء، وحظر ما شاء، ونسخ وبدل وغير من أحكامه ما شاء، وأقر منها ما شاء، يحكم بما يريد، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، قال تعَالَى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦][(١)].

ثم هدىٰ لشرعه من شاء، وضل عنه من شاء، ووفق إليه من شاء، وخذل عنه من شاء، القلوب بيده يصرفها علىٰ ما يشاء، قال تعَالَى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:٧][(٢)].

وهو القدير الذي قهر أعداءه بما أوقع عليهم من أنواع العقوبات وبما أحل عليهم من المَثُلَات، قال تعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

«فخليت منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة، وكثرة العَدد والعُدد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنىٰ ذلك شيئًا، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء»[(٣)].

فها هو فرعون وجنده مع ما هم فيه من الملك والجبروت، لما أتىٰ أمر الله لم يغن عنهم ذلك شيئًا، قال تعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٨٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٨).

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ١٢٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٦٠).

﴿كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤١-٤٢] فأبادهم المقتدر ولم يبق منهم مخبرًا ولا عينًا ولا أثرًا[1].

وبقدرته يقهرهم إذا شاء، قال تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:٩٥]، وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥].

ولو شاء لذهب بقدرته بالخلق، وأتىٰ بخلق جديد خير منهم، قال تَعَالَى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء:١٣٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٩]، لكنه العَفُوُّ سُبْحَانَهُ الذي يعفو عن الزلات والذنوب العظام فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته، قال تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩][2].

وهو **القدير الذي نصر** حزبه مع ما هم فيه من قلة العدة والعتاد، قال تَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨١).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢١٢).

وبقدرته ينصرهم متىٰ ما شاء، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥].

«فإياكم وسوء الظن بالله، فإنه قادر علىٰ نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤]»[1].

ب- وأما تقديره سُبْحَانَهُ:

فله جَلَّجَلَالُهُ التقدير العام الشامل لكل شيء، والتقدير الكامل الذي لا نقص فيه.

فأما سعة تقديره:

فتقديره سُبْحَانَهُ واسع وسع الخلائق كلها، فلا يحدث شيء في ملكوته سُبْحَانَهُ إلا وسبقه تقدير من القدير جَلَّجَلَالُهُ، فلا يتقدم عليه شيء ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه، قال تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقال تَعَالَى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تَعَالَى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٥٦).

وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرىٰ به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف»[1].

ومن تقدير القدير سُبْحَانَهُ **خلق الجنين** في بطن أمه فدبره في الظلمات، ونقله من نطفة إلىٰ علقه إلىٰ مضغة إلىٰ أن كان جسدًا، ثم نفخ في الروح، وقدر أجله ورزقه وعمله، وشقي أو سعيد[2]، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٨-١٩]، وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدثنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق، قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[3].

وتقدير الأرزاق بين عباده فيعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، كل ذلك بمقدار لا يزيد عنه ولا ينقص، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِي

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٢٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٢)، وتفسير السعدي (ص: ٩٠٤).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٤٣).

ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧][1].

وقدر إنزال المطر، فينزله بقدر ما يكفي الخلائق، فلا ينقص بحيث لا يكفي الأرض والأشجار فلا يحصل به المقصود، ولا يزيد زيادة لا تحتمل، فتتلف المساكن، وتموت معه النباتات والأشجار، بل أغاث به العباد، وأنقذ به البلاد من الشدة، قال تعالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف:١١][2]، وقدر الزروع والحبوب وغيرهما مما يخرج من الأرض كالمعادن والجواهر ونحو ذلك، قال تعالَى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠][3].

وتقدير الموت بين الخلائق فعجله لبعض الخلق، وأخره عن بعض إلىٰ أجل مسمىٰ، فإذا جاء لم يتقدم ولم يتأخر عما قدر الله، قال سُبْحَانَهُ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة:٦٠][4].

وتقدير الهداية والضلالة علىٰ الخلائق، فهدىٰ من شاء، وأضل من شاء، وأسعد من شاء، وأشقىٰ من شاء، وقدر من شاء للجنة برحمته، وقدر من شاء للنار بعدله، وقدر نعيم أهل الجنة حتىٰ قدر شراب أهلها، قال تعَالَى: ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٦]، فقدرت علىٰ قدر ريِّ أهلها فلا تزيد ولا

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٣٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٤٩-٧٦٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٧).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٧).

تنقص؛ لأنها لو زادت نقصت لذتها، ولو نقصت لم تف بريهم، وقدر عذاب أهل النار فلا يزاد فيه ولا ينقص عما شاء تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[1].

وأما كمال التقدير:

فتقدير الله عَزَّوَجَلَّ كامل لا نقص فيه ولا خلل؛ وذلك أنه قائم علىٰ العلم والكتابة السابقتين، والمشيئة التي لا تنفك عن حكمه، والخلق العام.

فالله سُبْحَانَهُ قدر الأشياء؛ بناء علىٰ ما علم من حالها، وما يصلح لها؛ فعلم سُبْحَانَهُ من يصلح للفقر ولا يصلح للغنىٰ، ومن يصلح للمرض ولا يصلح للعافية، ومن يصلح للعقم ولا يصلح للولد، وعلم ضد ذلك فقدر فلم يخرج تقديره عن حكمه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورىٰ:٢٧] أي: «لغفلوا عن طاعة الله، وأقبلوا علىٰ التمتع بشهوات الدنيا، فأوجبت لهم الإكباب علىٰ ما تشتهيه نفوسهم، ولو كان معصية وظلمًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورىٰ:٢٧]، كما في بعض الآثار أن الله تَعَالَىٰ يقول: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنىٰ، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا المرض ولو عافيته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني خبير بصير»[2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٠٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٥٨).

ثم كتب سُبْحَانَهُ ما علم في اللوح المحفوظ، كما جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[1].

ثم إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شاء ما كتب، فخلق الخلق بناء عليه، ووزع أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة بناء علىٰ ما كتب[2].

فكل شيء كائن كما علم، وكتب، وشاء، وخلق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فما شاء كان ولو حاول منعه كل ممانع، وما لم يشأ لم يكن ولو حاول إيجاده كل موجد، وقدره نافذ لا محاله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان أمره الذي يقدره كائنًا لا محالة، وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»[3].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (القدير، القادر، المقتدر) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في ضعفه وضعف المخلوقات من حوله وعجزهم؛ إذ لا يملك أحد منهم قدرة علىٰ الخلق، ولا النفع، ولا الضر، ولا العطاء، ولا المنع، ولا النصر، ولا الامتناع كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (٤٧٠٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢١٥٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٧٠٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٧).

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤-٥٥]، وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧]، فالكل فقير مملوك لله عَزَّوَجَلَّ، نفذت فيه قدرته ومشيئته تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فإذا تؤمل هذا علم أن من هذا حاله لا يستحق شيئًا من العبادة، وإنما العبادة حق للقادر القدير المقتدر لا إله إلا هو، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج:٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٩][1].

الأثر الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر:

إذا علم العبد اسم الله (القادر، القدير، المقتدر) وتيقن ما فيه من تقدير نافذ، وقضاء كائن بلا ممانعة ولا مدافعة؛ قاده ذلك للإيمان بالقضاء والقدر الذي هو أصل عظيم من أصول الإيمان، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جبريل الطويل لما سئل عن الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِه، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٢٦- ٢٥٢-٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله عَزَّوَجَلَّ، وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها، ومن وحد اللهتَعَالَى، وكذب بالقدر؛ نقض التوحيد»[1].

وقال عوف: سمعت الحسن يقول: «من كذب بالقدر، فقد كذب بالإسلام، إن الله عَزَّوَجَلَّ قدر خلق الخلق بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم البلاء بقدر، وقسم العافية بقدر»[2].

وحقيقة الإيمان بالقدر: الإيمان بأن كل شيء يحدث في هذا الملكوت بقدر الله علما، وكتابة، ومشيئة، وخلقًا[3]؛ **إذ الإيمان بالقدر إيمان بأربع مراتب**[4]:

١-الإيمان بعلم الله السابق للأشياء قبل وقوعها جملة وتفصيلًا؛ فإنه سُبْحَانَهُ يعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام:٥٩].

---

(١) القدر، للفريابي (ص: ١٧٣)، والإبانة الكبرىٰ، لابن بطة (٤/ ١٥٨).

(٢) الإبانة الكبرىٰ، ابن بطة (٤/ ١٨٤).

(٣) ينظر: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، لصالح آل لشيخ (١/ ٢٤٠).

(٤) ينظر: شرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: ٤٩، وما بعدها)، وشرح الأربعين النووية، لصالح آل الشيخ (ص: ٦٥، وما بعدها)، وإتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، لصالح آل لشيخ (١/ ٢٤٠، وما بعدها).

٢-الإيمان بأن الله كتب أحوال الخلق وتفصيلاتها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»[1].

٣-الإيمان بأن كل ما حدث في الكون ويحدث بمشيئة الله وإرادته كونًا، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩].

٤- الإيمان بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق كل شيء، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

فكل شيء مخلوق لله: السموات، والأرض، والبحار، والأنهار، والكواكب، والشمس، والقمر، والإنسان وعمله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحتمل أن تكون (ما) مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم، ويحتمل أن تكون بمعنىٰ: (الذي) تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه، وكلا القولين متلازم، والأول

(١) سبق تخريجه.

أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب (أفعال العباد)، عن علي بن المديني، عن مروان بن معاوية، عن أبي مالك، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة مرفوعًا قال: «**إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ**»[1][2].

فمن آمن بهذه المراتب الأربع آمن بالقدر الذي من ثمراته: الرضىٰ والتسليم لتقدير الله عَزَّوَجَلَّ خيره وشره، وحلوه ومره لا سيما إذا اقترن مع هذا الإيمان استشعار لعلم الله التام، وحكمته البالغة، ورحمته العظيمة التي صدر عنها هذا التقدير، واستشعار أن الجزع والسخط لا يرد من القدر شيئًا، وإنما يفوت علىٰ العبد الأجر والمثوبة، ويعود عليه بالوبال والخسارة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من ملأ قلبه من الرضا بالقدر: ملأ الله صدره غنىٰ وأمنًا وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، ومن فاته حظه من الرضا: امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه»[3].

ومن ثمراته- أيضًا- سلامة القلب من الحقد والحسد ونحوهما من أمرض القلوب؛ ذلك لإيمان صاحبه بأن الكل بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه سُبْحَانَهُ هو الذي أعطىٰ ومنع، فالفضل فضله، والعطاء عطاؤه، وله في ذلك الحكمة البالغة، والمنة العظيمة[4].

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٤٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٢٠٢).

(٤) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٥١).

الأثر الرابع: التوكل على القدير، القادر، المقتدر والثقة به:

إذا آمن العبد باسم الله (القادر، القدير، المقتدر) وتيقن ما تضمنه من القدرة العظيمة التي لا يعجزها شيء في السماء والأرض، ثم نظر إلىٰ مطالبه ومكارهه، وعلم أنها لا تخرج عن قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤] حمله ذلك علىٰ صدق التوكل علىٰ القادر عَزَّوَجَلَّ، والثقة به في جلب مطالبه، ودفع مكارهه، والتعلق به وحده سُبْحَانَهُ دون ما سواه، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الشورىٰ:٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأنعام:١٧] [(١)].

كما يحمله- يقينه بقدرة الله- علىٰ عدم اليأس والقنوط من رحمته؛ فإنه سُبْحَانَهُ لا يتعاظم عليه شيء مهما عظم وكبر، فلا يتعظم عليه أن يغفر الذنوب ولو كانت كالجبال بل قادر سُبْحَانَهُ علىٰ أن يبدلها حسنات، ولا يتعاظم عليه أن يرفع بلاء أو يكشف مصاب أو يدفع ضرًّا، فهو القادر سُبْحَانَهُ علىٰ أن يبدل المرض عافية، والألم راحة، والسهر نومًا، والخوف أمنًا، والفقر غنًىٰ، والجوع شبعًا، والضعف قوة، والهزيمة نصرًا، وهو علىٰ كل شيء قدير.

وهذا اليقين بقدرة الله يحمل العبد- أيضًا- علىٰ الثقة بنصره عَزَّوَجَلَّ للمسلمين؛ إذ قدرته لا تعجز عن نصرهم ورفع المصائب والنكبات عنهم مهما كان ضعفهم وتأخرهم، كما لا تعجز عن قصم عدوهم وكبته مهما كانت قوته وتقدمه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٥٠).

مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج:٣٩].

ويحمله علىٰ الشعور بالعزة والقوة أمام كيد الكافرين ومكرهم، وذهاب الخوف منهم ومن قوتهم؛ للعلم بأنهم في قبضة الله تَعَالَى وتحت قدرته وقهره[١].

الأثر الخامس: الخضوع للقدير والاستعانة به:

جعل الله عَزَّوَجَلَّ لخلقه قدره تقوم بها حياتهم، كما قال سُبْحَانَهُ في إثباتها: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٤]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ [يونس:٢٤] إلا أن قدرة المخلوق مهما بلغت لا تعدل شيئًا أمام قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، وتوضيح ذلك بما يلي:

١- قدرة المخلوق مسبوقة بالعجز والضعف، كما في حال الطفولة؛ فالطفل في بداية ولادته لا يستطيع أن يدفع عن نفسه قليلًا ولا كثيرًا، أما قدرة الله عَزَّوَجَلَّ فأولىٰ وآخرة، لا بداية لها ولا نهاية.

٢- قدرة المخلوق مكتسبة من إقدار الله له، وليست قدرة مستقلة، بخلاف قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فقدرته ذاتية مستقلة لم يكتسبها من أحد.

٣- قدرة المخلوق ناقصة، يعوزها المساعد والمعاون والمستشار والخبير، بخلاف قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فقدرته كاملة تامة لا تحتاج إلىٰ أحد كائنًا من كان.

---

(١) ينظر: ولله الأسماء الحسنىٰ، للجليل (ص: ٥٣٥).

٤- قدرة المخلوق محدودة ببعض الأشياء دون بعض، بخلاف قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فقدرته عامة لكل شيء، قال تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

٥- قدرة المخلوق فانية، ومهددة بالزوال، بخلاف قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فقدرته دائمة مستمرة لا زوال لها ولا نهاية.

فإذا علم العبد هذا خضع لله عَزَّوَجَلَّ، ولم يغتر بقدرته أو يستقل بها في أموره، بل يشعر دومًا بحاجته وفقره لقدرة الله عَزَّوَجَلَّ، كما جاء في دعاء الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ**»[1].

وهذا الشعور يثمر الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ، وتمام الالتجاء إليه، كما أوصىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والأمة من وراءه بذلك، فقال: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٢٥١٦)، والحاكم، رقم الحديث: (٦٣٦٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٥١٦).

يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1].

فبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أن الإنسان لا يدرك مطالبه من أمور الدين أو الدنيا بالعمل والسعي الجاد في تحصيلها فقط، بل لا بد أن يعطف علىٰ سعيه الاستعانة بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ولو صغرت، ودفع مضاره ولو سهلت، ولا معين له علىٰ مصالح دينه ودنياه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ[2].

الأثر السادس: محبة الله القادر القدير المقتدر:

إذا تأمل العبد في اسم الله (القادر، القدير، المقتدر)، واستشعر كمال قدرته وتقديره؛ فلما قدر حلم، ولما قدر عفا وغفر، ولما قدر عدل ولم يظلم، ولما قدر لم يعجز عن شيء ألبتة، ولما قدر قدر عن علم، وحكمة، ورحمة قاده ذلك كله لمحبته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والتعلق به، لا سيما وقد فُطرت القلوب علىٰ محبة من له الكمال.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٦٤).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٥٧٢)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٥١).

الأثر الثامن: الحذر من الظلم:

إذا آمن العبد بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الخلق عمومًا، وعلىٰ الظالمين خصوصًا، كما جاء عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: **اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ** . فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: **أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ**»[1].

وعلم انتقام القدير سُبْحَانَهُ للمظلوم من ظالمه، كما جاء في جملة من الأحاديث، منها:

١- حديث خزيمة بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَىٰ الغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[2].

٢- حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[3].

٣- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٩٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٧٥٢)، وابن حبان واللفظ له، رقم الحديث: (٨٧٤)، حكم الألباني: حسن لغيره، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٨٧١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٨)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩).

هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1].

٤- حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[2].

إذا علم العبد ذلك ردعه ذلك كله عن العدوان والظلم، لا سيما ظلم العباد في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، كما يدفع الظالم للتوبة والاستغفار والخروج من مظالم الخلق في الدنيا قبل التقاصِّ يوم القيامة.

الأثر التاسع: الدعاء باسم الله القادر القدير المقتدر، والاستعاذة بقدرته:

كل إنسان له مطالب يرغب في تحصيلها، ومخاوف يرغب في دفعها، والكل تحت قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، لا يخرج عنها شيء، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور:٤٥]، ولا يقدر العبد علىٰ ما في يد الله إلا بسؤاله ورجائه، كما قال مطرف بن الشخير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تذكرت ما جماع الخير، فإذا الخير كثير: الصوم والصلاة، وإذا هو في يد الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا أنت لا تقدر علىٰ ما في يد الله عَزَّوَجَلَّ إلا أن تسأله فيعطيك، فإذا جماع الخير الدعاء»[3][4].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٩).

(٣) الزهد، لأحمد بن حنبل (ص: ١٩٥).

(٤) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٥٢).

فإذا علم العبد هذا وتيقنه؛ أدام سؤال الله عَزَّوَجَلَّ حاجته، وأكثر من دعائه، لا سيما باسمه (القادر، القدير، المقتدر) الذي أرشدنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسؤال الله به في جملة من الأدعية والأذكار، منها:

١- دعاء الاستخارة، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: **إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ**»[(١)].

٢- الذكر ما بين التشهد والسلام، فعن عطاء بن السائب، عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «صَلَّىٰ بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ، أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَىٰ ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كَنَّىٰ عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: **اللهمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللهمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَىٰ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ**

---

(١) سبق تخريجه.

لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللهمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[1].

٣- رقية المريض، فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شَكَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ الله ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِالله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»**[2].

اللهم إنا نسألك بقدرتك، أن تستعملنا في طاعتك، وتسخر ما أوليتنا به من قدرات في مراضيك ومحابِّك.



(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٦١٥)، والنسائي واللفظ له، رقم الحديث: (١٣٠٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (١٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٢٠٢).

القَرِيبُ المُجِيبُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: (القريب):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(قرب) قرب الشيء بالضم يقرب قربًا، أي: دنا... تقول: هذه المرأة قريبتي، أي: ذات قرابتي، وقربته بالكسر أقربه قربانًا، أي: دنوت منه... والقرب: ضد البعد»[١].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(قرب) القاف والراء والباء أصل صحيح يدل علىٰ خلاف البعد، يقال: قرب يقرب قربًا، وفلان ذو قرابتي، وهو من يقرب منك رحمًا...»[٢].

ثانيًا: (المجيب):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(جوب) الجواب معروف، يقال: أجابه وأجاب عن سؤاله، والمصدر الإجابة، والاسم الجابة بمنزلة الطاعة والطاقة... والإجابة والاستجابة بمعنىٰ، يقال: استجاب الله دعاءه...»[٣].

---

(١) الصحاح (١/ ١٩٨).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٨٠).

(٣) الصحاح (١/ ١٠٤).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ اللَّهُ: «(جوب) الجيم والواو والباء...وأصل آخر، وهو مراجعة الكلام، يقال: كلمه فأجابه جوابًا، وقد تجاوبا مجاوبة، والمجابة: الجواب...»[1].

ورود اسم الله (القريب المجيب) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله القريب:

ورد اسم الله (القريب) ثلاث مرات في كتاب الله، وقد وردت كالتالي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠].

ثانيًا: ورود اسم الله المجيب في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المجيب) مرتين في كتاب الله، وهما:

١- قوله تَعَالَى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾[الصافات:٧٥].

(١) مقاييس اللغة (١/ ٤٩١).

ورود اسمي الله (القريب والمجيبِ) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله القريب:

ورد اسم الله (القريب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

حديث أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَىٰ وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ**. وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ لِي: **يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ** قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، **قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ**. قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، **قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[1]، وفي رواية: «**وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ**»[2].

ثانيًا: ورود اسم الله المجيب:

ورد اسم الله (المجيب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

حديث أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أيضًا: «أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالدُّعَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ قَرِيبًا مُجِيبًا، يَسْمَعُ دُعَاءَكُمْ وَيَسْتَجِيبُ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٤٢٠٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٩٩١٤). إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين، (كما في مسند أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون).

معنى اسم الله (القريب المجيب) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم الله (القريب):

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠]: «... غير بعيد، فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون، وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد»[١].

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القريب: الذي ليس ببعيد، فالله عَزَّوَجَلَّ قريب ليس ببعيد، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] أي: أنا قريب الإجابة، وهو مثل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]... وكل هذا يراد به- والله أعلم- إحاطة علمه بكل شيء، وكون كل شيء تحت قدرته وسلطانه وحكمه وتصرفه، ولا يراد بذلك قرب المكان والحلول في بعضه دون بعض، جل الله وتَعَالَى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا»[٢].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القريب: معناه: أنه قريب بعلمه من خلقه، قريب ممن يدعوه بالإجابة، كقوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]»[٣].

❊ **وقال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١] «أي: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤله، وقبول

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٠).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٤٦-١٤٧).

(٣) شأن الدعاء (ص: ١٠٢).

عبادته، وإثابته عليها، أجلَّ الثواب»[1].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَهُــوَ القَرِيــبُ وَقُرْبُــهُ المُخْتَــصُّ بِالدَّ اعِــي وَعَابِــده عَلَــىٰ الإِيمَــانِ[2]

ثانيًا: معنىٰ اسم الله (المجيب):

❁ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود:٦١]، يقول: «إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه»[3].

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المجيب هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وقال الله تَعَالَىٰ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]»[4].

❁ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ويقال: أجاب واستجاب بمعنىً واحد»[5].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٨٤).

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٢٠٨).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٣٦٩).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥١).

(٥) شأن الدعاء (ص: ٧٢).

❁ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي ينيل سائله ما يريد، لا يقدر علىٰ ذلك غيره»[١].

❁ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي أسماء الله تَعَالَى: (المجيب) وهو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالقبول والعطاء، وهو اسم فاعل من: أجاب يجيب»[٢].

❁ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١]: «يجيبه بإعطائه سؤله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب»[٣].

❁ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهوَ الـمُجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْـ ... ـهُ أَنَا الـمُجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي

وَهوَ الـمُجِيبُ لِدَعْوَةِ الـمُضْطَرِّ إِذْ ... يَدْعُـوهُ فِـي سِـرٍّ وَفِـي إِعْـلَانِ[٤]

اقتران اسم الله (القريب المجيب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله القريب:

اقترن اسم الله القريب باسم الله (السميع)، واسمه (المجيب).

أولًا: اقتران اسم الله القريب باسمه السميع:

تقدم بيانه في اسم الله (السميع).

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (ص: ٣١٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٨٤).

(٤) نونية ابن القيم (ص٢٠٨).

ثانيًا: اقتران اسم الله القريب باسمه المجيب:

اقترن اسم الله القريب باسمه المجيب في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

وجه الاقتران:

«أن الله سُبْحَانَهُ عندما يسأله عباده ويدعونه، فإنه يسمع دعاءهم ويستجيب لهم، ولا يمنعه علوه فوق خلقه عن سماع دعائهم؛ لأنه قريب لهم يسمع دعاءهم ويقضي حوائجهم علىٰ اختلاف لغاتهم وتفنن حاجاتهم، فهو سُبْحَانَهُ قريب في علوه عال في قربه»[1].

ثانيًا: اقتران اسم الله المجيب:

- اقتران اسم الله (المجيب) باسمه (القريب):

تقدم بيانه في اسم الله (القريب).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (القريب المجيب):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (القريب، المجيب) من الصفات:

لما كان ربنا عَزَّوَجَلَّ بكل شيء عليم، وبخلقه رحيم، وعليم جواد كريم محسن، وبيده خزائن السموات والأرض كان من أسمائه القريب المجيب، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وقد تضمنا صفة القرب والإجابة، وهما علىٰ نوعين:

---

(١) ولله الأسماء الحسنىٰ، للجليل (٢/ ٣٤).

النوع الأول: القرب والإجابة العامة:

١- القرب العام:

الله عَزَّوَجَلَّ عالٍ علىٰ خلقه، فوق سماواته مستو علىٰ عرشه، بائن من خلقه وهم منه بائنون إلا أنه مع ذلك **قريب من سائرهم بعلمه وخبرته ومراقبته ومشاهدته وإحاطته**[1]، قريب من الإنس والجن، والمؤمن والكافر، والبر والفاجر، والخفي والظاهر، والعاقل وغير العاقل، مطلع علىٰ جهرهم وسرهم، ومشاهد لحركاتهم وسكناتهم، ومعهم أينما كانوا، وفي أي ساعة كانوا، وعلىٰ أي حال انقلبوا لا يخفىٰ عليه شيء من أمرهم، قال تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(والَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ)**[2].

وهو سُبْحَانَهُ **قريب بسمعه** من كل متكلم، يسمع كل ما ينطق به، لا يخفىٰ عليه كلمة ولا يفوته حرف، سواء نطق به سرًّا أم جهرًا، قال تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ)**[3].

فإن استشكل مستشكل قرب ربنا مع علوه، قلنا نقلًا عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو سُبْحَانَهُ قريب في علوه؛ عالٍ في قربه، كما في الحديث الصحيح

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٣) سبق تخريجه.

عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (كنا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سفر، فارتفعت أصواتنا بالتكبير، قال: **أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**)(١).

فأخبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وهو أعلم الخلق به- أنه أقرب إلىٰ أحدكم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سماواته علىٰ عرشه؛ مطلع علىٰ خلقه؛ يرىٰ أعمالهم، ويرىٰ ما في بطونهم، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر.

والذي يسهل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الرب؛ وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سُبْحَانَهُ يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرىٰ؛ ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه؛ ويقرب من خلقه كيف شاء وهو علىٰ العرش؟!»(٢).

٢- الإجابة العامة:

الله عَزَّوَجَلَّ القريب المجيب الذي يسمع دعاء الداعي وسؤال السائل ومناجاة الطالب، **فيعمهم** بالإجابة مهما كانوا، وأين كانوا، وعلىٰ أي حال كانوا، وبأي لغة نطقوا، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١](٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (ص: ٤٨٢-٢٨٣).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

- **يجيب المجيب** المؤمن التقي، كما يجيب الكافر الفاجر بمقتضىٰ ربوبيته، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣- ٦٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

- **استجاب** لإبليس رأس الكفر حين طلب الإنظار: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[الحجر: ٣٦- ٣٨].

- واستجاب لقوم سبأ حين أنعم عليهم بالنعم العظيمة، و الآلاء الجسيمة، فاستكثروا نعم الله، وقابلوها بالجحود والنكران، فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩].

- واستجاب لفرعون هذه الأمة أبي جهل، حين استفتح يوم بدر، فقال: «أينا أقطع للرحم، وآتانا بما لا يعرف، فأحنه الغداة، وقال: اللهم انصر أحب الدينين إليك، ديننا العتيق، أم دينهم الحديث، وفي ذلك أنزل الله تَعَالَى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]»[1].

- واستجاب- أيضًا- للنضر بن الحارث حين دعا: اللهم إن كان هذا هو الحق، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، قال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٥٢-٤٥٤)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٢).

«لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية، فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر»[1].

ولا يلزم من إجابته لهم ولا لغيرهم من الكفار محبتهم وإكرامهم والرضىٰ بما هم عليه، وإنما يجيبهم لحِكَم، منها: الابتلاء للعباد كما في إجابة إبليس، ومنها: تكفله برزق خلقه في الدنيا فإذا طلبوا منه ذلك أعطاهم إياه، وأيضًا: إقامة حجته عليهم، وإظهارًا لكرمه وجوده ومنته علىٰ العالمين، واستدراجهم بتعجيل الخير لهم في الدنيا ليذوقوا العذاب في العاقبة، قال تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]، ومنها: الانتصار للمظلوم؛ لتحريم الظلم حتىٰ وإن كان علىٰ الكافر كما جاء في الحديث: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**»[2].

- **ويجيب المجيب أيضًا**: المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، ويكشف السوء عمن ناجاه، ويرفع الظلم عمن بث إليه شكواه، قال تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**»[3]، الكل مفتقر إليه، لا قوام لحياته إلا عليه ولا ملجأ له منه إلا إليه، قال تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩][4].

---

(١) تفسير الخازن (٣/ ٢٨).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١/ ٢٠٦)، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (١/ ٢١٥-٢١٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: الاعتقاد، للبيهقي (ص: ٥٩)، تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

النوع الثاني: القرب والإجابة الخاصة:

١- القرب الخاص:

خص الله عَزَّوَجَلَّ أهل طاعته بقرب خاص، قرب يقتضي إجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، وتوفيقهم وتسديدهم، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١][1].

وخصهم القريب بمزيد من الرحمة، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

كما خصهم بالنصر والتأييد في الحركات والسكنات، قال تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤][2].

وخصهم القريب المجيب بمزيد من إجابة الدعاء، وهو ما يعرف بالإجابة الخاصة.

٢- الإجابة الخاصة:

خص الله المجيب أهل طاعته وتقواه بمزيد من إجابة الدعاء، سواء أكان ذلك دعاء عبادة، فيجيبهم بالقبول وحسن الثواب، أم دعاء مسألة فيجيبهم بإعطائهم سؤلهم وتحقيق مرادهم، قال تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦][1].

فهذا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طال مقامه في قومه حتىٰ لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولم يؤمن منهم إلا قليل، وما زادهم طول المقام إلا تكذيبًا وعتوًّا، وكلما دعاهم ازدادوا نفورًا، فدعا ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، ودعاه ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون:٢٦]، فأجابه المجيب القريب ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١١ – ١٤]، ومدح نفسه بذلك فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٥، ٧٦][2].

وهذا أيوب طال بلاؤه، واشتد ضره، ومات أهله، وذهب ماله، فنادىٰ ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فاستجاب له المجيب القريب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤][3].

وهذا يونس علم أن ربه قريب منه وإن كان في بطن الحوت وقاع البحر وظلمة الليل، فناداه في الظلمات ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فاستجاب له المجيب، فقال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٣٨٥، ٩٤٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢)، وتفسير السعدي (ص: ٧٠٥).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٢٩).

وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وقال: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٥ - ١٤٨][1].

وهذا زكريا كبرت سنه ورق عظمه واشتعل رأسه شيبًا، وكانت زوجه عاقرًا، إلا أنه علم أن ربه قريب مجيب علىٰ كل شيء قدير، فنادىٰ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، فأجابه القريب المجيب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وهذا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اعتصم بربه واستعان به علىٰ كيد النسوة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، فاستجاب له القريب المجيب: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٤-٣٥][2].

وهذا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان يوم بدر نظر إلىٰ أصحابه فإذا هم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلىٰ المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل القبلة، ثم مد يديه، يستغيث بربه: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أبدًا**، وما زال يستغيث ربه عَزَّوَجَلَّ ويدعوه حتىٰ سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرداه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا رسول الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٦٧).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٧).

سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]»(١).

وهذا إبراهيم وإسماعيل، ويعقوب وموسىٰ، وعيسىٰ وغيرهم من أنبياء الله عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ دعوا ربهم، فأجابهم القريب المجيب ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكما أجاب أنبيائه ورسله أجاب الصالحين من خلقه، فأجاب آسيا امرأة فرعون لما دعت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]

وأجاب طالوت وأصحابه لما دعوا: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت.

وأجاب امرأة عمران لما دعت ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥ - ٣٦]، فكفىٰ مريم وابنها مس الشيطان، كما جاء في حديث أبي هريرة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّهِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**»(٢).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤).

وأجاب أصحاب الكهف لما دعوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] فثبتهم على الحق، وحفظهم من شر قومهم، وجعلهم آية للعالمين.

وأجاب -أيضًا- الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة لما دعوا بتفريجها عنهم، فتزحزحت عن مكانها وظهر النور.

ولا زال ولا يزال القريب المجيب سُبْحَانَهُ يجيب أولياءه وأهل طاعته ولا يخيب رجائهم، إلا أنه قد يستشكل أن جماعة من العباد والصالحين قد دعوا وبالغوا ولم يجابوا؟!

والجواب: إجابة الله للسائل تتنوع: فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمه، وتارة تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها، وقد تدخر له أجرًا ومثوبة يوم القيامة، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخرة، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا،** قالوا: إذًا نكثر، قال: **اللهُ أَكْثَرُ**»(١).

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١١٣٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٠٩٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٠).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله القريب المجيب علىٰ التوحيد:

إن ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ للعالمين اقتضت قربه وإجابته لخلقه فيجيب مطلوبهم، ويكشف ضرهم، وينجيهم في ظلمات البر والبحر، وينجيهم من كل كرب، قال تعالَى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣- ٦٤].

وهذا يقتضي عبادته ودعاءه وحده، قال تعالَى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وجاء في حديث ابن عباس عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ»[1]؛ وذلك أنه وحده المقتدر علىٰ جلب المطلوب وكشف الضر، وكل ما سواه عاجز لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن ملكه لغيره، قال تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

فهل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟ أإله مع الله يفعل هذه الأفعال؟!

لا أحد يفعل مع الله شيئًا من ذلك، حتىٰ بإقرار المشركين، ولهذا كانوا

---

(١) سبق تخريجه.

إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين، قال تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]؛ لعلمهم أنه وحده المقتدر علىٰ دفعه وإزالته، وهذا يلزم منه إخلاص الدعاء إليه في حال الرخاء واليسر، كما أخلصوا له في حال الشدة والعسر، وألا يشركوا معه غيره[1].

الأثر الثالث: محبة الله القريب المجيب:

إذا تأمل العبد اسم الله القريب المجيب وما فيه من إجابة الداعين، وإسعاف السائلين، وكفاية المضطرين مع الإنعام قبل النداء، والتفضل قبل الدعاء؛ حمله ذلك علىٰ محبته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا سيما وأن القلوب فُطرت علىٰ محبة من يحسن إليها ويقضي حاجتها.

كما أن هذا الاسم وما يقتضيه من الكمالات كالعلم، والسمع، والقدرة، والغني، والملك كلها توجب للقلب محبته؛ لما فطرت علىٰ محبة مَن له الكمال.

الأثر الرابع: الرجاء في الله (القريب المجيب) والتعلق ببابه:

من عرف اسم ربه القريب المجيب وضم إليه الكريم الجواد المحسن، وتيقن أنه سُبْحَانَهُ بيده ملكوت كل شيء، وإليه حكم كل شيء، فحكمه نافذ في السموات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وكذا في البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، فما شاء كان في الوقت الذي يشاء علىٰ الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدم ولا تأخر، له الخلق والأمر، وله الملك، وله الدنيا والآخرة،

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٠٨، ٦٣٥).

وخزائنه ملأىٰ لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطىٰ الأولين والأخرين من الإنس والجن، وأجابهم في كل ما سألوه، كما جاء في الحديث عن ربنا عَزَّوَجَلَّ أنه قال: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»[1][2].

وعلم أنه يحب الداعين، ويستحي أن يردهم صفرًا خائبين، كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»[3]، بل وينزل إلىٰ السماء الدنيا في كل ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، فيقول: «**مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[4].

أوجب له ذلك كله التعلق بباب الله القريب المجيب، والتضرع بين يديه، وإنزال الحوائج إليه مع قوة الرجاء فيه، وحسن الظن به، والثقة بإجابته وإن عظمت المسألة، وكثر المطلوب، وتنوع المرغوب.

وعلىٰ الضد من ذلك يوجب للقلب التخلص من داء القنوط من رحمة الله واليأس من روحه، كما يوجب تخلصه من التعلق بالمخاليق ورفع الحوائج

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٨٧، ٢٩٠).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٤٨٨)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٥٥٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٦٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٥٨).

إليهم، وشكوىٰ الكرب بين يديهم؛ فإن الله أقرب منهم لعبده، وبه أرحم منهم، وعلىٰ مطلوبه أقدر، وهو الجواد الكريم[1].

الأثر الخامس: دعاء الله القريب المجيب[2]:

الله تَعَالَى القريب المجيب، لـمَّا علم أن الإنسان لا ينفك عن الحاجة سواء الدنيوية أو الدينية، وبطبعه عاجز عن تحقيقها وحده، فلا مرغوب يستطيع جلبه، ولا مرهوب يستطيع دفعه؛ لطف به ورحمه، وأنعم عليه، فشرع له دعاءه والتعلق به في حاجته، بل وحثه ورغبه في ذلك بطرائق عدة، منها:

١- الأمر بالدعاء، قال تَعَالَى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

٢- بيان أن الدعاء هو العبادة؛ فعن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**، وقرأ: قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]».

٣- بيان محبته للدعاء وغضبه علىٰ تاركه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ **مِنَ الدُّعَاءِ**»[3]، وعنه

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ (ص: ٢٨٧، ٢٨٩).

(٢) ينظر: شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٥)، وما بعدها، لسعيد القحطاني.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٨٦٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٠)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٢٩)، حكم الألباني:حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٠).

أيضًا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[1].

٤- توعد المستكبر عن الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٥- الوعد بالإجابة على الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

إلا أن الوعد بالإجابة له شروط وموانع، فمتى ما وجد الشرط وانتفى المانع حصلت الإجابة بإذن الله، كما أن له آدابًا، والتحلي بها مدعاة للإجابة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًّا لا آفة به، والساعد ساعد قوي، والمانع مفقود؛ حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير»[2].

وبيان بعض هذه الشروط والموانع و الآداب على النحو الآتي:

أ- شروط إجابة الدعاء[3]:

١- الإخلاص؛ فإن الدعاء عبادة، وشرط قبول العبادات الإخلاص،

---

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٥٨)، والحاكم، رقم الحديث: (١٨١٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٣).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (١/ ٢٦).

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٩٣، وما بعدها).

قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وعلىٰ هذا لا يصرف الدعاء لغير الله، ولا يدعىٰ رياء ولا سمعة.

٢- **المتابعة**؛ فإن الدعاء عبادة، وشرط قبول العبادات المتابعة، فيتابع هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعاء، ويوافق فيه شرع الله.

٣- حضور القلب أثناء الدعاء مع الرغب والرهب، قال تعالىٰ: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال سُبۡحَانَهُ بعد ذكر إجابته لدعوات أنبيائه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون»**[1].

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**»[2].

٤- الثقة بالله واليقين بالإجابة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ»**[3].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٩)، والحاكم، رقم الحديث: (١٨٢٣)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٦٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٩).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٩)، والحاكم، رقم الحديث: (١٨٢٣)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٦٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٩).

٥- الجزم في الدعاء وعدم الاستثناء؛ فقد جاء في الحديث عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلاَ يَقُولَنَّ: اللهمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ»[1]، وفي رواية: «فَإِنَّ الله لَا مُكْرِهَ لَهُ»[2]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي، اللهمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ»[3].

ب- موانع إجابة الدعاء:

١- أكل الحرام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[4].

قال أهل العلم: قد أتىٰ هذا الرجل بأربعة أسباب من أسباب الإجابة:

الأول: إطالة السفر.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٦٣٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٤).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٦٣٣٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٩).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠١٥).

والثاني: حصول التبذل في اللباس والهيئة؛ ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[1].

والثالث: يمد يديه إلىٰ السماء «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خائبتين**»[2].

والرابع: الإلحاح علىٰ الله بتكرير ذكر ربوبيته، وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء.

ومع ذلك كله قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[3]، وهذا استفهام وقع علىٰ وجه التعجب والاستبعاد[4].

٢- الاستعجال وترك الدعاء؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»[5]، وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ،** قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: **يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ**»[6].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٢٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: شرح الأربعين النووية، ابن عثيمين (ص: ١٤٣، وما بعدها).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٥).

(٦) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٥).

٣- التفريط في الواجبات والوقوع في المحرمات؛ فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[١]، وقال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالمعاصي.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك الدعاء، فإنه من أقوىٰ الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره... وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب علىٰ القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها»[٢].

٤- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ،...**»[٣]، وذلك كأن يدعو بأن يمكنه الله من معصية ما، أو يدعو علىٰ أقرابه وأرحامه ظلمًا وعدوًا.

٥- الاعتداء في الدعاء؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالاعتداء بالدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة علىٰ المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله الله، مثل: أن

---

(١) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (٢٣٧٧٥)، والترمذي رقم الحديث: (٢١٦٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢١٦٩).

(٢) الداء والدواء (ص٩).

(٣) سبق تخريجه.

يسأله تخليده إلىٰ يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلىٰ الطعام والشراب، أو يسأله أن يطلعه علىٰ غيبه، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولدا من غير زوجة، ولا أمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء؛ فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء، لا يحبه الله، ولا يحب سائله»[(١)].

٦- حكمة الله عَزَّوَجَلَّ، ويعطىٰ الداعي أفضل مما سأل؛ فعن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخرة، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**، قالوا: إذًا نكثر، قال: **اللهُ أَكْثَرُ**»[(٢)].

ج- آداب الدعاء:

١- الاستجابة لله عَزَّوَجَلَّ **والمسارعة في الخيرات**، قال تَعَالَىٰ بعد ذكر إجابته لدعوات أنبيائه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٣).

(٢) سبق تخريجه.

وعده بالإجابة، **وخصوصا إذا أتىٰ بأسباب إجابة الدعاء، وهي**: الاستجابة لله تَعَالَىٰ بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة»[1].

٢- تحري أوقات وأماكن وأحوال إجابة الدعاء، كالدعاء بين الأذان والإقامة، وفي ساعة الجمعة، وحال السجود، والسفر، وفي عرفة، وداخل الحجر، ونحو ذلك مما يطول ذكره.

٣- الوضوء قبل الدعاء؛ فإنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه خبر موت أبي عامر دعا بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه فقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**...»[2].

٤- مد اليدين بالدعاء واستقبال القبلة؛ فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **قال**: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: **اللهمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ...»[3].

وعن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[4].

٥- خفض الصوت ما بين المخافتة والجهر حال الدعاء؛ قال تَعَالَىٰ:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٢٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٤٩٨).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٦٣).

(٤) سبق تخريجه.

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وجاء في الحديث عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كنا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**»[١].

٦- الدعاء في الرخاء والشدة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ الله لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ**»[٢]، وقال الله في يونس عَلَيْهِٱلسَّلَامُ حينما دعاه فأنجاه: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣- ١٤٤].

٧- الثناء على الله في الدعاء والصلاة علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**؛ فعن عن فضالة بن عبيد** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال: « سَمِعَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**: عَجِلَ هَذَا. ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: إذا صَلَّىٰ أحَدُكُم فليَبْدأ بتَمْجيدِ رَبِّه والثَّناءِ عليه، ثم يُصَلِّي علىٰ النبيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**، ثم يدعو بعدُ بما شاءَ**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٢)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٦٣٩٦)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٤٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٢).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٥٦٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٧)، وأبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (١٤٨١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٨١).

ورأىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا آخر يصلي فمجد الله، وحمده، وصلىٰ علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ**»(١).

٨- **التوسل لله** عَزَّوَجَلَّ **بأسمائه وصفاته**؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الاعتراف بالذنب والنعمة حال الدعاء؛ كما في دعاء يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ الله لَهُ**»(٢).

وفي سيد الاستغفار: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**، قال: **وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (١٢٨٣)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٩٠)،حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (١٢٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٥)، والحاكم، رقم الحديث: (٣٤٦٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦).

٩- الدعاء بالجوامع وأدعية الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ **الْجَوَامِعَ** مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَىٰ ذَلِكَ»[(١)].

وعَنِ ابْنٍ لِسَعْدٍ قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا، وَكَذَا وَكَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَسَلَاسِلِهَا، وَأَغْلَالِهَا، وَكَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ« **سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ** فِي الدُّعَاءِ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ»[(٢)].

١٠- التضرع والافتقار لله عَزَّوَجَلَّ **في الدعاء**، قال تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تَعَالَى بعد إجابته لدعوات أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فيدعو مستشعرًا بأنه في أمسِّ الحاجة بل في أمس الضرورة إلىٰ الله، وأنه سُبْحَانَهُ وحده هو الذي بيده إجابة دعائه وتفريج كربته ورفع بلائه، وأنه إن لم يأذن بذلك فلا فرج ولا رفع للبلاء[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٤٨٢)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٥٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٨٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٠٧٠)، وأبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (١٤٨٠)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٦٤)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٤٨٠).

(٣) ينظر: مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين (١/ ٩٣).

١١- الإلحاح في الدعاء؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ والإِكْرَام**»[١]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»[٢].

١٢- تكرار الدعاء ثلاثًا؛ فإن ذلك من هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة وضع سلا الجزور علىٰ ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه دعا عليهم: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**»[٣] ثلاث مرات.

١٣- عدم تكلف السجع في الدعاء؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ، يَعْنِي: لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الِاجْتِنَابَ»[٤].

١٤- عدم الدعاء علىٰ الأهل والولد والمال ونحو ذلك؛ فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا لعن بعيره، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟** قال: أنا يا رسول الله! قال: **انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ الله سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٢٤) و (٣٥٢٥)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٩٣) و (٩٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٢٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٠)، ومسلم، رقم الحديث: (١٧٩٤).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٣٧).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٠١٤).

ثم إذا عُلم هذا فليعلم أن خير ما يدعىٰ به القريب المجيب ما جاء في القرآن من الدعوات، وما أُثر عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدعاء؛ فإنه أعلم الخلق بالله، وأنصحهم، وأتقاهم، قال تعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

الأثر السادس: الاستجابة والتقرب لله القريب المجيب:

إذا عرف العبد اسم ربه القريب المجيب وما فيهما من القرب الخاص والإجابة الخاصة، تطلع إلىٰ تحصيل هذا الفضل العظيم ورجىٰ أن يكون من أهله، وإنما ذلك يكون بالتقرب لله عَزَّوَجَلَّ بفعل الطاعات واجتناب المنهيات؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ قريب ممن أطاعه، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وجاء في الحديث القدسي: «**وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا...**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس بين الرب والعبد إلا محض العبودية، فكلما كملها قرب العبد إليه؛ لأنه سُبْحَانَهُ بر جواد محسن، يعطي العبد ما يناسبه، فكلما عظم فقره إليه كان أغنىٰ؛ وكلما عظم ذله له كان أعز»[(٢)].

وهذا التقرب لله عَزَّوَجَلَّ هو حقيقة الاستجابة، فإنها: الانقياد للأوامر بالفعل، وللنواهي بالترك، وقد دعانا الله عَزَّوَجَلَّ إليها بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٨٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٢٣٨).

بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾ [الشورىٰ: ٤٧].

وضرب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أروع الأمثلة في الاستجابة لله عَزَّ وَجَلَّ؛ فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ **الْفَضِيخَ**، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ . قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا»[1].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: «يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١] **شَقَقْنَ** مُرُوطَهُنَّ **فَاخْتَمَرْنَ بِهَا**»[2].

وللاستجابة ثمرات عدة في الدنيا والآخرة، ومنها:

١- الحياة الحسنة في الدنيا والآخرة؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلهم ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن. فلهم من الصفات أجلها ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٦٤)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩٨٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٥٨).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤١٦).

وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتضمنت هذه الآية أمورًا، أحدها: أن الحياة النافعة انما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان؛ ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول، فإن كان ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول»[1].

٢- إجابة الدعاء، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ﴾ [البقرة:١٨٦].

٣- حصول الرشد والهدىٰ، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة»[2].

---

(١) الفوائد، لابن القيم (ص: ٩٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٧).

٤- حصول الكفاية وإصلاح الشأن؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٤].

٥- مغفرة الذنوب والنجاة من العذاب، قال تَعَالَىٰ علىٰ لسان منذر الجن: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأحقاف: ٣١].

٦- الفوز بالجنة، قال تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الرعد: ١٨]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن لهم الحسنىٰ، وهي الجنة»[(١)].

وكل هذه الثمار وغيرها تدعو العبد إلىٰ مجاهدة نفسه وحملها علىٰ الاستجابة لله عَزَّوَجَلَّ.

فاللهم يا قريب يا مجيب، اجعلنا ممن استجاب وأناب، ففاز برضاك.



(١) تفسير الطبري (١٦/ ٤١٦).

القاهرُ القهَّارُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قهره قهرًا: غلبه...»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاف والهاء والراء كلمة صحيحة تدل على غلبة وعلو، يقال: قهره يقهره قهرًا، والقاهر: الغالب...»[2].

ورود اسم الله (القاهر- الْقَهَّار) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله القاهر في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (القاهر) في القرآن مرتين، هما:

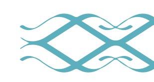
١- قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]

٢-قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]

---

(١) الصحاح (٢/ ٨٠١).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٣٥).



ثانيًا: ورود اسم الله القهار في القرآن الكريم:

ورد اسم الله القهار في القرآن ست مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]

٢- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦]

٣- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨].

ورود اسم الله (القاهر- الْقَهَّار) في السنة النبوية:

ورد اسم الله القهار في السنة، ومن وروده ما يلي:

١- ما جاء عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**»(١).

٢- ما جاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**يُنَادِي مُنَادٍ بَيْنَ يَدَي الصَّيْحَةِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ، فَيَسْمَعُهُ الْأَحْيَاءُ والأَمْوَاتُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**»(٢).

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٧٦٤١)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٥٣٠)، حكم الألباني، صحيح، صحيح الجامع وزيادته، رقم الحديث: (٤٦٩٣).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «وسليم هذا صدوق، خرج له مسلم»، مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (ص: ٤٥٥).

معنى اسم الله (القاهر - القَهَّار):

القهار صيغة مبالغة من القاهر، تدل علىٰ كثرة القهر، ومن أقوال العلماء في ذلك:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله تعالىٰ**: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]: «المذلل المستعبد خلقه، العالي عليهم، وإنما قال: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ لأنه وصف نفسه تَعَالَىٰ ذكره بقهره إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئًا أن يكون مستعليًا عليه، فمعنىٰ الكلام إذًا: والله الغالب عباده، المذللهم، العالي عليهم بتذليله لهم، وخلقه إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه»(١)، وقال في موضع آخر: «القاهر: المذلل المستعبد خلقه، العالي عليهم»(٢).

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القهار...والله تَعَالَىٰ قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدلالات علىٰ وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه، وقهر الخلق كلهم بالموت»(٣).

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القهار: هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت»(٤).

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القهار: الغالب لكل شيء، الذي يغلب في مراده كل مريد»(٥)، وقال: «والقاهر: الغالب، وأقهر الرجل إذا صير بحال

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢٨٨).

(٢) تفسير الطبري (١١ / ٢٨٨).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٣٨).

(٤) شأن الدعاء (١/ ٥٣).

(٥) تفسير القرطبي (٩ / ٣٠٤).

المقهور الذليل»[1].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله تعالىٰ:** ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]: «وهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له لوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه، وعظمته وعلوه، وقدرته علىٰ الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه، وتحت حكمه وقهره»[2].

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القهار لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره»[3]، وقال أيضًا: «القهار وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات و دانت لقدرته، ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلىٰ، فلا يحدث حادث، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلىٰ الله عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًّا، ولا خيرًا، ولا شرًّا»[4].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

وَكَذَلِكَ القَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... فَالخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا ... مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ سُلْطَانِ[5]

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٣٩٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٩).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٧).

(٤) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٧٦).

(٥) النونية، لابن القيم (ص: ٢٠٩).

اقتران اسم الله (القاهر - القهار) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (القاهر) بأسمائه الاخرى:

- اقتران اسم الله القاهر باسمه الحكيم:

تقدم بيانه في اسم الله الحكيم.

- اقتران اسم الله القاهر باسمه الخبير:

تقدم بيانه في اسم الله الخبير

ثانيًا: اقتران اسم الله (القهار) بأسمائه الأخرى:

لم يقترن اسم الله (القهار) إلا باسم الله (الواحد) وذلك في ستة مواضع، منها: قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤].

وجه الاقتران:

١- بيان كماله جل في علاه ونفي ما قد يتوهم من الحاجة؛ إذ: «الغلبة والإذلال من ملوك الدنيا، إنما يكون بأعوانهم وجندهم وعددهم و عددهم، والله تَعَالَى يقهر كل الخلق، وهو واحد أحد فرد صمد، مستغن عن ظهير سُبْحَانَهُ»[1].

---

(١) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للحلبي (٣/ ٣٤٤)، ومطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي (ص: ٢٩٢).

٢- بيان استحقاقه وحده للتوحيد، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...لا يكون القهار إلا واحدًا؛ إذ لو كان معه كفؤ له فإن لم يقهره لم يكن قهارًا علىٰ الإطلاق، وإن قهره لم يكن كفؤًا، وكان القهار واحدًا»[١].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (القاهر - القهار):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (القاهر، القهار) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ القاهر القهار، الذي عم قهره العالم العلوي والسفلي حتىٰ أعتىٰ الخلق منهم، وأشدهم جبروتًا وسطوة يتضاءل ويتلاشىٰ أمام قهر الله وجبروته، فالكل تحت قهره مغلوبًا ذليلًا، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦][٢].

ومن مظاهر هذا الاسم:

- **أنه القاهر القهار** الذي قهر العالمين بسلطانه وملكه، فلا يستطيع أحد منهم الخروج عنه طرفة عين، ولا التصرف فيه إلا وفق ما رسم له، فالليل يعقب النهار، والنهار يعقب الليل من غير اختلاف أو امتناع، والشمس والقمر والنجوم الكل يجري ويتردد علىٰ الدوام علىٰ وفق ما قدر الله له[٣]، والأعضاء التي خلقها الله في جسم الإنسان وغيره من الكائنات تعمل علىٰ وفق ما أراد الله

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ١٠٣٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٣٠)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٨٣).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٩٦).

من غير امتناع أو توقف إلا أن يشاء الله، فالكل مدبر تحت قهر القهار وسلطانه، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

- **أنه القاهر القهار** الذي قهر العالمين بمشيئته وإرادته النافذة، فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بمشيئته وأذنه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[١]، ولو دبر صاحبه كل تدبير وكاد ما شاء، فهؤلاء أهل الشرك والأوثان قوم إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تنادوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فجمعوا حطبًا كثيرًا جدًّا، ثم أضرموا النيران فيه، وألقوا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فقهرهم القهار بقوله للنار: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩- ٧٠].[٢]

وهؤلاء إخوة يوسف عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ دبروا وخططوا لإقصاء يوسف وإبعاده؛ حتىٰ لا يتمكن أبوه من رؤيته، فيتفرغ لهم، ويقبل عليهم بالشفقة والمحبة، قال تَعَالَىٰ عن قولهم: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ٩-١٠]، لكن كان قهر الله وتدبيره بخلاف ما أرادوا، فأبقىٰ ذكر أبيه له حتىٰ مع غياب شخصه ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٨٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعرض عن بنيه، وقال متذكرًا حزن يوسف القديم الأول: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ جدد له حزن الابنين الحزن الدفين»[٣]، فقالوا

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٥٢، ٢٥٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥١).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٤٠٥).

متعجبين: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥][1].

وهذا فرعون بلغه أن هلاك ملكه علىٰ يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، فقهره القهار بأن أبقىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيًّا، بل وجعل منشأه ومرباه علىٰ فراشه، وفي داره، وغذاءه من طعامه، وتحت تربيته ودلاله، ثم جعل هلاكه وهلاك جنده علىٰ يديه؛ ليُعلم العالمين أن رب السموات العلا هو القاهر القهار القادر الغالب، العزيز القوي شديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[2].

وهؤلاء اليهود- عليهم لعنة الله- أرادوا قتل عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وصلبه، فقهرهم القهار بأن رفع عيسىٰ إليه، وألقىٰ شبهه علىٰ غيره، فأخذوا من ألقي شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباءوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧][3].

وهذه قريش عام الهجرة همت بقتل رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد القبض عليه وعلىٰ صاحبه، فأعلنت عن مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة، بدل كل واحد منهما، لمن يعيدهما إلىٰ قريش حيين أو ميتين، فجد الفرسان والمشاة وقصاص الأثر في الطلب، وانتشروا في الجبال والوديان، والوهاد والهضاب، لكن قهرهم القهار فعاد الكل بغير جدوىٰ ومن دون عائد، علىٰ الرغم من وصولهم إلىٰ باب الغار، قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٤، ٤٠٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٠- ٢٢١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٣٢).

لأبصرنا، ولكن الله غالب علىٰ أمره[1].

- **إنه القاهر القهار** الذي قهر العالين بقضائه النافذ، وقدره الواقع، يحكم بما شاء ويقضي بما أراد، لا راد لقضائه، ولا ناقض لحكمه، ولا معقب له، يقضي بما أراد سُبۡحَانَهُ من الفقر والمرض والعسر والهم والغم، ولا يملك أحد رده ولا كشفه ولو اجتمع الجن والإنس علىٰ ذلك، ويقضي بالخير من الغنىٰ والصحة والفرح والسرور واليسر، ولا يملك أحد منعه ولا حجبه ولو اجتمع الجن والإنس علىٰ ذلك، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٧ - ١٨]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: **«وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ»**[2].

- **إنه القاهر القهار** الذي قهر العالمين بما قضاء عليهم من الموت والفناء، وإن طال بهم المدىٰ وعمروا سنين عددًا، واتخذوا من الأسباب ما اتخذوا، فإذا نزل بهم ما استطاع أحد من الخلق رده أو دفعه عن نفسه ولو أتي من القوة والجبروت ما أوتي، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١][3].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٥٥)، والرحيق المختوم، للمباركفوري (ص: ١٥٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٥٢).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٢٣)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٨٣).

- **أنه القاهر القهار** الذي قهر الجبابرة وقرىٰ الطغيان بما أنزل عليهم من العذاب الأليم، فما استطاعوا فرارًا ولا امتناعًا ولا انتصارًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

قهر عاد التي بلغت من القوة كل مبلغ، حتىٰ أنه لم يخلق في البلاد مثلها قوة وشدة،، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠] فلما عتت عن أمر ربها وكذبت رسله، وقالت: من أشد منا قوة؟! قهرهم القهار ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦ - ٨][١].

وقهر ثمود التي من قوتها نحتت الصخور واتخذتها مساكن، فلما كان منها ما كان قهرها القهار بالصيحة العظيمة التي انصدعت منها القلوب وزهقت لها الأرواح، فأصبحت موتىٰ لا يرىٰ إلا مساكنها وجثثها[٢].

وقهر فرعون ذو الملك والجند والعدد والعتاد فلما استكبر، وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، قهره القهار بالغرق فأغرق وجنده جميعًا في صبيحة واحدة، وألقي ببدنه علىٰ الأرض ليكون عبرة وآية لكل جبار متكبر[٣].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٢٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٨٨٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص:٣٧٢، ٧٣٩).

وقهر قارون الذي كان له من الكنوز العجب، حتىٰ أن مفاتح خزائنها لتثقل جماعة الرجال الأقوياء عن حملها، فهذه المفاتيح، فما الظن بالخزائن؟! فلما كفر نعمت الله عليه وطغىٰ وبغىٰ قهره القهار فخسف به وبداره الأرض جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه علىٰ عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثاثه، ومتاعه[1].

وقهر أصحاب الفيل الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا خرابه، فتجهزوا بجمع لا قبل للعرب به، واستصحبوا معهم الفيل لهدم البيت، فقهرهم القهار بطير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فخمدوا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول[2].

وقهر قريشًا وعلىٰ رأسها أبو جهل فرعون هذه الأمة بما أنزل بهم يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم الفتح حتىٰ انتهت قريش ودخلت جموعها في دين الله أفواجًا.

- **إنه القاهر القهار** الذي يقهر العالمين يوم القيامة بالذل والخضوع، فلا تكلم نفسه إلا بإذنه، ويقهرهم بتلاشي أملاكهم قليلها وكثيرها، فلا ملك إلا ملكه، قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦][3].

- **إنه القاهر القهار**، الذي قهر العالمين بنفوذ حكمه الجزائي فيهم، فلا يمتنع مجرم أُمر به إلىٰ النار من أن يدخلها، ولا ناصر له ومدافع ولو كثر

(١) ينظر: المرجع السابق (ص:٦٢٣- ٦٢٤).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٩٣٤).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٧٣٥).

جنده، وعظم سلطانه، وعرض جاهه، ثم إذا دخلوها فلا يملكون الخروج منها، ولا تخفيف عذابها ولا إيقافه برهة إلا أن يشاء الله، قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٨ – ٥٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ – ١٠٩][1].

وهو سُبْحَانَهُ مع هذا القهر الواسع العظيم إلا أنه في غاية الكمال والجمال؛ إذ قهره سُبْحَانَهُ عن علم وخبرة بمصالح الأشياء ومضارها، ومن يستحق القهر ومن لا يستحقه، وعن حكمة بالغة يضع معها قهره في الموضع المناسب له، وعن عدل تام لا ظلم معه ولا جور، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨][2].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (القهار) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في الكون من حوله وجد أن كل مخلوق فوقه مخلوق يقهره أو له مخلوق يضاده؛ فخلق الله الرياح وسلط بعضها علىٰ بعض تصادمها وتكسر ثورتها وتذهب بها، وخلق الماء وسلط عليه الرياح تصرفه وتكسره، وخلق النار وسلط عليها الماء يكسرها ويطفئها، وخلق الحديد وسلط عليه النار تذيبه وتكسر قوته، وخلق الحجارة وسلط عليها الحديد يكسرها ويفتتها، وخلق آدم وذريته وسلط عليهم إبليس وذريته، وخلق إبليس وذريته وسلط عليهم الملائكة يشردونهم كل

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨، ٨٨٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٨٨).

مشرد ويطردونهم كل مطرد، وخلق الحر والبرد والشتاء والصيف وسلط كلًّا منهما علىٰ الآخر يذهبه ويقهره، وخلق الليل والنهار، وقهر كلًّا منهما بالآخر، وكذلك الحيوان علىٰ اختلاف ضروبه من حيوان البر والبحر لكل منه مضاد ومغالب، ثم إن هذا القهر كله لا بد أن ينتهي لقاهر واحد حي، قيوم، عليٍّ، مالك، قادر، قوي، عزيز، عليم، حكيم، لا والد له ولا ولد، ولا أحد كذلك إلا الله الواحد القهار، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٧- ١٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].[(١)]

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التعليق علىٰ الآية السابقة: «القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، فلو كان له ولد لم يكن مقهورًا، ولكان له إدلال علىٰ أبيه ومناسبة منه»[(٢)].

وبهذا يكون اسم الله القاهر القهار دالًّا علىٰ توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

ثم إن من له القهر بكماله وتمامه، لا قاهر له ولا مغالب، هو المستحق أن يعبد وحده دون ما سواه؛ إذ إن ما سواه مقهور مربوب مملوك للواحد القهار، فكيف يساوىٰ بالواحد القهار في العبودية؟!! قال تَعَالَىٰ:

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين (١ / ٢٣٣)، وتفسير السعدي (ص:٤١٥، ٧١٦).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧١٩).

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩- ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تَعَالَى، وقهره لكل شيء، فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهَّاران متساوِيَيْن في قهرهما أبدًا، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده، كما كان قاهرًا وحده»[1].

الأثر الثالث: طمأنينة القلب وسكينته بالله القاهر القهار:

اسم الله القاهر القهار يدعو النفوس للاطمئنان والسكينة، لا سيما المظلومة منها؛ ليقينها بقهر الله للظلمة وقدرته عليهم، مع اطلاعه على ظلمهم وعدم غياب ذلك عنه، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ويقينه أن حقه محفوظ عنده، وسيأخذه له من ظالمه ولو بعد حين، كما جاء في الحديث: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا الله دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[2].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧١٦).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٥٢٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٧٥٢)، حكم الألباني: ضعيف، سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم الحديث: (١٣٥٨).

ومن ذلك: نفوس المؤمنين الذين تكالبت عليهم الأعداء، وتحزبت عليهم الأحزاب، وخذلهم القريب والبعيد، فإنهم إذا نظروا إلىٰ ضعفهم وقلة حيلتهم وما أصابهم من جراح وقتل ومآسٍ، وبالمقابل قوة عدوهم وبطشه وغناه، ثم تذكروا أن ربهم قاهر قهار، لا يخرج ظالم مهما قوي عن قهره؛ عاد ذلك علىٰ نفوسهم بالاطمئنان والسكينة والأمل بنصر الله عَزَّوَجَلَّ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

الأثر الرابع: محبة الله القاهر، القهار:

متىٰ عرف العبد أن معبوده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قاهر قهار، لا يُغلب ولا يقوم أمام قهره شيء، وأنه بعبادته له يأوي إلىٰ ركن شديد، يدفع عنه ما يمكن أن يتسلط عليه؛ أثمر ذلك في قلبه محبةً وتعلقًا به جل في علاه.

الأثر الخامس: التواضع والخضوع للقاهر القهار:

إذا تأمل العبد في اسم القاهر القهار، ثم نظر في نفسه وكيف أنه تحت قهره لا يد له في الخلق، ولا التدبير، ولا الرزق، يتمنىٰ أن يولد له فلا يولد، وألا يمرض فيمرض، وأن يستغني فيفتقر، وأن يحيىٰ أبدًا فيموت، كل ذلك بغلبة من الله وقهره؛ أورثه ذلك ذلًّا وخضوعًا للقهار، وتواضعًا لخلقه، فلا يغره ملكه وقوته ولا جاهه ونسبه، ولا يقدم علىٰ قهر مخلوق، لا سيما الضعيف منهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ٩]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خص اليتيم؛ لأنه لا ناصر له غير الله تَعَالَىٰ، فغلظ في أمره، بتغليظ العقوبة علىٰ ظالمه»[١].

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٠).

الأثر السادس: الحذر من اتصاف المخلوق بالقهر:

إذا تأمل العبد في اقتران اسم الله (القاهر) باسمه الحكيم الخبير؛ علم أن قهره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صفة كمال في حقه بخلاف المخلوق؛ إذ قهره عن جهل وسفه وظلم وعدوان، إضافة إلىٰ كونه مربوبًا مقهورًا عاجزًا، تؤذيه البعوضة، وتشوشه الذبابة، ويأسره الجوع، ويصرعه الشبع، فمن كان كذلك كيف يليق به القهر والكبر والتجبر؟![(١)].

بل إن اتصافه بذلك وتسميه بما يدل عليه محل نقص وصفة ذم نهىٰ الله عنها، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحىٰ: ٩]؛ وذلك لقيامها علىٰ الظلم والطغيان، والتسلط علىٰ الضعفاء والفقراء، كما قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧][(٢)].

وقد تتابعت النصوص في النهي عن الظلم والتحذير منه والتشنيع علىٰ صاحبه، ومن ذلك:

١- أن الله حرمه علىٰ نفسه وعلىٰ عباده؛ فعن عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»[(٣)].

٢- أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعاذ من أن يظلم أو يظلم وأمر بذلك؛ فعن أم سلمة، قالت: مَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ

(١) شرح الأسماء، للرازي (ص: ١٩٩).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٨٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

إِلَىٰ السَّمَاءِ فَقَالَ: «**اللهمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**»[(١)]، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: **يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ** ؟ قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ، وَقَضَىٰ عَنْكَ دَيْنَكَ**، قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**[(٢)]. قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ هَمِّي، وَقَضَىٰ عَنِّي دَيْنِي»[(٣)].

٣- أن صاحبه منهي عن مجالسته ومصاحبته، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٤- أن صاحبه معرض لدعوة المظلوم التي لا ترد؛ فعن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثَلَاثَةٌ تُسْتَجَابُ دَعْوَتُهُمْ:**

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (٥٠٩٤)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٢٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٨٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩٤).

(٢) قهر الرجال، أي: غلبتهم، وهي شدة تسلطهم بغير حق تغلبًا وجدلاً. ينظر: مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح (٨/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥٥٥)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث: (٣٠٥)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود. رقم الحديث: (١٥٥٥).

الوَالِدُ، والمُسَافِرُ، والمَظْلُومُ»[1]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**دَعْوَةُ الْمَظْلُوم مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ**»[2]، وفي رواية: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**»[3].

وروىٰ البخاري عن جابر بن سمرة، قال: «شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَىٰ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا... إلىٰ أن قال: **فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا، أَوْ رِجَالًا، إِلَىٰ الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّىٰ دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكَنَّىٰ أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ**»[4].

وروىٰ مسلم- أيضًا- قصة أروىٰ بنت أوس، وقد ادعت علىٰ سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها... فقال سعيد: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا . قَالَ: **فَمَا مَاتَتْ حَتَّىٰ ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٧٣٧)، وابن خزيمة واللفظ له، رقم الحديث: (٢٤٧٨)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٩٣٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع، رقم الحديث: (٣٠٤٩).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٩١٧)، والطيالسي، رقم الحديث: (٢٤٥٠)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (١٣١٨)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٧٦٧).

(٣) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (١٢٧٤٤)، وابن حبان، رقم الحديث: (٣٦١)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١١٩).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٥٥).

أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ»[1].

٥- أن صاحبه لا يوفق للحق والهدى، بل إلىٰ الضلال والشقاء، قال تَعالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقال سُبْحانَهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٦- أن صاحبه محروم من محبة الله، قال تَعالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

٧- أن صاحبه لا يفلح، فلا يفوز بمطلوبه ولا ينجو من مكروه، قال تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

٨- أن صاحبه هالك، قال تَعالَى: ﴿هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]، وقال تَعالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

٩- أن صاحبه ملعون من الله عَزَّوَجَلَّ، قال تَعالَى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وقال تَعالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

١٠- أن صاحبه معرض لغضب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمعناه، قال: «وَمَنْ أَعَانَ عَلَىٰ خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦١٠).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٥٩٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٣٢٠)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي دواد، رقم الحديث: (٣٥٩٨).

١١- أن صاحبه متوعد بيوم القيامة، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ حيث أمهلهم وأدر عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل علىٰ حسن حالهم، فإن الله يملي للظالم ويمهله ليزداد إثمًا، حتىٰ إذا أخذه لم يفلته، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]»[١].

اللهم يا قاهر يا قهار، نعوذ بك من الهم والحزن، ونعوذ بك من العجز والكسل، ونعوذ بك من الجبن والبخل، ونعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال.



(١) تفسير السعدي (ص: ٤٢٧).

الكبيرُ المتكبِّرُ جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كبر: الكبر في السن، وقد كبر الرجل يكبر كبرًا، أي: أسن...، وكبر بالضم يكبر: أي: عظم، فهو كبير وكبار، فإذا أفرط قيل: كبار بالتشديد، والكبر بالكسر: العظمة، وكذلك الكبرياء»[1].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(كبر) الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل علىٰ خلاف الصغر، يقال: هو كبير، وكبار، وكبار، قال الله تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [نوح ٢٢]، والكبر: معظم الأمر، قوله عز وعلا: ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ [النور: ١١]، أي: معظم أمره»[2].

ورود اسم الله (الكبير- المتكبر) في القرآن الكريم:

أولًا: وود اسم الله (الكبير) في ستة مواضع من كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

٢- قوله تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

---

(١) الصحاح (٢/ ٣٦٥).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ١٥٣).



٣- قوله تعالى: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢].

ثانيًا: ورود اسم الله (المتكبر) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المتكبر) في آية واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحشر:٢٣].

ورود اسم الله (الكبير- المتكبر) في السنة النبوية:

أولًا: ورد اسم الله (الكبير) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا قَضَىٰ الله الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْـمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ؛ كَالسِّلْسِلَةِ عَلَىٰ صَفْوَانَ**- قال علي: وقال غيره: صفوان ينفذُهُمْ **ذَلِكَ- فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ الْـحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُ**...»[١].

ثانيًا: وورد اسم الله (المتكبر) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية ذات يوم علىٰ المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول هكذا بيده، ويحركها، يقبل بها ويدبر، **يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْـجَبَّارُ، أَنَا الْـمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْـمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيْزُ، أَنَا الْكَرِيْمُ**، فرجف برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر، حتىٰ قلنا: ليخرن به»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٠١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٥١٥)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٧٦٤٩)، وابن حبان، رقم الحديث: (٧٣٢٧)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣١٩٦).

معنى اسم الله (الكبير- المتكبر) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: الكبير:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو العظيم، الذي كل شيء دونه، ولا شيء أعظم منه»[1].

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو العظيم الجليل...، وكبرياء الله: عظمته وجلاله»[2].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن، فصغر دون جلاله كل كبير، ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين»[3].

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الموصوف بالعظمة والجلال وكبر الشأن، وقيل: الكبير ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات، أي: له الوجود المطلق أبدًا وأزلًا، فهو الأول القديم، والآخر الباقي بعد فناء خلقه»[4].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكبير في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، الذي من عظمته وكبريائه، أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، ومن كبريائه، أن كرسيه وسع السماوات والأرض، ومن عظمته وكبريائه، أن نواصي العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته»[5].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٦).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٥٥).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٦٦).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ٩١).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٥٤٣).

ثانيًا: المتكبر:

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المتكبر): المتعالي عن صفات الخلق، ويقال: هو الذي يتكبر علىٰ عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم، والتاء في المتكبر: تاء التفرد، والتخصص بالكبر، لا تاء التعاطي والتكلف»[1].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتكبر: الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، وقيل: المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم، وأصل الكبر والكبرياء: الامتناع وقلة الانقياد...، وقيل: المتكبر معناه: العالي، وقيل: معناه الكبير؛ لأنه أجل من أن يتكلف كبرًا»[2].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر علىٰ عتاة خلقه، والكبرياء: العظمة والملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله تَعَالَى»[3].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي له الكبرياء والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور»[4].

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٤٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٤٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٤٠).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٥٤).

اقتران اسم الله (الكبير- المتكبر) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله الكبيرِ باسم الله العلي:

تقدم بيانه في اسم الله (العلي).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الـمُتكَبِّر) باسم الله (العزيز الجبَّار)[1]:

ورد في آية واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:٢٣].

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **في مناسبة هذا الاقتران**-: «جعل سُبْحَانَهُ اسمه الجبار مقرونًا بالعزيز والمتكبر، وكل واحد من هذه الأسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين، وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة، وهي: الخالق البارئ المصور، فالجبار المتكبر يجريان مجرىٰ التفصيل لمعنىٰ اسم العزيز؛ كما أن البارئ المصور تفصيل لمعنىٰ اسم الخالق، فالجبار من أوصافه يرجع إلىٰ كمال القدرة والعزة والملك؛ ولهذا كان من أسمائه الحسنىٰ»[2].

يقول الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووجه ذكر هذه الصفات الثلاث عقب صفة المهيمن: أن جميع ما ذكره آنفًا من الصفات لا يؤذن إلا باطمئنان العباد

---

(١) تم إيراد الاقتران هنا علىٰ خلاف المنهج في إيراد الاقتران بحسب الترتيب الأبجدي للاسم؛ لأنه في آية سورة الحشر اقترن اسم الله المتكبر باسمين هما (العزيز) و (الجبار) سُبْحَانَهُ، فناسب إيراده في هذا الموضع.

(٢) شفاء العليل (ص: ١٢١).

لعناية ربهم بهم، وإصلاح أمورهم، وأن صفة المهيمن تؤذن بأمر مشترك، فعقبت بصفة العزيز؛ ليعلم الناس أن الله غالب لا يعجزه شيء، واتبعت بصفة الجبار الدالة علىٰ أنه مسخر المخلوقات لإرادته، ثم صفة المتكبر الدالة علىٰ أنه ذو الكبرياء، يصغر كل شيء دون كبريائه، فكانت هذه الصفات في جانب التخويف، كما كانت الصفات قبلها في جانب الإطماع»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسمي الله (الكبير المتكبر):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الكبير المتكبر من صفات الله تعالىٰ:

فالله سُبْحَانَهُ هو الكبير المتكبر وحده لا شريك له، له الكبرياء والعظمة، وسائر صفات الجلال والجمال، فهو الكبير في ملكه، والكبير في رحمته، والكبير في قدرته، والكبير في غناه، والكبير في بسطه وقبضه، والكبير في عزه وعفوه سُبْحَانَهُ.

ومن مظاهر هذين الاسمين ما يلي:

- **أنه الكبير المتكبر في ذاته** سُبْحَانَهُ **عن كل سوء وشر**، فهو الكبير عن ظلم العباد، يقول تَعَالَى في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»[2]، ولا يرضىٰ الظلم منهم، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٢٢).

(٢) سبق تخريجه.

ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء:٣٤]

- **أنه الكبير المتكبر العظيم** سُبْحَانَهُ، **وكل ما دونه حقير صغير**، فلا إله بحق غيره، ولا شبيه له ولا نظير، ولا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا شريك، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون، يقول تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢]

- **أنه الكبير المتكبر في سعة علمه وكماله** سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩].

- **أنه الكبير المتكبر في قلوب أهل السماء والأرض** سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية:٣٧]

- **أنه الكبير المتكبر في الآخرة** سُبْحَانَهُ، فالأرض قبضته والسماوات مطويات بيمينه، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧]، وفي الأثر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»[1]، وكرسيه سُبْحَانَهُ يسع السماوات والأرض، يقول تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

- **أنه الكبير المتكبر علىٰ عتاة خلقه وجبابرتهم**، فإن نازعوه العظمة قصمهم، يقول الله تَعَالَى في الحديث القدسي: «**الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ**

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢٠/ ٢٤٦).

إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ»[1]، وفي رواية: «قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[2]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف:٢٠].

- **أنه الكبير المتكبر عن مشابهة صفات خلقه** سُبْحَانَهُ، قال تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«السماوات السبع، والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن كخردلة في يد أحدكم»**[3].

فالله سُبْحَانَهُ كبير متكبر متعال، له العلو المطلق والكبرياء الكامل سُبْحَانَهُ وتقدس.

الأثر الثاني: توحيد الله باسميه الكبير المتكبر:

- دلالة اسمي الكبير المتكبر علىٰ توحيد الألوهية والربوبية:

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلىٰ من العظمة؛ ولهذا جعلها بمنزلة الرداء، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار»[4].

ومن الآيات التي تقطع أصول الشرك وفروعه: قوله تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٧٥)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٦٧٢)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥٤١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ، رقم الحديث: (٢٣٧).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٩٦).

وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قل يا أيها الرسول، للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزمًا لهم بعجزها، ومبينًا لهم بطلان عبادتها: ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سبأ:٢٢] أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه، فإنهم ليس لهم أدنىٰ ملك فـ ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ:٢٢] علىٰ وجه الاستقلال، ولا علىٰ وجه الاشتراك...، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، فلم يبق إلا الشفاعة، فنفاها بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣]، فهذه أنواع التعلقات، التي يتعلق بها المشركون بأندادهم، وأوثانهم، من البشر، والشجر، وغيرهم، قطعها الله وبين بطلانها، تبيينًا حاسمًا لمواد الشرك، قاطعًا لأصوله؛ لأن المشرك إنما يدعو ويعبد غير الله،؛لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الشرك، فإذا كان من يدعوه (غير الله)، لا مالكًا للنفع والضر، ولا شريكًا للمالك، ولا عونًا وظهيرًا للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء، وهذه العبادة، ضلالًا في العقل، باطلة في الشرع»[1].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٧٨).

ولذا فكل مستكبر عن عباده الله فهو مشرك، وفرعون من أعظم الخلق استكبارًا عن عبادة الله كان مشركًا، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤] إلىٰ قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧] - إلىٰ قوله: - ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

- دلالة اسمي الكبير المتكبر علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

كما أن اسمي الله الكبير المتكبر يدلان علىٰ توحيد الربوبية والألوهية، فهما يدلان أيضًا علىٰ توحيد الأسماء والصفات، ويدلان علىٰ عدد كبير منها؛ كالقدير، والخبير، والعلي المتعال، وذو الجلال والإكرام، والجبار، وغيرها من الأسماء الدالة علىٰ ذلك.

الأثر الرابع: مواضع قول: «الله أكبر»، وفضلها:

من مظاهر عظمة هذين الاسمين، أنهما يدوران علىٰ ذكر عظيم وهو (الله أكبر)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن معنىٰ (الله أكبر):** «وفي قول (الله أكبر) إثبات عظمته؛ فإن الكبرياء يتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل؛ ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: (الله أكبر) فإن ذلك أكمل من قول: (الله أعظم)»[1].

ومن تأمل في المواضع المخصوصة التي أمرنا بالتكبير فيها، وجد أنه كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع، أو

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٥٣).

لعظمة الفعل، أو لقوة الحال، أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة؛ ليبين أن الله أكبر، ويستولي كبرياؤه في القلوب علىٰ كبرياء تلك الأمور الكبار؛ فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرين، فيحصل لهم مقصودان: مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد الطالب لكبريائه»[1]، ومن هذه المواضع:

- **شرع التكبير لصحة الدخول في الصلاة، يقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في سر ذلك**: «لما كان المصلي قد تخلىٰ عن الشواغل وقطع جميع العلائق، وتطهر وأخذ زينته، وتهيأ للدخول علىٰ الله تَعَالَىٰ ومناجاته؛ شُرع له أن يدخل دخول العبيد علىٰ الملوك، فيدخل بالتعظيم والإجلال، فشرع له أبلغ لفظ يدل علىٰ هذا المعنىٰ وهو قول: (الله أكبر) فإن في اللفظ من التعظيم والتخصيص والإطلاق- في جانب المحذوف المجرور بمن- ما لا يوجد في غيره»[2].

- **شرع التكبير علىٰ الهداية والرزق والنصر؛ وفي سر ذلك يقول ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن هذه الثلاث أكبر ما يطلبه العبد، وهي جماع مصالحه، والهدي أعظم من الرزق والنصر؛ لأن الرزق والنصر قد لا ينتفع بهما إلا في الدنيا، وأما الهدي فمنفعته في الآخرة قطعًا، وهو المقصود بالرزق والنصر؛ فخص بصريح التكبير»[3]، ومما ورد في ذلك: حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَىٰ خَيْبَرَ فَجَاءَهَا لَيْلًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْمًا بِلَيْلٍ لَا يُغِيرُ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُصْبِحَ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ يَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ فَلَمَّا

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٢٢٩).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٥).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٢٩).

رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**»[1].

- **شرع التكبير في بدء العبادات أو تمامها**، ومن ذلك: جاء التكبير مكررًا في الأذان في أوله وفي آخره، وفي أثناء الصلاة وهو حال الرفع والخفض والقيام إليها، وذكره الله بعد آيات الصيام، قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ وعند ذبح الأنساك في الحج، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

- **شرع التكبير عند كل علو وارتفاع**، كعلو نشز من الأرض عامة، أو صعود على الصفا والمروة خاصة، وفي حديث جابر: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»[2].

ومواطن التكبير في الشريعة الإسلامية كثيرة جدًّا، ولعل جماعها: أن التكبير شرع عند كل أمر كبير، سواء كان مكانًا، أو زمانًا، أو حالًا.

أما فضائل قول: «الله أكبر»، فهي كثيرة، ومنها:

- **(الله أكبر) تكتب عشرين حسنة وتحط عشرين سيئة**، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،**

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٢٩٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٦٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٩٩٣).

فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُون حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»[1].

- **(الله أكبر) كلمة تنفض الخطايا،** عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ غصنا فنفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فانتفض، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إنَّ سُبحانَ الله، والحَمدُ لِلَّهِ، ولَا إلَهَ إلَّا الله يَنفُضنَ الخَطايا كَما تَنفُضُ الشَّجرةُ ورَقَها»**[2].

- **(الله أكبر) تغرس شجرة في الجنة،** عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ولَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ غَرَسَ الله تَعَالَى لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ»**[3].

- **(الله أكبر) من أحب الكلام إلىٰ الله،** عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى الله أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»**[4].

- **(الله أكبر) تثقل الميزان،** عن أبي سلمىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راعي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«بَخٍ بَخٍ، لَخَمْسٌ مَا**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨١٢٧)، والبزار، رقم الحديث: (٣٠٧٤-كشف الأستار)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، رقم الحديث: (٨٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٧١٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٧٢٩)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٣٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٣٤).

(٣) أخرجه الطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (١٦٧٦)، والطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٨٤٧٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٨٨٠).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٣٧).

أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَالله أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّىٰ فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ»[1].

- (**الله أكبر) من الباقيات الصالحات**، عن الحارث مولىٰ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جَلَسَ عُثْمَانُ يَوْمًا، وَجَلَسْنَا مَعَهُ، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ، فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ أَظُنُّهُ سَيَكُونُ فِيهِ مُدٌّ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: **وَمَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّىٰ صَلاةَ الظُّهْرِ، غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّىٰ الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الظُّهْرِ، ثُمَّ صَلَّىٰ الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ صَلَّىٰ الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يَبِيتَ يَتَمَرَّغُ لَيْلَتَهُ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْعِشَاءِ، وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**»، قَالُوا: هَذِهِ الْحَسَنَاتُ، فَمَا الْبَاقِيَاتُ يَا عُثْمَانُ؟ قَالَ: هُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[2].

- **قول: (الله أكبر) مائة مرة فإنها تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة**، عن أم هانىء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «مَرَّ بِي ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ - أَوْ كَمَا قَالَتْ -، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وَأَنَا جَالِسَةٌ. قَالَ: **سَبِّحِي الله مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ رَقَبَةٍ تُعْتِقِينَهَا مِنْ**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٩٠٢)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٩٩٢٣)، وابن حبان، رقم الحديث: (٨٣٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٢٠٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٢٠)، والضياء في الأحاديث المختاره، رقم الحديث: (٣٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٢٥٦٠)، قال أحمد شاكر في تحقيق المسند: إسناده صحيح، رقم الحديث: (٥١٣).

وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاحْمَدِي الله مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ، فإنها تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ، تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ الله، وَكَبِّرِي الله مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَهَلِّلِي الله مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ، قَالَ ابْنُ خَلَفٍ: أَحْسِبُهُ قَالَ، تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ مِثْلُ عَمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ بِهِ»[١].

- قول: (الله أكبر) مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها أفضل من عتق مائة رقبة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ: الله أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَجِئْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ»[٢].

- (الله أكبر) صدقة، عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٧٥٥٣)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦١٣)، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٣١٦).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٥٨٨)، والطبراني في الشاميين، رقم الحديث: (٥١٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٢٠).

- هذه بعض فضائل هذا الذكر العظيم، وإلا ففضله كبير، والنصوص الواردة فيه كثيرة.

الأثر الخامس: محبة الكبير المتكبر:

من آمن أن الله تَعَالَى أكبر من كل شيء وأجل من كل شيء، وأعلىٰ من كل شيء، وكل شيء أمامه سُبْحَانَهُ حقير ضئيل ضعيف، فله الكمال والعظمة التامة المطلقة سُبْحَانَهُ؛ أورث ذلك كله في قلب العبد محبة لربه وثقة وإجلالًا.

الأثر السادس: الحذر من الكبر:

يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الكبر: «فالذي في قلبه كبر، إما أن يكون كبرًا عن الحق وكراهة له، فهذا كافر، مخلد في النار ولا يدخل الجنة؛ لقول الله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٩]، ولا يحبط العمل إلا بالكفر كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وأما إذا كان كبرًا علىٰ الخلق وتعاظمًا علىٰ الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله، فهذا لا يدخل الجنة دخولًا كاملًا مطلقًا لم يسبق بعذاب؛ بل لابد من عذاب علىٰ ما حصل من كبره وعلوائه علىٰ الخلق، ثم إذا طهر دخل الجنة»[1].

وفي الملحق الآتي ما يعين -بإذن الله- علىٰ الحذر من هذه الصفة.



---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٤٠-٥٤١).

«إياك والكِبْر»

في موضوع الكبر سنتطرق لعدة مسائل، وهي:

أولًا: معنى الكبر:

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التكبر هو: رد الحق، واحتقار الخلق، وضد ذلك التواضع»[1].

❊ **قال ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكبر فسره النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بقوله: (**بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**)[2] فمعنىٰ بطر الحق: يعني رده»[3].

ثانيًا: أنواع الكبر:

ذكر ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **نوعين للكبر، وهما:**

الأول: الكبر ببطر الحق، يعني: رده، أن يرد الإنسان الحق، مثل أن يقول قولًا، ثم يقال له: إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال كذا وكذا، أعني: خلاف قول هذا الرجل، ولكنه يرد ما قاله الرسول ويبقىٰ علىٰ قوله، وهذا كبر، وهذا من أعظم أنواع الكبر؛ لأنه رد لقول الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكذلك لو قيل له: قال الله كذا وكذا، خلاف ما يقول هو، وأصر علىٰ قوله؛ فهذا كبر، وهو أعظم أنواع

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٤٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩١).

(٣) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٦/ ٢).

الكبر؛ لأنه رد لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هذا قسم من أقسام الكبر رد الحق، وكذلك لو كان الإنسان مجتهدًا في حكم من الأحكام، فنوقش فيه، وتبين أن الحق في خلاف قوله وإن لم يكن نصًّا في المخالفة، ولكنه أصر علىٰ ما يقول، فهذا أيضًا من الكبر.

الثاني: غمط الناس، يعني: احتقارهم وازدراءهم، بحيث لا يرىٰ الناس شيئًا، ويرىٰ أنه فوق الناس، فإن هذا من الكبر، وعلامته: أن يصعِّر خده للناس، وأن يمشي في الأرض مرحًا، وأن يتخيل أنه فوق رؤوس الجبال، وأن الناس في قعر الآبار، هذا من الكبر، ولما قال الصحابة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)**[1].

وعلىٰ هذا فتجمل الإنسان في ثيابه التي علىٰ الجسد أو التي يركبها وهي النعال، ليس من الكبر في شيء، «إلا أن يصحبه ما أشار إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكونه يغمط الناس أو يحتقرهم، فيحتقر من لم يلبس مثل لباسه، ويحتقر الفقراء، وما أشبه ذلك فهذا كبر»[2].

ثالثًا: عاقبة المتكبرين:

أعد الله تَعَالَى للمتكبرين عقوبات كثيرة، منها:

١- الكبر من أقوىٰ عوامل الصرف عن الحق:

قال تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٢٤/ ٢).

يَـرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٢- المتكبرون لا تُفتَّح لهم أبواب السماء:

قال تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [الأعراف: ٤٠]

٣- المتكبرون لا يدخلون الجنة:

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: **إِنَّ الله جَمِيْلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[1].

٤- يحشرون كأمثال الذر:

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَىٰ سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّىٰ بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ**»[2].

رابعًا: طرق الوقاية من الكبر:

ما من مرض بدني أو نفسي أو قلبي إلا وله علاج يستأصله من جذوره، أو علىٰ الأقل يخففه تدريجيًّا إلىٰ أن يشفىٰ منه الإنسان نهائيًّا.

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٧٨٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٩٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٩٢).

والكبر- لا شك- مرض كغيره من الأمراض القلبية التي تصيب الإنسان، ولابد أن له علاجًا بإذن الله، فعلىٰ من ابتلي بشيء منه أن لا يهمله ويركن إليه ويستمر عليه، بل لا بد له أن يسعىٰ جهده لعلاجه والتخلص منه قبل أن يفتك به ويهلكه.

وقد ذكر العلماء للكبر علاجًا ناجحًا بإذن الله، يتمثل في عدة أمور منها:

أولًا: أن يعرف الإنسان ربه، ويعرف نفسه، ويعرف أصله وفقره وحاجته، ويعرف نعم الله عليه، ويتذكر مقامه بين يديه وعاقبة الكبر يوم القيامة، فإنه إذا عرف كل ذلك حق المعرفة علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله، وإذا عرف نفسه علم أنه ضعيف ذليل لا يليق به إلا الخضوع لله والتواضع والذلة له، والتواضع ولين الجانب لخلقه، قال تَعَالَى-: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧].

ثانيًا: التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة علىٰ أخلاق المتواضعين المتبعين لسنة سيد المرسلين، وأن يدرك المتكبر أن الذي يتكبر عليه أو يسخر منه قد يكون خيرًا منه عند الله، ولينظر كل ما يقتضيه الكبر من الأفعال فليواظب علىٰ نقيضها حتىٰ يصير التواضع له خلقًا، فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل.

- فإن كان التكبر بسبب القوة، فالعلاج: أن يعلم أن القوة لله جميعًا، ويعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض، وأنه لو تألم له أصبع أو عرق من عروق بدنه لتألم، وصار أعجز من كل عاجز، وأذل من كل ذليل، ثم إن من البهائم ما هو أقوىٰ منه بكثير، فمن كانت هذه حاله فما يليق به الكبر.

- وإن كان التكبر بسبب المال، فالعلاج: أن يعلم أن المال عرَض زائل، وأن المال من الله أعطاه إياه واستخلفه عليه فقط، والمتكبر بماله أو عقاره لو

ذهب عنه ذلك لعاد في لحظة ذليلًا حقيرًا من أذل وأحقر الناس، وكل متجبر بأمر خارج عن ذاته من أجهل الخلق.

- وإن كان التكبر بالعلم وهو أعظم الآفات، فعلاجه: أن يعلم العالم أن حجة الله علىٰ أهل العلم آكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم، وأن من عصىٰ الله علىٰ علم ومعرفة أعظم جناية ممن عصىٰ الله علىٰ جهل، وإذا تفكر فيما أمامه من الخطر العظيم وعلم ما كان عليه السلف الصالح من التواضع والخوف من الله امتنع بإذن الله من الكبر.

- وإن كان التكبر بسبب المنصب، فليعلم: أن المنصب عرض زائل، فكما ذهب عن غيره سيذهب عنه ويصبح بلا منصب، وليس له أي قيمة، وسيتفرق عنه أهل التزلف المحيطون به فيصبح وحيدًا أعزل لا صديق ولا رفيق.

- وإن كان التكبر بسبب أصله ونسبه، فأصله في الحقيقة: طين وماء ثم نطفة ثم مضغة ثم علقة...إلخ. أما آباؤه وأجداده فما شرفوا إلا بصفاتهم وأخلاقهم وحسن أعمالهم، فإن فعل مثلهم فقد شرف بعمله لا بهم، وإن انحط في صفاته وأخلاقه فما ينفعه كرم آبائه وشرف أجداده، بل يصدق فيه قول الشاعر:

لَئِـنْ فَخـرتُ بآبَـاءٍ ذَوِي شَـرَفٍ   لَقَدْ صَدَقْتُ وَلَكِنْ بِئْسَمَا وَلَدُوا

اللهم طهِّر قلوبنا من الكِبر والعجب، وارزقنا اللهم التواضع ولين الجانب، والتخلُّق بأحسن المحامد.



الكريمُ جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكرم: ضد اللؤم....والكريم: الصفوح، وكرم السحاب، إذا جاء بالغيث......»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(كرم) الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما: شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق... والكرم في الخلق يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب. قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الكريم: الصفوح، والله تَعَالَى هو الكريم الصفوح عن ذنوب عباده المؤمنين...»[2].

ورود اسم الله (الكريم والأكرم) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الكريم) ثلاث مراتٍ في كتاب الله، وهي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

---

(١) الصحاح (٥/ ٢٠١٩-٢٠٢١).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ١٧١-١٧٢).

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الإنفطار:٦].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦] علىٰ قراءة من قرأ برفع «كريم» علىٰ أنه صفة للرب[1].

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الأكرم) مرة واحدة في كتاب الله، وهي:

في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق:٣].

وورود اسم الله (الكريم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الكريم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[2].

٢- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: **لَا إِلَهَ إِلَّا الله الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**»[3].

معنى اسم الله (الكريم) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله (الكريم) في حق الله تَعَالَىٰ **حولَ عدة معانٍ، منها:**

١- الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٥٧)، فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (٢١٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

٢- الـجود والإحسان.

٣- العفو الذي يصفح.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «(الكريم: الـجامع لأنواع الـخير والشرف والفضائل»[١].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كريم، ومن كرمه: إفضاله علىٰ من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلىٰ معاصيه»[٢].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه الذي يبدأ النعمة قبل الاستحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة»[٣].

❊ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الكريم) هو: الـجواد الـمعطي الذي لا ينفد عطاؤه»[٤].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن (الكريم) هو البهي، الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سُبْحَانَهُ وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره»[٥].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٦٧).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٩).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٧١).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٦٧).

(٥) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٨٦).

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كثير الخير يعم به الشاكر، والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها»[1]، **وقال-أيضًا-**: «(الرحمن الرحيم، والبر الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب)؛ هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها علىٰ اتصاف الرب بالرحمة والبر والجود والكرم، وعلىٰ سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأغر والحظ الأكمل»[2].

من الأقوال في المعنىٰ الثالث:

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفسرًا اسم الله الكريم: «يغفر الذنب، ويعفو عن المسيء، ويقول الداعي في دعائه: يا كريم العفو، فقيل: إن من كرم عفوه: أن العبد إذا تاب عن السيئة محاها عنه، وكتب له مكانها حسنة»[3].

من الأقوال التي تجمع بين المعاني الثلاثة:

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الكريم): الجواد، والكريم: العزيز، والكريم: الصفوح. هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها جائز وصف الله عَزَّوَجَلَّ بها، فإذا أريد بالكريم الجواد، أو الصفوح تعلق بالمفعول به؛ لأنه لا بد من متكرم عليه ومصفوح عنه موجود، وإذا أريد به العزيز كان غير مقتض مفعولًا»[4].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص: ٧٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٧١).

(٤) اشتقاق الأسماء (ص: ١٧٦).

۞ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد أن ذكر أن الكريم له ثلاثة أوجه هي: الجواد والصفوح والعزيز:** «وهذه الأوجه الثلاثة يجوز وصف الله عَزَّوَجَلَّ بها، فعلىٰ أنه جواد كثير الخير، صفوح لا بد من متعلق يصفح عنه وينعم عليه، وإذا كان بمعنىٰ العزيز كان غير مقتض مفعولًا في أحد وجوهه، فهذا الاسم متردد بين أن يكون من أسماء الذات، وبين أن يكون من أسماء الأفعال، والله عَزَّوَجَلَّ لم يزل كريمًا ولا يزال، ووصفه بأنه كريم هو بمعنىٰ نفي النقائص عنه، ووصفه بجميع المحامد، وعلىٰ هذا الوصف يكون من أسماء الذات؛ إذ ذلك راجع إلىٰ شرفه في ذاته وجلالة صفاته، وإذا كان فعليًّا كان معنىٰ كرمه ما يصدر عنه من الإفضال والإنعام علىٰ خلقه»[1].

معنى اسم الله (الأكرم) في حقه سُبْحَانَهُ:

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو أكرم الأكرمين، لا يوازيه كريم ولا يعادله نظير، وقد يكون (الأكرم) بمعنىٰ الكريم، كما جاء الأعز والأطول بمعنىٰ: العزيز والطويل»[2].

۞ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الكريم»[3].

۞ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعاد الأمر بالقراءة مخبرًا عن نفسه بأنه الأكرم، وهو الأفعل من الكرم، وهو كثرة الخير ولا أحد أولىٰ بذلك منه سُبْحَانَهُ، فإن الخير كله بيده والخير كله منه والنعم كلها هو موليها، والكمال كله والمجد

---

(١) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ (١/ ١١٢).

(٢) شأن الدعاء (ص: ١٠٣).

(٣) تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٩).

كله له فهو الأكرم حقًّا»[1]، وقال أيضًا: «ذكر من صفاته ها هنا اسم (الأكرم) الذي فيه كل خير وكل كمال، فله كل كمال وصفًا، ومن كل خير فعلًا، فهو (الأكرم) في ذاته وأوصافه وأفعاله»[2].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود»[3].

اقتران اسم الله (الكريم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الكريم) إلا باسم الله (الغني):

تقدم بيانه في اسم الله (الغني).

اقتران اسم الله (الأكرم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الأكرم) بأي اسم من أسماء الله تَعَالَى.

الآثار المسلكية للإيمان باسمي الله (الكريم والأكرم):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الكريم والأكرم) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ الكريم الذي له شرف الذات وكمال الصفات، قال تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠]، فهو الرحمن الرحيم، الغفور، الودود،

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٤٢).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٤١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٣٠)

الخالق، البارئ، المصور، العزيز، الحكيم إلىٰ آخر صفات كماله كل ذلك؛ لأنه الكريم جَلَّجَلَالُهُ، فكلمة (الكريم) شاملة واسعة لكل صفة محمودة.

وهو الكريم الذي تنزه عن النقائص والآفات علىٰ الإطلاق والتمام والكمال من كل وجه، وفي كل حال، قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر:٢٣] أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد؛ لأن القدوس يدل علىٰ التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله»[1].

وهو الكريم الذي له القدر العظيم والشأن الكبير الجليل، فلا يقدر قدره، ولا يدرك العباد كنهه، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وهو الكريم المنعم المتفضل، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وخزائن كل شيء، قال تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧] الخير كله بيديه، كما جاء في الحديث عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفًا...لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[2] لا ينقطع خيره ولا ينفد،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٥٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

بل خيره متصل في الدنيا والآخرة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَدُ الله مَلأَىٰ لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**، وقال: **عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَىٰ المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»[1].

فهو سُبْحَانَهُ الكريم الذي كثر خيره وعظم عطاؤه، إذا أعطىٰ أجزل، وزاد علىٰ منتهىٰ الرجا، فأعطىٰ أهل الجنة مُناهم، وزادهم علىٰ ما يعلمون، كما جاء في الحديث القدسي أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]»[2].

يعطي لا لعوض، فهو الغني الكريم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ويعطي لا للسبب، ويحسن من غير طلب ولا سؤال أو منة؛ فهو المتفضل بالنوال من غير سؤال، بدأ الخلق بالنعم، وأوسع عليهم فيها حتىٰ عجزوا عن إحصائها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨].

وهو سُبْحَانَهُ الكريم الذي عم عطائه خلقه فشمل البر والفاجر، والمؤمن والكافر، بل ربما خص الكافر في الدنيا بمزيد عطاء ولكن الآخرة للمتقين، قال

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٧٤١١)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٣٢٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨٢٤).

تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

أعطىٰ إبليس الحياة الطويلة، وأعطاه القدرة علىٰ الوسواس، وأعطىٰ الكفار القدرة المادية والخضرة والطبيعة والجمال وكثرة الأموال، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧] يعطي من يستحق ومن لا يستحق، يعطي من احتاج ومن لم يحتج حتىٰ يصب عليه الدنيا صبًّا، فلا يبالي من أعطىٰ، وكم أعطىٰ؟!!

وهو الكريم الذي لا يخص بكبير من الحوائج دون صغيرها، بل يرفع إليه الكل، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]، سهل خيره وقرب تناوله؛ فإنه ليس بينه وبين العبد حجاب، وهو قريب لمن استجاب، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود:٦١] لا يضيع من التجأ إليه ولاذ به ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] بل من كرمه جل في علاه إذا رفع العبد يديه يدعوه ويسأله يستحي أن لا يجيبه، وأن يرده خائبًا، كما جاء في الحديث عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[1].

وهو (الكريم) الذي إذا وعد وفىٰ، فإن كل من يعد يمكن أن يفي، ويمكن أن يقطعه عذر، ويحول بينه وبين الوفاء أمر، والباري صادق الوعد، كما قال

---

(١) سبق تخريجه.

تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]؛ وذلك لعموم قدرته وعظيم ملكه، لا مانع لما أعطىٰ ولا معطي لا منع.

وهو الكريم الذي يتجاوز عن الذنوب ويغفر السيئات، لا يتعظمه ذنب أن يغفره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] يجود بالتوبة علىٰ التائبين، ويتفضل بقبولها منهم، بل أعظم من ذلك أنه يبدل سيئاتهم حسنات، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠][1].

وهو الكريم الذي كرم كل كريم من كرمه، فمن أكرمه الله أكرم ومن أهانه أهين، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨][2].

وصف كلامه بالكريم، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧] أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم، فإنما يستفاد ويستنبط منه، كما أنه كريم، بمعنىٰ: عظيم معظم في كتاب محفوظ موقر[3].

ووصف عرشه بذلك أيضًا، فقال تَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] علىٰ قراءة من قرأ بالكسر علىٰ أنه صفة للعرش، والمعنىٰ: «حسن المنظر بهي الشكل»[4].

ووصف ثوابه العظيم ونعيمه المقيم الذي أعده لعبادة المتقين بالكرم،

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٨٧).

(٢) ينظر: الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ١١٦-١١٧)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢١٥-٢١٧).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٤)، تفسير السعدي (ص: ٨٣٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٠٠).

فقال تَعَالَى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سبأ: ٤] والرزق الكريم، كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحسن الكثير الطيب الشريف، دائم مستمر أبدًا لا ينقطع ولا ينقضي، ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه»[١]، ووعدهم بالمدخل الكريم، فقال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] سالمًا من الآفات والعاهات، ومن الهموم والأحزان، ومن المنغضات والمكدرات[٢].

ووصف بذلك رسله من الملائكة والبشر، فقال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩- ٢٠] «أي: ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ»[٣]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠- ٤١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧] «فيه الكرم ومكارم الأخلاق ما ليس في غيره»[٤].

ووصف بذلك ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره، فقال تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦][٥][٦].

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٩٩).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٢٥٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٨).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٧٧٣).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٥) و(٢٢/ ٣٢)، تفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٢)، تفسير السعدي (ص: ٥٨٩).

(٦) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (٢١٤-٢١٥).

الأثر الثاني: دلالة اسمي الله (الكريم والأكرم) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد اسمي الله الكريم والأكرم وما تضمناه من عظيم الجود والعطاء، وعلم أن النعم الظاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها منه خلقًا وتسخيرًا، وأنه لا أحد من الخلق يملك ذلك؛ تيقن أنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه[1].

وقد نبه الله عَزَّوَجَلَّ عباده علىٰ هذا المعنىٰ، فبعد ما ذكر في سورة النحل «ما خلقه من المخلوقات العظيمة، وما أنعم به من النعم العميمة ذكر أنه لا يشبهه أحد ولا كفء له ولا ند له، فقال تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، أفمن يخلق جميع المخلوقات وهو الفعال لما يريد ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ شيئًا لا قليلًا ولا كثيرًا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون أن المنفرد بالخلق أحق بالعبادة كلها، فكما أنه واحد في خلقه وتدبيره فإنه واحد في إلهيته وتوحيده وعبادته»[2].

الأثر الثالث: تأملات في كرم الكريم سُبْحَانَهُ:

عبادة التأمل والتفكر هي عبادة أولي الألباب الذين أثنىٰ الله عليهم ومدحهم بقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٢].

وإذا آمن العبد باسم الله الكريم وتأمل فيه؛ ظهر له كرمه في أمور كثيرة،

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٣٨).

ومن أقربها كرمه سُبْحَانَهُ علىٰ الإنسان، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، ومن ذلك:

١- خلقه وإيجاده علىٰ أحسن صورة من غير سؤال ولا طلب، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] «تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا»[1].

٢- رعايته وهو جنين، وطفل رضيع لا يملك حول ولا قوة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تدبر وأنت جنين في بطن أمك في موضع لا يد تنالك ولا بصر يدركك ولا حيلة لك في التماس الغذاء، ولا في دفع الضرر، فمن الذي أجرىٰ إليك من دم الأم ما يغذوك، كما يغذو الماء النبات، وقلب ذلك الدم لبنًا، ولم يزل يغذيك به في أضيق المواضع، وأبعدها من حيلة التكسب والطلب.

حتىٰ إذا كمل خلقك واستحكم، وقوي أديمك علىٰ مباشرة الهواء، وبصرك علىٰ ملاقاة الضياء، وصلبت عظامك علىٰ مباشرة الأيدي، والتقلب علىٰ الغبراء، هاج الطلق بأمك فأزعجك إلىٰ الخروج أيما ازعاج إلىٰ عالم الابتلاء، فركضك الرحم ركضةً من مكانك كأنه لم يضمك قط ولم يشتمل عليك فيما بعد، ما بين ذلك القبول والاشتمال حين وضعت نطفة، وبين هذا الدفع والطرد والإخراج، وكان مبتهجًا بحملك، فصار يستغيث ويعج إلىٰ ربك من ثقلك.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٢٩).

فمن الذي فتح لك بابه حتىٰ ولجت؟! ثم ضمه عليك حتىٰ حفظت وكملت، ثم فتح لك ذلك الباب ووسعه حتىٰ خرجت منه كلمح البصر لم يخنقك ضيقه ولم تحبسك صعوبة طريقك فيه.

فلو تأملت حالك في دخولك من ذلك الباب، وخروجك منه، لذهب بك العجب كل مذهب! فمن الذي أوحىٰ إليه أن يتضايق عليك وأنت نطفة حتىٰ لا تفسد هناك؟! وأوحىٰ إليه أن يتسع لك وينفسح حتىٰ تخرج منه سليمًا، إلىٰ أن خرجت فريدًا وحيدًا ضعيفًا، لا قشرة ولا لباس ولا متاع ولا مال! أحوج خلق الله، وأضعفهم وأفقرهم، فصرف ذلك اللبن الذي كنت تتغذىٰ به في بطن أمك إلىٰ خزانتين معلقتين علىٰ صدرها، تحمل غذاءك علىٰ صدرها، كما حملتك في بطنها، ثم ساقه إلىٰ تينك الخزانتين ألطف سوق علىٰ مجار وطرق قد تهيأت له، فلا يزال واقفًا في طرقه ومجاريه حتىٰ تستوفي ما في الخزانة، فيجري وينساق إليك؛ فهو بئر لا تنقطع مادتها، ولا تنسد طرقها، يسوقها إليك في طرق لا يهتدي إليها الطواف، ولا يسلكها الرجال.

فمن رققه لك وصفَّاه، وأطاب طعمه، وحسن لونه، وأحكم طبخه أعدل إحكام، لا بالحار المؤذي، ولا بالبارد الردي، ولا المر ولا المالح، ولا الكريه الرائحة، بل قلبه إلىٰ ضرب آخر من التغذية والمنفعة، خلاف ما كان في البطن، فوافاك في أشد أوقات الحاجة اليه علىٰ حين ظمأ شديد، وجوع مفرط، جمع لك فيه بين الشراب والغذاء، فحين تولد قد تلمظت وحركت شفتيك للرضاع فتجد الثدي المعلق كالإداوة قد تدلىٰ إليك، وأقبل بدره عليك، ثم جعل في رأسه تلك الحلمة، التي هي بمقدار صغر فمك، فلا يضيق عنها، ولا تتعب بالتقامها، ثم نقب لك في رأسها نقبًا لطيفًا بحسب احتمالك ولم يوسعه فتختنق

باللبن، ولم يضيقه فتمصه بكلفة، بل جعله بقدر اقتضته حكمته ومصلحتك.

فمن عطف عليك قلب الأم، ووضع فيه الحنان العجيب والرحمة الباهرة، حتىٰ تكون في أهنأ ما يكون من شأنها وراحتها ومقيلها، فإذا أحست منك بأدنىٰ صوت أو بكاء قامت إليك، وآثرتك علىٰ نفسها، علىٰ عدد الأنفس منقادةً إليك بغير قائد ولا سائق، إلا قائد الرحمة وسائق الحنان، تود لو أن كل ما يؤلمك بجسمها، وأنه لم يطرقك منه شيء، وأن حياتها تزاد في حياتك.

فمن الذي وضع ذلك في قلبها؟! حتىٰ إذا قوي بدنك واتسعت أمعاؤك، وخشنت عظامك، واحتجت إلىٰ غذاء أصلب من غذائك ليشتد به عظمك، ويقوىٰ عليه لحمك، وضع في فيك آلة القطع والطحن، فنصب لك أسنانًا تقطع بها الطعام، وطواحين تطحنه بها، فمن الذي حبسها عنك أيام رضاعك رحمةً بأمك ولطفًا بها، ثم أعطاكها أيام أكلك رحمةً بك، وإحسانًا إليك، ولطفًا بك.

فلو أنك خرجت من البطن ذا سن وناب وناجذ وضرس، كيف كان حال أمك بك، ولو أنك منعتها وقت الحاجة إليها كيف كان حالك بهذه الأطعمة، التي لا تسيغها إلا بعد تقطيعها وطحنها، وكلما ازددت قوة وحاجة إلىٰ الأسنان في أكل المطاعم المختلفة زيد لك في تلك الآلات حتىٰ تنتهي إلىٰ النواجذ، فتطيق نهش اللحم وقطع الخبز وكسر الصلب، ثم إذا ازددت قوةً زيد لك فيها حتىٰ تنتهي إلىٰ الطواحين التي هي آخر الأضراس، فمن الذي ساعدك بهذه الآلات وأنجدك بها ومكنك بها من ضروب الغذاء»[1].

٣- تميزه بالعقل، وتعليمه للعلم بعد أن خرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا،

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥٦- ٢٥٧).

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] فرزقه السمع الذي به يدرك الأصوات، والأبصار التي بها يحس المرئيات، والأفئدة التي يعقل به الأمور.

علمه البيان كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:٤] أي: التبيين عما في ضميره، سواء بالنطق بتيسيره وتسهيل مخرج حروفه ومواضعها من الحلق واللسان والشفتين، أو بالخط الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلًا للناس تنوب مناب خطابهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ – ٥][(١)].

٤– هدايته للإسلام والإيمان، وإنزال القرآن وتعليمه إياه، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به علىٰ عباده ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من متاع الدنيا ولذاتها»[(٢)]، وقال تَعَالَىٰ ممتنًا علىٰ عباده بتعليمهم القرآن: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١ –٢] علمهم لفظه ومعانيه، ويسره عليهم، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

٥–توفيقه لطاعته وفتح أبواب الخير له، فتوفيقه للصلاة كرم، وتوفيقه لصيام كرم، وتوفيقه للذكر كرم، ومن حُرم الطاعة فقدم حُرم الخير كله.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٠)، تفسير السعدي (ص: ٨٢٨).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٦٧).

٦- تسخير الكون له بما فيه من خيرات ونعم لا تعد ولا تحصىٰ لخدمته وراحته، قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الإسراء: ٧٠] فحملهم في البر علىٰ الركاب من الإبل والبغال والحمير والمراكب المختلفة، وفي البحر علىٰ السفن، ورزقهم من المآكل والمشارب والملابس والمناكح، فما من طيب تتعلق به حاجتهم إلا وأكرمهم الكريم به وسخره لهم غاية التسخير[1].

٧- مضاعفته سُبْحَانَهُ جزاء الأعمال الصالحة دون السيئة، قال تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، جاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**»[2] [3]، وجاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه عَزَّوَجَلَّ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ**

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٦٣).

(٢) مخطومة، أي: فيها خطام وهو قريب من الزمام. شرح النووي علىٰ مسلم، رقم الحديث: (١٣/ ٣٨).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٩٢).

بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[1][2].

ويدل الحديث- أيضًا- علىٰ مظهر أخر من مظاهر كرم الله وجوده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ وذلك بمكافأة من نوىٰ عمل الطاعة ولو لم يعمله، كما يكافئ سُبْحَانَهُ من تمنىٰ العمل الذي لا يستطيع بلوغه فيعطيه أجر العامل لنيته الحسنة؛ فعن أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ.... وَأَمَّا الَّذِي أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ الله مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ**، قال: **فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ**، قال: **وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا**، قال: **فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ**، قال: **فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**، قال: **وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ**، قال: **وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالًا، وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ**، قال: **هِيَ نِيَّتُهُ، فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ»**[3].

٨- إكرامه لعبده المؤمن عند موته وانتقاله لمنازل الآخرة، فيثبته عند النزع وعند السؤال في القبر، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٩١)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣١).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي، (١/ ٣٨٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٣١٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥).

﴿يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ويمثَّل عمله الصالح له بصورة رجل طيب الرائحة حسن الوجه حسن الثياب، ويقول: أنا عملك الصالح؛ ليؤنس وحشته، ويقلب الحفرة الضيقة إلىٰ روضة خضراء من رياض الجنة، وينزل عليه الملائكة عند الحشر لتقول له: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، ويدله علىٰ طريق جنته ومنازله فيها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦]، ثم يحفه ويحوطه بكرمه وعظيم عطاءه ومنته مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

ويظهر كرمه جليًّا سُبْحَانَهُ في آخر رجل يدخل الجنة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِيَ اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ! فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَىٰ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي

أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِينِي مِنْكَ ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»[(١)].

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ »[(٢)]، فأي كرم أعظم من هذا الكرم والجود؟!

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٠).

الأثر الرابع: محبة الله تَعَالَىٰ الكريمِ والأكرم:

حين يتأمل العبد في اسمي الله (الكريم والأكرم) وكيف أنه يعطي بلا مقابل، وينعم ولا ينتظر جزاء، ويكرم ولا ينتظر شكرًا، بل يسيء العبد ويزل فيتكرم عليه بالعفو والمغفرة، حين يتأمل هذه المعاني الإيمانية، ويتذوق هذا الكرم الرباني فإن القلب يذوب حبًّا لربه الكريم.

الأثر الخامس: شكر الكريم علىٰ كرمه:

إذا نظر الإنسان في نفسه وما يحيطه من كرم الله عليه وجوده وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة، من جميع أصناف النعم مما يعرف ومما لا يعرف، وما دفع عنه من ألوان النقم والبلايا التي يعجز عن عدها فضلًا عن شكرها، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨] علم أن حق هذه النعم أن يشكر واهبها ولا يكفر، فيعترف القلب ويقر بنعم الله، ويثني عليه بها بلسانه، ويصرفها في مرضاته وطاعته، ويصونها عن صرفها في معصيته[١].

وقد نبه الله عباده علىٰ شكره بعد ما ذكر جملة من نعمه في مواضع عدة من كتابه، منها:

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].
- ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٢٢، و٤٣٧-٤٣٨).

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢].

فدلت هذه الآيات علىٰ أن النعم تقابل بالشكر، فإذا ما قابلها العبد به جزاه الله بالزيادة منها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

الأثر السادس: إكرام من شهد الله بتكريمه:

المكرَم من أكرمه الله تَعَالَىٰ بالإيمان والهدىٰ، والمهان من أهانه الله تَعَالَىٰ بالكفر والفسوق والعصيان ولو وجيهًا: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]

فقد جعل الله ميزان الكرامة عنده تقواه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] فهذا هو ميزان الإكرام الحقيقي، وليس الميزان ميزان المال والبنين والجاه والسلطان، التي يوزن الناس بها اليوم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ الآية [الفجر: ١٥- ١٧]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥- ٥٦].

فمن هداه الله لدينه، وأنعم عليه بطاعته وتقواه فهو الكريم، وحقه أن يكرم كما أكرمه الله جَلَّوَعَلَا، فيكرم الرسل وأتباعهم من العلماء والصالحين، ويكرم ذا الشيبة المسلم، وحامل القرآن، والسلطان المقسط، كما جاء في الحديث عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ

إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المقسط»(١).

الأثر السابع: الاتصاف بالكرم:

الله عَزَّوَجَلَّ كريم يحب أن يتصف عباده بالكرم والسخاء دون إسراف وتبذير، ويبغض منهم البخل والشح، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد مدح تَعَالَىٰ أهل التوسط بين الطرفين المنحرفين في غير موضع من كتابه، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٦]، فمنع ذي القربىٰ والمسكين وابن السبيل حقهم انحراف في جانب الإمساك، والتبذير انحراف في جانب البذل، ورضا الله فيما بينهما»(٢).

والكرم من أهم مكارم الأخلاق وأجلِّها، فعلىٰ المسلم أن يتخلق بهذا الخلق الكريم، ويسعىٰ لتحقيقه، وسيتناول الملحق- بإذن الله- ما يعين علىٰ ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٣٥٧)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨٤٣).

(٢) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم (ص: ٢٢٦).

الأثر الثامن: دعاء الكريم الأكرم:

الله تَعَالَى **هو الكريم الذي فتح لنا باب الدعاء والرجاء، ورغبنا في الضَّرَاعَةِ إليه في جميع الأحوال والأوقات، ووعدنا بالإجابة كما قال** سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، **وقال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»**[1].

كل هذا يدعو العبد إلىٰ كثرة دعائه لربه ورفع حاجته إليه ولو صغرت، فقد كان السلف يسألونه في شرك نعلهم إذا انقطع، وكانوا يسألونه الملح في طعامهم.

ويدعوه- أيضًا إلىٰ إحسان الظن بربه ولو تأخرت الإجابة أو منعت؛ لعلمه أن منعها كرم منه سُبْحَانَهُ ورحمة لا قدح في كرمه وجوده؛ إذ قد يكون في قضاء حاجته هلاكه في دينه أو دنياه، والكريم بمنه وكرمه ورحمته لا يستجيبها لما فيها من الشر والضرر العائد عليه.

ويحسن بالعبد أن يدعو ربه باسمه الكريم تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ممتثلًا قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد وردت أحاديث كثيرة ترغب في الدعاء باسم الله (الكريم)، ومنها:

- عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ غَفَرَ الله لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مَغْفُورًا لَكَ؟ قَالَ: قُلْ: لَا**

---

(١) سبق تخريجه.

إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»[1].

-عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: **أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ!**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٢٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٤)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٨٣٦١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (٤٦٦)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٤٦٦).

«كريم يحب الكرماء»

سنتطرق في موضوع الكرم لعدة مسائل، وهي:

أولًا: تعريف الكرم:

قال ابن مسكويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكرم إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع»[١].

وقيل: الكرم هو: الإعطاء بالسهولة.

وقيل: الكرم إيصال النفع بلا عوض[٢].

ثانيًا: مظاهر الكرم:

للكرم مظاهر كثيرة، تتجلي في أكثر من صورة يتحلىٰ بها المسلم وهو يسير في ضياء من القرآن والسنة، ومن هذه المظاهر:

١- **إكرام الضيف**، فقد جعله الله تَعَالَىٰ دليلًا علىٰ كمال إيمان العبد وتقواه، فعن أبىٰ هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ**

---

(١) تهذيب الأخلاق (ص: ٣٠).

(٢) ينظر: التعريفات، للجرجاني (ص: ١٨٤)، والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف، لابن المناوي (ص: ٢٨١).

الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[1]، ومدح إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ به، فقال تعالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٨].

ومظاهر كرمه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ متعددة، منها:

أ- أنه أول من ضيف الضيفان.

ب- أن بيته كان مأوىٰ للطارقين والأضياف؛ لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب، في الابتداء بالسلام.

ج- جمع لأضيافه بين الإكرام بالقول والفعل:

فإكرامه لأضيافه بالقول يتمثل في:

- رده السلام عليهم بصيغة أكمل وأتم من سلامهم؛ لأنه أتىٰ به بجملة اسمية، دالة علىٰ الثبوت والاستمرار.

- ملاطفته لهم بالكلام اللين، حيث قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: «أنكرتكم» (وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفىٰ)، وعند تقديم الطعام عرض عليهم عرضًا لطيفًا، وقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ولم يقل: «كلوا» ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولىٰ منها، بل أتىٰ بأداة العرض، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

أما إكرامه لأضيافه بالفعل فيتمثل في:

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٧).

- مبادرته إلىٰ الضيافة والإسراع فيها، ولم يمتن عليهم أولًا بقوله: «نأتيكم بطعام؟» بل جاء به بسرعة.

- ذهابه إلىٰ أهله بخفاء، بحيث لا يشعر به الضيف، فيشق عليه ويستحي منه.

- خدم أضيافه بنفسه، وهو خليل الرحمن، وكبير من ضيَّف الضيفان.

- قرب الطعام إلىٰ أضيافه في المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع، ويقول لهم: تفضلوا، أو ائتوا إليه؛ لأن هذا أيسر عليهم وأحسن.

- أتىٰ بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل مشوي فتي سمين لا هزيل، ومثل هذا العجل يتخذ للاقتناء والتربية عادة، إلا أنه آثر به ضيفانه.

- أتىٰ بعجل كامل ولم يأت ببعض منه، وهذا من تمام كرمه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ [1].

٢- **إكرام اليتيم** بكفالته والإحسان إليه، وقد رتب الكريم علىٰ هذا الفعل الأجر العظيم؛ فعن سهل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا**»[2].

٣- **إكرام الشيخ الكبير** بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه، وإجلاله من إجلال الله كما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنَ إِجْلَالِ الله: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي**

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢١)، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، (٢/ ١٤٨-١٥٠)، وتفسير السعدي، (ص: ٨١٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٣٠٤).

السُّلْطَانِ المقسط»[1].

٤- إكرام حافظ القرآن وقارئه ومفسره، وهذا- أيضًا- من إجلال الله عَزَّوَجَلَّ كما يتضح من الحديث السابق.

٥- إكرام السلطان العادل، سواء أكان حاكمًا أو دون ذلك من أصحاب السلطات، فما دام عادلًا مقسطًا فإن إكرامه من إجلال الله سُبْحَانَهُ كما تقدم في الحديث سابقًا.

٦- إكرام الزوجة، وقد حث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ذلك ورغب فيه، وجعله دليلًا علىٰ كمال الإيمان، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ»**[2]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً**[3] **إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»**[4].

والكرم ليس قاصرًا علىٰ هذه الصور، بل يشمل كل شيء، من إكرام: القريب، والصديق، والجار، والصغير، والفقير، بل وحتىٰ الحيوانات.

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٣٥٧)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨٤٣).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٨٤١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٦١٢)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٦١٢).

(٣) لا يفرك، أي: لا يبغض. ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم، (١٠/ ٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٤٦٩).

ثالثًا: فضل الكرم:

الكرم من الصفات المحمودة التي حض عليها الإسلام، وتخلق بها الرسول العدنان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الخلق الكريم له في الإسلام فضائل عدة منها، أنه:

١- يحصل به تكميل الإيمان؛ فعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**، قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(١)].

٢- يحصل به التأسي برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سخيًّا كريمًا لا يُسئل شيئا إلا أعطاه؛ فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا»[(٢)]، وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: « مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا ! فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَىٰ الْفَاقَةَ». وفي رواية: «لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّىٰ يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[(٣)]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَبًا يَأْتِي عَلَيَّ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠١٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٣٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣١١).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣١٢).

ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا دِينَارًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ عَلَيَّ»[1].

٣- إصابة دعوة الملك بالخلف؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[2].

٤- سبب في زيادة المال ونمائه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[3]، ويدل عليه- أيضًا- حديث أبي هريرة السابق في دعاء الملكين له بالخلف.

٥- سبب في ثناء الناس على صاحبه؛ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء»[4]، لا سيما وأنه سبب في ستر عيوبه عن الناس، قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي البَرَايَا ... وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ

تَسَتَّرْ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ ... يُغَطِّيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ[5]

٦- سبب في محبة الله؛ فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا**»[6].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٣٨٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٩١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٤٢)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠١٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٣٥٢)، مسلم، رقم الحديث: (٩٩٣).

(٤) ينظر: نضرة النعيم، لابن حميد (٦/ ٢٢٥٥).

(٥) الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة، للحمد (ص: ٢٧).

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٥٩٢٨)، والحاكم، رقم الحديث: (١٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٧٦٤٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٨٩٠).

٧- موعود صاحبه بالمنازل والغرف في الجنة؛ فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا تُرَىٰ ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[1]، وإطعام الطعام صورة من صور الكرم والجود.

٨- سبب للنجاة من الخسارة؛ فعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «انْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَلَمَّا رَآنِي، قَالَ: **هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**، قال: فَجِئْتُ حَتَّىٰ جَلَسْتُ فَلَمْ أَتَقَارَّ أَنْ قُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: **هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا- مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ- وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**»[2].

فاللهم أكرمنا بكرمك، وأنعم علينا من فضلك.



(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٥٤)، والترمذي، رقم الحديث: (١٩٨٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٩٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٦٣٨)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٩٩٠).

اللطيفُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَطُف الشيء بالضم، يلطف لطافة، أي: صَغُر، فهو لطيف.

واللطف في العمل: الرفق فيه، واللطف من الله تَعَالَىٰ: التوفيق والعصمة، وألطفه بكذا، أي: بره به»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(لطف) اللام والطاء والفاء أصل يدل علىٰ رفق ويدل علىٰ صغر في الشيء، فاللطف: الرفق في العمل؛ يقال: هو لطيف بعباده، أي رءوف رفيق»[2].

ورود اسم الله (اللَّطِيف) في القرآن:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (اللَّطِيف) سبع مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ

(١) الصحاح (٤/ ١٤٢٦).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٢٥٠).

أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: ١٦].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

ورود اسم الله (اللَّطِيف) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (اللَّطِيف) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قُلْنَا: بَلَىٰ، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَىٰ إِثْرِهِ، حَتَّىٰ جَاءَ الْبَقِيعَ، فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ، فَانْحَرَفْتُ فَأَسْرَعَ، فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ، فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: **مَا لَكِ؟ يَا عَائِشُ! حَشْيَا رَابِيَةً!** قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: **لَتُخْبِرِينِي أو لَيُخْبِرَنِّي (اللَّطِيفُ) الخبيرُ**، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ...»[1].

معنى اسم (اللَّطِيف) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله (اللطيف) في حق الله تَعَالَىٰ حول معنيين:

- **المعنىٰ الأول:** أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبايا والخفايا.

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٧٤).

- **المعنىٰ الثاني**: الذي يلطف بعبده ويلطف له، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب[1].

ومن أقوال العلماء في ذلك:

من أقوال العلماء في المعنىٰ الأول والثاني:

❊ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلىٰ من قدرها له من خلقه»[2].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر أنه يلطف لما يريده، فيأتي به بطرق خفية لا يعلمها الناس، واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية»[3].

❊ **قال الكفوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(اللطيف): من الأسماء الحسنىٰ معناه: البر بعباده، المحسن إلىٰ خلقه بإيصال المنافع إليهم برفق، ولطف، العالـم بخفايا الأمور ودقائقها»[4].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(اللطيف): الذي لطف علمه حتىٰ أدرك الخفايا، والخبايا، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور، ولطف بأوليائه، وأصفيائه، فيسرهم لليسرىٰ وجنبهم العسرىٰ، وسهل لهم كل طريق يوصل إلىٰ مرضاته وكرامته، وحفظهم من كل سبب ووسيلة

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٧٦)، والمواهب الربانية، للسعدي (ص: ١٢٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٥١).

(٣) شفاء العليل (ص: ٣٤).

(٤) الكليات (ص: ٧٩٧).

توصل إلىٰ سخطه، من طرق يشعرون بها، ومن طرق لا يشعرون بها، وقدر عليهم أمورًا يكرهونها؛ لينيلهم ما يحبون، فلطف بهم في أنفسهم فأجراهم علىٰ عوائده الجميلة، وصنائعه الكريمة، ولطف لهم في أمور خارجة عنهم لهم فيها كل خير وصلاح ونجاح»[1].

من أقوال العلماء في المعنىٰ الثاني:

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المحسن إلىٰ عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون»[2].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون»[3].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته**[4]:

وَهـوُ (اللَّطِيـفُ) بِعَبْـدِهِ وَلِعَبْـدِهِ ... واللُّطْـفُ فِـي أَوْصَافِـهِ نَوْعَـانِ
إِدْرَاكُ أَسْـرَارِ الأُمُـورِ بِخِبْـرَةٍ ... واللُّطْـفُ عِنْـدَ مَوَاقِـعِ الإِحْسَـانِ
فَيُرِيـكَ عِزَّتَـهُ وَيُبْـدِي لُطْفَـهُ ... والعَبْدُ فِي الغَفَلَاتِ عَنْ ذَا الشَّانِ

(١) تفسير السعدي (ص: ٧١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٤٤).

(٣) شأن الدعاء (١/ ٦٢).

(٤) النونية (ص: ٢٠٧).

اقـتـران اسـم الله (اللَّطِيـف) بأسمائـه الأخـرى سُـبْحَانَهُ في القـرآن الكريـم:

اقتران اسم الله (اللَّطِيف) باسم الله (الخَبِيْر):

تقدم بيانه في اسم الله (الخبير).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (اللَّطِيف):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (اللطيف) من الصفات، ودلالته على التوحيد:

الله سُبْحَانَهُ هو اللطيف الذي دق علمه فأدرك الخفايا، وأحاط بكل شيء فلا يفوت علمه شيء من الخبايا؛ يقول تَعَالَى- على لسان لقمان-: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٖ مِّنْ خَرْدَلٖ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾[لقمان:١٦]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض، فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت ﴿خَبِيرٞ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم»[1].

وهو اللطيف الذي أوصل بره وإحسانه لعباده بطرق خفية لم يحتسبوها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٨).

ومن مظاهر لطفه سُبْحَانَهُ:

- خلق الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث، وحفظه فيها، وتغذيته بواسطة السرة، إلىٰ أن ينفصل، فيستقل بالتناول بالفم، ثم إلهامه إياه عند الانفصال التقام الثدي وامتصاصه ولو في ظلام الليل، من غير تعليم ولا مشاهدة(1).

- ومن لطفه أنه يعلم مواقع القطر من الأرض، وبذور الأرض في باطنها، فيسوق ذلك الماء إلىٰ ذلك البذر، الذي خفي علىٰ علم الخلائق فينبت منه أنواع النبات؛ لذا قال تعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج:٦٣].

- ومن لطف الله بعباده: أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتهم، فقد يريدون شيئًا وغيره أصلح، فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفًا بهم وبرًّا وإحسانًا، قال تعالَى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورىٰ:١٩]، ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورىٰ:٢٧].

- ومن لطفه بعباده المؤمنين: أنه يتولاهم بلطفه، فيخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، من ظلمات الجهل، والكفر، والبدع، والمعاصي إلىٰ نور العلم والإيمان والطاعة.

- ومن لطفه بعباده: أن يقدر لهم أن يتربوا في ولاية أهل الصلاح، والعلم، والإيمان، وبين أهل الخير ليكتسبوا من أدبهم، وتأديبهم وصلاحهم

---

(1) ينظر: المقصد الأسنىٰ، للغزالي (ص: ١٠١).

وإصلاحهم، كما امتن الله علىٰ مريم في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران:٣٧] إلىٰ آخر قصتها، ومن ذلك إذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء، أو في بلد صلاح، أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم، أو لتربية العلماء الربانيين، فإن هذا من أعظم لطفه بعبده، فإن صلاح العبد موقوف علىٰ أسباب كثيرة منها، بل من أكثرها وأعظمها نفعًا هذه الحالة.

- ومن لطف الله بعباده: أن يجعل رزقهم حلالًا في راحة وقناعة يحصل به المقصود، ولا يشغلهم عما خُلقوا له من العبادة والعلم والعمل، بل يعينهم علىٰ ذلك، ويفرغهم ويريح خاطرهم وأعضاءهم، ولهذا من لطف الله تَعَالَىٰ لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته، فيعلم الله تَعَالَىٰ أنها تضره وتصده عما ينفعه، فيحول بينه وبينها، فيظل العبد كارهًا، ولم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقىٰ له الأمر النافع، وصرف عنه الأمر الضار، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، ولهذا كان الرضىٰ بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلىٰ المنازل.

- ومن لطف الله بعباده: أنه إذا قدر لهم طاعة جليلة لا تنال إلا بأعوان، أن يقدر لهم أعوانًا عليها ومساعدين علىٰ حملها؛ قال موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٩-٣٤]، فامتن الله عليه بإجابته لسؤاله سُبۡحَانَهُ: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ﴾ [طه: ٣٦-٣٧]، وكذلك امتن علىٰ عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾

[المائدة:١١١]، وامتن علىٰ سيد الخلق في قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٢].

- ومن لطف الله بعباده: أن يعطي عباده من الأولاد، والأموال، والأزواج ما به تقر أعينهم في الدنيا، ويحصل لهم السرور، ثم يبتليهم ببعض ذلك ويأخذه، ويعوضهم عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب، فنعمة الله عليه بأخذه علىٰ هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه، وهذا- أيضًا- خير وأجر خارج عن أحوال العبد بنفسه، بل هو لطف من الله له أن قيض له أسبابًا أعاضه عليها الثواب الجزيل، والأجر الجميل.

- ومن لطف الله بعبده: قدر الواردات الكثيرة، والأشغال المتنوعة، والتدبيرات، والمتعلقات الداخلة والخارجة التي لو قُسمت علىٰ أمة من الناس لعجزت قواهم عنها أن يمنَّ عليه بخلق واسع، وصدر متسع، وقلب منشرح؛ بحيث يعطي كل فرد من أفرادها نظرًا ثاقبًا وتدبيرًا تامًّا وهو غير مكترث ولا منزعج لكثرتها وتفاوتها، بل قد أعانه الله تَعَالَىٰ عليها ولطف به فيها، ولطف له في تسهيل أسبابها وطرقها.

وإذا أردت أن تعرف هذا الأمر، فانظر إلىٰ حالة المصطفىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله بصلاح الدارين وحصول السعادتين، وبعثه مكملًا لنفسه ومكملًا لأمة عظيمة هي خير الأمم، ومع هذا مكنه الله ببعض عمره الشريف في نحو ثلث عمره أن يقوم بأمر الله كله علىٰ كثرته وتنوعه، وأن يقيم لأمته جميع دينهم، ويعلمهم جميع أصوله وفروعه، ويخرج الله به أمة كبيرة من الظلمات إلىٰ النور، ويحصل به من المصالح والمنافع والخير والسعادة للخاص والعام ما لا تقوم به أمة من الخلق.

- ومن لطفه بعبده الحبيب عنده: إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة، واسترسلت في ذلك أن ينغصها عليه ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئًا إلا مقرونًا بالمكدرات، محشوًّا بالغصص؛ لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به أن يلذذ له القربات، ويحلي له الطاعات ليميل إليها كل الميل.

- ومن لطيف لطف الله بعبده: أن يأجره علىٰ أعمال لم يعملها، بل عزم عليها فيعزم علىٰ قربة من القرب، ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب، فلا يفعلها، فيحصل له أجرها، فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه وأدارها في ضميره، وقد علم تَعَالَىٰ أنه لا يفعلها؛ سوقًا لبره لعبده وإحسانه بكل طريق.

وألطف من هذا: أن يقدر تَعَالَىٰ لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية ويوفر له دواعيها، وهو تَعَالَىٰ علم أنه لا يفعلها؛ ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات، كما لطف بيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في مراودة المرأة، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين.

- ومن لطف الله بعباده: أن يقدر خيرًا وإحسانًا من عبده، ويجزيه علىٰ يد عبده الآخر، ويجعله طريقًا إلىٰ وصوله إلىٰ المستحق، فيثيب اللهُ الأولَ والآخرَ.

- ومن لطف الله بعباده: أن يجري بشيء من مالهم شيئًا من النفع وخيرًا لغيرهم، فيثيبهم من حيث لا يحتسبوا، فمن غرس غرسًا أو زرع زرعًا فأصابت منه روح من الأرواح المحترمة شيئًا آجر الله صاحبه، وكذلك لو كان له بهائم انتفع بدرِّها، وركوبها، والحمل عليها، أو مساكن انتفع بسكناها ولو شيئًا

قليلًا، أو ماعون ونحوه انتفع به، أو عين شرب منها، وغير ذلك ككتاب انتفع به في تعلم شيء منه، أو مصحف قرأ فيه، والله ذو الفضل العظيم.

- ومن لطف الله بعباده: أن يفتح لهم بابًا من أبواب الخير لم يكن لهم علىٰ بال، وليس ذلك لقلة رغبتهم فيه، وإنما هو غفلة منهم وذهول عن ذلك الطريق، فلم يشعروا إلا وقد وجد في قلوبهم الداعي إليه والملفت إليه، فيفرحوا بذلك[1].

وما مضىٰ شيئ يسير من ألطافه سُبْحَانَهُ الخفية، أما ألطافه الظاهرة فهي في كل نعمة من نعمه سُبْحَانَهُ التي لا تعد ولا تحصىٰ مما يشاهد في الآفاق، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ولو استعرض لطفه سُبْحَانَهُ في نعمه الظاهرة لفنيت الأعمار ولم ندرك لها عدًّا.

ويكفي ذكر لطفه سُبْحَانَهُ في تيسير لقمة واحدة يتناولها العبد من غير كلفة يتجشمها، وقد تعاون علىٰ إصلاحها خلق كثير من مصلح الأرض، وزارعها، وساقيها، وحاصدها، ومنقيها، وطاحنها، وعاجنها، وخابزها، وتيسير مضغها مما وضع الله في الفم من أسنان طاحنة وقاطعة، ولسان يدير اللقمة ويسهلها للبلع، ولعاب يسهل مرورها في المريء، إلىٰ آخر هذه الألطاف الربانية[2].

وفي ألطافه سُبْحَانَهُ دليل علىٰ توحيده، وأنه المألوه وحده دون ما سواه، وذلك أن «من عرف أن النعم الظاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها من الله، وأنه ما من نقمة ولا شدة ولا كربة إلا وهو الذي ينفرد بدفعها، وأن أحدًا من

---

(١) ينظر: المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للسعدي (ص: ٧١ - ٧٦).

(٢) ينظر: المقصد الأسنىٰ، للغزالي (ص: ١٠٢).

الخلق لا يملك لنفسه- فضلًا عن غيره- جلب نعمة ولا دفع نقمة، تيقن أن عبودية ما سوىٰ الله من أبطل الباطل، وأن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصالح ودفع المضار»[1].

وكما أن اسم الله (اللطيف) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله الرؤوف، والرحمن، والرحيم، والطيب، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: مراقبة اللطيف سُبْحَانَهُ:

إذا علم العبد أن ربه لطيف دق علمه، محيط بكل صغير وكبير، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦] أورثه ذلك مراقبته عَزَّوَجَلَّ.

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود من هذا: الحث علىٰ مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قل أو كثر»[2].

وأورثه- أيضًا- محاسبة نفسه علىٰ أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، فإنه في كل وقت وحين، بين يدي اللطيف الخبير، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، **يقول الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك-: «إن المؤمن- والله- لا تراه إلا قائمًا علىٰ نفسه: ما أردت بكلمة كذا؟ ما أردت بأكلة كذا؟ ما أردت بمدخل كذا، ومخرج كذا؟ ما أردت بهذا؟ ما لي ولهذا؟

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٢٥).

(٢) المرجع السابق (ص: ٦ وما بعدها).

والله لا أعود إلىٰ هذا! فبمحاسبتها يطلع علىٰ عيوبها ونقائصها فيسعي في إصلاحها»[1].

وأورثه كذلك الحرص علىٰ إصلاح باطنه والعناية به؛ فإن الناس وإن لم يروا إلا الظاهر، إلا أن (اللطيف) يرىٰ باطنه، فلا يليق بالمؤمن أن يهمله.

الأثر الثالث: لطف الله بعباده في المصائب والابتلاءات:

إن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال، ولسان الحال هو من الرحمة، بل هو رحمة خاصة، فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف، وعليه فمن لطف الله بعباده أن جعل المصائب بأنواعها، والمحن بأصنافها، والابتلاءات كلها، في حقيقتها رحمة من اللطيف ولطفًا، وسوقًا إلىٰ مراتب النقاء والكمال، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

- ومن لطفه سُبْحَانَهُ: أن يوفق عبده في البلايا والمصائب بالقيام بوظيفة الصبر فيها، فيناله درجات عالية لا يدركها بعمله، وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك كما فعل بأيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويوجِد في قلبه حلاوة روح الرجاء وتأميل الرحمة، وكشف الضر، فيخف ألمه وتنشط نفسه، ولهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر فخفت مصائبهم، وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.

- ومن لطفه سُبْحَانَهُ: أن يرزق أولياءه وقت المصيبة العظيمة السكينة

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٥١٠-٥١١).

والتثبيت، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون، الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات؛ ولهذا أخبر سُبْحَانَهُ عن إنزالها علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة إذ هو وصاحبه في الغار والعدو فوق رءوسهم، لو نظر أحدهم إلىٰ ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار، لا يلوي أحد منهم علىٰ أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن حملها- وهو عمر- حتىٰ ثبته الله بالصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ »[1].

- ومن لطف سُبْحَانَهُ بعبده الضعيف: أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه وتنقص يقينه، كما لطف بالمؤمن القوي، فهيأ له أسباب الابتلاء والامتحان، وأعانه عليها، فزاد بذلك إيمانه وعظم أجره، فسبحان اللطيف في ابتلائه، وعافيته، وعطائه، ومنعه[2].

ومن تأمل في قصص أنبياء الله، رأىٰ في ظاهرها محنًا وابتلاءات، ولكنها في الباطن طرق خفية أدخلهم بها إلىٰ غاية كمالهم وسعادتهم، ومن شواهد ذلك:

- أكل آدم من الشجرة التي نهىٰ عنها، وإخراجه بسببها من الجنة، كم فيه من حكمة بالغة لا تهتدي العقول إلىٰ تفاصيلها!

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٠٣).

(٢) ينظر: المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للسعدي (٧١ - ٧٦).

- في قصة موسىٰ، وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون للأطفال، ووحيه إلىٰ أمه أن تلقيه في اليم، وسوقه بلطفه إلىٰ دار عدوه الذي قدر هلاكه علىٰ يديه، ثم قدر له سببًا أخرجه من مصر وأوصله به إلىٰ موضع لا حكم لفرعون عليه، ثم قدر له سببًا أوصله به إلىٰ النكاح والغنىٰ، ثم ساقه إلىٰ بلد عدوه، فأقام عليه به حجته، ثم أخرجه وقومه في صورة الهاربين الفارين منه، وكان ذلك عين نصرتهم علىٰ أعدائهم وإهلاكهم وهم ينظرون.

- في قصة يوسف حين قص علىٰ يعقوب رؤياه؛ فعلم أن أخوته سيكيدون له، ثم تآمر إخوة يوسف أن يقتلوه، فلطف به وأشار لهم أخوهم بعدم قتله وإلقائه في الجب، ثم ما آلمه في الجب من خوف وظلمة، وبعد ذلك شراء عزيز مصر له، ومراودة امرأة العزيز والنسوة له، ومكثه في السجن سنين، فلطف به (اللطيف) وأوَّل رؤيا الفتيين، ثم الملك، وسبحان من لطف به بهذه الرؤيا حتىٰ يمكَّن في مصر، فيقدر الله الجدب للبلاد حتىٰ يلتقي بإخوته، حتىٰ جاء بأبيه وإخوته لأرض مصر، وما زال في كل ذلك صابرًا محسنًا، ليقول- بعد كل هذه البلايا والمحن-: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وهذا كله مما يبين أنه سُبْحَانَهُ يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة، والحكم العظيمة، التي لا تدركها عقول الخلق، مع ما في ضمنها من الرحمة التامة والنعمة السابغة، والتعرف إلىٰ عباده بأسمائه وصفاته، وكذلك ما قدره لسيد ولده من الأمور التي أوصله بها إلىٰ أشرف غاياته، وأوصله بالطرق الخفية فيها إلىٰ أحمد العواقب، فتبارك اللطيف الرحيم الحكيم سُبْحَانَهُ[1].

(١) ينظر: شفاء العليل، لابن القيم (١٢/ ١٤).

الأثر الثالث: محبة الله اللطيف:

فاللطيف يلطف بعباده المؤمنين، ويحسن إليهم، ويرفق بهم، فلا يعجل عليهم العقوبة، ويسوق لهم الخير من حيث يحتسبون، ومن حيث لا يحتسبون، بل يسوق لهم الخير من حيث يكرهون، كل هذا وغيره من ألطاف الله يدعو القلوب لمحبته والتعلق به سُبْحَانَهُ، وهذه المحبة تثمر التقرب إليه سُبْحَانَهُ بأنواع العبوديات، كما تثمر الحياء والإجلال له سُبْحَانَهُ، الذي يدفع العبد إلىٰ تعظيم حرماته فلا يغشاها، وحدوده فلا يقربها، كما تثمر هذه المحبة الدعوة إليه سُبْحَانَهُ والجهاد في سبيله، والتضحية بالنفس والمال في سبيل مرضاته عَزَّوَجَلَّ.

الأثر الرابع: اللطف بعباد الله تعالىٰ:

«لما كان من معاني (اللطيف) البر والرفق والإحسان، فإن مما يثمره في قلب المؤمن وأخلاقه أن يكون رفيقًا بعباد الله عَزَّوَجَلَّ محسنًا إليهم، بارًّا بهم، يحب الخير لهم ويفعله لهم، ويكره الشر لهم»[1].

وقد جاءت أحاديث صحيحة كثيرة، تدعو إلىٰ الرفق وترغب فيه:

- عن المقدام بن شريح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةٌ، فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[2].

---

(١) ولله الأسماء الحسنىٰ، للجليل (٢٧٨).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٩٤).

- قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**اللهمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»(١).

- قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ**»(٢).

- قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا أَرَادَ الله** عَزَّوَجَلَّ **بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ**»(٣).

- قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»(٤).

- بل دلت الأحاديث علىٰ اللطف حتىٰ مع الصغير، وللحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قصة في ركوبه علىٰ ظهره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو ساجد وإطالته السجودَ من أجله، وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -لما سئل عن ذلك-: «**إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ حَتَّىٰ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ**»(٥)، بل إن اللطف يتعدىٰ ذلك إلىٰ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٢٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٥٨٩٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٣).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٥٠٦٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٠٣).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٦٥).

(٥) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٢٧٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، رقم الحديث: (٩٣٤)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٣٤٧٦)، والنسائي، رقم الحديث: (١١٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف النسائي، رقم الحديث: (١١٤١).

اللطف بالحيوان والرفق به، ولذلك شواهد عديدة، منها: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ فَدَخلتْ فِيْهَا النَّارَ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»[1].

- عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**»»[2].

الأثر الخامس: الدعاء باسم الله اللطيف جَلَّ جَلَالُهُ:

اعلم أن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال، ولسان الحال هو من الرحمة، بل هو رحمة خاصة فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف، فإذا قال العبد: يالطيف الطف بي أو لي، وأسألك لطفك، فمعناه: تولني ولاية خاصة، بها تصلح أحوالي الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عني جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية، فالأمور الداخلية لطف بالعبد، والأمور الخارجية لطف للعبد، فإذا يسر الله عبده وسهل طريق الخير وأعانه عليه فقد لطف به، وإذا قيض الله له أسبابًا خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٦٧٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٢٦٧٥).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، السعدي، رقم الحديث: (ص: ٢٢٦)

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الدعاء المأثور: «**اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ**»[١] اللهم الطف بنا في قضائك وبارك لنا في قدرتك حتىٰ لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت[٢].

وقد اشتهر بين كثير من الناس الدعاء التالي: «اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه»، وللعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ توضيح للحكم الشرعي في هذا الدعاء، فقد قال: «وفي هذا المقام ينكر علىٰ من يقولون: (اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه) فهذا دعاء بِدْعِي باطل، فإذا قال: (اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه) معناه: أنه مستغن، أي: افعل ما شئت، ولكن خفف وهذا غلط، فالإنسان يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ رفع البلاء نهائيًّا، فيقول -مثلًا-: اللهم عافني، اللهم ارزقني وما أشبه ذلك.

وإذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمُ اللهمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ**»[٣] فقولك: (لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه) أشد، واعلم أن الدعاء قد يردُّ القضاء، كما جاء في الحديث: «**لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»[٤][٥].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٩١)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث (٣٤٩١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٢٢٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤٧٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٩).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٨٤٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٩٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث: (٩٠).

(٥) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين (ص: ٦٦).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما شاء من القدر»[1]، وقال أيضًا: «الدعاء يدفع القدر»[2]، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: «اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني، وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب»[3].

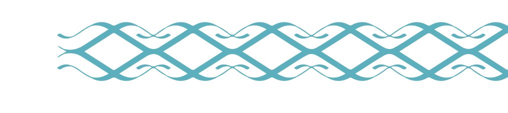
اللهم إنا نسألك لطفك يا لطيفًا بالعباد.



(١) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (٣٣٥٣)، والبيهقي في القضاء والقدر، رقم الحديث: (٢٥٤).

(٢) أخرجه البيهقي في القضاء والقدر، رقم الحديث: (٢٥٣).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم الحديث: (١٥٦٥).




الله جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي للاسم الأعظم (الله):

اختلف العلماء هل اسم (الله) مشتق، أم هو اسم جامد؟

علىٰ قولين؛ أصحهما: أنه مشتق، وأصل اشتقاقه من (إله)[1].

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أله بالفتح إلاهةً، أي: عبد عبادةً، ومنه قرأ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة، قال: وعبادتك... ومنه قولنا: (الله)، وأصله: إلاه، علىٰ فعال، بمعنىٰ: مفعول؛ لأنه مألوه، أي: معبود، كقولنا: إمام فعال، بمعنىٰ: مفعول؛ لأنه مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام، حذفت الهمزة تخفيفًا؛ لكثرته في الكلام... والتأليه: التعبيد، والتأله: التنسك والتعبد»[2].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله: الله تَعَالَى، وسمي بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل: إذا تعبد»[3].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ٢٦).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٢٢٣).

(٣) مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

ورود اسم (الله) في القرآن الكريم:

ورد لفظ الجلالة (الله) جَلَّ وَعَلَا، في القرآن الكريم (٢٧٢٤) مرةً:

ومن وروده في القرآن ما يلي:

١- قال تعالَى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

٢- قال تعالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

٣- قال تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

ورود اسم (الله) في السنة النبوية:

ورد اسم (الله) في السنة النبوية مرات كثيرة، ومن وروده ما يلي:

١- عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّىٰ يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا**»[1].

٢- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٠٠)، و مسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٣).

٣- قال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: **إِنَّ الله هُوَ السَّلامُ، فَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ- فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ- أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[(١)].

معنى اسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ:

يدور اسم (الله) علىٰ معنيين عظيمين متلازمين:

المعنىٰ الأول: هو الإله الجامع لجميع صفات الألوهية.

المعنىٰ الثاني: هو المألوه، أي: المعبود الذي لا يستحق العبادة أحد سواه.

ومن أقوال العلماء في ذلك:

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

❁ قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «(الله) ذو الألوهية والمعبودية علىٰ خلقه أجمعين»[(٢)].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُٱللَّهُ: «فـ(الله) اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سُبْحَانَهُ، وقيل: معناه الذي يستحق أن يعبد»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٨٣١)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٠٢).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٢٣).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ١٠٢).

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإله هو المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال، وهو الذي تألهه القلوب، وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء»[1].

۞ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية علىٰ خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال»[2].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

۞ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما تأويل قول الله تَعَالَى ذكره (الله)، فإنه علىٰ معنىٰ ما روي لنا عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-: هو الذي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق»[3].

۞ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ اسم (الله): «ومعنىٰ قولنا: إلاه، إنما هو الذي يستحق العبادة، وهو تَعَالَى المستحق لها دون من سواه»[4].

۞ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنىٰ الإله في الحقيقة: هو ذو الألوهية أي: المستحق للألوهية والعبادة، والمعبود إنما هو اسم المفعول من عبد فهو معبود، وإنما قيل: تألهنا أي: تعبدنا...»[5].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٣٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٤٥).

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٢٢).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٢٦).

(٥) اشتقاق أسماء الله (ص: ٣٠).

۞ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله، ومعناه: إله، وهذا أكثر الأسماء وأجمعها للمعاني»[1].

۞ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإله هو المألوه، أي: المستحق لأن يؤله، أي: يُعبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده»[2].

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واسم (الله) دال علىٰ كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبة، وتعظيمًا، وخضوعًا، وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب»[3]، وقال: «فإن الإله هو الذي يألهه العبادُ ذلًّا، وخوفًا ورجاءً، وتعظيمًا وطاعةً له، بمعنىٰ: مألوه، وهو الذي تألهه القلوب، أي: تحبه وتذل له»[4].

لفظ الجلالة (الله) والاسم الأعظم:

ثبت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جملة من الأحاديث أن لله عَزَّ وَجَلَّ اسمًا أعظم، إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطىٰ.

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بعض الناس يظن أن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنىٰ، لا يعرفه إلا من خصه الله بكرامة خارقة للعادة، وهذا ظن خطأ؛ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حثنا علىٰ معرفة أسمائه وصفاته، وأثنىٰ علىٰ من عرفها، وتفقه فيها، ودعا الله بها دعاء عبادة وتعبد، ودعاء مسألة، ولا ريب أن الاسم الأعظم منها أولاها بهذا الأمر»[5].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٠).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٢٠٢).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٦).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٢٧).

(٥) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص: ٢٥٠).

وقد اختلف العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في تعيينه علىٰ نحو من عشرين قولًا[1]، أشهرها وأقواها ثلاثة:

الأول: أن الاسم الأعظم (الله) جَلَّ جَلَالُهُ.

الثاني: أن الاسم الأعظم (الحي القيوم) جَلَّ جَلَالُهُ.

الثالث: أن الاسم الأعظم كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل علىٰ جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ الذاتية والفعلية.

قال بالأول: أكثر أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، منهم: أبو حنيفة، والطحاوي[2]، وابن منده[3]، والرازي[4].

واستدلوا: بما خص الله به هذا الاسم من خصائص وميزات، منها[5]:

١- أنه الأصل لجميع أسماء الله الحسنىٰ، فسائر الأسماء تضاف إليه وتجري معه مجرىٰ الصفات مع الأسماء، فيقال: الرحمن الرحيم، الخالق الرازق، الحي القيوم، العزيز الحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ

---

(١) تراجع في: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٢٢٤).

(٢) ينظر: شرح مشكل الآثار (١/ ١٦١).

(٣) ينظر: التوحيد (٢/ ٢١).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (١/ ١١١).

(٥) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٣٢-٣٣)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٦٥) وما بعدها.

سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه:٨] فأضاف سائر الأسماء إليه، ولا شك أن الموصوف أشرف وأعظم من الصفة.

٢- أنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنىٰ تفصيل وتبيين لصفاته.

٣- أنه اسم خاص بالله عَزَّوَجَلَّ، لم يتسم به أحد سواه، ولم يدع به شيء غيره؛ فقد قبض الله عنه الألسن، وكاد يتعاطاه المشركون اسمًا لبعض أصنامهم التي كانوا يعبدونها، فصرفهم الله إلىٰ «اللات» صيانة لهذا الاسم، وذبًّا عنه، قال تَعَالَىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥] أي- علىٰ أحد أوجه التفسير-: هل تعلم أحدًا يسُمَّىٰ الله غير الله، أو يقال له: الله إلا الله؟![١].

٤- أنه لا يسقط عنه الألف واللام في حال النداء، فيقال: يا الله، فصار الألف واللام كالجزء الأساسي في الاسم، بخلاف سائر الأسماء؛ فإن النداء إذا دخل عليها أسقط عنها الألف واللام، فيقال: يا رحمن، يا عزيز، يا حليم، ولا يقال: يا الرحمن، يا العزيز، يا الحليم.

وفي هذا إشارة إلىٰ أن هذا الاسم العظيم معرفة أبدًا، لا تزول ألبتة؛ وذلك أن الألف واللام للتعريف؛ فعدم سقوطهما دال علىٰ ذلك.

---

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله، للزجاجي (ص: ٣١)، وشأن الدعاء، للخطابي (١/ ٣٠)، والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ١٩٠)، وتفسير القرطبي (١١/ ١٣٠)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٢-١٢٣).

٥- أنه أكثر الأسماء ورودًا في القرآن، فقد ورد (٢٧٢٤) مرةً، وهذا ما لم يقع لغيره من الأسماء.

٦- أنه مقترن بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله، التي لا يصح إسلام الكافر إلا بها، ولو استبدلت بغيرها، فقيل: أشهد أن لا إله إلا الرحمن الرحيم، لم يصح في الدخول للإسلام، والخروج من الكفر.

٧- أنه الاسم الذي تعرف الله به إلىٰ عباده، كما في قوله تَعَالَىٰ لموسىٰ: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٣- ١٤]، وقال في مطلع آية الكرسي معرفًا بنفسه لعباده: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٨- أنه أكثر الأسماء دعاء به، حيث يقال: (اللهم)، ومعناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني.

ومن دعاء الله بها قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وكان رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عند النوم: «**اللهمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ؛ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ،...**» الدعاء[1]، ويدعو في سجوده: «**اللهمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ،**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤٨٨).

وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[(١)].

إلىٰ غير ذلك من الخصائص اللفظية لهذا الاسم الكريم، **وأما الخصائص المعنوية له، فقد قال فيها ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما خصائصه المعنوية فقد قال فيها أعلم الخلق به صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**)، وكيف تحصىٰ خصائص اسم مسماه كل كمال علىٰ الإطلاق، وكل مدح، وكل حمد، وكل ثناء، وكل مجد، وكل جلال، وكل إكرام، وكل عز، وكل جمال، وكل خير وإحسان وجود وبر وفضل فله ومنه؟!

فما ذُكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيًّا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه، فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات والدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات»[(٢)].

لا سيما وقد ورد هذا الاسم الكريم في جميع الأحاديث التي فيها الإشارة إلىٰ الاسم الأعظم، ومن ذلك:

١- حديث بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٦).

(٢) نقله عنه: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان ابن عبد الوهاب (ص: ١٤).

يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: **لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[1].

٢- حديث أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ**: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١-٢]»[2].

٣- حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَلْقَةِ وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ جَلَسَ وَتَشَهَّدَ ثُمَّ دَعَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَتَدْرُوْنَ بِمَا دَعَا؟** قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فقال: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[3].

وقال بالثاني: أن اسم الله الأعظم: **(الحي القيوم)**: بعض أهل العلم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية[4]، وابن القيم[5]، وابن عثيمين[6] رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣٥٠٨)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٩٣). حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٩٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٥)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٩٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٩٦).

(٣) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (١٢٨٠٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٩٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٩٥).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣١١).

(٥) ينظر: زاد المعاد (٤/ ١٨٥).

(٦) ينظر: تفسير العثيمين (٣/ ٢٥٨).

واستدلوا: بما تضمنهما هذين الاسمين الجليلين من دلالة علىٰ سائر الأسماء، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال؛ ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ هو اسم الحي القيوم»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال أهل العلم: وإنما كان الاسم الأعظم في اجتماع هذين الاسمين؛ لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنىٰ؛ فصفة الكمال في (الحي)؛ وصفة الإحسان، والسلطان في (القيوم)»[2].

وقال بالثالث: أن الاسم الأعظم كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل علىٰ جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ الذاتية والفعلية.

الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يقول: «فالصواب: أن الأسماء الحسنىٰ كلها حسنىٰ، وكل واحد منها عظيم، ولكن الاسم الأعظم منها كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل علىٰ جميع صفاته الذاتية والفعلية، أو دل علىٰ معاني جميع الصفات، مثل:

(الله) فإنه الاسم الجامع لمعاني الألوهية كلها، وهي جميع أوصاف الكمال، ومثل: (الحميد المجيد) فإن (الحميد) الاسم الذي دل علىٰ جميع المحامد والكمالات لله تَعَالَى، و(المجيد) الذي دل علىٰ أوصاف العظمة والجلال ويقرب من ذلك (الجليل الجميل الغني الكريم).

ومثل: (الحي القيوم)، فإن (الحي) من له الحياة الكاملة العظيمة الجامعة لجميع معاني الذات، و(القيوم) الذي قام بنفسه، واستغنىٰ عن جميع

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨٥).

(٢) تفسير العثيمين (٣/ ٢٥٨).

خلقه، وقام بجميع الموجودات، فهو الاسم الذي تدخل فيه صفات الأفعال كلها.

ومثل: اسمه (العظيم الكبير) الذي له جميع معاني العظمة والكبرياء في ذاته وأسمائه وصفاته، وله جميع معاني التعظيم من خواص خلقه.

ومثل قولك: (يا ذا الجلال والإكرام) فإن الجلال صفات العظمة والكبرياء، والكمالات المتنوعة، والإكرام استحقاقه علىٰ عباده غاية الحب، وغاية الذل وما أشبه ذلك.

فعلم بذلك أن الاسم الأعظم اسم جنس، وهذا هو الذي تدل عليه الأدلة الشرعية والاشتقاق، كما في السنة أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلًا يقول: «اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[1]»[2].

ومما سبق يظهر - والله أعلم- رجحان كون الاسم الأعظم هو اسم (الله) جَلَّ جَلَالُهُ؛ لقوة أدلته وظهورها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص: ٢٥٠-٢٥٢).

الآثار المسلكية للإيمان باسم (الله):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم (الله) من الصفات:

الله تَعَالَى هو ذو الألوهية التي بها استحق أن يكون المعبود المألوه الحق، بل استحق ألا يشاركه في هذا الوصف العظيم أحد سواه، كما قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢].

اتصف بصفات الألوهية التي تجمع صفات الكمال، وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرحمة والبر والكرم والإحسان، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، فاستحق بهذه الصفات أن يُعبد ويُؤلَه.

فهو المألوه لانفراده بالحياة التامة والقيومية المطلقة، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر:٦٥].

وهو المألوه لانفراده بالربوبية خلقًا ورزقًا وملكًا وتدبيرًا وضرًّا ونفعًا، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ

﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الأنعام:١٠٢]، وقال جل في علاه: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ [القصص:٧١]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦].

وهو المألوه لانفراده بالرحمة وإيصال النعم الظاهرة والباطنة إلىٰ جميع خلقه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

وهو المألوه لما له من إحاطة بكل شيء علمًا وحكمًا وحكمة وعزة وقهرًا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾ [طه:٩٨]، وقال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥].

وهو المألوه لانفراده بالغنىٰ المطلق التام من كل وجه، كما أن كل من سواه مفتقر إليه علىٰ الدوام من كل وجه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته ومطالبه كلها، مفتقر إليه في أعظم الحاجات وأشد الضرورات قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]، وقال سُبْحَانَهُ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] فتبارك الله الإله الحق(١).

وهو **الإله** الذي يعبده ويتأله له من في السموات والأرض، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤] فتألهه الخلائق أجمعون بالاستسلام والانقياد طوعًا أو كرهًا، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣] حتىٰ سجد وخضع له ظلالهم بالغدو والآصال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [الرعد:١٥]، ولهج الناطق منهم وغير الناطق من الأشجار والنبات والجماد والأموات مسبحًا بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]، وتوجه له بالتضرع والاستغاثة في النوائب والشدائد البر والفاجر، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧](٢)، وأبت القلوب والأرواح السكون إلا إليه، والاطمئنان إلا بذكره، والفرح إلا بمعرفته، قال تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]، فتبارك الله إله العالمين.

(١) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٢٩-٣٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٤٢، ٤٥٩، ٧٧٠، ٤٦٢).

الأثر الثاني: دلالة اسم (الله) علىٰ التوحيد:

معرفة العبد لاسم الله جَلَّجَلَالُهُ وما فيه من معانٍ، تقوده إلىٰ توحيده بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

فأما توحيده بالربوبية:

فإذا عمل العبد بمقتضىٰ اسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ من التعبد والتأله، تضمن عمله توحيد الربوبية، من جهة: أن من عبد الله ولم يشرك معه شيئًا، لا شك أنه يعتقد أنه ربه الخالق والمالك له الذي لا رب له غيره.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المؤمنون:١١٦] فإنه يقتضي انفراده بالألوهية، وذلك يتضمن انفراده بالربوبية، وأن ما سواه عبد له مفتقر إليه، وأنه خالق ما سواه ومعبوده»[(١)].

وأما توحيده بالألوهية:

فإذا تدبر العبد اسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ وآمن بما فيه من معاني الألوهية في الصفات والأفعال التي لا مشارك له فيها؛ علم أنه المعبود الحق الذي لا يستحق أن يعبد أحد سواه، وأن كل معبود سواه من لدن عرشه إلىٰ قرار أرضه باطل[(٢)]، وهذه حقيقة كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، التي لا تتم إلا بركنيها:

١- نفي العبودية عن ما سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

٢- إثبات العبودية لله وحده، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ

---

(١) الصفدية (٢/ ٦٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٣/ ٢٠٢، ٢٠٤)، المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للسعدي (ص: ١٠٧).

﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وقال تَعَالَى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران:٦٤]، وفي الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ»[1][2].

وتحقيق هذا المعنىٰ إنما خلق الله الإنس والجن لأجله، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فأرسل فيهم الرسل وأنزل إليهم الكتب داعية إليه، قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتوحيد الذي جاءت به الرسل هو: إفراد الرب بالتأله الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له، مع كمال المحبة والإثابة، وبذل الجهد في طاعته ومرضاته، وإيثار محابه ومراده الديني علىٰ محبة العبد ومراده؛ فهذا أصل دعوة الرسل، وإليه دَعَوا الأمم، وهو التوحيد الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو الذي أمر به رسله،

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣).

(٢) ينظر: ثلاثة الأصول (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول (ص: ١٩٠)، كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب (ص: ٣٦-٣٧)، والقول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١/ ١٥٨).

وأنزل به كتبه، ودعا إليه عباده، ووضع لهم دار الثواب والعقاب لأجله، وشرع الشرائع لتكميله وتحصيله»[1].

ونوَّع سُبْحَانَهُ الأدلة والبراهين علىٰ هذا الأصل العظيم، ونفىٰ ضده تحقيقًا له، ومن ذلك[2]:

١- الاستدلال بالربوبية علىٰ الألوهية، فمن عرف أنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور؛ أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٥٩-٦٠] الآيات.

ومن عرف أنه المنفرد بجلب النعم ودفع النقم، فما من نعمة ظاهرة ولا باطنة قليلة أو كثيرة إلا منه سُبْحَانَهُ، وما من نقمة ولا شدة ولا كربة إلا وهو الذي ينفرد بدفعها، وإن أحدًا من الخلق لا يملك لنفسه- فضلًا عن غيره- جلب نعمة ولا دفع نقمة، تيقن أن عبودية ما سوىٰ الله من أبطل الباطل، وأن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصالح ودفع المضار، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص١٣٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٥، ٦٤٠)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي (ص: ١٨-١٩)، المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للسعدي (ص: ١٠٧).

لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٧-١٨] الآيات، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح: ١١].

٢- الاستدلال بما له من صفات علىٰ الألوهية، فمن عرف صفات كماله وأنه لا يماثله شيء من مخلوقاته لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله علم أنه المعبود الحق الذي لا يستحق أي مخلوق كائنًا من كان أن يعبد معه، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣] الآيات.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقررًا هذه المسألة: «والله سُبْحَانَهُ لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه، فأفاد (الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد: وهما إثبات صفات الكمال، ردًّا علىٰ أهل التعطيل، وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو، ردًّا علىٰ المشركين»[1].

٣- الاستدلال بصفات الآلهة التي عبدت من دونه علىٰ بطلان عبادتها، فإن فيها من صفات العجز، والنقص، والفقر ما يمنع كونها إلهًا يعبد، قال

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٨٣).

تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان:٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ [العنكبوت:١٧].

٤- ضرب الأمثلة الدالة علىٰ بطلان الشرك وقبحه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الروم:٢٨]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١].

٥- الاستدلال بإكرام أهل التوحيد، وإهانة وعقوبة أهل الشرك علىٰ أن التوحيد هو الموجب للنجاة، وتركه هو الموجب للهلاك، كما في ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لقصص الرسل مع أممهم، وما فيها من نزول العذاب علىٰ أهل الشرك والنجاة لأهل التوحيد، قال تَعَالَىٰ عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٤]، وقال تَعَالَىٰ عن هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:٧٢]، وقال تَعَالَىٰ عن صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ۝٦٦ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٦-٦٧] وهكذا في بقية الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وأما توحيده بالأسماء والصفات:

فقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسم الله دال علىٰ جميع الأسماء الحسنىٰ، والصفات العليا بالدلالات الثلاث؛ فإنه دال علىٰ إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه.

وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تَعَالَىٰ سائر الأسماء الحسنىٰ إلىٰ هذا الاسم العظيم، كقوله تَعَالَىٰ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]... فعلم أن اسمه الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنىٰ تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله»[(١)].

الأثر الثالث: الفرح والسرور بمعرفة الله جَلَّجَلَالُهُ:

النفس أحوج ما تكون إلىٰ معرفة خالقها ومعبودها الحق، ولا حاجة إليها فوق حاجتها إلىٰ معرفته، فلا سعادة لها ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم ولا راحة لها إلا بمعرفة ربها ومعبودها وعبادته، فإذا عرفت معبودها الحق (الله) جَلَّجَلَالُهُ سعدت وفرحت بذلك أشد الفرح، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليست حاجة الأرواح قط إلىٰ شيء أعظم منها إلىٰ معرفة بارئها وفاطرها ومحبته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفىٰ عنده»[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ٥٥).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم (ص: ٩).

وقال: «فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره، ومحبته، وعبادته وحده، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله، ولو تعوض عنها بما تعوض مما في الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضًا عن هذه الحياة، فمن كل شيء يفوت العبد عوض، وإذا فاته الله لم يعوض عنه شيء ألبتة»[1].

الأثر الرابع: الاعتزاز بالله جَلَّجَلَالُهُ والتوكل عليه:

إذا تأمل العبد في اسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ، وما فيه من صفات الكمال؛ إذ هو خالق كل شيء ومالكه، ومدبر أمره، والخاضع له كل شيء الملك والمملوك، والعزيز والذليل، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والكبير والصغير.

إذا تأمل هذا شعر بالعزة به سُبْحَانَهُ؛ فتعلق به وحده، وسقط من قلبه الخوف والهيبة من الخلق والتعلق بهم، فلم يعتز ولم يحتم إلا به تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولم يتوكل إلا عليه، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦]، فكل من عداه مدبَّر، لا يملك حولًا ولا قوة، ومصيره الفناء؛ فكم من بشر اعتز بماله فما لبث أن ضاع ذلك المال فضاع، وكم من بشر اعتز بسلطانه فجاءت النهاية بزوال سلطانه، فما كان منه إلا أن قال: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].[2]

---

(١) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ٨٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٨٩-٩٠).

الأثر الخامس: محبة الله جل في علاه:

فُطرت القلوب علىٰ محبة من له صفات الكمال والإحسان والتفضل علىٰ الغير، والله جَلَّجَلَالُهُ لا أكمل ولا أعظم ولا أجل من صفات ألوهيته تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولا أعظم نعمة وفضلًا علىٰ العباد منه، فمن كان هذا حاله فهو أحق من يحب، محبة عظيمة تتقدم علىٰ محبة النفس، والأهل، والولد، والناس أجمعين، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذه المحبة: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «إن (الإله) الحق هو الذي يُحَبُّ لذاته، ويُحْمَدُ لذاته، فكيف إذا انضاف إلىٰ ذلك إحسانه، وإنعامه، وحلمه، وعفوه، وبره، ورحمته، فعلىٰ العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله، فيحبه ويحمده لذاته وكماله، وأن يعلم أنه لا محسن علىٰ الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا هو، فيحبه لإحسانه وإنعامه، ويحمده علىٰ ذلك فيحبه من الوجهين جميعًا»(٢).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «وعباد الرحمن يألهونه ويعبدونه، ويبذلون له مقدورهم بالتأله القلبي، والروحي، والقولي والفعلي، بحسب مقاماتهم ومراتبهم، فيعرفون من نعوته وأوصافه ما تتسع قواهم لمعرفته، ويحبونه من كل قلوبهم محبةً تتضاءل جميع المحاب لها، فلا يعارض هذه المحبة في قلوبهم محبة الأولاد والوالدين وجميع محبوبات النفوس، بل خواصهم

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٣).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٨٣).

جعلوا كل محبوبات النفوس الدينية والدنيوية تبعًا لهذه المحبة، فلما تمت محبة الله في قلوبهم أحبوا ما أحبه من أشخاص وأعمال، وأزمنة، وأمكنة، فصارت محبتهم وكراهتهم تبعًا لإلههم وسيدهم ومحبوبهم.

ولما تمت محبة الله في قلوبهم التي هي أصل التأله والتعبد أنابوا إليه فطلبوا قربه ورضوانه، وتوسلوا إلىٰ ذلك وإلىٰ ثوابه بالجد والاجتهاد في فعل ما أمر الله به ورسوله، وفي ترك جميع ما نهىٰ الله عنه ورسوله، وبهذا صاروا محبين محبوبين له، وبذلك تحققت عبوديتهم وألوهيتهم لربهم، وبذلك استحقوا أن يكونوا عباده حقًا، وأن يضيفهم إليه بوصف الرحمة حيث قال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان:٦٣][1].

الأثر السادس: دعاء الله تَعَالَىٰ باسمه الأعظم:

إذا آمن العبد بأن اسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ هو الاسم الأعظم- كما سبق بيانه- الذي لا يخيب من دعا به ولا يرد، لهج بالدعاء به، ولا سيما بما ورد من الأدعية التي نص فيها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ اشتمالها علىٰ الاسم الأعظم، كالدعاء بـ: «**اللهم إني أسألك بأنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد**»[2]، والدعاء بـ«**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم**»[3].

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٣١-٣٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

ثم إذا صَاحَب الدعاءَ بالاسم الأعظم حضور قلب وانكسار وذلة لم تكد تُرَد الدعوة، فليحرص العبد علىٰ الإكثار من سؤال الله باسمه الأعظم موقنًا بالإجابة[1].

الأثر السابع: الأذكار مقرونة باسم (الله) سُبْحَانَهُ:

خص الله عَزَّوَجَلَّ اسمه (الله) بأن جعله مقرونًا بعامة الأذكار المأثورة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالتحميد والتسبيح والتهليل والتكبير والحوقلة والاسترجاع والبسملة ونحوها مقرونة به غير منفكة عنه، فإذا كبر المسلم ذكره، وإذا حمد ذكره، وإذا سبح ذكره وهكذا في عامة الأذكار، كما في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ- فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ- حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»**[2]، وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ»**[3]، وقوله: **«أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»**[4].

ولم يشرع تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ذكره بهذا الاسم مفردًا، كما يعتقد بعض الجهال من المسلمين، فيرددون لفظ الجلالة (الله) مرات عديدة، كألف أو ألفين أو أكثر، وأحيانًا يجتمعون علىٰ ذلك في حلقات وهم جالسون، أو وهم واقفون يتمايلون ذات اليمين وذات الشمال، ويقفزون بين الحين والآخر، ويصاحب

---

(١) ينظر: مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، للسعدي (ص: ٢٣٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٦٨٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٤).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٣٧).

ذلك دقات الطبول وأصوات المزامير! وتشتد الأصوات حتىٰ لا تسمع إلا (هو هو هو) أو (آه آه آه) أو (حع حع حع)!!، ونحو ذلك مما لم ينزل الله به سلطانًا، ولم تأت به سنة، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[1][2].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرد هنا بمعنىٰ: المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات»[3].

الأثر الثامن: تسمي العبد بأحب الأسماء إلىٰ الله تعالىٰ:

إذا علم العبد المكانة العظيمة لهذ الاسم الكريم (الله) فليعلم أن أحب الأسماء إليه ما أضيف إلىٰ هذا الاسم، أو أضيف لاسمه الرحمن، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَىٰ الله** عَزَّ وَجَلَّ: **عَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**»[4].

وكشف الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ سر ذلك في كلامه حول الأسماء والكنىٰ؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان الاسم مقتضيًا لمسماه، ومؤثرًا فيه كان أحب الأسماء إلىٰ الله ما اقتضىٰ أحب الأوصاف إليه، كعبد الله وعبد الرحمن، وكانت إضافة العبودية إلىٰ اسم (الله) واسم الرحمن، أحب إليه من إضافتها إلىٰ غيرهما،

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٢٦٩٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٧١٨).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٧٣-٧٤).

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٢/ ١٦).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٨٣٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٨٣٣).

كالقاهر والقادر، فعبدالرحمن أحب إليه من عبدالقادر، وعبدالله أحب إليه من عبدربه؛ وهذا لأن التعلق الذي بين العبد وبين ربه إنما هو العبودية المحضة، والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة، فبرحمته كان وجوده وكمال وجوده، والغاية التي أوجده لأجلها: أن يتأله له وحده محبةً وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وتعظيمًا، فيكون عبدًا لله، وقد عبده لـما في اسم (الله) من معنىٰ الإلهية التي يستحيل أن تكون لغيره، ولـما غلبت رحمتُه غضبَه، وكانت الرحمة أحب إليه من الغضب؛ كان عبد الرحمن أحب إليه من عبد القاهر»[1].

الأثر التاسع: تحقيق العبودية التامَّة لله تعالىٰ:

إذا علم العبد معنىٰ اسم (الله) ومافيه من صفات الألوهية؛ خضع له سبحانه، إما بالعبودية العامة أو الخاصة.

العبودية العامة: عبودية الملك والقهر والخضوع للأمر الكوني القدري التي بها تعبد أهل السماوات والأرض كلهم؛ برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، قال تَعَالَى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦].

وهذه العبودية لا يصير بها العبد مؤمنًا؛ لأنه مجبور مقهور عليها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٢/ ٣٤٠).

العبودية الخاصة: عبودية الطاعة، والمحبة، واتباع الأوامر، واجتناب النواهي التي بها تعبَّد أهل الإيمان لربهم عَزَّوَجَلَّ، وتتفاوت مراتبهم ودرجاتهم بناء عليها، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢]، **وقال** سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر:١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣].

وهذه العبودية هي التي يصير بها العبد مؤمنًا، وينال بها رضاه.

فإذا علم العبد هذا، وعلم أن نجاته وفلاحه وسعادته إنما تكون بتحقيق العبودية الخاصة لله عَزَّوَجَلَّ، قاده ذلك لتحقيقها وتكميلها[1].

وفي الملحق الآتي ما يعين - بإذن الله - علىٰ تحقيق العبودية لله عَزَّوَجَلَّ.

(١) ينظر: العبودية، لابن تيمية (ص: ٥٠-٥٤)، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ١٢٥-١٢٦)، وتفسير السعدي (ص: ٨١٣).

«العبودية»

سنتطرق في موضوع العبودية لعدة مسائل، وهي:

أولًا: تعريف العبادة:

العبادة في اللغة:

قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ويقال: طريق معبد، إذا كان مذللًا بكثرة الوطء، وبعير معبد إذا كان مطليًّا بالقطران»[1].

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عبد، بين العبودة والعبودية، وأصل العبودية: الخضوع والذل، والتعبيد: التذليل، يقال: طريق معبد... والعبادة: الطاعة، والتعبد: التنسك»[2].

العبادة في الاصطلاح:

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنىٰ العبادة: الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة»[3].

وقال القاضي أبو يعلىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقيقة العبادة: هي الأفعال الواقعة لله عَزَّوَجَلَّ، علىٰ نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع»[4].

---

(١) تهذيب اللغة (٢/ ١٣٨).

(٢) الصحاح (٢/ ٥٠٣).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٦٢).

(٤) المعتمد في أصول الدين، للقاضي أبي يعلىٰ (١٠٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»[1]:

ومما سبق يتبين أن العبادة تقوم علىٰ أصلين عظيمين، هما:

١-غاية الخضوع والذل والانقياد لله عَزَّوَجَلَّ؛ يقال: طريق معبد، أي: مذلل، فالعابد منقاد لمعبوده خاضع له.

٢-غاية المحبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإذا عظمت محبة الله في قلب العبد قادته إلىٰ الاستقامة علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقررًا هذين الأصلين: «ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تَعَالَىٰ، بل يجب أن يكون الله أحب إلىٰ العبد من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله»[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع... فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له، لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتىٰ تكون محبًّا خاضعًا»[3] [4].

---

(١) العبودية، لابن تيمية (ص: ٤٤).

(٢) العبودية (ص: ٤٨-٤٩).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٩٥- ٩٦).

(٤) ينظر: العبودية مسائل وقواعد ومباحث، لآل عبد اللطيف (ص: ٣٣).

ثانيًا: أهمية العبودية وفضلها:

دعا الله عَزَّوَجَلَّ عباده إلىٰ عبوديته، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]، ورغبهم فيها ببيان أهميتها وما لأهلها من فضل في الدنيا والآخرة، ومن ذلك:

١- بيانه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن العبودية هي الغاية من خلق الخلق، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

٢- بيانه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنه إنما أنزل الكتب، وأرسل الرسل للدعوة إليها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وحكىٰ عن جملة من رسله قولهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٢٣][1].

٣- بيانه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن عبوديته حاجة فطرية فطرت قلوب الخلق للميل إليها، قال تَعَالَىٰ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم:٣٠]، وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[2] [3].

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ- مقررًا تلك الحاجة-: «اعلم أن حاجة العبد إلىٰ أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا

---

(١) ينظر: العبودية، لابن تيمية (ص: ٤٤-٤٥).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٣٥٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٥٨).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٤١).

في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم، والسجود والتقرب- أعظم من حاجة الجسد إلىٰ روحه، والعين إلىٰ نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به؛ فإن حقيقة القلب روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلـهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره... ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها»[(١)].

وكل من استكبر عن عبادة الله التي دعته فطرته إليها عبد غيره ولا شك؛ إذ النفوس جبلت علىٰ أن تقصد شيئًا وتريده، وتستعين به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها، وتطمئن وتركن إليه، وتنتهي إليه محبتها، وهو إلهها سواء كان ذلك الله أو غيره.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستقراء يدل علىٰ أنه كلما كان الرجل أعظم استكبارًا عن عبادة الله، كان أعظم إشراكًا بالله؛ لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقرًا وحاجة إلىٰ المراد المحبوب... فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهىٰ حبه وإرادته، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهىٰ حبه وإرادته، بل استكبر عن ذلك، فلا بد أن له مراد محبوب يستعبده غير الله، فيكون عبدًا لذلك المراد المحبوب، إما المال وإما الجاه وإما الصور، وإما ما يتخذه إلهًا من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والأوثان...»[(٢)][(٣)].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٥٧).

(٢) العبودية، لابن تيمية (ص: ١٠٠-١٠١) بتصرف وتقديم.

(٣) ينظر: جامع الرسائل، لابن تيمية (٢/ ٢٣١)، وتفسير السعدي (ص: ٦٠-٦١)، والعبودية مسائل وقواعد ومباحث، لعبد العزيز آل عبد اللطيف (ص: ٣٧ - ٣٩، ٤٤-٤٥).

٤- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن شرف المخلوق وكماله إنما يكون بتحقيقها، فشرف الملائكة بها ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وشرف الأنبياء بها، فقال سُبۡحَانَهُ عن أيوب وسليمان عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص:٣٠]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص:٤٥]، وشرف رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بوصفه بها في أعلىٰ مقامات التكريم، فوصفه بها في مقام إنزال القرآن: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة:٢٣]، وفي مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩]، وفي مقام الإسراء: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء:١][(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تَعَالَىٰ، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته»[(٢)].

٥- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن العبودية لازمة للعبد في أحواله كلها، فتلزمه في حياته إلىٰ مماته كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، أي: الموت، وتلزمه بعد الحياة في البرزخ حينما يسأله الملكان، وتلزمه في القيامة حينما يدعو الله الخلق كلهم إلىٰ السجود فيسجد المؤمنون ويبقىٰ الكافرون والمنافقون لا يستطيعون السجود، فإذا وصلوا دار الثواب والعقاب انقطع التكليف بالعبادة، وصارت عبودية أهل الثواب تسبيحًا مقرونًا بأنفاسهم لا يجدون له تعبًا ولا نصبًا[(٣)].

---

(١) ينظر: العبودية، لابن تيمية (ص: ٤٦-٤٧).

(٢) العبودية، لابن تيمية (ص: ٨٠).

(٣) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ١٢٤).

٦- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن العبادة دأب ملائكته، قال تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٥- ٢٠٦]، وفي هذا دعوة للاقتداء بهم.

٧- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن إحسان العبودية وتكميلها أعلىٰ مراتب الدين؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإحسان: «**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1][2].

٨- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثواب أهلها في الدارين، ومن ذلك:

أ- عدم تسلط الشيطان عليهم؛ قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾[الإسراء:٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩- ٤٠].

ب- حفظهم من المعاصي والمنكرات، قال تَعَالَى عن نبيه يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٨).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ١٢٤).

ج- اصطفاؤهم لفهم القرآن والعمل به، قال تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ:٥٢].

د- التمكين لهم في الأرض، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

ر- استثناؤهم من الهلاك الذي يعم قومهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٧٣-٧٤].

ع- البشارة لهم في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والبشارة لهم في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرىٰ ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر:١٧][(١)].

و- نفي الخوف والحزن عنهم يوم القيامة؛ قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف:٦٨].

ي- وعدهم بالجنة، قال تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦١-٦٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٢١).

﴿٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٠-٤٣].

ثالثًا: وسائل تحقيق العبودية:

تحقيق العبودية إنما يكون بالقيام بما يحبه الله ورسوله ويرضاه، من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.

فقول القلب: هو الاعتقاد الصحيح بما أخبر به سُبْحَانَهُ عن أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، ولقائه على لسان رسله.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبيين الباطل و إزهاقه، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والرجاء له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرْضها أفرضُ من أعمال الجوارح، ومستحبُّها أحبُّ إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك[1].

على أن تكون هذه العبادة كلها قائمة على شرطي القبول:

١- الإخلاص، الذي به يتحقق معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ١٢٠).

٢- المتابعة، التي بها يتحقق معنىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله.

وبهذا يتبين أن العبادة علىٰ الحقيقة والتحقيق هي الدين كله؛ فلما سأل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام المشتمل علىٰ عبادة الظاهر، والإيمان المشتمل علىٰ عبادة الباطن، والإحسان المشتمل علىٰ إحسان العبادة وتكميلها، قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**فإنَّه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ**»[1][2].

ووصف الله تَعَالَىٰ أهل عبوديته في كتابه بما يشمل الدين كله من الاعتقادات، والعبادات الظاهرة والباطنة، وآداب السلوك والأخلاق، ومن ذلك:

١- قوله تَعَالَىٰ في وصف العبودية الشاملة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٨- ٦٩]، وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

٢- قوله تَعَالَىٰ في وصف عبودية الاعتقاد: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر:١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم:٦١]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الله وعدهم إياها وعدًا غائبًا، لم يشاهدوه ولم يروه، فآمنوا بها، وصدقوا غيبها،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٨).

(٢) ينظر: العبودية، لابن تيمية (ص: ٤٧-٤٨)، ومدارج السالكين، لابن القيم (١/ ١٢٤).

وسعوا لها سعيها، مع أنهم لم يروها، فكيف لو رأوها،... ويكون في هذا مدح له بإيمانهم بالغيب»[1].

٣- قوله تَعَالَى في وصف عبودية الباطن: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات:٤٠]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخلصوا لله الأعمال، فأخلصهم، واختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه»[2]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٦-١٠].

٤- قوله تَعَالَى في وصف عبودية الظاهر: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤-٦٧]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٦-٨].

٥- قوله تَعَالَى في وصف عبودية السلوك والأخلاق: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣].

فاللهمَّ اجعلنا من عبادك الصالحين، مع الذينَ أنعمتَ عليهِم مِنَ النبيينَ والصِّدِّيقينَ والشهداءِ وحَسُنَ أولئِكَ رَفِيقًا



(١) تفسير السعدي (ص: ٤٩٧).

(٢) المرجع السابق (ص: ٧٠٣).

المجيدُ جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المجد: الكرم، والمجيد: الكريم، وقد مَجُد الرجل بالضم، فهو مجيد وماجد، قال ابن السكيت: الشرف والمجد يكونان بالآباء، يقال: رجل شريف ماجد: له آباء متقدمون في الشرف، قال: والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف، وتماجد القوم فيما بينهم، وماجدته فمجدته أمجده، أي: غلبته بالمجد... والتمجيد: أن ينسب الرجل إلىٰ المجد...»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(مجد) الميم والجيم والدال أصل صحيح، يدل علىٰ بلوغ النهاية، ولا يكون إلا في محمود، منه المجد: بلوغ النهاية في الكرم، والله الماجد والمجيد، لا كرم فوق كرمه...»[2].

ورود اسم الله المجيد في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المجيد) في القرآن مرتين، وذلك في قوله تعالىٰ:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود: ٧٣].

(١) الصحاح (٢/ ٥٣٦).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٢٩٧).

٢- قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٤- ١٥].

ورود اسم الله المجيد في السنة النبوية:

ورد اسم الله المجيد في السنة النبوية، ومن وروده:

حديث كعب بن عجرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[١].

معنى اسم الله المجيد في حقه تعالى:

يدور معنىٰ اسم الله المجيد في حق الله علىٰ ثلاثة معان، وهي:

١- كمال الذات والصفات مع سعتها وكثرتها.

٢- كثرة الإحسان للخلق.

٣- المنيع الذي لا يرام.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٣٣٧٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٠٦).

وحول هذه المعاني الثلاثة تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❁ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(مجيد): ذو مجد ومدح وثناء كريم»[١].

❁ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالماجد في اللغة: الكثير الشرف، والله تَعَالَى ذكره أمجد الأمجدين وأكرم الأكرمين»[٢].

❁ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣]: «الحميد في جميع أفعاله وأقواله، محمود ممجد في صفاته وذاته»[٣].

❁ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...المجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها»[٤]، وقال أيضًا: «والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلىٰ بقية أسمائه وصفاته»[٥].

❁ **قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:**

وَهــوَ المَجِيــدُ صِفَاتُــهُ أَوْصَــافُ تَعْظِ
يــمٍ فَشَــانُ الوَصْــفِ أَعْظَــمُ شَــانِ[٦]

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٤٧).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٢).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٣٨٦).

(٥) الحق الواضح المبين (ص: ٣٣).

(٦) نونية ابن القيم (ص: ٢٠٣).

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «(مجيد) كثير الإحسان إلىٰ عباده، بما يفيضه عليهم من الخيرات»[1].

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

❊ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...فكأن المجيد المبالغ في الكرم، المتناهي فيه»[2].

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المجيد) هو الواسع الكرم...»[3].

❊ قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونوله، فكأن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجدًا، وهو الماجد- أيضًا- ولكن أحدهما أدل علىٰ المبالغة، وكأنه يجمع معاني اسم الجليل والوهاب والكريم»[4].

❊ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصف نفسه بالمجيد، وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسعة أفعاله، وكثرة خيره ودوامه»[5].

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الثاني والثالث:

- قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها المجيد: ومعناه المنيع المحمود؛ لأن

---

(١) فتح القدير (٢/ ٥١١).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٥٢).

(٣) شأن الدعاء (٧٤).

(٤) المقصد الأسنىٰ (ص: ١٢٣).

(٥) التبيان في أقسام القرآن (٢ / ٩٥).

العرب لا تقول لكل محمود: مجيدًا، ولا لكل منيع: مجيدًا، أو قد يكون الواحد منيعًا غير محمود، كالمتآمر الخليع الجائر، أو اللص المتحصن ببعض القلاع، وقد يكون محمودًا غير منيع، كأمير السوقة والصابرين من أهل القبلة، فلما لم يقل لكل واحد منهما: مجيد؛ علمنا أن المجيد من جمع بينهما، فكان منيعًا لا يرام، وكان في منعته حسن الخصال جميل الفعال، والباري جل ثناؤه يجل عن أن يرام وأن يوصل إليه، وهو مع ذلك محسن مجمل لا يستطيع العبد أن يحصي نعمته ولو استنفذ فيه مدته، فاستحق اسم المجيد وما هو أعلىٰ منه»(١).

اقتران اسم الله المجيد بأسماء الله تَعَالَى الأخرى في القرآن الكريم:

اقتران اسم الله المجيد باسمه الحميد:

تقدم بيانه في اسم الله (الحميد).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله المجيد:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (المجيد) من الصفات:

الله تَعَالَى المجيد، الذي له مجد الذات بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العليا، وفعاله المحمودة، وأقواله الكريمة، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٤ - ١٦].

فأما أسماؤه فكلها مجد، كيف لا وقد بلغت من الحسن منتهاه، ومن الكمال أقصاه، ومن الدلالة علىٰ الصفات أعلاها قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلا نقص فيها بوجه من الوجوه، بل لا أحسن منها

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٧).

ولا أكمل، فهي أحسن الأسماء، لا يسد غيرها مسدها، ولا يقوم مقامها، ولا يؤدي معناها»[1].

وأما صفاته فصفات مجد، فـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤] له من هذه الصفات وغيرها من بقية صفاته التي بلغت من الكثرة ما لا يحصيه إلا الله، له منها أكملها وأتمها وأعمها، فلا عيب ولا نقص ولا قصور في شيء منها، ولا مماثلة لصفات المخاليق، بل هي علىٰ وجه يليق بجلال الله ومجده[2]، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: له كل صفة كمال، حتىٰ قال أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: «كل صفة كمال في المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها علىٰ وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولىٰ وأحرىٰ»[3].

فحياته حياة كمال لم يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء ولا زوال، ولا يعتريها نقص ولا ضعف، ولا يتخللها سنة ولا نوم، وعلمه كمال لم يسبقه جهل، ولا يطرأ عليه، بل لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ولو دق وصغر، وبصره كمال يرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء في

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٠٢).

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص ٩٤)، تفسير السعدي (ص: ٣٨٦).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٤٠).

الليلة الظلماء، وسمعه كمال يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات علىٰ تفنن الحاجات، ورحمته كمال فلا ضعف معها ولا حد، وسعت كل شيء، وحكمته كمال عمت كل مخلوق فلا عبث ولا لهو، وقدرته كمال في كل حال وآن لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء، وقوته كمال لا ضعف معها ولا وهن، وعزته كمال لا غالب لها ولا ممانع، جل عن أن يرام أو أن يوصل إليه، وجماله لا حد ولا منتهىٰ له، لو كشف حجابه لأحرقت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، وهكذا في بقية صفاته أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلىٰ[1].

وأما أفعاله فأفعال مجد وحمد، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣] دائرة بين الفضل والرحمة والعدل والحكمة، فما من نعمة عطاء ودفع ظاهرة ولا باطنة، صغيرة ولا كبيرة مما يعرف العباد ومما لا يعرفون إلا بفعله وإحسانه وبره، فالإحسان له ومنه، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣][2]، وما من نقمة وبلية تنزل بالعبد إلا بفعله العدل الحكيم، فليس في أفعاله سُبْحَانَهُ ظلم ولا جور ولا شر ولا سفه، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، أي: «علىٰ عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره، وفي شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه وعقابه، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم التي يحمد ويثنىٰ عليه بها»[3].

وأما أقواله فأقوال مجد وشرف، وصدق وعدل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٦)، والحق الواضح المبين (ص: ٣٣).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٣٧).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٨٤).

تكلم بالقرآن المجيد، قال تَعَالَىٰ: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ [البروج: ٢١] حوىٰ من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، ومن العلوم علم الأولين والآخرين، كثير الوجوه، كثير البركات، جزيل المبرات[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقررًا ما سبق: «تمت كلماته صدقًا وعدلًا، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبهًا ومثلًا، وتعالت ذاته أن تشبه شيئًا من الذوات أصلًا، ووسعت الخليقة أفعاله عدلًا، وحكمة ورحمة وإحسانًا وفضلًا، له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد، وله الثناء والمجد...أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنىٰ، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل»[2].

وبعد هذا علم أنه لا مجد إلا مجده ولا عظمة إلا عظمته، ولا جلال ولا جمال ولا كبرياء إلا جلاله وجماله وكبرياؤه، كل مجد لغيره فهو منه عطاء وفضل، تفرد بالكمال المطلق الذي لا يمكن للعباد أن يحيطوا بشيء منه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»[3].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٠٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٤٤).

(٣) سبق تخريجه.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (المجيد) علىٰ التوحيد:

في اسم الله (المجيد) دلالة علىٰ اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بصفات الكمال؛ «فإن من ليس له صفات كمال ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شيء، والمخلوق إنما يصير مجيدًا بأوصافه وأفعاله، فكيف يكون الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مجيدًا وهو معطل عن الأوصاف والأفعال، تَعَالَىٰ الله عما يقول المعطلون علوًّا كبيرًا»[1].

بل فيه دلالة علىٰ كثرة هذه الصفات وعظمتها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصف نفسه بالمجيد، وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها وعدم إحصاء الخلق لها»[2]، فليست صفاته محصورة بصفة أو صفتين ولا سبع ولا ثمان، بل لا تدخل تحت الحصر، ولا تحد بعدد معين كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الدعاء: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ**»[3]، وإذا عرف العبد هذا واعتقده؛ حقق شيئًا من توحيد الأسماء والصفات.

ثم إذا تأمل في هذا الاسم وما فيه من الكمال، لا سيما في الصفات والأفعال، علم أنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، فمن له العلم المحيط بكل الأشياء والقدرة العامة والرحمة الواسعة التي ملأت جميع العوالم، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة هو الجدير بالعبادة والذل والخضوع،

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (٢ / ٩٥).

(٢) المرجع السابق (٢ / ٩٥).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث(٤٤٠٤)، حكم الألباني: صحيح، تخريج الكلم الطيب، رقم الحديث (١٢٤).

قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الآيات [الحشر: ٢٢].[1]

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة؛ لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا»[2].

ومن بيده العطاء ومنه النعماء والبر والإحسان هو المستحق أن يُعبد ويُحَب، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٧-١٨].

وكل مَن دونه ناقص من جميع الوجوه، فلا أوصاف كمال ولا شيء من الإنعام، فكيف يُتعلق به ويسوّىٰ بينه وبين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها؟![3].

الأثر الثالث: محبة الله المجيد:

إذا نظر العبد في اسم الله (المجيد) نظر المتأمل المتفكر امتلأ قلبه حبًّا لله المجيد؛ إذ النفوس فطرت علىٰ حب من تكاملت صفاته، وتكامل عطاؤه

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٣٨).

(٢) المرجع السابق (ص: ٨٥٤).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٣٨).

وإحسانه، والله المجيد كمل في صفاته، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وكمل في عطائه وإحسانه، قال تَعَالَى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وكمل في كل شيء، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣]، بل له من ذلك الكمال أكمله وأبلغه وأوسعه، فمن كان كذلك كيف لا تحبه القلوب، وتهيم بذكره النفوس؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال، ونعوت الجلال والإحسان إلىٰ الغير؛ فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل، كان الحمد والحب أتم وأعظم.

والله سُبْحَانَهُ له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يُحَب لذاته، ولصفاته، ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه، ولكل ما صدر منه سُبْحَانَهُ»[1].

الأثر الرابع: تمجيد ما مجده الله عَزَّوَجَلَّ:

الإيمان باسم الله (المجيد) يدعو العبد إلىٰ تمجيد ما مجده ربه عَزَّوَجَلَّ؛ فقد مجد سُبْحَانَهُ نفسه العلية، ومجد كتابه، ومجد عرشه.

فأما تمجيده لنفسه:

فمجَّد تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ نفسه في كتابه العزيز بما ذكر من أسمائه وصفاته وأفعاله، ومن أعظم آيات القرآن التي حوت ذلك آية الكرسي وسورة الإخلاص والفاتحة.

---

(١) جلاء الأفهام (ص: ١٨٦-١٨٧).

ففي آية الكرسي- التي هي أعظم آية في القرآن- خمسة من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وفيها من صفات الله ما يزيد علىٰ العشرين صفة.

وسورة الإخلاص- التي تعدل ثلث القرآن- جاءت كلها معرفة بالله؛ إذ قالت قريش للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: انسب لنا ربك؟ فأنزلها الله وبين فيها صفاته.

وقال الصحابي صاحب السرية عنها: «لأنها صفة الرحمن»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتِمُ بِـ « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[1]، وفي رواية: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[2].

وفي النصف الأول من سورة الفاتحة- التي هي أعظم سورة في القرآن- الثناء علىٰ الله وتمجيده؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ...**- وفي رواية: **فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي- فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، **قالَ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فإذا قال:**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٥٤)، ووصله الترمذي، رقم الحديث (٢٩٠١)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٩٠١).

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦ - ٧]، قال: **هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»[(١)].

وفي تمجيد الله لنفسه وثنائه عليها دعوة للعباد علىٰ أن يمجِّدوا ربهم، **وتمجيده** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **يكون بأمور، منها:**

١- تلاوة القرآن المجيد وتدبره؛ فإن القرآن مليء بتمجيد الله وإجلاله، ولا أحد يحصي الثناء علىٰ الله وتمجيده كما أثنىٰ هو علىٰ نفسه، وفي حديث «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصَفَيْنِ...**» أن العبد إذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:٣]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: **أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي**.

وإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، قال: **مَجَّدَنِي عَبْدِي**[(٢)]، فدل علىٰ أن تلاوة القرآن تمجيد لله عَزَّوَجَلَّ وثناء عليه.

٢- الثناء علىٰ الله بأسمائه وسؤاله بها؛ لأن كل أسماء الله وصفاته تمجيد له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فقولنا: هو الله الواحد الأحد، الصمد، العزيز، الوهاب، الملك الأول، الآخر، الظاهر والباطن، الحميد، السميع، البصير؛ كل هذا من باب التمجيد لله عَزَّوَجَلَّ، وفي حديث «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ...**» جعل الله عَزَّوَجَلَّ قول: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤] تمجيدًا له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من العبد؛ فدل علىٰ أن من تمجيده وصفه والاعتراف له بالملك والقهر، والحكم يوم الدين والحساب، وهكذا في سائر أسمائه وصفاته.

٣- الصلاة؛ فالصلاة كلها قائمة علىٰ الثناء والتعظيم والتمجيد لله عَزَّوَجَلَّ، ففي قول: (الله أكبر) تمجيد، وفي الفاتحة تمجيد- كما سبق-، وفي الركوع

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٩٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٩٥).

تمجيد، وفي قول العبد بعد الرفع من الركوع: «اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» تمجيد بليغ، وفي السجود تمجيد، وفي التشهد ثناء ومجد، ويختم بقول: «إنك حميد مجيد».

وفي ختام التشهد باسم الله المجيد معنىً لطيف، نبه عليه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «لما طلب للرسول حمدًا ومجدًا بالصلاة عليه، وذلك يستلزم الثناء عليه؛ ختم هذا المطلوب بالثناء علىٰ مرسله بالحمد والمجد، فيكون هذا الدعاء متضمنًا لطلب الحمد والمجد للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإخبار عن ثبوته للرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[1].

٤- دوام ذكر الله، والثناء عليه بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير؛ فإن ذلك كله من التمجيد له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وجاء في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ التَّسْبِيحَ، والتَّهْلِيلَ، والتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ العَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَه**- أو- **لَا يَزَالُ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟**»[2]، وعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ**، قال: **فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**، قال: **فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ،**

---

(١) جلاء الأفهام (ص: ٣٢٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٦٥٣)، وأخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٩).

وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قال: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قال: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟ قال: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قال: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قال: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قال: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قال: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قال: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قال: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قال: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟، قال: يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قال: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قال: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قال: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[1]، فإذا كان جليسهم لا يشقىٰ، فكيف الشأن بهم؟!![2].

وأما تمجيده للقرآن:

فقد قال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، قال قتادة -: «أي: قرآن كريم» فالقرآن شريف كريم عظيم، ولا غرابة في ذلك؛ فإنه كلام الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٤٣٥).

ومجده راجع إلىٰ عدة أمور، منها:

١- فصاحته وبلاغته، وحسن تراكيبه ونظمه، فألفاظه بلغت المنتهىٰ في الفصاحة، ونظمه في غاية الإحكام، حتىٰ إن العرب علىٰ ما هم عليه من الفصاحة وشدة العداوة للدين ما استطاع أحد منهم أن يعيب القرآن في لفظ من ألفاظه بل قال قائلهم لهم بعد سماعه للقرآن: «فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلىٰ، وإنه ليحطم ما تحته»[1].

٢- معانيه الواسعة، وعلومه الغزيرة الشاملة لكل شيء، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتمل علىٰ كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم»[2].

٣- عجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله، بل ولا سورة من مثله ولو اجتمعوا وتآزروا، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فأنىٰ لمخلوق ناقص من جميع الوجوه، ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يعارض كلام رب الأرض

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية، لصالح آل الشيخ (ص: ١٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٤).

والسماوات، المطلع علىٰ سائر الخفيات، الذي له الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد العظيم، الذي لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا، والأشجار كلها أقلام، لنفذ المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلمات الله[1].

٤- حفظه وصيانته من الشياطين وكيد الكفار والمنافقين والحاقدين من أن يغيروا ألفاظه أو يزيدوا فيها أو ينقصوا، أو أن يبدلوا معانيه ويحرفوها، قال تَعالَى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢]. [2]

قال يحيىٰ بن أكثم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان للمأمون- وهو أمير إذ ذاك- مجلس نظر، فدخل في مجلسه رجل يهودي، حسن الثوب، حسن الوجه، طيب الرائحة، قال: فتكلم، فأحسن الكلام، قال: فلما أن تقوض المجلس، دعاه المأمون، فقال له: إسرائيلي؟: قال نعم! قال له: أسلِم حتىٰ أفعل بك، وأصنع، ووعده، فقال: ديني، ودين آبائي، فانصرف، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلمًا، قال: فتكلم علىٰ الفقه، فأحسن الكلام.

فلما أن تقوض المجلس دعاه المأمون، فقال له: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلىٰ! قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنا مع ما تراني حسن الخط فعمدت إلىٰ التوراة، فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلىٰ الإنجيل، فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها، ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلىٰ القرآن فعملت

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٦٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٢٩).

ثلاث نسخ، وزدت فيها ونقصت وأدخلتها إلىٰ الوراقين، فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة، والنقصان، رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيىٰ بن أكثم: فحججت في تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الحديث، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله عَزَّوَجَلَّ في التوراة، والإنجيل ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤]، فجعل حفظه إليهم، فضاع، وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] فحفظه الله عَزَّوَجَلَّ علينا فلم يضع»[1].

٥- حصر الخيرية فيمن تعلمه وعلمه؛ فعن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[2].

٦- رفعة الله لمن عمل به، واتخذه دينًا ومنهجًا، وخفضه وذله لمن تركه وراء ظهره، ورأىٰ أن العمل به رجعية وتخلف وجمود؛ فعَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ: أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ - وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَىٰ مَكَّةَ - فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَىٰ قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَىٰ؟ قَالَ: مَوْلًىٰ مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًىٰ، قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[3].

---

(١) ينظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٧/ ١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨١٧).

وكذا في الآخرة يرفع صاحبه درجات في الجنة، فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**المَاهِرُ بالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**»[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «**يجيءُ القرآنُ يومَ القيامةِ، فيقولُ: يا ربُّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تاجَ الكرامةِ، ثم يقولُ: يا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرامةِ، ثم يقولُ: يا رَبِّ ارْضَ عنه فيرضَىٰ عنه، فيقالُ له: اقرأْ وارقَ وتُزَادُ بكلِّ آيةٍ حسنةً**»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**يقالُ لصاحبِ القرآنِ: اقرأْ وارقَ، ورتِّلْ كما كنتَ تُرَتِّلُ في الدنيا؛ فإنَّ منزِلَتَكَ عندَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا**»[3].

قال الخطابي رَحِمَهُٱللَّهُ: «جاء في الأثر: أن عدد آي القرآن علىٰ قدر درج الجنة، فيقال للقارئ: ارق في الدرج علىٰ قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفىٰ قراءة جميع القرآن استولىٰ علىٰ أقصىٰ درج الجنة، ومن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدرج علىٰ قدر ذلك، فيكون منتهىٰ الثواب عند منتهىٰ القراءة»[4].

٧- إكرام الله لصاحبه؛ فقد جعله من أهله وخاصته، كما جاء عن أنس

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٩١٥)، والحاكم، رقم الحديث: (٢٠٣٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٩١٥).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٩١٧)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٦٤)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (١٤٦٤).

(٤) معالم السنن، للخطابي (١/ ٢٨٩).

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**، قَالَ: قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: **أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»[1]، قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(**هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**) أي: المختصون به، بمعنىٰ: أنه لما قربهم واختصهم كانوا كأهله»[2].

وأما تمجيده للعرش:

فالله المجيد، لا يختار لنفسه إلا الأفضل والأكمل والأتم، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] بقراءة الجر، أي: العظيم العالي علىٰ جميع الخلائق، والذي من عظمته أنه وسع السماوات والأرض، فهي بالنسبة إلىٰ العرش كحلقة ملقاة في فلاة بالنسبة لسائر الأرض[3].

الأثر الخامس: ثواب من مجد الله:

لما دعا الله (المجيد) عباده لتمجيده رغبهم في ذلك بما أعد لهم من الثواب والجزاء، فجعل لمن مجده الرفعة والذكر الحسن جزاء له من جنس عمله، ويتضح هذا جليًّا في خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي مجد ربه، وأجلَّه بالتوحيد والبراءة من الشرك ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨- ٧٩]، فأعلىٰ الله ذكره وجعل له لسان صدق في العالمين،

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٤٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٢٤٣٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢١٦٥).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ٦٨١).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٢)، تفسير السعدي (ص: ٩١٩).

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٨ - ١١٠]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٩- ٥٠].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا- أيضًا- من الرحمة التي وهبها لهم؛ لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[1].

فكان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مقبولًا معظَّمًا مثنًىٰ عليه، في كل الأوقات، وفي جميع الملل، حتىٰ أن اليهود الذين من عادتهم قتل الأنبياء والكفر بهم أحبوه وادعوا أنه منهم، وكذا النصارىٰ، فرد الله عليهم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وكان من أفضل المرسلين، ومن أولي العزم من الرسل، واتخذه الله خليلًا، حتىٰ صار يدعىٰ بذلك، فيقال: خليل الرحمن، وجعل ذكره ركنًا من أركان الصلاة، لا تصح بدونه[2].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٩٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٩٣).

وليس هذا خاصًّا بنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل معه محمد بن عبد الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، الذي مجد ربه بالتوحيد ونصرة الدين وإعلاء كلمته، فجزاه الله من جنس عمله فرفع ذكره في العالمين، قال تَعَالَى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، فجعل ذكر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقرونًا بذكره في الشهادة، قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله[1].

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله[2].

ورفع ذكره في الصلاة بالدعاء له بالثناء والبركة؛ فعن كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «سألنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: **قُولُوا: اللهمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[3].

ورفع ذكره في كل عبادة؛ إذ كل عبادة لا تصح إلا بالإخلاص والمتابعة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن المعلوم أن فاعل العبادة يستحضر أنه متبع فيها

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سبق تخريجه.

لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من رفع ذكره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

ورفع ذكره في الأولين والآخرين، ونوه به حينما أخذ الميثاق علىٰ جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. [2]

وكل هذا يدعو العبد ويحثه علىٰ تمجيد ربه وتعظيمه، جعلنا الله ممن يمجده ويعظمه حق تعظيمه.

فاللهم يا مجيد مُنَّ علينا بالتقوىٰ، وألهمنا تسبيحك وتمجيدك!



(١) ينظر: تفسير ابن عثيمين لجزء عم (ص: ٢٤٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٠).

المُستعانُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العون: الظهير علىٰ الأمر، والجمع: الأعوان»(١).

❊ **قال الأزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الليث: كل شيء أعانك فهو عون لك؛ كالصوم عون علىٰ العبادة والجمع: الأعوان، قال: وتقول: أعنته إعانة، واستعنته، واستعنت به، وعاونته، وقد تعاونًا، أي: أعان بعضنا بعضًا»(٢).

ورود اسم الله (المستعان) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (المستعان) مرتين في كتاب الله، وروده علىٰ ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

---

(١) الصحاح (٧/ ١٩).

(٢) تهذيب اللغة (٣/ ١٢٨).

ورود اسم الله (المستعانِ) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (المستعان) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ وَفِي يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُودٌ يَضْرِبُ بِهِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَفْتِحُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** فَذَهَبْتُ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: **افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**، فَإِذَا عُمَرُ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَىٰ تُصِيبُهُ أَوْ تَكُونُ** فَذَهَبْتُ، فَإِذَا عُثْمَانُ فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ، قَالَ: اللهُ الْمُسْتَعَانُ»[1].

معنى اسم الله (المستعان):

❊ **قال الطبري**: «وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] يقول: والله أستعين علىٰ كفايتي شر ما تصفون من الكذب»[2].

❊ **قال القرطبي**: «فالمستعان معناه: الذي لا يَطلب العون، بل يُطلب منه، وهو مستفعل من العون، وهو وصف ذاتي لله تَعَالَى راجع إلىٰ صفة القوة، وفيه معنىٰ الإضافة الخاصة لمن استعانه من عباده علىٰ طاعته»[3].

فالمستعان هو المعتمد عليه في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٦١٦).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٤٠).

(٣) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، القرطبي (١/ ٥٤٥-٥٤٦).

اقتران اسمِ الله (المستعانِ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يأت اسم الله (المستعان) مقترنًا بغيره من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (المستعانِ):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (المستعان) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الله سُبْحَانَهُ هو المعين لعباده، فلا يُطلب العون ولا القوة المطلقتان إلا منه سُبْحَانَهُ؛ لكمال وعظمة أسمائه وصفاته، فكل من في الأرض والسماء دونه عاجز، يقول تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢]، **يقول ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه»[(١)].

وقال سُبْحَانَهُ فيما يستدل به علىٰ انفراده واستحقاقه للاستعانه وحده: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[الإسراء: ١١١].

فحمد الله نفسه المقدسة، بأنه الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، لاشريك له في الملك، ولا في الخلق، ولا في الأمر، فهو العزيز الذي لايحتاج إلىٰ ولي، أو وزير، بل هو الله الواحد القهار، وكل

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٦).

خلقه بحاجة إلىٰ الاستعانة به، فلا قيام ولا حياة ولا وجود لهم إلا به، وبقدرته وقوته لا شريك له.

وعليه فمن استعان بالخلق وأعرض عن الخالق، فهو المغبون الهالك، فلا هو حفظ كرامته، ولا حصل غايته(١).

وهذا من أعظم الأدلة علىٰ أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، يقول تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، فما يمس العباد من فقر ومرض ونحوه لا يرفعه إلا الله؛ لأن الخلق لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروا أحدًا، لم يقدروا علىٰ شيء من ضرره، إذا لم يرده الله، ولهذا قال تَعَالَى: ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ﴾، كما قال تَعَالَى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [فاطر:٢].

الأثر الثاني: محبة الله المستعان:

الله تَعَالَى هو المستعان، الذي لا يَطلب العون، بل يُطلب منه العون، ويستعين به الخلق كلهم، فلا حول ولا قوة لأحد في السماوات ولا في الأرض إلا بإعانته سُبۡحَانَهُ، فهو المتفضل علىٰ العباد بالإعانة والإمداد، كما تفضل عليهم بالخلق والإيجاد، لا يذل من أكثر طلبه، بل يعزه ويعظم قدره، **يقول شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبد كلما كان أذل لله، وأعظم افتقارًا إليه، وخضوعًا له كان أقرب إليه، وأعز له، وأعظم لقدره؛ فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله،

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٣٣٣).

وأما المخلوق فكما قيل: احتج إلىٰ من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلىٰ من شئت تكن أميره، ولقد صدق القائل:

بَيْـنَ التَّذَلُّـلِ والتَّدَلُّـلِ نُقْطَـةٌ   فِـي رَفْعِهَـا تَتَحَيَّـرُ الأَفْهَـامُ»[1]

فكيف لمن عرف هذا عن ربه، ألا يحبه، ويستغني به عن عموم خلقه!

الأثر الثالث: إعانة الناس وقضاء حوائجهم:

فكما تكون لعباد الله يكون الله لك، وكما تحب أن يعاملك الله سُبْحَانَهُ فعامل الناس، فارحم الناس ليرحمك الله، واستر الناس ليسترك الله، وأعن الناس علىٰ حوائجهم يعنك الله، وفرج كرب إخوانك المسلمين يفرج الله عنك، فكما تدين تدان، والجزاء من جنس العمل، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، وَالله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[2]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ الله عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١/ ٣٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٨٠).

الأثر الرابع: دعاء الله المستعانِ:

فإن من هدي رسولنا وقدوتنا ﷺ كثرة الدعاء وصدق الطلب، **فعن أبي أمامة** رضي الله عنه**، قال:** «دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: **أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، تَقُولُ: اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ** ﷺ**، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ** ﷺ**، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ البَلاَغُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**»[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان النبي ﷺ يدعو: **رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ، اللهمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**»[2].

وفي دعاء الاستخارة منهج دوام الاستعانة بالله، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الِاسْتِخَارَةَ فِي

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٢١)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٧٩)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٧٩).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٢٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٥١٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥١٠).

الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: **إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ**،...»[1].

اللهم ارزقنا صدق الاستعانة بك، فلا حول ولا قوة لنا إلا بك.



(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٩٠).

«الاستعانة بالله»

في موضوع الاستعانة سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف الاستعانة:

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستعانة: طلب العون من الله، ويطلب من المخلوق ما يقدر عليه من الأمور»(١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه؛ فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره، مع ثقته به؛ لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به؛ لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلىٰ اعتماده عليه، مع أنه غير واثق به»(٢).

ثانيًا: منزلة الاستعانة:

الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ هي رفيقة المسافر إلىٰ ربه، فبها يهدىٰ السبيل، وبها يبدأ المسير، وبها يكون الثبات، وبها يبلغ الغايات، فهي ضرورة؛ لينال العبد السعادة والغنىٰ عن كل ما سوىٰ الله، ولينال راحة القلب، واطمئنان النفس، فإذا فقدها فقد سعادته، وكان فقره بين عينيه، وذله للخلق مستوليًا عليه.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١/ ١٠٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٩٦).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العبد مجبول علىٰ أن يقصد شيئًا ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في تحصيل مراده»،... إلىٰ أن قال: «والناظر في أحوال الخلق يجد أن النفس لا بد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها، وهو مستعانها، سواء أكان ذلك هو الله أم غيره، وإذا كان المستعان غير الله فقد يكون عامًّا، وهو الكفر، كمن عبد غير الله مطلقًا أو سأل غير الله مطلقًا، وقد يكون خاصًّا في المسلمين ممن غلب عليهم حب المال أو حب شخص أو حب الرياسة أو غير ذلك، بحيث يعتمد عليها ويستعين بها، وما أكثر ما تستلزم العبادة الاستعانة! وصلاح العبد في عبادة الله واستعانته به، ومضرته وهلاكه وفساده في عبادة غير الله والاستعانة بما سواه، وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جدًّا؛ بل هو قلب الإيمان، وأول الإسلام وآخره، وهذا هو دين الإسلام العام الذي بعث به جميع الرسل، فلا يصرف لغير الله شيء من أنواع العبادة والاستعانة؛ إذ إن أنواع العبادة متعلقة كلها بألوهيته، والاستعانة متعلقة بربوبيته، والله رب العالمين لا إله إلا هو، ولا رب لنا غيره، لا ملك ولا نبي ولا غيره»[١].

ولو تأمل العبد حاجته إليها لعرف أنها ليست فقط في دنياه، بل حتىٰ عند الموت، وبعده من أهوال البرزخ، ويوم القيامة، ولا يقدر علىٰ الإعانة علىٰ ذلك إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولذا فالمؤمن لا يقدم خطوة في طريق العبودية إلا إن سبقها بخطوة في طريق الاستعانة بالله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبودية محفوفة بإعانتين: إعانة قبلها علىٰ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٤).

التزامها والقيام بها، وإعانة بعدها علىٰ عبودية أخرىٰ، وهكذا أبدًا، حتىٰ يقضي العبد نحبه»[1].

وهذا يقود للمسألة التالية، وهي: لم قدمت العبادة علىٰ الاستعانة في الفاتحة؟

ثالثًا: لم قدمت العبادة على الاستعانة:

أشار الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أسباب عدة في تقديم العبادة علىٰ الاستعانة، في آية الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وهي كالتالي:

١) العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها؛ ومن ثم يكون ذلك من قبيل تقديم الغايات علىٰ الوسائل.

٢) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ متعلق بألوهيته سُبْحَانَهُ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ متعلق بربوبيته.

٣) تقديم العبادة علىٰ الاستعانة يتناسب مع تقديم اسم «الله» علىٰ لفظ «الرب» المذكورين في أول السورة؛ حيث إن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قسم الرب، فكان من الشطر الأول، الذي هو ثناء علىٰ الله تَعَالَىٰ؛ لكونه أولىٰ به، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قسم العبد، فكان من الشطر الذي له، وهو ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] إلىٰ آخر السورة.

٤) العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس، فكل عابد لله

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٨).

عبودية تامة: مستعين، ولا ينعكس الأمر؛ لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به علىٰ شهواته، فكانت العبادة أكمل وأتم؛ ولهذا كانت قسم المولىٰ عَزَّوَجَلَّ.

٥) الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس، فقدم الكل علىٰ الجزء.

٦) الاستعانة طلب منه سُبْحَانَهُ، والعبادة طلب له، فقدم ما هو له علىٰ ما هو منه.

٧) العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص؛ ومن ثم قدم ما هو محض الإخلاص.

٨) العبادة حق الله الذي أوجبه علىٰ العبد، والاستعانة طلب العون علىٰ العبادة؛ وذلك بيان لصدقته التي تصدق بها عليك، وأداء حقه أهم من التعرض لصدقته، فكان ذلك من باب تقديم الأهم علىٰ المهم.

٩) العبادة شكر لنعمة الله علىٰ العبد، والله يحب أن يشكر، والإعانة فعل الله لعبده وتوفيقه له، فمن التزم عبوديته، ودخل تحت رقها أعانه الله عليها، وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة له من الله أعظم؛ ومن ثم فإن في تقديم العبادة تقديمًا للسبب علىٰ المسبب.

١٠) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لله، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] به، والذي له مقدم علىٰ ما به؛ لأن ما له: متعلق بمحبته ورضاه، والذي يكون به: متعلق بمشيئته، وما تعلق بمحبته أكمل مما تعلق بمجرد مشيئته؛ إذ الكون كله متعلق بمشيئته كذلك، والملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار والطاعات والمعاصي، والمتعلق بمحبته طاعاتهم وإيمانهم، فالكفار أهل مشيئته،

والمؤمنون أهل محبته؛ ولهذا لا يستقر في النار شيء لله أبدًا، وكل ما فيها فإنه به تَعَالَى وبمشيئته[1].

رابعًا: أقسام الاستعانة:

الاستعانة طلب العون وهي أنواع:

الأول: الاستعانة بالله: وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته، وهذه لا تكون إلا لله تَعَالَى، ودليلها قوله تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ووجه الاختصاص: أن الله تَعَالَى قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾، وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص، وعلىٰ هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تَعَالَى شركًا مخرجًا عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق علىٰ أمر يقدر عليه: فهذه علىٰ حسب المستعان عليه كالتالي:

- إن كانت علىٰ بر: فهي جائزة للمستعين، مشروعة للمعين؛ لقوله تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

- إن كانت علىٰ إثم: فهي حرام علىٰ المستعين، والمعين؛ لقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

- إن كانت علىٰ مباح: فهي جائزة للمستعين، والمعين، لكن المعين قد يثاب علىٰ ذلك ثواب الإحسان إلىٰ الغير؛ ومن ثم تكون في حقه مشروعة؛ لقوله تَعَالَى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٧٥-٧٧).

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر: فهذه لغو لا طائل تحتها، مثل أن يستعين بشخص ضعيف علىٰ حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقًا، أو بالأحياء علىٰ أمر غائب لا يقدرون علىٰ مباشرته: فهذا شرك؛ لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكون.

خامسًا: تقسيم الناس بحسب الاستعانة:

التعبد باسم الله (المستعان) يوجب علىٰ العبد أن يستعين به في كل أحواله، ولكن الناس في الاستعانة بالله تَعَالَى علىٰ أقسام.

ذكر الإمامان ابن تيمية، وابن القيم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ طرفًا من هذه الأقسام، فتحدث كل منهما عن جهة للتقسيم، ومن الأولىٰ بنا أن نذكر كلام الإمامين؛ لتتكامل لدينا الصورة، وتتضح معالـمها.

وقد تكلم الإمام ابن القيم عن أقسام الناس في عبادة الله والاستعانة به، وقسمهم إلىٰ أربعة أقسام، وهي:

أجلُّها وأفضلُها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم، وطلبهم منه أن يعينهم عليها، ويوفقهم للقيام بها؛ ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب عَزَّوَجَلَّ الإعانة علىٰ مرضاته، وهو الذي علمه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لـحِبه معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فعن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: «لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: **يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكَ. قَالَ: **فَإِنِّي أُوصِيكَ بِكَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: اللهمَّ أَعِنِّي**

عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[1]؛ فأنفع الدعاء طلب العون علىٰ مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها علىٰ هذا، وعلىٰ دفع ما يضاده، وعلىٰ تكميله وتيسير أسبابه، فتأملها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله روحه-: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو: سؤال العون علىٰ مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

ومقابل هؤلاء: القسم الثاني، وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به، فلا عبادة ولا استعانة، بل إن سأله أحدهم واستعان به فعلىٰ حظوظه وشهواته، لا علىٰ مرضاة ربه وحقوقه؛ فإنه سُبْحَانَهُ يسأله من في السماوات والأرض، يسأله أولياؤه وأعداؤه، ويمد هؤلاء وهؤلاء، وأبغض خلقه عدوه إبليس، ومع هذا فقد سأله حاجة فأعطاه إياها، ومتعه بها، ولكن لما لم تكن عونًا له علىٰ مرضاته، بل كانت زيادة له في شقوته، وبعده عن الله وطرده عنه، وهكذا كل من استعان به علىٰ أمر وسأله إياه، ولم يكن عونًا علىٰ طاعته كان مبعدًا له عن مرضاته، قاطعًا له عنه ولا بد.

وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره، وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة السائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له، وفيها هلاكه وشقوته، ويكون قضاؤه له من هوانه عليه، وسقوطه من عينه، ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له، فيمنعه حماية وصيانة وحفظًا، لا بخلًا، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته، ويعامله بلطفه، فيظن- بجهله- أن الله لا يحبه ولا

(١) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (٢٢٥٥٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٥٢٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥٢٢).

يكرمه، ويراه يقضي حوائج غيره، فيسيء ظنه بربه، وهذا حشو قلبه ولا يشعر به، والمعصوم من عصمه الله، والإنسان علىٰ نفسه بصيرة، وعلامة هذا حمله علىٰ الأقدار، وعتابه الباطن لها، كما قيل:

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ ... حَتَّىٰ إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ القَدَرَا

القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، **وهؤلاء نوعان:**

أحدهما: القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له علىٰ الفعل؛ فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها، وتعريف الطريق، وإرسال الرسل، وتمكينه من الفعل، فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها، بل قد ساوىٰ بين أوليائه وأعدائه في الإعانة، فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء، ولكن أولياءه اختاروا لنفوسهم الإيمان، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر، من غير أن يكون الله سُبْحَانَهُ وفق هؤلاء بتوفيق زائد أوجب لهم الإيمان، وخذل هؤلاء بأمر آخر أوجب لهم الكفر، فهؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة، لا استعانة معه، فهم موكولون إلىٰ أنفسهم، مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبُه توحيدَه.

النوع الثاني: من لهم عبادات وأوراد، ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة، لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، وتلاشيها في ضمنه، وقيامها به، وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له، بل كالعدم الذي لا وجود له، وأن القدر كالروح المحرك لها، والمعول علىٰ المحرك الأول.

فلم تنفذ قوىٰ بصائرهم من المتحرك إلىٰ المحرك، ومن السبب إلىٰ المسبب، ومن الآلة إلىٰ الفاعل، فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم، فقل نصيبهم من: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير، بحسب استعانتهم وتوكلهم، ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم، ولو توكل العبد علىٰ الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه وكان مأمورًا بإزالته لأزاله.

القسم الرابع: وهو من شهد تفرد الله بالنفع والضر، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولم يدر مع ما يحبه ويرضاه، فتوكل عليه، واستعان به علىٰ حظوظه وشهواته وأغراضه، وطلبها منه، وأنزلها به، فقضيت له، وأسعف بها، سواء كانت أموالًا أو رياسة أو جاهًا عند الخلق، أو أحوالًا من كشف وتأثير وقوة وتمكين، ولكن لا عاقبة له، فإنها من جنس الملك الظاهر، والأموال لا تستلزم الإسلام، فضلًا عن الولاية والقرب من الله، فإن الملك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر، والمؤمن والكافر، فمن استدل بشيء من ذلك علىٰ محبة الله لمن آتاه إياه ورضاه عنه، وأنه من أوليائه المقربين، فهو من أجهل الجاهلين، وأبعدهم عن معرفة الله ومعرفة دينه، والتمييز بين ما يحبه ويرضاه، ويكرهه ويسخطه، فالحال من الدنيا كالمُلك والمال إن أعان صاحبه علىٰ طاعة الله ومرضاته، وتنفيذ أوامره ألحقه بالملوك العادلين البررة، وإلا فهو وبال علىٰ صاحبه، ومبعد له عن الله، وملحق له بالملوك الظلمة، والأغنياء الفجرة[1].

(١) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٩٩- ١٠٤).

سادسًا: كيف تحقق الاستعانة:

من معينات ووسائل تحقيق صدق الاستعانة بالله تَعَالَىٰ ما يلي:

١- صدق العبودية:

فكلما تعلقت القلوب بالله، وعلمت بأنه وحده المستعان، وانقطعت عن الخلق وما في أيديهم؛ كان ذلك دليلًا علىٰ صدق الاستعانة بالله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «فإذا التزمت عبوديته أعانك عليها، وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله أعظم»[1]، وهذا هو تحقيق معنىٰ قول العبد: (لا حول ولا قوة إلا بالله) والمعنىٰ: أن العبد لا يتحول حاله من حال إلىٰ حال، ولا قوة له علىٰ ذلك إلا بالله عَزَّوَجَلَّ»[2]، **وفي أحوال الأنبياء خير شواهد علىٰ ذلك، ومنها:**

- انقطاع قلب يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الخلق وتعلقه بالمستعان سُبْحَانَهُ، فرغم المصيبة الكبرىٰ التي يخبره أولاده بها يردد: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ [يوسف:١٨]، فكانت إعانةُ الله له إخراجًا من البدو، ودخولًا علىٰ الابن، وقد اعتلىٰ خزائن مصر في صورة تسر الأب المكلوم، يقول تَعَالَىٰ في وصف ذلك: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٩٩-١٠٠].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٧٦).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (ص: ١٩٢).

- انفلاق البحر لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وإطباقه علىٰ عدو الله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]، ولكن موسىٰ الذي تلقىٰ الوحي من ربه، لا يشك لحظة وملء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، وإن كان لا يدري كيف تكون، فكانت النتيجة: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣].

- حال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد خرج طريدًا ومعه صاحبه، لكن ثقته بربه واستعانته به جعلت السكينة تتنزل عليه، وجند الله تحميه، تأمل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠]، فالقوم علىٰ إثرهما يتعقبون، والصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجزع- لا علىٰ نفسه ولكن علىٰ صاحبه- أن يطلعوا عليهما فيخلصوا إلىٰ صاحبه الحبيب، يقول له: لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرنا تحت قدميه، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أنزل الله سكينته علىٰ قلبه، يهدئ من روعه ويطمئن من قلبه فيقول له: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»[1]، فكان النصر المؤزر من عند الله بجنود لم يرها الناس، وكانت الهزيمة للذين كفروا والذل والصغار، قال: تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ [التوبة:٤٠]، وظلت كلمة الله في مكانها العالي منتصرة قوية نافذة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة:٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٦٥٣) ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٨١).

إن بين موسىٰ ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرونًا طويلة، لكن الكلمة تتكرر (معي ربي).

٢- التزام الأعمال الصالحة:

لا سيما الصلاة والصبر، فقد أمر الله بالاستعانة بهما في أكثر من موضع، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

٣- الاستعانة بأوقات النشاط واستثمارها في الطاعة:

فالعبادة للمؤمن كالوقود الذي يحركه للإنتاج والعطاء والبذل، وأفضل أوقاتها أول الصباح وآخر الليل؛ بداية اليوم ونهايته، وفي الحديث الذي أخرجه البخاري: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»[(١)]، فالمقصود بالغداة: ما بين صلاة الفجر إلىٰ طلوع الشمس أول النهار، والدلجة: هي آخر الليل، فهذه الأوقات أطيب أوقات المسافرة، فكأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطب مسافرًا إلىٰ مقصد، فنبهه علىٰ أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سار الليل والنهار جميعًا عجز وانقطع، وإذا تحرىٰ السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة، وحُسن هذه الاستعارة: أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلىٰ الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٩).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١/ ٩٥).

٤- الدعاء وصدق الطلب:

فسؤال الله الإعانة لا يقتصر علىٰ أمر العبادة فحسب، وإنما يشمل الإعانة علىٰ قضاء جميع الحوائج، وقد كان هذا هدي رسولنا ﷺ؛ إذ جمع ﷺ الدعاء للصحابة وقرنه بهذا الاسم، ففي الحديث عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا، قلنا: يا رسول الله، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا، فقال: **أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟ تَقُولُ: اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَأَنْتَ الْـمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله**»[(١)].

وقد كانت هي وصيته لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن أعلن له ﷺ محبته له، فاختصر له وصية المحب في بضع كلمات، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أخذ بيدي النبي ﷺ، فقال: **يَا مُعَاذُ!** قلت: لبيك، قال: **إِنِّي أُحِبُّكَ**، قلت: وأنا والله أحبك، قال: **أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاتِكَ؟** قلت: نعم، قال: **قُلِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[(٢)].

كذلك الشأن في الاستخارة، وهي طلب خير الأمرين من الله المستعان، ومما ورد في ذلك عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كالسورة من القرآن: **إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهمَّ**

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أو قال: **فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي**- أو قال: **فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»**[1].

وما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شديد الحرص علىٰ تعليمهم إياها كما يعلمهم القرآن إلا لعظيم الحاجة إليها، يقول ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ في شرح الحديث: «ولذلك كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن؛ لشدة حاجتهم إلىٰ الاستخارة في الحالات كلها، كشدة حاجتهم إلىٰ القراءة في كل الصلوات»[2].

٥- مساعدة الناس ومعاونتهم:

فإعانة الناس سبب في إعانة الله، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه: **«مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[3].

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.



---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح صحيح البخارىٰ، لابن بطال (١٠ / ١٢٣).

(٣) سبق تخريجه.

الـملِك والمالِك والملِيْك جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ملكت الشيء أملكه ملكًا... وملكت الشيء تمليكًا، أي: جعله ملكًا له، يقال: مَلّكه المال والمُلك، فهو مُملَّك... والملكوت من الملك، كالرهبوت من الرهبة، يقال: له ملكوت العراق وملكوة العراق أيضًا، مثال الترقوة: وهو الملك والعز، فهو مليك، وملك وملك، مثل فخذ وفخذ، كأن الملك مخفف من ملك، والملك مقصور من مالك أو مليك، والجمع: الملوك والأملاك، والاسم: الملك، والموضع مملكة، وتملكه، أي: ملكه قهرًا»[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، يقال: أملك عجينه، قوى عجنه وشده، وملكت الشيء: قويته... ثم قيل: ملك الإنسان الشيء يملكه ملكًا، والاسم الملك؛ لأن يده فيه قوية صحيحة، فالملك: ما ملك من مال»[2].

---

(١) الصحاح (٤/ ١٦٠٩).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٣٥١).

وورود اسم الله (الملك - المالك - المليك) في القرآن الكريم:

- وورود اسم الملك في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الملك) خمسَ مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٢].

- وورود اسم (المالك) في القرآن الكريم:

ورد اسم المالك مرة واحدة بالإضافة إلى الملك، في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]، ومرة بالإضافة إلىٰ الدين في قوله تَعَالَى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]

- وورود اسم (المليك) في القرآن الكريم:

وورد اسم (المليك) مرة واحدة في كتاب الله، في قوله تَعَالَى: ﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر:٥٥].

وورود اسم الله (الملك - المالك - المليك) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الملك) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَالَ: **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**،

حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا؛ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ...»[١].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقْبِضُ الله الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**»[٢].

٣- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جَاءَ حَبْرٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَوْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللهَ تعالى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٨١٢)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٧٨٧).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٨١١)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٧٨٦).

معنى اسم الله (الملك - المالك -المليك) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الملك الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه»[1].

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مالك الملك الله تَعَالَى، يملك الملك، يعطيه من يشاء، وهو مالك الملوك، والملاك يصرفهم تحت أمره ونهيه، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع»[2].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله عَزَّوَجَلَّ مالك الأشياء كلها، ومصرفها علىٰ إرادته، لا يمتنع عليه منها شيء»[3].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال أصحاب المعاني: الملك: النافذ الأمر في ملكه؛ إذ ليس كل مالك ينفذ أمره أو تصرفه فيما يملكه، فالملك أعم من المالك، والله تَعَالَى مالك المالكين كلهم، وإنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تَعَالَى»[4].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الملك...وذلك مما يقتضيه الإبداع هو المخترع للشيء من العدم إلىٰ الوجود، فلا يتوهم أن يكون أحد أحق بما أبدع منه، ولا أولىٰ بالتصرف فيه منه»[5].

---

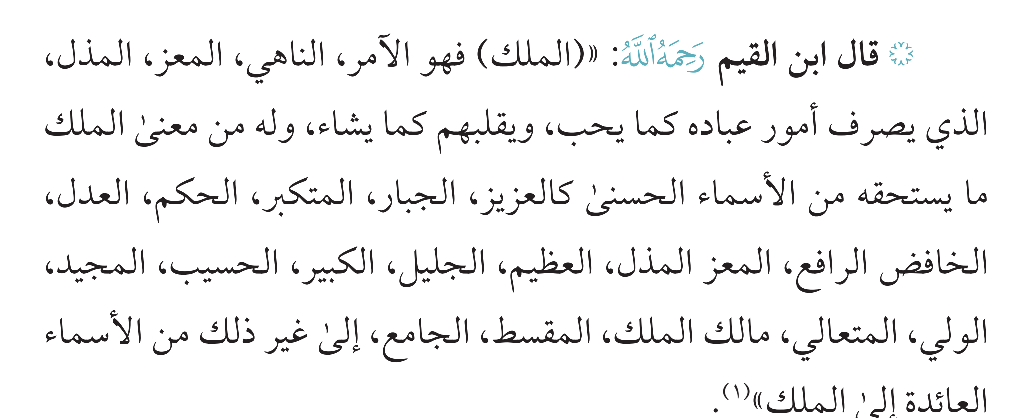
(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٢).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٦٢).

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٤٣).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٣٠).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٤).



❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الملك) فهو الآمر، الناهي، المعز، المذل، الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء، وله من معنىٰ الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنىٰ كالعزيز، الجبار، المتكبر، الحكم، العدل، الخافض الرافع، المعز المذل، العظيم، الجليل، الكبير، الحسيب، المجيد، الولي، المتعالي، مالك الملك، المقسط، الجامع، إلىٰ غير ذلك من الأسماء العائدة إلىٰ الملك»[1].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [الحشر:٢٣]: «المالك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة، ولا مدافعة»[2].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الملك المالك: الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك، وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد، ومماليك، ومضطرون إليه، فهو الآمر، الناهي، المعز، المذل، الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء، وله من معنىٰ الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنىٰ كالعزيز، الجبار، المتكبر...»[3].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٣).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص: ٧٩-٨٠).

الفرق بين الملك، والمالك:

اختلفت أقوال العلماء في الفرق بينهما: فقيل: (ملك): أعم وأبلغ من (مالك)؛ إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكًا، ولأن الـملك نافذ علىٰ المالك في ملكه، حتىٰ لا يتصرف إلا عن تدبير الملك.

وقيل: بل (مالك) أبلغ؛ لأنه يكون مالكًا للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفًا وأعظم؛ إذ إليه إجراء قوانين الشرع، ثم عنده زيادة التملك.

وقيل: المالك أبلغ مدحًا في حق الخالق، والملك أبلغ مدحًا في حق المخلوقين؛ لأن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإذا كان الله تَعَالَىٰ مالكًا كان ملكًا[1].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر، فالمالك يقدر علىٰ ما يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلىٰ تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية، فالمالك أقوىٰ من الملك في بعض الأمور، والملك أقوىٰ من المالك في بعض الأمور، والفرق بين الوصفين بالنسبة إلىٰ الرب سُبْحَانَهُ أن الملك صفة لذاته، والمالك صفة لفعله»[2].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١/ ١٤٠)، وفتح القدير، للشوكاني (١/ ٢٦).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (١/ ٢٦).

اقتران اسم الله (الملك- المالك- المليك) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الملك) بأسمائه الأخرىٰ:

- اقتران اسم الله (الملك) باسم الله (الحق):

تقدم بيانه في اسم الله (الحق).

- اقتران اسم الله (الملك) باسم الله (القدوس):

تقدم بيانه في اسم الله (القدوس).

ثانيًا: اقتران اسم الله (المالك) بأسمائه الأخرىٰ:

لم يقترن اسم الله (المالك) بأي اسم من الأسماء الحسنىٰ.

ثالثًا: اقتران اسم الله (المليك) بأسمائه الأخرىٰ:

تقدم بيانه في أسماء الله (القدير)، و(القادر)، و(المقتدر).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الملك- المالك- المليك):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الملك، والمالك، والمليك) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله الملك، والمالك والمليك علىٰ الحقيقة، قال تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٦]، وذلك أن ملكه راجع إلىٰ ثلاثة أمور:

١- ثبوت صفات الملك له:

الملك يستلزم عدة صفات، منها: الحياة، والقوة، والقدرة، والغنىٰ، والعزة، والحكم النافذ، والتصرف التام، والقيام بشؤون المملكة وحفظها.

ولله جَلَّجَلَالُهُ من هذه الصفات أتمها وأكملها، فحياته حياة لا عدم معها، وقوته وقدرته لا ضعف ولا عجز معها، قال تَعَالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، وقال: سُبْحَانَهُ ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١]، وغناه لا فقر ولا حاجة معه، وعزته لا غالب لها، وحكمه عام نافذ في الدنيا والآخرة، تَعَالَىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١]، وقيامه وحفظه لا غفلة معه ولا نسيان، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥].

ومع هذا كله سلم وتقدس من آفات الملوك وملكهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ [الحشر:٢٣].

فملكه عام للخلائق، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ [الزخرف:٨٥]، وعام للدنيا والآخرة، بل هو في الآخرة أظهر منه في الدنيا، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣]، وذلك لأن في الدنيا هناك من يدعي الملك بخلاف الآخرة، فلا يدعيه أحد؛ إذ الكل حشر حافيًا عاريًا غُرلًا بُهْمًا، لا يملك شيئًا، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡ﴾ [الأنعام:٩٤]، فلا يرىٰ مَلِكًا ولا مالكًا ولا حاكمًا سواه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حتىٰ أنه

جَلَّجَلَالُهُ يقبض الأرض والسموات بيمينه، **ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ**(1). **أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**(2)، وينادي: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦](3).

وملكه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ دائم لا يزال ولا يزول، ولا ينقص ولا ينفد بكثرة العطاء والجود، كما جاء في الحديث القدسي: «... **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**...» الحديث(4).

وملكه قائم علىٰ علم محيط بالدقيق والجليل، وحكمة بالغة، ورحمة تامة، وأمان من الظلم والجور والغدر والكيد، قال تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٣].(5)

٢- جميع الخلق مماليك له:

العالم العلوي والسفلي وما فيهما من ملوك وملاك، ورؤساء ومرؤسين، وجبارون ومتكبرون الكل ملك وعبيد لمالك الملك تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ:

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤١٢)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٧٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٨١٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٨٧).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤)، وتفسير السعدي (ص: ٣٩).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥١٤)، والتحرير والتنوير (٢٨/ ١٢٠-١٢١).

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقال: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٢].

فالجميع مفتقر إليه مضطر إلىٰ ملكه قيامًا وتدبيرًا وحكمًا، وليس لأحد منهم الخروج عن ملكه، قال تَعَالَى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]، ولا الاستغناء عنه طرفة عين.

٣- تصرفه الحق في ملكه:

فلله الملك جَلَّجَلَالُهُ تدبير شؤون مملكته علويها وسفليها، وتصريف أمورها بما يريد، لا يخرج شيء عن تصريفه وتدبيره، ولا يملك أحد منعه أو رده أو تعقبه، قال تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورىٰ: ٤٩- ٥٠].

ومن تصرفاته في مملكته ما حكم به من أحكام: قدرية، وشرعية، وجزائية؛ فإن الملك يقتضي عدم ترك ملكه سدىٰ وهملًا، لا قضاء، ولا أمرًا ولا نهيًا، ولا ثوابًا ولا عقابًا.

١- فأحكامه القدرية التي جرت أمور مملكته إيجادًا وإعدادًا، وإحياء وإماتة وغير ذلك علىٰ مقتضىٰ ما قضىٰ وقدر، قال تَعَالَى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ١١٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع والإكرام، والإهانة والإثابة والعقوبة، والغضب والرضا، والتولية والعزل، وإعزاز من يليق به العز، وإذلال من يليق به الذل، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦- ٢٧]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويكشف غمًّا، وينصر مظلومًا، ويأخذ ظالمًا، ويفك عانيًا، ويغنىٰ فقيرًا، ويجبر كسيرًا، ويشفىٰ مريضًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويعز ذليلًا، ويذل عزيزًا، ويعطىٰ سائلًا، ويذهب بدولة ويأتي بأخرىٰ، ويداول الأيام بين الناس، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين.

يسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام إلىٰ مواقيتها، فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأخر، بل كل منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه، وجرىٰ به قلمه، ونفذ فيه حكمه، وسبق به علمه، فهو المتصرف في الممالك كلها وحده تصرف مَلِك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك، لا ينازعه في ملكه منازع ولا يعارضه فيه معارض، فتصرُّفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان والحكمة والمصلحة والرحمة، فلا يخرج تصرفه عن ذلك»[1].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٢٣).

٢- وأحكامه الشرعية التي بها أنزل الكتب، وأرسل الرسل، هادية ومرشدة لما فيه صلاح المملكة وقوامها؛ قال تَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٣- وأحكامه الجزائية التي يحكم بها علىٰ مماليكه وعبيده بالثواب والعقاب بحسب ما شهد عليهم من عمل، قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

فلله الحمد في ملكه وخلقه وحكمه وفي أفعاله وصفاته كلها «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير».

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الملك) علىٰ التوحيد:

إذا تعرف العبد علىٰ اسم الله (الملك) وتيقنه؛ قاده ذلك لتوحيد الملك جَلَّجَلَالُهُ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

فأما ربوبيته: فيتيقن أن الله الملك وحده مالك الكون ومن فيه بلا مشارك ولا معين ولا وزير ولا مشير، بل هو تَعَالَى مالك الأشياء وحده، خالقها ومقدرها ومدبرها، قال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال سُبْحَانَهُ:

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].[1]

وأما ألوهيته: فالله الملِك، وما سواه مملوك لا يملك شيئًا لا قليلًا ولا كثيرًا، حتىٰ ولا القطمير، ولا مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، قال تَعَالَى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] لا علىٰ وجه الاستقلال يملكونها، ولا علىٰ وجه الشركة للملك، بل ولا حتىٰ المعونة والمؤازرة له فيها.

كما أنهم لا يملكون الشفاعة، قال تَعَالَى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، فمن كان هذا حاله لا يستحق أن يُصرف له شيء من العبادة[2]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشرك إنما يدعو ويعبد غير الله؛ لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الشرك، فإذا كان من يدعوه (غير الله)، لا مالكًا للنفع والضر، ولا شريكًا للمالك، ولا عونًا وظهيرًا للمالك، ولا يقدر أن

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٣٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٧٨).

يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء، وهذه العبادة ضلالًا في العقل، باطلة في الشرع»[1].

وأما أسماؤه وصفاته: فاسم الله الملك جَلَّجَلَالُهُ متضمن لجملة من أسمائه وصفاته، فمن أثبت هذا الاسم الكريم لزمه أن يثبت ما يتضمنه من عزة وجبروت وكبرياء وحكم وخفض ورفع، وإعزاز وإذلال، إلىٰ غير ذلك من الأسماء والصفات العائدة إلىٰ الملك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن من أسمائه: (الملِك)، ومعناه: المْلك الحقيقي ثابت لهسُبْحَانَهُ بكل وجه، وهذه الصفات تستلزم سائر صفات الكمال؛ إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة، ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به، وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهي؛ ولا يثيب ولا يعاقب؛ ولا يعطي ولا يمنع؛ ولا يعز ولا يذل؛ ولا يهين ولا يكرم؛ ولا ينعم ولا ينتقم؛ ولا يخفض ولا يرفع، ولا يرسل الرسل إلىٰ أقطار مملكته، ولا يتقدم إلىٰ عبيده بأوامره ونواهيه؟ فأي ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك؟»[2].

الأثر الثالث: تعلق القلب بالملك المالك المليك:

إذا تأمل العبد في اسم الله (الملك، المالك، المليك) جَلَّجَلَالُهُ وما فيه من سعة، وعظمة، وكمال، ثم تأمل ونظر في نفسه وما فيه من فقر وحاجة وضعف وعجز؛ تعلق قلبه بالملك: خوفًا، ورجاء، وتوكلًا.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٧٨).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٢٠).

فاليقين بأن الله الملك نواصي العالمين بيده يتصرف فيهم كيف شاء، ليس لأحد منهم الخروج عن ملكه وسلطانه يبعث في النفوس الشعور بالخوف والمهابة للملك وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فإن كل من دونه مملوك مذلل لا يملك شيئًا من الضر، فالخوف منه وهم باطل؛ لذا لما هدد قوم عاد نبيهم هودًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال متحديًا لهم، ذاكرًا صفة الملك والقهر لله تَعَالَىٰ، معرِّضًا بأنهم لا يملكون شيئًا من الضر إلا بإذنه: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

واليقين بأن الله الملك الذي بيده خزائن السموات والأرض لا تنفذ ولا تنقص، ولا يعجزه ولا يمنعه شيء عن إيصالها لمملوكيه، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] يبعث في النفوس الشعور بالرجاء والطمع فيما عند الملك وحده دون ما سواه؛ فإن من دونه لا يملك شيئًا، فرجاؤه باطل، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، مقررًا هذا المعنىٰ وما قبله: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ علىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(١).

ثم إن اليقين بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] مع فقر العبد

---

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٢٥١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٥١٦).

وحاجته للملك في وجوده، وحركاته، وسكناته؛ يبعث في النفوس الاعتماد والتوكل علىٰ الملك جَلَّجَلَالُهُ في جلب المنافع ودفع المضار.

ثم إذا حصل هذا اليقين فليعلم العبد أن الملك جَلَّجَلَالُهُ يحب أن يلوذ به مملوكه ويفزع إليه يستعيذ ويستغيث به في الشدائد والنوائب، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ② إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو ملكهم الحق الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب، وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم، فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به وبتدبيره، فليس لهم مَلِك غيره يهربون إليه إذا دهمهم العدو، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم»(١).

وقال في موضع آخر: «كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح، فمنها: أن يعيذ وينصر ويغيث، فكما يحب أن يلوذ به اللائذون، يحب أن يعوذ به العائذون، وكمال الملوك أن يلوذ بهم... والمقصود: أن ملك الملوك يحب أن يلوذ به مماليكه؛ وأن يعوذوا به، كما أمر رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «أن يستعيذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه...»(٢).

الأثر الرابع: محبة الله تَعَالَىٰ الملك المالك المليك:

إذا علم العبد أن الله الملك لجميع الأشياء، المتصرف في ملكه بلا ممانعة ولا مدافعة، المنزه عن نقائص الملوك وآفات الملك، اقترن ملكه

---

(١) التفسير القيم (ص: ٦٦٠).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٤٠).

بعلمه، وحكمته، ورحمته، وبره، وإحسانه، وعدله؛ امتلأت القلوب بحبه ووده، خاصة أن النفوس تميل إلىٰ حب صاحب الملك والملكوت والغنىٰ.

الأثر الخامس: التذلل والخضوع لله الملك المالك المليك:

التفكر في اسم الله (الملك- مالك الملك) وما فيه من عزة وجبروت وكبرياء، قال تَعَالَى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣] يجعل كل من ملك شيئًا في الدنيا صغر أو كبر يذل ويخر صاغرًا لجلال الملك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فماذا عسىٰ أن يملك من كان أمره وناصيته ونفسه بيد سيده، وقلبه بين إصبعين من أصابعه، يقلبه كيف يشاء، وحياته وموته، وسعادته وشقاؤه، وحركاته وسكناته بإذنه ومشيئته، إن وكله إلىٰ نفسه، وكله إلىٰ عجز وضعف وتفريط وذنب وخطيئة، وإن وكله إلىٰ غيره وكله إلىٰ من لا يملك له ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وإن تخلىٰ عنه استولىٰ عليه عدوه وجعله أسيرًا له، فلا غنىٰ له عنه طرفة عين(١).

ثم هذا الذل والصغار واستشعاره يثمر التواضع والخضوع بين يدي الله الملك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما هو الحال في هدي رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد دخل مكة صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاتحًا منتصرًا، ومع ذلك لم يصبه الكبر والغرور، وإنما طأطأ رأسه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ كاد شعر لحيته أن يمس وسط الرحل تواضعًا للملك جَلَّ جَلَالُهُ(٢)، وخُيِّر صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أن يكون نبيًّا ملِكًا أو أن يكون عبدًا نبيًّا،

---

(١) ينظر: الفوائد، لابن القيم (ص: ٥٦).

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٠٥).

فاختار أن يكون عبدًا نبيًّا؛ من شدة تواضعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الله أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**»[1].

وجاء تواضعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخضوعه لربه متمثلًا في دعائه؛ فجاء عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في وصف استسقائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللهمَّ أَنْتَ الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَىٰ حِينٍ**»[2].

وكان من دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاستفتاح: «**اللهمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»[3].

ومن دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل يتهجد: «**اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١١٧٣)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٢١٧٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١١٧٣).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

أَنبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[١].

الأثر السادس: عدم الاغترار بملك الخلق:

إذا تعرف العبد علىٰ اسم الله الملك وما فيه من كمال؛ لم يغتر بملْك ملوك الدنيا مهما ملكوا؛ فإن ملكهم ناقص، من عدة جهات[٢]، منها:

١- أن ملكهم بتمليك الله لهم؛ فهو عارية بيدهم سرعان ما ترد لمعيرها، قال تعالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران:٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٤٧].

٢- أن ملكهم لا عن كمال صفاتهم وذاتهم، بل فيهم من النقائص والمعايب ما فيهم.

٣- أن ملكهم غير مستكمل لحقيقة الملكية؛ فإنهم ملوك من جهة مملوكين من جهات أخرىٰ.

٤- أن ملكهم فيه شركة لغيرهم، وإن لم يكن شركة فمعاونة ومؤازرة ومشورة وحراسة.

٥- أن ملكهم محدود ببعض الأشياء لا كلها، فلو ملكوا الأرض بأسرها ومن فيها ما ملكوا السماء ومن فيها.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١١٢٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥١٤)، والتحرير والتنوير (١٨/ ١٣٥).

٦- أن ملكهم محدود ببعض الأوقات، فتجد أحدهم ملِكًا في وقت مملوكًا في أوقات أخرىٰ.

٧- أن مُلكهم مهما عظم وجل مصيره إلىٰ الزوال والنفاد، كما قال تَعَالَى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

ومن تأمل تاريخ ملوك الدنيا وجد هذا ظاهرًا جليًّا، فمهما بلغ ملكهم، وعلا مجدهم فقد ذهب كل ذلك عنهم وعادوا للمَلِك تَعَالَى، تاركين خلف ظهورهم ملكهم وأملاكهم.

فهذا النمرود الذي ملك الأرض كلها، كيف كانت نهايته؟

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استمر- النمرود- في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغىٰ وبغىٰ وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال علىٰ إنكار الصانع، فحاجَّ إبراهيم الخليل في ذلك وادعىٰ لنفسه الربوبية...

قال زيد بن أسلم: وبعث الله إلىٰ ذلك الملك الجبار ملكًا يأمره بالإيمان بالله فأبىٰ عليه، ثم دعاه الثانية فأبىٰ عليه، ثم الثالثة فأبىٰ عليه، وقال: اجمع جموعك، وأجمع جموعي، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، فأرسل الله عليه ذبابًا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس، وسلطها الله عليهم، فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظامًا بادية، ودخلت واحدة منها في منخر الملك، فمكثت في منخره أربعمائة سنة عذبه الله تَعَالَى بها، فكان يضرب رأسه بالمزارب في هذه المدة كلها، حتىٰ أهلكه الله عَزَّوَجَلَّ بها»[1].

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ١٤٨-١٤٩).

وهذا فرعون الذي طغىٰ وتجبر وتَعَالَى في قومه قائلًا: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، كيف كانت نهايته؟

قال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠-٩٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تَعَالَى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفرة القبط، وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارةً، وترفعه أخرىٰ، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلىٰ جنوده، ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسيم؛ ليكون أقر لأعين بني إسرائيل، وأشفىٰ لنفوسهم، فلما عاين فرعون الهلكة وأحيط به وباشر سكرات الموت أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفسًا إيمانها»[1].

وبهذا يتبين أن الملك الحق هو الله جَلَّجَلَالُهُ، قال تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجوده وملكه وكماله حق، فصفات الكمال لا تكون حقيقة إلا لذي الجلال»[2].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٧٠-٢٧٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥١٤).

الأثر السابع: النهي عن التسمي بملك الملوك ونحوه:

إذا علم العبد أن الله الملك الحق تبارك تَعَالَى، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وكل من دونه ملكه ملك مستعار لا حقيقة له؛ علم أنه لا يستحق أحد أن يُسَمَّىٰ ملك الأملاك، سواه تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لذا جاء التحذير الشديد من التسمي بهذا الاسم، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَخْنَعَ**(١) **اسْمٍ عِنْدَ الله رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**»، زاد ابن أبي شيبة في روايته: «**لَا مَالِكَ إِلَّا الله** عَزَّوَجَلَّ»(٢)، وفي رواية: «**أَخْنَىٰ**(٣) **الْأَسْمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤)، وفي رواية أخرىٰ: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ**»(٥)، وفي رواية أيضًا: «**وَاشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَىٰ رَجُلٍ تَسَمَّىٰ بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا الله** عَزَّوَجَلَّ»(٦).

قال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مثل شاهان شاه، أي: ملك الملوك باللغة الفارسية.

فنبه سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن الذم لا ينحصر في اسم ملك الأملاك، بل وكل ما أدىٰ معناه بأي لسان كان(٧)؟

---

(١) أخنع، أي: أوضع وأذل. قال ابن بطال رحمه الله: «وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمىٰ به أشد ذلًّا». فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٢٠٦)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢١٤٣).

(٣) الخنىٰ: الفحش في القول. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٨٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٢٠٥).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٤٣).

(٦) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٠٥٢٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده، رقم الحديث: (٥٠١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٩٨٨).

(٧) ينظر: فتح الباري (١٠/ ٥٩٠).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واستدل بهذا الحديث علىٰ تحريم التسمي بهذا الاسم؛ لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه، مثل: خالق الخلق، وأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وأمير الأمراء»[1].

وعلة النهي كما قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن من تسمىٰ بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكًا مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحكام، أو ملك الأملاك، إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فالله هو القاضي فوق كل قاض، وهو الذي له الحكم، ويرجع إليه الأمر كله»[2].

اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت ربنا ونحن عبيدك، ظلمنا أنفسنا، واعترفنا بذنوبنا، فاغفر لنا ذنوبنا جميعًا؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.



---

(١) المرجع السابق.

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (٢/ ٢٤٩).

الغالب الناصر النصير جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: (الغالب):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غلبه غلبة وغَلْبًا، وغَلَبًا أيضًا، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ [الروم:٣]،... وتغلب علىٰ بلد كذا: استولىٰ عليه قهرًا...»[(١)].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(غلب) الغين واللام والباء أصل صحيح يدل علىٰ قوة وقهر وشدة...»[(٢)].

ثانيًا: (الناصر، والنصير):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نصر: نصره الله علىٰ عدوه ينصره نصرًا، والاسم: النصرة، والنصير: الناصر، والجمع الأنصار، واستنصره علىٰ عدوه، أي: سأله أن ينصره عليه...»[(٣)].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النون والصاد والراء أصل صحيح يدل علىٰ إتيان خير وإيتائه، ونَصَرَ اللهُ المسلمين: آتاهم الظفر علىٰ عدوهم، ينصرهم

---

(١) الصحاح (١/ ٢١٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤ / ٣٨٨).

(٣) الصحاح (٣/ ٣٩٣).

نصرًا، وانتصر: انتقم»[1].

ورود أسماء الله (الغالب، الناصر، النصير) في القرآن الكريم:

أولًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الغالب) في كتاب الله مرة واحدة، هي:

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ثانيًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الناصر) في كتاب الله مرة واحدة، وذلك بصيغة التفضيل، وهي:

في قوله تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

ثالثًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ (النصير) أربع مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٣٥).

ورود أسماء الله (الغالب، الناصر، النصير) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله (الغالب) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (الغالب) في السنة النبوية.

ثانيا: ورود اسم الله (الناصر- النصير) في السنة النبوية:

من ورودهما ما يلي:

- جاء في حديث طويل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي**»[1].

- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا قَالَ: **اللهمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»[2].

معنى أسماء الله (الغالب، الناصر، النصير):

أولًا: معنى اسم الله الغالب:

- قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]، قال: فعال»[3].

- قال الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو البالغ مراده من خلقه، أحبوا أو كرهوا، وهذا- أيضًا- إشارة إلىٰ كمال القدرة والحكمة، وأنه لا يُقهر ولا يُخدع»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٧٣١).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٦٣٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٨٤)، وقال الترمذي: حسن غريب، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي اود،رقم الحديث: (٢٦٣٢).

(٣) تفسير الطبري (١٥ / ٢١).

(٤) الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ١١١).

- قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]-: «أي: إذا أراد شيئًا فلا يرد، ولا يمانع، ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه»(١).

- قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أمره تَعَالَى نافذ، لا يبطله مبطل، ولا يغلبه مغالب»(٢).

ثانيًا: معنى اسم الله الناصر النصير:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٠]: «وليكم وناصركم علىٰ أعدائه الذين كفروا، وقال في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾[النساء: ٤٥]، وحسبكم بالله ناصرًا لكم علىٰ أعدائكم وأعداء دينكم، وعلىٰ من بغاكم الغوائل، وبغىٰ دينكم العوج»(٣).

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وله معان، منها: العون، يقال: نصره الله علىٰ عدوه ينصره نصرًا، فهو ناصر ونصير للمبالغة، والاسم: النصرة، والنصير: الناصر»(٤).

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الناصر هو الميسر للغلبة، والنصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولايخذله»(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٨).

(٢) تفسير السعدي (ص ٣٩٥).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٧٥).

(٤) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (ص: ٣٣٨).

(٥) المنهاج (١/ ٢٠٥).

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[الحج: ٧٨] يعني: نعم الولي ونعم الناصر من الأعداء»(١).

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: لمن استنصره فدفع عنه المكروه»(٢).

ووجه الربط بين أسماء الله (الغالب والناصر والنصير): أنه إذا وثق العبد أن الله تَعَالَى هو الغالب الفعال لما يشاء، الذي لا يستطيع أحد أن يرد قضاءه وقدره، كان العبد علىٰ يقين أنه سينصره علىٰ عدوه.

اقتران اسم الله (الغالب، الناصر، النصير) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الغالب) بغيره من أسماء الله الحسنىٰ:

لم يقترن اسم الله (الغالب) بغيره من أسماء الله.

ثانيًا: اقتران اسم الله (الناصر، النصير) بغيره من أسماء الله الحسنىٰ:

- لم يقترن اسم الله (الناصر) بغيره من أسماء الله.

- وورد اقتران (النصير) باسمه (الهادي)، وذلك في آية واحدة في قوله تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣١].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٧).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٥٤٦).

وجه الاقتران:

هذان الاسمان الكريمان يتناسبان مع سياق الآية التي يبين فيها الله سُبْحَانَهُ أن من سنته أن يقيض لكل نبي عدوًّا من المجرمين، ولكن الله سُبْحَانَهُ يتولىٰ أنبياءه بهدايتهم إلىٰ الحق، ونصرتهم علىٰ أهل الباطل من المجرمين، فهو سُبْحَانَهُ الذي يتولىٰ أنبياءه وأولياءه بالهداية- بكل معانيها- ونصرتهم بجميع أنواع النصرة، بل إن كل من هداه الله نصره، وصاحب الهداية يتولاه الله، فيكون ناصرًا له.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الغالب، الناصر، النصير):

الأثر الأول: إثبات ما تتضمنه أسماء الله (الغالب، الناصر، النصير) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

فالله سُبْحَانَهُ هو الغالب الناصر علىٰ الإطلاق، فكل نصر مطلق هو من عند الله تَعَالَىٰ؛ يقول سُبْحَانَهُ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٠]،

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: «إن يمددكم الله بنصره ومعونته ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران:١٦٠]، فلو اجتمع عليكم من في أقطارها، وما عندهم من العَدد والعُدد؛ لأن الله لا مغالب له، وقد قهر العباد وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه، ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ﴾ ويكلكم إلىٰ أنفسكم ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ فلا بد أن تنخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق، وفي ضمن ذلك: الأمر بالاستنصار بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠]، وتقديم المعمول يؤذن بالحصر، أي: علىٰ الله توكلوا لا

علىٰ غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد علىٰ غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار، وفي هذه الآية الأمر بالتوكل علىٰ الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله»[1].

وقد أوضح الله ذلك في آيات كثيرة، منها، قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ١١٦]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

ومن الخطأ: قصر مفهوم النصر علىٰ الحرب، فهو نصر ومعونة إلهية عامة مطلقة، فما من عبد استنصر بالله، وتولاه، وتوكل عليه، إلا تولاه سُبْحَانَهُ وحفظه وحرسه وصانه، وما من عبد خافه واتقاه، إلا أمنه مما يخاف ويحذر، ويسر له من كل خير وسعة.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]-: «أي: متىٰ اعتصمتم به تولاكم ونصركم علىٰ أنفسكم وعلىٰ الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، وعدواتهما أضر من عداوة العدو الخارج، فالنصر علىٰ هذا العدو أهم، والعبد إليه أحوج، وكمال النصرة علىٰ العدو بحسب كمال الاعتصام بالله»[2].

وهذا هو الإيمان الذي استقر في قلوب أنبيائه سُبْحَانَهُ، ومن شواهد ذلك:

- قول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين عابوا عليه اتباع الفقراء والضعفاء لدعوته،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٥٤).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٨٠).

وأمروه بطردهم: ﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٣٠].

- قول صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ [هود: ٦٣].

- قول مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ [غافر: ٢٩].

- قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعاؤه: «**اللهمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»[1].

فعلىٰ المؤمن الثقة بنصر الله لعباده المؤمنين، وفتحه ورحمته وقوته وعزته سُبْحَانَهُ، وعدم الرهبة من الكافرين إذا أخذ بالأسباب، وتوكل علىٰ الله وحده؛ وتوحيده، فالمنصور من نصره الله تَعَالَى، والمخذول من خذله، يقول تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

الأثر الثاني: تحقق نصر الله لعباده المؤمنين:

نصر الله لعباده المؤمنين وعد ثابت محقق منه سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، وهذا النصر متعدد الصور والطرق، ومن أبرز صور النصر ما يلي:

١- التمكين:

فالله تَعَالَى ينصر أولياءه بصورة التمكين، كما ذكر الله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ

---

(١) سبق تخريجه.

﴿عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ إلىٰ قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠]، فعبر عن التمكين بالنصر.

وهذا ما حصل لنبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: وكما أنقذناه من إخوته، ومن الجب، فكذلك مكنا له، أي: عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتىٰ تمكن من الأمر والنهي في البلد الذي الملك مستول عليه»(١).

كذلك تمكين الله له علىٰ خزائن مصر، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٦].

٢- التأييد:

من نصر الله: تأييده لعباده، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤]، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: «﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: قويناهم ونصرناهم عليهم، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ عليهم وقاهرين

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٦٠).

(لهم)، فأنتم يا أمة محمد، كونوا أنصار الله ودعاة دينه، ينصركم الله كما نصر من قبلكم، ويظهركم علىٰ عدوكم»(١).

٣- الدفاع:

مِن نَصْر الله: دفاعُه عن عباده بحسب قوة إيمانهم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨]، بل من عجيب هذا النصر: أن يكون الدفاع حتىٰ من شر النفس! وهذا ماذكره السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذه الآية، فقال: «هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر- بسبب إيمانهم- من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف، كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر»(٢).

٤- الكيد والمكر بالأعداء:

من صور نصره سُبْحَانَهُ: أن يكيد بمن كاد لأوليائه ويعاديهم، كما في الحديث: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي**

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٦١).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٥٣٩).

لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[(١)].

ومن تأمل في سيرة نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمكائد التي تعرض لها، سواء من إخوته حين حاولوا التفريق بينه وبين أبيه، يقول تَعَالَى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥]، أو من امرأة العزيز حين راودته وأودعته السجن، يقول تَعَالَى في ذلك: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨]، وكذا كيد النسوة له، يقول تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣-٣٤].

٥- إجابة الدعاء:

من صور نصر الله: إجابة الدعاء، بل إن المتأمل يعلم أن غاية الداعي تحقيق نصره بإجابة الله لدعوته وتحقيق مطلوبه، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا الله فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[(٢)].

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَعْتَقُوهَا فَكَانَتْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ، عَلَيْهَا وِشَاحٌ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨١٥٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٩٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٧٥٢)، حكم الألباني: ضعيف، لكن صح الشطر الأول بلفظ: «المُسَافِرِ» مكان «الإِمَامِ العَادِلِ»، وفي رواية: «الوَالِدِ». صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٩٨).

أَحْمَرُ مِنْ سُيُورٍ، قَالَتْ: فَوَضَعَتْهُ، أَوْ وَقَعَ مِنْهَا، فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ وَهُوَ مُلْقًى فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا فَخَطِفَتْهُ، قَالَتْ: فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، قَالَتْ: فَاتَّهَمُونِي بِهِ، قَالَتْ: فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ، حَتَّىٰ فَتَّشُوا قُبُلَهَا، قَالَتْ: وَاللهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ، إِذْ مَرَّتِ الْحُدَيَّاةُ فَأَلْقَتْهُ، قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ، زَعَمْتُمْ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَهُوَ ذَا هُوَ، قَالَتْ: فَجَاءَتْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَتْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَ لَهَا خِبَاءٌ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ حِفْشٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدَّثُ عِنْدِي، قَالَتْ: فَلَا تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا، إِلَّا قَالَتْ:

وَيَوْمَ الوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا أَلَا إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الكُفْرِ أَنْجَانِي»[1].

الأثر الثالث: كيف يكون نصر الله تَعَالَىٰ لأنبيائه ورسله وأوليائه؟

اقتضت حكمة الله تَعَالَى أن ينصر رسله وأولياءه في الدنيا ويوم القيامة، يقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وهذا النصر بحسب الإيمان، كما أشار إلىٰ ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند قوله تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]، قال: «فالآية علىٰ عمومها وظاهرها، وإنما المؤمنون يصدر منهم من المعصية والمخالفة التي تضاد الإيمان ما يصير به للكافرين عليهم سبيل، بحسب تلك المخالفة، فهم الذين تسببوا إلىٰ جعل السبيل عليهم، كما تسببوا إليه يوم أُحُدٍ بمعصية الرسول ومخالفته، والله سُبْحَانَهُ لم يجعل للشيطان علىٰ العبد سلطانًا حتىٰ جعل له العبد سبيلًا إليه بطاعته والشرك به، فجعل الله حينئذ له

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٩).

عليه تسلطًا وقهرًا، فمن وجد خيرًا فليحمد الله تَعَالَى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1].

وقد علق الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [غافر: ٥١] باستفهام مجاب عليه، فقال: «يقول القائل: وما معنىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [غافر: ٥١] وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثَّلوا به، كشعياء ويحيىٰ بن زكريا وأشباههما، ومنهم من همَّ بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتىٰ فارقهم ناجيًا بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلىٰ الشام من أرضه مفارقًا لقومه، وعيسىٰ الذي رفع إلىٰ السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، والمؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نصروا علىٰ من نالهم بما نالهم به؟

قيل: إن لقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [غافر: ٥١] وجهين، كلاهما صحيح معناه، أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائنا لهم علىٰ من كذبهم وإظفارنا بهم، حتىٰ يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بإظهاره علىٰ من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تَعَالَى ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسىٰ وفرعون وقومه؛ إذ أهلكهم غرقًا، ونجىٰ موسىٰ ومن آمن به من بني إسرائيل

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ١٠١).

وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا علىٰ قتله من سلطنا حتىٰ انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيىٰ، من تسليطنا بختنصر عليهم حتىٰ انتصرنا به من قتله له، وكانتصارنا لعيسىٰ من مريدي قتله بالروم حتىٰ أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه، وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنىٰ ذلك إلىٰ هذا الوجه»[1].

وينقل ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا لابن السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يعضد به ما ذهب إليه ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيقول: «قال السدي: لم يبعث الله رسولًا قط إلىٰ قوم فيقتلونه، أو قومًا من المؤمنين يدعون إلىٰ الحق فيُقتلون، فيذهب ذلك القرن حتىٰ يبعث الله لهم من ينصرهم، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا، قال: فكانت الأنبياء والمؤمنون يُقتلون في الدنيا، وهم منصورون فيها، وهكذا نصر الله سُبْحَانَهُ نبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه علىٰ من خالفه، وكذبه وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر علىٰ سائر الأديان، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلىٰ المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصارًا وأعوانًا، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر، فنصره عليهم وخذلهم له، وقتل صناديدهم، وأسر سراتهم، فاستاقهم مقرنين في الأصفاد، ثم منَّ عليهم بأخذه الفداء منهم، ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة، فقرت عينه ببلده، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر، وفتح له اليمن، ودانت له جزيرة العرب بكمالها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٠-٤٠١).

ثم قبضه الله تَعَالَىٰ إليه؛ لما له عنده من الكرامة العظيمة، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده، فبلغوا عنه دين الله، ودعوا عباد الله إلىٰ الله، وفتحوا البلاد والرساتيق والأقاليم والمدائن والقرىٰ والقلوب، حتىٰ انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها.

ثم لا يزال هذا الدين قائمًا منصورًا ظاهرًا إلىٰ قيام الساعة؛ ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١] أي: يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل»[1].

ومن تأمل في تطبيقات هذا النصر الإلهي ونماذجه مع الأنبياء؛ تجلي له معنىٰ نصر الله تَعَالَىٰ وتحقيق وعده، ومن هذه النماذج ما يلي:

- نصر الله تَعَالَىٰ لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما صنع السفينة في أرض صحراء قفر لا ساحل فيها، سخر منه قومه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٣٨]، ولما أوحي إليه ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾[هود:٣٦] دعا ربه بثلاث كلمات فقط، واستنصر الغالب الناصر سُبْحَانَهُ، ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر:١٠]، فنصره نصرًا من السماء والأرض، بل كانت العلامة علىٰ بدء هذا النصر مخالفة لما عليه العادة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [المؤمنون:٢٧]، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حتىٰ التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه، فضلًا عن كونه منبعًا للماء؛ لأنه موضع النار، يقول تَعَالَىٰ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٥٠).

عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:١١-١٢] وقال: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الصافات:٧٦]»[1].

- نصر الله ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأمور عدة، منها:

- أنه لقنه الحجة في الحين، يقول تَعَالَى: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾[يوسف:٢٦].
- اعتراف امرأة العزيز، يقول تَعَالَى: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[يوسف:٥١].
- اعتراف زوج المرأة، يقول تَعَالَى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف:٢٩].
- اعتراف الشهود، يقول تَعَالَى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[يوسف:٢٦].
- إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته؛ ذلك أن الله تَعَالَى قال عن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، وقال الله تَعَالَى على لسان إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].
- وأعظمها: شهادة الله تَعَالَى له، يقول تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف:٢٤]، فأتى بلام التأكيد ﴿لِنَصْرِفَ﴾ ولم يصرف السوء والفحشاء عنه، بل صرفه عن السوء والفحشاء، فأبعده الله عن مواطن السوء ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

- نصر الله لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن شواهد ذلك:

- لما كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه أبو بكر في غار حراء في تلك الحالة

---

(١) تفسير السعدي (ص ٨٢٥).

الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر علىٰ البال، بداية بمعية الله معهما، فألهمه الثبات والسكينة والطمأنينة، والتأييد والحراسة من الملائكة، وعلو كلمة المؤمنين، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

• حين طُرد من مكة، فدخلها بعد عشر سنوات فاتحًا، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف ذلك: «فصل: لما خرج رسول الله من حصر العدو دخل في حصر النصر: فعبثت أيدي سراياه بالنصر في الأطراف، فطار ذكره في الآفاق، فصار الخلق معه ثلاثة أقسام: مؤمن به، ومسالم له، وخائف منه، ألقىٰ بذر الصبر في مزرعة ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، فإذا أغصان النبات تهتز بخزامىٰ ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة:١٩٤]، فدخل مكة دخولًا ما دخله أحد قبله ولا بعده، حوله المهاجرون والأنصار لا يبين منهم إلا الحدق، والصحابة علىٰ مراتبهم، والملائكة فوق رؤوسهم، وجبريل يتردد بينه وبين ربه، وقد أباح له حرمه الذي لم يحله لأحد سواه.

فلما قايس بين هذا اليوم وبين يوم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠] فأخرجوه ثاني اثنين، دخل وذقنه تمس قربوس سرجه خضوعًا وذلًّا لمن ألبسه ثوب هذا العز الذي رفعت إليه فيه الخليقة رؤوسها، ومدت إليه الملوك أعناقها، فدخل مكة مالكًا مؤيَّدًا

منصورًا، وعلا كعب بلال فوق الكعبة بعد أن كان يُجَرُّ في الرمضاء علىٰ جمر الفتنة، فنشر بذي طوىٰ عن القوم من يوم قوله: أحد أحد، ورفع صوته بالأذان، فأجابته القبائل من كل ناحية، فأقبلوا يؤمون الصوت، فدخلوا في دين الله أفواجًا وكانوا قبل ذلك يأتون آحادًا.

فلما جلس الرسول علىٰ منبر العز وما نزل عنه قط؛ مدت الملوك أعناقها بالخضوع إليه، فمنهم من سلم إليه مفاتيح البلاد، ومنهم من سأله الموادعة والصلح، ومنهم من أقر بالجزية والصغار، ومنهم من أخذ في الجمع والتأهب للحرب ولم يدر أنه لم يزد علىٰ جمع الغنائم وسوق الأسارىٰ إليه، فلما تكامل نصره وبلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة وجاءه منشور ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:١-٣] وبعده توقيع ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:١-٢] جاءه رسول ربه يخبره بين المقام في الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء ربه شوقًا إليه، فتزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة»[1].

وما سبق بعض من النماذج، وإلا فالسِّيَر غزيرة عظيمة بمظاهر نصر الله تَعَالَىٰ.

الأثر الرابع: تحقيق أسباب النصر:

نصرة العبد لربه في عبادته والقيام بحقوقه، ورعاية عهوده، واجتناب نهيه، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]، يقول القرطبي

---

(١) الفوائد، لابن القيم (ص: ٦٢).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قيل: كيف قال تَعَالَى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾، والنصر هو العون، والله سُبۡحَانَهُ لا يجوز عونه قولًا ولا يتصور فعلًا؟ فالجواب من أوجه:

أحدها: إن تنصروا دين الله بالجهاد عنه ينصركم.

الثاني: إن تنصروا أولياء الله بالدعاء.

الثالث: إن تنصروا نبي الله، وأضاف النصر إلىٰ الله تشريفًا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وأوليائه وللدين، كما قال تَعَالَى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١١]، فأضاف القرض إليه تسلية للفقير»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا أمر منه تَعَالَى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط علىٰ قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم علىٰ ذلك، ويعينهم علىٰ أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره»[(٢)].

والله تَعَالَى قادر كمال القدرة علىٰ نصر دينه، فإنه نصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فهو القوي القادر علىٰ كل شيء، ولكنه ابتلىٰ عباده بذلك ليظهر من ينصر دينه وشرعه ممن يتولىٰ عن نصرته، قال تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٍ﴾ [محمد: ٤]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

(١) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (ص: ٣٣٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٨٥).

وأوجب العزيز الحكيم علىٰ نفسه نصرة المؤمنين تكرمًا منه وتفضلًا، فقال جل ذكره: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، «أي: أوجبنا ذلك علىٰ أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به، فلا بد من وقوعه، فأنتم أيها المكذبون لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إن بقيتم علىٰ تكذيبكم حلت بكم العقوبة ونصرناه عليكم»[(١)].

وللنصر تكاليفه وأعباؤه، حين يتأذن الله به، بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه، **ومن أهم هذه التكاليف التي يستجلب بها نصر الله ويستدام:**

١- المداومة علىٰ الطاعات خاصة الصلاة، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول تَعَالَى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

يقول الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا دليل علىٰ أنه لا وعد من الله بالنصر، إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر؛ فليس لهم وعد من الله بالنصر؛ لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر من

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٤٤).

الله بناء على أنه وعدهم إياه، فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع من عمل ما أجر عليه، ثم يطلب الأجرة، ومن هذا شأنه فلا عقل له»[1].

٢- الصبر:

فكلما كان العبد صابرًا كان النصر منه قريبًا، فقد جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»[2]، وهذا موافق لقول الله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤٩] وقال تعالى: ﴿**فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ**﴾ [الأنفال: ٦٦].

وأعظم النصر هو أن ينتصر العبد على هواه، ويرد نفسه عن السوء، ويصبر عن معصية الله، ويصبر على طاعة الله، حينها يشعر العبد بحلاوة النصر الحقيقي.

٣- العدل:

فالله سُبْحَانَهُ حرم الظلم على نفسه وعلى عباده، فقد جاء في الحديث: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»[3]، وفي الحديث الآخر: «**مَنْ أَصَابَ فِي الدُّنْيَا ذَنْبًا فَعُوقِبَ بِهِ، فَالله أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ، وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَسَتَرَهُ الله عَلَيْهِ، فَالله أَكْرَمُ مِنْ**

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٢٦٦).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٨٤٩)، والدعاء للطبراني، رقم الحديث: (٤١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٦٨٠٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ»[1]، بل أمر الله بالعدل حتىٰ مع الكافر، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

ومتىٰ أقيم العدل حصل النصر، ولو كان الذي أقامه كافرًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة؛ ولهذا يروىٰ: (الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة، وإن كانت مؤمنة)»[2]، فالنصر منوط بالعدل، والخذلان منوط بالظلم؛ ولذلك من أراد نصر الله ينبغي له أن يلزم العدل مع نفسه، ومع غيره.

٤- الأخذ علىٰ يد الظالم والمفسد:

فمن حق المسلم أن يأخذ علىٰ يد من ظلمه، بل ويؤخذ علىٰ يده إن ظلم، وكل هذا من نصرته، ويدل علىٰ ذلك حديث: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: **تَحْجِزُهُ**- أو **تَمْنَعُهُ**- **مِنَ الظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[3]، كذلك حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: **اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٨٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٦٠٤)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٦٠٤).

(٢) الحسبة في الإسلام، ابن تيمية (ص: ٧).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٩٥٢).

أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ- أو لَمَسَّتْكَ النَّارُ»[1].

وعلىٰ العبد المؤمن أن يستشعر أن أعظم النصر هو نصر يوم القيامة، يوم يجتمع الخصوم بين يديه، فيُقتص للمظلوم من الظالم، فيحذر ويبذل أسباب نصره في ذلك اليوم، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»**[2].

الأثر الخامس: اليقين بأن تأخر نصر الله تَعَالَىٰ لا يعني: انعدامه:

نصر الله سنة ماضية، ووعد منجز، آت لا محالة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة:٢١]، فالمؤمن الصادق لا يقنط من نصر الله ولا ييأس، والله سُبْحَانَهُ يقول: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة:٢١٤].

وعلىٰ هذا المنهج ربىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، ففي حديث خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا قَالَ: **كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ،**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٥٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٩).

حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا الله، أَوِ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(1).

وتأخر النصر الموعود يعود لأحد سببين، وقد يجتمعان:

السبب الأول: وجود الحكم الربانية.

والسبب الثاني: حصول الموانع له.

وفيما يلي بيان ذلك:

من بحث في الحكم الربانية وجدها متعددة كثيرة، بعضها يفهمه العبد ولو بعد حين، والبعض الآخر استأثر الله بعلمه، ولعل من الحكم المعلومة للعبد ما يلي:

- زيادة صلة العبد بربه، وهو يعاني ويتألم ويبذل، ولا يجد له سندًا إلا الله، ولا ملجأ إلا إليه، فإذا حصل النصر لا يطغىٰ و لا ينحرف.

- أن يجرب العبد كل القوىٰ، فيدرك أن القوىٰ وحدها بدون سند من الله لا تحقق النصر، إنما النصر من عند الله وحده.

- الأخذ بأسباب نصر الله تَعَالَى في الدنيا والآخرة، وذلك بالخضوع لأمره وشريعته ونصرة دينه في نفسه ومع الناس، فالتفريط في الأسباب باب إلىٰ الخذلان والمصائب وتأخر نصر الله تَعَالَى(2).

- أن تكون النفوس غير متهيئة بعد لاستقبال الحق والخير، وتحتاج لمزيد من الوقت.

---

(1) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٦١٢).

(2) سيأتي ذكر أسباب الخذلان.

- أن يكون في الشر الذي يقاومه العبد بقية من خير، يريد الله أن يجرد الشر منه؛ ليتمحض خالصًا، ويذهب وحده هالكًا، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار!

- أن يكون الباطل المقاوم والمحارب لم ينكشف زيفه أمام الناس، فلو حصل النصر في ذلك الوقت لم يجد له أنصارًا من المخدوعين فيه الذين لم يقتنعوا بعد بفساده، وضرورة زواله، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة، فيشاء الله أن يتأخر النصر والفرج؛ حتىٰ ينكشف الباطل أمام الناس بوضوح.

- لوجود مانع من الموانع - سيرد ذكرها لاحقًا-.

الأثر السادس: الحذر من أسباب الخذلان:

الله سُبْحَانَهُ هو الغالب القاهر دومًا، لا يملك أحد أن يرد ما قضىٰ، أو يمنع ما أمضىٰ، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيجب علىٰ كل مكلف أن يعلم أن الله هو الغالب علىٰ الإطلاق، فمن تمسك به فهو الغالب، ولو أن جميع من في الأرض طالب، قال تَعَالَى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، ومن أعرض عن الله تَعَالَى وتمسك بغيره كان مغلوبًا، وفي حبائل الشيطان مقلوبًا، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]»[(١)].

---

(١) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (ص: ٣٠٤).

«وقد أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلىٰ نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلىٰ بينك وبين نفسك، فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا، فيطيعه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه له، ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه، ويغفل عنه بخذلانه له، فهو دائر بين توفيقه وخذلانه، فإن وفقه فبفضله ورحمته، وإن خذله فبعدله وحكمته، وهو المحمود علىٰ هذا وهذا، له أتم حمد وأكمله، ولم يمنع العبد شيئًا هو له، وإنما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه، وهو أعلم حيث يضعه»[1].

ولذا فعلىٰ العبد المؤمن أن يحذر أسباب الخذلان، والتي من أبرزها ما يلي:

١- الإعراض عن الله تعالىٰ، وعن سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فأعظم الناس خذلانًا: من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت، وهو أوهن البيوت، وبالجملة فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله، ولصاحبه الذم والخذلان، كما قال تَعَالَىٰ ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢] مذمومًا لا حامد لك، مخذولًا لا ناصر لك»[2].

٢- العُجْبُ: فالعجب طريق إلىٰ خذلان المرء، بحيث يكل الله العبد إلىٰ نفسه فلا ينصره، وقد قال تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٤١٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٥٥).

﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥]

٣- **خذلان الناس وقت حاجتهم**، فمن خذل أخاه؛ خذله الله في موقف يحتاج إليه، وفي الحديث: «**مَا مِنَ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ**»[1].

وفي الحديث الآخر، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَا هُنَا**- ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات- **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»[2].

٤- **الظلم**، يقول تعالَى: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾[الشورىٰ:٨]، والظلم ثلاث أنواع، وهي:

- ظلم بين العبد وبين ربه، بأن يساوي الله بغيره، وهو المقصود في قوله تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان: ١٣].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٦٣٠)،و أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٨٤)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨٨٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٤).

- ظلم بين العبد والناس، وهو المقصود في قوله تعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الشورىٰ:٤٢].

- ظلم بين العبد ونفسه، وهو المقصود في قوله تعَالَى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢] وقوله: ﴿ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ [النمل:٤٤].

٥- **التنازع والاختلاف**: قال تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٥- ٤٦]، فالاختلاف والتنازع مدعاة للفشل، وهو الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر، ومن أكبر أسباب الضعف والجبن، ولذلك فسروا قوله تعَالَى: ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ أي: فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم... ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ أي: تذهب قوتكم ودولتكم، فقد شبهت الدولة في نفاذ أمرها بالريح وهبوبها.

٦- **الغرور والرياء**: والخروج للقتال علىٰ وجه البطر والفخر والرياء، والله تعَالَى لا يعطي نصره إلا لمن خرج ابتغاء مرضاته ونصرة دينه؛ ولهذا نهىٰ الله تعَالَى عن مثل هذا الخروج، فقال تعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٧]، ومعنىٰ ﴿بَطَرٗا﴾ أي: فخرًا وأشرًا، ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: خرجوا ليثني عليهم الناس، أي: يمدحونهم بالشجاعة والسماحة، والمقصود: نهي المؤمنين أن يكونوا أمثال أولئك في البطر والرياء، وأمرهم أن يكونوا أهل تقوىٰ وإخلاص.

٧- **الركون إلىٰ الظالمين**، يقول تعَالَى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣].

الأثر السابع: محبة الغالب الناصر النصير:

إن النفس بطبيعتها تميل إلىٰ حب من يعينها ويمدها بالقوة، تحب من ينصرها ويقهر عدوها، فإذا ماتيقن العبد بأن ربه الذي يأوي إليه غالب، لا يرده أحد عما أراد، ولا يمنع عما يشاء، ولا ينازع فيما يريد، وفوق ذلك هو ناصر لا يخذل من تولاه، ولا يحرم من استنصره، وحين يتيقن العبد بذلك؛ يحب ربه ويتعلق به.

الأثر الثامن: الدعاء باسم الله الغالب، الناصر، النصير:

إن شعور العبد بحاجته لنصرة الله تَعَالَى في جميع أحواله وشؤونه، وأنه لا يستغني عن نصرة ربه له طرفة عين، فهو محتاج إلىٰ نصرة الله له علىٰ هواه ونفسه أولًا، وعلىٰ شيطانه من الإنس والجن، وعلىٰ أعدائه الكافرين، فبالجملة هو محتاج إلىٰ عون الله ونصرته علىٰ فتن الشبهات والشهوات وكيد الأعداء.

ولذا جاءت أدعية كثيرة ثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلب النصرة من الله تَعَالَى علىٰ الشر وأهله، ومن هذه الأدعية قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وانْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ**»... الحديث[١].

وكذلك كان من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزواته: أن يدعو الله بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»[٢].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وفي حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في وصفه حجة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨] **أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ**، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ رَأَىٰ الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ، وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَىٰ الْمَرْوَةِ، حَتَّىٰ إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَىٰ، حَتَّىٰ إِذَا صَعِدَتَا مَشَىٰ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَىٰ الصَّفَا»(١).

وقد مدح الله عَزَّوَجَلَّ عباده وأولياءه المجاهدين بأنهم يتبرؤون من الحول والقوة، ويسألونه سُبْحَانَهُ النصر وتثبيت الأقدام، كما جاء ذلك في صفات الربيين، في قوله تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦- ١٤٧].

اللهم أعنا ولا تُعِن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا و لا تمكر علينا، واهدنا، ويسر الهدىٰ إلينا، وانصرنا علىٰ من بغىٰ علينا.



(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٢١٨).

نورُ السماواتِ والأرض جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

* **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النور: الضياء، والجمع: أنوار»(١).

* **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النون والواو والراء: أصل صحيح يدل على إضاءة، واضطراب، وقلة ثبات، منه: النور، والنار، سميا بذلك من طريقة الإضاءة؛ ولأن ذلك يكون مضطربًا سريع الحركة»(٢).

ورود اسم الله (نور السماوات والأرض) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٣٥].

ورود اسم الله (نور السماوات والأرض) في السنة النبوية:

ورد وصف الله بالنور في السنة النبوية كثيرًا، ومن وروده: ما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو في قيامه من الليل

---

(١) الصحاح (٢/ ٤٠٢).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٣٦٨).

فيقول: **اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...**»[1].

ثبوت اسم (النور) في حق الله تعالى:

اختلف العلماء في اثبات اسم الله (النور) في حق الله تَعَالَى، علىٰ قولين:

- **القول الأول**: إن النور من أسماء الله تَعَالَى وصفاته، وإليه ذهب ابن تيمية وابن القيم والسعدي وغيرهم[2]، وعلىٰ هذا فلا إشكال عندهم بالتسمي بعبد النور.

- **القول الثاني**: إن النور ليس من أسماء الله تَعَالَى، واستدلوا بأنه لم يرد إلا مضافًا للسماوات والأرض، وإليه ذهب المشايخ: ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصالح الفوزان، وعبدالعزيز آل الشيخ، وعليه فلا يصح التسمي بعبد النور[3].

معنى اسم الله (نور السماوات والأرض):

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند قوله تعالىٰ**: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]: «أي: هادي من في السموات والأرض، فهم بنوره إلىٰ الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون»[4]، ثم نقل أقوال المفسرين في الآية، فمنهم: من قال: إن معناها: «الله مدبر السموات والأرض»[5]،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: النونية، لابن القيم (ص: ٢١٢)، وتفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص: ٨٥).

(٣) فتاوىٰ اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية، رقم الفتوىٰ: (١٩٣٤٦).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٥).

(٥) المصدر السابق (١٧/ ٢٩٦).

ومنهم: من قال: «ضياء السموات والأرض»[1].

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي نوَّر قلوب العارفين بمعرفته والإيمان به، ونوَّر أفئدتهم بهدايته، وهو الذي أنار السموات والأرض بالأنوار التي وضعها، وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه»[2].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالنُّـورُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ أَيْضًـا وَمِـنْ ... أَوْصَافِـهِ سُـبْحَانَ ذِي البُرْهَـانِ
قَـالَ ابْـنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَدْ حَكَا ... هُ الدَّارِمِـيُّ عَنْـهُ بِـلَا نُكْـرَانِ
مَـا عِنْـدَهُ لَيْـلٌ يَكُـونُ وَلَا نَهَـا ... رٌ قُلْـتُ تَحْـتَ الفَلْـكِ يُوجِـدُ ذَانِ
نُـورُ السَّـمَواتِ العُلَـىٰ مِـنْ نُـورِهِ ... والأَرْضِ كَيْفَ النَّجْمُ والقَمَرَانِ!
مِـنْ نُـورِ وَجْـهِ الـرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ ... وَكَـذَا حَـكَاهُ الحَافِـظُ الطَّبَرَانِـي
فَبِـهِ اسْتَنَارَ العَـرْشُ والكُرْسِيُّ مَع ... سَـبْعِ الطِّبَـاقِ وسَـائِرِ الأَكْـوَانِ
وَكِتَابُـهُ نُـورٌ كَذَلِـكَ شَـرْعُهُ ... نُـورٌ كَـذَا المَبْعُـوثُ بِالفُرْقَـانِ
وَكَذَلِـكَ الإِيمـانُ فِـي قَلْـبِ الفَتَـىٰ ... نُـورٌ عَلَـىٰ نُـورٍ مَـعَ القُـرْآنِ
وَحِجَابُـهُ نُـورٌ فَلَـوْ كَشَـفَ الحِجَا ... بَ لَأَحْـرَقَ السُّـبُحَاتُ لِلْأَكْـوَانِ
وَإِذَا أَتَـىٰ لِلْفَصْـلِ يُشْـرِقُ نُـورُهُ ... فِـي الأَرْضِ يَـوْمَ قِيَامَـةِ الأَبْـدَانِ
وَكَـذَاكَ دَارُ الـرَّبِّ جَنَّـاتُ العُلَـىٰ ... نُـورٌ تَـلَأْلَأَ لَيْـسَ ذَا بُطْـلَانِ[3]

(١) المصدر السابق (١٧/ ٢٩٦).

(٢) تفسير السعدي (٥/ ٣٠٣).

(٣) النونية، لابن القيم (٢/ ٢٣٧).

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (نور السماوات والأرض) بأسمائه الأخرى في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (نور السماوات والأرض) بأي اسم آخر في كتاب الله.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (نور السماوات والأرض):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (نور السماوات والأرض) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1]: «النور من أوصافه تَعَالَىٰ، وهو علىٰ نوعين:

١- **نور حسي**: وهو ما اتصف به سُبْحَانَهُ من النور العظيم، الذي لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاتُ وجهه، ونورُ جلاله ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، وهذا النور لا يمكن التعبير عنه إلا بمثل هذه العبارة النبوية المؤدية للمعنىٰ العظيم، وأنه لا تطيق المخلوقات كلها الثبوت لنور وجهه لو تبدىٰ لها، ولولا أن أهل دار القرار يعطيهم الرب حياة كاملة، ويعينهم علىٰ ذلك لـما تمكنوا من رؤية الرب العظيم، وجميع الأنوار في السموات العلوية كلها من نوره، بل نور جنات النعيم التي عرضها السموات والأرض- وسعتها لا يعلمها إلا الله- من نوره، فنور العرش والكرسي والجنات من نوره، فضلًا عن نور الشمس والقمر والكواكب.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٦٩).

٢- نور معنوي: وهو النور الذي نور قلوب أنبيائه وأصفيائه وأوليائه وملائكته، من أنوار معرفته وأنوار محبته؛ فإن لمعرفته في قلوب أوليائه المؤمنين أنوارًا بحسب ما عرفوه من نعوت جلاله، وما اعتقدوه من صفات جماله، فكل وصف من أوصافه له تأثير في قلوبهم؛ فإن معرفة المولىٰ أعظم المعارف كلها، والعلم به أجل العلوم، والعلم النافع كله أنوار في القلوب، فكيف بهذا العلم الذي هو أفضل العلوم وأجلها وأصلها وأساسها.

وقد كان من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤال هذا النور، ففي الحديث: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**»(١).

فمن هذا الاسم تنطلق معاني العظمة والكبرياء والجلال والمجد؛ لتملأ القلوب من أنوار الهيبة والتعظيم والإجلال والتكبير، وتظهر **معاني الجمال والبر والإكرام** من أنوار المحبة والود والشوق، **وتظهر معاني الرحمة والرأفة والجود واللطف** من أنوار الحب النامي علىٰ الإحسان، وأنوار الشكر والحمد بأنواعه والثناء، وتبرز **معاني العلم والإحاطة والشهادة والقرب الخاص** من أنوار مراقبته، وتوصلهم إلىٰ مقام الإحسان الذي هو أعلىٰ المقامات كلها؛ «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٢)، فكل معنىٰ ونعت من نعوت الرب يكفي في امتلاء القلب من نوره.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣١٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨).

وقد تحدث ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نور الله المعنوي في قلب المؤمن، عند تفسيره لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٣٥].

فقال: «لهذا النور فاعل وقابل، ومحل وحامل، ومادة، وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها علىٰ وجه التفصيل:

فالفاعل: هو الله تَعَالَىٰ مفيض الأنوار، الهادي لنوره من يشاء، **والقابل**: العبد المؤمن، والمحل قلبه، **والحامل**: همته وعزيمته وإرادته، **والمادة**: قوله وعمله.

وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني وإظهار تمام نعمته علىٰ عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقر به عيون أهله، وتبتهج به قلوبهم.

وفي هذا التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

- أحدهما: **طريقة التشبيه المركب**، وهي أقرب مأخذًا، وأسلم من التكلف، وهي أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبه ومقابلته بجزء من المشبه به، وعلىٰ هذا عامة أمثال القرآن الكريم.

فتأمل صفة مشكاة، وهي كوة لا تنفذ لتكون أجمع للضوء قد وضع فيها مصباح، وذلك المصباح داخل زجاجة، تشبه الكوكب الدري في صفائها

وحسنها، ومادته من أصفىٰ الأدهان، وأتمها وقودًا من زيت شجرة في وسط القراح[1]، لا شرقية، ولا غربية، بحيث تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل هي في وسط القراح محمية بأطرافه، تصيبها الشمس أعدل إصابة، والآفات إلىٰ الأطراف دونها، فمن شدة إضاءة زيتها وصفائه وحسنه يكاد يضيء من غير أن تمسه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تَعَالَى الذي وضعه في قلب عبده المؤمن وخصه به.

- الطريقة الثانية: **طريقة التشبيه المفصل**، فقيل: المشكاة صدر المؤمن والزجاجة قلبه، وشبه قلبه بالزجاجة لرقتها وصفائها وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن؛ فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة، فهو يرحم، ويحسن، ويتحنن، ويشفق علىٰ الخلق برقته، وبصفائه تتجلىٰ فيه صور الحقائق والعلوم علىٰ ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تَعَالَى، ويتصلب في ذات الله تَعَالَى، ويغلظ علىٰ أعداء الله تَعَالَى، ويقوم بالحق لله تَعَالَى، وقد جعل الله تَعَالَى القلوب كالآنية، كما قال بعض السلف: القلوب آنية الله في أرضه، وأحبها إليه أرقها، وأصلبها، وأصفاها»[2].

---

(١) القراح من الأرض: «التي ليس بها شجر ولم يختلط بها شيء». تهذيب اللغة، للأزهري (٤/ ٢٨).

(٢) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم (٢/ ٥٠-٥٢).

الأثر الثاني: الإيمان بأن كتب الله ورسله ودينه نور من عنده:

فكل الكتب المنزلة من عنده تَعَالَىٰ- قبل تحريف أقوامها[1]- هي نور يضيء الله به قلوب العباد، في كل زمان ومكان، ومن شواهد ذلك:

قوله تَعَالَىٰ **عن التوراة:** ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

- **قوله** تَعَالَىٰ **عن الإنجيل:** ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦].

- **قوله** تَعَالَىٰ **عن القرآن:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤]، وهو أعظم الأنوار المنزلة.

- **قوله** تَعَالَىٰ **عن محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، وفي موضع آخر قال سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة، ١٥]، وقد تنوعت أقوال

---

(١) فكل الكتب السماوية تعرضت للتحريف، عدا القرآن الكريم الذي تولىٰ الله حفظه، يقول تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

المفسرين في المراد بالنور في هذه الآية على ثلاثة أقوال[1]، وهي:

- القرآن الكريم.

- محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- الإسلام.

ووجه تسمية كل من هذه الثلاثة نورًا؛ لاشتراكهم في هداية الناس لنور الله، وإخراجهم من ظلمات الغي والضلالة لأنوار الحق والهداية، فلولا النور الحسي لما أدرك البصر شيئًا من المبصرات، ولولا ما جاء به النبي من القرآن والإسلام لما أدرك ذو البصيرة الحق من الباطل.

الأثر الثالث: محبة الله نور السموات والأرض:

حري بالمسلم أن يحب هذا الإله العظيم الكريم الذي ينير لعباده طريق دنياهم وآخرتهم، ويمن عليهم بإخراجهم من الظلمات إلى النور، يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ويقول -جل في علاه-: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

ولو تأمل العبد في قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] لعرف أن طرق الباطل كثيرة، وهي ظلمات عديدة،

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ١٤٣)، وتفسير السعدي (ص: ٢٢٦).

وطريق الحق واحدة وهو نور واحد، والله الهادي إلىٰ هذا النور بكرمه؛ فالحمد لله ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ومن فيهن.

الأثر الرابع: نور الله (دينه) باقٍ بحفظ الله:

فمهما اجتهد الكفار والمنافقون في أي زمان ومكان، بأن يحرفوا هذا القرآن، ويطعنوا بلغته ودينه، فسيبقىٰ إلىٰ يوم الدين، وهذا من الإعجاز القرآني، فالله حافظ كتابه، وكتابه حافظ لهذه الأمة من الزوال، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وغاية ما يسعهم في محاولة الإطفاء: الكلمة؛ سواء ببث الأكاذيب والدسائس للتشكيك في دين الله، أو بالتحريض علىٰ أهل الإسلام والعلماء، ولذا تكرر ذكر «بأفواههم» في القرآن، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨] إشارة منه سُبْحَانَهُ إلىٰ أن هذا سلاحهم الضعيف في المعركة محسومة النتائج.

ورد الله علىٰ محاولتهم الكلامية الطائشة التي لا يمكنها أن تقاوم نور الله، بأن الله متم نوره رغم كرههم، وأن دين الحق والنور سيبقىٰ ظاهرًا علىٰ كل الأديان وفي كل الأزمان ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢]، وهذا وعد تطمئن له قلوب المؤمنين، فيصبرون علىٰ الأذىٰ والمشقة؛ لأن النتائج عظيمة لصالحهم، فدين الله سيعلو علىٰ سائر الأديان.

الأثر الخامس: السعي للعمل الصالح الذي ينير للعبد يوم القيامة:

فإن العبد أفقر ما يكون إلىٰ أن يفتح الله له أبواب رحمته، فيشرح صدره للهدىٰ وينور طريقه للصلاح، ويأخذ بيده إلىٰ طريق فلاحه ونجاحه، ولا

يوفق العبد لذلك إلا بمعونة من الله وفضل، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الزمر: ٢٢].

والمؤمن متىٰ استسلم لأمر ربه، والتزم بفرائضه، وأدىٰ أوامره، واجتنب نواهيه؛ فإنه بهذا العمل يتقرب إلىٰ الله ويتحبب إليه، فيقذف الله في قلبه نورًا، حتىٰ إذا ما امتلأ القلب بنور الله، استنار به الوجه في الدنيا والآخرة، وانقادت الجوارح بالطاعة راغبة، وهذا النور الذي في القلب هو الذي يمنع العبد من ارتكاب الفواحش، كما قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(١)]، فأخبر أن وقوع هذه الكبائر لا يكون ولا يقع مع وجود الإيمان ونوره[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن عباس: إن للحسنة لنورًا في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب، وغبرة في الوجه، وضعفًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق»[(٣)].

وهذا أمر محسوس لمن كان له قلب؛ فإن ما في القلب من النور والظلمة، والخير والشر يسري كثيرًا إلىٰ الوجه والعين، وهما أعظم الأشياء ارتباطًا بالقلب؛ ولهذا يروىٰ عن عثمان، أو غيره أنه قال: «ما أسرَّ أحد بسريرة، إلا

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٧).

(٢) ينظر: فتح الرحيم العلام، للسعدي (ص٦٢-٦٥).

(٣) الداء والدواء، لابن القيم (ص: ١٣٥).

أبداها الله علىٰ صفحات وجهه، وفلتات لسانه»[1].

ومن صور الأعمال الصالحة المخصوصة التي ورد فيها نصوص تدل علىٰ أنها تنور وجه العبد يوم القيامة، ما يلي:

الصلاة، وخاصة قيام الليل:

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ- أو تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، والصَّلَاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، والصَّبْرُ ضِيَاءٌ، والقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[2]، ويقول تعالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ [الفتح:٢٩].

ويقول بعض السلف في ذلك: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»[3].

قراءة القران:

فعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: « قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: **أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ الله، فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: **عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ الله، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ...**»، رواه ابن حبان في صحيحه، في حديث طويل[4].

---

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/ ١٣٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٢٣).

(٣) عزاه السيوطي لشريك، قاله عن ثابت بن موسىٰ الزاهد. ينظر: تدريب الراوي (١/ ٢٨٧).

(٤) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٣٦١)، حكم الألباني: ضعيف جدًّا، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٣٦٢).

تعليم حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فمن بلَّغ الأحاديث رُزق النضارة، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ**»[1].

ويقول سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ**)[2]»[3].

المشي إلى المساجد في الظلمات، خاصة صلاة الفجر وصلاة العشاء:

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[4].

إتمام غسل الأعضاء كاملة عند الوضوء:

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ**»[5].

قراءة سورة الكهف يوم الجمعة:

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ، كَانَتْ لَهُ**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٢٤٠)، وأبو داود، رقم الحديث: (٣٦٦٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٦٥٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٣٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٦٦٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) شرف أصحاب الحديث، للخطيب (ص: ١٩).

(٤) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٦١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٢٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٦١).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٤٦).

نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَقَامِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ كُتِبَ فِي رَقٍّ، ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1].

الشيب في الإسلام:

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

وفي الحديث الآخر: «**الشَّيْبُ نُورٌ فِي وَجْهِ الْمُسْلِمِ**، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّهُمْ يَنْتِفُونَ قال: **فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْتِفْ نُورَهُ**»[3].

رمي الجمار:

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَمَيْتَ الْجِمَارَ، كَانَ لَكَ نُورًا يومَ الْقِيَامَةِ**»[4].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٧٢٢)، والحاكم، رقم الحديث: (٢٠٨٠)، الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (١٤٥٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٦٥١).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (١٦٣٤)، والنسائي، رقم الحديث: (٣١٤٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٦٣٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٥٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٥٩٧١)، وابن عدي في الكامل واللفظ له، رقم الحديث: (٥/ ٢٥٠)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٢٤٤).

(٤) أخرجه البزار، رقم الحديث: (١١٤٠)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٥٢٦).

رمي سهم في سبيل الله:

يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

المحبة في الله ولله:

يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ الله عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ الله مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا انْتِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]»(٢).

المقسطون في ولاياتهم:

يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»(٣).

وبالجملة: فالحسنة والطاعة هي التي تنير الوجه، وتضيء القلب، وتشرح الصدر، وليست آية معينة، ولا سورة مخصوصة، بل القرآن الكريم،

---

(١) أخرجه البزار، رقم الحديث: (٩٣١٢)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث:(٢٥٥٥).

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٥٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٥٨٤)،حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٥٧٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٢٧).

والعمل الصالح بعمومه، ولا يجوز تخصيص شيء من الدين بفضل خاص، إلا بدليل، وإلا أصاب العبدُ نصيبًا من الابتداع المذموم.

الأثر السادس: دعاء الله باسمه نور السموات والأرض:

فمن دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرزقه الله النور في كل حاسة، وفي كل اتجاه، أخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال في قيام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الليل: «وكان يقول في دعائه: **اللهمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**، قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبْعٌ فِي التَّابُوتِ . فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ فَذَكَرَ: **عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشَرِي**»[2].

وثبت أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول هذا الدعاء- أيضًا- في قيام الليل قبل صلاة الفجر؛ لأن الليل مظلم، والعبد في الظلمة يحتاج إلىٰ نور، فناسب ذكر هذا الدعاء، كما ثبت أنه قاله في سجوده[3]، وهو أقرب ما يكون العبد من ربه، وحري بمن سأل الله في السجود أمرًا أن يستجاب له.

ومن دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا في قيام الليل: «**اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣١٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ذكر الروايات في موطن هذا الدعاء ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٧٨).

(٤) سبق تخريجه.

وقد ثبت من دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أذكار الصباح والمساء قوله: «**إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتْحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنُورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَىٰ فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ**»[(١)]، كأنها إشارة إلىٰ أن الكون لايكون مضيئًا دون أن ينال من نور الله المعنوي نصيب.

اللهم إنا نسألك أن تجعل في قلوبنا نورًا، وفي أبصارنا نورًا، وفي سمعنا نورًا، وعن يميننا نورًا، وعن يسارنا نورًا، وفوقنا نورًا، وتحتنا نورًا، وأمامنا نورًا، وخلفنا نورًا، واجعل لنا نورًا.



(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٤)، والطبراني في الكبير (٣٤٥٣)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٨٤).

الواحد الأحد جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحد بمعنىٰ الواحد، وهو أول العدد... واستأحد الرجل: انفرد»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(وحد) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل علىٰ الانفراد، من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله»[2].

ورود اسم الله (الواحد - الأحد) في القرآن الكريم:

أولًا: ورد اسم الله (الواحد):

ورد اسم الله الواحد ثنتين وعشرين مرةً في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

٣-قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

---

(١) الصحاح (٢/ ٤٤٠).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٩٠).

ثانيًا: ورد اسم الله (الأحد):

ورد اسم الله (الأحد) مرة واحدة في كتاب الله، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ورود اسم الله (الواحد، الأحد) في السنة النبوية:

أولًا: ورد اسم الله (الواحد الأحد) في السنة النبوية مقترنًا، ومن وروده ما يلي:

حديث محجن بن الأدرع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَىٰ صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ يا اللهُ بأنَّكَ الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ، الَّذي لم يَلِدْ ولم يولَدْ ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أن تغفِرَ لي ذُنوبي، إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ، قَالَ: فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ**، ثلاث مرار»[١].

ثانيًا: ورد اسم الله (الواحد) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟** فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: **اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ، ثُلُثُ القُرْآنِ**»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٩٢٧٨)، وأبو داود، رقم الحديث: (٩٨٥)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠١٥).

ثالثًا: ورد اسم الله (الأحد) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قال الله: كَذَّبَنِي ابنُ آدَمَ ولم يَكُنْ له ذلك، وشَتَمَنِي ولم يَكُنْ له ذلك، فأمَّا تَكْذِيبُهُ إيَّايَ فقولُهُ: لن يُعِيدَنِي كما بَدَأني، وليسَ أول الخلقِ بأهونَ عليَّ مِن إعادَتِهِ، وأمَّا شَتْمُهُ إيَّايَ فقولُهُ: اتَّخَذَ الله ولدًا، وأنا الأحدُ الصمدُ، لم أَلِدْ، ولم أُولَدْ، ولم يكن لي كُفْئًا أحدٌ**»[1].

٢- حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[2].

معنىٰ اسم الله (الواحد، الأحد) في حقه- سُبْحَانَهُ:

- قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]-: «... معبود واحد ورب واحد، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه سواه، فإن من تشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خلق من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثل له ولا نظير».

واختلف في معنىٰ وحدانيته- تَعَالَىٰ ذكره-:

فقال بعضهم: معنىٰ وحدانية الله معنىٰ نفي الأشباه والأمثال عنه، كما يقال: فلان واحد الناس، وهو واحد قومه، يعني بذلك: أنه ليس له في الناس

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٩٧٤).

(٢) سبق تخريجه.

مثل، ولا له في قومه شبيه، ولا نظير؛ فكذلك معنىٰ قول الله ﴿وَٰحِدٌ﴾ يعني به الله: لا مثل له، ولا نظير...

وقال آخرون: معنىٰ وحدانيته - تَعَالَىٰ ذكره - معنىٰ انفراده من الأشياء، وانفراد الأشياء منه، قالوا: وإنما كان منفردًا وحده؛ لأنه غير داخل في شيء ولا داخل فيه شيء...»[1].

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تفرده بصفاته التي لا يشركه فيها أحد، والله تَعَالَىٰ هو الواحد في الحقيقة، ومن سواه من الخلق آحاد تركبت»[2].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواحد: هو الفرد الذي لم يزل وحده؛ ولم يكن معه آخر، وقيل: هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك والنظير، وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة؛ إذ كل شيء سواه يدعىٰ واحدًا، فهو واحد من جهة، غير واحد من جهات، والله سُبۡحَانَهُ الواحد الذي ليس كمثله شيء»[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في (الأحد) نفي لكل شريك لذي الجلال»[4].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]: «يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا ندّ ولا شبيه ولا عديل»[5].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٧٤٥).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥٦).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٨١).

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٨١).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٧).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [البقرة: ١٦٣]، أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفؤ له، ولا مثيل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤلَه ويُعبَد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه»[١].

وقال أيضًا: «الواحد، الأحد: وهو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك، ويجب علىٰ العبيد توحيده، عقلًا وقولًا وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة»[٢].

الفرق بين الواحد والأحد:

الفرق بينهما راجع إلىٰ كون «الواحد»: المتفرد بذاته فلا يضاهيه أحد، و«الأحد»: المنفرد بصفاته ونعوته فلا يشاركه فيها أحد[٣]، وقيل: بل هو أعم يشمل تفرد الذات والصفات[٤] [٥].

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٧).

(٢) المرجع السابق (ص: ٩٤٥).

(٣) ينظر: شأن الدعاء، للخطابي (ص:٨٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ١٥٩)، وتفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٦٦٥).

(٤) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للزجاج (ص: ٥٨).

(٥) ذكر ابن رجب فروقًا أخرىٰ، تراجع في المجموع من تفسيره (٢/ ٦٦٥).

اقتران اسم الله (الواحد - الأحد) بأسمائه الأخرى- سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الواحد) بأسمائه الأخرى:

- اقتران اسم الله (الواحد) باسم الله (القهار):

تقدم بيانه في اسم الله (القهار).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الأحد) بأسمائه الأخرى في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الأحد) بأي من أسماء الله تَعَالَى.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الواحد، الأحد):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الواحد، الأحد) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ الواحد الأحد الذي توحد بجميع الكمالات، وتفرد بكل كمال، وباين بأحديته جميع الموجودات، فلا يشاركه مشارك لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل واحد أحد فيها، قال تَعَالَى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١][1]، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١- وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ في ذاته:

الله عَزَّوَجَلَّ واحد أحد في ذاته المقدسة، بائن من خلقه، مستو على عرشه، لم يكن له صاحبة، ولم يتخذ ولدًا، ولا شريكًا في الملك، ولا وليًّا من الذل،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٧-٧٨).

يقول تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١].

٢- وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ في أسمائه:

الله عَزَّوَجَلَّ واحد أحد في أسمائه الحسنىٰ التي تليق بجلاله وعظمته وكماله، تفرد بحسنها فلا أحسن منها، وتفرد بعددها فلا يشاركه أحد في كثرتها ولا في العلم بجميعها، وتفرد بأسماء منها اختص بها فلا يتسمىٰ بها غيره، كاسمه: الله، والأحد، والصمد، والرحمن، والخالق، والرازق[١].

وواحد أحد في كمالها، فبعض أسمائه وإن تسمىٰ بها غيره إلا أنه واحد أحد في كمالها؛ فهي دالة علىٰ صفات كمال ونعوت جلال، لا أعلام محضة، بخلاف تسمي البشر بها، فربما تسمىٰ الواحد منهم بعزيز، وكريم، وعليم وليس هو كذلك، وربما كان كذلك إلا أن اتصافه بما يدل عليه الاسم ناقص يليق بحاله وعجزه وضعفه؛ ولذا قال تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

٣- وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ في صفاته:

الله عَزَّوَجَلَّ واحد أحد في صفاته العلية، متفرد بأوليته في الوجود بلا ابتداء كما جاء في الحديث: « **كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ** »[٢]، ومتفرد بآخريته بالديمومة والبقاء بلا انتهاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].[٣]

وواحد أحد في كمال صفاته وجلالها؛ فهو الأحد في قهره وغلبته لكل

---

(١) ينظر: تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم (ص: ١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩١).

(٣) ينظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٣).

شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وهو الأحد في صمديته وكماله من كل وجه، وقصد سائر العباد له في جميع الحوائج والنوائب والمدلهمات، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢].

وهو الأحد كذلك في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف فيها بغاية الكمال ونهايته، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

ولما كان كذلك تعذر علىٰ جميع الخلق الإحاطة بشيء منها، أو إدراك شيء من نعوتها، فضلًا عن مماثلة شيء منها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مكافئ بوجه من الوجوه[(١)].

٤- وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ في أفعاله:

الله عَزَّوَجَلَّ واحد أحد في **أفعاله وربوبيته** لا شريك له ولا ظهير ولا معين، ولا منازع ولا مغالب[(٢)]، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٤-٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

---

(١) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٦٠-٦١).

(٢) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٦٠).

واحد «متفرد في ملكوته- في الدنيا- بأنواع التصرفات من الإيجاد والإعدام، والإحياء والإماتة، والخلق والرزق، والإعزاز والإذلال، والهداية والإضلال، والإسعاد والإشقاء، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والوصل والقطع، والضر والنفع، فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما علىٰ إماتة من هو محييه، أو إعزاز من هو مُذِلُّه، أو هداية من هو مُضِلُّه، أو إسعاد من هو مُشقيه، أو خفض من هو رافعه، أو وصل من هو قاطعه، أو إعطاء من هو مانعه، أو ضر من هو نافعه، أو عكس ذلك؛ لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنىٰ لهم ذلك والكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره، ماض فيهم حكمه، عدل فيهم قضاؤه، نافذة فيهم مشيئته، لا امتناع لهم عما قضاه، ولا خروج لهم من قبضته، ولا تتحرك ذرة في السماوات والأرض ولا تسكن إلا بإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»[1].

وواحد متفرد في ملكوته تشريعًا وحكمًا دينيًّا ودنيويًّا، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**»[2].

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول، للحكمي (١/ ١٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٠٩٥)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٢٠٤٠٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٠٩٥).

وواحد متفرد في ملكوته في الآخرة- كما تفرد في ملكوته في الدنيا- بأنواع التصرفات من إفناء الأحياء، وقبض الأرض وطي السماء، والإذن بالنفخ في الصور، وبعث الموتىٰ ونشرهم، وكسوة من شاء من الخلق، وظل من شاء تحت ظل عرشه، والشفاعة والإذن فيها لمن شاء، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، والعرض والحساب، ونصب الصراط وتثبيت الأقدام، والجزاء بالجنة أو النار، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وواحد أحد في كمال الأفعال؛ فكلها حكمة، وعدل، ورحمة، وإحسان ليس فيها فعل بلا مصلحة، ولا فعل عشواء وعبث، كما جاء في الحديث: «**والخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[(١)].

ثم إنه سُبْحَانَهُ **في جميع ما سبق** من الذات والأسماء والصفات والأفعال واحد أحد متفرد عن كل نقص، وعيب، وسوء؛ لكماله من كل وجه وفي كل حال، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

الأثر الثاني: توحيد الله الواحد الأحد، ودلالة الاسمين الكريمين عليه[1].

إن أعظم أثر وموجب لهذين الاسمين الجليلين الكريمين: توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وإفراده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ إذ معناهما- كما سبق- **دال علىٰ تفرده بالأفعال مما يوجب علىٰ العبد أن يوحد ربه بالربوبية،** فيعتقد أنه وحده الرازق ولا رازق غيره، ووحده الضار النافع، ولا ضار ولا نافع غيره، ووحده الشافي ولا شافي غيره، ووحده منزل المطر ومجري السحاب وليس ذلك لأحد سواه، ووحده الذي بيده الشفاعة وليست لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي تقي، بل لله يأذن بها لمن يشاء ويرضىٰ، ونحو ذلك مما يتعلق بأفعال الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٤- ٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

ثم إذا اعتقد العبد هذا لزمه **أن يعتقد وحدانية الله في الألوهية**؛ فإن المتفرد بالربوبية هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له كما قرر الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في جملة من الآيات، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٥- ٦٦]،

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٩٠-٩٢).

وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون اثنان قهاران متساويين في قهرهما أبدًا، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده كما كان قاهرًا وحده»[1].

ومعنىٰ توحيد الألوهية: إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بجميع أنواع العبادات، سواء أكانت قلبية كالمحبة والخوف والخشية والرجاء والاستعانة والتوكل، أو قولية كالدعاء والاستغاثة والاستعاذة والنذر، أو فعلية كالصلاة والطواف والحج والذبح، فلا يصرف منها شيء لغير الله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢][2].

كما يفرده بالطاعة والتحكيم والتشريع، سواء فيما يتعلق بأمر الدنيا أو الدين، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

وإن تحقيق هذا التوحيد يعود علىٰ العباد بثمار طيبة في الدنيا والآخرة، ومنها[3]:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧١٦).

(٢) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول، للحكمي (٢/ ٣٩٣).

(٣) نصينا علىٰ ثمار التوحيد- بخلاف العادة -؛ لأن أعظم أثر لاسم الله الواحد الأحد: التوحيد.

١- الهداية والتوفيق إلىٰ الصراط المستقيم، قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ**: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[1].

٢- الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] بخلاف المشرك فإنه «يخاف المخلوقين ويرجوهم، فيحصل له رعب، كما قال تعالَى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١]»[2].

٣- تفريج الكربات، كما في قصة يونس عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ونداءه بالتوحيد: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فأتاه الفرج: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

حتىٰ إن المشركين ليعلمون أن في التوحيد تفريجًا للكرب، كما قال سُبْحَانَهُ عنهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٦٩٣٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٢٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٠/ ٢٥٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يلقىٰ في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد»[1].

٤- السعادة بشفاعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»[2].

٥- منع الخلود في النار؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[3]، وفي حديث الشفاعة الطويل: «**ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله**»[4].

٦- دخول الجنة؛ فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**»[5].

وهذه الثمار تدعو العبد إلىٰ تعلم التوحيد وتحقيقه وتكميله، وتعلم

---

(١) الفوائد (ص: ٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٤٢٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٧٣٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٣٥)،حكم الألباني: صحيح،صحيح وضعيف أبي داود،رقم الحديث: (٤٧٣٩).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٥١٠).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٣).

ضده- أيضًا- وتوقيه والحذر منه والخوف، كما تدعوه إلىٰ سؤال ربه دومًا أن يرزقه التوحيد، ويثبته عليه إلىٰ الممات، ويقيه من ضده، كما قال خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥- ٣٦].

وعلَّمنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاستعاذة من الشرك، لا سيما الخفي، فقال لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟**» قَالَ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»(١).

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ والكُفْرِ، والفُسُوقِ، والشِّقَاقِ، والنِّفَاقِ، والسُّمْعَةِ، والرِّيَاءِ**»(٢).

واسم الله الواحد الأحد دال أيضًا- كما سبق- علىٰ **تفرد الله** عَزَّ وَجَلَّ **بالأسماء والصفات**، وهذا يوجب للعبد أمرين:

الأول منهما: إثباتها من غير تعطيل ولا تحريف.

والثاني: نفي المشابه والمماثل له فيها.

وهذه حقيقة توحيد الأسماء والصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٦)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٥٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٦).

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث (١٠٢٣)،و الحاكم، رقم الحديث (١٩٥٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث (٣٤٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير،رقم الحديث: (١٢٨٥).

الأثر الثالث: محبة الله الواحد الأحد:

إن معرفة اسم الواحد الأحد وما فيه من تفرد بالكمال والجمال في الذات والأسماء والصفات والأفعال، يدعو العبد إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ وإفراده بذلك، كما جاء في الحديث: «**إنَّ الله وترٌ يحبُّ الوترَ**»[1]، لا سيما وقد فُطرت القلوب علىٰ محبة من له الكمال، فكيف بمن بلغ المنتهىٰ في الكمال وتفرد به، فلم يشركه فيه أحد؟!

الأثر الرابع: التعلق بالله الواحد الأحد في المطالب، والاطمئنان إليه:

إن يقين العبد باسم الله الواحد الأحد الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها وضروراتها، وهو القادر علىٰ كل شيء، والمالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء، والمتفرد بالنفع والضر؛ يثمر في قلب العبد تعلقًا بالواحد الأحد وتوجهًا إليه وحده لا شريك له، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت:٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١- ٢].

وبالمقابل يثمر قطع التعلق بمن لا يملكون شيئًا، ولا يقدرون علىٰ شيء إلا بما أقدرهم الله عليه، ولا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عن أن يملكوه لغيرهم.

وهذا يريح القلب من الشتات والإضطراب، ويجعله يسكن إلىٰ واحد في وجهته، وطلبه، وقصده، فيستريح ويطمئن؛ لأنه أسلم وجهه وقلبه لله وحده،

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٧).

ولم يتوجه لوجهات متعددة وشركاء متشاكسين يعيش بينهم في حيرة وقلق وصراع مرير، وقد ضرب الله تَعَالَىٰ مثلًا للموحد الذي يعبد إلهًا واحدًا هو الله عَزَّوَجَلَّ، وللمشرك الذي تنازعه آلهة شتىٰ يستعبدونه ويمزقونه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]؛ فالمشرك عبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضًا فيه، وهو بينهم موزع، ولكل منهم فيه توجيه، ولكل منهم عليه تكليف؛ وهو بينهم حائر لا يستقر علىٰ نهج ولا يستقيم علىٰ طريق، ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه، فيعيش معذبًا قلقًا، لا يستقر علىٰ حال، ولا يرضي واحدًا منهم، فضلًا عن أن يرضي الجميع!

والموحد عبد يملكه سيد واحد، يعلم ما يطلبه منه، وما يكلفه به، فهو مستريح مستقر علىٰ منهج واحد صريح، لا يعرف إلا مصدرًا واحدًا للحياة، والقوة، والرزق، ومصدرًا واحدًا للنفع والضر، ومصدرًا واحدا للمنح والمنع، فتستقيم خطاه إلىٰ هذا المصدر الواحد، يستمد منه وحده، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته، ويتجه إلىٰ هدف واحد لا يزوغ عنه، ويخدم سيدًا واحدًا يعرف ماذا يرضيه فيفعله، وماذا يغضبه فيتقيه؛ وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين علىٰ الأرض متطلع إلىٰ إله واحد في السماء.

الأثر الخامس: ذكر الله الواحد الأحد بالتوحيد:

إن اسم الله الواحد الأحد وما فيه من الدلالة علىٰ التوحيد، يدعو العبد إلىٰ تجديد توحيده والإكثار من ذكره واللهج به، لا سيما وقد جاء في كثير من أذكار اليوم والليلة والمناسبات الشرعية الحث علىٰ الأذكار التي فيها توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ومنها:

١- كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»؛ فعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[1]، وقال: «**جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قال: أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[2].

- وعن أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[3].

٢- دعاء يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير»؛ فعن أُبَي رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ،**

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٣)، والنسائي في الكبري، رقم الحديث: (١٠٥٩٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٣).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٨٣١)، والبزار، رقم الحديث: (٦٦٤- كشف الأستار)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٦٢٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٥).

وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[1].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[2].

٣- الذكر في الصباح والمساء، كما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كان نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمسىٰ قال: أَمْسَيْنَا وَأَمْسَىٰ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»[3].

- وبما جاء عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقُولَ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ وَإِذَا أَخَذْتُ مَضْجَعِي مِنَ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٩٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٩١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٠٨٠)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٥٨٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٨٥).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢٣).

وَرَسُولُكَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَىٰ نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسْلِمٍ»[1].

٤- الذكر بعد الوضوء؛ فعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ** -أو **فَيُسْبِغُ**- **الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[2].

٥- الذكر في دعاء الاستفتاح؛ فعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَالَ: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ... وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...**»إلخ[3].

٦- الذكر بعد الصلاة؛ فعن وراد مولىٰ المغيرة بن شعبة، قال: كتب المغيرة إلىٰ معاوية بن أبي سفيان: « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[4].

---

(١) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (٨٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٣٩٢)، حكم الألباني: صحيح، تخريج الكلم الطيب، رقم الحديث (٢٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٩٣).

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[1].

٧- الذكر عند الانتباه من النوم؛ فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ**»[2].

فحري بالعبد أن يحرص علىٰ مثل هذه الأذكار، التي فيها توحيد الواحد الأحد.

الأثر السادس: قراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وتدبرها:

ورد اسم الله (الأحد) في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟** فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: **اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٩٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤).

(٣) سبق تخريجه.

وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ »، يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[1].

وإنما عدلت ثلث القرآن- كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ناقلًا عن أبي العباس بن سريج رَحِمَهُ اللَّهُ ومستحسنًا-؛ لأن القرآن أنزل علىٰ ثلاثة أقسام: ثلث منه أحكام، وثلث منه وعد ووعيد، وثلث منه أسماء وصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات[2].

ولهذه السورة فضائل أخرىٰ، منها[3].

١- أنها صفة الرحمن؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رجلًا علىٰ سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[4].

٢- أن حبها يوجب محبة الله؛ كما جاء في حديث عائشة آنف الذكر، وفيه: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠١٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ١٠٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٦٥٤، وما بعدها).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

٣- أنها تمنع صاحبها من الشر وتكفيه؛ فعن عبدالله بن خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: **قُلْ**، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: **قُلْ**، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: **قُلْ**، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **قُلْ**: **قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**»(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ »، وَ « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ »، وَ « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ »، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ »(٢).

٤- أن حبها يوجب دخول الجنة؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، « أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحِبُّ « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ »، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»(٣).

وفي رواية: قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ يَقْرَأُ بِهَا، افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ بِسُورَةٍ أُخْرَىٰ مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَىٰ أَنَّهَا تُجْزِيكَ حَتَّىٰ تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَىٰ، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَىٰ،

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٢)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٥٧٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠١٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٥٥) معلقًا. وابن حبان رقم الحديث: (٧٩٢)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٧٨٩).

قَالَ مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِهَا فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَفْضَلَهُمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: **يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**»(1).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «أقبلت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَجَبَتْ**، قلت: وما وجبت؟ قال: **الْجَنَّةُ**»(2).

وهذه الفضائل وغيرها تدعو العبد إلىٰ قراءتها، وتردادها، وتدبر معانيها، ومحبتها.

الأثر السابع: دعاء الله باسمه الواحد الأحد:

إن معرفة العبد لاسم الله الواحد الأحد يدعوه إلىٰ دعاء الله وسؤاله بهما؛ امتثالًا لقوله تعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] لا سيما وقد جاء ما يدل علىٰ أن اسم الله الأحد هو الاسم الأعظم؛ فقد سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يقول في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٩٠١)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٣٣٣٥)، وابن خزيمة، رقم الحديث: (٥٣٧)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٩٠١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨١٢٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٨٩٧)، والنسائي، رقم الحديث: (٩٩٣). حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث:(٢٨٩٧).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلَ الله بِاسْمِهِ الأعظمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»[1]، وجاء في فضل الدعاء بهما حديث محجن بن الأدرع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخلَ المسجدَ ، إذا رجلٌ قد قَضىٰ صلاتَهُ وَهوَ يتشَهَّدُ ، فقالَ: اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ يا اللهُ بأنَّكَ الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ ، الَّذي لم يَلِدْ ولم يولَدْ ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، أن تغفِرَ لي ذُنوبي ، إنَّكَ أنتَ الغَفورُ الرَّحيمُ ، قال: فقال نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، ثلاث مرار»[2].

كما يدعوه إلىٰ سؤال الله بما تضمنه اسمه الواحد الأحد من التوحيد؛ فإن التوحيد لما عظم مقامه عند الله كان التوسل به مظنة للإجابة، وقد جاء في نصوص الوحيين التوسل لله به، ومن ذلك:

١- دعاء ذي النون، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ ذي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ الله لَه»[3].

٢- دعاء يوم عرفة؛ فعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خيرُ الدعاءِ دعاءُ يوم عرفة، وخيرُ ما قلته أنا والنبيُّون مِنْ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٥)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٤١٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٥).

قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الملكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(١)].

٣- دعاء سيد الاستغفار؛ فعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قال: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[(٢)].

٤- دعاء الكرب والهم؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[(٣)].

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللهمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث (٣٥٨٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث (٣٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٧٥٩)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٩٠)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٤١٢)، حكم الألباني، حسن، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩٠).

٥- دعاء كفارة المجلس؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**»[1].

دعاء ما بعد التشهد الأخير؛ فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: **اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[2].

فعلىٰ العبد أن يدعو الله بهذه الدعوات وبغيرها، متوسلًا بالتوحيد، متيقنًا معناه؛ فإنه أعظم ما يتقرب لله به.

اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لنا ذنوبنا، إنك أنت الغفور الرحيم.



(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٣٣)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١٥٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٣٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

الوَدودُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وددت الرجل أوده ودًّا، إذا أحببته، والوُد والوَد والوِد: المودة...»[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواو والدال: كلمة تدل على محبة، وددته: أحببته، ووددت أن ذاك كان: إذا تمنيته...»[2].

ورود اسم الله (الودود) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ **(الودود) في القرآن مرتين، هما:**

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

٢- قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٣-١٤].

ورود اسم الله (الودود) في السنة النبوية:

لم يرد اسمه سُبْحَانَهُ (الودود) في السنة النبوية، إلا في حديث سرد الأسماء عند الترمذي.

---

(١) تاج اللغة (٢/ ٥٤٩).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٧٥).

معنى اسم الله (الودود):

يدور اسم (الودود) في حقه تَعَالَى حول معنيين:

١- ودود بمعنىٰ فاعل، أي: واد، وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وعباده الصالحين.

٢- ودود بمعنىٰ مفعول، أي: مودود، وهو المحبوب سُبْحَانَهُ، ولا يستحق المحبة الكاملة إلا هو سُبْحَانَهُ.

وحول هذه المعاني الثلاثة تدور أقوال العلماء.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يوده ويحبه»[١].

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المحب لخلقه، والمثني عليهم والمحسن إليهم»[٢].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ **قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «والودود: الحبيب»[٣].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الودود بكثرة إحسانه، أي: المستحق لأن يُوَد فيُعبَد ويُحمَد»[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٤٥٦).

(٢) الأسنىٰ (ص: ٣٨٤).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٣٣).

(٤) المنهاج (١/ ٢٠٦).

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسم مأخوذ من الود وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون فعولًا في محل مفعول،... أي: أنه سُبْحَانَهُ مودود في قلوب أوليائه؛ لما يتعرفونه من إحسانه إليهم وكثرة عوائده عندهم، والوجه الآخر: أن يكون الودود بمعنىٰ: الواد، أي: أنه يود عباده الصالحين، بمعنىٰ: أن يرضىٰ عنهم ويتقبل أعمالهم، وقد يكون معناه أن يوددهم إلىٰ خلقه»[1].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الودود ففيه قولان؛ أحدهما: أنه بمعنىٰ فاعل، وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين، والثاني: أنه بمعنىٰ: مودود، وهو المحبوب الذي يستحق أن يُحب الحب كله، وأن يكون أحب إلىٰ العبد من سمعه، وبصره، وجميع محبوباته»[2].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الودود هو المحب المحبوب، بمعنىٰ: واد ومودود، فهو الذي يحب أنبياءه، ورسله، وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلئت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًّا وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه»[3].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته**:

وهـوَ الـوَدُودُ يُحِبُّهُـمْ وَيُحِبُّـهُ ... أَحْبَابُـهُ والفَضْـلُ لِلْمَنَّـانِ

وَهـوَ الَّـذِي جَعَلَ المَحَبَّةَ فِـي قُلُو ... بِـهِـمْ وَجَازَاهُـمْ بِحُـبٍّ ثَـانِ

---

(١) شأن الدعاء (١/ ٧٤).

(٢) جلاء الأفهام (ص: ٣١٥).

(٣) الحق الواضح المبين (ص: ٦٩ - ٧٠).

هَـذَا هُـوَ الإِحْسَـانُ حَقًّـا لَا مُعَـا وَضَـةً وَلَا لِتَوَقُّـعِ الشُّـكْرَانِ[1].

اقتران اسم الله (الودود) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الودود) باسمه سُبْحَانَهُ (الرحيم):

تقدم بيانه في اسم الله (الرحيم).

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الودود) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور):

تقدم بيانه في اسم الله (الغفور).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الودود):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الودود) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الودود سُبْحَانَهُ هو المتحبب إلىٰ عباده بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، التي إن لامست القلوب رأت ربًّا رحيمًا عظيمًا كريمًا قويًّا قادرًا، له الجلال والكمال والعزة والسلطان، فعند ذلك تفيئ إليه وحده، وتقبل عليه دون سواه، وتتخذه إلهًا معبودًا، وبذلك تخلص لربها، وتوحده وتتخلص من العبودية لغيره؛ فتنال سعادة الدنيا والآخرة.

ومن أبرز مظاهر تودد الله لعباده ما يلي:

- **تعريف عباده بذاته** سُبْحَانَهُ: فهو سُبْحَانَهُ المتودد إلىٰ خلقه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، التي إن عرفها العباد وآمنوا بها تعلقت قلوبهم بربهم،

---

(١) النونية (ص: ٢٠٨).

وصارت محبتهم له هي المحرك لعزائمهم إذا فتروا، والمثير لهممهم إذا قصروا؛ وذلك لأن القلوب والأرواح الصحيحة مجبولة علىٰ محبة الكمال، والله تَعَالَى له الكمال التام المطلق، فكل وصف من صفاته له خاصية في العبودية، وسبب لانجذاب القلوب إليه وحده سُبْحَانَهُ[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف محبة الله تَعَالَى: «وكما أنه ليس كمثله شيء، فليس كمحبته محبة»[2].

- تعدد أنعامه وأفضاله سُبْحَانَهُ علىٰ عباده في شؤون دينهم ودنياهم:

فبنعمه أوجدهم، وأبقاهم وأحياهم، وأصلحهم، وأتم لهم الأمور، وكمل لهم الضروريات والحاجيات والكماليات، وهداهم للإيمان والإسلام، وهداهم لحقائق الإحسان، ويسر لهم الأمور، وفرج عنهم الكربات، وأزال المشقات، وشرع لهم الشرائع، ويسرها ونفىٰ عنهم الحرج، وبين لهم الصراط المستقيم وأعماله وأقواله، ويسر لهم سلوكه وأعانهم علىٰ ذلك شرعًا وقدرًا، ودفع عنهم المكاره والمضار كما جلب لهم المنافع والمسار، ولطف بهم ألطافًا شاهدوا بعضها وما خفي عليهم منها أعظم.

فجميع ما في الخليقة من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان، الداخلية والخارجية، الظاهرة والباطنة، فإنها من كرمه وجوده، يتودد بها إليهم، فالقلوب مجبولة علىٰ محبة المحسن إليها، وأي إحسان أعظم من هذا الإحسان الذي يتعذر إحصاء أجناسه، فضلًا عن أنواعه، فضلًا عن

---

(١) وهذا يتجلىٰ في معاني أسماء الله الحسنىٰ كلها.

(٢) الفوائد (ص: ١٨٣).

أفراده، وكل نعمه منه تطلب من العباد أن تمتلئ قلوبهم من مودته وحمده وشكره والثناء عليه.

- **قربه من أوليائه، وتسديده لهم**: فمن كان الله وليه حفظه في حركاته وسكناته، وجعله مجابًا للدعوة وجيهًا عنده، كما في الحديث القدسي: «**لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[١].

- **حلمه علىٰ العصاة وقربه من التائبين من عباده**، فعرفهم بسعة رحمته، وعظيم مغفرته، ودعاهم إلىٰ الفيئة والرجوع إليه، ووعدهم علىٰ ذلك أن يقبل توبتهم، ويبدل سيئاتهم حسنات، قال سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ [الفرقان: ٧٠][٢]، فهو الذي يفرح بتوبة عباده مع غناه عنهم وعن عبادتهم، وإن أصر العبد علىٰ العصيان، وتجرأ علىٰ المحرمات، وقصر في الواجبات ستره الودود، وحلم عليه، وأمده بالنعم، ولم يقطع عنه منها شيئًا، ثم يقيض له من الأسباب والتذكيرات والمواعظ والإرشادات ما يجلبه إليه، فيتوب إليه وينيب، فيغفر له تلك الجرائم، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب العظائم، ويعيد عليه وده وحبه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٨٧).

وعليه فحري بمن عرف اسم الله الودود وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله وده ورحمته وفضله وهبته.

الأثر الثاني: محبة الودود سُبْحَانَهُ:

إن محبة الله سُبْحَانَهُ من الفطرة التي فُطرت القلوب عليها، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقلب إنما خُلق لأجل حب الله تَعَالَىٰ، وهذه الفطرة التي فطر الله عليها عباده، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتِجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ٣٠][(١)]، فالله سُبْحَانَهُ فطر عباده علىٰ محبته وعبادته وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفًا بالله، محبًّا له، عابدًا له وحده»[(٢)].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الله فطر القلوب علىٰ محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده، فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحسانًا منه، ولا شيء أكمل منه ولا أجمل»[(٣)].

فأصحاب الفطر السوية، والقلوب النقية، والتأملات في ملكوت الله العلية، أعظم شيء لديهم هو محبة الله، ولذا سعىٰ إليها السائرون، وشمر لها

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٥٨). ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٦٥٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٠/ ١٣٤-١٣٥).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٢٥٠).

العابدون، فعرفوا ربهم، والتفت إليه قلوبهم، وتخلت عن كل ما عداه.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»[1].

ولمحبة الله الصادقة أربعة شروط، ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ**، وهي:**

الأول: أن يحب الله عَزَّوَجَلَّ حبًّا من جنس حب العبادة المقرون بالذلة والخضوع والإفتقار والطاعة المطلقة، حبًّا لا يشابه أي حب آخر، حبًّا لا يشابه حب الشهوة للنساء، ولا حب البر للآباء، ولا حب الشفقة بالأبناء، ولا حب الندية للأصدقاء بل يحبه حب العابد لربه، والمخلوق لخالقه، والمملوك لمالكه، والمرزوق لرازقه، حبًّا مقرونًا بالخشية، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الثاني: ألا يحب شيئًا مثله معه، بل ولا تبقىٰ مثقال ذرة من هذا الحب- أي حب العبادة- إلا صرفها لله وحده، فلا يحب أحدًا غير الله عَزَّوَجَلَّ مثله في النوع، وكذلك في الكمية، فلا يحب أحدًا أكثر من الله، بل لا يحب أحدًا مثل الله أصلًا، حتىٰ وإن كان حبه لهذه الأشياء ليس حب العبادة، فمن فعل ذلك عرض نفسه لعقوبة الله عَزَّوَجَلَّ، فقد قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[التوبة: ٢٤].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٣٢).

الثالث: ألا يحب شيئًا غير الله إلا من أجله، وهو الحب في الله.

الرابع: أن يبغض ما يباعده عن الله أشد من بغضه لأبغض الأشياء إليه، وهي النار» **وقد جمع ثلاثةً منها حديثُ النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الذي قال فيه**: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ - بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ - كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[1].

الأثر الثالث: نيل ثمرات محبة الله للعبد:

لا شك أن أعظم رتبة يبلغها المؤمن أن يكون من الذين يحبهم الله عَزَّوَجَلَّ، فهي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفانىٰ فيها المحبون، هي قوت القلوب، وقرة العيون، والمحبة التي توصل المؤمن إلىٰ مراتب الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، ومن أبرز ثمرات محبة الله لعبده ما يلي:

١ - الحصول علىٰ الإيمان:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إِنَّ اللهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، فَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الْإِيمَانَ**»[2].

والله يعطي المال للبر والفاجر، والتقي والغني، فيسوق له الدنيا، ولكن لا يعطي الإيمان إلا لمن يحب، فهي الطريق المستقيم ومفتاح الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٨٩٩٠)، قال الهيثمي: رواه الطبراني موقوفًا، ورجاله رجال الصحيح. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٩٠).

٢- تحقيق الأمن التام، وقلب المخاوف أمنًا:

فمن تأمل قصة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة طه، وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٧-٣٩] رآها حركات كلها عنف، وخشونة، قُذف في التابوت بالطفل، وقذف في اليم بالتابوت، وإلقاء للتابوت علىٰ الساحل، ثم ماذا؟ يذهب التابوت المقذوف فيه بالطفل المقذوف في اليم الملقىٰ به علىٰ الساحل، فيستلمه ﴿عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه:٣٩].

وفي زحمة هذه المخاوف كلها، وبعد تلك الصدمات كلها، ما الذي حدث للطفل الضعيف المجرد من كل قوة؟ ما الذي جرىٰ للتابوت الصغير المجرد من كل وقاية؟ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩] جرىٰ أمر الله أن يتربىٰ موسىٰ في بيت فرعون ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨].

٣- الحفظ والحماية من الدنيا:

يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَمَاهُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ سَقِيمَهُ الماءَ**»[1].

٤- المعية الإلهية:

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٤٢٩٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٢٨٢).

يَتقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

قال الحارث المحاسبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن علامة محبة الله للعبد أن يتولىٰ الله سياسة همومه، فيكون في جميع أموره هو المختار لها»[2].

٥- مغفرة الذنوب، والعتق من النار والعذاب:

يقول تعالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، وكذلك رَدَّ الله تَعَالَىٰ علىٰ اليهود والنصارىٰ ادعاءهم أنهم أحبابه فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨]، وفي السنة ما رواه أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ صَبِيٌّ عَلَىٰ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، فَمَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ الْقَوْمَ خَشِيَتْ أَنْ يُوطَأَ ابْنُهَا، فَسَعَتْ وَحَمَلَتْهُ، وَقَالَتِ: ابْنِي ابْنِي، قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُلْقِيَ ابْنَهَا فِي النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، وَلَا يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٠٢).

(٢) حلية الأولياء، للأصفهاني (١٠/ ٩٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٦٧١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٧٠٩٥).

٦- التوفيق للعمل الصالح والتوبة بعد الذنوب:

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا عَسَلَهُ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا عَسَلُهُ؟ **قَالَ: «يُوَفِّقُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ عَنْهُ جِيرَانُهُ** « **أَوْ قَالَ: مَنْ حَوْلَهُ**»[١]، قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا أحب الله عبدًا وفقه لعمل صالح، فتقربوا إلىٰ الله بحب المساكين»[٢]، وفي الحديث الآخر يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرِّفْقَ، مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يُحْرَمُونَ الرِّفْقَ إِلَّا حُرِمُوا**»[٣].

٧- إلقاء محبة عبده في قلوب الخلق:

كما قال الله تَعَالَىٰ عن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] أي: محبة في قلوب العباد، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عبدْاً دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ**، قال: **فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ**، قال: **ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**»[٤]،

---

(١) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (١٢٦٢). حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٣٥٧).

(٢) اعتقاد أهل السنة، للالكائي (١/ ١٤١).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٢٢٧٤)، قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله ثقات، وله في الصحيح: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ**». فقط، ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ١٨).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٠٩)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٦٣٧).

قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عاملوا الله عَزَّوَجَلَّ بالصدق في السر، فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبدًا أسكن محبته في قلوب العباد»[1].

الأثر الرابع: السعي لتحصيل الأسباب الجالبة لمحبة الله للعبد:

إن محبة الله تَعَالَىٰ هي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام[2].

والمؤمنون في درجة محبتهم لربهم متفاوتون، وفي قربهم من الله متفاضلون، وإن كانوا جميعًا يطمحون لزيادة محبتهم لربهم، محبة تحببهم في طاعته سُبْحَانَهُ، والبعد عن معصيته.

ومن الأعمال التي تزيد محبة الله تَعَالَىٰ في قلوب عبيده، وبها يحب الله عباده، ما يلي:

أولًا: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وتفطن مراد الله منه:

ولا عجب أن يكون القُرْب من كتاب الله من أعظم القُرَب الموجبة لمحبة الله، فإذا كان الله تَعَالَىٰ قد شاء بحكمته أن يكون الإيمان به من الإيمان بالغيب؛ فإنه قد شاء- أيضًا- أن يكون خطابه لعباده وحديثه إليهم من أمر الشهادة، فجعل كلامه مسطورًا، يُسمع ويُقرأ، ويتكرر وقعه بلفظه ومعناه علىٰ القلوب والأفئدة.

---

(١) الحلية (٨/ ٨٨).

(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٨).

ولا شك أن من أكبر الدلائل علىٰ محبة القرآن: السعي إلىٰ تفهمه وتدبره والتفكر في معانيه، كما أن من دلائل خفة تلك المحبة أو عدمها: الإعراض عن تدبره وتأمل معانيه، قال تَعَالَىٰ ذامًّا المنافقين علىٰ عدم تدبر القرآن: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ولذا كان السلف يستشعرون هذا المعنىٰ وهم يقرءون القرآن، حتىٰ إنهم كانوا يتلقونه تلقي الغائب الغريب لرسالة جاءت علىٰ شوق من الحبيب، قال الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار»[1].

فقراءة القرآن وتدبره تشريف للبشر وكرامة، **يقول ابن الصلاح** رَحِمَهُٱللَّهُ: «قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك، وأنها حريصة علىٰ استماعه من الإنس»[2]، ولأن القرآن هو الدال علىٰ الله وعلىٰ محاب الله، فلا جرم أن كانت محبته هي طريق القلب والعقل لمعرفة الله وما يحبه، ومما يدل علىٰ ذلك: أن رجلًا من أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، استجلب محبة الله بتلاوة سورة واحدة وتدبرها ومحبتها، وهي سورة الإخلاص التي فيها صفة الرحمن سُبْحَانَهُ فظل يرددها في صلاته، فلما سئل عن ذلك قال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[3]، وفي الحديث الآخر، قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي (ص: ٢٨).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١/ ٢٩١).

(٣) سبق تخريجه.

«من أحب القرآن، فهو يُحِب اللهَ ورسولَه»[1]، وأهل القرآن هم خاصة الله تَعالَى، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ عَزَّوَجَلَّ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ،قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: أَهْلُ القُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»[2].

ثانيًا: التقرب إلىٰ الله تَعالَى بالنوافل بعد الفرائض:

فمؤدي الفرائض كاملة محب لله، ومؤديها وبعدها النوافل محبوب من الله، ويدل علىٰ ذلك الحديث القدسي، وفيه: «... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[3]، فالمحبون هم المتقربون بالفرائض، والمحبوبون هم المتقربون بالنوافل بعد الفرائض، وهم أولياء الله وأصفياؤه، وخيرته من الخلق.

يقول ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أولياء الله المقربون قسمان:

أحدهما: من تقرب إلىٰ الله بأداء الفرائض،... وأهل هذا القسم هم المقتصدون الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر:٣٢]، وهم أصحاب اليمين الذين قال فيهم: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧]، فأداء الفرائض أفضل الأعمال؛ كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله عَزَّوَجَلَّ).

---

(١) تفسير ابن رجب (٢/ ٢١٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٤٨٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢١٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢١٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٠٢).

الثاني: من تقرب إلىٰ الله تَعَالَى بعد أداء الفرائض بالنوافل، وهم أهل درجة السابقين المقربين.. لأنهم تقربوا إلىٰ الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع»[1].

ثالثًا: دوام ذكره سُبْحَانَهُ علىٰ كل حال:

فذكر الله تَعَالَى هو شعار المحبين له، المحبوبين منه تَعَالَى، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إذا هو ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**»[2].

فصاحب الذكر مذكور عند الله بالثناء والمحمدة والمحبة، وموعود بالمغفرة والأجور العظيمة، يقول تَعَالَى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب:٣٥].

ولهذا كان الذكر روح الأعمال، ويظهر ذلك من اقتران أكبر الأعمال الصالحة به في القرآن.

- **الشهادة**، فـ(لا إله إلا الله) أفضل ما يذكر به الذاكرون.

- **الصلاة**، قال تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤]

- **الحج**، قال تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ [البقرة:٢٠٠].

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٧٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٧٩٢).

- **الجهاد**، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شأن الذكر**: «وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم مأمورون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا: ازداد المذكور محبة إلىٰ لقائه واشتياقًا، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء»[1].

رابعًا: إيثار محاب الله علىٰ كل محاب النفس والهوىٰ:

والقرآن والسنة مملوءان بذكر ما يحبه الله سُبْحَانَهُ من أفعال عباده المؤمنين، وأقوالهم وأخلاقهم، فمن محابه سُبْحَانَهُ التي وردت في كتابه وسنة نبيه:

- **التقوىٰ**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤]

- **الإحسان**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

- **التوبة والطهارة**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٩٦).

- **الصلاة علىٰ وقتها**، سئل صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي العمل أحب إلىٰ الله؟ قال: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**»[1].

- **الصبر**، يقول تعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

- **التوكل عليه**، يقول تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]

- **الجهاد**، يقول تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

- **الذكر**، يقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**»[2].

- **الحلم والأناة**، عن ابن عباس أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال- لأشج عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ والأَنَاةُ**»[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحتاج المسلم إلىٰ أن يخاف الله، وينهىٰ النفس عن الهوىٰ، ونفس الهوىٰ والشهوة لا يعاقب عليه، بل علىٰ اتباعه، والعمل به، فإذا كانت النفس تهوىٰ وهو ينهاها، كان نهيه عبادة لله، وعملًا صالحًا»[4].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إيثار رضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ غيره، وهو يريد أن يفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلق، هي درجة الإيثار وأعلاها للرسل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨).

(٤) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، لمحمد عويضة (٥/ ١٧٨).

عليهم صلوات الله وسلامه، وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

خامسًا: مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته ومشاهدتها:

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ**»، باب: «المعرفة فعل القلب»[2]، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]، **يقول ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ**» ظاهر في أن العلم بالله درجات، وأن بعض الناس فيه أفضل من بعض، وأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه في أعلىٰ الدرجات، والعلم بالله يتناول ما بصفاته وما بأحكامه، وما يتعلق بذلك، فهذا هو الإيمان حقًّا»[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن أوصاف المدعو إليه، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلىٰ محبته، وطلب الوصول إليه؛ لأن القلوب إنما تحب من تعرفه، وتخافه، وترجوه، وتشتاق إليه، وتلتذ بقربه، وتطمئن إلىٰ ذكره بحسب معرفتها بصفاته»[4]، وفي ذات المعنىٰ **يقول الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من عرف ربه أحبه»[5].

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الإيمان، (١٣).

(٣) فتح الباري (١/ ٨٩).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٣٥١).

(٥) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة (ص: ٣٣٢).

سادسًا: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة:

فالإنعام والبر واللطف معان تسترق مشاعره، وتستولي علىٰ أحاسيسه، وتدفعه إلىٰ محبة من يسدي إليه النعمة، ويهدي إليه المعروف، والناس مجبولون علىٰ محبة من يحسن إليهم، ولا منعم علىٰ الحقيقة، ولا محسن إلا الله، فلا محبوب في الحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تَعَالَىٰ، ولا مستحق للمحبة كلها سواه، وإنما يُحَب غيره تبعًا لمحبته سُبْحَانَهُ، وصورُ إحسانه ومظاهرها أجلُّ من أن يحيط بها العبد.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أحد أعظم إحسانًا من الله سُبْحَانَهُ؛ فإن إحسانه علىٰ عبده في كل نفس ولحظة، وهو يتقلب في إحسانه في جميع أحواله، ولا سبيل له إلىٰ ضبط أجناس هذا الإحسان، فضلًا عن أنواعه، أو عن أفراده، ويكفي أن من بعض أنواعه نعمة النفس التي لا تكاد تخطر ببال العبد، وله عليه في كل يوم وليلة أربعة وعشرين ألف نعمة، فإنه يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرين ألف نفَس، وكل نفَس نعمة منه سُبْحَانَهُ، فإذا كان أدنىٰ نعمة عليه في كل يوم أربعة وعشرين ألف نعمة، فما الظن بما فوق ذلك وأعظم منه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[النحل: ١٨].

هذا إلىٰ ما يصرف عنه من المضرات، وأنواع الأذىٰ التي تقصده، ولعلها توازن النعم في الكثرة، والعبد لا شعور به بأكثرها أصلًا، والله سُبْحَانَهُ يكلؤه منها بالليل والنهار، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء:٤٢]»(١).

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣١٥).

سابعًا: انكسار القلب بكُلِّيَّته بين يدي الله:

والانكسار بمعنىٰ الخشوع، وهو الذل والسكون، يقول تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨]، والخشوع معنىٰ يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار[١].

وعليه فإن الخشوع معنىٰ أعم من أن ينحصر في الصلاة؛ لأن التعظيم والمحبة والانكسار لله، مطلوب من المؤمن في كل حال، وإن كانت الصلاة موضعًا لظهور أثر الخشوع؛ لأنها أقرب ما يكون العبد إلىٰ ربه.

وقد كان السلف يحذرون من التكلف أو التصنع في الخشوع، ومن شواهد ذلك:

- قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترىٰ الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع»[٢].

- رأىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلًا طأطأ رقبته في الصلاة فقال: «يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إن الخشوع في القلوب»[٣].

ثامنًا: الخلوة به تَعَالَى وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه:

فأصحاب الليل هم- بلا شك- من أهل المحبة، بل هم من أشرف أهل المحبة؛ لأن قيامهم في الليل بين يدي الله تَعَالَى يجمع لهم جل أسباب المحبة

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٥١٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥١٧) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٥١٧) .

التي سبق ذكرها، وفي الحديث يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**واعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**»[1]، ويقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم أجد من العبادة شيئًا أشد من الصلاة في جوف الليل، فقيل له: ما بال المجتهدين من أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره»[2].

ولمنزلة أهل القيام عند ربهم قال الله تَعَالَىٰ عنهم: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [السجدة: ١٦]،

وتلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاتين الآيتين لمعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في معرض جوابه عن سؤاله: «أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار»، وقد جاء في هذا الحديث قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**، ثم تلا: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ** ﴾ **حَتَّىٰ بَلَغَ: «يَعْمَلُونَ»**»[3].

ولفظ الآية عام في كل عبادة ودعاء في الليل، ولكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خص قيام الرجل في جوف الليل؛ لأن صلاة الليل هي أفضل نوافل الصلاة، كما في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**»[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٠٠٥٨)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٧٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة (ص: ٦٧).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٢٢٠١٦)، والترمذي، رقم الحديث (٢٦١٦) والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث (١١٣٣٠)، ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٩٧٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٩٧٣).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١١٦٣).

تاسعًا: مجالسة المحبين والصادقين:

إن محبة المسلم لأخيه المسلم في الله، ثمرة لصدق الإيمان وحسن الخلق، وهي سياج واق يحفظ الله بها قلب العبد، ويشد فيها الإيمان حتىٰ لا يتفلت أو يضعف، وورد في ذلك شواهد كثيرة، منها:

- قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وِالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وِالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ**»[1].

- روىٰ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي، قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْهِ؟ قالَ: لَا؛ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**»[2].

- قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ**»[3].

---

(١) اخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٥٧٥)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٥٧٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٧) (المدرجة) بفتح الميم والراء: هي الطريق، وقوله: (تَرُبُّهَا): أي: تقوم بها وتسعىٰ في صلاحها.

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢١).

عاشرًا: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ:

فالقلب إذا فسد لن يجد المرء فائدة فيما يصلحه من شئون دنياه، ولن يجد نفعًا أو كسبًا في أخراه، قال تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، ومن دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا**»[١].

والقلب السليم هو السليم مما سوىٰ الله، أو مما سوىٰ عبادة الله، أو مما سوىٰ إرادة الله، أو مما سوىٰ محبة الله، وجماع سلامة القلب بالتزام الطاعات واجتناب النواهي، يقول تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾[آل عمران: ٣١].

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم- أي: امتحنهم- بهذه الآية: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]»[٢].

الأثر الخامس: الحذر مما لا يحب الله تعالىٰ:

علىٰ العبد أن يحذر ويجتنب كل مايبغضه ربه ويكرهه؛ فإن الله إذا أبغض عبدًا أبغضه الكون كله طوعًا لله تَعَالَى، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ**، قال: **فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ**

---

(١) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (١٣٠٣)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (١٣٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢).

يُنَادِي- فِي أَهْلِ السَّمَاءِ- إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قال: **فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ**»[1].

وجماع مايبغضه الله تَعَالَى: هو ماتعوذ منه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في قوله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، والأَعْمَالِ، والأَهْوَاءِ**»[2].

والأمور المبغضة عند الله تَعَالَى كثيرة، وردت في القرآن والسنة، ومنها ما يلي:

- **الكفر**، يقول تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

- **الظلم**، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، وأكبره: الشرك، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

- **الاعتداء**، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧].

- **الإفساد**، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

- **الخيانة**، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]

- **الخيلاء**، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

- **الاستكبار**، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٥٩١)، والحاكم، رقم الحديث: (١٩٥٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٩١).

- **الإسراف**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

- **الإسبال**، يقول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**يَا سُفْيَانُ بْنَ سَهْلٍ؛ لَا تُسْبِلْ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلِينَ**»[1].

وفي كتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ العديد من الأعمال والأقوال التي يبغضها الله سُبۡحَانَهُ، فعلىٰ العبد المؤمن أن يبغضها ويجتنبها.

الأثر السادس: دعاء الله باسمه تَعَالَىٰ (الودود):

محبة الله هي روح الأعمال، وأصل العبودية الظاهرة، والباطنة، فمحبة العبد لربه ليست بحول من العبد ولا قوة، وإنما هي فضل من الله وإحسان، فهو تَعَالَىٰ الذي أحب عبده فجعل المحبة في قلبه، ثم لما أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بحب آخر، فهذا هو الإحسان المحض علىٰ الحقيقة؛ إذ منه السبب، ومنه المسبب؛ ولأن محبة الله تَعَالَىٰ من أعظم العطاء الذي يعطيها الله لعبده، كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كثير السؤال لها، ففي الحديث عن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ: «**إِنَّ رَبِّي أَتَانِي اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ؟...ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، قَالَ: قُلْتُ: فَعَلِّمْنِي، قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٤٧٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٥٧٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٥٧٤).

تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِنْ أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ وَأَنَا غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبًّا يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ»[1].

وعن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَىٰ حُبِّكَ»[2].

فاللهم يا ودود، ارزقنا حبك، وحب من يحبك،

وحب عمل يقربنا إلىٰ حبك.



(١) أخرجه البزار في البحر الزخار، رقم الحديث: (٤١٧٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزارمن طريق أبي يحيىٰ، عن أبي أسماء الرحبي، وأبو يحيىٰ لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، رقم الحديث:(١١٧٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٢٣٥)، وقال: حسن صحيح، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٢٣٥).

الوكيل والكفيل والكافي جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

أولًا: (الوكيل):

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَكَل بالتحريك، وَوُكَلَة أيضًا مثل هُمَزَة، وتُكَلَة، يقال: فلان وكلَة تُكلَة، أي: عاجز يكل أمره إلىٰ غيره، ويتكل عليه... والوكيل معروف، يقال: وكلته بأمر كذا توكيلًا، والاسم: الوِكالة والوَكالة. والتوكل: إظهار العجز والاعتماد علىٰ غيرك، والاسم: التكلان، واتكلت علىٰ فلان في أمري، إذا اعتمدته...ووكله إلىٰ نفسه وكلًا كولًا، وهذا الأمر موكول إلىٰ رأيك... وواكلت فلانًا مواكلة، إذا اتكلت عليه واتكل هو عليك»(١).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُٱللَّهُ: «(وكل) الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل علىٰ اعتماد غيرك في أمرك، من ذلك الوُكَلَة، والوَكَل: الرجل الضعيف، يقولون: وُكَلَة تُكَلَة، والتوكل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد علىٰ غيرك، وواكل فلان، إذا ضيع أمره متكلًا علىٰ غيره، وسمي الوكيل لأنه يوكل إليه الأمر...»(٢).

---

(١) الصحاح (٥/ ١٨٤٤).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٣٦).

ثانيًا: (الكفيل):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكِفْل: الضعف، قال تَعَالَى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨]، ويقال: إنه النصيب، وذو الكفل: اسم نبىٰ من الانبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وهو من الكفالة... والكفيل: الضامن، يقال: كفلت به كفالة، وكفلت عنه بالمال لغريمه... وكفلته إياه فكفل هو به كفلًا وكفولًا، والتكفيل مثله، وتكفل بدينه تكفلًا، والكافل: الذي يكفل إنسانًا يعوله، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وذكر الأخفش أنه قرئ أيضًا: (وكفلها) بكسر الفاء»[١].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(كفل) الكاف والفاء واللام أصل صحيح يدل علىٰ تضمن الشيء للشيء... ومن الباب- وهو يصحح القياس الذي ذكرناه- الكفيل، وهو الضامن، تقول: كفل به يكفل كفالة، والكافل: الذي يكفل إنسانًا يعوله، قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وأكفلته المال: ضمنته إياه...»[٢].

ثالثًا: (الكافي):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(كفىٰ) كفاه مؤنته كفاية...وكفاك الشيء يكفيك، واكتفيت به.

واستكفيته الشيء فكفانيه، وكافيته من المكافأة، ورجوت مكافأتك، أي: كفايتك...وكفيك بتسكين الفاء، أي: حسبك»[٣].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٨١٠).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ١٨٧).

(٣) الصحاح (٦/ ٢٤٧٥).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكاف والفاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الحسب الذي لا مستزاد فيه، يقال: كفاك الشيء يكفيك، وقد كفى كفاية، إذا قام بالأمر، والكفية: القوت الكافي، والجمع: كفى، ويقال: حسبك زيد من رجل، وكافيك»(١).

ورود اسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله الوكيل:

ورد اسم الله الوكيل معرفًا بالألف واللام مرة واحدة في كتاب الله، وذلك في قوله تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وورد بغير الألف واللام في ثلاثة عشر موضعًا، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

ثانيًا: ورود اسم الله الكفيل:

ورد اسم الله (الكفيل) في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٨٨).

ثالثًا: ورود اسم الله الكافي:

ورد اسم الله (الكافي) في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٣٦].

ورود أسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله الوكيل:

ورد اسم الله (الوكيل) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ، مَتَىٰ يُؤْمَرُ بالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمْ: **قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**»[1].

٢- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ بَنِيهِ إِذْ قَالُوا: اللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، قَالَ: **هَاتُوا**، قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ؟ قَالَ: **تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ**، قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤْنِثُ الْمَرْأَةُ، وَكَيْفَ تُذْكِرُ؟ قَالَ: **يَلْتَقِي المَاءَانِ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجِلِ مَاءَ المَرْأَةِ أَذْكَرَتْ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ**،

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٣٠٦٦)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث (٢٤٣١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٣١).

قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ؟ قَالَ: **كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا أَلْبَانَ كَذَا وَكَذَا** - قَالَ أَبِي: قَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي: الْإِبِلَ - **فَحَرَّمَ لُحُومَهَا**، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ ؟ قَالَ: **مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ** - أو **فِي يَدِهِ** - **مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ**، قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ ؟ قَالَ: **صَوْتُهُ**، قَالُوا: صَدَقْتَ، إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: **جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ لَكَانَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ [البقرة: ٩٧]»[١].

ثانيًا: ورود اسم الله الكفيل:

ورد اسم الله (الكفيل) في السنة النبوية، ومن وروده

ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ...»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث (٢٥٢٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٣١١٧)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث (٩٠٢٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الترمذي باختصار، رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات، (٨/ ٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٢٩٠).

ثالثًا: ورود اسم الله الكافي:

لم يرد اسم الله (الكافي) في السنة النبوية.

معنى أسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: (الوكيل):

يدور معنىٰ «الوكيل» في حق الله تَعَالَىٰ علىٰ معنيين:

١- الكفيل الذي تكفل بالأرزاق، وتدبير الشؤون، وحفظ الخلائق.

٢- الكافي خلقه ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم، فيتوكلون عليه ويفوضون حاجتهم إليه.

- وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢] والله علىٰ كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ، يقوم بأرزاق جميع خلقه وأقواتهم وسياستهم وتدبيرهم»[١]، وقال في تفسير قول الله تَعَالَىٰ: «﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١]: وحسب ما في السموات وما في الأرض بالله قيمًا ومدبرًا ورازقًا، من الحاجة معه إلىٰ غيره»[٢].

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والوكيل: الكفيل أيضًا، كذلك قالوا في قوله عَزَّوَجَلَّ في سورة يوسف: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص:٢٨] أي:

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٣).

(٢) المرجع السابق (٩/ ٤٢٤).

كفيل، ويقال: رجل وكلة تكلة، إذا كان يكل أمره إلىٰ غيره»[1].

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقال معناه: أنه الكفيل بأرزاق العباد، والقائم عليهم بمصالحهم، وحقيقته أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه، ومن هذا قول المسلمين: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] أي: نعم الكفيل بأمورنا والقائم بها»[2].

۞ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المستقل بجميع ما يحتاج إليه جميع الخلق من الكفاية والوقاية، والغياث والنصرة، والرزق والإقامة، والحفظ والرعاية، إلىٰ ذلك من معاني التدبير»[3].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

۞ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] -: «يعني بقوله: حسبنا الله: كفانا الله، يعني: يكفينا الله، ونعم الوكيل يقول: ونعم المولىٰ لمن وليه وكفله، وإنما وصف الله تَعَالَىٰ نفسه بذلك؛ لأن (الوكيل) في كلام العرب هو: المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلىٰ الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: ونعم الوكيل الله تَعَالَىٰ لهم»[4].

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٣٦).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٧٧).

(٣) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ (ص: ٥٠٥).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٤٥).

۞ **قال الزجاج** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوكيل فعيل بمعنىٰ مفعول، من قولك: وكلت أمري إلىٰ فلان إذا سلمته إليه، والله تَعَالَىٰ موكول إلىٰ تطوله الأمور، كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]»[1].

۞ **قال الحليمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوكيل: وهو الموكل والمفوض إليه، علمًا بأن الخلق والأمر، لا يملك أحد من دونه شيئًا»[2].

۞ **قال السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوكيل: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، والذي تولىٰ أولياءه فيسرهم لليسرىٰ وجنبهم العسرىٰ وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلًا كفاه، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]»[3].

ثانيًا: (الكفيل):

يدور اسم الله الكفيل علىٰ معنيين:

١- الوكيل الذي ضمن للخلق رزقهم، وكفايتهم. ٢- الشهيد.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

۞ **قال مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]: «وكيلًا»[4].

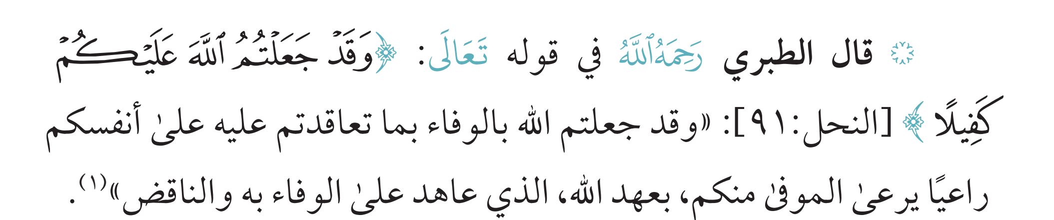
---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥٤).

(٢) المنهاج (١/ ٢٠٨).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٧).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٣).



❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]: «وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه علىٰ أنفسكم راعيًا يرعىٰ الموفىٰ منكم، بعهد الله، الذي عاهد علىٰ الوفاء به والناقض»[١].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتقبل للكفايات، وليس ذلك بعقد وكفالة ككفالة الواحد من الناس، وإنما هو علىٰ معنىٰ أنه لما خلق المحتاج وألزمه الحاجة، وقدر له البقاء الذي لا يكون إلا مع إزالة العلة، وإقامة الكفاية، لم يخله من إيصال ما علق بقاؤه به إليه، وإدراره في الأوقات والأحوال عليه، وقد فعل ذلك ربنا- جل ثناؤه-؛ إذ ليس في وسع مرتزق أن يرزق نفسه، وإنما الله- جل ثناؤه- يرزق الجماعة من الناس والدواب، والأجنة في بطون أمهاتها، والطير التي تغدو خماصًا وتروح بطانًا، والهوام والحشرات، والسباع في الفلوات»[٢].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقال منه: كفل يكفل وتكفل يتكفل: إذا ضمن والتزم»[٣].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ الكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ   لَا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نُقْصَانِ[٤]

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٨١).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤).

(٣) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ (ص: ٥٠٩).

(٤) النونية (ص: ٣٠١).

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❁ **قال الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالَى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]: «شهيدًا بالوفاء»[١].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالَى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]: «يعني: شهيدًا»[٢].

ثالثًا: (الكافي):

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختلف القراء في قراءة: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء أهل الكوفة: (أليس الله بكاف عباده) علىٰ الجمع، بمعنىٰ: أليس الله بكاف محمدًا وأنبياءه من قبله ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قراء الكوفة: (بكاف عبده) علىٰ التوحيد، بمعنىٰ: أليس الله بكاف عبده محمدًا»[٣].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكافي اسم الفاعل من كفىٰ يكف فهو كاف، فالله عَزَّ وَجَلَّ كافي عباده؛ لأنه رازقهم وحافظهم ومصلح شؤونهم، فقد كفاهم كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]»[٤].

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٩٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٩٣).

(٤) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٨٢).

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يكفي عباده المهم، ويدفع عنهم الملم؛ وهو الذي يكتفي بمعونته عن غيره، ويستغنىٰ به عمن سواه»[1].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]: «يعني أنه تَعَالَىٰ يكفي مَن عَبَدَهُ وتوكَّل عليه»[2].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه»[3]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكافي عباده كلما إليه يحتاجون، الدافع عنهم كلما يكرهون»[4].

اقتران اسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) بأي اسم من أسماء الله تَعَالَىٰ.

---

(١) شأن الدعاء (ص: ١٠١).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

(٤) فتح الرحيم الملك العلام (١ / ٤٦).

الآثار المسلكية للإيمان باسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ الوكيل الكفيل الكافي الذي تولىٰ أمر خلقه بالكفالة والكفاية، فجاءت وكالته وكفالته وكفايته علىٰ نوعين:

١- الوكالة والكفالة والكفاية العامة.

٢- الوكالة والكفالة والكفاية الخاصة.

أولًا: الوكالة والكفالة والكفاية العامة:

فوكالته وكفالته وكفايته تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عامة شاملة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، إنسهم وجنهم وبهائمهم بل حتىٰ جامدهم، الصغير منهم والكبير، والحقير والجليل، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالوكيل تَعَالَىٰ خلق الخلائق ولم يتركهم هملًا، بل تكفل بأمرهم، وكفاهم إياه من جميع الوجوه خلقًا، وإعدادًا، وتدبيرًا، وحفظًا، ورزقًا، وقوتًا ووقاية، وتعليمًا، وهداية، إلىٰ غير ذلك من ألطافه وإحسانه، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢][1]، يقول الطبري

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٣٦٣).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «والله علىٰ كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته»[1].

ومن صور الوكالة والكفالة والكفاية العامة:

- **الرزق**: فتكفل الوكيل الكفيل برزق الخلائق، وكفاهم الكافي مؤونته؛ فهيء لهم من جميع الأسباب ما يغنيهم، ويقنيهم، ويطعمهم، ويسقيهم حتىٰ أنه يسوق الرزق لضعيفهم الذي لا يقوىٰ علىٰ جمعه وتحصيله، وييسر عليه تحصيله، فيبعث إلىٰ كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتىٰ الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء، والأجنة في بطون الأمهات[2]، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وكان صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه، يقول: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي**»[3].

- **الحفظ**: فتكفل الوكيل الكفيل بحفظ الخلائق عما يضرهم، وحفظ عليهم أقوالهم وأفعالهم ومعاملتهم فيما بينهم، وكفاهم الكافي بشهادته عليهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]، وجاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٣).

(٢) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٠).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٥).

عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: **ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدهُمْ، فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ...**»[1].

وأما الوكالة والكفالة والكفاية الخاصة:

فوكالته وكفالته وكفايته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لعباده المتقين المتوكلين عليه، قال تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣]، فتولىٰ الوكيل أمرهم وكفاهم كفاية لا تقييد ولا تخصيص معها، بل تعم أمر دينهم، ودنياهم، وأخراهم، قال تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦].

ومن صور الوكالة والكفالة والكفاية الخاصة:

- رد السوء والأذىٰ عنهم في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا:

فتكفل الوكيل بكفاية رسله وأوليائه من كل من أرادهم بسوء وأذىٰ، قال تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، وقرأ حمزة والكسائي «عباده» أي: يكفي من عبده وتوكل عليه من الأنبياء والمؤمنين[2]، ومن شواهد ذلك:

• كفىٰ الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مما توعده قومه من الرجم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ١١٦ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٨ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١١٩ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦ - ١٢١].

• وكفىٰ الوكيل الكافيسُبْحَانَهُ إبراهيم الخليل شر النار مع عظمها،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٢٩٠).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٧)، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٠٠).

فأتت كفايته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما يخالف السنن الكونية لتتعطل النار عن الإحراق، قال تعَالَى: ﴿كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] فكانت عليه بردًا وسلامًا، لم ينله فيها أذىٰ، ولا أحس بمكروه ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠][1].

• وكفىٰ الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كيد النسوة، فصرف عنه كيدهن، قال تعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٢ – ٣٤].

• وكفىٰ الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بطش فرعون وجنده، قال تعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٦ – ٢٨]، «فمنعه الله تعَالَى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وقيض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون وملئه»[2].

• وكفىٰ الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ الرجل المؤمن الناصح عقوبات ما مكر فرعون وآله من إرادة إهلاكه وإتلافه، بل قلب كيدهم ومكرهم علىٰ أنفسهم، قال تعَالَى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥]، فأغرقهم الله تعَالَى في صبيحة واحدة عن آخرهم[3].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥١)، وتفسير السعدي (١ / ٥٢٦).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٣٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٧٣٩).

• وكفى الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مكر الكفار من إرادة قتله وإطفاء نوره، بل جازاهم على مكرهم مكرًا خيرًا منه، قال تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٥٤ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٤-٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٩][1].

• وكفى الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ أصحاب الكهف فتنة قومهم لهم عن دينهم، كما كفاهم قتلهم، قال سُبْحَانَهُ حكاية عن قولهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ١٩-٢٠]، فكفاهم ذلك كله، وجعلهم آية وعبرة لقومهم ومن جاء بعدهم، فأظهر أمرهم، ورفع قدرهم[2].

• وكفى الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه شر الكفار والمنافقين، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٨]

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ١٣٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٧٣).

- فكفاهم شر قريش في بدر مع كثرة محاربيهم، وما معهم من العدة الكاملة، والسلاح العام، والخيل الكثيرة، فكفاهم بما أمدهم به من الملائكة، فانقلبوا منتصرين، قال تعالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٥]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ، عَلَىٰ ثَنَايَاهُ النَّقْعُ»[(١)(٢)].

- وكفاهم شر أبي سفيان ومن معه من المشركين في أحد، إذ هموا بالرجوع إلىٰ المدينة، واستئصال من بقي من المسلمين، فألقىٰ الكافي سُبْحَانَهُ في قلوبهم الرعب، فاستمروا راجعين إلىٰ مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل، قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤][(٣)].

- وكفاهم شر الأحزاب وعددهم وعدّتهم، فلم يحتاجوا إلىٰ منازلتهم ومبارزتهم، بل كفاهم بما أرسل علىٰ عدوهم من ريح الصبا التي زعزعت مراكزهم، وقوضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وبما قذف في

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ١٩٦) ،والبيهقي في الدلائل (٣/ ٨١)، حكم الألباني: حسن، فقه السيرة للغزالي: (ص٢٣٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ١٧٣)، تفسير السعدي (ص: ١٤٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٩)، تفسير السعدي (ص: ١٥٧).

قلوبهم من الرعب، فانصرفوا خائبين، لم يصيبوا خيرًا في الدنيا من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعادة دينه، فكفىٰ الله وحده المؤمنين، ونصرهم، قال تَعَالَى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ**»[(١)]،[(٢)].

- وكفاهم بعد الأحزاب قتال قريش وغزوهم، فوُضعت الحرب بينهم وبين قريش، فلم تغز قريش بعد ذلك، بل كان المسلمون هم من يغزونهم حتىٰ فتحوا مكة، قال تَعَالَى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الأحزاب: «**لَنْ تَغْزُوَكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ**»[(٣)]، وقال أيضًا: «**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنا**»[(٤)][(٥)].

- وكفاه شر اليهود والنصارىٰ الذين قالوا: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥]، فقتل منهم بني قريظة وسبىٰ ذراريهم وقسم أموالهم، وأجلىٰ منهم بني قينقاع، وبني النضير وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنوا- بنو النضير- أنها مانعتهم من بأس الله، فلم تغن عنهم من الله شيئًا[(٦)]، وأذل بعضهم وأخزاهم بالجزية والصغار، فتبارك

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٤١١٤)، ومسلم، رقم الحديث :(٢٧٢٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤٢)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٦)، تفسير السعدي (ص: ٦٦٢).

(٣) السيرة النبوية، لابن كثير (٣/ ٢٢١).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤١١٠).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٦).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٧).

القائل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧][1].

- وكفاه شر المستهزئين به والساخرين في قديم الزمان وحديثه؛ «فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قِتْلَة»[2]، قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥][3].

- وكفاه من دبر وبيت معصيته، ومن أراد خداعه والمكر به، قال تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١][4]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صَالِحْهُمْ وتوكل علىٰ الله، فإن الله كافيك وناصرك، ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك وحده»[5]، [6].

- وكفاهم الشياطين وشرهم، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]، وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلىٰ اللهِ،**

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ١١٦)، وتفسير السعدي (ص: ٦٨).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٣٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٥٣)، وتفسير السعدي (ص: ٤٣٥).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٨٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٤).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤)، تفسير السعدي (ص: ٣٢٥).

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، قال: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّىٰ لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟»[1].

- وأما في الآخرة:

فتكفل الوكيل بكفاية رسله وأوليائه في الآخرة من كل ما يؤذيهم، ومن ذلك:

• كفايته لهم إذا حضرهم الموت الحزن علىٰ ما مضىٰ، والخوف علىٰ ما يستقبلهم بما ينزل عليهم من الملائكة المبشرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢][2].

• كفايته لهم شر فتنة القبر بالتثبيت عند السؤال، والتوفيق لحسن الجواب، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلامُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له، رقم الحديث :(٥٠٩٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٢٦)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٩٨٣٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٤٨).

رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَيَقُولانِ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ**»[1].

• كفايته لهم ضيق القبر بما يوسع لهم فيه، وظلمته بما يجعل لهم من النور، وعذابه بما يفتح لهم من أبواب الجنة، ووحشته بما يجعل لهم من الأنيس، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث البراء: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**»، قال: **فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ**، قال: **وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ! فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ؛ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي**»[2].

• كفايته لهم شدة القيامة وهوله بورود الحوض، وبما يمن علىٰ من شاء منهم بالظل، وبالنور علىٰ الصراط، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢]، وقال جل في علاه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «علىٰ قدر أعمالهم يمرون علىٰ الصراط، منهم من نوره مثل الجبل،

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث :(٤٧٥٣)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث: (١٠٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٧٥٣).

(٢) تقدم قبله.

ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا: مَن نوره في إبهامه، يتقد مرة ويطفأ مرة»[1].

• كفايته لهم عذاب النار «فلا يدخلونها، ولا يكونون قريبًا منها، بل يبعدون عنها، غاية البعد، حتىٰ لا يسمعوا حسيسها، ولا يروا شخصها، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٢]»[2].

- **ثم إن هذه الوكالة والكفالة والكفاية العامة والخاصة** في منتهىٰ الكمال والتمام ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣]، وكيف لا تكون كذلك، وهو الوكيل الحي الذي لا يموت، قال تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

• وهو الوكيل الملك الذي ملك المشرق والمغرب وما بينهما، قال تَعَالَى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦].

• وهو الوكيل الغني، الذي مهما كفل وأعطىٰ خلقه ما سألوه واحتاجوه لم ينقص ما عنده، بل يمينه سُبْحَانَهُ ملأىٰ لا تغيضها نفقة، ولو أن عباده كلهم قاموا في صعيد واحد، فسألوه فأعطىٰ كل واحد مسألته ما نقص ذلك مِن ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخِلَ البحر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٣١).

• وهو الوكيل العليم الذي أحاط علمه بما وكل إليه، قال تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

• وهو الوكيل العزيز الرحيم، قال تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧] «بعزته يقدر علىٰ إيصال الخير ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك»[1].

• وهو الوكيل الحكيم الذي يحكم بحكمه، ولا يضيع من وثق بحسن تدبيره، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

• وهو الوكيل الهادي الذي يهدي العبد إلىٰ سواء السبيل، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

• وهو الوكيل الحسيب الكافي الذي يكفي عبده كل ما أهمه، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

• وهو الوكيل الذي يرجع الأمر كله إليه، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، فَسُبْحَانَهُ ما أعظمه وأجله، يقول تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٩٩).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الوكيل، الكفيل، الكافي) على التوحيد:

إذا تأمل العبد في اسم الله جَلَّجَلَالُهُ (الوكيل، والكفيل، والكافي) قاده ذلك لتوحيد ربه عَزَّوَجَلَّ في الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

فأما الربوبية: فلما تدل عليه هذه الأسماء من قيام بشؤون الخلق كلهم على وجه التفرد تدبيرًا، وتصريفًا، ورزقًا، وهداية، وحفظًا، ونفعًا وضرًّا إلى غير ذلك من أفراد الربوبية، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢] فـ«لله ملك جميع ما حوته السموات والأرض، وهو القيم بجميعه، والحافظ لذلك كله، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يؤوده حفظه وتدبيره»[(١)]، وبهذا علم أنه الرب الحق تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وأما الألوهية: فلما تدل عليه هذه الأسماء من استحقاق الله للعبودية وحده لا شريك له؛ فإن الوكيل الذي تولى أمر العباد فتكفل بما يحتاجون إليه من الرزق، والتدبير، والرعاية، والحفظ، والوكيل الذي كفاهم همهم وغمهم وكل ما يضرهم هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

واستحقاقه على وجه الخصوص الإفراد بالتوكل وتفويض الأمور إليه، قال تَعَالَى آمرًا عباده بذلك: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣]،

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٩٧).

وقال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ ناهيًا عباده عن اتخاذ وكيل غيره: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢].

ويعلم من هذا أن صرف التوكل لغير الله شرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما رجا أحد مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]»[(١)].

«لكن التوكل علىٰ غير الله قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون علىٰ الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكل علىٰ أمير أو سلطان، فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذىٰ ونحو ذلك، فهذا نوع شرك خفي.

والوكالة الجائزة هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه، ولكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله، بل يتوكل علىٰ الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٥٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٢٨-٤٢٩).

وأما في الأسماء والصفات: فلما تدل عليه هذه الأسماء من أسماء أخرىٰ له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كالحي، والقيوم، والعليم، والحكيم، والقدير، والقوي، ونحو ذلك؛ وذلك لأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له من الصفات أكملها وأرفعها، فلما كان وكيلًا، كفيلًا، كافيًا فإن تمام ذلك كله وكماله إنما يكون بعلم تام بما تولاه، وقوة وقدرة علىٰ التنفيذ، وحكمة في التدبير والتصريف، ولا يكون ذلك إلا من الحي القيوم»[1].

الأثر الثالث: الثقة في الوكيل الكفيل الكافي:

إذا تأمل العبد اسم الله (الوكيل، والكفيل، والكافي)، واستشعر ما فيه من عموم الوكالة التي وسعت جميع الخلائق مع اختلافهم وتعدد حاجتهم، فلم تضق عن أحد منهم دون أحد، ولا عن حاجة دون حاجة بل شملت الجميع؛ أورثه ذلك اليقين بأن وكالته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا تضيق عن حاجته التي أهمته، ولا عن حزنه الذي أحاط به، ولا عن مصابه الذي ألم به و لا عن رزقه الذي أشغله، ولا عن عدوه الذي نزل به ولو كان في غاية القوة، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦].

ثم إذا تيقن العبد هذا أورثه ذلك الثقة بالله عَزَّوَجَلَّ والتعلق به وإنزال حاجته وفاقته به وعدم استكثارها، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالْغِنَىٰ، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنًى عَاجِلٍ»**[2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٠٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٩٤٦)، وأبو داود واللفظ له، رقم الحديث :(١٦٤٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث :(١٦٤٥).

ثم هذا يعود علىٰ قلبه بالطمأنينة والسكون أمام ما يوجهه من المصائب والأهوال، ويعود عليه بالرجاء بنصر الله علىٰ أعدائه، وحسن الظن بكفايته لهم ويذهب عنه اليأس والخوف من المخلوق والإحباط والتشاؤم، ويعود عليه- أيضًا- بعدم الشعور بالقلق والهلع علىٰ الرزق والمطالب، بل يتوكل علىٰ الوكيل الكفيل الكافي فيها، ويأخذ بالأسباب المشروعة، ثم يرضىٰ بما قسم له منها، ويعلم أن ما فاته ليس له نصيب فيه، ولو أن له مثقال ذرة فيه لما فات الكفيل إيصاله إليه، فلا تذهب نفسه عليه حسرات.

الأثر الرابع: محبة الله (الوكيل، الكفيل، والكافي) وشكره:

إن العبد حين يعرف ربه بأسمائه (الوكيل، الكفيل، والكافي) ويوقن أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تولاه بالكفالة إيجادًا، وإعدادًا، وتدبيرًا، وحفظًا، ورزقًا، فحصل بها وجوده ودوامه وكماله، وتولاه بكفايته عما يحتاجه ويضره في أمر دينه ودنياه، ولم يكله إلىٰ أحد من خلقه، حتمًا سيثمر ذلك في قلبه محبة وتعلقًا، وإقبالًا، وودًّا للوكيل جل في علاه.

الأثر الخامس: الدعاء باسم الله (الوكيل، الكفيل، الكافي):

فالعبد لا غنىٰ له عن ربه طرفة عين، فيحتاج إلىٰ كفالة وكفاية وركن يأوي إليه، ويفوض أمره إليه، ويطلب منه عونه، ويعلق عليه رجاءه محسنًا ظنه به، ولذا فإن من أثر يقين القلب باسم الله الوكيل الكفيل الكافي دعاؤه سُبْحَانَهُ بها وما فيها من صفات، والتوسل إليه بالتعبد بها.

ومما جاء عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، ما يلي:

١- دعاء الخروج من المنزل، كما في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ**... قال: **فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ**»[(١)].

٢- دعاء الاستفتاح، كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل يتهجد، قال: **اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[(٢)].

٣- دعاء قضاء الدين في حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وتقدم قريبًا-، وفيه قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**»[(٣)].

٤- دعاء الاستخارة؛ فعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: **إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٣٥)، والترمذي، رقم الحديث :(٣٥٦٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث :(٣٥٦٣).

فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الأَمْرَ- ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ- خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - قَالَ: أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، اللهمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- أو قال: **فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ**»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود: أن الاستخارة توكل علىٰ الله وتفويض إليه واستقسام بقدرته وعلمه وحسن اختياره لعبده، وهي من لوازم الرضىٰ به ربًّا، الذي لا يذوق طعم الإيمان من لم يكن كذلك، وإن رضي بالمقدور بعدها فذلك علامة السعادة»[2].



(١) سبق تخريجه.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٤٠٦).

الوكيل الكفيل الكافي يحب المتوكلين

أولًا: تعريف التوكل:

- المقصود بالتوكل:

❊ **قال الجرجاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس»[1].

❊ **قال ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صدق الاعتماد علىٰ الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله، وفعل الأسباب التي جعلها الله تَعَالَىٰ أسبابًا»[2].

فتبين مما سبق أن التوكل يقوم علىٰ أمرين:

١ -علم القلب وعمله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

وأما عمله: فسكونه إلىٰ وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه»[3].

---

(١) التعريفات، الجرجاني (ص: ٧٤).

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١/ ٥٧٥).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٥٧).

٢- عمل الجوارح، بالأخذ بالأسباب المشروعة:

فمن كان أكثرُ اعتماده علىٰ الأسباب؛ نقص توكله علىٰ الله، وقدح في كفايته، وكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه.

وبالمقابل: من جعل اعتماده علىٰ الله ملغيًا للأسباب، لم يحقق التوكل بل وطعن في حكمة الله؛ لأن الله جعل لكل شيء سببًا، وربط الأسباب بمسبباتها(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسر التوكل وحقيقته: هو اعتماد القلب علىٰ الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت علىٰ الله، مع اعتماده علىٰ غيره وركونه إليه وثقته به»(٢).

ومما يدل علىٰ أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، ما يلي:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بالأخذ بالأسباب كما أمر بالتوكل، فقال سُبْحَانَهُ لأيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤] مع أن ضرب الرجل في الأرض لا ينبع ماء، ولكن لنعلم أنه لا بد من اتخاذ الأسباب ولو كانت ضعيفة، فالأمر أمره والكون كونه، وقال لمريم مع ضعفها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥]، ومع قدرته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أن ينزل لها الرطب جنيًّا، بل مائدة عليها

---

(١) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (٢/ ٨٨).

(٢) الفوائد (ص: ٨٧).

أشهىٰ المأكولات من غير هز ولا غيره، إلا أنه سُبْحَانَهُ علمنا بهذا أن نأخذ بالأسباب مع الأمل و الثقة به.

٢- أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته من أكمل الناس توكلًا، ومع ذلك أخذوا بالأسباب، فأخذوا الزاد في الأسفار، وتاجروا في الأسواق، واتقو البرد والحر، ولبسوا الدروع والمغافر في الحروب، وأخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه أبو بكر في طريق الهجرة دليلًا يدلهم علىٰ الطريق، وخرجا في وقت يغفل الناس فيه، ومن طريق غير متوقع، كل هذا أخذًا بالأسباب، مع أن الله تَعَالَى قال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

٣- أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكىٰ لنا كمال توكل الطيور مع أخذها بالأسباب، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُم تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**[1]»[2]، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشار بذلك إلىٰ أن التوكل ليس التبطل والتعطل، بل لا بد فيه من التوصل بنوع من السبب؛ لأن الطير ترزق بالسعي والطلب، ولهذا قال أحمد: ليس في الحديث ما يدل علىٰ ترك الكسب، بل فيه ما يدل علىٰ طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا علىٰ الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير

---

(١) (تغدو) أي: تذهب أول النهار (خماصًا) بكسر الخاء جمع خميص، أي: جياعًا (وتروح) أي: ترجع آخر النهار (بطانًا) بكسر الباء جمع بطين، وهو: عظيم البطن، والمراد: شباعًا. ينظر: تحفة الأحوذي (٧/ ٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث :(٢١٠)، والترمذي، رقم الحديث :(٢٣٤٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٦٤)[حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث (٢٣٤٤).

بيده، لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير لكن اعتمدوا علىٰ قوتهم وكسبهم، وذلك ينافي التوكل»[1].

ومن هنا يعلم الفرق بين التوكل والتواكل، فالتوكل فيه أخذ للأسباب المشروعة، أما التواكل فهو ترك الأسباب، وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «يرفع أحدكم يديه إلىٰ السماء يقول: يارب... يارب... وهو يعلم أن السماء لاتمطر ذهبًا ولا فضة»[2].

ثانيًا: منزلة التوكل وفضله:

التوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مقام جليل عظيم، بل ومن أعظم مقامات الدين، وأفضل الأعمال والعبادات المقربة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومما يدل علىٰ عظيم منزلته في الدين: أمور عدة، منها:

١- أن التوكل نصف الدين؛ فالدين توكل وعبادة، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والتوكل شامل للاستعانة؛ إذ الاستعانة تكون علىٰ الأعمال خاصة، والتوكل أعم من ذلك، فيكون التوكل لذلك ولجلب منفعة، ودفع مضرة[3].

٢- أن التوكل مطلوب في كل أحوال العبد، سواء كانت دينية أو دنيوية مباحة، ويدل علىٰ ذلك: عموم الأدلة الآمرة بالتوكل، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣].

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (٢/ ٣٠٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٦٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ١٧٧).

٣- أن التوكل من لوازم الإيمان ومقتضياته، بل جعله الله عَزَّوَجَلَّ شرطًا في الإيمان، قال تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

٤- أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بالتوكل في مواضع عديدة من كتابه، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أمر الله بالتوكل في غير آية، أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة»(١)، فأمر الله بالتوكل جاء مطلقًا عامًّا في جميع شؤون الحياة، كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣]، وجاء مقرونًا بمقامات معينة، تحتاج إلى مزيد توكل، منها:

أ- مقام العبادة، قال تَعَالَى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

ب- مقام الدعوة، قال تَعَالَى عن نبيه نوح الذي مكث في الدعوة والإنذار زمنًا طويلًا: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [يونس: ٧١]، وقال سُبْحَانَهُ لنبيه محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والأمة من بعده: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨- ١٢٩].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦).

ج- مقام الحكم والقضاء، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

د- مقام الجهاد والقتال وطلب النصر، قال تَعَالَى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وقال تَعَالَى في مقام السلم وانتهاء الحرب: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١] دال على بقاء التوكل والارتباط حتى بعد المعركة.

ر- مقام الشورى، قال تَعَالَى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ش- مقام طلب الرزق، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢-٣]،

ص- مقام العهود والمواثيق وإبرام العقود، قال تَعَالَى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧-٢٨].

ن- مقام الهجرة في سبيل الله، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ

﴿مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

و- مقام المصائب والابتلاء، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ي- الاستعاذة من الشيطان، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٨-٩٩].

ثالثًا: ثمرات التوكل:

ثمرات التوكل ونتائجه علىٰ أهله كثيرة، ومنها:

١- تحقيق الإيمان؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ جعل التوكل من شرط الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وجعله من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨- ٥٩].

٢- تحصيل محبة الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكفىٰ بهذا فضلًا وشرفًا.

٣- التوفيق والهداية والوقاية من كل شر، قال رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ قَالَ- يعني: إذا خرج من بيته-: **بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: هُدِيتَ وَوُقِيتَ وَكُفِيتَ**»[1].

ومن ذلك: الوقاية من تسلط الشياطين وشرهم؛ قال تعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٩٩]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

٤- جلب الرزق من حيث لا يحتسب المرء؛ فعن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[2].

حصول النصر والتمكين، قال تعالَى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤].

٥- الشعور براحة القلب وطمأنينته؛ لثقته بالله وحسن ظنه به، كما يؤدي للثبات أمام الشدائد وزوال الخوف من الخلق، قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

٦- الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي وعدهم الله به، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦][1].

٧- دخول الجنة بغير حساب ولا عقاب؛ فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال: **هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[2].

قال ابن قاسم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فتركوا الشرك رأسًا، ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها، وتركوا الكي وإن كان يراد للشفاء، والحامل لهم علىٰ ذلك: قوة توكلهم علىٰ الله، وتفويض أمورهم إليه، وثقتهم به، ورضاهم عنه، وصدق الالتجاء إليه، وإنزال حوائجهم به تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والاعتماد بالقلب

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٧٥٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٨).

الذي هو نهاية تحقيق التوحيد، وهو الأصل الجامع الذي تفرعت عنه تلك الأفعال والخصال»[1].

٨- تحصيل كفايته للأمر الذي توكل فيه العبد عليه؛ فإن العبد إذا توكل علىٰ ربه حق التوكل، بأن اعتمد بقلبه علىٰ ربه اعتمادًا قويًّا كاملًا في تحصيل مصالحه ودفع مضاره، وقويت ثقته وحسن ظنه بربه حصلت له الكفاية التامة، وأتم الله له أحواله وسدده في أقواله وأفعاله، وكفاه همه، وجلا عنه غمه، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه كل أموره الدنيوية والدينية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توضيح العلاقة بين التوكل والكفاية: «والتوكل من أقوىٰ الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذىٰ الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوىٰ الأسباب في ذلك؛ فإن الله حسبه: أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذًىٰ لا بد منه؛ كالحر والبرد، والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا، وفرق بين الأذىٰ الذي هو في الظاهر إيذاء له- وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه- وبين الضرر الذي يتشفىٰ به منه.

قال بعض السلف: جعل الله تَعَالَى لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: «ومن يتوكل علىٰ الله فهو حسبه»، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سُبْحَانَهُ كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد علىٰ الله تَعَالَى حق

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٤٦).

توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لـجعل له مخرجًا من ذلك، وكفاه ونصره»[1].

وقال أيضًا: «ولو توكل العبد علىٰ الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه- وكان مأمورًا بإزالته- لأزاله»[2].

رابعًا: الأسباب المعينة على تحقيق عبادة التوكل:

من رحمة الله بعباده وحكمته أن جعل لكل عمل من أعمال القلوب والجوارح بواعث تدفع النفوس إليه، وتحض عليه، ومما يبعث النفوس علىٰ التوكل ويعين عليه جملة من الأمور، منها:

١- **معرفة الله بأسمائه الحسنىٰ**؛ فمن عرف ربه الوكيل وضم إلىٰ ذلك الحي، القيوم، العليم، الحكيم، الرحيم، اللطيف، العزيز، القادر القدير، الفعال لما يريد، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ وجد نفسه مدفوعًا إلىٰ الاستناد إليه، والتوكل عليه.

ومن عرف ربه الوكيل وضم إلىٰ ذلك أنه الكفيل الرزاق ذو القوة المتين، الذي تكفل بالأرزاق لـخلقه وضمن لهم وصولها إليهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣] فلا يفوت أحد رزقه، ولا يستطيع أحد أن يأخذه دونه- مُلئ قلبه بالتوكل عليه، ومن عرف ربه الوكيل وضم إلىٰ ذلك أنه الناصر القهار الذي ينصر

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٦٦).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٠٣).

أوليائه الذين آمنوا علىٰ عدوهم، ويؤيدهم بمعونته، ويملي للظالمين، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ويمهل، ولا يهمل- توكل عليه وأحسن الظن به.

ومن هنا نجد أن الله عَزَّوَجَلَّ في عدد من الآيات يربط بين التوكل وبين أسمائه الحسنىٰ، ومن ذلك:

- قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

- وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩].

٢- تأمُّل الإنسان في ضعفه؛ فإن العبد إذا تأمل في نفسه وكيف أنه لم يكن شيئًا مذكورًا، ثم خُلِقَ من ماء مهين، ثم خرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا، ثم علَّمه الله بما أعطاه من أدوات السمع والبصر والفؤاد؛ ليتعلم ما لم يكن يعلم، ومنحه من الإرادة والقدرة ما يمكنه من أداء رسالته في الأرض، إلا أن ذلك كله محدود بما يناسب ضعف البشر وعجزهم، ثم بعدُ يموت ويفنىٰ.

ثم إذا تأمل أن وجوده، وحياته، وبقاءه، وعلمه، وإرادته، كلها ليست بذاته ولا من ذاته، بل بالله عَزَّوَجَلَّ؛ علم حقَّ العلم وتيقَّن أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، الذي خلقه فسواه، وعلَّمه ما لم يكن يعلم، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فقاده ذلك العلم واليقين إلىٰ التوكل عليه والتعلق به تعلق العاجز بالقدير، والضعيف بالقوي، والفقير بالغني، والجهول بالعليم، والمحدَث بالأول، والذليل بالعزيز، والفاني بالباقي.

٣- **تحقيق التوحيد**؛ فإن العبد إذا حقق التوحيد كان نصيبه من التوكل أعظم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: ١٢٩].

٤- **الاشتغال بالآخرة ورضا الله عَزَّوَجَلَّ**؛ فعن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا- هَمَّ المَعَادِ- كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ**»[١]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»[٢].

وقال عون بن عبد الله بن عتبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أهل الخير إذا التقوا يوصي بعضهم بعضًا بثلاث، وإذا غابوا كتب بعضهم إلىٰ بعض: من عمل لآخرته كفاه الله دنياه، ومن أصلح فيما بينه وبين الله كفاه الله الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته»[٣].

٥- **الصلاة علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فعن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه، قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا**

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٦)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (١٧٤٤)، والبزار، رقم الحديث :(١٦٣٨-البحر الزخار)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث) :٤١٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٩٨٥٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث) :٢٤٦٥).

(٣) الزهد، لهناد بن السري (١/ ٣٠٠) .

النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيه. قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي[1]؟ فقال: **مَا شِئْتَ**، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، **قال: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: **إِذًا تُكْفَىٰ هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»[2].

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هاتين الخصلتين- أي: كفاية الهم، ومغفرة الذنب- جماع خير الدنيا والآخرة، فإن من كفاه الله همه سلم من محن الدنيا وعوارضها؛ لأن كل محنة لا بد لها من تأثير الهم وإن كانت يسيرة، ومن غفر الله ذنبه سلم من محن الآخرة؛ لأنه لا يوبق العبد فيها إلا بذنوبه»[3].

٦- متابعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتفاء أثره، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند قوله تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر ٣٦]: «والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سُبْحَانَهُ علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدىٰ والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة»[4].

---

(١) أي: كم أجعل لك من دعائي صلاة عليك؟ ينظر: تحفة الأحوذي (٧/ ١٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٥٧)، والحاكم، رقم الحديث: (٣٥٩٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٥٧).

(٣) مشكاة المصابيح، مع شرحه مرعاة المفاتيح (٣/ ٥٤٦).

(٤) ينظر: زاد المعاد (١/ ٣٦).

٧- **صلاة الضحىٰ**؛ فعن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله قال: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، اكْفِنِي أَوَّلَ النَّهَارِ بِأَرْبَعِ رَكعَاتٍ أَكْفِكَ مِنْ آخِرِ يَوْمِكَ**»[(١)]، قال العيني رَحِمَهُٱللَّهُ: «أكفك آخر النهار من كل شيء، من الهموم والبلايا ونحوهما»[(٢)].

٨- **الدعاء وسؤال الله الكفاية** كما هو هدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فقد دعا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ عامر، فقال: «**اللَّهُمَّ اكفْنِي عَامِرًا**»، فَكَفَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ نَزَلَ بِفِنَائِهِ، فَرَمَاهُ اللهُ بَالذَّبْحَةِ فِي حَلْقِهِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ سَلُولٍ[(٣)].

وعلَّم أصحابه والأمة من بعدهم سؤال الكفاية؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ**- يعني: إذا خرج من بيته-: **بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّىٰ عَنْه الشَّيْطَانُ**»[(٤)].

فاللهم ارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك يا الله.



(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١/ ١٩٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني، رقم الحديث (٥٧٢٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، وفيه عبد المهيمن بن عباس وهو ضعيف، رقم الحديث: (١٠١٢٦).

(٤) سبق تخريجه.

الوليُّ المولى جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

- **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولي: القرب والدنو، يقال: تباعد بعد ولىٰ، و(**كُلْ مِمَّا يَلِيكَ**)[1]، أي: مما يقاربك... والوَلِيُ: ضد العدو، يقال منه: تولاه...»[2].

- **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل علىٰ قرب، من ذلك الوَلْي: القرب، يقال: تباعد بعد ولي، أي: قرب، وجلس مما يليني، أي: يقاربني...»[3].

ورود اسم الله (الولي، المولى) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله الولي في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الولي) في كتاب الله في مواضع كثيرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٢- قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٣٧٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٠٢٢).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٥٢٨).

(٣) مقاييس اللغة (٦/ ١٤١).

٣- قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ثانيًا: ورود اسم الله المولى في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المولىٰ) في كتاب الله في اثني عشر موضعًا، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢- قوله تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

٣- قوله تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

ورود اسم الله (الولي، المولى) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الولي، المولىٰ) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ فَقَالَ: **إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذا، حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَومَ وأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**، فَهَزَمُوهُمْ،...ثُمَّ أَخَذَ أبو سفيان يَرْتَجِزُ: أَعْلُ هُبَلْ، أَعْلُ هُبَلْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَلَا تُجيبوا لَهُ؟** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ؟ قَالَ: **قُولُوا: اللهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ**. قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّىٰ وَلَا عُزَّىٰ لَكُمْ، **فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟** قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ؟ **قَالَ: قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»(١).

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٠٣٩).

٢- عن زيد بن الأرقم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ العَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والهَرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»(١).

معنى اسم الله (الولي، المولى) في حقه سُبْحَانَهُ:

يرجع معنىٰ اسم الله (الولي، والمولىٰ) إلىٰ معنىٰ الولاية العامة، والولاية الخاصة.

فالولاية العامة: تولي الله الخلق بالملك، والتدبير، والتقدير.

والولاية الخاصة: تولي الله المؤمنين بالمحبة، والتوفيق، والنصر، والتأييد، ونحو ذلك.

وعلىٰ هذا تدور أقوال أهل العلم:

❁ قال الطبري رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]: «نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه»(٢).

وقال في قوله تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]: «وليكم وناصركم علىٰ أعدائكم الذين كفروا»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤٢٤).

(٣) المرجع السابق (٧/ ٢٧٨).

❁ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولي: الناصر، وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهو تَعَالَىٰ وليهم بأن يتولىٰ نصرهم وإرشادهم، كما يتولىٰ ذلك من الصبي وليه، وهو يتولىٰ يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم»(١).

❁ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اسم الله الولي: «فالله عَزَّوَجَلَّ ولي المؤمنين، أي: ناصرهم ومصلح شؤونهم والمثنىٰ عليهم... ويقال: «فلان ولي فلان» أي: ولي نعمته، أي: قد أولاه نعمته وأنعم عليه، وأسداها إليه، فلم يحل بينه وبينها، فالله عَزَّوَجَلَّ ولي المؤمنين بإنعامه عليهم وإحسانه إليهم»(٢).

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولي: المتولي للأمر والقائم به، كـ(ولي اليتيم)، و(ولي المرأة في عقد النكاح)، وأصله من (الوَلْي) وهو القرب، فتكون ولاية خاصة»(٣)، وقال: «المولىٰ: الناصر والمعين»(٤).

❁ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولي: الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع فيه ذلك لم يطلق عليه الولي فتكون ولايةً عامةً»(٥).

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله ولي الذين آمنوا وهم أولياؤه، فهم يوالونه بمحبتهم له، وهو يواليهم بمحبته لهم»(٦).

---

(١) تفسير الأسماء الحسنىٰ (ص: ٥٥).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١١٣).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٧٨).

(٤) المرجع السابق (ص: ١٠١).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢٧).

(٦) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٢٢٩).

❊ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨]: «الذي يتولىٰ عباده بأنواع التدبير، ويتولىٰ القيام بمصالح دينهم ودنياهم»(١).

❊ وقال في قوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]: «والله تَعَالَى وليهم وناصرهم ومؤيدهم»(٢).

اقتران اسم الله (الولي، المولى) بأسمائه الأخرى- سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الولي) بالأسماء الأخرىٰ:

أولًا: اقترن اسم الله تَعَالَى (الولي) باسمه تَعَالَى (الحميد).

تقدم بيانه في اسم الله (الحميد).

ثانيًا: اقتران اسم الله (المولىٰ) بالأسماء الأخرىٰ:

اقترن اسمه تَعَالَى (المولىٰ) باسمه تَعَالَى (الحق):

تقدم بيانه في اسم الله (الحق).

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٥٩).

(٢) المرجع السابق (ص: ١٣٤).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الولي، المولى):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الولي - المولىٰ) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ الولي المولىٰ الذي خلق الخلق، فلم يتركهم هملًا، بل تولاهم، قال تَعَالَى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وولايته جَلَّجَلَالُهُ لخلقه علىٰ نوعين:

١-ولاية عامة.

٢-ولاية خاصة.

فالنوع الأول: الولاية العامة:

الله جَلَّجَلَالُهُ الولي المولىٰ، الذي عمت ولايته جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، العاقل منهم وغير العاقل، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

فتولىٰ السماوات السبع وما فيهن من الملائكة والأجرام شمسًا، وقمرًا، ونجمًا، وما يتبعها من الليل والنهار، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

وتولىٰ الأراضين السبع ومن فيهن، من الجن والإنس، يقول تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٤ - ١٦].

وتولىٰ الأنبياء الذي هم أتقىٰ الخلق، كما تولىٰ الطغاة الكفرة الذين هم أفجر الخلق، وتولىٰ الشاب القوي القادر كما تولىٰ الرضيع العاجز الذي لا

يملك حولًا ولا قوة، وتولىٰ الصحيح المعافىٰ كما تولىٰ المريض الطريح، وتولىٰ الغني الفرح كما تولىٰ الفقير الكسير، قال تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وتولىٰ - أيضًا- البهائم العجماء، فتولىٰ الأسد علىٰ عظم قوته وقدرته علىٰ فريسته، كما تولىٰ النمل، والعنكبوت، والبعوض، وسائر الحشر علىٰ ضعفها وحقارتها، وتولىٰ الصقر القوي كما تولىٰ العصفور الصغير الذي يخرج خماصًا فيعود بطانًا، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦].

وتولىٰ السفن في البحر، كما تولىٰ الطائرات في السماء، والمراكب في الأرض، قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

وتولىٰ الريح وتصريفها، كما تولىٰ المطر وقطره، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٖ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوْمٖ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥].

وهذا التولي يقتضي توليه لهم بحكمه القدري، والشرعي، والجزائي:

فالكل تولاه الولي المولىٰ بحكمه القدري، فنفذ فيه ما شاء من أنواع التدبير، وما قضىٰ من التصريف، وما أراد من التقدير خيرًا وشرًّا، ونفعًا وضرًّا، وحياة وموتًا، قال تَعَالَى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [الشورىٰ: ٩].

وتولاهم بما قدر لهم من نعمه التي لا تُعد ولا تُحصىٰ، وأقام لهم مصالحهم وحاجاتهم؛ ابتدأ بالخلق، ثم الرزق، والتعليم، والحفظ، والشفاء، وكشف الضر، وإجابة الدعاء، وإنزال المطر ونحو ذلك، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٢- ٣][(١)].

فالكل تحت ولايته ورعايته، وطوع تقديره وحكمه، لا خروج لأحد عنه طرفة عين، قال تَعَالَى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

والكل من الثقلين تولاه الولي المولىٰ بحكمه الشرعي، فأنزل الشرائع التي فيها تحقيق مصالحهم وطيب حياتهم في الدنيا والآخرة، فما من أمة إلا وبعث فيها رسولًا مؤيَّدًا بالبراهين والحجج، قال تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] حتىٰ ختمهم بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أرسله هدىٰ ونورًا للعالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وجمع له الجن مستمعين، فانطلقوا إلىٰ قومهم منذرين، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٥٩)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٤٨).

دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣٢].

كل ذلك توليًا من الله لخلقه، ورحمة منه بهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ – ٢].

وبعد هذا **يُرد الكل لله الولي المولىٰ**، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠] **فيتولاهم بحكمه الجزائي**، فيثيبهم علىٰ ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم علىٰ ما عملوا من الشرور والسيئات، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢][1].

النوع الثاني: الولاية الخاصة:

فالله جَلَّجَلَالُهُ الولي المولىٰ الذي اختص عباده المؤمنين، وحزبه المطيعين، وأولياءه المتقين بمزيد من الولاية والرعاية، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

فتولاهم الولي المولىٰ بالهداية للحق، وإخراجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلىٰ نور الإيمان والطاعة والعلم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧][2].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٥٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ١١١).

تولىٰ محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه، فأخرجهم من الجاهلية إلىٰ النور، ومن التفرق إلىٰ الاجتماع، ومن الذل إلىٰ العز، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، وقال أيضًا: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولا يزال جَلَّ جَلَالُهُ يتولىٰ من شاء من خلقه، فيخرجهم من الكفر إلىٰ الإسلام، ويخرج من شاء من العصيان والتقصير والتفريط إلىٰ الطاعة والاستقامة، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وتولاهم الولي المولىٰ بالتوفيق للطاعات، والحفظ من المعاصي والآثام، كما جاء في حديث الولي: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١).

تولىٰ يوسف، فحفظه من الوقوع في الفعل القبيح، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]

وتولىٰ بني سليم وبني حارثة، فحفظهم من الفشل والفرار عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص: ١١١).

وتولاهم الولي المولىٰ بالرعاية والحفظ وحسن التدبير، قال تَعَالَى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

تولىٰ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طفلًا ضعيفًا، فصرف إخوته عما هموا به من القتل، وتولاه في البئر وحيدًا، فحفظه من مخاطره ومخاوفه، بل وبشره بيوم يجتمع فيه بأهله وإخوته وينبئهم بفعلهم[1]، وتولاه غلامًا مبيعًا، فاشتراه عزيز مصر وأكرمه، وتولاه شابًّا فآتاه الحكمة والعلم، وصرف عنه كيد النسوة، وتولاه سجينًا فأخرجه منه عزيزًا ممكنًا له في الأرض، وتولىٰ كيده لأخذ أخاه فأخذه، وتولىٰ أهله فأتىٰ بهم إليه من البدو، ويتولاه في الآخرة كما تولاه في الدنيا، قال تَعَالَى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

وتولىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طفلًا رضيعًا، فحفظه في اليم، وحفظه من قتل فرعون وقومه، ثم أعاده لأمه وأهله، وتولاه شابًّا فحفظه من تآمر القوم علىٰ قتله، وتولاه في مدين فرزقه عملًا، ومالًا، وزوجًا، ثم تولاه بأعظم صور الولاية، فرزقه النبوة والرسالة، وتولاه بالنصر علىٰ فرعون وجنده.

وكذا تولىٰ بني إسرائيل، فأنجاهم من آل فرعون وتعذيبهم، وأغرق فرعون وجنده بمرأىٰ منهم ومسمع، وأورثهم أرض مصر ومكنهم فيها، وأنزل عليهم التوراة هدىٰ ونورًا، وعفا عنهم عبادتهم العجل، وطلبهم النظر إليه، فبعثهم بعد صعقهم، وأنزل عليهم المن والسلوىٰ في التيه، وفجر لهم

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٥).

الحجر بالماء، وظللهم بالغمام، قال تَعَالَىٰ علىٰ لسان موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وتولىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتولاه طفلًا رضيعًا، فسخر حليمة السعدية لأخذه ورضاعه، وتولاه يتيمًا، فرعاه جده وعمه، وأكرماه أيما إكرام، وتولاه شابًّا، فحفظه من سفه الشباب وسوء فعالهم، فعُرف بحسن السيرة ومكارم الأخلاق، وتولاه بالزواج من خديجة خير النساء، وتولاه في الأربعين، فأكرمه بالوحي والرسالة وأيده بالقرآن العظيم، وتولاه فحفظه من كيد قومه وإرادتهم قتله، وتولاه بالهجرة إلىٰ المدينة ومناصرة الأنصار، وتولاه بالنصر في بدر، والخندق، وخيبر، وحنين، وتبوك وغيرها، وتولاه فجمع له المال بعد الفقر والفاقة، وتولاه ففتح له مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وتولاه فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويكرمه في الآخرة بالوسيلة والمقام المحمود، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ١ - ٩].

وتولاهم الولي المولىٰ بالتأييد والنصر علىٰ الأعداء، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، ولما قال أبو سفيان يوم أحد: لَنَا الْعُزَّىٰ وَلَا عُزَّىٰ لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجِيبُوهُ**. قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: **قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»(١).

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٠٤٣).

تولىٰ أنبياءه ورسله، فنصرهم علىٰ أقوامهم، علىٰ الرغم من قلة الرجال، وضعف العدة والعتاد، وكثرة العدو وقوتهم وشدة بطشهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وتولىٰ أتباعهم، فنصر صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبلهم نصر طالوت، وداود، ومؤمن آل فرعون، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

وهذه الولاية الخاصة هي الولاية التي نفاها الله عن الكافرين دون الولاية العامة، قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]؛ فالولاية المنفية هنا هي ولاية المحبة والتوفيق والنصر والتأييد، وهي خاصة بالمؤمنين، أما الكفار فوليهم الشيطان، ومولاهم النار، قال تَعَالَىٰ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣]

الأثر الثاني: دلالة اسم الله الولي المولىٰ علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في اسم الله الولي المولىٰ؛ قاده ذلك إلىٰ توحيد الله في الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وبيان ذلك علىٰ النحو الآتي:

دلالة اسم الله الولي المولىٰ علىٰ توحيد الربوبية: اسم الله (الولي، المولىٰ) يتضمن الولاية لجميع الخلق بأفراد الربوبية خلقًا، ورزقًا، وتدبيرًا، وحفظًا، وإجابةً للدعاء، ونفعًا، وضرًّا، وإحياءً وإماتة ونحو ذلك، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

وهذا دال علىٰ فقر المخلوقات عن جلب هذه الأفراد لنفسها أو غيرها، وبالتالي وحدانية الله جَلَّجَلَالُهُ وتفرده بالربوبية، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

دلالة اسم الله (الولي، المولىٰ) علىٰ توحيد الألوهية: اسم الله الولي المولىٰ يدل علىٰ أن العالم العلوي والسفلي ومن فيه من المخلوقات، كله تحت ولايته وتصريفه وتدبيره، وبالتالي جميع هذه المخلوقات فقيرة ضعيفة عاجزة، فلا خلق بيدها ولا نفع ولا ضر ولا رزق، بل ولا حتىٰ الشفاعة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، ومن كان كذلك فهل يصح في عقل أو نقل أن يُتخذ وليًّا من دون الله يعبد؟! أو يتخذ شريكًا وندًّا للولي المولىٰ؟! قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال تَعَالَىٰ مبينًا أنه الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٩][1].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٣)، وتفسير السعدي (ص: ٢٥١) و (ص: ٧٥٣).

دلالة اسم الله (الولي، المولىٰ) علىٰ توحيد الأسماء الصفات:

اسم الله عَزَّوَجَلَّ (الولي، المولىٰ) يقتضي أن يكون سُبْحَانَهُ حيًّا، مالكًا، قادرًا، قويًّا، عليمًا، سميعًا، بصيرًا، خالقًا، رازقًا، حفيظًا، قيومًا، نصيرًا ونحو ذلك؛ إذ لا يتصور في المخلوقات- فضلًا عن الخالق- ولي ميت، عاجز، أعمىٰ، أصم، أبكم، جاهل، لا يملك حولًا ولا قوة.

ويدل علىٰ هذا: ما جاء من آيات اقترن فيها هذا الاسم الكريم بأسمائه الأخرىٰ أو صفاته، كقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٩]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

فإذا علم العبد هذا أقر بهذه الأسماء الكريمة والصفات العلية التي يقتضيها اسم الله الولي المولىٰ، علىٰ وجه لا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل معه؛ امتثالًا لقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

الأثر الثالث: الثقة بنصر الله (الولي، المولىٰ) لأوليائه، والتوكل عليه، وحسن الظن به:

إن اسم الله الولي المولىٰ، وما فيه من ولاية الله لأهل الإيمان بالنصر والتمكين والغلبة علىٰ الأعداء؛ يثمر في قلب المؤمن الثقة بنصره والاطمئنان لوعده، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

ويثمر هذا- أيضًا- اليقين بذهاب أعداء الله وإن ظهروا في وقت ما لحكمة، فنهايتهم إلىٰ ذهاب؛ لأنهم مقطوعو الصلة بالله الولي المولىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١]، ولما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة: «**أَجِيبُوهُ**، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: **قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»[١].

الأثر الرابع: محبة الله الولي المولىٰ سُبْحَانَهُ:

إن اسم الولي المولىٰ يدفع العبد المستشعر لمعناه إلىٰ محبة الله جل في علاه؛ وبيان ذلك: أن الإنسان إذا تولاه أحد من البشر فكفاه حاجته، وأحسن إليه بالطعام والسقاء والإواء، وحماه من أعدائه؛ أحبه وشعر بفضله عليه، مع أن هذا البشر إنما تولاه لحاجة ومطلب في نفسه دنيوي أو خروي، وولايته لا تنفك عن النقص والخلل.

فإذا كان هذا هو الحال، فكيف لا يحب من هو ولي أمورنا كلها المتكفل بها جميعها، وكيف لا يُحَبُّ من هو ولي النعم كلها، وولي إحسان الخلق كافة، فما أحسن مخلوق لمخلوق ولا تولىٰ مخلوق مخلوق إلا بتولي الله وتسخيره له؟!

وكل ذلك مع تمام غناه عنا، فلا هو محتاج إلينا فيتولىٰ، ولا مفتقر إلينا فينعم، وإنما هو محض فضل منه سُبْحَانَهُ ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].

---

(١) سبق تخريجه.

ثم إذا تأمل العبد في ولايته جَلَّجَلَالُهُ؛ وجدها في غاية الكمال والجمال، مبنية علىٰ علم تام، وحكمة بالغة، ورحمة واسعة، وعدل لا ظلم معه، أفلا يكون جَلَّجَلَالُهُ أحق بالمحبة وأولىٰ؟!

الأثر الخامس: نيل ولاية الله الولي المولىٰ:

لا شك أن معرفة اسم الولي المولىٰ، وما فيه من الولاية الخاصة؛ تثمر لأهلها ثمارًا طيبة في الدنيا والآخرة، منها:

١- نيل محبة الولي المولىٰ، قال تَعالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وجاء في حديث الولي: «**مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ...**»[1].

٢- تولي الولي المولىٰ لشؤونهم الدينية والدنيوية بالإصلاح وحسن التدبير، قال تَعالَىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

٣- هداية الولي المولىٰ لهم وتوفيقهم للخيرات، قال تَعالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وجاء في حديث الولي: «**إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ**

---

(١) سبق تخريجه.

عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[١][٢].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ الحديث: «والمعنىٰ: توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها؛ بأن يحفظ عليه جوارحه، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلىٰ اللهو بسمعه، ومن النظر إلىٰ ما نهىٰ الله عنه ببصره، ومن البطش في ما لا يحل له بيده، ومن السعي إلىٰ الباطل برجله»[٣].

٤- نصر الولي المولىٰ لهم علىٰ أعدائهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]، ولما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم، قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة: «أَجِيبُوهُ، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ»[٤].

٥- مغفرة الولي المولىٰ لذنوبهم ورحمته بهم، قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

٦- إجابة الولي المولىٰ لدعائهم، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١١١).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٤٤).

(٤) سبق تخريجه.

قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: «**قَدْ فَعَلْتُ**»[1]، وجاء في حديث الولي: «**وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[2].

٧- تثبيت الولي المولىٰ لهم عند المصائب والمخاوف، لا سيما عند الموت، قال تعالَى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢][3].

٨- إكرام الولي المولىٰ لهم بدخول الجنة والنجاة من النار، قال تعَالَى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

كلها تدفع العبد إلىٰ السعي في تحصيلها، والدخول في جملة أهلها وحزبها، قال تعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٢٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٤٨).

وقد جعل الله لنيلها أسبابًا، ولأهلها أوصافًا، والتي منها:

١- الإيمان به جَلَّجَلَالُهُ، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١][1].

٢- التقوىٰ التي تصدِّق الإيمان، وذلك: بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل من كان مؤمنًا تقيًّا؛ كان لله وليًّا»[2].

وقال: «وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تَعَالَى، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوىٰ، كان أكمل ولايةً لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عَزَّوَجَلَّ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوىٰ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله، بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، قال الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقال تَعَالَى:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٦٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢/ ٢٢٤).

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى في المنافقين-: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة: ١٠]، فبين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الشخص الواحد، قد يكون فيه قسط من ولاية الله، بحسب إيمانه، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله، بحسب كفره ونفاقه»[1].

٣- محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبة ما يحب الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبغض ما يبغض الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٤ - ٥٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالولاية أصلها الحب، فلا موالاة إلا بحب، كما أن العداوة أصلها البغض، والله ولي الذين آمنوا، وهم أولياؤه، فهم يوالونه بمحبتهم له، وهو يواليهم بمحبته لهم، فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له.

ولهذا أنكر سُبْحَانَهُ علىٰ من اتخذ من دونه أولياء، بخلاف من والىٰ أولياءه، فإنه لم يتخذهم من دونه، بل موالاته لهم من تمام موالاته»[2].

٤- «اتباع رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية (ص: ٢٨).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٢٢٩).

أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن»[1]، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادعىٰ محبة الله، وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتىٰ يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله... ولهذا قال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول...وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية»[2].

وبحسب المتابعة لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ تكون الولاية؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود: أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سُبۡحَانَهُ علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدىٰ والأمن والفلاح، والعزة والكفاية والنصرة والولاية، والتأييد وطيب العيش، في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة»[3].

٥- الصلاح، والقيام بالأعمال الصالحة من الفرائض، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، قال

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢).

(٣) زاد المعاد (١/ ٣٧).

السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذين صلحت نياتهم وأعمالهم وأقوالهم»[1].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وجاء في حديث الولي: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»[2]، وجاء- أيضًا- في الحديث عن رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في حجة الوداع: «**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ الْمُصَلُّونَ، مَنْ يُقِيمُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، وَيَحْتَسِبُ صَوْمَهُ، يَرَىٰ أَنَّهُ عَلَيْهِ حَقٌّ، وَيُعْطِي زَكَاةَ مَالِهِ يَحْتَسِبُهَا، وَيَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهَا**»[3].

٦- القيام بالأعمال الصالحة من النوافل، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وجاء في حديث الولي: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**»[4].

٧- التقرب بعبادات السر؛ فقد جاء: أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خرج إلى المسجد يومًا، فوجد معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند قبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبكي، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكيني حديث سمعته من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ عَادَىٰ للهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا، وَلَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الهُدَىٰ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ**

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣١٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الطحاوي في المشكل، رقم الحديث: (٨٩٨)، والطبراني في الكبير رقم الحديث: (١٠١)، والحاكم رقم الحديث: (١٩٧)، حكم الألباني: حسن، الإرواء، رقم الحديث: (٦٩٠).

(٤) سبق تخريجه.

غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»[1].

٨- تعلم العلم الشرعي وتعليمه؛ فعن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه تلا هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾الآية [فصلت:٣٣]، فقال: «هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلىٰ الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلىٰ ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفة الله»[2].

ويروىٰ عن الخليل بن أحمد أنه قال: «إن لم تكن هذه الطائفة- يعني: أهل العلم- أولياء الله، فليس لله ولي»[3].

فبهذا تنال ولاية الله، لا بمجرد الدعاوىٰ والأماني؛ فهؤلاء اليهود والنصارىٰ ادعوا أنهم أولياء الله وأحباؤه، فرد الله عليهم بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ١٨]، وادعاها مشركو العرب؛ لسكنهم مكة، فقال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

فليس كل من ادعىٰ الولاية وتظاهر بها يعد وليًّا لله، بل قد يعد وليًّا للشيطان كما هو الحال في أهل الزيغ والضلال الذين تركوا الفرائض، وقارفوا المحرمات،

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم الحديث: (٣٩٨٩)، والطحاوي في المشكل رقم الحديث: (١٧٩٨)، والطبراني في الكبير رقم الحديث: (٣٢١)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٩٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٠).

(٣) تهذيب الكمال، للمزي (٨/ ٣٣١).

وزعموا أن التكاليف سقطت عنهم؛ لولايتهم، فهؤلاء في الحقيقة أولياء للشيطان، وليسوا من أهل ولاية الله في شيء، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].[١]

الأثر السادس: موالاة أولياء الله والحذر من معادتهم:

إذا علم العبد اسم الله الولي المولىٰ وما يقتضيه من اتخاذ الله جَلَّجَلَالُهُ أولياء، يحبهم وينصرهم، ويعادي من عادهم، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لي وليًّا، فَقَدْ آذنتُهُ بالحَرْبِ**»[٢].

قاده ذلك إلىٰ موالاة من وال الله ومحبتهم ونصرتهم، والتبرؤ من أعداء الله وبغضهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تَعَالَىٰ في الموقف من أعدائه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٥٢-٥٤).

(٢) سبق تخريجه.

﴿أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأداة الحصر في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥] تدل علىٰ أنه يجب قصر الولاية علىٰ المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم»[1]، وهذا من مقتضيات عقيدة التوحيد، القائمة علىٰ الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾[الممتحنة: ١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[المائدة: ٥٥ - ٥٦]»[2].

كما يقوده إلىٰ الحذر الشديد من معادة أولياء الله، لا سيما وأن الله جَلَّ جَلَالُهُ قال في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذنتهُ بِالحَرْبِ**»[3]، ومعناه: أعلمته أني محارب له، حيث كان محاربًا لي بمعاداة أوليائي؛ ولهذا جاء في حديث عائشة: «**فَقَدِ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي**»[4]، وخرج ابن ماجه بسند ضعيف عن معاذ بن جبل، سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَإِنَّ مَنْ عَادَىٰ للهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ**

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٣٦).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٣٣٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٦٨٣٤)، والبزار، رقم الحديث: (٩٩- البحر الزخار)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد وفيه عبد الواحد بن قيس بن عروة، وثقه أبو زرعة والعجلي وابن معين في إحدىٰ الروايتين وضعفه وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ»[1]، وغاية هذه المحاربة: الهلاك[2].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن هبيرة: ويستفاد من هذا الحديث: تقديم الإعذار علىٰ الإنذار، قلت: ووجهه: أنه لما قدم معاداة من هو بهذه الصفة من الولاية لله، فكأنه أعذر إلىٰ كل سامع أن من هذا شأنه لا ينبغي أن يعادىٰ، بل علىٰ كل من عرف أن هذه صفته، أن يواليه ويحبه، فإذا لم يفعل فقد أعذر الله إليه، ونبهه علىٰ أن من عادىٰ يستحق العقوبة البالغة علىٰ عداوته، فقال- منذرًا له-: فقد آذنته بالحرب علىٰ ما صنع مع ولي»[3].

الأثر السابع: دعاء الله باسمه (الولي، المولىٰ):

إن اسم الولي المولىٰ يدعو العبد إلىٰ دعاء ربه والتوسل إليه بهذا الاسم الكريم، لا سيما وأن الأنبياء الذين هم قدوة الخلق ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] دعوا ربهم به؛ فهذا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو ربه قائلًا: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهذا موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وصالحو قومه يدعون: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه واللفظ له، رقم الحديث: (٣٩٨٩)، والطحاوي في المشكل، رقم الحديث: (١٧٩٨)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٣٢١)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٩٨٩).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٣٣٤).

(٣) ولاية الله والطريق إليها، للشوكاني (ص: ٣٤٤).

وهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو قائلًا: «**يا وَلِيَّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، مَسِّكْنِي بِهِ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ**»(1).

وهذا دعاء المؤمنين الذي أخبر الله عنه: ﴿**وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

كما يدعو العبد- أيضًا- إلىٰ سؤال الله ولايته ومقتضياتها من الهداية والثبات، والنصر والرحمة والمغفرة، وإصلاح الأمر الديني والدنيوي كله، من غير أن يكل العبد إلىٰ نفسه طرفة عين.

فاللهمَّ يا ولي الإسلام وأهله، مسِّكنا به حتىٰ نلقاك، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.



---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٦٦١)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث: (٢٥٤)، حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٤٧٦).

الوهَّابُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

* **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهب، وهبت له شيئًا وهبًا، ووهَبًا بالتحريك، وهِبَة، والاسم: الموهب والموهبة، بكسر الهاء فيهما، والاتهاب: قبول الهبة، والاستيهاب: سؤال الهبة»[1].

* **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواو والهاء والباء: كلمات لا ينقاس بعضها علىٰ بعض، تقول: وهبت الشيء أهبه هبة وموهبًا، واتهبت الهبة: قبلتها...»[2].

ورود اسم الله (الوهاب) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الوهاب) في ثلاثة مواضع من كتاب الله، وهي:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

٢- قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾.

٣- قوله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥].

---

(١) الصحاح (١/ ٢٥٧).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٤٧).

ورود اسم الله (الوهاب) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الوهاب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ دُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِيدَيْنِ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِيشَةً تَقِيَّةً، وَمِيتَةً سَوِيَّةً، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلا فَاضِحٍ، اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْنَا فَجْأَةً، وَلَا تَأْخُذْنَا بَغْتَةً، وَلَا تُعْجِلْنَا عَنْ حَقٍّ وَلَا وَصِيَّةٍ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ، وَالتُّقَىٰ، وَالْهُدَىٰ، وَحُسْنَ عَاقِبَةِ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّكِّ وَالشِّقَاقِ، وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ فِي دِينِكَ، يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**»[١].

٢- «كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، اللهمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللهمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**»[٢].

٣- عن سلمة بن الأكوع قال: «مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ دُعَاءً إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ بـ: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ الْعَلِيِّ الْوَهَّابِ**»[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٧٥٧٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه نهشل بن سعيد وهو متروك، رقم الحديث: (٣٢٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٦١)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦٣٥)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٦١).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٨١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف، رقم الحديث: (٢٩٩٦١)،قال الهيثمي: فيه عمر بن راشد اليمامي، وثقه غير واحد، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٥٦).

معنى اسم (الوهاب):

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الوهاب لمن يشاء من خلقه ما يشاء، من ملك وسلطان ونبوة» [(١)].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوهاب هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد، من غير استثابة»[(٢)].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوهاب هو المتفضل بالعطايا، المنعم بها، لا عن استحقاق عليه»[(٣)].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوهاب: واسع العطايا والهبات، كثير الإحسان، الذي عم جودك جميع البريات»[(٤)].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَكَذَلِكَ الوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ
فَانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الأَزْمَانِ
أَهْلُ السَّمَواتِ العُلَىٰ والأَرْضِ عَنْ
تِلْكَ المَوَاهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ[(٥)]

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٦).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٥٣).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٦).

(٤) تفسير السعدي (ص: ١٢٣).

(٥) النونية (ص: ٢١٠).

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الوهاب) بأسمائه الأخرى في القرآن الكريم:

اقتران اسمه (الوهاب) باسمه (العزيز) سُبْحَانَهُ:

- تقدم بيانه في اسم الله (العزيز).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الوهاب):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الوهاب) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الوهاب سُبْحَانَهُ تتابعت نعمه، وفاض كرمه، وزاد بره، وكثر خيره.

«يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويشفي سقيمًا ويخصب عقيمًا، ويعلم جاهلًا، ويهدي ضالًّا، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويفك عانيًا، ويكسو عاريًا، ويسلي صابرًا، ويزيد شاكرًا، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، ويعطي محرومًا، وينصر مظلومًا، ويقصم ظالمًا، ويرحم مسكينًا، ويغيث ملهوفًا»[1].

وكل إحسان للعباد ينطلق من أسمائه تَعَالَى وصفاته إنما هو من هبات الوهاب سُبْحَانَهُ، يعطيها عباده من غير عوض، ولا ثواب، فحري بمن هذه هباته أن يبذل له الحب كله، وأن يعبد وحده لا شريك له؛ إذ لا يستطيع المخلوق، بل الخلائق جميعها، أن تهب شيئًا من الهبات استقلالًا، كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٣/ ٣٢٥).

مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]، وكل ذلك في غير استحقاق من عباده ولا حق لهم عليه.

وعليه فحري بمن عرف اسم الله الوهاب وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، ويسأله هبته وفضله وإحسانه.

الأثر الثاني: استشعار عظم هبات الله تَعَالَىٰ وشموليتها.

الوهاب هو كثير الهبات، ومتنوعها، فهي تشمل الدين، والدنيا، ويمكن تقسيمها كما يلي:

* أولًا: هبات دينية:

ومن أبرزها والتي ورد فيها نص، ما يلي:

هبة النبوة:

وهي من الهبات التي اختصها الله بمن شاء من عباده، وختمها بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الله عن إبراهيم: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ [العنكبوت:٢٧]، وقد أنكر كفار قريش نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسدًا، فرد الله عليهم بأنها هبة من خزائن رحمته، يقول في كتابه: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ [ص: ٨-٩]، يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير ذلك: «أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلىٰ محمد خزائن رحمة ربك، يعنىٰ: مفاتيح رحمة ربك يا محمد، العزيز في سلطانه، الوهاب لمن

يشاء من خلقه، ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة، فيمنعوك يا محمد، ما منَّ الله به عليك من الكرامة، وفضَّلك به من الرسالة»[1].

هبة الهداية:

وهي نوعان:

١- هداية الدلالة والإرشاد:

وهي من أعظم هبات الوهاب، فهي مصدر التكليف ومناطه، وبها تقوم حجة الله علىٰ عباده؛ فإن الله تَعَالَى لا يُدخل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسل الذين يبينون للناس طريق الرشاد من الغي، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

٢- هداية التوفيق:

وهي الهداية الخاصة للأولياء، يقول تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، فمن رزقه الله الهداية رُزِق سعادة الدنيا والآخرة، وإذا دخلت الهدايةُ قلبًا وجد السعادة التي طالما بحث عنها، وفي الدعاء المشهور: «**اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ**»[2]، أي: مع من هديت، والمراد بهم: الأنبياء والصالحون، أولئك الذين أنعم الله عليهم بالهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا يمكن أن تستفتح ركعة، بل لا تصح

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٦).

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٧٢٢)، حكم الألباني: صحيح، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، رقم الحديث: (٤٢٩).

أي صلاة حتىٰ تطلب الهداية، وهي هداية الثبات علىٰ الإسلام، نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.

ولعظم هذه الهداية كان الدعاء باستدامة هذا الثبات ورسوخه من منهج الأنبياء والراسخين في العلم، فعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ: **نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[1]، ويقول الله تعالَى علىٰ لسان الراسخين في العلم: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران:٨][2].

هبة الأخ الصالح والصديق الناصح:

وهم الذين يعينون العبد علىٰ الخير، وفي الحديث عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَىٰ**»[3]، «والبطانة بالكسر: الصاحب الوليجة، وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به، شُبِّه ببطانة الثوب»[4].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٢٩٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢١٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢١٤٠).

(٢) للاستزادة من مطالعة الهداية الخاصة والعامة يرجع لاسم الله (الهادي).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧١٩٨).

(٤) تحفة الأحوذي، للمباركفوري (٧/ ٣٢)

ولذا طلب نبي الله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربه- عندما أرسله- أن يرسل معه أخاه هارون، فاستجاب الله دعاءه، وامتن عليه بذلك، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٣]، ووهب له أخًا صالحًا يعينه، وكانت أعظم شفاعة في التاريخ شفاعة موسىٰ لأخيه، أن سأل له النبوة.

* ثانيًا: هبات دنيوية:

الهبات الدنيوية متتالية متداخلة تشمل الخلائق كلها، ولا تنفك عنهم في أي طَرفة ولحظة، ومنها:

هبة الحياة:

فالله عَزَّوَجَلَّ هو واهب الحياة من غير طلب، يقول تَعَالَىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

هبة العافية:

تنوعت هبات الوهاب للعبد في بدنه، لحفظ عافيته، ففي جسد الإنسان عدد كبير من الخلايا، وليس معنىٰ ذلك: أنه يملك من النعم في جسده بعدد هذه الخلايا! بل داخل كل خلية العديد من النعم، وكل خلية عرضة لما لا يمكن إحصاؤه من الآفات، والعلل التي من المحتمل أن تصيبها، والله- بقدرته ورحمته- يحفظها في جسد الإنسان من هذه العوارض، ولذا فكثير من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو في سؤال العفو العافية، فعن أبي بكر الصديق أنه قال: «قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَىٰ، فَقَالَ: **اسْأَلُوا اللهَ**

العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ»[1]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: تَسْأَلُ رَبَّكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا، والآخِرَةِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا أُعْطِيتَهُمَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ أُعْطِيتَهُمَا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ**»[2].

وهكذا الإنسان لو ذهب يعدد نعم الله تَعَالَى المثبتة عليه في بدنه، لوجد أنه غير قادر علىٰ عدها، ولو استطاع ذلك فكيف له أن يعد نعم الله التي هي عبارة عن نقم دفعها الله عنه، أو ابتلاه بها ثم رفعها عنه! فكشف البلاء هبة من الوهاب.

هبة الأزواج والذرية:

وهم الذين تقرُّ بهم الأعين في الدنيا والآخرة، ومن تتبع لفظ (وهبنا) في القرآن وجد قبلها دعوةً أُجيبَتْ، ومن ذلك: ما جاء في ذكر دعاء عباد الرحمن في قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، ويقول أيضًا: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٤٩- ٥٠]، يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الآية: «فيها الإخبار عن سعة ملكه تَعَالَى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥٨)، وقال: حسن غريب، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥٨).

(٢) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (١٢٤٨٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥١٢)، وقال: حسن غريب، إنما نعرفه من حديث سلمة بن وردان، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥١٢).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٦٢).

وقد امتن الله علىٰ رسله وأنبيائه بما وهبهم إياه من الذرية الصالحة؛ فمنهم:

١- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: وهب له بعد كبر السن ووهن العظم إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وجعل في ذريته الكتاب والنبوة، قال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وقال تَعَالَى علىٰ لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩].

٢- داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: وهب له سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

٣- زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: وهب له يحيىٰ بعد أن طعن في العمر، وشاخ، وكانت امرأته عاقرًا أيضًا، قال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هبة كشف البلاء:

فكشف البلاء ورفعه عن العباد هبة عظيمة من الله تَعَالَى، ومن شواهد ذلك: قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ابتلاه الله في جسده، فذهب ماله، وفقد ولده، ثم رفع عنه البلاء، ووهبه مثلي ما أخذ منه من الأهل والولد، قال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣].

هبة الملك والسلطان لمن يشاء الله من عباده:

يقول تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧]، وقد سأل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الوهاب سُبْحَانَهُ الملك، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]،

فاستجاب الوهاب له: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٦-٣٩].

ومن تأمل فيما تقدم، كان عليه شكر الوهاب علىٰ كثير هباته، وحمده سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى علىٰ لسان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «فإن النعم نوعان: مستمرة، ومتجددة، فالمستمرة شكرها بالعبادات والطاعات، والمتجددة شرع لها سجود الشكر؛ شكرًا لله عليها، وخضوعًا له وذلًّا»(١).

الأثر الثالث: محبة الوهاب جَلَّ وَعَلَا:

يورث اسم الله (الوهاب) في نفس المؤمن محبة عظيمة لله سُبْحَانَهُ فهو الذي تتجدد هباته في أمور خلقه كلها بالليل والنهار، بل ومع كل نفس من أنفاسهم، فبيده خزائن كل شيء، وملك كل شيء.

ولا شك أن المسلم إذا تدبر في ذلك وتفكر فيه؛ فسيزداد تعلقًا بالله ورحمته، وكرمه وجوده.

الأثر الرابع: شكر الوهاب علىٰ هباته:

تحفظ مواهب الوهاب سُبْحَانَهُ وتزيد بالشكر، الذي هو: «هو ظهور أثر نعمة الله علىٰ لسان عبده ثناء واعترافًا، وعلىٰ قلبه شهودًا ومحبة، وعلىٰ جوارحه انقيادًا وطاعة، والشكر مبني علىٰ خمس قواعد: خضوع الشاكر

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٩٦).

للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس: هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتىٰ عدم منها واحدة: اختل من قواعد الشكر قاعدة»[1].

وقد أمر الله تَعَالَىٰ عباده الذاكرين أن يكثروا من ذكره، ويداوموا علىٰ شكره، فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢]

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: «﴿وَٱشْكُرُواْ لِي﴾، أي: علىٰ ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]»[2].

الأثر الخامس: المحافظة علىٰ هبات الوهاب من الفقد:

إن السلب بعد العطاء، والنقصان بعد الزيادة شيء ثقيل علىٰ النفس، وهو الحور الذي استعاذ منه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ**»[3]، والحور هو: النقصان، والكور هو: الزيادة، وكان من هديه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعاء أن يقول- أيضًا-: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**»[4]، أي: يا الله

(١) مفهوم الشكر عند ابن تيمية (١/ ٢٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٣٤٣).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٩).

ألتجئ إليك من ذهاب جميع نعمك الظاهرة والباطنة، الدنيوية والأخروية ما علمتها، وما لم أعلمها؛ لأن نعمك لا تحصىٰ، ولا تعد، ثم يستعيذ من تحول العافية وتبدلها.

ومن أعظم أسباب زوال الهبات والنعم ما يلي:

- الذنوب والمعاصي:

وقد حذر الله عباده من الذنوب والمعاصي، وبين أنها سبب الهلاك والعقاب، يقول تَعَالَى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾[المائدة:٤٩]، وقال تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف:١٠٠].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم، وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفِعَ إلا بتوبة، وقد قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الأنفال: ٥٣]، فأخبر الله تَعَالَى أنه لا يغير نعمه التي أنعم بها علىٰ أحد حتىٰ يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غير غير عليه، جزاء وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

فإن بدل العبد المعصية بالطاعة، بدل الله له العقوبة بالعافية، والذل بالعز، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ

---

(١) الجواب الكافي (ص٧٤).

بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[الرعد: ١١].

- كفر النعم، وعدم شكرها:

وقد مضت سنة الله في خلقه أن من كفر نعمة الله، ولم يشكر الله عليها يسلبها منه، ويذيقه ضدها، يقول تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾[القصص:٥٨].

ومن شواهد ذلك القرآنية: قصة سبأ، يقول تَعَالَى عنهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[سبأ:١٥-١٦].

ويقول سُبْحَانَهُ في موضع آخر: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[النحل:١١٢].

الأثر السادس: الصبر عند سلب النعم ورفع الهبات:

فقد يكون المنع هو عين العطاء، والوهاب ما حرم عبده إلا ليعطيه، وما منعه إلا ليقربه، فلكل فعل من أفعاله تَعَالَى حكمة وهدف، ومن سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يحمد الله علىٰ كل حال، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَىٰ مَا يُحِبُّ قَالَ: **الحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**، وَإِذَا رَأَىٰ مَا يَكْرَهُ قَالَ: **الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٣).

ويقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[1].

ومن أعظم الأمور التي تُسلي العبد المؤمن، وتصبره علىٰ المصائب ما يلي:

١- استشعار محبة الله للصابرين، قال تَعَالَىٰ: ﴿**وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقرب الله أجمل من كل قريب، وحب الله أحلىٰ من حب كل حبيب.

ولله در القائل:

لِـكُلِّ شَـيْءٍ إِذَا فَارَقْتَـهُ عِـوَضٌ   وَلَيْسَ للهِ إِنْ فَارَقْتَ مِـنْ عِـوَضِ

٢- إرجاع الأمر لصاحبه سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَىٰ: ﴿**ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ**﴾ [البقرة:١٥٦]، وتسليمه الملك لمالكه، وعلمه ألا حق له في النعم، ولله أن يعطي ويمنع، ويقبض ويبسط، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، وأمره كله خير؛ لا يسأل عما يفعل سُبْحَانَهُ، وعن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «أرسلت ابنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه أن ابنًا لي قُبض، فَأْتِنَا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: **إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٢٨٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٢٣).

٣- الثقة بأن الله يجزي الصابر علىٰ مصيبته والمحتسب، بخير مما فقد منه في الدنيا والآخرة، كما قال تَعَالَى في الحديث القدسي: «**إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**»، يريد: عينيه[1].

٤- أن الله وإن ابتلىٰ عبدًا بمصيبة فإنما يبتليه بشيء من المصائب، ولكنه يعافيه في كثير من النعم، وينزل عليه- أيضًا- كثيرًا من الرزق، فإذا تذكر العبد ما أنعم الله به عليه هان عليه ما أصابه من البلاء، وأعانه ذلك علىٰ الصبر، والرضا بما قدره له الله.

وتأمل في تعليل الخضر لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حين قتل الغلام في سورة الكهف ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠-٨١].

فكان ظاهر المصيبة فقد الولد، وباطنها الحفاظ علىٰ دين الوالدين، وهو أجلُّ النعم وأعظمها، مع إبدالهما خيرًا من الولد الذي قتل، فهو منعٌ حقيقته عظيم العطاء.

الأثر السابع: السعي للبذل والهبة لمن يستحق ذلك:

التعبد باسم الله (الوهاب) يستلزم أن يكون للعبد حظ من هذا الاسم المقدس، والوهاب من العباد هو الذي يعطي خلق الله ما يحتاجون إليه؛ طمعًا في ثواب الله، وخوفًا من عقابه، ورغبة في الجزاء المقيم في جنة رب العالمين، يقول تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٥٣).

بل إن من أسباب دوام الهبات والنعم: بذل حقها وزكاتها، بنفع الآخرين، فمن كان ذو موهبة من علم أو صنعة أو مال، عليه ألا يبخل ببذله لمن احتاجه، وإلا نُزعت هذه النعمة، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ للهِ عِبَادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لمنَافِعِ العِبَادِ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ**»(١).

ويقول تَعَالَى في النهي عن البخل **لمن كان ذا صنعة**، في آية الدَّيْن: ﴿**وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ**﴾ [البقرة:٢٨٢]، وفي **إنفاق المال** يقول تَعَالَى: ﴿**ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [الحديد:٧]، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَىٰ رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا زَادَ لَهُ . قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّىٰ رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ**»(٢).

وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتنافسون في البذل والصدقة والهبة لمن يحتاج، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** فَقُلْتُ: مِثْلَهُ قَالَ: وَأَتَىٰ أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٥١٦٢) حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٢١٦٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٦٧٨)، والترمذي رقم الحديث: (٣٦٧٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٦٧٨).

وهذا مصداق لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءِ النَّهَارِ»[1].

وفي حديث جامع عظيم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يرشد لبذل الخير وإن دق، عند الإمام أحمد من حديث أبي ذر: «.... وَتَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ، وتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ والعَظْمَ والحَجَرَ، وتَهْدِي الأَعْمَىٰ، وتُسْمِعُ الأَصَمَّ والأَبْكَمَ حَتَّىٰ يَفْقَهَ، وَتَدُلُّ المُسْتَدِلَّ عَلَىٰ حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَىٰ بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَىٰ اللَّهْفَانِ المُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[2].

الأثر الثامن: دعاء الله تَعَالَىٰ باسمه (الوهاب):

الدعاء نعمة كبرىٰ، ومنحة عظمىٰ، جاد بها المولىٰ الوهاب، وامتن بها علىٰ عباده، حيث أمرهم بالدعاء، ووعدهم بالإجابة والإثابة، فما استُجلبت النعم بمثله، ولا استدُفعت النقم بمثله؛ وقد دعا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه الوهاب بدعوة أجيبت له، وخص بها: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]، يقول ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودلت صيغة المبالغة في (الوهاب) علىٰ أنه تَعَالَىٰ يهب الكثير والعظيم؛ لأن المبالغة تفيد شدة الكمية أو شدة الكيفية أو كلتيهما بقرينة مقام الدعاء، فمغفرة الذنب من

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٥٢٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٥).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٨٨٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥٧٥).

المواهب العظيمة؛ لما يرتب عليه من درجات الآخرة»[1].

كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» فلما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١] قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ**»[2]، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا استيقظ من الليل قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، اللهمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللهمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**»[3].

فكان دعاء المغفرة وسؤال الثبات من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه باسمه الوهاب، وكذلك سأل الراسخون في العلم ربهم الوهاب أن يثبتهم علىٰ الهداية ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

فمهما كانت أمانيك ومطالبك في الدنيا والآخرة، سلها كثيرَ العطايا والهبات، وثق بأن الوهاب كريم لا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾

[آل عمران:٨].

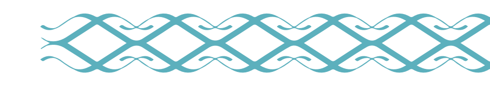


---

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه الحاكم، رقم الحديث (١٨٥٥)، وقال: إسناد صحيح إن كان أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود سمع من أبيه، ولم يخرجاه.

(٣) سبق تخريجه.



الفهرس





الجزء الثالث

تأليف:

أ.د. نوال بنت عبدالعزيز العيد

شارك في الإعداد والإخراج فريق علمي بإدارة:

أ. وفاء بنت محسن التركي

ح شركة إثراء المعرفة، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العيد، نوال بنت عبدالعزيز

موسوعة شرح أسماء الله الحسنى./ نوال بنت عبدالعزيز العيد.

- الرياض، ١٤٤١هـ

٣مج.

ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٦-٣٩٠٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١- الأسماء والصفات أ. العنوان

ديوي ٢٤١ ١٤٤١/٨١٩٠

رقم الإبداع: ١٤٤١/٨١٩٠

ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٦-٣٩٠٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ

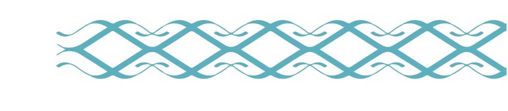
حقوق الطبع محفوظة





الأسماء التي ثبتت
في القرآن الكريم
فقط






البَرُّ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البِر: خلاف العقوق، والْـمَبَرَّة مثله، تقول: بَرِرْتُ والدي بالكسر، أَبَرُّهُ بِرًّا، فأنا بَرٌّ به وبارٌّ، وجمع البَرَّ: أَبْرارٌ، وجمع البار: البررة، وفلان يبر خالقه ويَتَبَرَّرُهُ، أي: يُطِيعُهُ، والأمُّ بَرَّةٌ بولدها، وبَرَّ فلان في يمينه، أي: صَدَقَ، وبَرَّ حَجُّهُ، وبُرَّ حجه، وبَرَّ الله حجَّهُ، بِرًّا، بالكسر في هذا كلِّه»[(١)].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(بر) الباء والراء في المضاعف أربعة أصول: الصدق...، فأما الصدق فقولهم: صدق فلان وبَرَّ، وبرَّتْ يمينُه: صدقت...»[(٢)].

ورود اسم الله تَعَالَى (البَر) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (البر) في كتاب الله مرة واحدة، وهي:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٨].

---

(١) الصحاح (٢/ ٥٨٨).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ١٧٩).

وورود اسم الله تَعَالَى (البَر) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله تَعَالَى(البَر) في السنة النبوية.

معنى اسم الله (البَر) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:٢٨] «يعني: اللطيف بعباده»[(١)].

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تَعَالَى بَرٌّ بخلقه بمعنىٰ: أنه يحسن إليهم، ويصلح أحوالهم»[(٢)].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البر هو العَطُوفُ علىٰ عباده، المحسن إليهم، عَمَّ ببِرِّه جميع خلقه، فلم يبخل عليهم برزقه»[(٣)].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البر الرفيق بعباده، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، ويعفو عن كثير سيئاتهم، ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم، ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها، ولا يجزيهم بالسيئة إلا مثلها، ويكتب لهم الهَمَّ بالحسنة، ولا يكتب عليهم الهَمَّ بالسيئة»[(٤)].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصفُهُ البَرُّ، وآثار هذا الوصف: جميع النعم الظاهرة والباطنة؛ فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبره طرفة عين»[(٥)].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١/ ٥٩١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٦١).

(٣) شأن الدعاء (١/ ٨٩).

(٤) المنهاج (١/ ٢٠٤).

(٥) الحق الواضح المبين (ص: ٨٤).

۞ **قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:**

والبَـرُّ فِـي أَوْصَافِـهِ سُـبْحَانَهُ	هُـوَ كَثْـرَةُ الخَيْـرَاتِ والإِحْسَـانِ
صَـدَرَتْ عَـنِ البَـرِّ الَّـذِي هُـوَ	وَصْفُـهُ فَالبِـرُّ حِينَئِـذٍ نَوْعَـانِ
وَصْـفٌ وَفِعْـلٌ فَهُـوَ بَـرٌّ مُحْسِـنٌ	مُولِـي الجَمِيل ودَائِمُ الإِحْسَانِ[1]

اقتران اسم الله (البَر) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

- اقترن اسم الله (البَر) باسمه (الرحيم):

وذلك في آية واحدة، وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٨]

وجه الاقتران:

لعل اقترانهما من باب المسبب والسبب، فإن بر الله عَزَّوَجَلَّ بعباده- الذي هو عبارة عن توالي مننه، وتتابُع إحسانه وإنعامه- أثر من آثار رحمته الواسعة التي غمرت الوجود، وتقلَّب فيها كلُّ موجود، وعن طريق تلك المنن الجزيلة، وذلك الإحسان العميم عرف العباد أن ربهم رحيم، وتقديم (البَر) علىٰ (الرحيم) أبلغ في المدح والثناء، بالترقي من الأخص إلىٰ الأعم، ومن المسبب إلىٰ السبب[2].

---

(١) النونية (ص: ٢١٠).

(٢) مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لنجلاء كردي (ص: ٦٢٤).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (البَر):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم (البر) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتوحيد الله به:

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بر رحيم لطيف رؤوف بعباده، عطوف عليهم، محسن إليهم، مصلح لأحوالهم في الدنيا والدين، ومن مظاهر بره سُبْحَانَهُ ما يلي:

بر الله تَعَالَىٰ لعباده في الدنيا:

من بره سُبْحَانَهُ بخلقه وإحسانه إليهم: أن جعل بره وفضله مشتركًا فيه المؤمن والكافر، فهو سُبْحَانَهُ الكريم الذي لا ساحل لكرمه، خيره إليهم نازل وشرهم إليه صاعد، يتحبب إليهم بالنعم، ويتبغضون إليه بالمعاصي، يرسل السماء عليهم مدرارًا، ويمددهم بأموال وبنين، ويجري لهم الأنهار وينبت لهم جنان الأرض، ويخرج لهم كنوزها، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم:٣٤]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل:١٨]، وكل ما في هذه الدنيا لا يأتي قطرة من بره سُبْحَانَهُ بعباده المؤمنين في الآخرة في جنات النعيم، ففيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، لا يهرمون ولا ييأسون، ولا يموتون، ولا يمرضون ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر:٧٤]

ومن بره سُبْحَانَهُ: أنه أعطىٰ عباده وقسم لهم من الصحة والقوة والمال والجاه والأولاد والأنصار، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ

﴿وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ [الأعراف:٤٤]، ويدخل في ذلك كل معروف وإحسان؛ لأنها ترجع إلىٰ البِر.

بر الله تَعَالَى لعباده في الدين:

فالبرسُبْحَانَهُ كثير الخيرات، صاحب الإحسان المطلق الذي لا ينقطع حتىٰ مع العبد العاصي.

فمن بره سُبْحَانَهُ لعباده المؤمنين: التوفيق للإيمان والطاعات، ثم إعطاؤهم الثوابَ الجزيل علىٰ ذلك في الدنيا والآخرة، فهو الذي وفَّق وأعان أولًا، وأثاب وأعطىٰ آخرًا.

ومن بره سُبْحَانَهُ: أنه بارٌّ بأوليائه، صادق فيما وعدهم به من الأجر والثواب، يقول تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر:٧٤].

«والمقصود: أن الله سُبْحَانَهُ أعلم بمواقع فضله ورحمته وتوفيقه، ومَن يصلح لها، ومن لا يصلح، وأن حكمته تأبىٰ أن يضع ذلك عند غير أهله، كما تأبىٰ أن يمنعه من يصلح له، وهو سُبْحَانَهُ الذي جعل المحل صالحًا وجعله أهلًا وقابلًا، فمنه الإعداد والإمداد، ومنه السبب والمسبب»[1].

ومن بره سُبْحَانَهُ بعباده: إمهاله للمسيء منهم، وإعطاؤه الفرصة بعد الفرصة للتوبة، مع قدرته علىٰ المعاجلة بالعقوبة، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَبُّكَ

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ٩٩).

ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف: ٥٨].

ومِن بِرِّه سُبْحَانَهُ أيضًا: معاملة عباده بالصفح والعفو وستر الذنوب والتجاوز عنها، فعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « **إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ:** ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»[١].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في شرحه أسرار التوبة: «ومنها: أن يعرف بِرَّهُ سُبْحَانَهُ في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه، وهذا من كمال بِرِّه، ومن أسمائه (البَرُّ)، وهذا البِرُّ مِن سيده كان به مع كمال غناه عنه، وكمال فقر العبد إليه، فيشتغل بمطالعة هذه المنة، ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم، فيذهل عن ذكر الخطيئة، فيبقىٰ مع الله سُبْحَانَهُ؛ وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته وشهود ذل معصيته، فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه: هو المطلب الأعلىٰ والمقصد الأسنىٰ، ولا يوجب هذا نسيان الخطيئة مطلقًا بل في هذه الحال، فإذا فقدها فليرجع إلىٰ مطالعة الخطيئة، وذكر الجناية، ولكل وقت ومقام عبودية تليق به»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤١)، ومسلم، رقم الحديث (٢٧٦٨).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٢٣).

وقد أطال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح مظاهر البر في قبول توبة العبد، وملخص ما قال:

١- شهود حلم الله في إمهال راكب الخطيئة، ولو شاء لعاجله بالعقوبة.

٢- معرفة العبدِ كرمَ ربِّهِ في قبول العذر منه إذا اعتذر إليه، فيقبل عذره بكرمه وجوده، فيوجب له ذلك اشتغالًا بذكره وشكره، ومحبة أخرىٰ لم تكن حاصلة له قبل ذلك، فإن محبتك لمن شكرك علىٰ إحسانك وجازاك به، ثم غفر لك إساءتك ولم يؤاخذك بها- أضعاف محبتك علىٰ شكر الإحسان وحده، والواقع شاهد بذلك؛ فعبودية التوبة بعد الذنب لون، وهذا لون آخر.

٣- أن يشهد فضله في مغفرته، فإن المغفرة فضل من الله، وإلا فلو أخذك بمحض حقه كان عادلًا محمودًا، وإنما عفوه بفضله لا باستحقاقك، فيوجب لك ذلك- أيضًا- شكرًا له ومحبةً، وإنابةً إليه، وفرحًا وابتهاجًا به، ومعرفةً له باسم (الغفار) ومشاهدةً لهذه الصفة، وتعبدًا بمقتضاها، وذلك أكمل في العبودية، والمحبة والمعرفة[1].

وحري بمن عرف اسم الله البر ومظاهر بره وآمن به، أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله وحده بره ورفقه.

(١) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٢٢٣).

الأثر الثاني: محبة البَر سُبْحَانَهُ:

إن الله هو «البر الذي شمل الكائنات بأسرها ببره ومنِّه وعطائه، فهو مولي النعم، واسع العطاء، دائم الإحسان، لم يزل ولا يزال بالبر والعطاء موصوفًا، وبالمن والإحسان معروفًا، تفضل على العباد بالنعم السابغة، والعطايا المتتابعة، والآلاء المتنوعة، ليس لجوده وبره وكرمه مقدار، فهو سُبْحَانَهُ ذو الكرم الواسع والنوال المتتابع، والعطاء المدرار»(١)، وهو الواسع الجود الذي عطاؤه حكمة ومنعه رحمة؛ لأنه لا ينقصه إعطاء ولا يزيده منع، فهو يَبَرُّ عبدَه المؤمن بما يوافق نفسه، فربما بَرَّهُ بالنعمة وربما بَرَّهُ بالبؤس، فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له ليوسع له في العقبىٰ»(٢) ومن كانت هذه صفته، فقد وجبت محبته سُبْحَانَهُ.

الأثر الثالث: الثقة بالبر سُبْحَانَهُ والرضىٰ بأقداره:

من آمن باسم الله البر اطمأن قلبه، وعلم أن ما يعيشه من محنة فمن البر الرحيم سُبْحَانَهُ، وما ابتلاه إلا لأنه أحبه، وبعد كل عسر يسران، ومع شدة الليل يكون ظهور الفجر، و مع المحن المنح، ولذلك كان من أخلاق الأبرار: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ [البقرة: ١٧٧]؛ لأن لديهم من بعد النظر ما يجعلهم لا يقفون مع ظاهر المصيبة، وإنما يتأملون ما بعدها من حسن العاقبة.

كما رُزقت أمهات المؤمنين برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ زوجًا بعد مصائب عظيمة عانينها، ومن ذلك: أم سلمة يموت زوجها، ورملة بتنصُّر زوجها الذي

---

(١) فقه الأسماء الحسنىٰ، لعبد الرزاق البدر (ص: ٢٢٦).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٧/ ٣٠١).

خرج مهاجرًا، وصفية السيدة تقع في الأسر لتكون سبيًا، وعائشة تبتلىٰ في عرضها لينزل فيها قرآن حتىٰ قالت مقولتها: «وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَىٰ»[1]، وقصة صاحبة الوشاح التي كان سبب دخولها الإسلام اتهامها بالسرقة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَعْتَقُوهَا فَكَانَتْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ، عَلَيْهَا وِشَاحٌ أَحْمَرُ مِنْ سُيُورٍ، قَالَتْ: فَوَضَعَتْهُ، أَوْ وَقَعَ مِنْهَا، فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ[2]، وَهُوَ مُلْقًىٰ فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا فَخَطِفَتْهُ، قَالَتْ: فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، قَالَتْ: فَاتَّهَمُونِي بِهِ، قَالَتْ: فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ، حَتَّىٰ فَتَّشُوا قُبُلَهَا، قَالَتْ: وَاللهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ، إِذْ مَرَّتِ الْحُدَيَّاةُ فَأَلْقَتْهُ، قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ، زَعَمْتُمْ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَهُوَ ذَا هُوَ، قَالَتْ: فَجَاءَتْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَتْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَ لَهَا خِبَاءٌ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ حِفْشٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدَّثُ عِنْدِي، قَالَتْ: فَلَا تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا، إِلَّا قَالَتْ:

وَيَوْمَ الْوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا ... أَلَا إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِي

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لَهَا: مَا شَأْنُكِ، لَا تَقْعُدِينَ مَعِي مَقْعَدًا إِلَّا قُلْتِ هَذَا؟ قَالَتْ: فَحَدَّثَتْنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ»[3].

وقصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قصة لكل محزون، تجعل الأمل لا يفارقه البتة، وهي قصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها؛ لما فيها من أنواع التنقلات،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤١٤١).

(٢) حدياة: هي طائر، قيل: يأكل الجرذان، وهي الحدأة، وهي من الحيوانات المأذون بقتلها للمحرم، وفي الحرم.

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٩).

من حال إلىٰ حال، ومن محنة إلىٰ محنة، ومن محنة إلىٰ منحة ومنَّة، ومن ذل إلىٰ عز، ومن رقٍّ إلىٰ ملك، ومن فرقة وشتات إلىٰ اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلىٰ سرور، ومن رخاء إلىٰ جدب، ومن جدب إلىٰ رخاء، ومن ضيق إلىٰ سعة، ومن إنكار إلىٰ إقرار، فتبارك مَن قصها فأحسنها، ووضحها وبيَّنها.

وهذا إنما هو بِر البَر الرحيم سُبْحَانَهُ في عباده المصابين المكروبين في الدنيا، فكيف ببره لهم في الآخرة!



«البَرُّ يحب الأبرار»

في موضوع البر سنتطرق لعدة مسائل، وهي:

أولًا: تعريف البر:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك لفظ (البِر) إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار:١٣-١٤]، وقوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:١٨٩] وقوله: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]، فالبِر إذا أُطلق كان مسماه مسمىٰ التقوىٰ، والتقوىٰ إذا أطلقت كان مسماها مسمىٰ البِرِّ، ثم قد يجمع بينهما كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]»[1].

(١) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٧٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: «فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وكذلك لفظ (البر) يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق، وكذلك لفظ (التقوىٰ)، وكذلك (الدين، أو دين الإسلام) وكذلك روي أنهم سألوا عن الإيمان، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾... الآية [البقرة:١٧٧]، وقد فسر البر بالإيمان، وفسر بالتقوىٰ، وفسر بالعمل الذي يقرب إلىٰ الله، والجميع حق، وقد روي مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه فسر الإيمان بالبر [١]، وجاء في الأثر أن رجلًا جاء إلىٰ أبي ذر، فسأله عن الإيمان، فقرأ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة:١٧٧] إلىٰ آخر الآية؛ فقال الرجل: ليس عن البر سألتك، فقال: جاء رجل إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله عن الذي سألتني عنه، فقرأ عليه الذي قرأت عليك، فقال له الذي قلت لي، فلما أبىٰ أن يرضىٰ قال له: إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرته، ورجا ثوابها، وإذا عمل السيئة ساءته، وخاف عقابها» [٢].

ثانيًا: فضائل البر وأهله:

فضائل البر كثيرة، منها:

١- أن أهل البر في الدنيا يلحقون بالبررة في السماوات العلىٰ، ففي حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**» [٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، رقم الحديث: (١٥٣٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٨٠).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٩٨).

٢- أمنية عباد الله الصالحين- الذين أثنىٰ الله علىٰ دعائهم في القرآن-: الوفاة مع الأبرار، يقول تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣] وقد ذكر القَفَّال في تفسير هذه المعية وجهين:

أ- أن وفاتهم معهم هي أن يموتوا علىٰ مثل أعمالِهم، حتىٰ يكونوا في درجاتهم يوم القيامة، فقد يقول الرجل: أنا مع الشافعي في هذه المسألة، ويريد به كونَهُ مساويًا له في ذلك الاعتقاد.

ب- يقال: فلان في العطاء مع أصحاب الألوف، أي: هو مشارك لهم في أنه يعطي ألفًا.

٣- النعيم العظيم في الحياة الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة، يكون للأبرار، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولا تظنَّ أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٤-١٣] يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دُورِهِمُ الثلاثةِ، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب مِن بِر القلب وسلامة الصدر، ومعرفة الرَّب تعالى، ومحبته والعمل علىٰ موافقته.

٤- الخير العظيم من الله الذي يرتقبه الأبرار، فهو جنات تجري من تحتها الأنهار، تأمَّلْ قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٨].

---

(١) الجواب الكافي (ص١٢١).

٥- أسماء الأبرار مرقومة في عليين، يقول تعالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨-٢١]، فكتابهم في (عِلِّيِّين) أعلىٰ الجنان وأوسعها، يَشهدُ رقم أسمائهم في هذا الكتاب المبارك الملائكةُ المقرَّبون وأرواحُ الأنبياء والصديقين والشهداء.

٦- الأبرار ينالون خير نعيم وأعظمه، وهو النظر لوجه البر: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين:٢١- ٢٨].

ثالثًا: من هم الأبرار؟

١- الأبرار هم أهل بِر الوالدين والإحسان إليهم:

الذين اقتدوا بأنبياء الله والبررة من عباده، يقول تعَالَى عن نبيه يحيىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤] وقال عن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢]، فهم الذين التزموا وصيةَ الله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:٤٦].

وهم الذين تقرّبوا بأحب الأعمال إلىٰ الله، كما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟

قَالَ: **الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ** »[1].

وَلْيَهْنَهُمْ ما بشَّرهم به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأن عملهم أفضل من الجهاد في سبيل الله؛ فقد «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: **أَحَيٌّ وَالِدَاكَ**، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»[2].

وهم الموفقون، أهل الرزق في الدنيا وطول العمر، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[3].

٢- الأبرار هم أهل الصدقات:

وهم أهل البذل، والإحسان علىٰ كل قريب ويتيم وفقير ومحتاج، وأموالهم في كل وجه للخير تبذل ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[البقرة:١٧٧].

فالإسلام دين يقوم علىٰ البذل والإنفاق، ويضيق علىٰ الشُّحِّ والإمساك؛ ولذلك حَبَّبَ إلىٰ بنيه أن تكونَ نفوسُهم سخيَّةً، وأكفُّهم نديَّةً، وأوصاهم بالمسارعة إلىٰ دواعي الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلىٰ

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٢٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٠٠٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٤٩).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٩٨٥).

الناس شغلهم الدائم، لا ينفكون عنه في صباح أو مساء: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٤]

والبذل الواسع عن إخلاص ورحمة يغسل الذنوب ويمسح الخطايا، قال الله تَعَالَى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١]، وقال: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٧-١٨]

والعبد إذا انزلق في ذنب، وشعر بأنه باعد بينه وبين ربه، فإن الطهور الذي يعيد إليه نقاءَهُ، ويردُّ إليه ضياءَهُ، ويلفُّهُ في ستار الغفران والرضا: أن يجنحَ إلىٰ مالٍ عزيزٍ عليه فينخلع عنه للفقراء والمساكين، زلفىٰ يتقرب بها إلىٰ أرحم الراحمين، وقد غفر الله لبغيٍّ من بني إسرائيل بشربة ماء لكلب أرهقه العطشُ، كما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا**»[1].

بل إن المرء وقت الاحتضار يتمنىٰ الاستزادة من جميع الطاعات علىٰ وجه العموم، والصدقات علىٰ وجه الخصوص، يقول تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون:١٠]

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٢٤٥).

٣- الأبرار هم أهل الـخُلق الـحسن:

عن النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»[١]، وأهل الأخلاق الحسنة هم خير الناس، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: **إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**»[٢].

والـخلق الـحسن به يثقل ميزان العبد يوم القيامة، عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»[٣]، وزاد في رواية له: «**وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ**»[٤].

و«سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: **تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: **الْفَمُ وَالْفَرْجُ**»[٥]، وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٣٥٥٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٢١)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث (٤٧٩٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠٠٢)، واللفظ للترمذي، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٠٠٢).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٠٠٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٠٠٣).

(٥) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٠٠٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٠٠٤).

مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ»(١).

وعند أحمد في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟** فأعادها مرتين أو ثلاثًا، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: **أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا**»(٢).

٤- الأبرار هم أهل الصدق:

الصدق معنىً واسع يدخل فيه صدقك مع ربك أولًا، ثم مع نفسك، ثم مع الناس، والصدق يهدي صاحبَهُ لجميع أنواع الخيرات، ويقوده إلىٰ الجنة، وفي الحديث الصحيح: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ**»(٣).

وكان أبغض خُلُق إلىٰ رسول الله الكذب؛ فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: «مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَذِبَةَ، فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٧٦٥٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨٠٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٧٣٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٢٦٥٠).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٠٧).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٢٥٨٢٢)، والترمذي، رقم الحديث: (١٩٧٣) حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٨).

٥- الأبرار هم من يخلصون في أعمالهم ويبتغون وجه الله تعالىٰ:

الأبرار هم الذين لم يتركوا بابًا للخير إلا طرقوه، إن تكلموا عُلم مافي قلوبهم من إيمان عظيم بالله وملائكته واليوم الآخر، وإن أصابتهم السراء شكروا، وإن أصابتهم الضراء صبروا، قال الله عنهم في آية جامعة لصفاتهم: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧]

نسأل الله البر سُبْحَانَهُ **أن يسلك بنا سبيل الأبرار، وأن يتوفانا معهم، وأن نقول غدًا إذا تمَّت لنا النعمة في جنات النعيم: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:٢٨].**



الحسيب الديَّان جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: (الحسيب):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حسب: حَسَبْتُهُ أَحْسَبُهُ بالضم حَسْبًا وحسابًا وحسبانًا وحسابة، إذا عددته...والمعدود محسوبٌ وحَسَبٌ أيضًا... وحاسبته من المحاسبة واحتسبت عليه كذا، إذا أنكرته عليه. قاله ابن دريد، واحتسبت بكذا أجرًا عند الله، والاسم: الحِسْبة بالكسر، وهي الأجر، والجمع: الحِسب...»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حسب) الحاء والسين والباء أصول أربعة:

فالأول: العد، تقول: حسبت الشيء أحسبه حسبًا وحسبانًا، قال الله تَعَالَى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]... ومن الباب الحَسَبُ الذي يعد من الإنسان، قال أهل اللغة: معناه أن يعد آباء أشرافًا.

والأصل الثاني: الكفاية، تقول: شيء حِسَابٌ، أي: كاف، ويقال: أَحْسَبْتُ فلانًا، إذا أعطيته ما يرضيه...»[2].

---

(١) الصحاح (١/ ١١٠).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٥٩-٦١).



ثانيًا: (الديَّان):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدَّيْنُ: واحد الديون، تقول: دِنْتُ الرجل أقرضته، فهو مدينٌ ومَدْيونٌ... والدينُ بالكسر: العادة والشأن... والدينُ: الجزاء والمكافأة، يقال: دانَهُ دينًا، أي: جازاه، يقال: **(كَمَا تَدِينُ تُدانُ)**[1]، أي: كما تُجازِي تُجازَىٰ، أي: تُجازىٰ بفعلك وبحسب ما عملت، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥٣] أي: مجزيُّون محاسَبون، ومنه: الدَيَّانُ في صفة الله تَعَالَىٰ...»[2].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(دين) الدال والياء والنون أصل واحد، إليه يرجع فروعه كلها:

ومنه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، أي: يوم الحكم، وقال قوم: الحساب والجزاء، وأي ذلك كان فهو أمر ينقاد له...

ومن هذا الباب الدَّيْنُ، يقال: دَايَنْتُ فلانا، إذا عاملته دَيْنًا، إما أخذًا وإما إعطاء»[3].

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، رقم الحديث: (١٣٢)، حكم الألباني: ضعيف، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (١٥٧٦).

(٢) الصحاح (٥/ ٢١١٧).

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٣١٩).

ورود اسمي الله (الحسيب - الديَّان) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله (الحسيب):

- ورد اسم الله (الحسيب) ثلاث مرات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ووروده كالتالي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ثانيًا: ورود اسم الله (الديّان) في القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله (الديان) في القرآن الكريم.

ورود اسمي الله (الحسيب - الديان) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله (الحسيب) في السنة:

لم يرد اسم الله (الحسيب) في السنة النبوية.

ثانيًا: ورود اسم الله (الديان) في السنة:

من وروده ما يلي:

حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاشتريت بعيرًا، ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهرًا، حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أُنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقلت للبواب:

قل له: جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -أَوْ قَالَ الْعِبَادُ- عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: **لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ [مَنْ قَرُبَ]: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أُقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أُقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةَ**، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: **بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»(١).

وزاد في رواية: «وتلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر:١٧]»(٢).

ثبوت اسم الله (الديان) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله (الديان) في حق الله تَعالَى:

- **ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: يقول في نونيته:

جَهْمُ بْنُ صَفْوَانٍ وَشِيعَتُهُ الأُلَى
جَحَدُوا صِفَاتِ الخَالِقِ الدَّيَّانِ(٣)

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث (١٦٢٨٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٥٧٠).

(٢) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (٣٦٥٩).

(٣) نونية ابن القيم (ص: ٧).

- **ابن منده** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **قال**: «ومن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: الدائم والدافع والديان، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ويل لديان الأرض من ديان السماء»(١).

معنى اسمي الله (الحسيب- الديان) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم الله (الحسيب) في حق الله عَزَّوَجَلَّ:

أ- يدور اسم الله الحسيب علىٰ معنيين(٢):

الأول: الكفاية.

الثاني: الحفظ للعمل والمحاسبة عليه.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ قال أبو عبيدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦] «أي كافيًا مقتدرًا، يقال: أَحْسَبَنِي هذا، أي: كفاني»(٣).

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦] «وكفىٰ بالله كافيًا من الشهود الذين يشهدهم والي اليتيم علىٰ دفعه مال يتيمه إليه»(٤).

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١١٨).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٦٧)، فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٦٦).

(٣) مجاز القرآن، لأبي عبيدة (ص: ١٣٥).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٢٩).

❊ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحسيب: هو الكافي، فعيل بمعنىٰ مُفْعِلٍ، من أَحْسَبَنِي الشيء: إذا كفاني، وأَحْسَبْتُهُ وحَسَّبْتُهُ بالتشديد: أعطيته ما يرضيه حتىٰ يقول: حَسبي»[1].

❊ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهوَ الحَسِيبُ حِمَايَةً وَكِفَايَةً وَالحَسْبُ كَافِي العَبْدِ كُلَّ أَوَانِ[2]

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]: «إن الله كان علىٰ كل شيء مما تعملون- أيها الناس- من الأعمال من طاعة ومعصية حفيظًا عليكم، حتىٰ يجازيكم بها جزاءه... وأصل الحسيب في هذا الموضع عندي: فعيل من الحساب الذي هو في معنىٰ الإحصاء، يقال منه: حاسبت فلانًا علىٰ كذا وكذا، وفلان حاسبه علىٰ كذا وهو حسيبه، وذلك إذا كان صاحب حسابه»[3].

❊ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦] «أي: وكفىٰ بالله محاسبًا وشهيدًا ورقيبًا علىٰ الأولياء في حال نظرهم للأيتام، وحال تسليمهم للأموال: هل هي كاملة موفرة، أو منقوصة مبخوسة مُدْخَلَة مُرَوَّجٌ حسابُها مُدَلَّسٌ أمورُها؟ الله عالم بذلك كله»[4].

---

(١) النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٨١).

(٢) النونية (ص:٢١٠).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٨ -٢٧٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٩).

من الأقوال في المعنىٰ الأول والثاني:

❁ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحسيب يجوز أن يكون من حسبتُ الحساب، ويجوز أن يكون أحسبني الشيء إذا كفاني... فالله تَعَالَىٰ محسب، أي: كاف، فيكون فعيلًا في معنىٰ مفعل، كأليم ونحوه»[1].

❁ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحسيب: المحاسب علىٰ الشيء، الموافق عليه، فالله عَزَّوَجَلَّ حسيب عباده، أي: محاسبهم علىٰ أعمالهم، ومجازيهم عليها...

والحسيب: الكفي... ويقال: (حسبك كذا)، أي: يكفيك، ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤] أي: يكفيك الله ومن اتبعك من المؤمنين...»[2].

❁ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحسيب: هو المكافئ، فعيل بمعنىٰ: مُفْعِل، كقولك: أليم بمعنىٰ مؤلِم، تقول العرب: نزلت بفلان فأكرمني وأَحْسَبَنِي، أي: أعطاني ما كفاني حتىٰ قلت: حسبي... والحسيب أيضًا بمعنىٰ المحاسب، كقولهم: وزير، ونديم: بمعنىٰ موازر ومنادم، ومنه قول الله سُبْحَانَهُ: ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤] أي: محاسبًا»[3].

❁ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحسيب بمعنىٰ: الرقيب، المحاسب لعباده، المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، وبمعنىٰ: الكافي عبده همومه، وغمومه،

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٤٩).

(٢) اشتقاق أسماء الله (ص: ١٢٩).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٩٦-٧٠).

وأخص من ذلك: أنه الحسيب للمتوكلين ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي: كافيه أمور دينه ودنياه»[١]، وقال في قوله تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] «أي: عالمًا بأعمال العباد، حافظًا لها، مثبتًا لها في الكتاب، عالمًا بمقاديرها ومقادير ثوابها، وعقابها، واستحقاقها، موصلًا للعمال جزاءها»[٢].

ثانيًا: معنى اسم الله (الديّان) في حق الله عَزَّوَجَلَّ:

يدور اسم الله (الديان) علىٰ معنيين:

١-الحاكم القاضي الذي دانت له الخليقة.

٢- المحاسب المجازي.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في أسماء الله تَعَالَى (الديان) قيل: هو القهار، وقيل: هو الحاكم والقاضي، وهو فعال، من دان الناس: أي: قهرهم علىٰ الطاعة، يقال: دنتهم فدانوا: أي قهرتهم فأطاعوا»[٣].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الحاسب والجازي، لا يضيع عملًا،

---

(١) توضيح الكافية الشافية، للسعدي (ص: ١٩٧).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٢٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٤٨).

ولكنه يجزي بالخير خيرًا، وبالشر شرًّا»[1].

من الأقوال في المعنىٰ الأول والثاني:

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الديان): وهو المجازي، يقال: دنت الرجل؛ إذا جزيته، أدينه، والدين: الجزاء... والديان أيضًا: الحاكم، ويقال: من ديان أرضكم؟ أي: من الحاكم بها؟»[2].

اقتران اسم الله (الحسيب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الحسيب) بغيره من الأسماء.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحسيب - الديان):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الحسيب- الديان) من صفاته سُبْحَانَهُ:

اسم الله (الحسيب- الديان) يقتضي إثبات جملة من الصفات لله عَزَّوَجَلَّ، والتي منها:

أ- الكفاية:

فهو جَلَّجَلَالُهُ الحسيب الكافي، الذي كفىٰ خلقه ما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، فيسر لهم كل ما يحتاجونه من الطعام، والشراب، واللباس، والمركب،

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٦).

(٢) شأن الدعاء (١/ ١٠٥).

والرزق، والأمان، ونحوها، وبالمقابل حفظهم من الشرور وكفاهم إياها، فدفع عنهم كل ما يكرهون من الأمراض، والأسقام، والأوجاع، والمخاوف، والهموم، والغموم ونحوها، قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦][1].

ثم إن كفاية الحسيب علىٰ ضربين[2]:

١- الكفاية العامة، وهي: كفايته لجميع خلقه ما أهمهم من تحصيل المنافع، ودفع المضار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

٢- الكفاية الخاصة، وهي: كفايته لأوليائه وأهل طاعته كفاية يصلح بها أمر دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]، أي: كافيك وكافي أتباعك من المؤمنين شر أعدائهم، سواء أكانوا كفارًا أم منافقين أم فاسقين أم ظالمين، أكانوا أقوياء أم ضعفاء، كثارًا أم قلالًا، فالكل كافيك الحسيب شره»[3].

ثم إن كفاية الحسيب وحفظه للعبد مرتبط بحكم الله القدري، فمن شاء كفاه، ومن شاء أصابه ما قدر عليه، كما جاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] قال: «ملائكة

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٦٦).

(٢) ينظر للاستزادة: اسم الله الكافي.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٨)، وتفسير السعدي (ص: ٣٢٥).

يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلوا عنه»[1].

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءك! إلا شيئًا يأذن الله فيه فيصيبه»[2].

ب- الحكم والقضاء[3]:

فهو جَلَّجَلَالُهُ الديان الذي له الحكم والقضاء، فيحكم في خلقه قبل خلقهم بحكمه الكوني القدري، ويحكم فيهم بعد خلقهم بحكمه الشرعي، ويحكم فيهم يوم الدين بحكمه الجزائي العدل، قال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وبهذه الأحكام الثلاثة دانت الخلائق للديان، فالكل منها مقهور مدبر لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، والكل منها وجهه عانٍ للحي القيوم، ذليل لعظمته، خاضع لعزته، ملك قاهر علىٰ عرش السماء مهيمن، يرضىٰ علىٰ من يستحق الرضا ويثيبه ويكرمه ويدنيه، ويغضب علىٰ من يستحق الغضب ويعاقبه ويهينه ويقصيه، فيعذب من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويقرب من يشاء، ويقصي من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، فتبارك الديان الحكم رب العالمين.

ج- الحفظ والإحصاء:

فهو جَلَّجَلَالُهُ الحسيب الديان الذي أحصىٰ كل شيء عددًا، فلا يفوته

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٣٧١).

(٢) المرجع السابق (١٦/ ٣٧٣).

(٣) للاستزادة ينظر: اسم الله الحكم الحاكم جل في علاه.

مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل الكل مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة.

ومن ذلك: أعمال العباد، فقد علمها وحفظها وأحصاها قبل أن يخلقهم، وبعد أن خلقهم، فالكل محسوب محصىٰ صغيره وكبيره، دقيقه وجليله، ظاهره وباطنه، مميز صالحه من فاسده، وحسنه من قبيحه، وخيره من شره، لا يخفىٰ عليه شيء منه، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

علم مقاديره، ومقادير ثوابه وعقابه، وما يستحقه عامله من الجزاء قبل الخلق وبعد الخلق ويوم العرض ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧][(١)].

ومن تمام حفظ الحسيب الديان لها: أمر الملائكة الحفظة أن يدونوا جميع أعمال الخلق صغيرها وكبيرها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨] قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتىٰ إنه ليكتب قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتىٰ إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر ما كان من خير أو شر وألقىٰ سائره، فذلك قوله: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩]»[(٢)].

وبهذه الكتابة صارت الدواوين عند الديان عَزَّوَجَلَّ ثلاثة:[(٣)]

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٩).

(٣) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٩).

١- ديوان لا يغفر منه شيئًا، وهو الشرك به،، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٢- ديوان لا يترك منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تَعَالَىٰ يستوفيه كله، ويقتص لصاحبه؛ فعن عبد الله بن أنيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** - أو قال: **الْعِبَادُ- عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**، قال: قلنا: وما بُهمًا؟ قال: **لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّىٰ اللَّطْمَةُ**، قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عَزَّوَجَلَّ عراة غرلًا بهمًا؟ قال: **بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»[1].

٣- ديوان لا يعبأ به، وهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، كما قال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

د- المحاسبة علىٰ الأعمال:

فهو جَلَّجَلَالُهُ الحسيب الديان الذي يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة يوم الدِّين، عراة ليس عليهم ثياب، حفاة بلا نعال، غرلًا غير مختتنين، بُهمًا ليس معهم شيء من متاع الدنيا، وإنما هي أعمالهم حاضرة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة حتىٰ ما يزن حبة الخردل ﴿وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا

(١) سبق تخريجه.

حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وحتىٰ ما كان خفية من العمل ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فالكل مكشوف الجسد، والعمل، والنفس، والقلب، وما تكنه الصدور، ساقطة جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار وما يخفيه الإنسان ويحرص علىٰ ستره حتىٰ عن نفسه.

فتقف الحشود من خلق الله إنسًا وجنًّا وملائكة تحت جلال الله، وعرشه مرفوع فوق الجميع ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣ – ١٨].

فيناديهم الديان جل في علاه بصوت يسمعه القريب والبعيد علىٰ حد سواء، فيقول: «**أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**»(١).

والكل خاضع خاشع لهيبة الله وعظمته ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

حتىٰ إذا اشتد الكرب بأهل الموقف لطول العناء والانتظار وشدة الأهوال، ذهبوا للأنبياء ليشفعوا لهم عند الديان جَلَّ جَلَالُهُ؛ ليفصل بينهم، فيجيء الديان لفصل القضاء كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٩/ ١٤١).

﴿أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٩-٧٠][1].

فتتطاير الصحف في الأيمان والشمائل، وينادىٰ العباد بأسمائهم علىٰ رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان؟ هلم إلىٰ العرض علىٰ الديان.

وقد وكلت الملائكة بأخذ المنادىٰ، لا يمنعها اشتباه الأسماء والألوان والأشكال حتىٰ توقفه ماثلًا بين يدي الله الحسيب، وصحيفته في يده مخبرة بعمله، لا تغادر بلية كتَمَها، ولا مخبأة أَسَرَّهَا، ويقال: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

فكم من بلية نسيها صاحبها قد ذكره إياها! وكم من سيئة أخفاها قد أظهرها وأبداها! وكم من عمل ظن أنه سلم وخلص فرد عليه وأحبط[2] ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ [النور:٢٥] أي: حسابهم[3].

ثم إن هذا الحساب بين يدي الحسيب الديان يبدأ بأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ويتفاوت بحسب أعمال العباد، فمنهم من **حسابه عسير**، فهؤلاء هم: الكفرة المجرمون الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وتمردوا علىٰ شرع الله، وكذبوا بالرسل، وبعض عصاة الموحدين قد يطول حسابهم ويعسر بسبب كثرة الذنوب وعظمها.

وكل ما كان العبد أشد عصيانًا وتمردًا، كلما كان الله أشد حسابًا له، كما قال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٣٥).

(٢) ينظر: التوهم في وصف أحوال الآخرة، للحارث المحاسبي (ص: ٢٢)، والتذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة، للقرطبي (١/ ٣٣١-٣٣٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٤١).

وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ [الطلاق: ٨ - ١٠].

ومنهم من يكون **حسابه يسيرًا**، فلا يناقش في الحساب، ولا يدقق ويحقق معه، وإنما تعرض عليه ذنوبه ثم يتجاوز له عنها، وإنما ذلك إظهارًا لنعمة الله عليه بالستر في الدنيا، وبالعفو في الآخرة.

وهذا معنىٰ قوله تعالَى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**، فقالت عائشة: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالَى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق: ٧-٨]، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ**»[(١)].

ومنهم من **يدخل الجنة بغير حساب**، كما جاء في الحديث «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ... فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ... هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[(٢)].

ثمّ إن هذه المحاسبة والمحاكمة من الحسيب الديان بلغت الكمال الذي

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٧٠٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٢٠).

لم تشهد البشرية له مثيل من قبل، قال تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]؛ وذلك أن محاكمة الديان عَزَّوَجَلَّ ومحاسبته قائمة علىٰ جملة من القواعد، والتي منها:

١- العدل الذي لا يشوبه ظلم بوجه من الوجوه، فيوفىٰ كل عامل عمله من غير أن يزاد في السيئات، أو ينقص من الحسنات، قال تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٢- لا يؤخذ أحد من الخلق بجريرة غيره؛ قال تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣- ١٤]، فكل إنسان يلازمه عمله خيره وشره ولا يتعداه إلىٰ غيره، فلا يحاسب بعمل غيره ولا يحاسب غيره بعمله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨][1].

٣- إطلاع العباد علىٰ ما قدموه من العمل، وذلك بإعطائهم صحائف أعمالهم، وقراءتهم لما قدموه من صالح أعمالهم وطالحها، فيحكموا علىٰ أنفسهم، ولا يكون لهم بعد ذلك عذر، قال تَعَالَى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٥٥).

أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

٤- إقامة الشهود علىٰ العباد، قال تعالَىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

وأعظم الشهداء عليهم ربهم وخالقهم وفاطرهم، الذي لا تخفىٰ عليه خافية من أحوالهم، قال تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣]، ولكنه سُبْحَانَهُ يحب الإعذار علىٰ خلقه، فيبعث من مخلوقاته شهداء، فتشهد الملائكة، والرسل، والجوارح والأعضاء، والأرض[1].

٥- مضاعفة الحسنات دون السيئات، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وجاء في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما يروي عن ربه، عَزَّ وَجَلَّ قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَٰلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»[2].

٦- إطلاع العباد علىٰ مقادير أعمالهم، وذلك بنصب الموازين التي تزن أعمالهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ

(١) للاستزادة ينظر: اسم الله الشهيد.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٩١)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣١).

نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٧- **سرعة الحساب**؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حسابه أسرع من لمح البصر»(١).

وقيل لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كيف يحاسب الله العباد في يوم؟ قال: «كما يرزقهم في يوم»(٢).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس، وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها؛ لأنه لا يحسب بِعَقْدِ يَدٍ، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفىٰ عليه منه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين»(٣).

ثم هو سهل لا مشقة فيه علىٰ الحاسب جل في علاه، بل هو يسير عليه، فكما أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]، فكذلك حسابهم كنفس واحدة(٤).

هـ- الجزاء علىٰ الأعمال:

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٤٣٥).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٣٥).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢٩٣).

(٤) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٧٤).

فهو جَلَّجَلَالُهُ الديان الذي يملك يوم الدين، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] أي: يوم القيامة، وإنما سمي بيوم الدين؛ لأنه يوم الجزاء علىٰ الأعمال، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، إلا من عفا عنه»[1].

فلا يضيع عمل خلقه، بل يجازيهم علىٰ الخير والشر وإن صغر وقل، قال تعالَىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨] وقال تعالَىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٥].

وهذا الجزاء قد يعجل لصاحبه في الدنيا، وهذا يكثر في أعمال البر التي يعملها الكفار، كما جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا**»[2]، وربما يؤخر الجزاء إلىٰ الآخرة، وربما يجمع لصاحبه بين الجزاءين؛ جزاء الدنيا والآخرة، نسأل الله من فضله.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٠٨).

الأثر الثاني: دلالة اسماء الله (الحسيب- الديان) علىٰ التوحيد:

إذا علم العبد أن من معاني اسم الله الحسيب «الكافي»، فلا بد أن يعلم أن الكفاية إنما تكون من الله الحسيب وحده لا مشارك له فيها، قال تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الله وحده كافيك، وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلىٰ أحد...

فإن (الحسب) و(الكفاية) لله وحده، كالتوكل والتقوىٰ والعبادة، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢]، ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنىٰ الله سُبۡحَانَهُ علىٰ أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله... ونظير هذا قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩] فتأمل كيف جعل الإيتاء لله ولرسوله كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] وجعل الحسب له وحده، فلم يقل: وقالوا: حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه... فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده، كما أن العبادة والتقوىٰ والسجود لله وحده، والنذر والحلف لا يكون إلا لله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ونظير هذا قوله تَعَالَى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] فالحسب: هو الكافي، فأخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنه وحده كاف عبده...»[١].

ثم إن الكفاية التي قد تتوهم من المخلوقين إنما هي مجرد أسباب سخرها الله، فكل شيء لا يتم إلا بخلق الله وأمره وتقديره؛ فحاجة الإنسان للطعام والشراب، والأرض والسماء، والشمس ونحو ذلك لا يعني كفايتها له، وأنها حَسْبُه، بل الله الحسيب هو الذي كفاه بخلقها وتسخيرها، فلولاه ما وجد الطعام والشراب، وما طلعت الشمس ولا استقرت الأرض و لسقطت السماء.

وحاجة الطفل إلىٰ أمه في الرضاع والرعاية والحضانة لا يعني كفايتها له وأنها حسبه، بل الله الحسيب هو الذي كفاه بخلق أمه، وخلق اللبن في ثديها، وخلق الهداية له إلىٰ التقامِه، وخلق الشفقة والمودة في قلب الأم حتىٰ مَكَّنَتْهُ من الالتقام، ودعته إليه وحملته عليه، ونحو ذلك.

فالكفاية إنما حصلت بهذه الأسباب، والله وحده المتفرد بخلقها[٢].

وهذا كله دال علىٰ توحيد الربوبية، من جهة أن الكفاية ملك لله وحده تفرد بها، ودال- أيضًا- علىٰ توحيد الألوهية من جهتين:

١- توحيد الله الحسيب في طلب الكفاية؛ إذ هي ملك له وحده دون ما سواه.

ومن هنا: يقال: حسبي الله، ولا يقال: حسبي فلان، أو كافني فلان، ونحو ذلك.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٧-٣٩).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٦٧-٣٦٩).

٢- توحيد الله الحسيب بالعبادة؛ إذ إن من بيده كفاية العباد وحده مع فقر كل من سواه إليها، هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

ثم إن معنىٰ المحاسبة في هذه الأسماء الكريمة دال علىٰ توحيد الألوهية أيضًا، من جهة أنه يبعث علىٰ التساؤل: ما أعظم ما يحاسب الله العباد عليه؟

والجواب: حقه علىٰ العباد، كما جاء في حديث معاذ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»(١) فمن حقق ذلك كان مآله الجنة، كما قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»(٢)، ومن أخل بذلك بالشرك كان مآله النار- والعياذ بالله-، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٨٥٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٣٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٣).

الأثر الثالث: التوكل على كفاية الله الحسيب:

إذا تأمل الإنسان في نفسه وحاجته للكفاية في وجوده، ودوام وجوده، وكمال وجوده، حاجته للكفاية جنينًا في بطن أمه، ومولدًا خارج بطن أمه، وطفلًا وغلامًا وشابًّا وشيبًا، بل وميتًا[(١)].

ثم نظر في اسم الله الحسيب، وعلم أن من معانيه الكافي الذي يكفي خلقه تحصيل المنافع بمختلف أنواعها، ودفع المضار بمختلف أنواعها ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]؛ قاده ذلك للتعلق به سُبْحَانَهُ والتوكل عليه في سائر شؤونه، ورفع حوائجه إليه دون غيره، والثقة به دون الركون للأسباب والاعتماد عليها.

ولا سيما إذا علم أن الله خص المتوكلين عليه بمزيد من الكفاية، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك؛ فإن الله حسبه، أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذًى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش... قال بعض السلف: جعل الله تَعَالَىٰ لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] ولم يقل: نُؤْتِهِ كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سُبْحَانَهُ كافي عبده

(١) ينظر: النهج الأسمى، للنجدي (١/ ٣٦٧-٣٦٨).

المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد علىٰ الله تَعَالَىٰ حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجًا من ذلك وكفاه ونصره»[1].

الأثر الرابع: الاطمئنان إلىٰ الله الحسيب الديان:

من علم يقينًا اسم الله الحسيب الديان؛ لم يستوحش من إعراض الخلق عنه، ولم يستأنس بقبولهم له؛ ثقة بأن الذي قُسم له لا يفوته وإن أعرضوا، والذي لم يقسم له لا يصل إليه ولو أقبلوا.

إذ إن الإيمان باسم الله الحسيب الديان يورث العبد الاطمئنان والراحة، وذلك من جهتين:

١- دلالته علىٰ الكفاية؛ إذ تذكره يكسب القلب الطمأنينة والسكينة بكفاية الله الحسيب لجميع ما يهمه من أمور الدين والدنيا، وما يهمه من تحصيل المنافع ودفع المضار.

وهذا بدوره يزيل القلق والهلع علىٰ الرزق؛ إذ تكفل سُبْحَانَهُ بأرزاق العباد بالليل والنهار وكفاهم إياها، فلا بد أن تصل إليهم شاء من شاء وأبىٰ من أبىٰ، كما جاء في الحديث: «**أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ**»[2]، وقد أرشد الله لهذا بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٢١٤٤) واللفظ له، وابن حبان، رقم الحديث: (٣٢٣٩)، حكم الألباني: صحيح لغيره، التعليق الرغيب، رقم الحديث: (٣/ ٧).

﴿مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

كما يزيل- أيضًا- الخوف والخشية من المخلوقين، وإن عظمت قوتهم وجاههم وسلطانهم وأموالهم؛ فهو الحسيب الكافي الذي يكفىٰ العبد شرورهم.

ولذا شرع لمن خاف من المخلوقين أن يتذكر ربه الحسيب، فيلهج قائلًا: «حسبي الله ونعم الوكيل» متذكرًا قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لها حين ألقي في النار، فجاءته كفاية الحسيب؛ إذ قال للنار: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ومتذكرًا قول محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لها، حينما قيل لهم بعد أُحُد: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فكفاهم الله شر أبا سفيان وجيشه بالخوف؛ إذ قذف الحسيب في قلوبهم الرعب، فرجعوا إلىٰ مكة خائبين، ورجع رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته إلىٰ المدينة ظافرين برضوان الله ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤][١].

ومعناها[٢]:

-«حسبنا الله» أي: كافينا كل ما أهمنا، فلا نتوكل إلا عليه ولا نعتمد إلا عليه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

---

(١) ينظر: فقه الأدعية والأذكار (٣/ ١٩١-١٩٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٣/ ١٩١).

-«ونعم الوكيل» أي: نعم المتوكل عليه في جلب النعماء ودفع الضر والبلاء وكيد الأعداء، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستجير، وهو نعم المولىٰ ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢-٣]، فلا تستبطئ نصره ورزقه وعافيته، فإن الله بالغ أمره، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا، لا يتقدم عنه ولا يتأخر»[(١)].

٢- دلالته علىٰ محاسبة الظالم والاقتصاص منه؛ إذ تذكُّر المظلوم لهذا، وتذكُّره لنداء الرب عَزَّوَجَلَّ: «**أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّىٰ اللَّطْمَةَ**»[(٢)]، وقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[(٣)]- سبب في تسليته واطمئنان

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٢٨٨)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٩٧٠)، وفي خلق أفعال العباد (ص ٩٨)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣٢٥٠).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٨٢).

قلبه؛ ليقينه بأن هناك يومًا لا ريب فيه، سيقتص فيه الديان سُبْحَانَهُ له من ظالمه، ويشفي صدره ممن ظلمه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقد يعجل عقوبته ويجازيه علىٰ ظلمه وطغيانه في الحياة الدنيا قبل الآخرة، كما حصل ذلك لكثير من الظالمين والطغاة والجبابرة.

الأثر الخامس: متابعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحصيلًا لكفاية الحسيب:

إذا علم العبد أن من معاني اسم الله الحسيب: (الكافي)، وأن هذه الكفاية نوعان: عامة وخاصة، والخاصة أعظم الكفايتين؛ تطلع إليها، وتاقت نفسه لتحصيلها، والدخول في زمرة أهلها.

ولا بد أن يُعلم أن هذه الكفاية الخاصة إنما تكون بقدر متابعة العبد لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤][(١)].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: كافيك وكافي أتباعك، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به في متابعة الرسول ظاهرًا وباطنًا، وقيامه بعبودية الله تَعَالَىٰ»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود: أنه بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أنه بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٧١).

(٢) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٧٨).

والنجاة، فالله سُبْحَانَهُ علَّق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدىٰ والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصَّغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة»[1].

ولا شك أن هذا يدعو العبد إلىٰ المتابعة واقتفاء أثر الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأثر السادس: محبة الله الحسيب الديان:

من تأمل في اسم الله الحسيب الديان، وقف علىٰ عدة معاني، الواحدة منها كافية في ملأ القلب من محبته عَزَّوَجَلَّ، ومن هذه المعاني:

- الكفاية: فإذا تأمل العبد في كفاية الله عَزَّوَجَلَّ له، التي بها وصلته كثير من النعم، واندفعت عنه كثير من النقم؛ أحبه جل في علاه.

ثم إذا تأمل أن هذه الكفاية لم تقتصر عليه، بل شملت غيره، حتىٰ العاصي والمنافق والكافر، بل وحتىٰ الحيوان والنبات؛ امتلأ قلبه بمحبته.

- مضاعفة الحسنات دون السيئات: فإذا تأمل العبد في كرم ربه في الحساب، وعظم جوده وفضله؛ دفعه ذلك لمحبته.

- العدل: فإذا تأمل العبد في أن ربه مع كمال ملكه وقدرته وغناه وقوته، لا يُسأل عما يَفعل، حكم بالعدل في الدنيا وكذا في الآخرة؛ امتلأ قلبه بمحبته.

ثم إذا تأمل تمام عدله يوم الدين من إحضار الصحف، وإقامة الشهود،

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم (١ / ٣٥).

ونصب الموازين؛ زاد حبه للديان العدل جل في علاه.

- الاقتصاص للمظلوم من ظالمه: فإذا تأمل المظلوم أن ربه معه ينصره ويجيب دعوته، و يأخذ له حقه من ظالمه؛ أحبه كما يحب من يدافع عنه وينصره علىٰ ظالمه من البشر.

الأثر السابع: الاستعداد ليوم الحساب:

إذا عرف العاقل أن ربه سُبْحَانَهُ الحسيب الحاسب الديان، وأن يوم القيامة يوم الجزاء والحساب، الذي قال الله فيه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وأيقن أنه ملاقٍ ربه الديان الحكم العدل لا محالة، واقف بين يديه للحساب، وعمله كله محضر خيره وشره، حسنه وسيئه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]- خاف من ربه عَزَّوَجَلَّ، وخاف من القدوم عليه يوم الحساب مفلسًا، كما قال سُبْحَانَهُ عن أولي الألباب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١][1]، وقاده هذا الخوف إلىٰ الاستعداد لهذا اليوم العظيم والموقف المهيب، فيحسب له حسابه ويُعدُّ له عدَّته.

وإنما يكون ذلك بفعل الخيرات والاستزادة من الطاعات، والتي من أهمها:

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤١٧).

- الصلاة: التي هي أول ما يحاسب عليه العباد؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: **انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ**»(١).

- أداء الأمانة التي تحملها: فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: **وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٢).

فمن أدىٰ الأمانة استحق الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها استحق من الله العقاب الوبيل، وصار خائنًا لله ولرسوله ولأمانته.

- التجاوز عن المعسر والفقير والمسكين ونحوهم: لعل الله أن يتجاوز عن العبد يوم الدين، وقد جاء في الحديث عن أبي مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ**

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٤١٣)، واللفظ له، والنسائي، رقم الحديث: (٤٦٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٢٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٨٩٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٩٣)، واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٨٢٩).

شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: **نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ**»[1].

وما من عبد كان مع الناس سهلًا ميسرًا هينًا لينًا، إلا كان الله معه في الحساب كذلك، وما من عبد كان مع الناس عسيرًا شديدًا إلا كان الله معه في الحساب شديدًا عسيرًا، والجزاء من جنس العمل.

- الدعاء بالنجاة والمغفرة، كما قال سُبْحَانَهُ عن قول إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢].

ثم إن الدعاء بالمغفرة يوم الدين من دعاء الملائكة لأهل الإيمان، فقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»[2].

بل وذم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ابن جدعان بعدم دعائه به؛ فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنها قالت: «يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: **لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٥٦١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٥٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٣٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٤).

ويكون كذلك باجتناب المحرمات، ومظالم الناس كما سيأتي في الأثر التالي.

الأثر الثامن: اجتناب مظالم العباد ورد حقوقهم(١):

اسم الله الحسيب الديان دال علىٰ محاسبة الله للظالم، وأخذه بظلمه، والاقتصاص للمظلوم من ظالمه، كما جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الرب عَزَّ وَجَلَّ بنادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فيقول: «**أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّىٰ اللَّطْمَةُ**»(٢).

وهذا يدعو العباد إلىٰ الحذر من الظلم واجتنابه، والخروج من المظالم وردها إلىٰ أهلها قبل أن ترد يوم القيامة؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: **يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمُ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ**»، قَالَ: فَتَنَحَّىٰ الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ:**

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٣١٦-٣١٨).

(٢) سبق تخريجه.

﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]»، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَجِدُ لِي وَلَهُمْ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ»[1].

ثم إن وفاء الحقوق وردها يوم القيامة لا يكون بالدينار والدرهم، وإنما بالحسنات والسيئات، التي أحوج ما يكون الإنسان إليها في ذلك اليوم، كما جاء في حديث المفلس الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟** قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، **فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[2]، وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بئس الزاد إلىٰ المعاد: العدوان علىٰ العباد»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٧٠٤٤)، والترمذي، رقم الحديث: (٣١٦٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣١٢٨).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٨١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤١).

ويدعوهم أيضًا إلىٰ توخي العدل مع الناس، لا سيما من ابتلي منهم بالحكم بينهم، أو مجازاتهم في الدنيا.

كما يدعوهم إلىٰ الحكم بين الناس بما أنزل الله؛ لأنه الحكم العدل الذي لا يتطرق إليه ظلم ولا جهل ولا هوىٰ، وكل ما سواه من الأحكام لا يخلو من النقص والظلم والجهل والهوىٰ، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَيْلٌ لِدَيَّانِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَيَّانِ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، إِلَّا مَنْ أَمَّ الْعَدْلَ وَقَضَىٰ بِالْحَقِّ، وَلَمْ يَقْضِ عَلَىٰ هَوًىٰ، وَلَا عَلَىٰ قَرَابَةٍ، وَلَا عَلَىٰ رَغَبٍ وَلَا عَلَىٰ رَهَبٍ، وَجَعَلَ كِتَابَ اللهِ مِرْآةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ»[(١)].



(١) أخرجه أحمد في الزهد، رقم الحديث: (٦٦٣) ،و البيهقي في السنن الكبرىٰ، رقم الحديث: (٢٠٤١٨)، حكم الألباني: صحيح، مختصر العلو، رقم الحديث: (ص ١٠٣).

«المحاسبة»[1]

في موضوع المحاسبة سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف المحاسبة:

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف المحاسبة: «أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محمودًا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذمومًا استدركه إن أمكن، وإن لم يمكن فيتبعها بالحسنات لتكفيرها وينتهي عن مثلها في المستقبل»[2].

ثانيًا: ثمرات المحاسبة:

للمحاسبة ثمرات عديدة، ومنافع عظيمة، منها:

١ - امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ يقول سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللًا تداركه بالإقلاع عنه والتوبة النصوح والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرًا في أمر من أوامر

---

(١) ينظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٨١)، وما بعدها.

(٢) أدب الدنيا والدين (ص٣٥٦).

الله بذل جهده واستعان بربه في تتميمه وتكميله وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وبين تقصيره هو في حق الله، فإن ذلك يوجب الحياء لا محالة»[(١)].

٢- الاطلاع علىٰ عيوب النفس وعدم الاغترار بها، ومن ثَمَّ إصلاح عيبها؛ فإن من لم يعرف العيب لم يمكنه إزالته.

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رحم الله عبدًا قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمَّها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تَعَالَى فكان لها قائدًا»[(٢)].

٣- الخوف والحياء من الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ المحاسب يقف علىٰ تقصيره العظيم في الواجبات، وتفريطه في النوافل، وارتكابه للذنوب والمكاره، وكل ذلك موجب للخوف والحياء من الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- تعين صاحبها علىٰ استدراك ما نقص من الفرائض والنوافل؛ إذ المحاسب يقف علىٰ تقصيره فيستدركه.

٥- التوبة وكثرة الاستغفار؛ إذ المحاسب يقف علىٰ تقصيره وذنبه فيتوب منه ويستغفر، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

٦- الاستعداد للقاء الله، قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٥٣).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي (٤/ ٤٠٥).

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي (٤/ ٣٩٤).

ثالثًا: تحقيق المحاسبة:

تحقيق المحاسبة إنما يكون بالقيام بنوعين من أنواعها:

١- المحاسبة قبل العمل.

٢- المحاسبة بعد العمل.

فأما المحاسبة قبل العمل، فيراد بها: التفكر قبل البدء في العمل، وذلك في جملة من الأمور، والتي منها:

١- التفكر في العمل، هل هو مقدور عليه أو غير مقدور عليه؟ فإن كان غير مقدور تُرك حتىٰ لا يضيع الوقت، وإن كان مقدورًا أتبعه بالتفكر.

٢- التفكر في العمل، هل فعله خير من تركه، أو تركه خير من فعله، فإن كان فعله خير من تركه عمله، وإن كان تركه خيرًا من فعله أتبعه بالتفكر.

٣- التفكر في النية والقصد، هل مراده بالعمل الله عَزَّوَجَلَّ أو مراده غيره، فإن كان مراده الله أمضاه وإلا تركه، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رحم الله عبدًا وقف عند همِّه، يحاسب، فإن كان لله مضىٰ، وإن كان لغيره تأخر ولم يعمل»[1].

وأما المحاسبة بعد العمل، فهي علىٰ ثلاثة أنواع:

١- المحاسبة علىٰ الطاعة، هل قام بحق الله فيها؟ وحقه فيها: الإخلاص له، والمتابعة لرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والإحسان والإتقان في أدائها، ومشاهدة منته عليه بالتوفيق إليها، ومشاهدة تقصيره بعد الانتهاء منها، وأنه مهما عمل لله فهو مقصر.

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن قيم الجوزية (١/ ١٣٨).

٢- المحاسبة علىٰ عمل كان تركه خيرًا من فعله، ويدخل في هذا: المعاصي، والاشتغال بالمفضول عن الفاضل، فيحاسب نفسه عليها باللوم والتوبيخ والندم ونحو ذلك.

٣- المحاسبة علىٰ العمل المباح، هل كان له فيه نية صالحة يحصل بها الأجور، أم غفل عن ذلك وعمله علىٰ سبيل العادة، ففاته الأجر؟

ويمكن للإنسان أن يحاسب نفسه أيضًا عن طريق التفكر في الجوارح: ماذا فعلت برجلي؟ بيدي؟ بسمعي؟ ببصري؟ بلساني؟ ثم التفكر في النوايا: ماذا أردت بعملي هذا؟ وما نيتي فيه؟ ونحو ذلك.

فيجعل له ساعة من ليل أو نهار يطالب فيها نفسه، ويحاسبها علىٰ جميع ما كان منها، كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء، فينظر في رأس المال وفي الربح وفي الخسران لتتبين له الزيادة من النقصان، فرأس المال في دينه: الفرائض، وربحه: النوافل والفضائل، وخسرانه: المعاصي.

قال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مكتوب في حكمة آل داود: حق علىٰ العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحمد؛ فإن في هذه الساعة عونًا علىٰ تلك الساعات، وإجمامًا للقلوب»[١].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٣٣).

وأول ما يبدأ الإنسان، يحاسب نفسه عليه:

- الفرائض: فإذا رأىٰ فيها نقصًا تداركه، بالقضاء أو التكميل والإتمام.

-ثم المحرمات: فإذا عرف أنه ارتكب منها شيئًا، تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والاستغفار، والحسنات الماحيات ولا يتساهل ويتهاون؛ فإنه لو رمىٰ بكل معصية يفعلها حجرًا في داره لامتلأت الدار في مدة يسيرة، ولكنه التساهل في حفظ المعاصي وهي مثبتة ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

- ثم ما يصدر منه من الغفلة، فإذا لحظ من نفسه ذلك، تداركه بالذكر والإقبال علىٰ الله، وحضور مجالس الذكر ونحو ذلك.

وإن مما يعيين علىٰ تحقيق المحاسبة ما يلي:

١- تذكر أسماء الله وصفاته واستشعارها علىٰ الدوام، فاستشعار اسم الله العليم، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، الحسيب، الديان، ونحوها يدعو الإنسان إلىٰ مراجعة العمل والنظر فيه قبل البدء وبعده.

٢- تذكر اليوم الآخر، وما فيه من الحساب والعرض علىٰ الملك الديان، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

٣- النظر في سير السلف الصالح، وتأمل ما هم عليه من المحاسبة؛ ومن ثَمَّ الاقتداء والتأسي بهم.

فاللهم إنا نسألك يا حسيب يا ديان، أن ترزقنا محاسبة أنفسنا، وأن تثقل موازينا وتيمن كتابنا، وتجعلنا ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا سابق عذاب.



الحفيظُ الحافظُ جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حفظت الشيء حفظًا، أي: حَرَسْتُه، وحَفِظْتُهُ أيضًا بمعنىٰ: استظهرته... والمحافظة: المراقبة... والحفيظ: المحافظ، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾، يقال: احتفِظ بهذا الشيء، أي: احفظه، والتحفُّظ: التيقُّظ وقلَّة الغفلة، وتَحَفَّظْتُ الكتاب، أي: استظهرته شيئًا بعد شيء»[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحاء والفاء والظاء أصل واحد يدل علىٰ مراعاة الشيء، يقال: حفظت الشيء حفظًا... والحفاظ: المحافظة علىٰ الأمور»[2].

ورود اسم الله (الحفيظ- الحافظ) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الحفيظ) في القرآن الكريم ثلاث مرات، ووروده كالتالي::

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ [هود:٥٧].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ [سبأ:٢١].

---

(١) الصحاح (٣/ ١١٧٢).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٨٧).



٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الشورىٰ:٦].

وورد اسمه سُبْحَانَهُ (الحافظ) مرة واحدة، وهي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤].

وورد مرتين بصيغة الجمع:

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٢].

ولم يرد اسم الله (الحفيظ- الحَافِظ) في السنة النبوية.

معنى اسم الله (الحفيظ- الحافظ) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله الحافظ الحفيظ علىٰ معنيين:

١- الحافظ الذي يحفظ المخلوقات من سماء وأرض وما فيهما.

٢- الحافظ الذي يحفظ أعمال عباده خيرها وشرها[1].

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❁ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا، قال: «الحفيظ هو الحافظ، فعيل بمعنىٰ: فاعل؛ كالقدير والعليم يحفظ السموات والأرض وما فيها لتبقىٰ مدة بقائها،

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص:١٩١).

فلا تزول ولا تندثر؛ كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات:٧]، أي: حفظناها حفظًا، والله أعلم، وهو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ويقيه مصارع السوء؛ كقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، أي: بأمره»[١].

❊ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الحافظ) ومعناه: الصائن عبده عن أسباب الهلكة في أمور دينه ودنياه»[٢].

❊ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا، قال: «فهذا الاسم يكون من أوصاف الذات، ومن أوصاف الفعل... وإذا كان من صفات الفعل فيرجع إلىٰ حفظه للوجود، وضد هذا الحفظ الإهمال، وعلىٰ هذا خرج قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤]»[٣].

❊ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون»[٤].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ:٢١]: «وربك يا محمد علىٰ أعمال هؤلاء الكفرة به، وغير ذلك من الأشياء كلها (حفيظ) لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مُجَازٍ جميعهم يوم

---

(١) شأن الدعاء (ص٦٧-٦٨).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤).

(٣) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (١/ ٣٠٩).

(٤) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ١٥٩).

القيامة بما كسبوا في الدنيا من خير وشر»[1].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحفيظ هو الحافظ...يحفظ علىٰ الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نياتهم وما تُكِنَّ صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة ولا تخفىٰ عليه خافية»[2].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حفظ علىٰ عباده ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ»[3].

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهوَ الحفيظُ عليهِمُ وهوَ الكفيـ ـلُ بحفظِهِم مِنْ كلِّ أمرٍ عانِ[4]

اقتران اسم الله (الحَفِيظ- الحَافِظ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله الحفيظ بأي اسم من أسمائه سُبْحَانَهُ.

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٩٣).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٦٧-٦٨).

(٣) الحق الواضح المبين (ص: ١٥٩).

(٤) النونية (ص: ٢٠٧).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحَفِيظ- الحَافِظ):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الحافظ الحفيظ) من الصفات:

الله سُبْحَانَهُ الحفيظ الذي حفظ كل شيء ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١]، فلا يخرج شيء ولا يند عن حفظه، حفظ علىٰ العباد ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية، فلا يضيع منها شيئًا، و لا ينسىٰ ولا يغيب عنه شيء منها لكمال علمه وحفظه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، وقال: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

فهو الحفيظ الذي يحفظ علىٰ الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم ما تكن صدروهم، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، فكل ما فعلوه من خير وشر مكتوب عليهم، مسطر في الكتب القدرية، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا حقيقة القضاء والقدر، وأن جميع الأشياء كلها، قد علمها الله تَعَالَىٰ، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»(١).

وهو الحفيظ الذي وكل ملائكة كرام كاتبين يحفظون علىٰ العباد أعمالهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢](٢)، فلا يسقط من الصحف التي كتبوها شيء من عمل العبد ولو صغر،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٢٨).

(٢) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٥٩-٦١)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، لعبد الرزاق البدر (ص: ١٩٠-١٩١)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٥٣).

قال تَعَالَى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

وهو **الحفيظ** الحافظ للمخلوقات من سماء وأرض وما فيهما، حفظ بحفظه العام، وحفظ بحفظه الخاص، **فأما حفظه العام:**

حفظه لجميع المخلوقات، فحفظ السماء بإقامتها بلا عَمَدٍ، وحفظها من الزوال والدثور، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١]، وحفظها من أن تقع على الأرض: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، كل ذلك من غير أن يثقله ويعجزه ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥][١].

وجعلها سقفًا محفوظًا ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء: ٣٢] من أن تنال الشياطين أسرارها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦-١٨]، وحفظها من أن ينالها أحد بهدم أو نقض أو يصل لها بحيلة[٢].

وحفظ الأرض أن تميد أو تضطرب بما جعل عليها من الجبال الرواسي ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١].

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٤٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ١١)، وتفسير القرطبي (١١/ ٢٨٥).

وحفظ ما فيها مما يدب علىٰ ظهرها بتيسيره ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتسيرها إلىٰ هدايتها، وإلىٰ مصالحها، وهدايته العامة لها التي قال عنها: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠]، هدىٰ كل مخلوق إلىٰ ما قَدَّرَ له وقَضَىٰ له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، فلو تأملنا النملة كيف تخزن طعامها وتحفظه من الفساد وكيف تقسم الحبة إلىٰ فلقتين كي تحميها من أن تنبت؛ لعلمنا عظمة من خلقها وحفظها بهدايته لها إلىٰ ذلك.

ولو تأملنا خلية نحل ورأينا سكانها من ملكة وجنود وخادمات، وكيف يقمن بخدمة البيض ويرعينه؛ حتىٰ لا يتعرض للخطر، فيقمن بتهوية مكانه، وتهيئة أسباب السلامة فيه حتىٰ يفقس، فسبحان من حفظها.

ومن حفظه العام: أن يدفع عن خلقه أصناف المكاره، والمضار، قال تَعالَى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ**

وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ »[1].

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما من عبد إلا وله ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما من شيء يأتيه إلا قال له: وراءَك، إلا شيئًا أذن الله فيه فيصيبه»[2].

وهذا الحفظ يشترك فيه البَرُّ، والفاجرُ، بل حتىٰ الحيوانات، وغيرها من خلق الله عَزَّوَجَلَّ[3].

وأما حفظه الخاص:

فحفظه لأوليائه سوىٰ ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل يقينهم من الشُّبَهِ، والفتن، والشهوات، فيعافيهم منها، ويخرجهم منها بسلامة، وحفظ، وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجنِّ والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدَهم، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨]، وهذا عام في دفعِ جميعِ ما يضرُّهم في دينهم ودنياهم»[4].

فحفظه سُبْحَانَهُ لهم علىٰ ضربين:

الأول: حفظهم في مصالح دنياهم، كحفظهم في أبدانهم وأهلهم وأولادهم وأموالهم.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٥٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٧-٤٣٨).

(٣) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٥٩-٦١)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، لعبد الرزاق البدر (ص: ١٩١).

(٤) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٥٩-٦١).

الثاني: حفظهم في دينهم وإيمانهم، فيحفظهم في حياتهم من الشبهات المضلة ومن الشهوات المحرمة، ويحفظهم عند موتهم فيتوفاهم علىٰ الإيمان[1].

ومن صور حفظه لهم، ما يلي:

حفظه لأوليائه من مكر الأعداء:

- إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وضعه قومه في المنجنيق؛ ليرموه في النار التي أشعلوها، فأتىٰ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لإبراهيم، فقال له: «هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأمَّا إلىٰ الله فبَلَىٰ، فقال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] فقال الله للنار: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]»[2].

- رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجمع الكفار علىٰ قتله، وأسندوا المهمة إلىٰ شباب ذوي قوة وجَلَد من قبائلهم، فحفظه الله بحفظه ورد كيدهم، ثم دخل الغار مع أبي بكر، وصارت قريش قاب قوسين أو أدنىٰ منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حتىٰ إن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا»[3]، فحفظه الله من قريشٍ ولم يروه ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٤٦٥-٤٦٩).

(٢) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٦٦٣).

كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، ثم يدركه سراقة بن مالك، فغارت قدَما فرسه في الأرض حتىٰ بلغت الركبتين، فخرَّ عنها، فاستسلم وبشَّرَهُ الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بأن يلبسَ سوارَي كسرىٰ»[1].

حفظه لأوليائه بتسخير الكون لهم:

- موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، حفظه الله، فها هي أمه ترضعه، وتحذَرُ عليه من فرعونَ ومَلَئِهِ أن يقتلوه، فيوحي الله إليها ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، فيذهب به البحر إلىٰ دار فرعون ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾، فحفظه الحفيظ في أمواج البحر المتلاطمة، وحفظه في قصر فرعون، بل وأنزل محبته في قلوبهم ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [القصص: ٩].

- يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، حفظه الله في بطن الحوت، فلم يكسر له عظمًا، ولا أكل له لحمًا، بل يُذكر أنه أوحي إلىٰ الحوت: إن يونس ليس لك رزقًا، وإنما بطنك له يكون سجنًا[2].

حفظه لأوليائه في دينهم:

حفظ الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من الوقوع في السوء والفحشاء، مع قوة الدواعي الداعية للوقوع فيها، فهو شاب عزب، غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣/ ٢٢٢-٢٢٧).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٦٦).

كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدي المرأة، وهي سيدته، و تحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر،، ومع ذلك ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [يوسف:٢٣]، وصار المحل خاليًا، وهما آمنان من دخول أحد عليهما، ودعته إلىٰ نفسها ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف:٢٣]، وفيها من الجمال ما يدعو إلىٰ ما هنالك، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم، ومع ذلك كله حفظه الحفيظ في دينه، قال تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤][1].

وحينما يتكفل الحفيظ بحفظ شيء، فمن المحال أن يضيع أو يهلك، وكيف يهلك وقد تعهد الله بحفظه وتولاه برعايته، وهو خير الحافظين، قال تَعَالَى: ﴿فَالله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

تكفَّل بحفظ كتابه العزيز من التحريف والتغيير والتبديل علىٰ مر العصور والدهور ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فبقىٰ هذه القرون الطويلة محفوظًا بحفظ الحفيظ له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بينما التوراة والإنجيل لما أوكل حفظها إلىٰ الرَّبَّانيين والأحبار ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤]؛ حصل التبديل والتغيير[2].

وتكفل بحفظ بيته الحرام، **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك الكعبة؛ فإنها بيت من حجارة بوادٍ غير ذي زرع، ليس عندها أحد يحفظها من عدو، ولا

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٦).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٤٤-٣٤٥).

عندها بساتين وأمور يرغب الناس فيها، فليس عندها رغبة ولا رهبة، ومع هذا فقد حفظها بالهيبة والعظمة، فكل من يأتيها يأتيها خاضعًا ذليلًا متواضعًا في غاية التواضع، وجعل فيها من الرغبة ما يأتيها الناس من أقطار الأرض محبةً وشوقًا من غير باعث دنيوي، وهي علىٰ هذه الحال من ألوف السنين، وهذا مما لا يعرف في العالم لبنية غيرها، والملوك يبنون القصور العظيمة فتبقىٰ مدة، ثم تهدم لا يرغب أحد في بنائها ولا يرهبون من خرابها.

وكذلك ما بني للعبادات قد تتغير حاله علىٰ طول الزمان، وقد يستولي العدو عليه كما استولىٰ علىٰ بيت المقدس، والكعبة لها خاصة ليست لغيرها، قصدها جيش عظيم ومعهم الفيل، فهرب أهلها منهم فبرك الفيل وامتنع من المسير إلىٰ جهتها، وإذا وجهوه إلىٰ غير جهتها توجه، ثم جاءهم من البحر طير أبابيل، أي: جماعات في تفرقة فوجًا بعد فوج، رموا عليهم حصىً هلكوا به كلهم؛ فهذا مما لم يوجد نظيره في العالم، فآيات الأنبياء هي أدلة علىٰ صدقهم»[1].

وتكفل بحفظ دينه «ولو كره المشركون ذلك وبغوا له الغوائل، ومكروا مكرهم، فإن المكر السيئ لا يضر إلا صاحبه»[2]، قال تعالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢- ٣٣].

---

(١) ينظر: النبوات (ص١٦٠-١٦١).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٣٥).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الحافظ الحفيظ) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في سعة حفظ الحفيظ للخلائق كله، وأن كل شيء إنما حفظ بحفظه وقام بقيوميته، فهو الحي القيوم الذي قام بنفسه فاستغنىٰ عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد والحفظ- تيقن أنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، فإن كل من دونه عاجز عن حفظ نفسه، فضلًا عن أن يحفظ غيره[1]، فلو أوكل سُبْحَانَهُ حفظ هذه الكواكب والنجوم إلىٰ ذواتها ولم يتولَّها بحفظه ورعايته، لتهافتت وتهاوت وتساقطت، وذهب كلٌّ منها إلىٰ حيث لا يُعلم له غاية ولا مستقر، ولو أوكل حفظ السماء والأرض للخلق، لعجزت قواهم عنها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: ٤١]، فمن كان هذا حاله كيف يتخذ إلهًا من دون الله؟!

كما أن العبد إذا تأمل في حفظ الحفيظ لأهل التوحيد وإكرامه لهم، والإهانة والعقوبة لأهل الشرك- كان في ذلك دلالة له علىٰ توحيد الله دون ما سواه، وما ذاك إلا لأن التوحيد جعله الله موصلًا إلىٰ كل خير، دافعًا لكل شر ديني ودنيوي، وجعل الشرك به والكفر سببًا للعقوبات الدينية والدنيوية، ولهذا إذا ذكر تَعَالَى قصص الرسل مع أمم المطيعين والعاصين، وأخبر عن عقوبات العاصين ونجاة الرسل ومن تبعهم، قال عقب كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ [البقرة:٢٤٨] أي: لعبرة يعتبر بها المعتبرون، فيعلمون أن توحيده هو الموجب للنجاة، وتركه هو الموجب للهلاك[2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١٢٥).

الأثر الثالث: محبة الله الحفيظ:

إن التفكر والتدبر في حفظ الله للعبد يملأ القلب حبًّا للحفيظ سُبْحَانَهُ، الذي حفظ له دينه وحفظ له جوارحه، وحفظ له معاشه في هذه الدنيا؛ إذ لو خُلِّيَ بين العبد وبين المهلكات؛ لَـمَا بَقِيَ علىٰ ظهرها مِن دابَّة ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١].

وهذا حفظه العام للناس- مؤمنهم وكافرهم- أما حفظه الخاص لأوليائه فشيء آخَرُ ونعمة أخرىٰ تقتضي من أهلها المحبة العظيمة والحمد والقيام بحقوق عبوديته سُبْحَانَهُ وطاعته، وبقدر تحقيق العبودية والطاعة لله عَزَّوَجَلَّ يكون الحفظ والرعاية من الله عَزَّوَجَلَّ لعبده.

الأثر الرابع: مراقبة العبد للحافظ الحفيظ:

إذا علم العبد أن الله عَزَّوَجَلَّ حفيظ يحفظ عليه عمله ويرصد أقواله وأفعاله ولا يفوته شيء منها، ثم هو سُبْحَانَهُ يحاسبه عليها يوم القيامة؛ دفعه ذلك إلىٰ مراقبتهسُبْحَانَهُ في السر والعلن، في ظاهره وباطنه، في حركاته وسكناته حتىٰ يصل إلىٰ درجة الإحسان التي فسرها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1]، فيعبد ربه مستحضرًا قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة: «**أَنْ تَخْشَىٰ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»[2]، ويوجب له- أيضًا- النصح

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠).

في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها[1].

الأثر الخامس: «احفظ الله يحفظك»:

ليس ثَمَّ حافظ حفيظ غير الله جَلَّجَلَالُهُ، فهو سُبْحَانَهُ وحده الذي يحفظ من الشرور والآفات والمهالك، يحفظ من عقابه وعذابه وسخطه[2].

وإنما حظ العبد من حفظه سُبْحَانَهُ، **بحسب ما عنده** من إيمان وتقوىٰ، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»[3]، **قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: احفظْ حدود الله، وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ولا يتعدَّىٰ ما أمر به إلىٰ ما نهي عنه»[4].

وقد مدح الله سُبْحَانَهُ عباده الذين يحفظون حقوقه وحدوده، فقال في معرض بيانه لصفات المؤمنين الذين اشترىٰ منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢-٣٣].

- وأعظم ما يجب علىٰ المسلم حفظه من أوامر الله: حق الله في التوحيد، فيعبده وحده ولا يشرك به شيئًا ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ: «**يَا مُعَاذُ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، **قَالَ**:

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ١٢٦).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٤٦).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٧١٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٥١٦)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث:(٥٣٠٢).

(٤) نور الاقتباس، لابن رجب (ص ٣٤).

هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، **قَالَ: حَقُّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، **ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، **فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟** قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، **قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»[(١)]، فهذا هو الحق العظيم الذي أمر الله سُبْحَانَهُ عباده أن يحفظوه ويراعوه، وهو الذي من أجل حفظه أرسل الرسل وأنزل الكتب.

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه: الصلاة، قال تَعَالَى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩، المعارج: ٣٤].

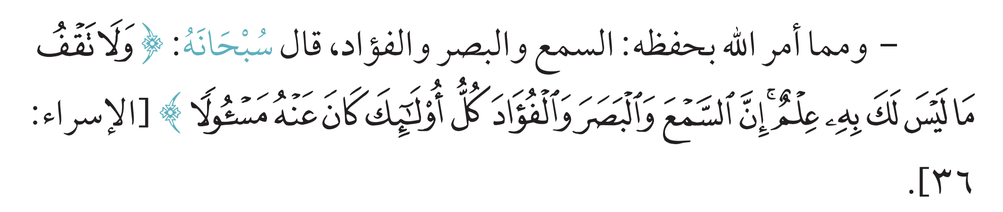
فمن حافظ علىٰ الصلوات وحفظ أركانها، حفظه الله من نقمته وعذابه، وكانت له نجاة يوم القيامة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا، ولا سيما إذا أُعطِيَتْ حقَّها من التكميل ظاهرًا وباطنًا، فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة، ولا استجلبت مصالحها بمثل الصلاة، وسر ذلك: أن الصلاة صلة بالله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ قدر صلة العبد بربه عَزَّوَجَلَّ تفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتقطع عنه من الشرور أسبابها، وتفيض عليه موارد التوفيق من ربه عَزَّوَجَلَّ، والعافية، والصحة، والغنيمة والغنىٰ، والراحة والنعيم، والأفراح والمسرات، كلها محضرة لديه، ومسارعة إليه»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٩٦٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٠).

(٢) الطب النبوي (ص ٣٣٢).



- ومما أمر الله بحفظه: السمع والبصر والفؤاد، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

- وأمر بحفظ الفروج، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠]، ومدح المؤمنين بذلك، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦]، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ**»[1].

وأمر بحفظ الأيمان، فقال: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩]، وحفظ اليمين يدل علىٰ إيمان المرء وورعه، فكثير من الناس يتساهل في الحلف والقسم، وقد تلزمه كفارة وهو لا يدري، أو يعجز عنها، فيقع في الإثم لتضييعه وعدم حفظه لأيمانه[2].

والمؤمن مأمور بحفظ دينِه أجمع، فلا يترك منه شيئًا إلا حفظه، وبقدر حفظه يكون حفظ الله له في دينه وماله وولده، وجميع ما آتاه من فضله؛ فإن الجزاء من جنس العمل، قال تَعَالَىٰ ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة:٤٠]، وقال: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠][3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٧٤).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٤٦٢-٤٦٥).

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٤٦٥)، الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٥٩-٦١).

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلوا عنه»[1].

ومَن حَفِظَ اللهَ في صباه وقوته، حفظه اللهُ في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله.

وقد يحفظ اللهُ العبدَ بصلاحه بعد موته في ذريته، كما قيل في قوله تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢]: أنهما حفظا بصلاح أبيهما، قال سعيد بن المسيب رَحِمَهُٱللَّهُ لابنه: «لأزيدن في صلاتي من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢]»[2]، وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ: «ما من مؤمن يموت، إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه»[3].

وقال محمد بن المنكدر رَحِمَهُٱللَّهُ: «إِنَّ اللهَ لَيُصْلِحَ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ وَلَدَهُ، وَوَلَدَ وَلَدِهِ، وَيَحْفَظُهُ فِي دُوَيْرَتِهِ، وَالدُّوَيْرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ مَا دَامَ فِيهِمْ»[4].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير، رقم الحديث: (١٣٥٩)، والطبري في التفسير، رقم الحديث: (٢٠٢١٧).

(٢) تفسير البغوي (٥/ ١٩٦).

(٣) الجامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٥٥٥).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد، رقم الحديث: (٣٣٠)، والحميدي في المسند، رقم الحديث: (٣٧٧).

النوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه علىٰ الإيمان.

وفي الجملة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ علىٰ المؤمن الحافظ لحدود دينه، ويحول بينه وبين ما يفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ، وقد لا يشعر العبد ببعضها، وقد يكون كارهًا له، كما قال في حق يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال: «يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلىٰ النار»(١).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتىٰ ييسر له، فينظر الله إليه، فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإنه إن يسرته له أدخلته النار، فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير يقول: سبقني فلان دهاني فلان، وما هو إلا فضل الله عز جل»(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث: (٣٢٦٥)، والبيهقي في القضاء والقدر، رقم الحديث: (٣٢٧).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٤٦٥-٤٦٩).

الأثر السادس: الأسباب المحصلة لحفظ الحفيظ:

شرع الله أسبابًا تعين العبد على الفوز بحفظه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومن ذلك:

١- الصلاح والتقوى:

فكلما كان العبد أكثر صلاحًا وتقوى، كلما كان أقرب إلى حفظ الله تَعَالَى، وكلما كان محافظًا على حدوده، مجتنبًا لمحارمه؛ كان بحفظه أحظى، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ**»[(١)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «متى كان العبد مشتغلًا بطاعة الله، فإن الله يحفظه في تلك الحال، وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِيهِ فَخَرَجَتْ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكَتْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ عَنْزًا لَهَا وَصِيصِيَتَهَا، كَانَتْ تَنْسِجُ بِهَا، قَالَ: فَفَقَدَتْ عَنْزًا مِنْ غَنَمِهَا وَصِيصِيَتَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ قَدْ ضَمِنْتَ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِكَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيْهِ، وَإِنِّي قَدْ فَقَدْتُ عَنْزًا مِنْ غَنَمِي وَصِيصِيَتِي، وَإِنِّي أَنْشُدُكَ عَنْزِي وَصِيصِيَتِي، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَذْكُرُ شِدَّةَ مُنَاشَدَتِهَا لِرَبِّهَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَى، **قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَأَصْبَحَتْ عَنْزُهَا وَمِثْلُهَا، وَصِيصِيَتُهَا وَمِثْلُهَا**»[(٢)] »[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٧١٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٥١٦)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث:(٥٣٠٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٦٦٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث : (٢٩٣٥).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٥٥).

٢- التوكل علىٰ الله:

فإن العبد إذا توكل علىٰ الله واعتمد عليه في جلب منافعه ودفع مضاره، وأخذ مع ذلك بالأسباب، وجد الله متوليًا لأمره، مراعيًا لحاله، حافظًا له ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] «كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلىٰ العبد من كل شيء»(١)، وهذا عين التوفيق.

وضد ذلك: الخذلان، فإن العبد إذا اعتمد علىٰ نفسه وحوله وقوته؛ تركه الله لهذا كلِّه وخلَّاه، وهذا هو عين الخذلان.

وأوضح الله لنا هذا المعنىٰ بما أورد في كتابه من قصص:

فها هي أم موسىٰ لـما فوَّضَت أمرها إلىٰ الله حفظ ابنها وردَّه إليها، قال تَعالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٧-٨].

وهذا موسىٰ يقول له قومه- بعد أن كان البحرُ أمامَهم والعدوُّ وراءَهم-: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، فيصدع قائلًا: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]، فأوحىٰ الله إليه: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الشعراء:٦٣]، فكانت النتيجة ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٧٠).

والصحابة عندما أعجبتُهُم كثرتُهُم يومَ حنينٍ فاعتمدوا عليها، تخلَّىٰ الله عنهم، قال تعالَى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥].

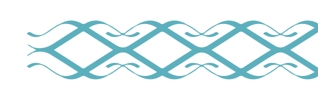
بينما في بدر كان العدد قليلًا، والعتاد قليلًا، لكن التوكُّل علىٰ الله كبير، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣].

٣-تلاوة القرآن:

أنزل الله كتابه وجعله هدىٰ ورحمة ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٧]، ومن هدايته ورحمته: أن بعض سوره وآياته نص رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أنها حفظ ووقاية للعبد من الشرور، ومن ذلك:

١- آية الكرسي:

جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قال: «وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي،



فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **مَا هِيَ؟** قُلْتُ: قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّىٰ تَخْتِمَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَىٰ الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟** قَالَ: لَا، قَالَ: **ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(١).

وعن أُبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ جُرْنٌ فِيهِ تَمْرٌ، وَكَانَ أُبَيٌّ يَتَعَاهَدُهُ، فَوَجَدَهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ تُشْبِهُ الْغُلَامَ الْمُحْتَلِمَ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ أَجِنٌّ أَمْ إِنْسٌ؟ قَالَ: جِنٌّ، قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَنِي يَدَهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ، وَشَعَرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ مَا فِيهِمْ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ لَهُ أُبَيٌّ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٣١١).

قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ أُبَيٌّ: فَمَا الَّذِي يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، ثُمَّ غَدَا أُبَيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **صَدَقَ الْخَبِيثُ**»[1].

٢- خواتيم سورة البقرة:

جاء في الحديث، عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»[2].

واختلف في المراد بـ«**كَفَتَاهُ**»، فقيل: «أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن، وقيل: أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقًا، سواء كان داخل الصلاة أم خارجها، وقيل: معناه: أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد؛ لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالًا، وقيل: معناه كفتاه كل سوء، وقيل: كفتاه شر الشيطان، وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن، وقيل: معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ساق هذه الأقوال: «يجوز أن يراد جميع ما تقدم»[3].

وجاء عن النعمان بن بشير، قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ فَخَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلَا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا الشَّيْطَانُ**»[4].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى، رقم الحديث: (١٠٧٣٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٦٦٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٠٠٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٨٠٨).

(٣) فتح الباري (٩/ ٥٦).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٦٤٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٨٨٢)، حكم الألباني: صحيح، الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٦٨٠).

٣- سورة البقرة:

جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»(١).

وعن أبي أمامة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**» البطلة: السحرة(٢).

٤- سورة الإخلاص والمعوذتان:

جاء في الحديث عن عبد الله بن خُبَيب، أنه قال: «خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: **قُلْ**، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: **قُلْ** فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] **وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**»(٣).

ومعنىٰ «**تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**»: من كل شر وتدفع عنك كل سوء، ويحتمل أن يكون المعنىٰ: تغنيك علىٰ كل ورد يتعوذ به(٤).

٤- ذكر الله عَزَّوَجَلَّ:

شرع الله عَزَّوَجَلَّ ذكره، وجعله حرزًا للعبد يحترز به من الشرور كلها، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٨٠).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨٠٤).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٧٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٧٥).

(٤) ينظر: عون المعبود، للعظيم آبادي (١٣/ ٢٩٠)، وتحفة الأحوذي، للمباركفوري (١٠/ ٢١).

خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ عَلَىٰ حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تَعَالَى انخنس عدو الله تَعَالَى، وتصاغر وانقمع، حتىٰ يكون كالوصع وكالذباب، ولهذا سُمِّيَ الوسواس الخناس، أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تَعَالَى خنس، أي: كف وانقبض»[2].

والأذكار التي ورد النص بحفظها للعبد كثيرة، ومنها:

أ- ما جاء في حديث خولة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[3]، و«جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ**»[4]، أي: لم تضرك العقرب، بأن يُحَالَ بينك وبين كمال تأثيرها، بحسب كمال التعوُّذ وقوته وضعفه؛ لأن الأدوية الإلهية تمنع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يضرَّهُ»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٨٦٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٨٦٣).

(٢) الوابل الصيب (ص: ٣٦-٣٧)

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٨).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٩).

(٥) أوجز المسالك إلىٰ موطأ مالك، للكاندهولي المدني (١٧/ ٦٦).

ب- ما جاء في حديث عبد الرحمن بن خنبش، « جَاءَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَتَحَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَالِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةُ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ يَحْرِقَ بِهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَرُعِبَ - قَالَ جَعْفَرٌ: أَحْسَبُهُ، قَالَ: جَعَلَ يَتَأَخَّرُ - قَالَ: وَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ، قَالَ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ**، فَطُفِئَتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

ج- ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**»[2].

د- ما جاء عن عثمان بن عفان، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٧٠٠)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٨٤٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٩٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٩١).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٦٩)، واللفظ له، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٨).

٥- التصبح بسبع تمرات من العجوة:

جاء في الحديث عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ** - وفي رواية: **مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا**»، أي: لابتي المدينة[1].

٦- استيداع الله الأمور:

جاء في الحديث، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا اسْتُودِعَ اللهُ شَيْئًا حَفِظَهُ**»[2].

٧-الدعاء:

الدعاء من أهم الوسائل التي يحصل بها العبد حفظ الله عَزَّ وَجَلَّ[3]، لذا كثرت الأدعية النبوية في سؤال الله الحفظ، ومن ذلك:

«**احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُشْمِتْ بِي عَدُوًّا حَاسِدًا، وَاللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ**»[4].

«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي، وَقَالَ عُثْمَانُ:**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٤٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٠٤٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٢٦٩)، وابن حبان، رقم الحديث: (٢٦٩٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٤).

(٣) فقه الأسماء الحسنىٰ، لعبد الرزاق البدر (ص: ١٩٣).

(٤) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (١٩٣٠)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (١٤٤٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٢٦٠).

عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[1].

فاللهم يا حفيظ، إنا نعوذ بك من جهد البلاء، وَدَرَك الشَّقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.



(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٧٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٧١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٧١).

ذُو الفضلِ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفضل والفضيلة: خلاف النقص والنقيصة، والإفضال: الإحسان»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الفاء والضاد واللام) أصل صحيح يدل على زيادة في شيء، من ذلك: الفَضل: الزيادة والـخير، والإفضال: الإحسان»[2].

ورود اسم الله (ذي الفضل) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (ذو الفضل) في كتاب الله اثنتي عشرة مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩]

---

(١) الصحاح (٥/ ٦٩).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٨).

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٩]

ورود اسم الله (ذي الفضل) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (ذو الفضل) في السنة النبوية.

معنى اسم الله (ذي الفضل) في حقه سُبْحَانَهُ:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٤]: «ذو فضل، يتفضل به علىٰ مَن أَحَبَّ وشاء مِن خلقه، ثم وصف فضله بالعِظَم، فقال: فضله عظيم؛ لأنه غير مشبه في عظم موقعه ممن أفضله عليه إفضال خلقه، ولا يقاربه في جلالة خطره ولا يدانيه»[١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله سُبْحَانَهُ ذو الفضل العظيم، والإحسان العميم، أعطىٰ خلقه ما لا يلزمه، وتفضَّل عليهم بما لا يجب عليه، فَسُبْحَانَهُ من رءوف رحيم، تفضَّل علىٰ جميع خلقه بنعمته، وعلىٰ المؤمنين بدار كرامته، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]»[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٤]: «أي: اختصكم- أيها المؤمنون- من الفضل بما لا يُحَدُّ ولا يوصف، بما شرَّف به نبيَّكم محمدًا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٠٧).

(٢) الأسنىٰ شرح أسماء الله الحسنىٰ (١/ ٥١١).

سائر الأنبياء وهداكم به لأحمدِ الشرائع»[1].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فضل الله يؤتيه من يشاء، أي: يعطيه من يشاء إعطاءه إيَّاه تفضلًا وإحسانًا، والله ذو الفضل العظيم، فهو يتفضل علىٰ من يشاء، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، والخير كله بيده، وهو الكريم المطلق، والجواد الذي لا يبخل»[2].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]: «الذي لا يصفه الواصفون، ولا يخطر بقلب بشر، بل وصل فضله وإحسانه إلىٰ ما وصل إليه علمه ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر:٧]»[3].

فكل خير يناله العباد في دينهم أو دنياهم إنما هو من عند الله، يتفضل به عليهم ذو الفضل سُبْحَانَهُ!

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

يَـا مَـنْ يُرِيـدُ وِلَايَـةَ الرَّحمـنِ دُو	نَ وِلَايَـةِ الشَّـيْطَانِ والأَوْثَـانِ
فَـارِقْ جَمِيعَ النَّـاسِ في إشـراكِهِم	حتَّـىٰ تَنَـالَ ولايـةَ الرَّحمـنِ
يَكفِيكَ مَن وَسِعَ الخلائقَ رحمةً	وكفايـةً ذو الفَضْـلِ والإِحْسَـانِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠).

(٢) فتح القدير (٥/ ٢١١).

(٣) تفسير السعدي (ص ١٣٤).

يَكفِيكَ رَبٌّ لم تزلْ ألطافُهُ تأتي إليكَ برحمةٍ وحنانِ
يَكفِيكَ رَبٌّ لم تزلْ في سترِهِ ويراكَ حينَ تجيءُ بالعصيانِ[1]

اقتران اسم الله (ذي الفضل) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله (ذو الفضل) مقترنًا بأسماء أخرىٰ.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (ذي الفضل):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (ذو الفضل) من صفات الله، وتحقيق التوحيد له:

الله سُبْحَانَهُ ذو الفضل الواسع والنعيم الوفير، ينعم علىٰ عباده بفضله ويمتن عليهم بخيره، **ومن مظاهر أفضال الله تَعَالَىٰ ما يلي:**

أولًا: الأفضال الدنيوية:

وهي الأفضال التي تعم المسلم والكافر، البَر والفاجر، الإنسان والحيوان، بل كل ما سوىٰ الله متقلِّب في فضله وبرِّه، ومن أمثلة هذه الفضائل: الرزق، فكل ما رزقك إياه في الدنيا: من عافية وسعة رزق وبيت وولد ووالد، تنام بالليل، وتسعىٰ بالنهار، لا تعاني من قلق وأرق، ولا تعيش بطالة وكسلًا، هو من فضله تَعَالَىٰ، تأمل قول سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]

---

(١) النونية (ص ٣٠٠).

وعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يقول إذا أخذ مضجعه: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي كَفَانِي، وَآوَانِي، وَأَطْعَمَنِي، وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ**»[1].

ثانيًا: الأفضال الدينية:

وهي الأفضال التي تخص المؤمن في دينه، ومن أبرزها:

- **فضل الهداية للإسلام**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٣]

- **فضل تزكية نفوس المؤمنين وتنوير بصائرهم**، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢١]

يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فلولا فضل الله ورحمته علىٰ المؤمنين ما زَكَتْ منهم نفس واحدة؛ فإذا أراد اللهسُبْحَانَهُ بها خيرًا جعل فيها ما تزكو به وتصلح- من الإرادات والتصورات- وإذا لم يُرد بها ذلك تركها علىٰ حالها التي خُلِقَتْ عليها من الجهل والظلم»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٥٨)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٧٦٤٧)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث: (٣٩٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٥٨).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٧٧).

- **فضل إنزال القرآن**، يقول تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨]، يقول أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في معنىٰ الآية: «بِفضل الله: القرآن، وبرحمته: أن جعلكم من أهله»[(١)]، ومن فضل القرآن: أن جعله ذو الفضل شفيعًا لأصحابه يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ**»[(٢)].

ومن فضله أيضًا: أن الله يرفع قدر أهل البيت الذين يتلىٰ في بيوتهم كلام الرحمن يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُم فِي بُيُوْتِكُم، وَلاَ تَجْعَلُوْهَا عَلَيْكُم قُبُوراً، كَمَا اتَّخَذَتِ اليَهُوْدُ وَالنَّصَارَىٰ فِي بُيُوْتِهِم قُبُوراً، وَإِنَّ البَيْتَ لَيُتْلَىٰ فِيْهِ القُرْآنُ، فَيَتَرَاءىٰ لأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تَتَرَاءىٰ النُّجُوْمُ لأَهْلِ الأَرْضِ**»[(٣)].

- **فضل إرسال محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لهداية الناس إلىٰ الطريق القويم،** ومَن تأمَّل ما جاء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملة وتفصيلًا؛ عرف أنه لا صلاح للبشر إلا بالرجوع إلىٰ الكتاب والسنة، وأنه كما أن بهما إصلاح العقائد والأخلاق والأعمال، فقد جاء فيهما ما يصلح أمور الدنيا كذلك، وكل ما يعود إلىٰ الخير والنفع العام والخاص.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/ ١٩٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٧٣٦)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٤٦٧٢)، والحاكم، رقم الحديث: (٢٠٤٣)، حكم الألباني: صحيح، المشكاة، رقم الحديث: (١٩٦٣).

(٣) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٩)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣١١٢).

- **فضل تثبيت المؤمنين على دينهم، ومدافعته عنهم، ونصرتهم على أعدائهم، فيعصمهم من الزيغ والخذلان واتباع الشيطان**، يقول تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣].

- **فضل طلب الجنة، والسعي للوصول إليها**، يقول تَعَالَى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]

- **فضل تنوير بصائر من اتقاه، وتكفيره لسيئاته، ومغفرته لذنوبه، وتزكية نفسه**، قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩]

- **فضل إعطاء المؤمنين فوق ما يستحقون من ثواب**، يقول تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٧٣]

فحري بالقلب أن يتعلق بصاحب الفضائل سُبْحَانَهُ، ويوحده بألوهيته وربوبيته، ويديم النظر والتفكر في آلائه وأسمائه وصفاته، ويكثر من التضرع بأن يمن الله عليه من أفضال الدنيا والآخرة.

كما أن اسم الله (ذا الفضل) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله (ذي الجلال والإكرام)، و(المنان)، و(الكريم)، و(الرحيم)، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: تحقيق صدق الافتقار لذي الفضل سُبْحَانَهُ:

من أيقن أن الفضل بيد ذي الفضل وحده سُبْحَانَهُ؛ صح في قلبه صدق الاضطرار وكمال الافتقار، وتجرد من جبروت النفس والجاه والمال، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وفي حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[1].

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرح الحديث**: «الأمة كلها من أولها إلىٰ آخرها لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وعلىٰ هذا فإن نفع الخلق الذي يأتي للإنسان فهو من الله في الحقيقة؛ لأنه هو الذي كتبه له، وهذا حث لنا علىٰ أن نعتمد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ونعلم أن الأمة لا يجلبون لنا خيرًا إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ»[2].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٧١٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٥١٦)، حكم الألباني: صحيح، المشكاة، رقم الحديث: (٥٣٠٢).

(٢) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين (ص: ٢٠٢)

«فإذا جرَّد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله تَعَالَى، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه، وتجرد الله محبة وخشية وإنابة وتوكلًا واشتغالًا به عن غيره، فيرىٰ أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولىٰ حفظه والدفع عنه،... قال بعض السلف: من أقبل علىٰ الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة، فالتوحيد حصن الله الأعظم، الذي من دخله كان من الآمنين: قال بعض السلف: من خاف الله آمنه من كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء»[1].

الأثر الثالث: محبة ذي الفضل سُبْحَانَهُ:

إن العبد إذا عرف فضل الله عَزَّوَجَلَّ، وآمن بأنه ذو الفضل العظيم؛ ازداد حبُّه لله، وعظم شوقه إلىٰ لقائه، فيكون راجيًا فضل ربه، محسنًا الظن بخالقه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

الأثر الرابع: الفرح بفضل الله تعالىٰ:

فالله سُبْحَانَهُ يحب أن يرىٰ فرح وسعادة عبده بكريم وجزيل فضله، يقول تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «ففضله: الإسلام والإيمان، ورحمته: العلم والقرآن، وهو يحب من عبده: أن يفرح بذلك ويسر به، بل يحب من عبده: أن يفرح بالحسنة إذا عملها وأن يسر بها، وهو في الحقيقة فرح بفضل

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٢٤٥)

الله، حيث وفقه الله لها، وأعانه عليها ويسرها له، والفرح أعلىٰ أنواع نعيم القلب، ولذته وبهجته،... والفرح بالشيء فوق الرضا به، فإن الرضا طمأنينة وسكون وانشراح، والفرح لذة وبهجة وسرور، فكل فَرِح راض، وليس كل راضٍ فَرِحًا، ولهذا كان الفرح ضد الحزن، والرضا ضد السخط، والحزن يؤلم صاحبه، والسخط لا يؤلمه، إلا إن كان مع العجز عن الانتقام، والله أعلم»[1].

«**وقد جاء الفرح في القرآن علىٰ نوعين: مطلق ومقيد**، فالمطلق: جاء في الذم، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].

والمقيد: نوعان أيضًا:

مقيد بالدنيا: يُنسي صاحبه فضل الله ومنته، فهو مذموم، كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

والثاني: مقيد بفضل الله وبرحمته، وهو نوعان أيضًا:

فضل ورحمة بالسبب، وفضل بالمسبب، فالأول: كقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] والثاني: كقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٧٠]، فالفرح بالله، وبرسوله، وبالإيمان، وبالسنة، وبالعلم، وبالقرآن: من أعلىٰ مقامات العارفين، قال الله تَعَالَىٰ:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد:٣٦]، فالفرح بالعلم والإيمان والسنة:

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٥٨).

دليل علىٰ تعظيمه عند صاحبه، ومحبته له، وإيثاره له علىٰ غيره، فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله له: علىٰ قدر محبته له، ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله له، ولا يحزنه فواته، فالفرح تابع للمحبة والرغبة»[1].

الأثر الخامس: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[2]:

علىٰ العبد أن يكون باذلًا لخلق الله الفضل، يرجو ببذله أن يناله فضلُ الله ورحمته، فالله عَزَّوَجَلَّ يحب المحسنين إلىٰ خلقه، ويحسن إليهم، كما دل عليه الحديث الصحيح عن أبي مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْـخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْـمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ الله** عَزَّوَجَلَّ: **نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ»**[3].

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ»**[4].

فينبغي علىٰ العبد أن يسارع ببذل الفضل الذي أنعم الله به تَعَالَىٰ عليه، فيبذل ماله إن كان ذا مال؛ تقربًا به لله، وشاكرًا لنعمه عليه، وكذا صاحب الجاه وصاحب العلم، وليتذكر دائمًا حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي رواه عنه أبو

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٥٨).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦١).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٧٢٥٦)، والطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٥١٦٢)،حكم الألباني: ضعيف، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (٢٦٢٧).

هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حيث قال فيه المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١)، وروي عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ**»(٢).

وهذا من باب المسارعة إلىٰ فعل الخيرات، التي أمر الله بالسباق إليها والزحام عليها، قال تَعَالَىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١] وهذه المغفرة والجنة فضل يؤتيه الله من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم.

فاللهم يا بَر، يا رؤوف، يا رحيم، يا ذا الفضلِ العظيم، يا غفور، يا ودود، يا حليم، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك.



---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الرَّقيبُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرقيب: الحافظ،... تقول: رقبت الشيء أرقبه رقوبًا، ورِقْبَةً ورِقْبانًا بالكسر فيهما، إذا رَصَدْتَهُ...»(1).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(رقب) الراء والقاف والباء أصل واحد مطرد، يدل علىٰ انتصاب لمراعاة شيء، من ذلك الرقيب، وهو الحافظ، يقال منه: رقبت أرقب رقبة ورقبانًا...»(2).

ورود اسم الله (الرقيب) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ **(الرقيب) في كتاب الله ثلاث مرات، وورده كالتالي:**

1- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:1].

2- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[المائدة: 117].

3- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾[الأحزاب:52].

ورود اسم الله (الرقيب) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (الرقيب) في السنة النبوية.

---

(1) الصحاح (1/ 137-138).

(2) مقاييس اللغة (2/ 427).

معنى اسم الله (الرقيب) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]: «حفيظًا محصيًا عليكم أعمالكم متفقِّدًا رعايتكم حرمة أرحامكم وصلَتكم إياها وقطْعَكُموها وتضييعَكُم حرمتها»[١].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرقيب الذي لا يَغفل عن ما خلق فيلحقه نقص أو يدخل عليه خلل»[٢].

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو سُبْحَانَهُ الرقيب الـمُرَاعي أحوال المرقوب، الحافظ له جملة وتفصيلًا، المحصي لجميع أحواله، وذلك راجع إلىٰ العلم والمشاهدة، وهو الإدراك والإحصاء وهو عَدُّ ما يَدِقُّ ويَجِلُّ من أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، وسائر أحواله وتصرفاته، ومراعاة وجوده وعدمه، وحياته وموته»[٣].

❊ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرقيب هو الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه، يقال: رقبت الشيء أرقبه رقبة، وقال الله تَعَالَىٰ ذكره: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٨]»[٤].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الرقيب) المطلع علىٰ ما أَكَنَّتْه الصدور، القائم

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٥٠).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٦).

(٣) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (١/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥١).

علىٰ كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها علىٰ أحسن نظام، وأكمل تدبير»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُـوَ الرَّقِيْـبُ عَلَـىٰ الْـخَوَاطِرِ وَاللَّـوَا
حِـظِ كَيْـفَ بِالْأَفْعَـالِ بِـالْأَرْكَانِ[2]

اقتران اسم الله (الرقيب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله الرقيب **بأي اسم من أسماء الله تعالىٰ**.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرقيب):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرقيب)، ودلالته علىٰ التوحيد:

الله هو الرقيب الذي لا يخرج شيء عن رقابته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] «رقيب للمبصرات ببصره الذي لا يغيب عنه شيء، ورقيب للمسموعات بسمعه الذي وسع كل شيء، ورقيب علىٰ جميع المخلوقات بعلمه الذي أحاط بكل شيء»[3]، يرقب السموات وما فيهن، والأرضين وما فيهن، والبحار وما فيهن، ويرقب عباده وما يصدر منهم.

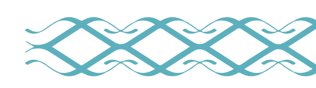
فهو الرقيب الحفيظ الذي حفظ السموات وما فيها من كواكب ونجوم، حفظها من أن يخرجَ منها جِرْمٌ عن موضعه الذي أقامه فيه، أو ينقص من

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٤٧).

(٢) النونية (ص: ٢٠٧).

(٣) فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص:١٨٢).



سرعته التي أجراه بها وأداره عليها، أو ينحرف عن اتجاهه الذي وجَّهه إليه، لا تشغلُهُ رقابة كبارها عن الرقابة علىٰ صغارها، ولا يعوقه حفظ قريبها عن حفظ بعيدها.

ويرقب الأرض فيحفظها في دورتها حول نفسها أمام الشمس؛ حتىٰ لا تنحرف عن دارها الذي رسمه، وحتىٰ تحتفظ بالسرعة التي خصَّها بها، يرقبها في إنباتها وجريان أنهارها، يرقبها من أن تقع السموات عليها ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

ويرقب البحار، فيحفظها من أن تطغىٰ علىٰ اليابسة، فتكون بحرًا يعج عجاجه وتصطخب أمواجه.

ويرقب الأجنة فيحفظها في بطون أمهاتها، وتطورها في خلقها ونموها، وتغذيتها وتمامها، وخروجها ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

ويرقب عباده فيحفظهم من بين يديهم ومن خلفهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] فللإنسان ملائكة يتعاقبون في الليل والنهار يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء(١).

فسبحان الرقيب الذي لولا رقابته علىٰ كل هذه المخلوقات ما قام شيء في الوجود، وسبحان الذي لو تخلت رقابته عن هذا العالم طرفة عين لغرق في طوفان من الظلام وأصبح عدمًا.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤١٤).

وهو الرقيب المطلع علىٰ خلقه، يعلم كل صغيرة وكبيرة في ملكه، ولا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تَعَالَى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٣].

وهو الرقيب المحصي أعمال عباده، يرقب حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم، بل حتىٰ ما يجول في خواطرهم، قال تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] «أي: المطلع علىٰ سرائرهم وضمائرهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] علمًا وسمعًا وبصرًا، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر»(١).

وإذا تأمل العبد في عظم رقابة الله عَزَّوَجَلَّ؛ علم استحقاقه للعبادة وحده دون ما سواه، فهو «رقيب علىٰ الأشياء بعلمه المقدس عن مباشرة النسيان، ورقيب للمبصرات ببصره الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ورقيب للمسموعات بسمعه المدرك لكل حركة وكلام، فهو سُبْحَانَهُ رقيب عليها بهذه الصفات تحت رقابته الكليات والجزئيات، وجميع الخفيات في الأرضين والسموات، ولا خفىٰ عنده، بل جميع الموجودات كلها علىٰ نمط واحد في أنها تحت رقُبته التي هي من صفته»(٢)، وكل معبود من دونه لا يملك من ذلك شيئًا، فكيف يتخذ إلهًا يُعبد؟!!

وكما أن اسم الله (الرقيب) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٤٩).

(٢) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ٤٠١-٤٠٢).

علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله العليم، والشهيد، والحسيب، والسميع والبصير، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: محبة الله الرقيب:

إذا علم المسلم أن الله الرقيب قائم عليه وعلىٰ كل نفس، قائم بتدبيرها علىٰ أكمل نظام وأحسن إحكام، حافظ له وللمخلوقات من حوله فيحفظهم بحفظه ويكلؤهم بعينه، لا يغفل عن خلقه بل يرعاهم ويرعىٰ أحوالهم ويدبر أمورهم، لا شك أن ذلك سيبعث في قلبه محبة الرقيب جَلَّجَلَالُهُ.

الأثر الثالث: مراقبة الرقيب جل في علاه:

إذا أيقن العبد بأن الله هو الرقيب واستشعر نظره له في ظاهره وباطنه، وصغيره وكبيره؛ أورثه ذلك مراقبته سُبْحَانَهُ في السر والعلن، في الليل والنهار، في الخلوة والجلوة، فصار يلحظ أعماله، ويتفقد أفكاره وخطراته حتىٰ يرتقي إلىٰ درجة الإحسان التي أخبر عنها الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنها «**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(١)]، فيحفظ قلبه وسمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها من أن يكون منها أو فيها ما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ.

ومراقبة الله من أعلىٰ أعمال القلوب، ومن أعظم منازل السائرين إلىٰ الله والدار الآخرة، فعلىٰ المسلم أن يسعىٰ لتحقيقها وأن يكون من أهلها، وسيتناول الملحق- بإذن الله- ما يعين علىٰ ذلك.



---

(١) سبق تخريجه.

المراقبة

في موضوع المراقبة سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف المراقبة:

عرفها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **فقال:** «دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ علىٰ ظاهره وباطنه»[1].

ثانيًا: ثمرات المراقبة:

إذا حقق العبد منزلة المراقبة، لا بد أن يجد ثمارها التي تعود إليه في أمر دينه ودنياه وآخرته، ومن ذلك:

١- الإخلاص:

إذا راقب العبد ربه وعلم أنه مطلع علىٰ نيته ومقصده؛ بعثه ذلك إلىٰ إخلاص عمله لله عَزَّوَجَلَّ؛ خوفًا وحياء من ربه أن يطلع علىٰ قلبه وفيه فلان وفلان من الناس، بل يبعثه ذلك- أيضًا- إلىٰ إخفاء عمله عن أعين الناس، كما في السبعة الذين يظلهم الله في ظله، وذكر منهم: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»[2]، فهذا راقب الله، وأراد أن يكون

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٦٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٢٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٣١).

عمله خالصًا لوجهه سُبْحَانَهُ، حتىٰ أن جزءًا من جسده وهو يده لم تعلم ما أنفقت يمينه، وهذا من كمال إخلاصه وتجرده لله تَعَالَى.

٢-إتقان العمل:

إذا استحضر العبد حال قيامه بطاعة من الطاعات نظر الله إليه ومراقبته لعمله؛ أوجب ذلك له بذل الجهد في تحسينها وتكميلها وإتمامها[١].

والعبد مأمور بتحسين عمله، كما قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خير عملًا، كما قال محمد بن عجلان، ولم يقل: أكثر عملًا»[٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»[٣].

ولهذا المعنىٰ جاء الأمر بإقامة الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] لا فعلها أو الإتيان بها؛ لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة، فإقامة الصلاة؛ إقامتها ظاهرًا، بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها، وإقامتها باطنًا بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها، فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وهي التي يترتب عليها الثواب، فلا ثواب للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها[٤].

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ١٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٧٦).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٤٩٢٩)، والطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٨٩٩)، حكم الألباني: حسن[أ] صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٨٣).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٤١).

٣-حفظ الظاهر والباطن من السيئات:

مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ توجب للعبد صيانة ظاهره وباطنه ووقايته من اقتراف السيئات، فإن العبد إذا استحضر اطلاع ربه علىٰ ما بطن وخفي عن أعين الناس؛ دفعه ذلك إلىٰ إصلاح باطنه وصيانته، فيحفظ قلبه من الحرام، ويحفظ فكره من الخواطر الرديئة، ويجرد باطنه من كل شهوة وإرادة تعارض أمر الله، ومن كل محبة تزاحم محبته، وهذه هي حقيقة القلب السليم الذي لا ينجو إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.

وإذا صلح الباطن صلح الظاهر ولا ريب، فمن راقب الله في سره حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته، وقد قيل: من راقب الله في خواطره، عصمه في حركات جوارحه، فلا ينطق بحرام، ولا ينظر لحرام، ولا يسمع لحرام، ولا يبطش حرامًا، ولا يمشي لحرام[١].

فاستشعار العبد لرؤية ربه؛ يدفعه إلىٰ الإقلاع عن المعاصي والآثام؛ لذلك فإن الذي يقع في المعصية، لا بد أنه غاب عنه عند مواقعتها أن الله رقيب شهيد، **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُٱللَّهُ: «فقلوب الجهال تستشعر البعد؛ ولذلك تقع منهم المعاصي؛ إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر، لَكَفُّوا الأكفَّ عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه، فحضرتهم المراقبة، وكَفَتْهم عن الانبساط»[٢].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٦٥-٦٨).

(٢) صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص: ٢١٣).

٤- أعمال القلوب:

إذا حقق العبد مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ؛ أوجب ذلك له جملة من الأعمال القلبية؛ وذلك أن المراقبة هي أساس أعمال القلب وعمودها الذي تقوم عليه، ومن تلك الأعمال:

- **الخوف من الله ومهابته**، فإذا هم بمعصية أو قارفها استشعر نظر ربه ورقابته، فخاف منه، واضطربت أركانه هيبة وتعظيمًا له[١].

- **محاسبة النفس** والخلوة بها، ومعاتبتها بين الفينة والأخرىٰ، فكلَّما همَّ العبد بمعصية استشعر أن ربه ناظر إليه فحاسب نفسه وراجعها، وكلَّما همَّ بتقصير في واجب تذكر مراقبة الله لعمله، فحاسَبَ نفسه وراجعها.

-**الحياء من الله** عَزَّوَجَلَّ، فيستحي أن يراه الله حيث نهاه، أو يراه وقد قصّر فيما أمره به، أو يراه وقد جعله أهون الناظرين إليه، كما قال بعض العارفين: «اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك»[٢].

٥-تفريج الهموم وتنفيس الكربات:

من حقق مقام المراقبة جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، ومن كل عسر يسرًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤]، وفي حادثة أصحاب الغار شاهد بيِّن علىٰ هذا:

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ١٢٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١/ ١٣١).

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَىٰ فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا الله تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ الله يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللهمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَىٰ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَىٰ بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حَتَّىٰ أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ الله مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللهمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّىٰ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ الله اتَّقِ الله، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللهمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَىٰ عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ الله وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ الله وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا،



فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ الله مَا بَقِيَ» [1].

فالثلاثة راقبوا الله، فكان الجزاء أن فرج الله عنهم ما هم فيه، فإذا بالصخرة تتحرك من مكانها، وتفتح لهم باب النجاة، والخلاص من الهمِّ الذي حلَّ بهم.

٦-سرور النفس وطمأنينة القلب:

من استحضر مراقبة الله جَلَّجَلَالُهُ، وأدام ذكره، واجتنب الغفلة عنه؛ أثمر ذلك سرورًا في قلبه وانشراحًا في صدره ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وقرت عينه بالقرب من ربه، وأحس بلذة وفرح لا يدانيه فرح من الأفراح عند فعل الطاعات؛ لعلمه أن الله مطلع عليه ناظر إليه وهو الشكور الحميد.

وما يجده المراقب لربه من السرور والحبور من النعيم المعجل في الدنيا[2]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن سرور القلب بالله وفرحه به، وقرة العين به، لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا البتة، وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال أهل الجنة، حتىٰ قال بعض العارفين: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب.

ولا ريب أن هذا السرور يبعثه علىٰ دوام السير إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وبذل الجهد في طلبه، وابتغاء مرضاته، ومن لم يجد هذا السرور، ولا شيئًا منه،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٣٣٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٤٣).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ١٣٥)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ١٨٤).

فليتهم إيمانه وأعماله؛ فإن للإيمان حلاوة، من لم يذقها فليرجع، وليقتبس نورًا يجد به حلاوة الإيمان.

وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذوق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فذكر الذوق والوجد، وعلقه بالإيمان، فقال: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»[1]، وقال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[2].

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله روحه- يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا، فاتهمه؛ فإن الرب تَعَالَى شكور، يعني: أنه لا بد أن يثيب العامل علىٰ عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة انشراح وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول»[3].

٧-زيادة الأجر:

مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ أثناء عمل الخير ولو كان يسيرًا، ترفع من أجره وتعظمه، وتصيرّه كبيرًا مع صغره وكثيرًا مع قلته، وإنما نال السبعة الذين تحت الظل ما نالوا من الكرامة بسبب خشيتهم لله ومراقبته له، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا**

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢١)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٣).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٦٧-٦٨).

عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1].

فالرجل الذي ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ما الذي دعاه لذلك والناس لا يرونه؟ والرجل الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال، وغابت عنه العيون ونفسه تشتهي وتتمنىٰ، ما الذي دعاه لقوله: إني أخاف الله؟ والرجل الذي تصدق بيمينه حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه مع أن المال محبوب للنفوس، ولا يسهل عليها أن تجود به إلا بطلب عوض أعظم، ما الذي دعاه للإنفاق؟ والشاب الذي نشأ في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ مع قوة النوازع وتوقد الغرائز، ما الذي دعاه للطاعة والكف عن المعصية؟ إنها مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ التي كانت سببًا لنيلهم هذه المكانة والمنزلة العظيمة.

٨-دخول الجنة ورؤية وجه الله عَزَّوَجَلَّ:

مراقبة العبد ربه سبب لدخوله الجنة، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك:١٢] أي: «في جميع أحوالهم، حتىٰ في الحالة التي لا يطَّلع عليهم فيها إلا الله، فلا يُقدِمون علىٰ معاصيه، ولا يُقَصِّرون فيما أمر به ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم وقاهم شرَّها، ووقاهم عذاب الجحيم، ولهم أجر كبير، وهو ما أعده لهم في الجنة، من النعيم المقيم، والملك الكبير، واللذات المتواصلات، والمشتهيات...»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٢٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٣١).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٧٦).

وأعظم من ذلك: رؤية وجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦] وذلك؛ «لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا علىٰ وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلىٰ الله عيانًا في الآخرة، وعكس هذا ما أخبر الله تَعَالَىٰ به عن جزاء الكفار في الآخرة: ﴿إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران علىٰ قلوبهم، حتىٰ حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم علىٰ ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة»[1].

ثالثًا: وسائل تحقيق المراقبة:

يمكن للعبد أن يصل لمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ من خلال عدة أمور، منها:

١-العلم بالله عَزَّوَجَلَّ وأسمائه وصفاته؛ فإن العبد كل ما كان بالله أعلم كان له أخشىٰ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨][2]، وتوجب له هذه الخشية مراقبته سُبۡحَانَهُ في أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته.

ومن ذلك: استحضار معاني الأسماء الحسنىٰ التي تورث مقام المراقبة، كالرقيب، والحفيظ، والعليم، والخبير، والشهيد، والمحيط، واللطيف، والقريب إلىٰ غير ذلك من الأسماء التي إذا أدرك العبد معناها وتعبد ربه بمقتضاها، فإن ذلك يؤدي به إلىٰ تحصيل مقام المراقبة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراقبة هي التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ١٢٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٨٩).

عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة»[1].

٢- كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بالقلب واللسان، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان فوائد الذكر: «يورثه المراقبة حتىٰ يدخله في باب الاحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلىٰ مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلىٰ الوصول إلىٰ البيت»[2] وذلك لأن العبد كل ما كان لله ذاكرًا كان الله معه، كما جاء في الحديث القدسي: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[3].

٣- الإكثار من عبادات السر والحرص عليها، كقيام الليل في جوف الليل، وصيام النهار حيث لا يعلم به مخلوق، والقيام بالأعمال الصالحة في غفلة عن المخلوقين، فإن ذلك كله يثمر مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ في النفوس.

٤- محبة الله؛ فإن المحبوب يلاحظ محاب محبوبه فيسارع إليها، ويلاحظ مساخطه فيبتعد عنها، كل ذلك سعيًا في رضاه عنه، فإذا حقق العبد محبة ربه راقبه في لسانه وجوارحه وقلبه، وسعىٰ في كل قربة وطاعة تقربه إليه، حتىٰ يحبه فيحفظه من الحرام، كما جاء في الحديث القدسي: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي**

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٦٦).

(٢) الوابل الصيب (ص٤٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤٠٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٥).

لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

٥- تذكر الموت؛ فإن العبد إذا تذكره وتيقن أنه صائر إليه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] أثمر ذلك في نفسه مراقبة الله في أعماله وأقواله، فلم يخف إلا الله ولم يرج إلا إياه، وفعل ما أمره، وترك ما نهاه عنه، استعدادًا له.

٦-تذكر الآخرة والوقوف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ للسؤال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]؛ فإن العبد إذا استحضر واستشعر سؤال الله أوجب ذلك له مراقبته في السر والعلن في الصغير والكبير، فإذا تذكر مثلًا أنه مسئول عن رعيته كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2]؛ راقب الله فيهم هل أعطاهم حقهم من التربية والنفقة والعلم... إلخ، أو لا؟ وإذا تذكر أن قدمه لن تزول حتىٰ يسأل عن خمس، كما جاء في الحديث عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ؛ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»[3]؛ راقب الله فيها ففعل ما يرضيه، وترك ما يسخطه فيها.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٩٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٨٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤١٦)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (١٦٤٧)، حكم الألباني: حسن، المشكاة، رقم الحديث: (٥١٩٧).

٧-استحضار الشهود الذين نصبهم الله شهودًا على أعمال العباد، من:

الملائكة الكرام الكاتبين، كما قال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٧-١٨].

والجوارح، كما قال تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥].

والجلود، كما قال تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت:٢١].

والأرض، كما قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة:٣-٤].

٨-**الدعاء**، فيسأل العبدُ ربَّه، ويتضرع إليه ليلًا ونهارًا بلسان صادق وقلب خاشع، أن يرزقه خشيته ومراقبته في السر والعلن.

اللهم ارزقنا خشيتك في السر والعَلن، واجعلنا نعبدك كأننا نراك.



الفتَّاحُ جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتحت الباب فانفتح، وفتحت الأبواب، شدد للكثرة، فتفتحت هي،... واستفتحت الشيء وافتتحته، والاستفتاح: الاستنصار، والمفتاح: مفتاح الباب وكل مستغلق، والفتح: النصر،...والفتاح: الحاكم»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(فتح) الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل علىٰ خلاف الإغلاق، يقال: فتحت الباب وغيره فتحًا، ثم يحمل علىٰ هذا سائر ما في هذا البناء، فالفتح والفتاحة: الحكم، والله تَعَالَىٰ الفاتح، أي: الحاكم»[2].

ورود اسم الله (الفتاح) في القرآن:

ورد اسم الله (الفتاح)في كتاب الله مرة واحدة مفردًا، وهي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦].

(١) الصحاح (١/ ٤١٢).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٤٦٩).

وورد في كتاب الله مرة واحدة بصيغة الجمع، وهي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩].

ورود اسم الله (الفتاح) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (الفتاح) في السنة النبوية.

معنى اسم الله (الفتاح):

اسم الله (الفتاح) له ثلاث معان في حق الله تَعَالَى:

١- الحاكم الذي يقضي بين عباده بالحق والعدل، بأحكامه الشرعية والقدرية الجزائية.

٢- الذي يفتح لعباده أبواب الرحمة والرزق، وما انغلق عليهم من الأمور.

٣- الناصر لعباده المؤمنين، وللمظلوم علىٰ الظالم.

وحول هذه المعاني الثلاثة تدور أقوال العلماء.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ **قال قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:٨٩] «أي: اقض بيننا وبين قومنا بالحق»[1].

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:٨٩] «احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق، الذي لا جور فيه

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٢١).

ولا حيف ولا ظلم، ولكنه عدل وحق ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩] يعني: خير الحاكمين»[1].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦] «والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه؛ لأنه لا تخفىٰ عنه خافية، ولا يحتاج إلىٰ شهود تعرفه المحق من المبطل»[2].

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالفتاح هو الحكم المحسن الجواد،... والرب تَعَالَىٰ هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح علىٰ أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله»[3].

من الأقوال في المعنىٰ الثالث:

❁ **قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال:١٩]: «يعني بذلك: المشركين، إن تستنصروا فقد جاءكم المدد»[4].

❁ **قال ابن عاشور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال:١٩]: «فالاستفتاح هنا طلب الفتح، أي: النصر، والمعنىٰ: إن تستنصروا الله فقد جاءكم النصر»[5].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣١٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٨٧).

(٣) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٨٤ -٨٥).

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٩٠).

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠١).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَذَلِكَ الفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ ... والفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ

فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهْوَ شَرْعُ إِلَهِنَا ... والفَتْحُ بِالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثَانِ

والرَّبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِمَا ... عَدْلًا وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ[1]

اقتران اسم الله (الفتاح) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

- اقتران اسم الله (الفتاح) باسمه (العليم):

تقدم بيانه في اسم الله (العليم).

الآثار المسلكية لاسم الله الفتاح:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الفتاح) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

إن فتح الله تَعَالَى ينقسم إلىٰ قسمين: فتح بحكمه الديني والجزائي، وفتح بحكمه القدري، وفي ذلك يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفتحه تَعَالَى قسمان: أحدهما **فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي**، والثاني: **الفتاح بحكمه القدري**.

- ففتحه بحكمه الديني هو شرعه علىٰ ألسنة رسله جميع ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به علىٰ الصراط المستقيم، وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم، وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم، وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق

---

(١) النونية (ص: ٢١١).

حين يوفي كل عامل ما عمله.

- أما فتحه القدري، فهو ما يقدره على عباده من خير وشر، ونفع وضر، وعطاء ومنع، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]»[١].

ومن مظاهر فتح الله سُبْحَانَهُ، ما يلي:

الفتح في الحكم بين عباده:

فالله سُبْحَانَهُ هو الحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة بالقسط والعدل، يفتح بينهم في الدنيا بالحق بما أرسل من الرسل، وأنزل من الكتب، ويتضمن ذلك أحكامًا وأحوالًا لا تنضبط بالحد ولا تحصىٰ بالعد، ومن ذلك:

- دعوة الأنبياء لربهم بأن يفتح بينهم وبين أقوامهم وينصرهم، ومنهم:

- **نوح** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يقول الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨].

- **شعيب** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يقول الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ لسانه: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩].

- فتح الله علىٰ من استعجل العذاب من أقوام أنبيائه، ومنهم:

- **قوم عاد**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:٧٠] فيأتي الحكم من الله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ

(١) الحق الواضح المبين (ص: ٨٥).

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٧٢].

- قوم ثمود، يقول تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣]، واستعجل قومه العذاب فأتى الحكم والفتح من الله بقوله: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧-٧٨].

- كل من استعجل العذاب، يقول تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٣-١٧].

الفتح في الإيمان والهداية:

- فمن فتح الله لعباده المؤمنين: أن حبب لهم الإيمان والطاعة، والأعمال الصالحة، وزينها في قلوبهم، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧-٨].

ومن فتحه: يسر فهم القرآن وتدبر وحفظه، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

ويقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦]: «يقول تَعَالَى ذكره لنبيه محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: لا يكبرن عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك، وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلىٰ توحيد ربهم والإقرار بنبوتك، فإنه لا يستجيب لدعائك إلىٰ ما تدعوه إليه من ذلك، إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلىٰ الحق، وسهل لهم اتباع الرشد، دون من ختم الله علىٰ سمعه، فلا يفقه من دعائك إياه إلىٰ الله وإلىٰ اتباع الحق إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رعاتها»[1].

الفتح في الرزق والرحمة:

فالله سُبْحَانَهُ فتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وفتح لهم خزائن جوده وكرمه، فما يأتيهم من مطر، أو رزق، فلا يقدر أحد أن يمنعه، يقول تَعَالَى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم:٥٠]، وما أمسك سُبْحَانَهُ فلا يستطيع أحد أن يرسله، يقول تَعَالَى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]، عنده الخزائن وبيده الخير، وهو الجواد المنان الفتاح، يفتح ما انغلق من الأمور والأحوال، فييسرها منه كرمًا، ويتفضل بقضاء الحوائج، وتفريج الكربات، ويذهب ضيق النفس، وضيق الجهل، وضيق الفقر، فبعنايته تنفتح المغاليق،

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٣٤١).

وبهداه تنفتح المشكلات، وبتيسيره تنفتح الصعوبات والكربات.

الفتح في العلم والفقه:

ففتح سُبْحَانَهُ لمن يشاء من عباده في أبواب العلم والحكمة والفقه في الدين، ولذا جمع الله بين الفتح والعلم، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر:٢٢].

فحري بالقلب أن يتعلق بمن يملك هذه المفاتيح، ويوحده، ويديم النظر والتفكر في آلائه وصفاته، ويكثر من التضرع إليه أن يفتح قلبه لهدايته، ومعرفة الحق والانقياد له، وأن يسأله الفتح لأبواب الرزق والخير في الدنيا والآخرة.

الأثر الثاني: اليقين بأن مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو:

وقد مر بأن اسم الله الفتاح لم يقترن إلا باسمه العليم، فهو سُبْحَانَهُ المتفرد بعلم مفاتح الغيب، وهو مستغلق إلا علىٰ الرب جَلَّ وَعَلَا فإنه يعلمه، قال تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وفي الحديث: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان:٣٤]»[1].

أما الخلق فلا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله سُبْحَانَهُ، ولو كان لمخلوق أن يعلم الغيب لكان الرسل هم الأولىٰ في هذا، ولكنهم بشر، لايعلمون إلا ما أطلعهم الله عليه، يقول تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، ويقول سُبْحَانَهُ

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٦٢٧).

علىٰ لسان نبيه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف:١٨٨].

ومن شواهد ذلك، ما يلي:

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: «وَمَنْ زَعَمَ أَنَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]»(١).

ولما رميت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بالإفك لم يعلم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهي بريئة أم لا؟ حتىٰ أخبره الله تَعَالَى بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور:٢٦].

وذبح إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عجلًا للملائكة، ولم يعلم بأنهم ملائكة حتىٰ خبروه، وقالوا له ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٠].

ولما جاء الملائكة للوط لم يعلم- أيضًا- أنهم ملائكة، ولذا قال تَعَالَى عنه: ﴿سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود:٧٧] ولم يعلم خبرهم حتىٰ قالوا له: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود:٨١].

الأثر الثالث: محبة الفتاح:

من آمن باسم الله الفتاح؛ أحبه وتعلق قلبه به، فهو سُبْحَانَهُ وحده بيده مقاليد كل شيء، ومفاتيح العلم والهدىٰ والخير، ومفاتيح الغيب وما انغلق من الأمور، يقول تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]،

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٧).

ومن أحب الفتاح سُبْحَانَهُ أكثر من التضرع إليه بأن يفتح قلبه لهدايته، ومعرفة الحق والانقياد له، وأن يسأله الفتح لأبواب الرزق والخير والنصر.

الأثر الرابع: اليقين بفتح الله تعالىٰ:

فمن آمن باسم الله الفتاح اطمأنت نفسه، وارتاح قلبه؛ وعلم أن ما يفتحه رب العالمين للناس من رحمته وإنعامه عليهم لا يقدر أحد كائنًا ما كان أن يمسكه عنهم، وما يمسكه عنهم من رحمته وإنعامه لا يقدر أحد كائنًا من كان أن يرسله إليهم، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، يقول تَعَالَى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر:٢].

فلا يخاف المؤمن ضياع رزقه، أو انتهاك حقه، فالفتاح سيفتح ويكشف الحقائق ولو بعد زمن، كما برأ سُبْحَانَهُ أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا حين اتهمت في عرضها، فقالت وهي موقنة واثقة بنصر الله: والله لا أقول إلا كما قال يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف:١٨]، فجاء الفتح من الله و الحكم ببراءتها في عشر آيات في سورة النور، تُقرأ إلىٰ يوم القيامة.

بل مهما طال ليل الظالم وكثر بغيه وظلمه للعباد؛ لا بد أن يفتح الله بين عباده بحكمه ونصره لمن اتبعه، ومهما تأخر ذلك النصر أو أبطأ ذلك التمكين فلا يتطرق الشك إلىٰ الموحدين، فله سُبْحَانَهُ الحكمة من تأخير الفتح والنصر والتمكين، فلابد أن النصر آت، يقول تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:٢١٤].

الأثر الخامس: السعي لتحصيل أسباب نيل الفتح من الله:

إن الفتح لا يكون إلا من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فهو يفتح على من يشاء ويخذل من يشاء، وقد نسب الله الفتوح لنفسه؛ ليبين لعباده أن الفتح منه لا من غيره، يقول تعالَى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح:١]، ويقول سُبۡحَانَهُ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [المائدة:٥٢] وفي الآية الأخرى: ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ [الصف:١٣]، وقد هيأ الله تعالَى لعباده أسبابًا عدة لنيل الفتح منه تعالَى، ومن ذلك:

- **الإيمان والتقوى**: يقول الله تعالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

- **محبة الله ورسوله**، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يوم خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[1].

- **الصدق**، يقول تعالَى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح:١٨].

- **الدعاء**، يقول تعالَى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ [القمر: ١٠-١١].

- **تحري أماكن الفتح الإلهي**، ومن ذلك المساجد، ففي الحديث: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُه**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٤٢١٠).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧١٣).

الأثر السادس: ليس كل فتح نعمة، فقد يكون فتنة:

فقد يكون الفتح استدراجًا من الله، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلَا** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]»[1].

وقال بعض السلف: إذا رأيت الله يتابع عليك نعمه وأنت مقيم علىٰ معاصيه فاحذره؛ فإنما هو استدراج منه يستدرجك به، وقد قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف: ٣٣ - ٣٥].

وقد رد سُبْحَانَهُ علىٰ من يظن هذا الظن بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [سورة الفجر: ١٥ - ١٧]، أي: ليس كل من نعمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمته، وليس كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته، بل أبتلي هذا بالنعم، وأكرم هذا بالابتلاء[2]، وفي الحديث: «**وَإِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **وَإِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٨٥٤)، والطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٩٢٧٢)، حكم الألباني: إسناده جيد، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٤٧).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ٣٥).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٧٢٧)، وأبو نعيم في الحلية، رقم الحديث: (٤/ ١٦٦)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (١٦٢٥).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفريق بين النعمة والفتنة: «وأما تمييز النعمة من الفتنة: فليفرق بين النعمة التي يرىٰ بها الإحسان واللطف، ويعان بها علىٰ تحصيل سعادته الأبدية، وبين النعمة التي يرىٰ بها الاستدراج، فكم من مستدرَج بالنعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه! وأكثر الخلق عندهم أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح، ذلك مبلغهم من العلم.

فإذا كملت هذه الثلاثة فيه عرف حينئذ أن ما كان من نعم الله عليه بجمعه علىٰ الله فهو نعمة حقيقة، وما فرقه عنه وأخذه منه فهو البلاء في صورة النعمة، والمحنة في صورة المنحة، فليحذر فإنما هو مستدرج، ويميز بذلك - أيضًا- بين المنة والحجة، فكم تلتبس إحداهما عليه بالأخرىٰ!

فإن العبد بين منة من الله عليه، وحجة منه عليه، ولا ينفك عنهما، فالحكم الديني متضمن لمنته وحجته، قال الله تعَالَى ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقال ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧] وقال ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]»[(١)].

الأثر السابع: تذكر يوم الفتح الحقيقي والاستعداد له:

يوم القيامة هو يوم الفتح الحقيقي، فإن الله سُبْحَانَهُ في ذلك اليوم يقضي ويفصل بين جميع العباد، فيبين الضال من المهتدي، وهو سُبْحَانَهُ لا يحتاج إلىٰ شهود ليفتح بين خلقه؛ لأنه لا تخفىٰ عليه خافية، وما كان غائبًا عما حدث في الدنيا سُبْحَانَهُ، يقول تعَالَى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف:٧]،

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٨٩).

ويقول تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١].

فيوم القيامة يوم الفتح الأكبر، حيث تجتمع الخلائق كلها في صعيد واحد، فيحكم الله بينهم بالعدل، ويجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كما قال تَعَالَى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦]، ويقول سُبْحَانَهُ في المجازاة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦].

وقد سمىٰ الله يوم القيامة بيوم الفتح، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة:٢٩]؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ في هذا اليوم يفتح فيه علىٰ المؤمنين.

فعلىٰ المؤمن أن لا يستعجل في دنياه الفتح، ولا ييأس أو يبتئس إن تأخر الفتح من ربه، فالنصر آت، وفتح ربك إن لم تنله في دنياك فهو مدخر لك يوم الفتح الأكبر، يوم تجازىٰ علىٰ إحسانك وثقتك بربك وصبرك، فلا تترك للشيطان ووسوسته مجالًا لك.

الأثر الثامن: البذل والعطاء لمن جعل الله له مفاتيح الخير:

فمن مَنَّ الله عليه بشيء من الفتوح، سواء في علم أو مال أو جاه، فعليه أن يشكر الله بكريم بذله، وجزيل عطائه للناس، يقول تعالَى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، وفي الحديث، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَىٰ لِمَنْ جَعَلَ الله مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَىٰ يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ الله مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَىٰ يَدَيْهِ**»[١]، وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ لِلهِ عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعَمًا يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ فَإِذَا مَلُّوهُمْ نَقَلَهَا مِنْ عِنْدِهِمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ**»[٢].

الأثر التاسع: دعاء الله باسمه الفتاح:

فالمؤمن يسأل الله فتحه في كل أمر يستغلق عليه أو يستصعبه، وقد كان هذا منهج الرسل جميعًا، ومنهم: **نوح** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **عندما دعا ربه وسأله الفتح**، يقول الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨]، كذلك **شعيب** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يقول الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ لسانه: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٣٧)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٦٨٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٣٧).

(٢) أخرجه الطبراني، رقم الحديث: (٨٣٥٠)، حكم الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٢٦١٦).

بل إن سؤال الله الفتح ثبت في أذكار الصباح والمساء، ففي الحديث قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ، فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ، وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَىٰ فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ**»[(١)].

اللهم إنا نسألك أن تفتح لنا من رحماتك ما تدخلنا به جناتك، وأفض علينا من خيراتك وبركاتك، إنك أنت الفتاح العليم.



(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٤)، والطبراني في مسند الشاميين، رقم الحديث: (١٦٧٥)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٨٤).

القويُّ المتين جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: اسم (القوي):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القوة: خلاف الضعف، والقوة: الطاقة من الحبل، وجمعها: قوىٰ، ورجل شديد القوىٰ، أي: شديد أسر الخلق...»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاف والواو والياء أصلان متباينان، يدل أحدهما علىٰ شدة وخلاف ضعف، والآخر علىٰ خلاف هذا، وعلىٰ قلة خير.

فالأول: القوة، والقوي: خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القوىٰ، جمع قوة من قوىٰ الحبل... والأصل الآخر: القواء: الأرض لا أهل بها، ويقال: أقوت الدار: خلت»(٢).

ثانيًا: اسم (المتين):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «متن: المتن من الأرض: ما صلب وارتفع، والجمع متان ومتون... هو متين، أي: صلب»(٣).

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٤٦٩).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٣٧).

(٣) الصحاح (٦/ ٢٢٠٠).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الميم والتاء والنون، أصل صحيح واحد يدل علىٰ صلابة في الشيء مع امتداد وطول، منه المتن: ما صلب من الأرض وارتفع وانقاد، متان، ورأيته بذلك المتن، ومنه شُبِّه المَتْنَانِ من الإنسان: مُكْتَنِفَا الصُّلب من عصب ولحم...»[1].

ورود اسم الله (القوي، المتين) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله (القوي) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (القوي) تسع مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

٢- وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢٢].

٣- وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورىٰ: ١٩].

ثانيًا: ورود اسم الله المتين في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المتين) مرة واحدة في كتاب الله، وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ورود اسم الله (القوي المتين) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (القوي) ولا (المتين) في السنة النبوية.

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٢٩٤).

معنى اسم الله (القوي المتين):

أولًا: معنى اسم الله القوي:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٥٢] لا يغلبه غالب ولا يرد قضاءه رادٌّ، ينفذ أمره ويمضي قضاؤه في خلقه، شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه»[١]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾ [هود: ٦٦] في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها»[٢].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القوي هو الكامل القدرة علىٰ الشيء، تقول: هو قادر علىٰ حمله، فإذا زدته وصفًا قلت: هو قوي علىٰ حمله، وقد وصف نفسه بالقوة، فقال عز قائلًا: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]»[٣].

❊ **وقال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: «القوي: ذو القوة والأيد... فالله عَزَّوَجَلَّ قوي قادر علىٰ الأشياء كلها، لا يعجزه شيء منها»[٤].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القوي قد يكون بمعنىٰ القادر، ومن قوي علىٰ شيء فقد قدر عليه، ويكون معناه: التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال»[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢٣٣).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٧).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥٤).

(٤) اشتقاق أسماء الله (ص: ١٤٩).

(٥) شأن الدعاء (ص: ٧٧).

۞ **قال الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القوة تدل علىٰ القدرة التامة، والمتانة تدل علىٰ شدة القوة، والله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من حيث إنه بالغ القدرة تامها قويٌّ»[1].

۞ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: القوي هو المقوي لغيره، فيكون من صفات الفعل»[2].

۞ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الأسماء الثلاثة العظيمة (القدير، القوي، العزيز) معانيها متقاربة، فهو تَعَالَىٰ كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، فمعاني العزة الثلاث كلها كاملة لله العظيم: عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت...»[3].

۞ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في النونية:**

وَهـوَ القَـوِيُّ بِقُـوَّةٍ هِـيَ وَصْفُـهُ ... وَمَلِيـكُ يَقْـدرُ يَـا أَخَـا السُّـلْطَانِ

وقال:

وَهوَ القَوِيُّ لَـهُ القُوَىٰ جَمْعًا تَعَا ... لَـىٰ اللهُ ذُو الأَكْـوَانِ والسُّـلْطَانِ

---

(١) المقصد الأسنىٰ (ص: ١٢٩).

(٢) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ (ص: ٢٥٩).

(٣) الحق الواضح المبين (ص: ٤٤).

ثانيًا: معنى اسم الله المتين:

❊ **قال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] الشديد»[١].

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «اختلفت القرَّاء في قراءة قوله (المَتِين)، فقرأته عامة قرَّاء الأمصار- خلا يحيىٰ بن وثاب والأعمش-: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] رفعًا، بمعنىٰ: ذو القوة الشديد، فجعلوا المتين من نعت ذي، ووجهوه إلىٰ وصف الله به... والصواب من القراءة في ذلك عندنا ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] رفعًا علىٰ أنه من صفة الله جل ثناؤه»[٢].

❊ **قال الأزهري** رَحِمَهُ اللَّهُ «ذو القوة المتين: ذو الاقتدار الشديد، والمتين في صفة الله تَعَالَى القوي»[٣].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ **في معنىٰ المتين**: «والمتين: الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في أفعاله مشقة ولا يمسه لغوب»[٤].

❊ **قال الحَليمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «المتين: وهو الذي لا تتناقص قوته فيهن ويفتر»[٥].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢] أي: لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب»[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٥٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٥).

(٣) تهذيب اللغة (١٤/ ٢١٨).

(٤) شأن الدعاء (ص: ٧٧).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٨).

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] أي: الذي له القوة والقدرة كلها...»[1].

اقتران اسم الله (القوي المتين) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (القوي) بأسمائه الأخرىٰ:

- اقترن اسم الله القوي باسمه العزيز:

تقدم بيانه في اسم الله (العزيز).

ثانيًا: اقتران اسم الله (المتين) بأسمائه الأخرىٰ سُبْحَانَهُ:

- اقترن اسم الله (المتين) باسم الله (الرزاق):

تقدم بيانه في اسم (الرزاق).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله القوي المتين:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (القوي، المتين) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ القوي المتين الذي بلغ الغاية في القوة والمنتهىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] أي: شدة القوة، وشدة العزة، وشدة معاني الجبروت كلها، ومن مظاهر قوته تَعَالَىٰ:

- **أنه القوي المتين** الذي قوته فوق كل قوة، بل القوىٰ تتصاغر أمام قوته، وتتضاءل عند ذكر عظمته، ولا يثبت لها شيء مهما قوي.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨١٣).

وما من مخلوق له قوة إلا والله أقوىٰ منه، بل لا تناسب بين القوتين؛ فقوة المخلوق محدودة ببعض الشيء، وقوته سبقها عجز ويلحقها عجز كذلك، وقوته يعتريها التعب والوهن والفتور، وقوته تنزع بعض الأحيان منه، بل ولا بد لها من الفناء والزوال، إضافة إلىٰ أنها قوة فقير يفتقر معها إلىٰ الأعوان والجند، بل يفتقر إلىٰ عون القوي المتين، وقوته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا حدَّ لها، بل هو علىٰ كل شيء قدير، لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، ولا يعيه خلق شيء مهما كان، ولا يمسه نصب ولا لغوب، ولا تتناقص قوته ولا تفنىٰ، بل لها الدوام أبدًا، ومع ذلك لا يحتاج معها إلىٰ جند ولا مدد ولا إلىٰ معين أو عاضد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥][1].

بل إن قوة المخلوق إنما هي من آثار قوته، فجميع القوىٰ هي له سُبْحَانَهُ، فهو الذي أودع المخلوقات ما فيها من قوة، ولو شاء لسلبها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩][2]، ولما اغترت عاد بقوتها، وقالت: من أشد منَّا قوة؟ ذكرهم الله بخلقه لهم ولقواهم، فقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥][3].

---

(١) ينظر: شرح القصيدة النونية، للهراس (٢/ ٧٨).

(٢) ينظر: شرح القصيدة النونية، للهراس (٢/ ٧٨-٧٩).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٦٩)، وتفسير السعدي (ص: ٧٤٦)، وشرح القصيدة النونية، للهراس (٢/ ٧٩).

- **وهو القوي المتين**، الذي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، بل ولا يعارضه معارض، أمره نافذ، وقضاؤه في خلقه ماضٍ، يعز من يشاء، ويذل من يشاء بلا ممانعة ولا مدافعه، فالقوة لله جميعًا، لا منصور إلا من نصر، ولا عزيز إلا من أعز، ولا قوي إلا من قوَّىٰ[1]، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] «أي: إن الحكم له وحده لا شريك له، وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه»[2].

- **وهو القوي المتين**، الذي له القوة في الدنيا والآخرة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ١٦٥][3]، ومن شواهد ذلك ما يلي:

- أولًا: شواهد قوته سُبۡحَانَهُ في الدنيا[4]:

١- خلقه للمخلوقات العلوية والسفلية، لا سيما ذات القوة والعظمة منها، كما هو الشأن في السماء التي رفعها بغير عمد ووسع أرجاءها وأنحاءها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] «أي: بقوة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والثوري، وغير واحد»[5]، وكالأرض وما فيها من سعة ومعالم مختلفة: جبال، وهضاب، وأودية، وبحار، وأنهار، وسهول

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٦)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، لعبد الرزاق البدر (ص: ١٧٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٧).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٨٣).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (٥٤٦)، والحق الواضح المبين، للسعدي (٤٥-٤٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٤).

ونحو ذلك، وكالمعادن والصخور والحجارة التي فيها من الصلابة والقسوة ما فيها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

٢- خلقه للسماوات والأرض، مع ما فيهما من عظم الخلقة في ستة أيام، من غير أن يمسه شيء من التعب أو النصب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، إضافة إلىٰ إمساكه لهما من الزوال من غير أن يثقله ذلك أو يشق عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٣- كثرة الخلق واختلاف صورهم وألسنتهم وطباعهم، والكل كخلق نفس واحدة، قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨][1].

٤- تكفله بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريها، وبريها، وجويها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩][2].

٥- نصرته لأوليائه، مع قلة عددهم وعُددهم، علىٰ أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العدد والعُدة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٥١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٥).

قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

٦- ما أوقعه بالأمم المكذبين، والكفار الظالمين من أنواع العقوبات وحلول المثلات، وأنه لم يغن عنهم كيدهم ومكرهم، ولا أموالهم، ولا جنودهم، ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تتبيب، قال تَعَالَى عن عاد: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ عن ثمود: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦] وقال عن الأحزاب: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وقال: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٥٢].

وكذا في العصر الحاضر، فإن هذه القوة الهائلة، والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدرة الأمم هي من آثار قوة الله، وتعليمه إياهم ما لم يكونوا يعلمون، فمن قوة الله وآياته: أن قوَّاهم وقدَّرهم، ومخترعاتُهم لم تغن عنهم شيئًا في صد ما أصابهم من النكبات، والعقوبات المهلكة مع بذل جدهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكن أمر الله غالب، وقوته فوق كل قوة، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي والسفلي.

- ثانيًا: شواهد قوته سُبْحَانَهُ في الآخرة: كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ١٦٥]، والتي منها:

١- ما يحصل للأجرام القوية من ضعف واضطراب، فالأرض ترجف، والجبال تتصدع حتىٰ تكون كالعهن، ثم تدك دكًّا، فتكون هباء منبثًّا، والبحار تسجَّر، والسماء تتفطَّر، والشمس والقمر تكوَّر، والنجوم تنتثر[1].

٢- بعث الخلق كلهم بعد ما مزقهم البلىٰ، وعصفت بترابهم الرياح، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار، فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، ثم إن هذا البعث كله للأولين والآخرين في صيحة واحدة، وكأنهم نفس واحدة، فسبحان القوي المتين[2].

٣- قيام الخلق كلهم، حتىٰ القوي الشديد، خاشعة أبصارهم، ذليلة وجوههم، خاضعة رقابهم، جاثية ركبهم، خارصة ألسنتهم عن الكلام إلا بإذنه[3].

٤- حسابه لعباده حسابًا سريعًا، مع كثرتهم وكثرة أعمالهم، وحكمه الحق فيهم، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء[4].

٥- النار وما فيها من العذاب، والتي إذا أبصرها الظالمون أيقنوا أن القوة

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥١٣، ٥٣٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٨١٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٥١٣).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٣).

لله جميعًا، وأن أندادهم ليس فيها، ولا له من القوة شيء، لا كما اشتبه عليهم في الدنيا، وظنوا أن لها من الأمر شيئًا، وأنها تقربهم إليه وتوصلهم إليه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥][1].

٦- ما يحدثه لأهل النار من أنواع العقاب وأهل الجنة من أنواع الثواب، وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع، ولا يتناهىٰ، فسبحان القوي المتين الذي لا انقطاع لقوته ولا نهاية لها.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (القوي، المتين) علىٰ التوحيد:

إذا علم العبد أن ربه القوي المتين، وأن كل من دونه ليس له شيء من الحول ولا القوة، فلا تحول له من مرض إلىٰ صحة، ولا من وهنٍ إلىٰ قوة، ولا من نقصان إلىٰ كمال وزيادة إلا بالله القوي المتين، ولا قوة له في جلب خير، ولا دفع ضر، ولا القيام بشأن من شؤونه، أو تحقيق هدفٍ من أهدافه أو غاية من غاياته إلا بالله القوي المتين[2]، ولا قدرة له علىٰ خلق شيء ولو كان ذبابًا أو بعوضًا، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]- قاده ذلك العلم إلىٰ توحيد الله في العبادة؛ إذ كل ما سواه شأنه ما ذكر، فكيف يتخذ إلهًا يعبد؟ وكيف يجعل مثلَ الله القوي ويشرك معه؟

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٠).

(٢) ينظر: فقه الأدعية والأذكار (١/ ٣٠٢).

إلا إن عُبَّاد الأوثان كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤] [1]، ولربما اشتبه عليهم الأمر، ولبَّست عليهم الشياطين، فظنوا أن لأندادهم من الأمر شيئًا، أو أنها تقربهم إلىٰ الله زلفىٰ، فإذا كانت القيامة انكشف الغطاء وتبين لهم بطلان زعمهم وظنهم.

فلا تدفع عنهم أندادُهم شيئًا، ولا تغني عنهم مثقال ذرة من النفع، بل يحصل لهم الضرر منها، من حيث ظنوا نفعها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧] [2].

وكما أن اسمي الله القوي المتين دالان علىٰ توحيد الربوبية والألوهية، فكذا هما دالان علىٰ توحيد الأسماء والصفات؛ إذ يدلان علىٰ اسم الله القدير، والعزيز، والجبار، والقهار، وذو الجلال والإكرام، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٨٦)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٤)، وتفسير السعدي (ص: ٥٤٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٠).

الأثر الثالث: التوكل علىٰ الله والاستعانة به:

كل إنسان عنده مطالب ومخاوف، وربما تعلق بما عنده أو عند غيره من القوة البدنية أو المالية أو النسبية أو نحو ذلك؛ لتحصيل مطلوبه أو دفع مكروهه، لكن إذا نظر لنفسه وللخلق من حوله بعين البصيرة، وجد أن الكل ولو أوتي من القوة ما أوتي فقير مسكين، ليس له من القوة ولا الحول إلا ما أعطاه الله إياه وأذن له فيه، ثم إن قوته قد تعجز عن مراده، ولربما بخلت بقضاء حاجته، وربما سعت، لكن وقفت أمامها قوة أخرىٰ، فإذا كان هذا حال قوته، ففيما التعلق به؟!.

ثم إذا نظر من جانب آخر إلىٰ ربه القوي المتين، وجد أنه غني لا يحتاج لإنفاذ قوته لإذن أحد ولا معونته، ثم إنه علىٰ كل مطالبه ومخاوفه قادر، وهو مع ذلك كريم لا يبخل، ولا يمكن لقوة مهما كانت أن تغلب قوته أو تدافعها أو تعارضها، فالقوة جميعًا له سُبْحَانَهُ ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

فإذا حصل النَّظَران تواضع العبد لربه وخضع، وانقطع عن قلبه التعلق بقوته والاغترار بها[(١)]، وكذا قوة المخاليق من حوله، وتعلق بالقوي المتين توكلًا واستعانة وتفويضًا لأمره كله، وتبرؤًا من الحول والقوة إلا به[(٢)].

وهذه حقيقة «لا حول ولا قوة إلا بالله»؛ إذ هي كلمة إسلام واستسلام، وتفويض والتجاء وتبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، وأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوة له في جلب خير إلا بإذن الله،

(١) المراد: قوة نفسه.

(٢) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، البدر (ص: ١٨١).

ولا قوة له علىٰ ترك معصية، ولا فعل طاعة إلا بالله، ولا تحوُّل له من حال إلىٰ حال إلا بالله، فلا تحوُّل له من معصية إلىٰ طاعة، ولا من مرض إلىٰ صحة، ولا وهن إلىٰ قوة، ولا من نقص إلىٰ زيادة إلا بالله، ولا قوة للعبد علىٰ القيام بأي شأن من شئونه- ولو صغر- إلا بالله، فما شاء الله كان كما شاء في الوقت الذي يشاء، علىٰ الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدُّم ولا تأخر، وما لم يشأ لم يكن، فأزِمَّةُ الأمور بيده سُبْحَانَهُ، وأمورُ الخلائق معقودة بقضائه وقدره، يصرفها كيف يشاء ويقضي فيها بما يريد، لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، فسبحان القوي المتين[1].

وكلمة «لا حول ولا قوة إلا بالله» كلمة إخلاص لله وحده بالاستعانة، كما أنَّ كلمةَ التوحيد «لا إله إلا الله» إخلاص لله بالعبادة، فلا تتحقق «لا إله إلا الله» إلا بإخلاص العبادة كلِّها لله، ولا تتحقَّق «لا حول ولا قوة إلاَّ بالله» إلا بإخلاص الاستعانة كلِّها لله، وقد جمع الله بين هذين الأمرين في سورة الفاتحة، أفضل سورة في القرآن، وذلك في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فالأول تبرؤٌ من الشرك، والثاني تبرؤٌ من الحول والقوة والتفويض إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والعبادة متعلِّقة بألوهية الله سُبْحَانَهُ، والاستعانة متعلِّقة بربوبيَّته، والعبادة غاية، والاستعانة وسيلة، فلا سبيل إلىٰ تحقيق تلك الغاية العظيمة- العبادة- إلا بهذه الوسيلة- الاستعانة بالله الذي لا حول ولا قوة إلاَّ به-[2].

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ (٢/ ٣٩-٤٠)، وفقه الأدعية والأذكار (١/ ٣٠١)، وفقه أسماء الله الحسنىٰ، للبدر (ص: ١٨١).

(٢) ينظر: فقه الأدعية والأذكار (١/ ٣٠٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمَّلتُ أنفعَ الدعاء، فإذا هو سؤال العون علىٰ مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]»[١].

وقال أيضًا: «وقول: (لا حول ولا قوة إلاَّ بالله) يوجب الإعانة؛ ولهذا سنَّها النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قال المؤذِّن: حي علىٰ الصلاة، فيقول المجيب: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا قال: حي علىٰ الفلاح، قال المجيب: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، وقال المؤمن لصاحبه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، ولهذا يُؤمر بهذا من يخاف العين علىٰ شيء، فقوله: ما شاء الله، تقديره: ما شاء الله كان، فلا يأمن، بل يؤمن بالقدر، ويقول: لا قوة إلاَّ بالله... وذلك أنَّها تتضمن التوكُّل والافتقار إلىٰ الله تَعَالَىٰ، ومعلوم أنَّه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته، وأنَّ الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدثه الله فيهم، فإذا انقطع القلب للمعونة منهم وطلبها من الله فقد طلبها من خالقها الذي لا يأتي بها إلا هو... ولهذا يأمر الله بالتوكل عليه وحده في غير موضع، وفي الأثر: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَىٰ النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَىٰ النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ)[٢]»[٣].

وإذا علم ما سبق؛ علم خطأ من يقولها حال المصائب بمنزلة الاسترجاع؛ إذ هي كلمة استعانة لا استرجاع[٤].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٠٠).

(٢) أخرجه الحارث في المسند، رقم الحديث: (١٠٧٠)، واللفظ له، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث: (٧٧٠٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٩/ ٢٢٤).

(٤) ينظر: الاستقامة (٢/ ٨١)، وفقه الأدعية والأذكار (١/ ٣٠٣).

وهذه الكلمة جليلة الشأن، كبيرة القدر، عظيمة الأثر، رغب فيها الشارع ورتب عليها الأجور العظيمة، ومن ذلك[1]:

١- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دل علىٰ قولها من لا يستطيع تعلم القرآن؛ فعن ابن أبي أوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا، فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ، فَقَالَ: **قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا لِلهِ، فَمَا لِي؟ قَالَ: **قُلِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي**، فَلَمَّا قَامَ قَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ**»[2].

٢- أن عددًا من الصحابة والتابعين عدوها من الباقيات الصالحات، التي قال الله فيها: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]؛ فعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سُئل عن «الباقيات الصالحات» ما هي؟ فقال: «هي: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[3]، وعن سعيد بن المسيب، أنه قال: «الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله»[4].

---

(١) ينظر: فقه الأدعية والأذكار (١/ ٢٩٥، وما بعدها)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ١٨١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٩٤١٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (٨٣٢)، والنسائي، رقم الحديث: (٩٢٤)، وعبد بن حميد، رقم الحديث: (٥٢٤)، حكم الألباني: حسن، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (١٨٠٧).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٢٧٧).

(٤)تفسير الطبري (٥١/ ٧٧٢).

٣- أنها سبب لتكفير السيئات؛ فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا عَلَىٰ الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ**»(١).

٤- أنها كنز من كنوز الجنة؛ فعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: قُلْ: لَا حَوْلَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟** قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**، قَالَ: أَحْسِبُهُ، قَالَ: **يَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ**»(٣).

٥- أنها غرس الجنة؛ فعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ، قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٥٩٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٨١٨).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٠٨٨٧)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (١٦٣٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٦١٤).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٠٣٥)، وابن حبان، رقم الحديث: (٨٢١)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٣٨٩٨)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٠٥).

٦- أنها باب من أبواب الجنة؛ فعن قيس بن سعد بن عبادة، أنَّ أباه دفعه إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخدمه، قال: «فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: **أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ**؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[1].

٧- أنها سبب في تسهيل الصعاب وحمل الثقال؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر أثرًا في هذا الباب، ويقول: إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش، قالوا: يا ربنا، كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟ فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قالوا حملوه... وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول علىٰ الملوك ومن يُخاف، وركوب الأهوال»[2].

الأثر الرابع: الشعور بالعزة والنصر من القوي المتين:

اليقين باسم الله (القوي المتين) يعطي المسلم شعور بالعزة وعدم الخوف من الخلق مهما كانت قوتهم؛ لأن الكل ضعيف أمام قوة الله عَزَّوَجَلَّ، لا يملك حولًا ولا قوة.

كما أن هذا الاسم الكريم يعطي المسلم ثقة بنصر الله للإسلام والمسلمين وكفايته لهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١] «وهذا

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٧١٩)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١١٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٨١)، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٢٦١٠).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧٧).

وعد لا يخلف ولا يغير؛ فإنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء يريده»[1].

فلا بد أن ينتصر الإسلام والمسلمين يومًا ما، وإن عظمت قوة أعدائهم وكثر عددهم، فالله فوقهم ونواصيهم بيده، وقوتهم لا شيء في جنب قوته.

ففي يوم الأحزاب الذي اجتمع فيه أهل الكفر من كل حدب وصوب، وجمعوا من القوة ما جمعوا كل ذلك لحرب ثلة من المؤمنين لا تكفؤهم في العدد ولا العدة، ومع ذلك نصر القوي عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، ورد جموع الكفر خائبة لم تنل خيرًا، قال تَعَالَى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥][2].

إلا أنه لا بد للنصر من الأخذ بالأسباب التي من أهمها التمسك بالدين، واجتماع الكلمة، ونصرة الدين بالقول والفعل، واتخاذ العدة والقوة اللازمة، قال تَعَالَى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الأثر الخامس: محبة الله القوي المتين:

الإنسان بطبعة جُبِل علىٰ حُبِّ مَن له الكمال والعظمة، والله عَزَّوَجَلَّ القوي المتين الذي لا حد لقوته، ولا ضعف معها، ولا عجز، ولا نصب، ولا ظلم، بل بلغ فيها غاية الكمال ومنتهاه.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٤٨).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٤٠-٤١).

فإذا تيقن العبد هذا؛ أحب الله القوي المتين غاية الحب وأعظمه، فذلك من صفات أهل الإيمان، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

الأثر السادس: اتصاف المؤمن بالقوة:

الله عَزَّوَجَلَّ القوي المتين، ويحب من عباده القوة فيما شرع لهم من الطاعات وأباح لهم من المنافع؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[1]، وقد أثنىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ عمر بن الخطاب؛ لقوته في دين الله، فقال: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ...**»[2].

والقوة تختلف في كل شيء بحسبه؛ ومن ذلك:

- **القوة في الدين**: القيام بما أوجب الله علىٰ أتم الوجوه وأكملها، مع الزيادة عليها بفعل النوافل التي شرعها الله، واجتناب ما حرم الله، مع العزيمة الصادقة والحزم المتين والصبر الجميل أمام المغريات والشهوات[3]، قال الإمام النووي رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسير قول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**والْمُؤْمِنُ**

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (١٥٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٨٦٨).

(٣) ينظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٢/ ٧٧).

الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[1]: «والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس، والقريحة في شئون الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا علىٰ أعداء الله، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر علىٰ الأذىٰ في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تَعَالَىٰ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها، ومحافظة عليها، ونحو ذلك»[2].

- **القوة في أخذ الكتاب**: التي أمر الله بها يحيىٰ، في قوله: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢]، وأمر بها موسىٰ وبني إسرائيل، في قوله: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣] وأمة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من بعدهم تكون: بالجد والاجتهاد في حفظ ألفاظ الكتاب، وفهم معانيه، والعمل بأوامره واجتناب نواهيه[3].

- **القوة في طلب العلم الشرعي**: بالاجتهاد في تحصيله حفظًا وفهمًا وعملًا، واتخاذ الوسائل والطرائق الموصلة إلىٰ تثبيت ودوامه واستمراره.

- القوة في العمل الدنيوي بالقدرة علىٰ القيام به أولًا، ثم الاجتهاد في إتقانه وتكميله، مع مراعاة الأمانة وعدم الخيانة، كما قالت المرأة في وصف

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٦٤).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ٢١٥).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٩٠).

موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] «أي: إن موسىٰ أولىٰ من استُؤجِر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجَر: من جمعهما، أي: القوة والقدرة علىٰ ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يتولىٰ للإنسان عملًا بإجارة أو غيرها، فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل...».[1]، وجاء في الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**إِنَّ الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ**)[2]، وهكذا القوة في سائر الأمور.

وليس معنىٰ هذا: الظلم والتسلط والبطش بالضعفاء والمساكين، ومن تحت يد الإنسان من الزوجة، والولد، والعاملين، والتلاميذ، والخدم، ونحو ذلك، قال تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ٩-١٠] بل هذه القوة سبب لعقوبة الله وعذابه، فهذه عادٌ لما استعملت قوتها في الظلم والبغي أهلكها القوي المتين، قال الله عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥-١٦]، وقال لهم نبيهم: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٣١] إلىٰ أن قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦١٤).

(٢) سبق تخريجه.

أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ١٣٩ - ١٤١][1].

وهذا فرعون وملؤه حينما استخدموا قوتهم في تعذيب بني إسرائيل وقهرهم، كما قال سُبْحَانَهُ عن صنيعهم: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩] أخذهم القوي المتين أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٠ - ٤٢]، وهكذا في كل من استعمل قوته البدنية أو المالية أو الجاهية ونحو ذلك في الظلم والبغي؛ فإن كل قويٍّ اللهُ أقوىٰ منه، وأقدر عليه من قدرته علىٰ من ظلم؛ وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي مسعود إذ رآه يضرب غلامًا له بسوط: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَىٰ هَذَا الْغُلَامِ**»[2].

فاللهم يا قوي يا متين، لا حول لنا ولا قوة إلا بك، أَعِنَّا بعونك، وَقَوِّنَا بقوتك، وأَمِدَّنا بمددك، وانصرنا بنصرك.



(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٤١-٤٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث):١٦٥٩).

الـمُبِيْنُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أبان الشيء فهو مبين، وأبنته أنا: أي أوضحته، واستبان الشيء: وضح، واستبنته أنا: عرفته، والتبيين: الإيضاح، والوضوح»(١).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(بين) الباء والياء والنون أصل واحد، وهو بعد الشيء وانكشافه،... وبان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان: أي أوضح كلامًا منه»(٢).

ورود اسم الله (المبين) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المبين) في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تبارك تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

ورود اسم الله (الـمُبِيْن) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله المبين في السنة النبوية.

---

(١) الصحاح (٦/ ٣٦١).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٣٢٨).

معنى اسم الله (الـمُبِيْنِ):

يدور معنىٰ اسم الله (الـمُبِيْنِ) في حقه تَعَالَى حول معنيين:

الأول: بيانه وظهوره سُبْحَانَهُ لكل أحد، بأدلة واضحة ظاهرة بيِّنة تدل علىٰ وجوده تَعَالَى ووحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

الثاني: بيان الله الحق للخلق، وإظهاره لهم بأبين طريق وأوضحه، ومن ذلك إرسال الرسل وإنزال الكتب، وكذلك الأقدار التي تبين للعبد أن الله هو الحق المبين.

وعلىٰ هذين المعنيين تدور أقوال العلماء، ومنها:

❊ **قال الطبري** عند قوله تَعَالَى: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] «يعلمون يومئذٍ أنَّ الله هو الحق، الذي يُبيِّنُ لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشكُّ فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما يَعدهم في الدنيا يمترون»[١].

❊ **قال الخطابيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الـمبين هو البَيِّنُ أمْرُهُ في الوحدانية، وأنه لا شريك له»[٢].

❊ **وقال الحليميُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الـمبين وهو الذي لا يَخْفَىٰ...؛ لأنَّهُ له من الأفعالِ الدَّالَّةِ عليه ما يستحيلُ معها أن يخفَىٰ»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٨٤).

(٢) شأن الدعاء (ص: ١٠٢).

(٣) المنهاج (١/ ١٨٩).

۞ **قال الزجاجيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... فالله عَزَّوَجَلَّ الـمُبِيْنُ لعباده سبيلَ الرَّشاد، والموضِّح لهم الأعمالَ الموجبةَ لثوابه والأعمالَ الموجبةَ لعقابه، والمبينُ لهم ما يأتونه ويَذَرُونه»(١).

اقتران اسم الله (الـمُبِيْنِ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

- اقتران اسم الله (الـمُبِيْن) باسمه تَعَالَى (الحقِّ):

تقدم بيانه في اسم الله (الحق).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (المبين):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (المبين) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

إن من أعظم صفات الله عَزَّوَجَلَّ صفة البيان، فهو سُبْحَانَهُ الذي أبان لخلقه سبيل معرفته، وتوحيده، وأبان منهج الفوز بجنته ومرضاته، والنجاة من عقابه.

وللبيان الرباني مسلكان، وهما:

الأول: البيان بما فَطَرَ الله عليه الناسَ مِن التوحيد ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وبما أنزل إليهم من الكتب، يقول تَعَالَى عن القرآن: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الشعراء: ٢]، وبما أرسل إليهم من الرسل، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن

---

(١) اشتقاق الأسماء الحسنىٰ (ص: ١٨١).

يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [الحديد: ٢٥].

ولذا كانت معجزات الرسل آيات بَيِّنَات؛ لتدل علىٰ صدق الرسل الذين جاءُوا بها، وصِدْق الدِّينِ الذي جاءُوا به ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ ﴾ [البقرة: ٢١١]، وقال: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ ﴾ [الأعراف: ٧٣]، كما بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ الحقَّ في كتبه، وعلىٰ ألسنة رسله في الدنيا، فإنه يُبيِّن لهم الذي اختلفوا فيه يوم القيامة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [النحل: ٩٢].

الثاني: البيان بالآيات الكونية الدالة عليه سُبْحَانَهُ، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الآيات التي في الأرض: ما يحدثه الله فيها كل وقت، ما يصدق به رسله فيما أخبرت به، فلا تزال آيات الرسل وأعلام صدقهم، وأدلة نبوتهم، يحدثها الله في الأرض؛ إقامةً للحجة علىٰ من لم يشاهد تلك الآيات التي قاربت عصر الرسل، حتىٰ كأن أهل كل قرن يشاهدون ما يشاهده الأولون أو نظيره، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]»[(١)].

فالله سُبْحَانَهُ بهذا التنوع والشمول البياني قد أقام الحجة علىٰ عباده كلهم، فصار هذا القرآن نبراسًا وهدىً وبيانًا لمن أراد النفع والهداية في أمر دينه ودنياه، وبه يصل المؤمن لثمار عديدة، لعل من أبرزها:

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (١/ ١٨٤)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ١٩).

- **تحقيق التقوىٰ في القلوب**: يقول تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

- **التأمل والتفكر في مخلوقات الله**: يقول تَعَالَى ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

- **التذكر والاتعاظ**: يقول تَعَالَى: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

- **سعة العلم**: يقول تَعَالَى: ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

- **حصول الهداية**: يقول تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

- **الشكر علىٰ النعماء**: يقول تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

- **إعمال العقل بمجاله**: يقول تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

وحريٌّ بمن عرف اسم الله (المبين) وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله إبانه الحق والهدىٰ والتقوىٰ، وسبل الرحمة والمغفرة.

الأثر الثاني: محبة المبين سُبْحَانَهُ:

إذا علم العبد أن ربه لم يتركه هملًا ولا متخبطًا تائهًا في هذه الحياة، وإنما عرَّفه بخالقه وأسمائه وصفاته، وبيَّن له الغاية من وجوده، ثم بيَّن منهج تحقيق هذه الغاية بتشريع أحكام وعبادات تحقق له الاطمئنان والسعادة الأبدية، وتقوده إلىٰ دار الكرامة التي اشتاق لها وعرف الكثير من نعيمها ودوامها، إن علم العبد هذا كله عن ربه أحبه واشتاق لرؤيته وسعىٰ لرضاه ومرضاته.

الأثر الثالث: تدبر كتاب الله المبين:

فهو كلام الله تَعَالَى ومن صفاته: أنه كتاب معجز مبين، يقول تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥- ١٦]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، وقال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

ففي القرآن البيان البيِّن الواضح لكل ما يحتاجه البَشَر في حياتهم، بأروع عبارة وأجمل أسلوب.

وفي القرآن بيان كل شيء من البداية إلىٰ النهاية، حتىٰ يستقر أهل الجنة في نعيمهم، وأهل النار في جحيمهم.

فمعرفة الله سُبْحَانَهُ، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يجب له تَعَالَى وما لا يجب، والعقيدة الإسلامية، وأحكام العبادات والمعاملات، وجميع الشئون الاجتماعية، والأحوال الشخصية، وكل ما تحتاجه المجموعة البشرية، في كل

زمان ومكان، وأحكام المعاد، والبعث والنشور، والحساب والجزاء والعقاب... وغير ذلك مما هو مبيَّن وموضَّح، وصدق الله تَعَالَى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

وبالقرآن تحدىٰ الله عظماء العرب وبلغاءهم أهل البيان بأن يأتوا بمثل القرآن، في قوله تَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وفي آية أخرىٰ تحدىٰ الله العالمين أن يأتوا بعشر سور من مثل سور القرآن، فقال تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، وفي موضع آخر تحداهم بالإتيان بسورة واحدة مثل القرآن الكريم، مهما صغرت هذه السورة، فقال تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

فالقرآن كتاب رباني بيِّن معجز في لفظه ومعانيه وأحكامه، وبيانه من عدة وجوه:

١- البيان في اللفظ:

فالقرآن نزل باللسان العربي المبين، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٢-٣]، ولأجل هذا البيان أنكر الله علىٰ المشركين اعتراضهم الذي لا وجه له، فقال تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

هُدًى وَشِفَآءٌۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، ففي هذه الآية: «يخبر تَعَالَىٰ عن فضله وكرمه، حيث أنزل كتابًا عربيًّا، علىٰ الرسول العربي، بلسان قومه؛ ليبين لهم، وهذا مما يوجب لهم زيادة الاعتناء به، والتلقي له والتسليم، وأنه لو جعله قرآنًا أعجميًّا، بلغة غير العرب، لاعترض المكذبون، وقالوا: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت: ٤٤] أي: هلَّا بُيِّنَت آياته، ووُضِّحت وفُسِّرت ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] أي: كيف يكون محمد عربيًّا، والكتاب أعجمي؟ هذا لا يكون!! فنفىٰ الله تَعَالَىٰ كل أمر يكون فيه شبهة لأهل الباطل عن كتابه، ووصفه بكل وصف يوجب لهم الانقياد، ولكن المؤمنون الموفقون انتفعوا به، وارتفعوا، وغيرهم بالعكس من أحوالهم»[1].

٢- البيان في المعنىٰ:

يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] «أي: في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتىٰ إنه تَعَالَىٰ يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب، فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتىٰ إنه تَعَالَىٰ يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة، يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس»[2].

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٧٥١).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٤٤٦).

٣- البيان في الأحكام:

فالقرآن بيَّن الأحكام الشرعية ومنهج اتباعها، وعاقبة من استجاب ومن خالف، ومن دلائل أهمية البيان في الأحكام: أن الله سُبْحَانَهُ لا يؤاخذ عباده إلا بعد التبيين وإقامة الحجة عليهم، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: «إن الله تَعَالَى إذا منَّ علىٰ قوم بالهداية، وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم، فإنه تَعَالَى يتمم عليهم إحسانه، ويبين لهم جميع ما يحتاجون إليه، وتدعو إليه ضرورتهم، فلا يتركهم ضالين، جاهلين بأمور دينهم، ففي هذا دليل علىٰ كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد، في أصول الدين وفروعه، ويحتمل أن المراد بذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، فإذا بيَّن لهم ما يتقون فلم ينقادوا له؛ عاقبهم بالإضلال؛ جزاء لهم علىٰ ردهم الحق المبين، والأول أولىٰ»(١).

الأثر الرابع: اليقين بأن محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خير مبيِّن للدين:

فكما أن الله عَزَّوَجَلَّ هو المبين؛ فإنه لا يرسل إلا من يتصف بالقدرة علىٰ التبيين وإظهار الدين جليًّا؛ فقد وصف الله نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنه مبين، كما في قوله تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، وقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩] وغيرها من الآيات.

---

(١) المرجع السابق (١ / ٣٥٣).

فرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أبان دين الإسلام بما لا يدع- مع بيانه- خفاءً، وبما لا يجعل الناس يجدون لغير دين الله التجاءً، وجد واجتهد لتبليغ رسالة ربه، وتحمل في سبيل ذلك أشد المشقة، وأبلغ العناء، ومن دلائل ذلك قوله: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»[1]، وكان هذا البيان المحمدي مثيرًا لاستعجاب المشركين واستنكارهم، ففي الصحيح عن سلمان قال: «قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَقَدْ عَلَّمَكُمْ صَاحِبُكُمْ حَتَّىٰ يُوشِكَ أَنْ يُعَلِّمَكُمُ الْخِرَاءَةَ، قَالَ: أَجَلْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، أَوْ نَسْتَنْجِيَ بِأَيْمَانِنَا، أَوْ بِالْعَظْمِ، أَوْ بِالرَّجِيعِ، وَقَالَ: لَا يَكْتَفِي أَحَدُكُمْ دُونَ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ»[2].

بل إن البيان والوضوح كان من صفاته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الشخصية، فقد كان الصحابة يعرفون في وجهه إن كان راضيًا مسرورًا، أو كارهًا غاضبًا، فلم يكن غامضًا، ولذا كانوا يتعلمون وينهلون من قوله وفعله وصمته وإقراره، بل حتىٰ تبسُّمِه.

الأثر الخامس: العناية ببيان العلم وفضله:

فإن كتمان العلم خلق مذموم مطلقًا، وهو من أخلاق المغضوب عليهم، يقول الله سُبۡحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ۝٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٤١٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٦٠٧).

(٢) صحيح ابن خزيمة، رقم الحديث: (٨١).

﴾ [النساء: ٣٦-٣٧]، فهم في حقيقة الأمر قد جمعوا بين أمرين ذميمين، كل منهما كاف في الشر، وهما: أنهم يبخلون، ويأمرون الناس بذلك أيضًا، فلم يكفهم بخلهم، حتىٰ أمروا الناس بذلك، وحثوهم علىٰ هذا الخلق الذميم، سواء بقولهم أو فعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم وتوليهم عنها[١]، فمن أعرض عن تبليغ ما علمه الله وتفضل به عليه فقد عارض أمر الله تَعَالَى، في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تَعَالَى علىٰ كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل»[٢].

الأثر السادس: دعاء الله باسمه تَعَالَىٰ (المبين):

من عرف اسم الله المبين دعاه والتجأ إليه، ودعاه أن يريه الحق حقًّا ويرزقه اتباعه، ويريه الباطل باطلًا ويرزقه اجتنابه، سواء في أمر دينه أو دنياه.

وهذا ما فعله الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما نزل تحريم الخمر، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ، فَدُعِيَ عُمَرُ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي النِّسَاءِ:

(١) ينظر: اقتضاء الصراط، لابن تيمية (ص: ٦)، وتفسير السعدي (ص: ٨٤٢).

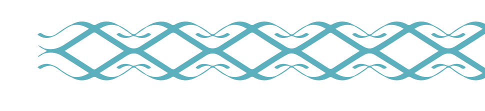
(٢) تفسير السعدي (ص: ١٦٠).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣]، فدعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ إِلَىٰ قَوْلِه: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] فَدُعِيَ عُمَرُ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا»[1].

فاللهم يا مبين، أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل.



(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٠٤٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٠٤٩).




الـمُحيطُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...وقد حاطه يحوطه حوطًا وحيطة وحياطة، أي كلأه ورعاه....وأحاط به، أي علمه. وأحاط به علمًا»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحاء والواو والطاء كلمة واحدة، وهو الشيء يطيف بالشيء...»[2].

ورود اسم الله (المحيط) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (المحيط) في كتاب الله ثمان مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

٣- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦].

ورود اسم الله (المحيط) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (الـمحيط) في السنة النبوية.

(١) الصحاح (٣/ ١١٢١).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٠).

معنى اسمِ الله (المحيط) في حقه سُبْحَانَهُ:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤]: «ألا أن الله بكل شيء مما خلق محيط علما بجميعه، وقدرة عليه، لا يعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته، ولكن المقتدر عليه العالم بمكانه»[١].

وقال أيضًا في قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦]: «ولم يزل الله محصيًا لكل ما هو فاعله عباده من خير وشر، عالمًا بذلك، لا يخفىٰ عليه شيء منه، ولا يعزب عنه منه مثقال ذرة»[٢].

وقال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فالله عَزَّوَجَلَّ محيط بالأشياء كلها؛ لأنها تحت قدرته، لا يمكن شيء منها الخروج عن إرادته فيه، ولا يمتنع عليه منها شيء، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢] أي: علم كل شيء علىٰ حقيقته، بجميع صفاته فلم يخرج شيء منها عن علمه، وقد قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] قال المفسرون: تأويله: مهلك الكافرين، حقيقته أنهم لا يعجزونه ولا يفوتونه؛ فهو محيط بهم»[٣].

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المحيط: هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصىٰ كل شيء عددًا»[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٩٥).

(٢) المرجع السابق (٩/ ٢٥٢).

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٤٦-٤٧).

(٤) شأن الدعاء (ص: ١٠٢).

❊ **وقال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المحيط: ومعناه الذي لا يقدر علىٰ الفرار منه، وهذه الصفة ليست حقًّا إلا لله جل ثناؤه، وهي راجعة إلىٰ كمال العلم ولقدرة، وانتفاء الغفلة والمعجز عنه»[1].

❊ **وقال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحاط علمه بكل شيء. قاله السدي، وقال الكلبي: أحاطت قدرته بكل شيء، وهذا الاسم أكثر ما يجيء في معرض الوعيد، وحقيقته الإحاطة بكل شيء، واستئصال المحاط به»[2].

❊ **وقال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤]: «أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وتحت طي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن»[3].

❊ **وقال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المحيط: بكل شيء علمًا، وقدرة، ورحمة، وقهرًا»[4].

اقتران اسم الله (المحيط) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ:

لم يقترن اسم الله المحيط بغيره من الأسماء.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٧-١٩٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٧٥-٣٧٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٨).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٤٧).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (المحيط):

الأثر الأول: إثبات ما تضمنه اسم الله المحيط من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ المحيط العالي علىٰ خلقه، فهو فوق جميع المخلوقات، مستو علىٰ عرشه، وعرشه فوق السماوات كلها، قد أحاط بالعوالم كلها، وبجميع ما فيها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤][(١)].

وإحاطته سُبْحَانَهُ بالعوالم وما فيها؛ من وجوه؛ منها:

١- إحاطة الملك:

فالله عَزَّوَجَلَّ المحيط الذي أحاط بالسموات والأرض وما بينهما وما فيهما ملكًا، فالجميع ملكه وعبيده، لا يشذ عن ذلك أحد، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦][(٢)].

٢- إحاطة القهر:

فالله عَزَّوَجَلَّ المحيط الذي أحاط بعباده قهرًا، فالكل تحت قهره وفي قبضته، يتصرف فيهم بما شاء، كيف شاء، متىٰ شاء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[(٣)].

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم (ص: ٤١٧).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٠٦)، وفتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٤١-٤٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٨).

ثم إنه لا يمكن لأحد كائن من كان أن يخرج عن إرادة المحيط به، أو يمتنع منه، بل الكل مقهور مدان للمحيط القهار، نافذة مشيئته وحكمه فيه[1]، قال تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] «فإنه القادر عليهم، وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته»[2].

٣- إحاطة العلم:

فالله عَزَّوَجَلَّ المحيط الذي أحاط علمه بجميع المعلومات ظاهرها وباطنها، خفيها وجليها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وأحاط سمعه بجميع الأصوات سرها وعلنها، قريبها وبعيدها، وأحاط بصره بجميع الموجودات دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، فلا يحجبه عن خلقه ظاهر عن باطن ولا كبير عن صغير ولا قريب عن بعيد، بل هو نافذ العلم والسمع والبصر، لا يغيب عنه أحد، ولا يخفىٰ عليه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر منها ولا أكبر، قال تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢][3].

أحاط علمه بذوات خلقه، وبصفاتهم، كما أحاط بجميع أعمالهم: الفعلية بصرًا، والقولية سمعًا، سواء أكانت خيرًا أم شرًّا، حسنة أم قبيحة، ظهرت للناظرين والسامعين أم توارت عنهم، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ، للزجاجي (ص: ٤٦-٤٧)، تفسير السعدي (ص: ٢٠٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٩١).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٤)، فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٤١)، تفسير السعدي (ص٢٠٦).

وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨]، لم يزل لها محصيًا، عادًا، عالمًا بها، لا تخفىٰ عليه ولا تغيب[١].

٤- إحاطة القدرة:

فالله عَزَّوَجَلَّ هو المحيط الذي أحاطت قدرته بخلقه إحاطة تامة كاملة، لا يقدرون معها علىٰ إعجازه ولا فواته ولا الفرار منه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج: ١٩-٢٠]، فليس لهم ملاذ يلوذون به عنه، ولا ملجأ يلجأون إليه، بل لا ملجأ منه إلا إليه، ولا مهرب منه إلا إليه، ولا مفر منه، بل المفر إليه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠][٢].

ثم إن الملوك والجبابرة وإن عظمت سطوتهم، وعظم ملكهم، وكثر جندهم، واشتد جبروتهم، وتفاقم طغيانهم، فإن الله لهم بالمرصاد، قد أحاط بهم، وأحصىٰ وراقب كل حركاتهم وسكناتهم، ليس لهم خروج عن قدرته، ولا يستطع أحد منهم أن يعجزه، بل نواصيهم بيده ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢][٣].

٥- إحاطة الرحمة:

فالله عَزَّوَجَلَّ المحيط الذي أحاط كل شيء برحمته، فالعالم العلوي والسفلي وجميع المخلوقات محاطة برحمة الرحمن الرحيم بها، أسبغ عليهم

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٥٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٣)، تفسير السعدي (ص: ٤٦١، ٩١٩)، النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٢٩٥-٢٩٦).

(٣) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٤١-٤٢).

نعمه الظاهرة والباطنة، وصرف عنهم المضار والمكاره، وبها دبرهم أنواع التدبير، وصرفهم بأنواع التصريف، وبها امتلأت القلوب بالرحمة حتىٰ حنت المخلوقات بعضها علىٰ بعض، إلىٰ غير ذلك من آثار رحمة الله المحيطة بالخلق في الدنيا.

ثم إن رحمة المحيط أحاطت بالخلق حتىٰ في الآخرة، بل هي في الآخرة أعظم منها في الدنيا، حتىٰ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»[1]، وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2][3].

٦- إحاطة الجزاء:

لما كان ربنا محيطًا؛ كان جزاؤه محيطًا أيضًا:

فجميع أعمال العباد قد أحاط بها، وأحصاها عدًّا، وعلم مقدارها، ومقدار جزائها في الخير والشر، ويجازيهم عليها أتم الجزاء، بما يقتضيه عدله ورحمته[4].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٥٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٥٢).

(٣) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٣٣)، المواهب الربانية، السعدي (ص: ١٠٩-١١١).

(٤) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٤١).

ثم إن جزاءه محيط، فإذا نزل عذابه علىٰ قوم أحاط بهم، فلم يفت منه أحد، ولم يُبق منهم أحد، ولم ينجو إلا من أمر الله بإنجائه[1]، ولذا قال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ [هود: ٨٤]، وقال الله في بيان إحاطة عذابه النازل بالأمم المكذبة من قوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون، وغيرهم من المعاندين المكذبين: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ [مريم: ٩٨] «والركز: الصوت الخفي، أي: لم يبق منهم عين ولا أثر، بل بقيت أخبارهم عبرة للمعتبرين، وأسمارهم عظة للمتعظين»[2].

ثم إنه سُبْحَانَهُ في الآخرة محيط بخلقه، فيبعثهم جميعًا، لا يتخلف منهم أحد، ولا ينسىٰ منهم أحدًا، ولا يمتنع منهم أحد ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

ثم هم في موقف الحشر محاط بهم أينما ذهبوا، قد طوقتهم الملائكة سبعة صفوف من كل جانب، فلا يقدر أحد منهم علىٰ فرار ولا هرب[3] حتىٰ يقال لهم علىٰ وجه التعجيز: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ [الرحمن: ٣٣] «أي: لا تخرجون عنه إلا بقوة وتسلط منكم، وكمال قدرة، وأنىٰ لهم ذلك، وهم لا

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٨٧).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٠١).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٩٦).

يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا؟! ففي ذلك الموقف لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همسًا، وفي ذلك الموقف يستوي الملوك والمماليك، والرؤساء والمرءوسون، والأغنياء والفقراء»[1].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (المحيط) علىٰ التوحيد:

لا شك أن اسم الله (المحيط) دال علىٰ كمال الله وجلاله وعظمته، فإذا تأمل العبد في هذا الكمال، ثم نظر في المعبودات من حوله، وتأمل ما فيها من المعايب والنقائص حتىٰ في صفات كمالها، فملكهم، وقهرهم، وعلمهم، وقدرتهم، ورحمتهم وغيرها من صفات الكمال ناقصة فيهم، لا محيطة شاملة.

أدرك بذلك أن المعبود الحق هو المتفرد بالوحدانية والمتصف بالكمال والجلال، وليس ذلك إلا لله المحيط، وأدرك -أيضًا- أن كل من دون الله ناقص لا يستحق شيء من العبودية، وبهذا يوحد ربه المحيط بالعبادة.

الأثر الثالث: الخوف من الله (المحيط):

إن اسم الله (المحيط) يورث في قلوب العباد الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ ومهابته وإجلاله وتعظيمه؛ إذ هو المحيط بعباده علمًا، وقدرة، وقهرًا، وملكًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٣٠).

وقد جاءت النصوص مرغبة في الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ بأساليب عدة، ومنها:

١- الأمر بالخوف منه عَزَّوَجَلَّ، قال تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

٢- بيان أن الخوف من لوازم الإيمان، قال تَعَالَى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان؛ فعلىٰ قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله»[(١)].

٣- الثناء علىٰ صفوة الخلق بالخوف والخشية، قال تَعَالَى عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال عن رسله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

٤- مدح أهل الخوف، قال تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

٥- حصول النجاة من كل سوء في الدنيا و الآخرة، فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ،...»[(٢)].

٦- تحقق الأمن يوم القيامة، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١٠ - ١١]

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٥٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٧٣١)، وأبو نعيم في الحلية، (٢/ ٣٤٣)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٨٠٢).

٧- الدخول تحت ظل العرش يوم القيامة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ»[1].

و للخوف أسباب تعين عليه، ومنها:

١- معرفة الله بأسمائه وصفاته، فإن من عرف أن الله محيط، عظيم، عزيز، جبار، متكبر، رقيب، حسيب، قوي، متين، شديد العقاب، ذو البطش الشديد، والعذاب الأليم، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون- خافه وحذر منه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨][2].

٢- تدبر القرآن الكريم والسنة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا تدبر المسلم كلام الله وسنة نبيه؛ شهد قلبه أمورًا من صفات الله وعقوباته وانتقامه، وكيف خاف الأنبياء والملائكة والصالحون، وليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلىٰ نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر علىٰ معاني آيات الكتاب العزيز، فلا تزال معانيه تنهض العبد إلىٰ ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه علىٰ التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل»[3].

٣- التفكر في الذنوب والسيئات، والتقصير في الطاعات، التي نسي العباد أكثرها، والله محصيها لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، للقاسمي (ص: ٢٩٠).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٥١).



٤- التفكر في الموت وما بعده من أهوال القيامة، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠].

٥- التفكر في النار وشدة عذابها، قال تَعَالَى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، وقال عنها: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ [المدثر: ٣٥].

٦- الدعاء بأن يُرزق العبد الخوف من الله، وقد جاء ذلك في دعاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ورد عنه دعائه: «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ**»[1]، وقوله: «... **اللَّهمَّ وأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...**»[2].

٧- مجالسة الصالحين والعلماء الذين يكسبون الخشية والخوف من الله، وقراءة سيرهم أيضًا، وما فيها من الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه بعض النماذج للسلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في خوفهم من الله تَعَالَى:

- عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «لو مات جمل ضياعًا على جانب الفرات؛ لخشيت أن يسألني عنه الله يوم القيامة»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٢)، والنسائي في الكبرى، رقم الحديث: (١٠١٦١)، حكم الألباني: حسن، صحيح الكلم الطيب، رقم الحديث: (١٢٦٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٦١٥)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٥)، حكم الألباني: صحيح، المشكاة، رقم الحديث: (٢٤٩٧).

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٤٤/ ٣٥٦).

- عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقول: «إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، فتقول زوجته: اللهم أعذه من النار»[1].

الأثر الرابع: الخوف من ظلم العباد:

إذا تأمل العبد في اسم الله «المحيط»، وما فيه من إحاطة علم الله بجميع عمله، وإحاطة قدرته به؛ خاف من أن يظلم أحدًا، أو يعتدي عليه بقول أو فعل أو ظن سوء، وحذر من ذلك أشد الحذر، لا سيما وأن الله المحيط ينتصر للمظلوم ولا يرد دعوته، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ؛ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ** عَزَّوَجَلَّ: **وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[2].

قال أبو الدرداء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِيَّاكَ وَدَعَوَاتِ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُنَّ يَصْعَدْنَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَأَنَّهُنَّ شَرَارَاتُ نَارٍ»[3].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لقيت الله بسبعين ذنبًا فيما بينك وبينه تَعَالَىٰ، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد»[4]؛ وذلك أن حقوق الله مبنية علىٰ المسامحة فيغفر الله منها ما شاء، وحقوق العباد مبنية علىٰ المشاحة، فيوفي الله أصحاب الحقوق حقوقهم ولا يترك منها شيئًا[5].

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم (ص٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي ، رقم الحديث (٢٥٢٦) ، حكم الألباني : ضعيف ، ضعيف الجامع الصغير ، رقم الحديث : ٢٥٩٢.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب، رقم الحديث: (١٠١٨٣).

(٤) تاريخ دمشق ، لابن عساكر (٤٧/ ١٦٨).

(٥) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ١٩).

وهذا التأمل- أيضًا- في اسم الله «المحيط» يدعو الظالم إلىٰ التوبة من ظلمه، ورد المظالم والحقوق إلىٰ أهلها، والتحلل منهم، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وديوان المظالم لا يمحىٰ إلا بالخروج منها إلىٰ أربابها، واستحلالهم منها»[1].

الأثر الخامس: الثقة بنصر الله المحيط:

إن الإيمان بإحاطة قدرته سُبْحَانَهُ وقهره لكل شيء، تثمر في القلب الاستهانة بقوة المخلوق من الأعداء الكفرة والمنافقين، بعد الأخذ بأسباب المدافعة لشرهم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ محيط بهم وقاهرهم.

وإذا حصلت التقوىٰ والصبر من المؤمنين، فلن يضرهم كيد الكائدين؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ محيط بما يعملون ويكيدون.

قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

الأثر السادس: محبة الله المحيط:

إذا تعرف العبد علىٰ اسم ربه «المحيط» وتأمل ما فيه من صفات الكمال والجلال؛ قاده ذلك إلىٰ محبته سُبْحَانَهُ؛ إذ القلوب فطرت علىٰ محبة من له الكمال.

ثم إذا تأمل- أيضًا- ما فيه من إحاطة الله لأوليائه بالحفظ والرعاية والنصر علىٰ الأعداء؛ زاده ذلك حبًّا وتعلقًا بربه المحيط.

---

(١) المرجع السابق.

ثم إذا ضم إلىٰ هذه الصفة الكريمة صفة أخرىٰ كالحلم والقدرة مثلًا، فتأمل كيف أن ربه المحيط أحاط بذنبه وتقصيره وسيء عمله، وهو قادر علىٰ معاجلته بالعقوبة وسلب النعمة التي عصاه بها، إلا أنه مع ذلك حلم وأمهل ولطف؛ زاده ذلك حبًّا لله عَزَّوَجَلَّ.

فاللهم يا من أحاط سمعه بالأصوات، وأحاط بصره بالمرئيات، وأحاط بما تخفي الصدور، ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة.



المهَيْمنُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الـمُهيمن: الشاهد، وهو من آمن غيرَهُ من الخوف، وأصله أَأْمَنَ فهو مُؤَأْمِن، بهمزتين، قُلبت الهمزة الثانية ياءً كراهةً لاجتماعهما، فصار مُأَيْمِن، ثم صُيِّرت الأولىٰ هاء، كما قالوا: أراق الماءَ وهراقه»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما المهيمن، وهو الشاهد.. إنَّما هو من باب أمن، والهاء مبدلة من همزة»(٢).

ورود اسم الله (المهيمن) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ **(المهيمن) في كتاب الله مرة واحدة، في قوله تعالىٰ:** ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣].

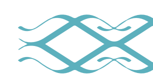
ورود اسم الله (المهيمن) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (المهيمن) في السنة النبوية.

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٢١٧).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٦٣).



معنى اسم الله (المهيمن) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله «المهيمن» في حقه تَعَالَى حول أربعة معان:

١- القائم علىٰ خلقه بالرعاية والحفظ.

٢- الرقيب علىٰ أعمال الخلق، والشاهد عليها.

٣- الأمين المؤتمن علىٰ حق عباده.

٤- المؤمن المصدق.

وحول هذه المعاني الأربعة تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول والثاني:

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و أصل (الهيمنة): الحفظ والارتقاب، يقال، إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو يهيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن»[1].

❊ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن عباس وغير واحد: أي: الشاهد علىٰ خلقه بأعمالهم. بمعنىٰ: هو رقيب عليهم، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]»[2].

❊ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المهيمن): المطَّلع علىٰ خفايا الأمور، وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا»[3].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٧).

❊ قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمهيمن: الرقيب بلغة قريش، والحافظ في لغة بقية العرب»[١].

من الأقوال في المعنىٰ الثالث:

❊ **قال الحليمي في قوله:** «ومعناه: لا ينقص المطيعين يومَ الحساب من طاعاتهم شيئًا،... لا يزيد العصاةَ علىٰ ما اجترحوه من السيئات شيئًا، فيزيدهم، عقابًا علىٰ ما استحَقُّوه»[٢].

ومن الأقوال في المعنىٰ الرابع:

❊ قال ابن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر:٢٣]: «المصدق لكل ما حدث، وقرأ ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]، قال: فالقرآن مصدِّق علىٰ ما قبله من الكتب، والله مصدِّق في كل ما حدَّث عما مضىٰ من الدنيا، وما بقي، وما حدَّث عن الآخرة»[٣].

❊ قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المهيمن) المصدق، وهو في حق الله تَعَالَى يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك التصديق بالكلام، فيصدق أنبياءه بإخباره تَعَالَى عن كونهم صادقين.

الثاني: أن يكون معنىٰ تصديقه لهم هو أن يظهر المعجزات علىٰ أيديهم»[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٢١).

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي (ص: ١٦٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٤).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للرازي (ص: ١٤٦).

من الأقوال التي تجمع بين الأقوال الأربعة:

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: المهيمن: الشهيد... وقال آخرون: المهيمن: الأمين... وقال آخرون: (المهيمن): المصدق»[(١)].

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المهيمن: هو الشهيد، ومنه قول الله سُبْحَانَهُ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فالله عَزَّوَجَلَّ المهيمن أي: الشاهد علىٰ خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل، كقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وقيل: المهيمن، الأمين، وأصله مؤيمن، فقلبت الهمزة هاء؛ لأن الهاء أخف من الهمزة...

وقيل: المهيمن: الرقيب علىٰ الشيء، والحافظ له، وقال بعض أهل اللغة: الهيمنة: القيام علىٰ الشيء، والرعاية له»[(٢)].

❊ قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- جامعًا بين بعض هذه المعاني-: «القائم علىٰ خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه، وكلُّ مشرف علىٰ كنه الأمر مسؤول عليه حافظ له، فهو مهيمنٌ عليه، والإشراف يرجع إلىٰ العلم، والاستيلاء إلىٰ كمال القدرة، والحفظ إلىٰ العقل،

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٤).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٤٦).

فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن»[1].

❁ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في أسماء الله تَعَالَى (المهيمن) هو الرقيب، وقيل: الشاهد، وقيل: المؤتمن، وقيل: القائم بأمور الخلق»[2].

اقتران اسم الله (المهيمنِ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (المهيمن) باسم الله (المؤمن):

اقترن اسم الله «المهيمن» باسمه «المؤمن»، في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وجه الاقتران:

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتعقيب المؤمن بالمهيمن؛ لدفع توهُّم أن تأمينه عن ضعف، أو عن مخافة غيره، فاعلموا أن تأمينه لحكمته، مع أنه رقيب مطَّلع علىٰ أحوال خلقه، فتأمينه إيَّاهم رحمة بهم»[3].

ثانيًا: اقتران اسم الله (المهيمن) باسم الله (العزيز):

اقترن اسم الله (المهيمن) باسمه العزيز في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وجه الاقتران:

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووجه ذكر هذه الصفات الثلاث- العزيز الجبار المتكبر- عقب صفة المهيمن: أن جميع ما ذكره آنفًا من الصفات، لا

---

(١) المقصد الأسنىٰ (ص: ٧٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٧٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٢٢).

يؤذن إلا باطمئنان العباد لعناية ربهم بهم، وإصلاح أمورهم، وأن صفة المهيمن تؤذن بأمر مشترك؛ فَعُقِّبَتْ بصفة العزيز؛ ليعلم الناسُ أن الله غالب لا يُعجزه شيء... فكانت هذه الصفات في جانب التخويف، كما كانت الصفات قبلها في جانب الإطماع»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (المهيمن):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (المهيمن) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله تَعَالَى «المهيمن» الذي لا يخرج شيء عن هيمنته، فالسماء والأرض ومن فيهما صغر أو كبر، دقَّ أو جلَّ، الكل تحت هيمنته جل في علاه ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣] هيمنة القيام والحفظ، وهيمنة الرقابة والشهادة، وهيمنة الأمن والتصديق.

فهو المهيمن القيوم[2] الذي قام علىٰ الخلائق خلقًا ورزقًا وتدبيرًا وتصريفًا، فبهيمنته أقام السموات والأرض فثبتت ولم تزل، وبهيمنته أقام كل نفس من إنس وجن وغيرهما من سائر الدواب، فقلب الجنين خلقًا بعد خلق في ظلمات ثلاث، يحيل الدَّمَ نطفةً، والنطفةَ علقةً، والعلقةَ مضغةً، والمضغةَ عظامًا، ثم يكسو العظام لحمًا، ثم ينشئه خلقًا آخَرَ، فتبارك الله أحسنُ الخالقين.

وبهيمنته أقام للمكلفين الأديان؛ فأرسل الرسل وأنزل الكتب، ولم يترك عباده سدًىٰ، ولم يدعهم هملًا، بل وضع لهم الشرائع التي تنظم سلوكهم،

(١) المرجع السابق (٢٨/ ١٢٣).

(٢) للاستزادة، يراجع اسم الله الحي القيوم.

وترسم لهم الحدود التي يسيرون فيها، ولا يتجاوزونها في أعمالهم ومعاملاتهم وعقائدهم.

وهو المهيمن الحفيظ[1] الذي عم خلقه بحفظه، فبهيمنته حفظ السماء من أن تقع علىٰ الأرض، وبهيمنته حفظ الأرض من الاضطراب والميد بأهلها، وبهيمنته حفظ أهلها بما يسر من الأرزاق والأقوات لهم، وحفظهم من أصناف الشرور والمضار بما قيض من أسباب حفظهم.

وهو المهيمن الرقيب الشهيد[2] الذي اطلع علىٰ جميع الأشياء، وأحاط بها علمًا، ظاهرًا وباطنًا، فبهيمنته رقب الخفيَّات والجليَّات، والماضيات والمستقبَلات، وبهيمنته رقب جميعَ الأصوات؛ سرها وجهرها، وبهيمنته رقب جميع الموجودات؛ دقيقها وجليلها، وصغيرها وكبيرها، لا يحجبه من خلقه ظاهر عن باطن، ولا كبير عن صغير، ولا قريب عن بعيد.

وبهيمنته شهد أعمال العباد فأحصاها، وعلم مقاديرها، ومقدار جزائها خيرها وشرها، ثم يشهد عليهم بما عملوه ويفصل بينهم يوم الدين[3].

وهو المهيمن الأمين الذي لا يضيع عنده حق عباده، فلا ينقصهم شيئًا من حسناتهم، ولا يزيدهم شيئًا من السيئات، بل هم آمنون من ذلك.

قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اسم الله «المهيمن»: «لا ينقص المطيعين يومَ الحساب من طاعاتهم شيئًا، فلا يُثيبهم عليه؛ لأن الثواب لا يُعجزه ولا هو مستكْرَهٌ عليه، فيضطر إلىٰ كتمان بعض الأعمال أو جحدها، وليس ببخيل

---

(١) للاستزادة، يراجع اسم الله الحافظ الحفيظ.

(٢) للاستزادة، يراجع اسم الله الرقيب والشهيد.

(٣) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٣٥- ٣٦).

فيحمله استكثارُ الثواب إذا كثرت الأعمال علىٰ كتمان بعضها، ولا يلحقه نقصٌ بما يثيب فيحبس بعضه؛ لأنه ليس منتفعًا بملكه حتىٰ إذا نفع غيره به زال انتفاعُهُ عنه بنفسه، وكما لا ينقص المطيعَ من حسناته شيئًا، لا يزيد العصاةَ علىٰ ما اجترحوه من السيئات شيئًا، فيزيدهم عقابًا علىٰ ما استحَقُّوه؛ لأن واحدًا من الكذب والظلم غير جائز عليه، وقد سمَّىٰ عقوبة أهل النار جزاءً، فما لم يقابل منها ذنبًا لم يكن جزاءً، ولم يكن وفاقًا»[1].

وهو المهمين المؤمن[2] الذي صدق رسله بما أنزل من كتب وأظهر من معجزات، وصدق كتبه بالقرآن، وجعله مهيمنًا علىٰ سائرها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فـ«جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، وأشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها»[3].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (المهيمن) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]؛ وجد أن الله عَزَّوَجَلَّ وصف من يستحق

(١) الأسماء والصفات، للبيهقي (ص: ١٦٤).

(٢) للاستزادة يراجع اسم الله «المؤمن».

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٨).

العبادة بصفات الكمال والجلال التي منها الهيمنة، وهذه الصفات لا تكون إلا له سُبْحَانَهُ، فإنها وإن وجدت في مخلوق فلا توجد مجتمعه، كما أنها لا توجد علىٰ صورة الكمال بل فيها من النقائص والمعايب ما فيها.

وبهذا يعلم أنه لا أحد كائن من كان يستحق من العبادة مثقال ذرة، وإنما هي خالصه له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عما يشركون[1].

الأثر الثالث: الإيمان بهيمنة القرآن:

امتن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالقرآن، وجعله مهيمنًا علىٰ سائر الكتب المتقدمة، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، وذلك يعني:

١- أنه أمين علىٰ كل كتاب قبله وحافظ له؛ وذلك بحفظه لأصول ما في تلك الكتب من عقائد وشرائع، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢- أنه شاهد علىٰ الكتب قبله؛ وذلك من جهة:

أ- شهادته عليها بالصحة والثبات، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣- ٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٥٤).

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ب- شهادته علىٰ أصولها بالصدق، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].

ت- شهادته علىٰ ما وقع من أصحابها من تحريف وتبديل وإعراض عن العمل بها، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [النساء: ٤٦].

٣- أنه حاكم عليها بإقرار بعض ما فيها من الشرائع التي مصلحتها كلية لم تختلف باختلاف الأمم والأزمان، كالصوم، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وناسخ لبعض ما فيها من الشرائع التي مصلحتها جزئية مؤقته، مراعىٰ فيها أحوال أقوام معينين[١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨] أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدِّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظًا لها»[٢].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٧)، تفسير السعدي (ص: ٢٣٤)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦/ ٢٢٢)، مجلة البحوث الإسلامية (٢١/ ٣١٧-٣١٨).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧).

وإنما كانت هذه المنزلة لهذا الكتاب العظيم:

١- لأنه «قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانًا وتفصيلًا، وبين الأدلة والبراهين علىٰ ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين- أيضًا- ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة علىٰ ما بين يديه من الكتب»[١].

٢- ولأن الله تكفل بحفظه، فلا يصير إليه النسخ ألبتة، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف، وبهذا تكون شهادته علىٰ الكتب السابقة باقية أبدًا، فيبقىٰ العلم بها ببقائه[٢].

فإذا تبين هذا؛ فليعلم العبد أن من الإيمان بالقرآن: الإيمان بهيمنته، وهذا الإيمان واليقين يورث في النفس تعظيمه وإجلاله والفرح به أعظم الفرح، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧- ٥٨].

كما أنه يثمر العمل والحكم به وتحكيمه ورفض ما سواه من أحكام وأهواء، كما نبه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذلك، فقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٤٤).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (١٢/ ٣٧١).

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾.

الأثر الرابع: الرضىٰ بقضاء المهيمن:

إذا آمن العبد أن ربه المهيمن القائم علىٰ أمره بالرعاية والتدبير والتصريف؛ أورثه ذلك الرضىٰ بما يقضيه ويقدره عليه خيره وشره؛ لعلمه أن هيمنته إنما هي عن رحمة وعلم وحكمة، ففيها الخير والصلاح له ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فهذه عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تقول: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ، انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْتِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَأَتَىٰ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالُوا: أَلَا تَرَىٰ مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ، أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالنَّاسِ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَىٰ فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: **حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، قَالَتْ: فَعَاتَبَنِي، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ فَخِذِي، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ أَصْبَحَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَوَجَدْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ.[1].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٣٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٦٧).

وهذه امرأة سوداء لبعض العرب، أعتقها أهلها، فكانت تأتي للمسجد فتتحدث عند النساء، فإذا فرغت من حديثها قالت:

وَيَـوْمَ الْوِشَـاحِ مِـنْ أَعَاجِيـبِ رَبِّنَـا ... أَلَا إِنَّـهُ مِـنْ بَلْـدَةِ الْكُفْـرِ أَنْجَانِـي

فلما أكثرت من ذلك قالت لها عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: وما يوم الوشاح؟ قالت: خرجت جويرية لبعض أهلي، وعليها وشاح أحمر، فسقط منها، فانحطت عليه الحديا وهي تحسبه لحمًا، فأخذته فاتهموني به، فعذبوني، حتىٰ بلغ من أمري أنهم طلبوا في قبلي، فبينا هم حولي وأنا في كربي، إذ أقبلت الحديا حتىٰ وازت برؤوسنا ثم ألقته، فأخذوه، فقلت لهم هذا الذي اتهمتموني به و أنا منه بريئة، وهو ذا هو، وجاءت إلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فأسلمت»[(١)].

الأثر الخامس: مراقبة الله المهيمن[(٢)]:

إذا تقرر عند العبد أن ربه المهيمن مطلع علىٰ خفايا الأمور، وخبايا الصدور، وظاهر الأقوال والأفعال، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٥٢] شاهد عليها وعلىٰ خلقه بما صدر منهم لا يضل ولا ينسىٰ، ولا يغفل عن شيء منها ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، أثمر ذلك في نفسه مراقبة «المهيمن» تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فيرقب قوله وفعله وخطره وفكره؛ حذرًا من مشاهدة المهيمن له وقد واقع ما لا يرضيه.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٩).

(٢) للاستزادة يراجع ملحق (المراقبة).

الأثر السادس: الثقة بالمهيمن:

إذا تيقن العبد أن ربه المهيمن بيده كل شيء، يصرفه كيف شاء، وثق بربه في قضاء حوائجه، وفوض أمره إليه مطمئنًا ساكنًا، فلا قلق ولا تعلق بالخلق رجاء ولا خوفًا.

فهذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جمع قومه الحطب، وأطلقوا فيه النيران، فاضطرمت وتأججت والتهبت وعلاها شرر لم ير مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في كفة منجنيق، ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه، حتىٰ إذا تم الوضع ألقوه إلىٰ النار، فعرض له جبريل في الهواء، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وقال واثقًا بربه مفوضًا أمره إليه: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقال الله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾»[1].

وهذه أم موسىٰ تلقي وليدها في اليم؛ امتثالًا لأمر ربها، وثقة بوعده: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فدبر المهيمن الأمور ورده إليها: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٢- ١٣].

وهذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينزل واديًا مع أصحابه، فيأخذ كل واحد منهم مكانه، وينام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت شجرة ويعلق سيفه بغصن من أغصانها، فيأتيه رجل بيده السيف، فلم يشعر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ١٤٦).

والسيف صلتًا في يده، فقال له: من يمنعك مني؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ فقال: الله، فشام[1] الأعرابي السيف»[2].

أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ثُمَّ نَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ قُلْتُ: اللهُ فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ. ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ .

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكأن الأعرابي لما شاهد ذلك الثبات العظيم، وعرف أنه حيل بينه وبينه تحقق صدقه، وعلم أنه لا يصل إليه، فألقىٰ السلاح وأمكن من نفسه»[3].

وفي غزوة الأحزاب، ضرب الكفار علىٰ المسلمين حصارًا عسكريًّا مهيبًا، قال الله عنه: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠- ١١] فما كان من المؤمنين إلا أن قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فرد الله الأحزاب بغيظهم، لم ينالوا خيرًا، وكفىٰ المؤمنين القتال، وكان الله قويًّا عزيزًا مهيمنًا.

---

(١) أي: أغمد السيف. فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٩١٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٨٤٣).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٤٢٧).

الأثر السابع: محبة الله تَعَالَىٰ المهيمن:

إذا علم العبد أن ربه المهيمن عَزَّوَجَلَّ قائم علىٰ خلقه رعايةً ورزقًا وحفظًا، وتدبيرًا وتصريفًا لأمورهم، علىٰ وفق ما تقتضيه حكمته عَزَّوَجَلَّ؛ أورثه ذلك محبته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والتقرب إليه بالطاعات والقربات؛ تعبدًا له عَزَّوَجَلَّ، وحبًّا والتماسًا لمرضاته، وشكرًا له علىٰ نعمائه وأفضاله وإحسانه.

فاللهم يا مهيمن، تولَّ أمرنا واجْبُر كسرنا، واحفظنا بحفظك الذي لا يُرام، واكلأنا بعينك التي لا تنام.



المؤمن جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(أمن) الأمان والأمانة بمعنًى، وقد أَمِنْتُ فأنا آمِنٌ. وآمَنْتُ غيري، من الأمن والأمان، والإيمان: التصديق، والله تَعَالَى المؤمن؛ لأنه آمَن عبادَه من أن يظلمهم... والأمن: ضد الخوف، والأَمَنَةُ بالتحريك: الأَمْنُ، ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤]»[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق... وأما التصديق فقول الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: مصدق لنا، وقال بعض أهل العلم: إن المؤمن في صفات الله تَعَالَى هو أن يصدق ما وعد عبده من الثواب، وقال آخرون: هو مؤمن لأوليائه يؤمنهم عذابه ولا يظلمهم[2].

ورود اسم الله (المؤمن) في القرآن الكريم:

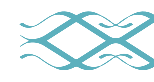
ورد اسمه سُبْحَانَهُ (المؤمن) مرة واحدة في القرآن الكريم، وهي:

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الحشر: ٢٣].

---

(١) الصحاح (٥/ ٢٠٧١-٢٠٧٢).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ١٣٣-١٣٥).



ورود اسم الله (المؤمن) في السنة النبوية:

لم يَرد اسم الله (المؤمن) في السنة النبوية.

معنى اسم الله (المؤمن) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله (المؤمن) في حق الله علىٰ معنيين، وهما:

١- المصدق.

٢- المؤَمِّن غيره.

وحول هذه المعاني تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ **قال مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المؤمن) الذي وحد نفسه بقول: شهد الله أنه لا إله إلا هو»[١].

❊ **قال قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمن بقوله: إنه حق»[٢].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل الإيمان التصديق والثقة... ويقال: إنما سمىٰ الله نفسه مؤمنًا؛ لأنه شهد بوحدانيته، فقال تَعَالَىٰ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] كما شهدنا نحن»[٣].

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمن من الإيمان، وهو التصديق، فيكون ذلك علىٰ ضربين: أحدهما: أن يقال: (الله المؤمن)، أي: مصدق عباده

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٤٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٢).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٣١-٣٢).

المؤمنين، أي: يصدقهم علىٰ إيمانهم، فيكون تصديقه إياهم قبول صدقهم وإيمانهم وإثابتهم عليه، والآخر: أن يكون الله المؤمن، أي: مصدق ما وعده عباده»[1].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المؤمن): أصل الإيمان في اللغة: التصديق، فالمؤمن: المصدِّق، وقد يحتمل ذلك وجوهًا:

أحدها: أنه يَصْدُقُ عبادَه وعدَه، ويفي بما ضمِنه لهم من رزق في الدنيا، وثواب علىٰ أعمالهم الحسنة في الآخرة.

والوجه الآخر: أنه يصدق ظنون عباده المؤمنين، ولا يُخيِّب آمالَهم، كقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما يحكيه عن ربه- جل وعز-: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[2]، وقيل: بل المؤمن: الموحِّدُ نفسَه بقوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]»[3].

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المؤمن) أي: المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم، ومصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ومصدق الكافرين ما أوعدهم من العقاب»[4].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم

---

(١) اشتقاق أسماء الله (ص: ٢٢١-٢٢٣).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٢٦٣)، وابن حبان، رقم الحديث: (٦٣٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٣٣).

(٣) شأن الدعاء (ص ٤٥-٤٦).

(٤) تفسير القرطبي (١٨/ ٤٦).

بأنهم صادقون بالدلائل التي دل بها علىٰ صدقهم قضاء وخلقًا»[1].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المصدق لرسله وأنبيائه بما جاءوا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات»[2].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❁ **قال ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أمَّن خلقه من أن يظلمهم»[3].

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المؤمن) يعني بالمؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه»[4].

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويقال: إنه في وصف الله تَعَالَى يفيد أنه الذي أمن من عذابه من لا يستحقه»[5].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الأمان أي: يؤمن عباده المؤمنين من بأسه وعذابه، فيأمنون ذلك، كما تقول: (آمن فلان فلانًا)، أي: أعطاه أمانًا ليسكن إليه ويأمن»[6].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: بل المؤمن: الذي آمن عبادَه المؤمنين في القيامة من عذابه، وقيل: هو الذي آمن خَلْقَهُ مِن ظُلمه»[7].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٥٤).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، (١/ ١٠٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٢-٣٠٤).

(٥) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٣١-٣٢).

(٦) اشتقاق أسماء الله (ص: ٢٢١-٢٢٣).

(٧) شأن الدعاء (ص ٤٥-٤٦).

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المؤمن)... وقيل: المؤمن الذي يؤمن أولياءه من عذابه، ويؤمن عباده من ظلمه»[1].

❁ **قال ابن عاشور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمؤمن اسم فاعل من آمن الذي همزته للتعدية، أي: جعل غيره آمنًا، فالله هو الذي جعل الأمان في غالب أحوال الموجودات»[2].

اقتران اسم الله (المؤمن) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

اقترن اسم المؤمن سُبْحَانَهُ باسم الله «السلام»، و«المهيمن» في قوله تعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وجه الاقتران:

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذِكْر وصف المؤمن عقب الأوصاف التي قبله إتمام للاحتراس من توهُّم وصفه تعَالَى بالمَلك، أنه كالملوك المعروفين بالنقائص. فَأُفِيدَ أولًا: نزاهة ذاته بوصف القدوس، ونزاهة تصرفاته المغيبة عن الغدر والكيد بوصف المؤمن، ونزاهة تصرفاته الظاهرة عن الجور والظلم بوصف السلام... وتعقيب المؤمن بالمهيمن؛ لدفع توهم أن تأمينه عن ضعف أو عن مخافة غيره، فاعلموا أن تأمينه لحكمته مع أنه رقيب مطلع علىٰ أحوال خلقه، فتأمينه إياهم رحمة بهم»[3].

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٢١).

(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٢٠، ١٢٢).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (المؤمن):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (المؤمن) من صفات:

الله عَزَّوَجَلَّ المؤمن الذي صدق نفسه وصدق غيره، وهو المؤمن الذي جعل غيره آمنا، فجاءت أوجه تصديقه، وأوجه تأمينه كثيرة متنوعة، وبيانها على النحو الآتي:

أولًا: أوجه تصديقه، منها:

١- المصدق للحق بإحقاقه وإظهاره واستمراره، وزوال الباطل واضمحلاله، قال تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وضرب المثل لهما بقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

ومن تصديقه للحق:

- تصديق نفسَهُ بالتوحيد، كما قال تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وجاء في حديث أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنهما شهدا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ اللهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي**

لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ اللهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِيَ الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، قَالَ اللهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ، ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ»(١).

فشهد سُبْحَانَهُ لنفسه بالتوحيد، وصدَّق ذلك بما أقام من الحجج والبراهين القاطعة علىٰ توحيده، وأنه لا إله إلا هو، ونوَّع في الأدلة في الآفاق والأنفس علىٰ هذا الأصل العظيم(٢).

- تصديقه لكتابه بما يقيم من الدلائل علىٰ صدقه، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٢- ٥٣]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلىٰ الكفران ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ من غير شك ولا ارتياب، ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾... فإن قلتم، أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم الله لكم، ويريكم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تَعَالَىٰ من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر علىٰ الحق، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٣٠) واللفظ له، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٧٩٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٣٩٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٤).

المكذبين، ونصر المؤمنين ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ من تلك الآيات، بيانًا لا يقبل الشك ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ وما اشتمل عليه حق»[1].

- تصديقه رسله وأنبيائه وأتباعهم، بما يظهر من الدلائل الدالة علىٰ صدقهم، كما قال تعالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهي الأدلة والشواهد والعلامات الدالة علىٰ صدق ما جاءوا به وحقيته»[2].

وهذه الدلائل والبينات متنوعة، فقد تكون آية خارقة للعادة يجريها علىٰ أيديهم، كالناقة التي أخرجها من الصخرة آية لنبيه ورسوله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالَى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [الأعراف: ٧٣]، وما أجراه علىٰ يدي نبيه ورسوله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالَى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل: ١٠ - ١٢]، وكذلك عيسىٰ ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرهم من الرسل والأنبياء، وإلىٰ غير ذلك من الدلائل التي يصدق الله بها أولياءه.

٢- المصدق لعباده المؤمنين ما وعدهم به من النصر في الدنيا والتمكين في الأرض، والمصدق الكافرين ما وعدهم به من الخزي والخذلان، قال تعالَى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٩]،

---

(١) المرجع السابق (ص: ٧٥٢).

(٢) المرجع السابق (ص: ٨٤٢).

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وعن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ، وَالنَّصْرِ وَالرِّفْعَةِ فِي الدِّينِ، وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**»[(١)].

٣- المصدق لعباده ظنونهم وآمالهم به، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[(٢)]، وفي رواية: «**إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ**»[(٣)].

٤- المصدق عبادَه المؤمنين بما يجيبون به عند السؤال؛ ففي يوم القيامة يُسأل الجميع عن عملهم، كما قال تَعَالَى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، فيصدق أهل الإيمان بما يجيبون به، ويُكَذِّبُ الكفرةَ والمجرمين، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٢٢ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١١٥٣)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٦٤١٦)، والحاكم، رقم الحديث: (٢١٦١٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٨٢٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩١٩٩)، وابن حبان، رقم الحديث: (٦٣٩)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٦٣).

مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢ - ٢٤]، ويستنطق الجوارح لتشهد عليهم بأعمالهم، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

٥- المصدق عباده المؤمنين ما وعدهم به من الثواب في الآخرة، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤]، والمصدق الكافرين ما وعدهم به من العذاب والنكال في الآخرة أيضًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤][1].

ثانيًا: أوجه تأمينه، منها:

١- المؤمن سُبْحَانَهُ لجميع خلقه، بسوق ما يأمن لهم بقاء حياتهم إلىٰ الأجل الذي أجَّل لهم من الأرزاق، وجلب المنافع، ودفع الشرور والأضرار، حتىٰ أنه سُبْحَانَهُ وكَّل بهم حفظة من الملائكة يحفظون أبدانهم وأرواحهم ممن يريدهم بسوء، قال تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١][2].

وقد أشار إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ هذا الأمن، وأن الله سُبْحَانَهُ وحده هو واهب الأمن للعباد، فقال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨] فآمن

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٢٥-١٢٦)، فقه الأسماء الحسنىٰ (٢٠٥-٢٠٨).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤١٤).

بالهداية، ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩] فآمن بالرزق، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فآمن بالصحة.

٢- المؤمن سُبْحَانَهُ للخائفين بإعطائهم الأمان والاطمئنان، كما قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٤] لا سيما من التجأ إليه ولاذ به وأقبل عليه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمضطر إذا صدق في الاضطرار إليه: وجده رحيمًا مغيثًا، والخائف إذا صدق في اللجوء إليه: وجده مُؤمِّنًا من الخوف»[1].

٣- المؤمن سُبْحَانَهُ لعباده المنقادين لشرعه، بما شرع لهم من الأحكام والحدود التي يأمنون فيها علىٰ دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، وأعراضهم، وأموالهم سواء علىٰ مستوىٰ الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع بحيث يعيش الجميع في أمن وسلام في ظل أحكام الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

٤- المؤمن سُبْحَانَهُ لعباده المؤمنين، بما يجعل في نفوسهم من الراحة والطمأنينة والأنس إذا أقبلوا عليه، قال تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت»[2]، وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بطمأنينة قلبه وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقًا حلالًا طيبًا من حيث لا يحتسب»[3].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٤٩).

٥- المؤمن سُبْحَانَهُ لعباده من أن يظلمهم، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فلا يظلم أحدًا بأن ينقص من حسناته شيئًا، أو يزيد في سيئاته شيئًا، ولو كان مثقال الذر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: ٤٠]، بل أنه سُبْحَانَهُ حتىٰ الكافر يثيبه علىٰ حسناته، فيعجل ثوابه في الدنيا، كما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا**»[1].

ومن تمام تأمينه لعباده من الظلم وضع الموازين يوم القيامة لتوزن بها الأعمال، قال تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].[2]

٦- المؤمن سُبْحَانَهُ لأهل توحيده وطاعته من المخاوف والعذاب والشقاء، قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

يؤمنهم في الدنيا ويطمئن قلوبهم ويشرح صدورهم، ويؤمنهم عند نزول الموت بهم بما يرسل من ملائكة الرحمة تثبتهم وتبشرهم، كما قال تَعَالَى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، تتنزل عليهم مرة بعد أخرىٰ مزيدًا في الأمن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٢٤).

والاطمئنان[1]، «وتقول لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾على ما يستقبل من أمركم، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولًا»[2].

وفي حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ»[3].

ويؤمنهم في أرض المحشر من أهوال القيامة وشدائدها: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فلا يقلقون ولا يحزنون إذا فزع الناس أكبر فزع في ذلك اليوم العظيم، بل وتستقبلهم الملائكة بالتهاني قائلين: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فليهنكم ما وعدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما أمنكم الله من المخاوف والمكاره[4].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٧٤٨).

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٥٣٤)، وهناد في الزهد، رقم الحديث: (٣٣٩)، حكم الألباني: صحيح، المشكاة، رقم الحديث: (١٦٣٠).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٣١).

ويؤمنهم من النار وحرها، كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٢].

وهذا الأمن يختلف باختلاف ما معهم من التوحيد والتقوىٰ «فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا، لا بشرك، ولا بمعاص؛ حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها»[(١)].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (المؤمن) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في اسم الله المؤمن وما فيه من تصديق الله للتوحيد بشهادته عليه كما في قوله تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وإقامته للحجج والبراهين والأدلة النقلية والعقلية عليه، ونصرته لمن قام به ولو كان ضعيف العدة والعتاد، وخذلانه للشرك وأهل الإشراك وإيقاعه ألوان العقوبات عليهم، ووعده لأهل التوحيد بالأمن في الدارين- ساقه ذلك كله لتوحيده وإخلاص العبودية له وحده لا شريك له[(٢)].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٤- ١٢٥).

الأثر الثالث: لا يجمع المؤمن سُبْحَانَهُ لعبده أمنين ولا خوفين:

من تأمين الله لعباده ألا يجمع عليهم الخوف في الدارين، بل من خاف في الدنيا وعمل بطاعته أمنه مما يخاف يوم القيامة، ومن أمن في الدنيا من مكر الله وعمل بمعاصيه أخافه الله يوم القيامة، كما جاء في الحديث، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يروي عن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ، قال: «**وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

والخوف من الله عبادة قلبية، عظم الله شأنها ورفع منزلتها، فحث عليها في كتابه وجعلها شرطًا للإيمان به سُبْحَانَهُ، فقال: ﴿**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ومدح أهل خوفه وخشيته، وأثنىٰ عليهم بقوله: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ**﴾ إلىٰ أن قال: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وسألتْ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قول الله تَعَالَىٰ: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر؟ قال: «**لَا، يَا بُنَيَّةَ أَبِي بَكْرٍ - أَوْ: لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ - وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ**»[2]، قال الحسن: «عملوا- والله-

(١) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٦٤٠)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٧٥٩)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٦٦٦).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٥٢٦٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٣١٧٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٩٨)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٢).

بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن تُرَدَّ عليهم، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشيةً، والمنافق جمع إساءَةً وأمنًا»[1].

ورغَّب سُبْحَانَهُ في الخوف منه بما أعد لأهلها من الجزاء في الآخرة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

فعلىٰ المسلم أن يحرص علىٰ تحقيق هذه العبادة العظمية، وأن يجمع معها المحبة، والرجاء؛ فإن القلب- في سيره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ- بمنزلة الطائر، «فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتىٰ سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتىٰ قُطع الرأس مات الطائر، ومتىٰ فقد الجناحان فقد أصبح عرضة لكل صائد وكاسر»[2]، والاقتصار علىٰ واحد من هذه الأمور الثلاثة- دون الباقي- انحراف عن الجادة، وخلل في السلوك.

وأما تغليب أحدها علىٰ الآخر، فاستحبه السلف في بعض المواضع، فمثلًا: استحبوا أن يُغلَّبَ في حال الصحة جانبُ الخوفِ علىٰ جانب الرجاء؛ لأن العبد لا يزال في ميدان العمل، وهو بحاجة إلىٰ ما يسوقه للعمل، وأما في حال الضعف والخروج من الدنيا؛ يغلب جانب الرجاء؛ ليموت محسنًا الظن بربه، ممتثلًا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** عَزَّوَجَلَّ»[3].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٥٠٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٥١٣).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٧٧).

والخوف من الله، منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم؛ فالخوف المحمود هو: ما حال بين صاحبه، وبين محارم الله عَزَّوَجَلَّ، فليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يُعاقَبَ عليه، ومنه: قَدْرٌ واجب ومستحب؛ فالواجب منه: ما حمل علىٰ أداء الفرائض، واجتناب المحارم، فإن زاد علىٰ ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس علىٰ التشمير في النوافل، والبعد عن المكروهات، وعدم التوسع في فضول المباحات، كان ذلك مستحبًّا، فإن زاد علىٰ ذلك، بحيث أدَّىٰ إلىٰ اليأس والقنوط والمرض، وأقعد عن السعي في اكتساب الفضائل كان ذلك هو الخوف المحُرَّم.

الأثر الرابع: محبة الله المؤمن:

الله عَزَّوَجَلَّ هو المؤمن سُبْحَانَهُ «الذي يأمن الخائفون في كَنَفه، ويطمئن المؤمن بالإيمان به وعبادته وحده، فلا يخاف أحدٌ ظُلْمَهسُبْحَانَهُ، بل إن رحمته سبقت غضبه، ورحمته وسعت كل شيء، فيحصل مِن جرَّاء ذلك الأمنُ النفسيُّ، والسعادة القلبية، والتعلُّق بالله وحده، ومحبته وإجلاله، وكثرة ذِكره وشكره، واللجوء إليه وحده سُبْحَانَهُ في طلب الأمان، وذهاب الخوف والفزع في الدنيا والآخرة؛ لأنه لا يملك تثبيت القلوب، وفتح الرحمة والأمان عليها إلا الله تَعَالَى، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]».

الأثر الخامس: أسباب نيل الأمن في الآخرة:

الله المؤمن سُبْحَانَهُ الذي يؤمن عباده في الدارين، وأعظم ما يكون الأمن يوم الفزع الأكبر إذا وقعت الساعة، ورجفت الأرض وارتجت، وزلزلت زلزالها، وتصدعت الجبال، واندكت، وتفطرت السماء وانفطرت، وتكورت الشمس والقمر، وتنثرت النجوم، وكان من القلاقل والبلابل ما تنصدع له القلوب، وتوجل منه الأفئدة، وتشيب منه الولدان، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] أذهب العقول، وفرغ القلوب، وملأها فزعًا وهلعًا، وبلغت القلوب الحناجر، وشخصت الأبصار، وعظ الظالم علىٰ يديه قائلًا: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٢٧]، ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان:٢٨]، ونصبت الموازين التي يوزن بها مثاقيل الذر من الخير والشر، ونشرت صحائف الأعمال وما فيها من جميع الأعمال والأقوال والنيات من صغير وكبير، ونصب الصراط علىٰ متن جهنم، وتزلف الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين، فزاد الفزع فزعًا، والشدة شدة، إلا أن هناك أقوامًا آمنين لم يصبهم شيء من الفزع والهلع، علىٰ الرغم من هذه الأهوال، قال تَعَالَى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠][1].

وإنما نالوا هذا الأمن بفضل الله المؤمن أولًا، ثم بما قاموا به من أسباب كانت سبب في تأمينهم، ومن هذه الأسباب:

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٣٢-٥٣٣).

١- التوحيد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] الظلم: الشرك، كما جاء في الحديث عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «لَمَّا نَزَلَتِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ [الأنعام: ٨٢] قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ، قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ بِشِرْكٍ أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]»[1].

٢- الإيمان بالأركان الستة، وتصديقها بالتقوى التي حقيقتها امتثال الأوامر، واجتناب النواهي[2]، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

٣- الخوف من الله، كما جاء في الحديث، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يروي عن ربّه جَلَّوَعَلَا، قال: «وَعِزَّتِي، لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٣٦٠)، ومسلم، رقم الحديث: (١٢٤).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٦٨).

(٣) سبق تخريجه.

٤- تنفيس الكرب والشدائد عن المسلمين، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

٥- نصر المسلمين والذب عنهم، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: «مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِالْغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(٢).

٦- إنظار المعسر والعفو عنه، كما جاء في حديث أبي اليسر، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ**»(٣).

٧- أعمال السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ فإن الشمس تدنو من الخلق، حتىٰ تكون منهم قدر مِيْلٍ، فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العَرَقِ؛ فمنهم: من يكون إلىٰ كعبيه، ومنهم: من يكون إلىٰ ركبتيه، ومنهم: من يكون إلىٰ حِقْوَيْهِ، ومنهم: من يُلجمه العَرَقُ إلجامًا، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**»(٤)، إلا إن المؤمن سبحانه يأمنهم بظلهم تحت ظله، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، رقم الحديث (٧٢٣٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٠٠٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٣٢)، واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨٦٣).

وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمالُه ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1].

الأثر السادس: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[2]:

والعبد المؤمن يأمن الخلق شره وغوائله، ويتصف بالسلامة وكف الشر والأذىٰ عنهم بحيث يأمنون علىٰ دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وقد حرص الشارع علىٰ تحقيق هذا النوع من الأمن، فتنوعت النصوص الدالة عليه، ومن ذلك: قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»[3]، أي: لا يكون الرجل مؤمنًا كاملَ الإيمانِ حتىٰ يأمنَ جارُهُ شرورَهُ وغوائِلَهُ، وقوله- أيضًا- صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[4]، وقوله- أيضًا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع-: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ»[5][6].

اللهمَّ يا أمان الخائفين، أمِّنَّا يوم الفزع الأكبر، واجعلنا من أوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠١٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٤١).

(٥) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٥٩١)، وابن حبان، رقم الحديث: (٤٨٦٢)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥٤٩).

(٦) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٢٦-١٢٧)

الهَادِي جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهدىٰ: الرشاد والدلالة، يؤنث ويذكر، يقال: هداه الله للدين هدىٰ، وقوله تعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ﴾ [السجدة:٢٦] قال أبو عمرو بن العلاء: أولم يبين لهم، وهديته الطريق والبيت هداية، أي: عرفته»[١].

❁ **يقول ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهاء والدال والحرف المعتل أصلان، أحدهما: التقدم للإرشاد، والآخر: بعثة لطف، فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي: تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هاد، والأصل الآخر الهدية: ما أهديت من لطف إلىٰ ذي مودة»[٢].

ورود اسم الله (الهادي) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله الهادي في آيتين من القرآن الكريم، وهما:

١- قول الله تعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٤].

٢- وقول الله تعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣١].

---

(١) الصحاح في اللغة (٦/ ٣٨٣).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٤٢-٤٣).

ورود اسم الله (الهادي) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله الهادي في السنة النبوية.

معنى اسم الله (الهادي) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٤]-: «أي: وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلىٰ الحق القاصد، والحق الواضح»(١).

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهادي هو الذي هدىٰ خلقه إلىٰ معرفته وربوبيته، وهو الذي هدىٰ عباده إلىٰ صراطه المستقيم، كما قال تعَالَى: ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥]»(٢).

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الهادي) هو الذي مَنَّ بهداه علىٰ مَن أراد مِن عباده، فخصَّهُ بهدايته، وأكرمه بنور توحيده، كقوله تعَالَى: ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥]»(٣).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الذي هدىٰ سائِر الخلق مِن الحيوان إلىٰ مصالحها، وألهمهَا كيف تطلبُ الرزق، وكيف تتقي المضارَّ والمهالِكَ، كقوله تعَالَى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]»(٤).

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٠).

(٢) تفسير الأسماء الحسنىٰ (ص: ٦٤).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٩٥).

(٤) المرجع السابق (ص: ٩٥- ٩٦).

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الدَّالُّ علىٰ سبيل النجاة والمبيِّنُ لها؛ لئلَّا يزيغ العبد ويضل، فيقع فيما يُرديه ويُهلكه»[1].

❊ **قال البيهقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي بهدايته اهتدىٰ أهلُ ولايته، وبهدايته اهتدىٰ الحيوان لما يصلحه واتَّقَىٰ ما يضره»[2].

❊ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي بصَّر عباده، وعرفهم طريق معرفته، حتىٰ أقروا بربوبيته، وهدىٰ كل مخلوق إلىٰ ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده»[3].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهادي الذي يهدي ويُرشد عبادَه إلىٰ جميع المنافع، وإلىٰ دفع المضار، ويُعلِّمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوىٰ، ويجعل قلوبَهم مُنيبة إليه، منقادة لأمره»[4].

اقتران اسم الله (الهادي) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترنِ اسمُ الله (الهادي) إلا باسم الله (النصير)، وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

وجه الاقتران:

أن الاسمين الكريمين يتناسبان مع سياق الآية التي يبين فيها الله أنَّ مِن سُنته أنْ يقيض لكل نبيٍّ عدوًّا مِن المجرمين، ولكن الله سُبْحَانَهُ يتولىٰ أنبياءَهُ

(١) المنهاج (١/ ٢٠٧).

(٢) الاعتقاد (ص٦٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ٢٥٣).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

بهدايتهم إلىٰ الحقِّ ونصرتهم علىٰ أهل الباطل مِن المجرمين، فهو سُبْحَانَهُ الذي يتولىٰ أنبياءَه وأولياءَه بالهداية- بكلِّ معانيها- ونصرتهم بجميع أنواع النصرة.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الهادي):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الهادي) من الصفات، وتوحيد الله به:

الله سُبْحَانَهُ هو الهادي لعباده، المبين لهم طريق الحق والإيمان، الكريم القريب لعباده، رحيم بهم هاد لهم، وهدايته سُبْحَانَهُ علىٰ أربعة أنواع:

النوع الأول: هداية عامة مشتركة بين الخلق:

«الهداية العامة المشتركة بين الخلق، المذكورة في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، فأعطىٰ كلَّ شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطىٰ كل عضو شكله وهيئته، وأعطىٰ كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلىٰ ما خلقه له من الأعمال.

وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلىٰ جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهداية الجمال المسخر لما خلق له، فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها.

وكذلك كل مخلوق وعضو له هداية تليق به:

- فهدىٰ الرجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للإستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له.

- وهدىٰ الزوجين من كل حيوان إلىٰ الازدواج، والتناسل، وتربية الولد.

- وهدىٰ الولد إلىٰ التقام الثدي عند وضعه.

- وطلبه مراتب هدايته سُبْحَانَهُ لا يحصيها إلا هو، فتبارك الله رب العالمين.

- وهدىٰ النحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر، ومن الأبنية، ثم تسلك سبل ربها مذللة لها لا تستعصي عليها، ثم تأوي إلىٰ بيوتها وهداها إلىٰ طاعة يعسوبها واتباعه، والإئتمام به أين توجه بها، ثم هداها إلىٰ بناء البيوت العجيبة الصنعة المحكمة البناء.

- ومن تأمل بعض هدايته المبثوثة في العالم؛ شهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

ومَن فهم هذا فَهم سر اقتران قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] بقولِهِ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وكيف جاء ذلك في معرض جوابهم عن هذا السؤال والإشارة به إلىٰ إثبات النبوة، وأنَّ مَن لم يهمِلْ أَمْرَ كلِّ دابة في الأرض ولا طائرٍ، بل جعلها أممًا وهداها غاياتها ومصالِحها، كيف لا يهديكم إلىٰ كمالِكُم ومصالِحِكُم؟ فهذا أحد أنواع الهداية وأعمُّها[1].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٢).

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة:

والتعريف لنجدَي الخير والشَّر وطريق النجاة والهلاك، «وهو الذي تقدر عليه الرسل وأتباعهم، فهو كما قال تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه»[١].

وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام؛ فإنها سبب وشرط، وليست موجبًا، كما قال تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] أي: بيَّنَّا لهم وأرشدناهم ودَلَلْنَاهم فلم يهتدوا، ومنها: قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام:

وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يَتخلَّف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣]، وفي قوله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وفي قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ. وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ**»[٢].

وفي قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فنفَىٰ عنه هذه الهداية، وأثبت له هدايةَ الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٦٠).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨٦٧).

وهذا النوع من الهداية هو ما «تفرَّد به سُبْحَانَهُ، فقال لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فالهدىٰ علىٰ هذا يجيء بمعنىٰ خلق الإيمان في القلب»[١].

وهي أكبر نعمة يُنْعِم بها (الهادي) سُبْحَانَهُ علىٰ عباده؛ إذ كل نعمة دونها زائلة ومضمحلَّة، وبقدر هدايته تكون سعادته في الدنيا، وطيب عيشه وراحة باله، وكذا فوزه ودرجته في الآخرة.

النوع الرابع: هداية الآخرة، إلىٰ الجنة أو النار، إذا سيق أهلها إليها:

وهي غاية الهدايات، فإن أجلَّ وأعظم ما يمن به الله علىٰ عباده أن يهديهم للجنة، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

«ومن هُدِي في هذه الدار إلىٰ صراط الله المستقيم، الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، هدي هناك إلىٰ الصراط المستقيم، الموصل إلىٰ جنته ودار ثوابه، وعلىٰ قدر ثبوت قدم العبد علىٰ هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه علىٰ الصراط المنصوب علىٰ متن جهنم، وعلىٰ قدر سيره علىٰ هذه الصراط يكون سيره علىٰ ذاك الصراط.

فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعىٰ سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار، فلينظر العبد سيره علىٰ ذلك الصراط من سيره علىٰ هذا، حذو القذة بالقذة، جزاء وفاقًا ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]»[٢].

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٦٠).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٣٣).

أما أهل النار فقال الله تَعَالَى عنهم: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، وهذا جزاء ما عملوا، وما ظلمهم الله، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦] في آيات كثيرة.

«وهذه الهدايات الأربع مترتبة، فإن من لم تحصل له الأولىٰ لا تحصل له الثانية، بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة»[١].

وحري بمن عرف اسم الله الهادي ومظاهر هدايته وآمن به، أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله وحده الهداية والتوفيق والسداد.

الأثر الثاني: أعظم نعمة وأجل هداية هي الهداية للإسلام:

إن أجلَّ نِعم الله وأعظم منته علىٰ عباده، هدايته مَن شاء منهم إلىٰ الدين الإسلامي، يقول الله تَعَالَى في التنويه بهذه النعمة، وبيان عظم مكانتها، وأنها منته سُبْحَانَهُ علىٰ مَن شاء من عباده: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

(١) بصائر ذوي التمييز، للفيروزأبادي (٥/ ٣١٣- ٤١٣).

وهذه الهداية هي الهداية الخاصَّة، وهي خاصة بالله تَعَالَى، لا يقدر عليها إلا هو، ولا يشاركه فيها ملك مُقرَّب ولا نبي مُرسَل، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، ويقول أيضًا: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧].

وهذه الهداية تأتي بعد هداية البيان؛ تحقيقًا لقوله تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ﴾ [مريم: ٧٦]، ولا تُنال إلا لِمَن حقَّق شروطها، واستوفىٰ أسبابها، يقول تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

وهذا النوع من الهداية يستلزم أمرَين:

أحدهما: فعل الربِّ تَعَالَى، وهو الهدىٰ بخلق الداعية إلىٰ الفعل والمشيئة له.

الثاني: فعل العبد، وهو الاهتداء وهو نتيجة للفعل الأول «الهدىٰ»؛ قال تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، ولا سبيل إلىٰ وجود الأثر الذي هو الاهتداء من العبد إلا بعد وجود المؤثِّر الذي هو الهداية من الله، فإذا لم يحصل فعل الله لم يحصل فعل العبد، وهذا النَّوع من الهداية لا يقدر عليه أحدٌ إلا الله سُبْحَانَهُ، قال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا

لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، كما أنَّ هذا النوع من الهداية هو الذي نَفَاه القرآن عن الظالمين والفاسقين والكاذبين والمسرف المرتاب، وكلُّ آية في القرآن وردَتْ في نفي الهُدَىٰ فيجب حملها علىٰ هذا النوع؛ لأن هذا فضله يختصُّ به مَن يشاء من عباده، ولا حرج في ذلك.

الأثر الثالث: محبة الهادي سُبْحَانَهُ:

لا شك أن معرفة الله الهادي تؤدي إلىٰ محبته عَزَّوَجَلَّ وتعظيمه والثناء عليه، حيث أعطىٰ كل شيء خلقه وهداه إلىٰ ما لا بدَّ منه في قضاء حاجاته، وأعظم من ذلك: هدايته إليه بما أَودع في هذا الكون من الآيات الباهرات التي تدل علىٰ وحدانيته سُبْحَانَهُ، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] يعني: خُلِقتَ ليسعدك لا سعادة تنقطع عند الموت، بل ليسعدك إلىٰ الأبد، وما الحياة الدنيا إلا إعداد لهذه الحياة الأبدية.

الأثر الرابع: الدعاء باسم الله الهادي:

وهو دعاء الراسخين في العلم، يقول تَعَالَىٰ عنهم: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٧-٨]، ولأن حاجتنا لطلب الهداية من مالكِها سُبْحَانَهُ أشد مِن حاجتنا إلىٰ الطعام والشراب، أُمرنا أن نسألَ الله تَعَالَىٰ الهدايةَ في كل ركعة من الصلاة، في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦- ٧].

والدعاء بالهداية هو منهج الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- وهم أكمل الخلق إيمانًا وهداية- فقد كانوا يسألونها الله تَعَالَى، ومن شواهد ذلك:

- قوله تَعَالَى علىٰ لسان موسىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

- وكان محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل ربَّهُ الهدايةَ في دعواته وصلواته، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «**كَانَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[1].

- وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول أيضًا: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ**»[2]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَىٰ هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ**»[3][4].

الأثر السادس: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]:

ما أفقر العبد إلىٰ الله، وما أحوجه إلىٰ فضله وهداه، أن يثبته علىٰ طاعته وأن يزيده من تقواه، فمن قصد الهداية هداه الله، ومن لجأ إليه أعانه، ومن وقف ببابه ما رده.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٠).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢١).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢٥).

(٤) للاستزادة: يراجع الملحق في مقومات الثبات علىٰ الهداية.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذين قصدوا الهداية وفقهم الله لها فهداهم إليها، وثبتهم عليها وزادهم منها، ﴿وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧] أي: ألهمهم رشدهم»(١)، والذين شرح الله صدورهم للإيمان فاهتدوا لطف الله بهم، فزادهم هدىٰ وأرسخ الإيمان في قلوبهم ووفقهم للتقوىٰ، فاتقوا وغالبوا أهواءهم.

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما أعده الله للمهتدين: «ثم بين حال المهتدين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ بالإيمان والانقياد، واتباع ما يرضي الله ﴿زَادَهُمۡ هُدًى﴾ شكرًا منه تَعَالَىٰ لهم علىٰ ذلك، ﴿وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧] أي: وفقهم للخير، وحفظهم من الشر، فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع، والعمل الصالح»(٢).

وفي الملحق الآتي بيان هذه المنزلة، وما يعين للوصول إليها.

فاللهم اهدنا، واهد بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدىٰ.



---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٥).

(٢) تفسير السعدي (ص٧٨٦).

«الهادي يحبب المهديين جَلَّجَلَالُهُ

في موضوع الهداية سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: معنى الهداية:

❊ **قال الجرجاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهداية: الدلالة علىٰ ما يوصِّل إلىٰ المطلوب»[1].

❊ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهداية: هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلىٰ البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف؛ ترتب عليه هداية التوفيق»[2].

ثانيًا: مقومات الثبات على الهداية:

أعظم نعمة ينعم بها الله علىٰ الإنسان نعمة الإسلام والإيمان، وهذه النعمة تحتاج لمقومات تثبتها وترعاها، وإلا فإن القلوب تتقلب، والإيمان يزيد وينقص، والإنسان ما دام في هذه الحياة فهو معرض للفتن العظيمة، **ومن أبرز هذه المقومات ما يلي:**

---

(١) التعريفات (ص: ٢٧٧).

(٢) مدراج السالكين (١/ ٣٢).

١- توفيق الله تعالىٰ:

فأساس الهداية توفيق الله، وإعانته وتيسيره، وتسديده، يقول تَعَالَى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ»[1]، والعبد لا يرزق الاستدامة علىٰ طاعة الله بشيء أعظم من توفيقه له، فمن حرم التوفيق حرم الثبات، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، والهداية منةٌ من الله، يقول تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

٢- تأمل قدرة الله وبديع خلقه:

فإنَّ تأمُّل المخلوقات، وإمعان النظر فيها بعين البصيرة لا البصر؛ تجلي للعبد الهدايات، وتريه الدلائل والمعجزات، فالتأمل في الصُنع يوصل إلىٰ الصانع، والتأمل في الخلق يوصل إلىٰ الخالق، فطريق الخلق أوسع أبواب الـهُدىٰ، وأقربها؛ لأنه يضع العبد أمام قدرة وعظمة وحكمة ورحمة وعلم وخبرة الله جَلَّوَعَلَا، فالهادي هدىٰ خلقَه بخلقه يقول تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، فرؤية إبراهيم وتأمله في الخلق هنا هي رؤية قلبية لا بصريه فحسب؛ وإلا فالكثير رُزق البصر، ولكن لا يُرىٰ لذلك في قلبه مِن أثر، والمتأمِّلُ لكلام الربِّ جَلَّوَعَلَا يجد كثيرًا من الآيات تأمر الإنسان بالنظر في خلق نفسه، وفي خلق الكون، بسمائه وأرضه وجباله وأنهاره وكافة مظاهره، يقول تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

ويقول: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، ويقول تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، ويقول تَعَالَى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

وفي ذلك يقول أحد الأعراب: البعرة تدلُّ علىٰ البعير، والأثر يدلُّ علىٰ المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فِجاج، وبحار ذات أمواج، أَلَا تدلُّ علىٰ اللطيف الخبير؟!

ومما يروىٰ عن الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه جاءه نفر من الزنادقة، فسألوه دليلًا يدلُّهم علىٰ وجود الله عَزَّوَجَلَّ، فقال لهم: أمهلوني ثلاثة أيام، فأمهلوه، وبعد الأيام الثلاثة أقبلوا إليه، وهو منهمك الفكر، فسألوه عن سبب هذا التفكير، فقال لهم: إني أفكر في سفينة مليئة بالأحمال، وليس عليها قائد ولا ربَّان، وتسير في عباب البحر، وتقطع طريقها بدون مَن يقودها، حتىٰ إذا وصلتْ إلىٰ شاطئ البحر أَنزلت حمولتها بنفسها، فقالوا له: أجننتَ، كيف يعقل هذا؟! فقال لهم: فكيف بعالَمٍ فسيح وكون كبير وسموات وأرض وجبال وبحار، أيعقل أن تسير بدون خالق يُدَبِّرُ أمورَها... فما كان منهم إلا أن آمنوا بالله ورسوله[1].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٩٥).

٣- تدبر القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم هو كلام رب العالمين، وكتابه المبين، أنزله علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليكون دستورًا للأمة ومخرجًا للناس من الظلمات إلىٰ النور، وهاديًا لهم إلىٰ الرشاد، وإلىٰ الصراط المستقيم، فالقرآن يبيِّن للعبد أصل الخليقة، وأخبار الأولين والآخرين، وخلق السموات والأرض، وحقيقة الدنيا، وما بعدها، والحكمة من الوجود، وتفصيل الأحكام، وأصول الآداب والأخلاق، وأحكام العبادات والمعاملات، وجزاء المؤمنين والكافرين، فهو تبيان لكل شيء، وهدًىٰ ورحمة للمؤمنين، يقول تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ومن هنا يقال: إن الخلق والقرآن يدلان علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ ويهديان إليه، فالخلق هدًىٰ استدلالي، والقرآن هدًىٰ بياني، ولا يفهم من هذا استغناء أحدهما عن الآخر، بل لا يغني أحدهما عن الآخر، فمن قرأ القرآن وعطل التأمل في مخلوقات الله، فقد عطل بعض القرآن؛ لأن القرآن يأمر بالتأمل في كثير من آياته، ومَن صرف وقته في التأمل دون قراءة القرآن، فإنه وإن عرف الصانع، غير أنه لايعرف أمره ونهيه إلا بمطالعة منهجه المكتوب «القرآن»، ولن يستطيع العبد معرفة ما يحبه الله وما يكرهه، ويأمر به وينهىٰ إلا عن طريق كتابه، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فالقرآن يشتمل علىٰ أحكام، كما يشتمل علىٰ أوامر، ونواهٍ؛ فهومنهج كامل.

٤- الإخلاص والمتابعة:

فمن رُزق الإخلاص رُزق سبيل الخلاص، وفُتحت في وجهه أبواب الرحمة، فما سلك طريق إلا سهله الله له، وما أراد بابًا من الخير إلا فتحه الله له، ومن اطلع الله علىٰ قلبه فرأىٰ فيه الإخلاص والصدق؛ ثبَّته، وأحبَّه، ووضع له القبول في الأرض، وفي هذا يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما نظرت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت علىٰ قدمي، حتىٰ أنظر علىٰ طاعة أو معصية؛ فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت»[١].

٥- مصاحبة الأخيار والابتعاد عن رفقة الأشرار:

فالإنسان لا يستطيع أن يعيش في عزلة، بل لابد له من مخالطة، ولذا جاء أمر الله تَعَالَى بمصاحبة الأخيار والحذر من مصاحبة الأشرار، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، ويقول تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وفي الحديث: «**لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»[٢]، وذلك لأن الصحبة والطعام تورث المودة.

٦- الإنابة والتوبة والرجوع إلىٰ الله جَلَّ جَلَالُهُ.

فأهل التوبة والإنابة يحبهم الله تَعَالَى، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ومن أحبَّه الله هداه بهداه، يقول تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٦٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١١٥١٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٨٣٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٩٥)، حكم الألباني: حسن، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٥٥٦).

﴿ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧] ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

٧- الدعاء:

ومن أدعية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك ما يلي:

- قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَىٰ والتُّقَىٰ، والعَفَافَ والغِنَىٰ»**[١].

- قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»**[٢].

- قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»**[٣].

- قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«رَبِّ أَعِنِّي، وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي، وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي، وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي، وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»**[٤].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢٥).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٦١٥)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٥)، حكم الألباني: صحيح، المشكاة، رقم الحديث: (٢٤٩٧).

(٤) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥١٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٤١١).

- ولما سئلت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، بأي شيء كان نبي الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت : «كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: **اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[1].

- وفيما يرويه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، أنه قال: «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»[2]، ومن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

٨- المجاهدة علىٰ فعل الطاعات، وترك المنكرات، والصبر علىٰ ذلك:

يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] يقول السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ عند هذه الآية: «﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] بالعون والنصر والهداية»[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٣٦).

٩- التناصح بين الناس:

فمن أعظم نعم الله علىٰ عباده المؤمنين: الهداية لدينه، ثم الدعوة للقيام بالواجب تجاه الناس بهدايتهم إلىٰ ما يصلحهم، ودعوتهم لعبادة ربهم، بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهىٰ الله عنه وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا الدعوة إلىٰ أصل دين الإسلام، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كذلك تحبيب الله إلىٰ عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله، وكذا الترغيب في اقتباس العلم والهدىٰ من كتاب الله وسنة رسوله، والحث علىٰ ذلك بكل طريق موصل إليه كالحث علىٰ مكارم الأخلاق، والإحسان إلىٰ عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين، إلىٰ غير ذلك مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلىٰ الخير كله، والترهيب من جميع الشر[١].

١٠- ثالثًا: أسباب حرمان الهداية:

هناك أسباب لا بد أن يبتعد عنها عبد الهادي، حتىٰ لا يُحرم هداية الله، ومن ذلك:

١) ضعف المعرفة:

فإن كمال العبد في أمرين: معرفة الحق من الباطل، وإيثار الحق علىٰ الباطل، فإن من الناس من يعرف الحق، لكن إيثاره علىٰ الباطل قد يكون عنده

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٤٩).

ضعيفًا، والجاهل إذا عرف كان قريب الانقياد والاتباع، وبهذا يكون قد قطع نصف الطريق إلىٰ الحق وما بقي عليه إلا قوة العزيمة علىٰ الرشد «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، والعَزِيمَةَ عَلَىٰ الرُّشْدِ**» رواه أحمد[1]، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]، وهذا السبب هو الذي حال بين كثير من الكفار وبين الإسلام، فإنهم لا يعرفون عنه شيئًا، ومع ذلك يكرهونه، وكما قيل: الناس أعداء لما جهلوا.

٢) عدم الأهلية:

فإنه قد تكون المعرفة تامة، لكن يتخلف عنه عدم زكاة المحل وقابليته، يقول تَعَالَىٰ في ذلك: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، مثل: الأرض الصلدة التي يخالطها الماء، فإنه يمتنع النبات فيها لعدم قبولها، فإذا كان القلب قاسيًا لم يقبل النصائح، وأبعد القلوب من الله: القلب القاسي، وكذا إذا كان القلب مريضًا، فلا قوة فيه ولا عزيمة؛ لما يؤثر فيه العلم، فهم كما وصفهم الله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

٣) الإعراض عن شرع الله تعالىٰ:

من أعرض عن طاعة الله، ولم يلتفت إلىٰ ما يصلح حاله، وامتلأ فؤاده بحب الدنيا والشهوات؛ جازاه الله بأن أعرض عنه وصرف عنه هداه، يقول

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٣٨٩)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٤)، وابن حبان، رقم الحديث: (٩٣٥)، والطبراني، رقم الحديث: (٧١٥٧)، حكم الألباني: ضعيف، المشكاة، رقم الحديث: (٩٥٥).

تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه سُبْحَانَهُ؛ جازاه بأن يعرض عنه، فلا يمكنه من الإقبال إليه»[(١)]، ثم قال: «هم دائرون بين عدله وحجته عليهم، فمكنهم وفتح لهم الباب، ونهج لهم الطريق، وهيأ لهم الأسباب، فأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ودعاهم علىٰ ألسنة رسله، وجعل لهم عقولًا تميز بين الخير والشر، والنافع والضار، وأسباب الردىٰ وأسباب الفلاح، وجعل لهم أسماعًا وأبصارًا، فآثروا الهوىٰ علىٰ التقوىٰ، واستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ، وقالوا: معصيتك آثر عندنا من طاعتك، والشرك أحب إلينا من توحيدك، وعبادة سواك أنفع لنا في دنيانا من عبادتك، فأعرضت قلوبهم عن ربهم وخالقهم ومليكهم، وانصرفت عن طاعته ومحبته، فهذا عدله فيهم، وتلك حجته عليهم، فهم سدُّوا علىٰ أنفسهم باب الهدىٰ إرادة منهم واختيارًا، فسده عليهم اضطرارًا، فخلاهم وما اختاروا لأنفسهم، وولاهم ما تركوه ومكنهم فيما ارتضوه، وأدخلهم من الباب الذي استبقوا إليه، وأغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه، وهم معرضون، فلا أقبح من فعلهم، ولا أحسن من فعله»[(٢)].

---

(١) تفسير القيم (ص: ٣١٤).

(٢) المرجع السابق (ص: ٣١٤-٣١٥).

٤) الحسد والكبر:

وقد فسره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[(١)]، وضده التواضع، وهو قبول الحق مع من كان، ولين الجانب.

والمتكبر متعصب لقوله وفعله، وذلك هو الذي حمل إبليس علىٰ عدم الانقياد للأمر لما أمر بالسجود، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧١-٧٦].

وبهذا الداء تخلف اليهود عن الإيمان بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد عرفوه وشاهدوه، وعرفوا صحة نبوته، يقول تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

٥) الظلم:

والظالمون هم «الذين صار الظلم لهم وصفًا، والعناد لهم نعتًا، جاءهم الهدىٰ فرفضوه، وعرض لهم الهوىٰ فتبعوه، سدوا علىٰ أنفسهم أبواب الهداية وطرقها، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وسبلها، فهم في غيهم وظلمهم يعمهون، وفي شقائهم وهلاكهم يترددون»[(٢)]، يقول تَعَالَىٰ عنهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩١).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦١٧).

٦) الكذب:

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣]: «أي: لا يوفَّق للهداية إلىٰ الصراط المستقيم ﴿مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾، وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجحدها ويكفر بها ويكذب، فهذا أنَّىٰ له الهدىٰ وقد سدَّ علىٰ نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله علىٰ قلبه، فهو لا يؤمن؟»[١].

٧) الإسراف:

والمسرف هو من تجاوز المعروف في شيء، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر: ٢٨]، «أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال علىٰ الباطل، ووصفه بالكذاب؛ لنسبته ما أسرف فيه إلىٰ الله، فهذا لا يهديه الله إلىٰ طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المستقيم»[٢].

٨) الفسق:

يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]: «والله لا يهدي القوم الفاسقين، أي: المعرضين عن أمر الله، فإن ذلك لا يستهان به؛ لأنه يؤدي إلىٰ الرين علىٰ القلب، فلا ينفذ إليه الهدىٰ من بعد، فلا تكونوهم، وكونوا من المهتدين»[٣].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧١٧).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٣٦).

(٣) التحرير والتنوير (٧/ ٩٤).

٩) قرناء السوء:

فللقرين أثر كبير علىٰ قرنائه، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[(١)]، ومن شواهد أثر قرناء السوء: مارواه ابن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن أبيه، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده أبو جهل، فقال: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّىٰ قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، **فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ، فَنَزَلَتْ**: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]»[(٢)].

اللهم اجعلنا هداة مهدين، ولاتجعلنا ضالين أو مضلين.



(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٤٩١)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٠٩٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٧٨)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٥٤٥).

(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٣٨٨٤).

الوارثُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تقول: أورثه الشيء أبوه، وهم ورثة فلان، وورثه توريثًا، أي: أدخله في ماله علىٰ ورثته، وتوارثوه كابرًا عن كابر»[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواو والراء والثاء: كلمة واحدة، هي الورث، والميراث أصله الواو، هو أن يكون الشيء لقوم، ثم يصير إلىٰ آخرين بنسب، أو سبب»[2].

وروود اسم الله الوارث في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الوارث) في القرآن في ثلاثة مواضع، كلها بصيغة الجمع، وروده كالتالي:

١- قوله تعَالَى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣].

٢- وقوله تَعَالَى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

٣- وقوله تَعَالَى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨].

---

(١) الصحاح (١/ ٢٩٥).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٠٥).



ورود اسم الله (الوارث) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (الوارث) في السنة النبوية.

معنى اسم الله (الوارث) في حقه تعالى:

❁ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣] «أي: ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم، فلا يبقىٰ حي سوانا إذا جاء ذلك الأجل»[١]، وقال في آية القصص: ﴿وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨] أي: ولم يكن لما خرَّبنا من مساكنهم منهم وارث، وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها، لا مالك لها إلا الله الذي له ميراث السماوات والأرض»[٢].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله عَزَّوَجَلَّ وارث الخلق أجمعين؛ لأنه الباقي بعدهم وهم الفانون، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]»[٣].

❁ **قال الخطَّابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الباقي بعد فناء الخلق، والمسترد أملاكهم وموارثهم بعد موتهم، ولم يزل الله باقيًا مالكًا لأصول الأشياء كلها، يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من أحب»[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١٧ / ٨٩).

(٢) جامع البيان (٢٠/ ٦١).

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٧٣).

(٤) شأن الدعاء (٩٦).

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣]: «أي: الأرض ومن عليها، ولا يبقىٰ شيء سوانا، نظيره ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠] فملك كل شيء لله تَعَالَى، ولكن ملك عباده أملاكًا، فإذا ماتوا انقطعت الدعاوىٰ، فكان الله وارثًا من هذا الوجه»[1].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] أي: «خير الباقين، وخير من خلفني بخير»[2].

وقال في قوله تَعَالَى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨]: «للعباد، نميتهم، ثم يرجع إلينا جميع ما متعناهم به من النعم، ثم نعيدهم إلينا، فنجازيهم بأعمالهم»[3].

اقتران اسم الله (الوارث) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الوارث) بغيره من أسماء الله.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله الوارث:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الوارث) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله تَعَالَى هو الوارث الحق القدير المالك جل في علاه، يقول تَعَالَى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨].

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ١٨).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٥٣٠).

(٣) المرجع السابق (ص: ٦٢١).

ومن مظاهر ذلك:

- **هو الوارث** سُبْحَانَهُ الذي يبقىٰ بعد فناء الوارثين، فكل ما سواه زائل، وكل من عداه فان ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣]، ومن ذلك:

- يفنىٰ الملوك وأملاكهم، كما فني فرعون وجنده، وقارون وملكه، والنمرود وجبروته.

- ويفني أولو القوة والشدة، كما فنيت عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وأصحاب الأيكة، وقوم لوط، فلم يبق منهم عين ولا أثر، بل بقيت أخبارهم عبرة للمعتبرين، وأسمارهم عظة للمتعظين(١)، قال تعَالَىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾ [مريم: ٩٨].

- وتفنىٰ الدنيا وما فيها من أولها إلىٰ آخرها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠] [مريم: ٣٩]، ويفنىٰ ما عليها من إنس وجن، ودواب، بل حتىٰ من في السماء يفنىٰ إلا من شاء الله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧](٢).

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٠١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، رقم الحديث: (٧/ ٤٩٤)، تفسير السعدي، رقم الحديث: (ص: ٨٣٠)، فقه الأسماء الحسنىٰ، البدر، رقم الحديث: (ص: ٢٩٥).

فالكل يفنىٰ ويموت ويبيد، ويبقىٰ الوارث الحي الذي لا يموت، والباقي الذي لا يزول، والدائم الذي لا منتهىٰ له، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨][1].

- **وهو الوارث الذي إليه مرجع كل شيء ومنتهاه**، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ومن ذلك:

- أنه سُبْحَانَهُ يرث السموات والأرض، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- ويرث ما علىٰ الأرض جميعًا، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، فتبقىٰ ملك للوارث سُبْحَانَهُ ليس لها مالك سواه[2].

- ويرث سُبْحَانَهُ الأموال؛ إذ هي منتقلة من أيدي أصحابها، أو هم منتقلون عنها، ثم يعود ملكها بعد ذلك للوارث سُبْحَانَهُ، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]، أي: قوله: لأوتين في الآخرة مالًا وولدًا[3]، وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَىٰ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَىٰ،**

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٣٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٠٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٤٨)، وتفسير السعدي (ص: ٨٣٨).

أَوْ أَعْطَىٰ فَاقْتَنَىٰ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»[1].

- ويرث ما أهلك من القرىٰ والمساكن؛ وذلك أن قومها هالكون فانون، فتعود كما كانت قبل سكناهم فيها، لا مالك لها إلا الله، الذي له ميراث السماوات والأرض، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨][2].

- ويرث، ويرث، ويرث حتىٰ تنقطع الدنيا، فتنقطع معها مواريث بني آدم وملكهم، ولا يبقىٰ إلا الوارث الذي له الملك، فيقول إذ ذاك: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه قائلًا: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦][3].

- **وهو الوارث** سُبْحَانَهُ الذي يورث فضله وملكوته في منازل السماء ومواطن الأرض لمن يشاء من عباده، وحيثما شاء من غير خشية في التفريط أو الضياع؛ لأن إرثها في النهاية راجع إليه، ومن ذلك:

- أورث يحيىٰ النبوة لما سأله زكريا وارثًا له، قال تَعَالَىٰ علىٰ لسان زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥-٦]، أي: يرث النبوة والعلم والدعوة إلىٰ الله[4].

- وأورثها سليمان عن أبيه داود، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] «أي: في الملك والنبوة»[5].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٥٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٠٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٦)، تفسير السعدي (ص: ٧٣٥).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٤٦)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٢١٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ١٨٢).

- وأورث موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه التوراة، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۝٥٣ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٣- ٥٤].

- وأورث أمة محمد صلىٰ الله وسلم القرآن، مهيمنًا علىٰ سائر الكتب: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢][1].

- وأورث ويورث الأرض من يشاء من عباده، قال تَعَالَى علىٰ لسان موسىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

- ويورث عباده الصالحين جنة الخلد، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، فتبارك الله خير الوارثين.

فسبحان الله الحي الذي لا يموت، إليه ترجع أملاك الخلق بعد فنائهم.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الوارث) علىٰ التوحيد:

إذا علم العبد أن الله جَلَّ جَلَالُهُ الوارث الذي يبقىٰ ويفني من سواه، ويدوم وينتهي من عداه، كل شيء هالك إلا وجهه، علم أنه لا يستحق أحد أن يعبد إلا

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٤٠).

من له الدوام والكمال، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥]، وعلم أن كل من عداه لا يستحق شيئًا من العبادة؛ إذ كيف يتخذ من يبيد فيزول، ويموت فيفنىٰ، إلهًا يعبد مع الإله الذي لا يبيد ولا يموت؟! تَعَالَىٰ الله عن ما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا[1].

ثم إن العبد إذا تأمل في توريث الله الأرض لأهل التوحيد وإكرامه لهم، وإهانته وعقوبته لأهل الشرك قاده ذلك إلىٰ التوحيد، وعلم أنه سبيل النجاة، وأن الشرك سبيل الهلاك والبوار[2].

الأثر الثالث: التوكل علىٰ الوارث سُبْحَانَهُ:

فالإنسان يخاف ويقلق علىٰ ما يتركه من بعده من ذرية ومال، ويخشىٰ عليهم الضياع، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [النساء: ٩]، ولكن العبد إذا علم أن ربه الوارث وهو خير الوارثين، وخير من يخلف بخير، وأرحم بعباده منه؛ تعلق قلبه به وتوكل عليه فيما خلف وراءه، فينشرح صدره ويطمئن لوراثته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[3].

وخير شاهد علىٰ حسن وراثة الله للعبد في ذريته: قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكر

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ١٥٧).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٥).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٣٠).



أنهما حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاح، وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء، وكان نساجًا... وفيه دليل علىٰ أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلىٰ أعلىٰ درجة في الجنة لتقر عينه بهم»[1].

الأثر الرابع: اليقين بتوريث الله الأرض لعباده الصالحين:

إذا علم العبد أن الله (الوارث) الذي يرث الأرض، قد وعد عباده الصالحين بأن يورثهم الأرض ويمكن لهم فيها، كما قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]؛ علم أن وعد الله حق، كائن لا محاله مهما قوي الباطل، فسيأتي اليوم الذي يزهق الله فيه الباطل، كما مكن لبني إسرائيل الذين كانوا خدمة لآل فرعون يسومونهم سوء العذاب، وأورثهم أرض مصر التي كانوا فيها مستضعفين أذلاء، قال تَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧][2]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩]، وقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٨٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٠١).

﴿فَكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٨] «فسبحان من يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته»[1].

ويورثهم الأرض، كما أورث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه أرض بني قريظة التي كانت من شرفها وعزتها عند أهلها لا يستطيع المسلمون وطأها، قال تَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧][2]، وكما أورث صدر هذه الأمة البلاد والعباد، ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وحصل مع ذلك الأمن التام والتمكين التام؛ مصداقًا لقوله تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

ولا يزال هذا الوعد قائمًا إلىٰ قيام الساعة، فإن قام المسلمون بالإيمان والعمل الصالح، وجدوا ما وعدهم الله به ولو بعد حين، وإنما يسلَّط عليهم الكفار والمنافقون ويدلون عليهم، بسبب إخلالهم بالإيمان والعمل الصالح[3].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٩٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٦٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٥٧٣).

الأثر الخامس: محبة الله الوارث:

من آمن باسم ربه (الوراث) الذي يبقىٰ بعد فناء الخلائق، والذي يرث كل شيء، فيرجع ويصير إليه ما في الأرض وما في السماء، فإن قلبه يتعلق به- سُبْحَانَهُ- محبة وتعظيما، سيما أن القلوب فطرت علىٰ محبة من له الكمال والعظمة والجلال.

الأثر السادس: الزهد في الدنيا:

إذا تيقن العبد باسم ربه (الوارث) وما فيه من إرث كل شيء؛ علم أن الدنيا وما فيها من مآكل ومشارب لذيذة، ومساكن وقصور طيبة، وأشجار، وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وملابس فاخرة، وذهب وفضة، وخيل وإبل، وزوجات وأبناء ونحوها فانية مضمحلة، وزائلة منقضية، وستعود صعيدًا جرزًا قد ذهبت لذاتها، وانقطعت أنهارها، واندرست آثارها، وزال نعيمها، ذهبت عن أهلها، وذهبوا عنها، وبقي إرثها للوارث جل في علاه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

مثلها «كمثل المطر، ينزل علىٰ الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيمًا تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء ترابًا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها علىٰ أقرانه وأترابه، وحصل درهمها

ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله»[1].

فإذا علم العاقل هذا، وعلم أنه سيعود لربه وحيدًا بلا مال ولا ولد ولا أهل ولا أنصار ولا أعوان، لا يتبعه قليل ولا كثير إلا عمله خيره وشره[2]، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]؛ لم يتعلق بالدنيا وزخرفها، ولم يغتر بنعيمها وحبورها، ولم يصحبها صحبة البهائم، ويتمتع بها تمتع السوائم، بل يجعلها منزل عبور لا محل حبور، وشقة سفر، لا منزل إقامة، ووسيلة يتزود بها لأخرته، ومتجرًا يربح به الفوائد الفاخرة، فلا تكون هي محط نظره ومحور اهتمامه ومدار عمله وأمله، بل يظل مدركًا أن الله وارثها وأن بقاءه فيها قنطرة للآخرة، وأن الباقيات الصالحات خير ثوابًا وخير مردًّا[3].

الأثر السابع: الإنفاق في سبيل الوارث تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

فكل الأموال والأرزاق هي ملك لله أورثها عباده، واستخلفهم فيها، وليست ملكًا لهم، بل لولا فضل الله وإحسانه وتوريثه لم يصل إليهم منها شيء،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٧٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٤٩)، تفسير السعدي (ص: ٥٠٠).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٤، ٥١٦، ٤٧٠).

فلا معنىٰ لمنع فضل الله وإحسانه والبخل بإنفاقه، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] ثم إن هذا الإحسان من الله عَزَّوَجَلَّ بالمال موجب للإحسان إلىٰ خلقه، كما قال سُبْحَانَهُ حكاية عن قول الناصحين لقارون: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

ولا معنىٰ- أيضًا- للبخل بشيء زائل منتقل عنه إلىٰ غيره، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠]، فلا يبقىٰ له منه إلا ما أنفقه في سبيل الله، كما جاء في الحديث عن مطرف، عن أبيه أنه أتىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، قال: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**»[١]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَىٰ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَىٰ، أَوْ أَعْطَىٰ فَاقْتَنَىٰ**[٢]، **وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٥٨).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعناها: ادخره لآخرته، أي: ادخر ثوابه». شرح النووي علىٰ مسلم (١٨/ ٩٤).

(٣) سبق تخريجه.

ثم إن وجوده بين يديه غنيمة وفرصة للبذل والعطاء، قبل أن ينتقل من يده ويصير إلىٰ غيره، ويحال بينه وبين الإنفاق؛ فيتحسر علىٰ تفريطه، ويتمنىٰ أن لو أنفق[1]، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠- ١١].

الأثر الثامن: طلب الإرث الحقيقي (العلم):

الله عَزَّوَجَلَّ الوارث امتن علىٰ أمة محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن أورثهم الكتاب، مهيمنًا علىٰ كل كتاب، قال تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] «هو الفضل الكبير، الذي جميع النعم بالنسبة إليه، كالعدم، فأجلُّ النعم علىٰ الإطلاق، وأكبر الفضل: وراثةُ هذا الكتاب»[2].

ومعنىٰ وراثة الكتاب: وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه، والكل من الأمة له نصيب من ذلك، وإن تفاوتت المراتب، وتمايزت الأحوال.

فإذا علم العبد هذا لم يرض بأن يكون نصيبه من هذا الفضل الكبير أقله وأدناه، بل سعىٰ ليكون أكثره وأوفاه، فتجده يقبل علىٰ الكتاب تلاوة، وحفظًا، وفهمًا وتدبرًا، وعملًا، وتعليمًا ودعوة، ويقبل علىٰ العلم الذي يعين علىٰ فهمه، ومعرفة عقائده وأحكامه، وعبره وأخباره.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٥٨-١٥٩، ٨٣٨-٨٣٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٥٩).

وهذا هو الإرث الحقيقي، والإرث الأعظم، إرث العلم بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لذا كان ميراث الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال تَعَالَى عن زكريا: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٦]، قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان وراثته علمًا»[١]، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَكُلُّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَوَرَّثُوا الْعِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٢]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا، فقَالَ:

يَا أَهْلَ السُّوقِ، مَا أَعْجَزَكُمْ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْسَمُ، وَأَنْتُمْ هَاهُنَا لَا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ! قَالُوا: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجُوا سِرَاعًا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّىٰ رَجَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَلَمْ نَرَ فِيهِ شَيْئًا يُقْسَمُ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ قَالُوا: بَلَىٰ، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٤٦).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢١٢٩)، وأبو داود، رقم الحديث: (٣٦٤٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٦٨٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٢٣)، حكم الألباني: حسن، المشكاة، رقم الحديث: (٢١٢).

يَتَذَاكَرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَيْحَكُمْ، فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

وإن لهذا الميراث- العلم- فضائل جمة، منها علىٰ سبيل الذكر لا الحصر[2]:

١- أن الله قرن شهادة أهل العلم بشهادته وشهادة ملائكته، كما أنه استشهد بهم علىٰ أجل مشهود، ألا وهو التوحيد، قال تعالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

٢- أن الله تعَالَى نفىٰ التسوية بين أهل العلم وأهل الجهل، قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

٣- أن الله أمر نبيه بالاستزادة منه، ولم يأمره بالاستزادة من شيء سواه، قال تعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

٤- أن الله وعد أهل الجنة برفعة الدرجات، قال الله تعَالَى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، وهذا شامل للرفعة في الدنيا والآخرة.

٥- أن الله جعل أهله هم أهل خشيته، بل خصَّهم من بين الناس بذلك، قال تعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٤٢٩).

(٢) ينظر للاستزادة: مفتاح دار السعادة، لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد ذكر من فضائل العلم ما يربو علىٰ مائة فضيلة.

٦- أن الله جعله دليلًا علىٰ إرادته بعبده خيرًا، كما جاء في الحديث: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[١]، وإنما يكون هذا إذا أراد صاحبه به العمل به لا مجرد العلم.

٧- أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم؛ توقيرًا وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة، قال رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ**»[٢].

٨- أن من في السموات ومن في الأرض يستغفر للعالم، كما جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ**»[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فإنه لما كان العالم سببًا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصورًا علىٰ هذا، وكانت نجاة العباد علىٰ يديه؛ جوزي من جنس عمله، وجعل من في السموات والأرض ساعيًا في نجاته من أسباب الهلكات باستغفارهم له»[٤].

٩- أن رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يرغب أحدًا أن يغبط أحدًا علىٰ شيء من النعم التي أنعم الله بها، إلا علىٰ نعمتين: طلب العلم والعمل به، وصاحب المال الذي جعل ماله خدمة للإسلام؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال:

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧١)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٣٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٤).

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

١٠ – أنه طريق موصل للجنة، كما دل علىٰ ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**»(٢).

الأثر التاسع: السعي لإرث الجنة:

وعد الله الوارث عَزَّوَجَلَّ عباده الصالحين بأن يورثهم الأرض، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وإن أعظم أرض تورث جنة الخلد، قال تَعَالَىٰ عن إرث أهل الإيمان لها: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠- ١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقال: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] فيلهج أهلها بشكر الله علىٰ إرثها: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] نعم أجرهم؛ إذ ورثوا ما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨٢٤).

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف هذا النعيم العظيم، والإرث الكريم: «وكيف يقدرُ قدرَ دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فإن سألت عن أرضها وتربتها، فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها، فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن بلاطها، فهو المسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها، فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها، فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، لا من الحطب والخشب.

وإن سألت عن أشجارها، فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب.

وإن سألت عن ثمرها، فأمثال القلال، ألين من الزبد وأحلىٰ من العسل.

وإن سألت عن ورقها، فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها، فأنهارها من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفىٰ.

وإن سألت عن طعامهم، ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون.

وإن سألت عن شرابهم، فالتسنيم والزنجبيل والكافور.

وإن سألت عن آنيتهم، فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها، فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام.

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب من يسمعها.

وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مئة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة من درة مجوفة طولها ستون ميلًا، من تلك الخيام.

وإن سألت عن علاليها وجواسقها، فهي غرف من فوقها غرف مبنية، تجري من تحتها الأنهار.

وإن سألت عن ارتفاعها، فانظر إلىٰ الكواكب الطالع، أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها، فهو الحرير والذهب.

وإن سألت عن فرشها، فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلىٰ الرتب.

وإن سألت عن أرائكها، فهي الأسرة عليها البشخانات، وهي: الحجال مزررة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال.

وان سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلىٰ صورة القمر.

وإن سألت عن أسنانهم، فأبناء ثلاثة وثلاثين، علىٰ صورة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أبي البشر.

وإن سألت عن سماعهم، فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلىٰ منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلىٰ منهما سماع خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها الله مما شاء، تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان.

وإن سألت عن حليهم وشارتهم، فأساور الذهب واللؤلؤ علىٰ الرؤوس ملابس التيجان.

وإن سألت عن غلمانهم، فولدان مخلدون، كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فهن الكواعب الأتراب، اللائي جرىٰ في أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللدقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها، إذا برزت ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت...

هذا وإن سألت: عن يوم المزيد وزيادة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزَّه عن التمثيل والتشبيه كما ترىٰ الشمس في الظهيرة، والقمر ليلة البدر، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسىٰ وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي يا أهل الجنة إن ربكم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يستزيركم، فحيَّ علىٰ زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعةً، وينهضون إلىٰ الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أُعِدَّت لهم، فيستوون علىٰ ظهورها مسرعين حتىٰ إذا انتهوا إلىٰ الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا، وجمعوا هناك فلم يغادر الدَّاعي منهم أحدًا، أمر الربُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكرسيه فنُصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس

أدناهم- وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء- علىٰ كثبان المسك، وما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا.

حتىٰ إذا استقرَّت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم، نادىٰ المنادي: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟! ألم يبيِّض وجوهنا؟! ويثقِّل موازيننا؟! ويدخلنا الجنة؟! ويزحزحنا عن النار؟! فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جَلَّجَلَالُهُ وتقدَّست أسماؤه، قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلىٰ لهم الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعونه منه تَعَالَىٰ: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب، ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد، فيجتمعون علىٰ كلمة واحدة: أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجتمعون علىٰ كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جَلَّجَلَالُهُ الحجب، ويتجلىٰ لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تَعَالَىٰ قضىٰ أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تَعَالَىٰ محاضرةً، حتىٰ أنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكِّره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي، فيقول: بلىٰ بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلىٰ وجه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلَّة الرّاجعين بالصفقة الخاسرة، ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥].

فَحَيَّ عَلَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الأُولَىٰ وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وَلَكِنَّنَا سَبْيُ العَدُوِّ فَهَلْ تَرَىٰ نَعُودُ إِلَىٰ أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ[١]

وإن لهذا النعيم العظيم أسبابًا، ينال بها، جلَّاها الله لنا في كتابه وعلىٰ لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها:

١- **طاعة الله ورسوله**: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧]. وعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ **قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»[٢].

٢- **التوحيد**؛ فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»[٣]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، **قَالَ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا، فَلَمَّا وَلَّىٰ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ هَذَا**»[٤].

---

(١) ينظر: حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (ص: ٢٨٠-٢٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٢٨٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٩٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٤).

٣- **العمل الصالح**، قال تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٤].

٤- **التقوىٰ**، قال تعالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]، «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ بِهِ النَّاسُ النَّارَ؟ فَقَالَ: **الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ**، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **حُسْنُ الْخُلُقِ**»[(١)].

٥- **المراقبة**، قال تعالَى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠- ٤١].

٦- **إقامة الصلاة، لا سيما البردين**، قال تعالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] إلىٰ أن قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ - ١١]، وعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ الجَنَّةَ**» أي: الفجر والعصر[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٠٢٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠٠٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٦)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٩٧٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٧٤)، وأخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٣٥).

٧- **النفقة في سبيل الله**، قال تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] إلىٰ أن قال سُبْحَانَهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧ - ١٢].

٨- **الجهاد في سبيل الله**: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ -وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ- كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ: أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**»[1].

٩- **الصبر علىٰ البلاء**، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨- ٥٩] لا سيما الصبر علىٰ

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٧٨٧).

فقد البصر؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»[1] أي: عينيه، والصبر على فقد الأبناء؛ فعن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي! فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ! فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»[2].

١٠- **كفالة اليتيم**؛ فعن سهل بن سعد، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا»[3].

١١- **طاعة المرأة لزوجها ورضاه عنها**، فعن عبد الرحمن بن عوف، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»[4].

١٢- **إحصاء تسعة وتسعين من أسماء الله** عَزَّ وَجَلَّ؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٥٣).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٠٣٩)، والترمذي، رقم الحديث: (١٠٢١)، واللفظ له، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٤٠٨).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٣٠٤).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٨٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٠٣).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٧٣٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٧).

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل، فالذي بالعمل أن لله أسماء يختص بها كالأحد والمتعال والقدير ونحوها، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها، وله أسماء يستحب الاقتداء بها في معانيها كالرحيم والكريم والعفو ونحوها، فيستحب للعبد أن يتحلىٰ بمعانيها ليؤدي حق العمل بها، فبهذا يحصل الإحصاء العملي، وأما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها وحفظها والسؤال بها»(١).

١٣- **الدعاء وسؤال الله وراثتها،** كما سألها أبو الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]، وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: أَتَشَهَّدُ، ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، **فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»(٢).

الأثر العاشر: الدعاء باسم الله الوارث:

يحسن بالعبد الذي عرف اسم ربه الوارث أن يدعوه ويتوسل إليه به؛ امتثالًا لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، واقتداء بنبي الله زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي سأل ربه الولد به، فقال كما حكىٰ الله عنه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] لا سيما إذا تناسب مطلوبه مع هذا الاسم الكريم، كما في دعاء زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقد كان يرجو وارثًا للنبوة من بعده، كما قال الله عنه: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦١٤٣)، وأبو داود، رقم الحديث: (٧٩٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٤٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣١٦٣).

﴿ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ [مريم: ٥- ٦] فناسب أن يسأله باسمه الوارث[1].

كما يحسن بالعبد أن يسأل ربه أن يورثه ما ينفعه؛ اقتداء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان من دعائه: «**اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي، وَعَافِنِي فِي بَصَرِي، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»[2]، ومن دعائه ما رواه ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّىٰ يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: **اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا**»[3]، والمعنىٰ: أبقِ السمع والبصر وسائر القوىٰ سليمة صحيحة، نتمتع بها إلىٰ أن نموت؛ لأن الإنسان إذا فقد بصره قبل أن يموت، يكون هو الوارث لبصره، وكذا إذا فقد سمعه قبل أن يموت أو قوته يكون هو الوارث لها؛ لأنه

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٩٨-٢٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٨٢٥)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٢١١).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٢)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١٦١)، حكم الألباني: حسن، صحيح الكلم الطيب، رقم الحديث: (١٢٦٨).

فقدها، أما إذا استمتع ببصره وسمعه وقوته إلىٰ أن مات، فهذه الجوارح هي التي ورثته، فليتأمل هذا؛ فإن فيه فائدة عظيمة.

فاللهم يا وارثَ، متِّعْنَا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا.



الواسِعُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والوسع والسعة: الجدة والطَّاقة، قال تَعَالَى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧] أي: على قدر غناه وسعته، والهاء عوض عن الواو، وأوسع الرجل، إذا صار ذا سعة وغنًى»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(وسع) الواو والسين والعين: كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر، يقال: وسع الشيء واتسع، والوسع: الغنى، والله الواسع أي الغني، والوسع: الجدة والطاقة، وهو ينفق على قدر وسعه، وقال تَعَالَى في السعة: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧]»(٢).

ورود اسم الله (الواسع) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الواسع) في القرآن تسع مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

٢- وقوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

---

(١) الصحاح (٣/ ١٢٩٨).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٠٩).

٣- وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

ورود اسم الله (الواسع) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (الواسع) في السنة النبوية.

معنى اسم الله (الواسع) في حقه سُبْحَانَهُ:

❋ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]-: «يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال، والجود والتدبير»(١).

❋ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الواسع) هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه»(٢).

❋ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكثيرة مقدوراته ومعلوماته، والمنبسط فضله ورحمته، وهذا تنزيه له من النقص والعلة واعتراف له بأنه لا يعجزه شيء ولا يخفىٰ عليه شيء ورحمته وسعت كل شيء»(٣).

❋ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي يوسع علىٰ عباده في دينهم، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم، وقيل: (واسع) بمعنىٰ أنه يسع علمه كل شيء»(٤).

❋ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، واسع العظمة والسلطان

---

(١) جامع البيان، للطبري (١ / ٤٠٣).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٧٢).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٨).

(٤) تفسير القرطبي (٢/ ٨٤).

والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم»[1]، **وقال أيضًا:** «كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلىٰ حيث وصل إليه علمه»[2].

اقتران اسم الله (الواسع) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الواسع) باسمه سُبْحَانَهُ (العليم):

تقدم بيانه في اسم الله «العليم».

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ «الواسع» باسمه سُبْحَانَهُ «الحكيم»:

تقدم بيانه في اسم الله «الحكيم».

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الواسع):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الواسع) من الصفات، ودلالته علىٰ التوحيد:

الله عَزَّوَجَلَّ هو الواسع، واسع القدرة، وواسع الملك، وواسع العلم، وواسع المغفرة، وواسع الرحمة، وواسع الرزق، وواسع الفضل والإحسان، وواسع في شرعه وحكمه، وواسع في نعيمه للمؤمنين في الآخرة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، وسعته سُبْحَانَهُ لا حد لتعلقاتها؛ إذ هو الواسع المطلق جَلَّجَلَالُهُ.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٠٧).

وبيان سعته فيما سبق يتضح من خلال ما يلي:

- سعة قدرة الواسع:

الله تَعَالَى واسع في قدرته، قدرته التي شملت كل شيء، فلا يقف أمامها شيء، ومن ثم لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾ [فاطر: ٤٤].

ومن تأمَّل في عظم خلق الله علم قدرته، ومن ذلك خلقه للملائكة، وفي الحديث: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن له ستمائة جناح؛ يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّوحُ الأَمِينُ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **لَهُ سِتمائِةُ جَنَاحٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ، قَدْ نَشَرَهَا مِثْلَ رِيشِ الطَّوَاوِيسِ**»[1].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رَأَيْتُ جِبْرِيلَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **مهبطًا، قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ الخَافِقَيْنِ، عَلَيْهِ ثِيَابُ سُنْدُسٍ، مُعَلَّقٌ بِهَا اللُّؤْلُؤُ وَاليَاقُوتُ**»[2].

- سعة ملك الواسع:

الله تَعَالَى واسع في ملكه وعظم سلطانه، فلا يخرج شيء عنه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٨]، ومن دلائل ذلك، قوله تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب (العظمة) (٢/ ٨٠١).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في كتاب (العظمة) (٢/ ٧٦٨)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣٤٨٥).

«وهذا يدل علىٰ كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض علىٰ عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تَعَالَى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الحَلْقَةِ**»[1].

«وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فُحولُ الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب»[2].

- سعة علم الواسع:

الله تَعَالَى واسع في علمه، شامل محيط لا يندُّ عنه شيء في الزمان ولا المكان، ولا الأرض ولا السماء، ولا البر ولا البحر، فسواء عنده ما كان في جوف الأرض أو طباق الجو، لا يخفاه علم حي أو ميت، يابس أو رطب، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ويقول تَعَالَى أيضًا: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب (العظمة) (٢/ ٥٦٩). حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٠٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ١١٠).

- سعة مغفرة الواسع:

الله تَعَالَى واسع في مغفرته وعفوه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] «فلولا مغفرته لهلكت البلاد والعباد، ولولا عفوه وحلمه لسقطت السماء على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة»[١]، وسعت مغفرته ذنوب العباد، فمهما عظمت فإن عفو الله ومغفرته أوسع وأعظم، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

- سعة رحمة الواسع:

الله تَعَالَى واسع في رحمته، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال حملة العرش في دعائهم لربهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] «من العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، ولهذا قال عنها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦] المعاصي، صغارها وكبارها...»[٢].

- سعة رزق الواسع:

الله وسع الخلائق برحمته- كما تقدم- التي كان من آثارها: سعة الخلائق بالرزق، فتكفل الله سُبْحَانَهُ بأرزاق الخلائق، صغيرهم وكبيرهم، بحريهم وبريهم، جليلهم وحقيرهم، فلا يخرج أحد عن رزقه كائنًا من كان، قال تَعَالَى:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٢١).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٠٥).

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦] [1]، ويقول تَعَالَى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤].

- سعة فضل الواسع وإحسانه:

الله تَعَالَى واسع الفضل، وسع الخلائق بفضله وجوده، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يونس: ٦٠]، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وليس لهذا الفضل والجود والكرم والإحسان حد و لا غاية، فلا يحد بطريق معين، بل ولا بطرق معينة، فأسباب فضله وأبواب إحسانه لا نهاية لها، فلا يزال كريما محسنًا متفضلًا علىٰ عباده، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤].

- سعة شريعة الواسع:

الله تَعَالَى واسع في تشريعه وحكمه، فالشريعة التي أنزلها الله واسعة كافية كاملة، تفي بكل حاجات العباد، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، «قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلىٰ زيادة أبدًا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدًا» [2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦).

ومن مظاهر سعتها: أن الله وسع فيها علىٰ عباده، فلم يكلفهم ما ليس في وسعهم وطاقتهم، جعل لهم من كل ضيق مخرجًا، ومن كل حرج يسرًا، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿**مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ**﴾ [المائدة: ٦]، أي: مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة، كما قال: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥] [البقرة: ١٨٥].

ووجه ذلك: أنه سُبْحَانَهُ ما أمر وألزم إلا بما هو سهل علىٰ النفوس، لا يثقلها ولا يؤودها، فأصل الأوامر والنواهي ليست من الأمور التي تشق علىٰ النفوس، بل هي غذاء للأرواح ودواء للأبدان، وحمية عن الضرر، فالله تَعَالَىٰ أمر العباد بما أمرهم به رحمة وإحسانًا، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط بعضه، فالصلاة -التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين- تجب في الحضر أربعًا، وفي السفر تقصر إلىٰ ثنتين، وتصلىٰ رجالًا وركبانًا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، والقيام فيها يسقط بعذر المرض، فيصليها المريض جالسًا، فإن لم يستطع فعلىٰ جنبه، إلىٰ غير ذلك من الرخص والتخفيفات، في سائر الفرائض والواجبات؛ ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**»[1]، وقال: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ...**»[2][3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٧٢٢)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٧١٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٩٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٩).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٥-٤٥٦)، تفسير السعدي (ص: ١٢٠، ٥٤٧).

وهذه التوسعة من الله علىٰ عباده في دينهم؛ تدعوهم إلىٰ فهم الدين فهمًا صحيحًا لا غلو فيه ولا جفاء، بل الوسطية التي أرادها الله من هذه الأمة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣][1].

وهذه التوسعة أيضًا تورث في النفوس اغتباطًا وفرحًا بالشريعة التي وفقه الله وهداه للإيمان بها، فيسعىٰ للثبات عليها، والدعوة إليها، والجهاد في سبيل نشرها وإيصالها للمحرومين.

- سعة نعيم الواسع في الآخرة:

الله واسع فيما أعد لعباده الموحدين، مما احتوت عليه دار النعيم من الخيرات والمسرات والأفراح واللذات المتتابعات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، فكل ما خطر بالبال أو دار في الفكر من تصور لذة، فلذة الجنة فوق ذلك، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] فلا يعلم أحد عظمة ما أخفىٰ الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع علىٰ مثلها أحد، كما قال تَعَالَىٰ علىٰ لسان رسوله: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»[2][3].

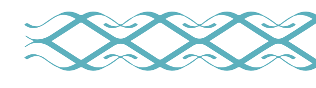
وأوضح الله لنا سعة ما فيها من النعيم، فقال: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١] «وهذا لفظ جامع، يأتي علىٰ كل نعيم وفرح،

---

(١) فيسر الشريعة لا يعني - كما يفهم بعض الناس - ترك الالتزام بالدين، وارتكاب ما حرَّم الله.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، (٦/ ٣٦٥)، تفسير السعدي (ص: ١٨٨).



وقرة عين، وسرور قلب، فكل ما اشتهته النفوس، من مطاعم، ومشارب، وملابس، ومناكح، ولذته العيون، من مناظر حسنة، وأشجار محدقة... ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، علىٰ أكمل الوجوه وأفضلها»[1].

وما ذكر من سعة الواسع عَزَّوَجَلَّ إنما هو غيض من فيضه الواسع سُبْحَانَهُ، وما يمكن لعبد مخلوق أن يكتب فيها وقد وسع كل شيء رحمة وعلمًا! فالله الواسع دائم بلا انتهاء عز شأنه وتقدست أسماؤه.

وإذا تقرر لدىٰ العبد عظمة سعة الواسع وشمولها لصفاته كلها؛ تيقن أن العبادة لا تليق ولا تحسن إلا به عَزَّوَجَلَّ الرب الواسع الذي له الكمال كله، والمجد كله، والحمد كله، والقدرة كلها، والكبرياء كلها، لا بالمخلوقات المدبرات الناقصات الصم البكم الذين لا يعقلون[2].

وكما أن اسم الله (الواسع) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله «ذو الجلال والإكرام»، و«القدير»، و(الكريم)، و(الرحيم) إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: محبة الله الواسع:

إن المسلم إذا تأمَّل هذا الاسم الجليل لله تَعَالَى، لا بد أن تأسر قلبه محبة الله، وتزداد تمكُّنًا من سويدائه.

فهو تَعَالَى واسع في رحمته، واسع في مغفرته، واسع في علمه، واسع في جميع صفاته، فلا يجد العاقل بُدًّا من حب هذا الإله الجميل الجليل جل في

---

(١) تفسير السعدي (٧٦٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص١٢٥).

علاه؛ مما يثمر الإقبال علىٰ طاعته، والبحث عما يرضيه ويحبه، وهذا هو طريق الفلاح في الدنيا والآخرة؛ فإن المحب ساع ولا بد في إرضاء محبوبه.

الأثر الثالث: سؤال الله نعيم الجنة الواسع:

إن من آثار اسم الله «الواسع» سُبْحَانَهُ ما أعده لعباده الموحدين، مما احتوت عليه دار النعيم من الخيرات والمسرات والأفراح واللذات المتتابعات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، فخير الدنيا والآخرة وألطافها من فضله وسعته وجميع الأسباب والطرق المفضية إلىٰ الراحات والخيرات، كلها من فضله.

تفكر في آيات الله تَعَالَىٰ، وهو يتحدث عن النعيم الذي أعده لعباده المتقين ووسع به علىٰ أحبابه المؤمنين: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

فكل ما تشتهيه الأنفس في جنة الله الواسع من «المشارب، والمآكل والمناكح، والفرش والسرر، والأواني، وأنواع الحلي والملابس، والخدم إلىٰ غير ذلك.

- **أما المآكل:** فقد قال تَعَالَىٰ: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٣]، وقال: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، وقال تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

- **وأما المشارب**، فقد قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦].

وقال تَعَالَى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧-١٨].

وقوله تَعَالَى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٧-١٩].

وقال تَعَالَى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٧].

وقال تَعَالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

- **وأما الفرش**: فانظر إلىٰ ما يتكئون عليه من الفرش والسرر ونحو ذلك، في آيات كثيرة، كقوله تَعَالَى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقوله تَعَالَى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦].

وقوله تَعَالَى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٥-١٦].

والسرر الموضونة هي المنسوجة بقضبان الذهب»[1].

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٧/ ١٤٣-١٤٤).

يقول الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧]، أي: لا تبلغ نفس من أهل الدنيا معرفة ما أعد الله لهم، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»[1].

فدل علىٰ أن المراد بـ«نفس» في هذه الآية أصحاب النفوس البشرية.

فإن مدركات العقول منتهية إلىٰ ما تدركه الأبصار من المرئيات من الجمال والزينة، وما تدركه الأسماع من محاسن الأقوال ومحامدها ومحاسن النغمات، وإلىٰ ما تبلغ إليه المتخيلات من هيئات يركبها الخيال، من مجموع ما يعهده من المرئيات والمسموعات، مثل الأنهار من عسل أو خمر أو لبن، ومثل القصور والقباب من اللؤلؤ، ومثل الأشجار من زبرجد، والأزهار من ياقوت، وتراب من مسك وعنبر، فكل ذلك قليل في جانب ما أعد لهم في الجنة من هذه الموصوفات»[2].

ويعقد لنا الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقارنة سريعة بين الدنيا والآخرة؛ ليحث العباد إلىٰ السعي؛ لتحصيل ما أعده الواسع لخلقه من النعيم في الآخرة:

«فكيف إذا وازنت بين الدنيا والآخرة، وأن الآخرة خير منها، في ذاتها، ولذاتها وزمانها، فذاتها- كما ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الحديث الثابت عنه- أَنَّ مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا[3]، ولذاتها صافية عن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٥٠).



المكدرات، بل كل ما خطر بالبال أو دار في الفكر من تصور لذة، فلذة الجنة فوق ذلك، كما قال تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال الله علىٰ لسان نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْدَدْتُ لِعَبادي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»[١].

وأما لذات الدنيا فإنها مشوبة بأنواع التنغيص، الذي لو قوبل بين لذاتها وما يقترن بها من أنواع الآلام والهموم والغموم، لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه.

وأما زمانها، فإن الدنيا منقضية، وعمر الإنسان بالنسبة إلىٰ الدنيا شيء يسير، وأما الآخرة فإنها دائمة النعيم وأهلها خالدون فيها، فإذا فكَّر العاقل في هاتين الدارين وتصور حقيقتهما حق التصور؛ عرف ما هو أحق بالإيثار، والسعي له والاجتهاد لطلبه»[٢].

الأثر الثالث: إذا أُغلق باب فتح الواسع بابًا آخر:

إذا علم العبد أن اللهتَعَالَى واسع العلم، استكان ورضي بالقدر خيره وشره، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، فهو تَعَالَى واسع العلم والحكمة، وعام القدرة، ونافذ المشيئة، وواسع الفضل والإحسان والرحمة ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير السعدي (ص١٨٧).

فلا يعلق العبد قلبه بالأسباب، بل يعلقه بمسببها، ولا يتشوش إذا انسد عنه باب منها، فإنه يعلم أن الله واسع عليم، وأن طرق فضله لا تعد ولا تحصىٰ، وأنه إذا انغلق منها شيء انفتح غيره مما قد يكون خيرًا وأحسن للعبد عاقبة.

قال تَعَالَى مشيرًا إلىٰ هذه الحالة التي كثير من الناس لا يوفقون لها-: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠] لما كانت هذه الحال، وهي حال الفراق يغلب علىٰ كثير من الزوجات الحزن، ويكون أكبر داع لهذا الحزن ما تتوهمه من انقطاع رزقها من هذه الجهة التي تجري عليها، فوعد الله الجميع وبشَّرهم بفتح أبواب الخير لهم، وأنه سيعطيهم من واسع فضله، أما هذه فبزوجٍ هو أصلَحُ لها من المطلِّق الأوَّل، أو برزق واسع وعصمة، وأما هذا فبرزق واسع وزوجة هي أصلح له من المطلَّقة، أو عفَّة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ [النساء: ١٣٠] لهما في رزقه إياهما وغيرهما من خلقه.

وكم من عبد بهذه المثابة له سبب وجهة من الجهات التي يجري عليه الرزق، فانغلقت، ففتح الله له بابًا أو أبوابًا من الرزق والخير، وبهذا يعرف الله، ويعلم أن الأمور كلها منه، وأنه ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٢].

فالله سُبْحَانَهُ واسع العلم بحال خلقه، كثير الإفضال علىٰ خلقه، والخلق كلهم يتقلبون في رحمته وفضله، يعطي من يشاء ويمنع، ويخفض من يشاء ويرفع، بعلمه الذي وسع كل شيء وحكمته.

الأثر الرابع: طلب المغفرة والرحمة من الواسع:

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الواسع، الذي وسع بمغفرته جميع عباده ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢]، ومن سعة مغفرته: أنه يغفر لكل من تاب وأناب مهما بلغت ذنوبه وخطاياه، فهو تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

فتح للعباد باب التوبة، وبث الأمل في قلوب العصاةوالمذنبين، فمهما عظم الذنب، ومهما كبر الجرم، فما علىٰ العبد إلا أن يُقبل علىٰ ربه؛ ليشمله بمغفرته ويسعه بعفوه، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤]، «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[(١)]، يوفق عبده للتوبة، ويقبلها منه، كما قال عَزَّوَجَلَّ في سورة التوبة: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ [التوبة: ١١٨]، أي: وفقهم للتوبة ليتوبوا.

والمؤمن الراجي رحمة ربه، ويخاف أن يطرد من جواره، هو من يأخذ بأسباب المغفرة ويبحث عنها، ومن سعة مغفرة الله تَعَالَىٰ، أنه هيأ أسبابًا كثيرة لمغفرته، حتىٰ يسهل للعبد أن يصيبها، ومنها:

١- الاستغفار: واقرؤوا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

فمن لازم الاستغفار؛ كان ذلك أدعىٰ أن يغفر له الله تَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٥٩).

٢- الذكر: لأن ذكر الله يمحو عن القلب الغفلة، فإذا محيت الغفلة عن القلب، وكان الإنسان في حضرة ربه حاضر القلب، ولم يكن قلبه غافلًا عن جلال الله وهيبته، فإن هذا الحضور المعبَّر عنه بالذكر هو سبب من أسباب المغفرة.

قال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٣- فعل الطاعات: قال تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فأخذوا بسبب من أسباب المغفرة، ثم طلبوا تلك المغفرة، فقالوا: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فما طلبوا المغفرة إلا بعد أن سمعوا وأطاعوا، أي: بعد فعلهم لطاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٤- التوبة النصوح في جميع الأوقات من جميع الذنوب والسيئات، قال الله تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فإذا تبتم أفلحتم ونجحتم وسعدتم في الدنيا والآخرة.

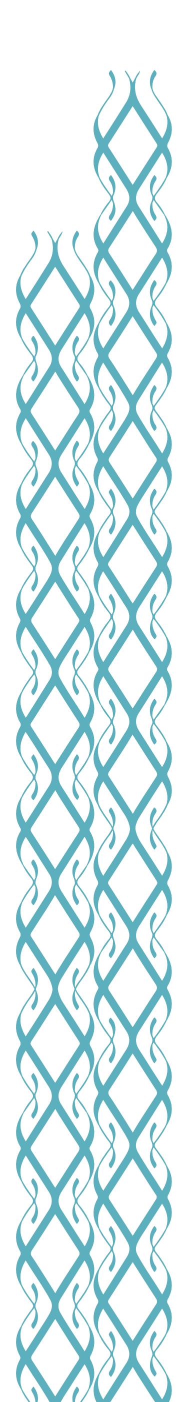
٥- كلمة التوحيد.

٦- اجتناب الكبائر، قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

نسأل الله الكريم أن يسع عباده المؤمنين بفيض عطائه ورحماته،

وأن يتجاوز عنهم ويغفر لهم، إن ربنا واسع المغفرة، إنه البرّ الرحيم.





الأسماء التي ثبتت في السنة النبوية فقط



الجمِيلُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجمال: الحُسْن، وقد جَمُلَ الرجلُ -بالضم- جَمالًا فهو جميل»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما: تَجمُّعُ وَعِظَمُ الخَلق... أَجْمَلْتُ الشَّيْء، وهذه جملة الشيء، وَأَجْمَلْتُهُ: حَصَّلْتُهُ... والأصل الآخر: الجمال، وهو ضد القبح، ورجل جميل وَجُمَال»[2].

ورود اسم الله (الجميل) في القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله (الجميل) في القرآن الكريم.

ورود اسم الله (الجميل) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الجميل) في السنة النبوية، ومن وروده فيها ما يلي:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ

---

(١) الصحاح (٤/ ١٦٦١).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٤٨١).

ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[1].

ثبوت اسم الله (الجميل) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله (الجميل) في حق الله تَعَالَىٰ:

- **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله: «ومن أسمائه الحسنىٰ الجميل»[2].
- **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[3].

معنى اسم الله (الجميل) في حقه تعالى:

- **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجماله سُبْحَانَهُ علىٰ أربع مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماؤه كلها حسنىٰ، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة»[4].
- **يقول الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجميل من له نعوت الحُسْن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله»[5].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩١).

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤١٩).

(٣) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص: ١٥).

(٤) الفوائد (ص: ١٨٢).

(٥) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٧٨-١٨٠).

❁ **قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:**

وَهُـوَ الجَمِيـلُ عَلَـىٰ الحَقِيقَـةِ كَيْـفَ لَا
وَجَمَـالُ سَـائِرِ هَـذِهِ الأَكْـوَانِ
مِـن بَعْـضِ آثَـارِ الجَمِيلِ فَرَبُّهـا
أَوْلَـىٰ وَأَجْـدَرُ عِنْـدَ ذِي العِرْفَـانِ
فجمالُـهُ بالـذَّاتِ والأَوْصَـافِ والـ
أَفْعَـالِ والأَسْـمَاءِ بالبُرْهَـانِ
لا شـيءَ يُشْـبِهُ ذاتَـهُ وصفاتِـهِ
سُـبْحَانَهُ عَـنْ إِفْـكِ ذِي البُهْتَـانِ[1]

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الجميل):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الجميل) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الله عَزَّوَجَلَّ جميل يحب الجمال، تفرَّد سُبْحَانَهُ بالجمال الكامل، ووهب بعض الجمال لبعض خلقه وسلبهم الجلال، وأعطىٰ الجلال لبعض خلقه وسلبهم الجمال، وأعطىٰ سُبْحَانَهُ الجمال مع الجلال لبعض خلقه، لكنه سُبْحَانَهُ سلبهم دوام الحال، وتفرَّد الربُّ الجميل سُبْحَانَهُ بالجمال والجلال مع دوام الحال.

(١) النونية (ص: ٢٠٣).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن أعزِّ أنواع المعرفة: معرفة الرب سُبْحَانَهُ بالجمال، وهي معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفه بصفة من صفاته، وأتمُّهم معرفة: من عرفه بكماله وجلاله وجماله سُبْحَانَهُ، ليس كمثله شيء في سائر صفاته، ولو فرضتَ الخلقَ كلَّهم علىٰ أجملهم صورة وكلهم علىٰ تلك الصورة، ونسبتَ جمالهم الظاهر والباطن إلىٰ جمال الرب سُبْحَانَهُ؛ لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلىٰ قرص الشمس، ويكفي في جماله: (**لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**)[1]، ويكفي أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته، فما الظنُّ بمن صَدَرَ عنه هذا الجمال.

ويكفي في جماله سُبْحَانَهُ: أن له العزة والقوة، والجود والإحسان، والعلم والفضل، ونور وجهه أشرقت له الظلمات، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في دعائه: «**أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»[2]، وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عِنْدَهُ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ، نَورُ السَّمَوَاتِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ)[3]، فهو سُبْحَانَهُ نور السموات والأرض، ويوم القيامة إذا جاء لفصل القضاء تشرق الأرض بنوره»[4]، فلا يستطيع بشر

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٤٧٦٤)، حكم الألباني: ضعيف، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (٢٩٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود في الزهد، رقم الحديث: (١٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث: (٨٨٨٦)، قال الهيثمي: فيه أبو عبد السلام، قال أبو حاتم: مجهول، ينظر: في مجمع الزوائد (٢/ ٢٨).

(٤) الفوائد (ص: ١٨٢).

النظر إلىٰ جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سُبْحَانَهُ في جنات عدن أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون- حينئذ- إلىٰ شيء غيره[1].

ومن مظاهر جماله سُبْحَانَهُ:

- **أنه جميل في ذاته** سُبْحَانَهُ: «فلا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذات الله تَعَالَى، حتىٰ إن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات والسرور، والأفراح التي لا يُقَدر قدرها إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله؛ نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشىٰ ما هم فيه من الأفراح، وودُّوا أن لو تدوم هذه الحال؛ ليكتسبوا مِن جماله ونوره جمالًا إلىٰ جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم، ونزوع إلىٰ رؤية ربِّهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحًا تكاد تطير له القلوب.

- **أنه جميل في أسمائه** سُبْحَانَهُ: فأسماؤه كلها حسنىٰ، بل هي أحسن الأسماء علىٰ الإطلاق وأجملها، يقول تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فكلها دالة علىٰ غاية الحمد والمجد والكمال، لا يسمىٰ باسم منقسِم إلىٰ كمال وغيره.

- **أنه جميل في أوصافه** سُبْحَانَهُ: فإن أوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمها، وأكثرها تعلقًا، خصوصًا أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود.

---

(١) روضة المحبين، لابن القيم (ص: ٤٢١).

- **أنه جميل في أفعاله** سُبْحَانَهُ: فإنها دائرة بين أفعال البِر والإحسان- التي يُحمَد عليها، ويُثنىٰ عليه ويُشكر- وبين أفعال العدل التي يُحمَد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سَفه، ولا سُدًىٰ ولا ظلم، كلها خير وهدىٰ، ورحمة ورشد، وعدل، يقول تعَالَىٰ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦]، فلكماله الذي لا يحصي أحد عليه به ثناءً، كَمُلَتْ أفعاله كلها، فصارت أحكامه من أحسن الأحكام، وصنعه وخلقه أحسن خلق وصنع، وأتقن ما صنعه، ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، وأحسن ما خلَق ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[1]، فسبحان الله، وتقدَّس عما يقوله الظالمون النافون لكماله علوًّا كبيرًا، وحَسْبُهم مقتًا وخسارًا أنهم حُرموا من الوصول إلىٰ معرفته والابتهاج بمحبته[2].

وحري بمن عرف اسم الله الجميل، وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، ويسأله وحده جمال عفوه وعافيته في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٩).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص: ١٧٨-١٨٠).

الأثر الثاني: أعظم النعيم رؤية الجميل عَزَّوَجَلَّ في الجنة:

اشتاقت قلوب العابدين والمحبين لرؤية وجه الله الجميل يوم القيامة، يقول الله تَعَالَى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: «أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه علىٰ وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلىٰ عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان، فهؤلاء الذين أحسنوا، لهم الحسنىٰ، وهي الجنة الكاملة في حسنها، وزيادة، وهي النظر إلىٰ وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلىٰ ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون»[(١)].

ولذا كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر في دعائه من قول: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ**»[(٢)]، وفي الحديث الآخر قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ** عَزَّوَجَلَّ».

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٦٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٦١٥)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (١٣٠١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أو ما سمعتَ سؤالَ أعرفِ خلقِهِ
بجلالِهِ المبعوثِ بالقرآنِ
شوقًا إليه ولَذَّةَ النظرِ التي
بجلالِ وجهِ الرَّبِّ ذي السلطانِ[1]
فالشوقُ لَذَّةُ روحِهِ في هذه الـ
ـدُنْيَا ويومَ قيامةِ الأبدانِ
والله ما في هذِهِ الدُّنيا ألـ
ـذُ مِن اشتياقِ العبدِ للرحمنِ

ويقول- أيضًا- رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله لولا رؤيةُ الرحمنِ في الجناتِ ما طابَتْ لِذِي عرفانِ
أعلىٰ النعيمِ نعيمُ رؤيةِ وجهِهِ وخطابُهُ في جنةِ الحيوانِ[2]

فرؤية الله سُبْحَانَهُ هي الغاية التي شمَّر إليها المشمِّرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، ورؤية الله سُبْحَانَهُ إذا نالها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم.

(١) النونية (ص: ٣٤٥).

(٢) النونية (ص: ٣٤٥).

وقد وردت أحاديث كثيرة في أعمال تورث رؤية الله جَلَّجَلَالُهُ، منها:

١- الإيمان بالله وتوحيده:

يقول تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]، والإحسان أعلىٰ مراتب الإيمان.

٢- الحرص علىٰ أداء الصلاة والمحافظة عليها في أوقاتها:

خصوصًا الفجر والعصر، فعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ، فَقَالَ: **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]»[1].

٣- الابتعاد عن المعاصي والذنوب:

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ **قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٥٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٣٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠٦).



٤- الدعاء:

يقول تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَىٰ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَمِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**»(١).

الأثر الثالث: محبة الجميل سُبْحَانَهُ:

المحبة لها داعيان: داعي الجمال والإجلال، والله جميل يحب الجمال، بل الجمال له، والإجلال كله منه، فلا يستحق أن يُحَب بذاته من كل وجه سواه؛ لما له من كمال الجمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يُرَىٰ من جمال في خلق الله عَزَّوَجَلَّ هو من جماله سُبْحَانَهُ، فحقيق بمن هذا وصفُه أن يُحَب لذاته؛ فليس في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله صفة نقص وذم، بل هي جميلة كلها، حسنىٰ كلها، طيبة كلها، خير كلها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله سُبْحَانَهُ تعرَّفَ إلىٰ عباده من أسمائه وصفاته وأفعاله بما يوجب محبتهم له؛ فإن القلوب مفطورة علىٰ محبة الكمال ومن قام به، والله له الكمال المطلق من كل وجه؛ الذي لا نقص فيه بوجه ما»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٦١٥) والنسائي، رقم الحديث: (١٢٣٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (١٣٠٠٥).

(٢) روضة المحبين (ص: ٤٢٠- ٤٢١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وأما جمال الذات وما هو عليه، فأمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تَعَرَّفَ بها إلىٰ مَن أكرمه مِن عباده؛ فإن ذلك الجمال مصون عن الأغيار محجوب بستر الرداء والإزار، كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيما يحكي عنه-: (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي...)[1]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (حجب الذاتَ بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمالٍ حُجِبَ بأوصاف الكمالِ، وسُتِرَ بنعوت العظمة والجمال)»[2].

الأثر الرابع: الجمال الحقيقي جمال المخبر لا المظهر:

الله جميل يحب الجمال، والجمال الحقيقي هو جمال المخبر لا جمال المظهر، فالقلب هو محل نظر الرب، والسلامة منوطة به في قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨].

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ»[3]: «هذا الحديث يدل علىٰ ما يدل عليه قول الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا ينظر إلىٰ العباد إلىٰ أجسامهم هل هي كبيرة أو صغيرة، أو صحيحة، أو سقيمة، ولا ينظر إلىٰ الصور، هل هي جميلة أو ذميمة، كل هذا

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٠١٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٠٩٠)، وهو عند مسلم بنحوه، رقم الحديث: (٢٦٢٠)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٥١١٠).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٨٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٤).

ليس بشيء عند الله، وكذلك لا ينظر إلىٰ الأنساب؛ هل هي رفيعة أو دنيئة، ولا ينظر إلىٰ الأموال، ولا ينظر إلىٰ شيء من هذا أبدًا، فليس بين الله وبين خلقه صلة إلا بالتقوىٰ، فمن كان لله أتقىٰ كان من الله أقرب، وكان عند الله أكرم؛ إذًا لا تفتخر بمالك، ولا بجمالك، ولا ببدنك، ولا بأولادك، ولا بقصورك، ولا سياراتك، ولا بشيء من هذه الدنيا أبدًا، إنما إذا وفقك الله للتقوىٰ فهذا من فضل الله عليك، فاحمد الله عليه؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ**)، فالقلوب هي التي عليها المدار»[1].

ولذلك أثنىٰ الله سُبْحَانَهُ علىٰ الذين جاءوا من بعد الصحابة، في قوله تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]، وهي أفضل صفة ذكرت فيهم، وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»[2].

الأثر الخامس: الله عَزَّوَجَلَّ هو واهب الجمال والحُسْن لمن يشاء:

من تأمل في مخلوقات الله، رأىٰ فيها الجمال والحسن بالخلق والتصور، ومما ورد نصه في القرآن والسنة، ما يلي:

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٦٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢١٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢١٦).

- **خلق الإنسان:** فقد خلق الله تَعَالَىٰ الإنسان في أحسن صورة وأجمل تقويم، وجعلهم متفاوتين في هذا الحُسن والجمال، وجمال الإنسان علىٰ ضربين: جمال مظهر، وجمال مخبر، جمال المظهر الخلق وهبه الله خلقه، وجعلهم متفاوتين فيه، وجمال المخبر الخلق خص به من عباده من شاء:

فأعطىٰ يوسف شطر الحُسن، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ...**»[1]، ويقول تعَالَىٰ عن حال النسوة لما رأينه: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١][2]، وأعطاه حسن الخلق والإحسان للخلق ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وأعطي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جمال المظهر والمخبر حظًّا وافرًا،، فعن أنس بن مالك في وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ وَلَا آدَمَ لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ وَلَا سَبْطٍ رَجِلٍ...**»[3]، وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٤٧).

أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ»[1].

وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسنَ الناس أخلاقًا: سماحة وشجاعة، وحلمًا وكرمًا، ورحمة وشفقة، وصلة وبرًّا، كما وصفته خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بقولها: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ»[2]، وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ، وَلَا لِمَ صَنَعْتَ، وَلَا أَلَّا صَنَعْتَ»[3]، وقال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ...»[4]، وفي حديث عن عبد الله بن عمرو، قال: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: **إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**»[5].

- **خلق** السماء ومافيها: وفي ذلك في آيات كثيرة، منها قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥]، يقول السعدي رَحِمَهُ اللهُ عند هذه الآية: «أي ولقد جمَّلنا ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ التي ترونها وتليكم، ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي: النجوم، علىٰ اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفًا مظلمًا، لا حسن فيه ولا جمال، ولكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء، (وجمالًا)، ونورًا وهداية يهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر»[6].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٤٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٠٩).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٨٢٠)، واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٠٧).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٩٩) ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٢١).

(٦) تفسير السعدي (ص: ٨٧٥).

- **خلق الأرض وما فيها**: وفي ذلك في آيات كثيرة، منها قوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، فالله هو الذي زين الأرض وجمَّلها بأنواع الحدائق والبساتين والأشجار والأزهار والخضرة، ذات البهجة والحُسن والجمال، بحيث إن الناظر إليها يبتهج وتفرح نفسه بها، وينشرح صدره بسببها.

- **خلق الأنعام**: وفي ذلك يقول تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، أي: «في وقت راحتها وسكونها، ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء، فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، كما تتجملون بثيابكم وأولادكم، وأموالكم، وتعجبون بذلك»[1].

ومن نظر في سائر الكون وما يحويه، رأىٰ الإعجاز والجمال والإتقان في كل ما حوله، فتبارك الله وتَعَالَى أحسن الخالقين.

الأثر الخامس: ملازمة كل خلق جميل:

إن من أفاض الله عليه من صفة الجميل فتح له جمال المعاني، وحلاوة الإيمان، وحسَّن خَلْقَهُ وخُلُقَهُ، وزادت هيبته في بحر جماله، فلا يرضىٰ العبدُ بقبيح الفعال وسوء الخصال؛ لئلا يخرج عن فيض الجمال، فيأنف العبد بطبعه وذكاء روحه كل قبيح، ولا يرضىٰ أن يتدنس بحرام قط، أو بخلق ذميم.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٣٦).

وبيَّن الله سُبْحَانَهُ في مواضع كثيرة أن جمال الظاهر لا يكفي، وأمر وأوصىٰ نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمته بالتجمل في الأقوال والأفعال في آيات عديدة:

- فأمر تَعَالَى **بالصبر الجميل** في قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥] أي: «اصبر علىٰ دعوتك لقومك صبرًا جميلًا، لا تضجر فيه ولا ملل، بل استمر علىٰ أمر الله، وادع عباده إلىٰ توحيده، ولا يمنعك عنهم ما ترىٰ من عدم انقيادهم، وعدم رغبتهم؛ فإن في الصبر علىٰ ذلك خيرًا كثيرًا»(١).

- وأمر تَعَالَى **بالهجر الجميل** في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠] «أمره بالصبر علىٰ ما يقول فيه المعاندون له ويسبونه ويسبون ما جاء به، وأن يمضي علىٰ أمر الله، لا يصده عنه صادٌّ، ولا يرده رادٌّ، وأن يهجرهم هجرًا جميلًا، وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة، الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره بجدالهم بالتي هي أحسن»(٢)، وقيل: الهجر في ذات الله، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

- وأمر سُبْحَانَهُ **بالصفح الجميل**، في قوله تَعَالَى: ﴿خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضىٰ المقامُ

---

(١) تفسير السعدي (ص ٨٨٥).

(٢) المرجع السابق (ص: ٨٩٢).

العقوبةَ، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة[1].

- أمر سُبْحَانَهُ **بالسراح الجميل**، في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، وقال- في السورة نفسها-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]... أي: أن يفارقوهن فراقًا جميلًا من غير مخاصمة، ولا مشاتمة، ولا مطالبة، ولا غير ذلك[2].

الأثر السادس: ملازمة كل قول جميل:

وبذلك تظهر جمال اللغة وجمال الأدب، وجمال هذا الدين العظيم، وأصل هذا الباب: قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، فالشيطان ينزغ بينهم إذا كلم بعضهم بعضًا بغير التي هي أحسن، فَرُبَّ حربٍ وقودُهَا جثثٌ وهام، أهاجها القبيحُ من الكلام، وفي الصحيحين من حديث سهل بن حنيف، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي**»[3]، و«خَبُثَتْ»، و«لَقِسَتْ»، و(غَثت) متقاربة المعنىٰ؛ فكَرِهَ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لفظ (الخبث) لبشاعته، وأرشدهم إلىٰ العدول إلىٰ لفظ هو أحسن منه، وإن كان

---

(١) المرجع السابق (ص: ٤٣٤).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٧٩)، ومسلم (٢٢٥١).

بمعناه تعليمًا للأدب في المنطق، وإرشادًا إلىٰ استعمال الـحَسَن، وهجر القبيح من الأقوال، كما أرشدهم إلىٰ ذلك في الأخلاق والأفعال»[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن محاسن الفراسة:

- أن الرشيد رأىٰ في داره حزمة خيزران، فقال لوزيره الفضل بن الربيع: ما هذه؟ قال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يقل: الخيزران؛ لموافقة اسم أمه[2].

- ونظير هذا: أن بعض الخلفاء سأل ولده- وفي يده مسواك - ما جمع هذا؟ قال: محاسنك يا أمير المؤمنين[3]. وهذا من الفراسة في تحسين اللفظ، وهو باب عظيم، اعتنىٰ به الأكابر والعلماء.

- وله شواهد كثيرة في السنة، وهو من خاصية العقل والفطنة، فقد رُوِّينَا عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «أنه خرج يعس المدينة بالليل، فرأىٰ نارًا موقدة في خباء، فوقف وقال: يا أهل الضوء، وكره أن يقول: يا أهل النار»[4].

- وسأل رجلًا عن شيء: «هل كان؟ قال: لا. أطال الله بقاءك، فقال: قد علمتم فلم تتعلموا، هلا قلت: لا، وأطال الله بقاءك؟»[5].

- وسئل العباس: «أنت أكبر أم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟ فقال: هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله»[6].

---

(١) الطرق الحكمية، لابن القيم (ص: ٤٠-٤١).

(٢) المصدر السابق (ص٤٠).

(٣) المصدر السابق (ص٤٠).

(٤) المصدر السابق (ص٤٠).

(٥) المصدر السابق (ص٤٠).

(٦) المصدر السابق (ص٤٠).

- وسئل عن ذلك قَبَاثُ بنُ أَشْيَمَ؟ فقال: «رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكبر مني، وأنا أسن منه»[1].

- وكان لبعض القضاة جليس أعمىٰ، وكان إذا أراد أن ينهض يقول: يا غلام، اذهب مع أبي محمد، ولا يقول: خذ بيده، قال: والله ما أخل بها مرة»[2].

- ومن ألطف ما يحكىٰ في ذلك: «أن بعض الخلفاء سأل رجلًا عن اسمه؟ فقال: سعد، يا أمير المؤمنين، فقال: أي السعود أنت؟ قال: سعد السعود لك يا أمير المؤمنين، وسعد الذابح لأعدائك، وسعد بلع علىٰ سماطك، وسعد الأخبية لسرك، فأعجبه ذلك»[3].

الأثر السابع: التعبد للجميل بإظهار نعمته علىٰ عبده، والتجمل في اللباس والهيئة من غير إسراف ولا مخيلة، ولا بطر ولا تكبر:

الجميل يحب ظهور أثر نعمته علىٰ عبده؛ فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شُكره علىٰ نعمه، وهو جمال باطن، فيحب أن يرىٰ علىٰ عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها.

ولمحبته سُبْحَانَهُ للجمال أنزل علىٰ عباده لباسًا وزينةً تُجمِّلُ ظواهرهم، وتقوىٰ تُجمِّلُ بواطنهم، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

---

(١) المصدر السابق (ص٤٠).

(٢) المصدر السابق (ص٤٠).

(٣) المصدر السابق (ص٤٠).

وقال في أهل الجنة: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١١-١٢]، فهو سُبْحَانَهُ جمَّل وجوهَهُم بالنضرةِ، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير.

قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لنا: **إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَىٰ إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَلِبَاسَكُمْ؛ حَتَّىٰ تَكُونُوا فِي النَّاسِ كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ، فَإِنَّ الله** عَزَّ وَجَلَّ **لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ**»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله عَزَّ وَجَلَّ يحب من عبده أن يجمِّل بدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه، وتطهيره له من الأنجاس والأوساخ، والختان، وتقليم الأظفار إلىٰ غير ذلك، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة، والسلوك»[٢]، وفي الحديث: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ**»[٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيجب علىٰ كل مكلَّف أن يتجمل بالطاعات والأعمال الصالحة، ويجمِّل باطنه كما يجمل ظاهره، وذلك بتصفيته من الأوضار، كالغل والحسد والشماتة وسوء الظن إلىٰ غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة، والبدع الضالة المضلَّة، فيكون قلبه موافقًا ظاهرَه؛ ولهذا جاء في الحديث: (**وَآفَةُ الْجَمَالِ الْبَغْيُ**)[٤]، وكذلك لا يتعرض بجماله لمعصية

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٨٩٧)، واللفظ له، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٠٨٩)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٠٨٩).

(٢) الفوائد (١ / ١٨٦).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٢٢٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٨١٩)، وقال: حديث حسن، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٨١٩).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٤٣٢٦)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٢٦٨٨)، حكم الألباني: موضوع، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث:)١٣٠٢).

ربه، وهذه الآفة ربما اعترضت نعمة الجمال، فعرضتها للزوال والنقص والاضمحلال: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]»[١].

والناس في التجمل الظاهر الذي هو الملبس والهيئة علىٰ ثلاثة أضرب، بعد اتفاقهم في الجمال الباطن:

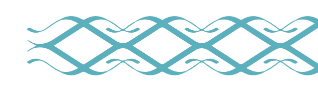
فمنهم: من حسن ثوبه، وطيب ريحه، ورجل شعره، وادهن، واكتحل، واقتصد في ذلك كله، واحتسب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ما وجد حلالًا واتسع له، استقامت قلوبهم علىٰ ذلك، وهذه طريقة الشاكرين، وقد دَرَجَ علىٰ ذلك الكثيرُ من الصحابة والتابعين.

ومنهم: من لَزِم البذاذة والشَّعث، واحتمل التَّفَث في الهيئة، إلا ما أقام به السُّنة، وإن وجد الحلال واتسع له؛ زهدًا في التنعم، وإيثارًا لِشَظَف العيش، وهذه طريقة الخائفين والمحزونين، وقد درج علىٰ ذلك كثير من الصحابة والتابعين.

ومنهم: من يتقلَّب بين هذا وهذا، وجد الحلال والاتساع فيه؛ ليعمر إلىٰ ربه الطريقتينِ، وتَسَلَّكَ في عبادته الجادتين، وهذه كانت سنة إمام المتقين وسيد المرسلين صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قد كان يلبس الـحُلَّة الحمراء- وكان أحسن شيء فيها- والثوبَ ذا العَلَم تارة، ويلبس الرداء النجراني الغليظ الحاشية، والجبَّة الشامية، ويأكل اللحم، ويجوع مرة، ويشبع أخرىٰ، ويرهن درعَه فيما يؤكَل في بيته، ومات- بأبي هو وأمي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - في كساء مُلَبَّد، وإنما كانوا يراعون في ذلك كله قوامَ قلوبهم، فإذا استقامت قلوبهم لبسوا وأخذوا من ذلك

---

(١) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٢٣٠-٢٣١).



ما استقام عليه أمرهم، مما لا يشهرهم باتِّضاع ولا بارتفاع.

وقد كان لتميم الداري حلة اشتراها بثمانية دراهم يلبسها للجُمَع والأعياد، وكان كثيرًا ما يتطيَّب لقيام الليل ويَدَّهِنُ.

وعن نافع، أن ابن عمر كساه ثوبين وهو غلام، قال: فدخل المسجد فوجده يصلي متوشحًا به في ثوب، فقال: «أَلَيْسَ لَكَ ثَوْبَانِ تَلْبَسُهُمَ؟ فَقُلْتُ: بَلَىٰ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ إِلَىٰ وَرَاءِ الدَّارِ لَكُنْتَ لَابِسَهُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لَهُ أَمِ النَّاسُ؟ قَالَ نَافِعٌ: فَقُلْتُ: بَلِ اللهُ»[1].

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا وَسَّعَ اللهُ فَأَوْسِعُوا»[2].

فهؤلاء ونظراؤهم- في أعصارهم والأعصار التي بعدهم- هم الذين علموا أن الجمال والتجمل هو الاستقامة فيما بينهم وبين ربهم عز جلاله، فعملوا لذلك وتركوا المذموم من زينة الدنيا وزخرفها، وتفاخرها وتكاثرها، سمعوا الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران: ١٤] ثم قال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ثم دل على حقيقة الزينة والحسن بقوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق، رقم الحديث: (١٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٦٥).

﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥-١٧].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الله جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ**»[١]، جوابًا لمن قال له: «إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعلُه حسنةً»، فبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مجرد فعل ذلك ومحبته لا يُدخل صاحبَه في الكبر المذموم.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن هذا الحديث الشريف مشتمل علىٰ أصلين عظيمين: فأوله معرفة، وآخره سلوك، فيُعرف الله سُبْحَانَهُ بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويُعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيحب من عبده أن يجمِّل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة، والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه، وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة والختان وتقليم الأظفار، فيعرفه بصفات بالجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة، والسلوك»[٢].

والجنة دار المتواضعين الخاشعين، لا دار المتكبرين الجبارين، سواء كانوا أغنياء أو فقراء؛ فإنه قد ثبت في الصحيح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الفوائد (ص: ١٨٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩١).

فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله يحب التَّجمل في اللباس الذي لا يحصل إلا بالغنىٰ، وأن ذلك ليس مِن الكبر.

وفي الحديث: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ** -قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ -، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: **شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»[1].

فعُلم أن من الفقراء من يكون مختالًا فلا يدخل الجنة، وأن من الأغنياء من يكون متجملًا غير متكبر؛ يحب الله جماله، مع قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ**»[2].

وعن جمال الصورة واللباس، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجمال الصورة واللباس والهيأة ثلاثة أنواع: منه: ما يُحمد، ومنه: ما يُذم، ومنه: ما لا يتعلق به مدح ولا ذم.

- **فالمحمود منه**: ما كان لله، وأعان علىٰ طاعة الله، وتنفيذ أوامره، والاستجابة له، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتجمل للوفود، وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال، ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه؛ فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه.

- **والمذموم منه**: ما كان للدنيا، والرياسة، والفخر، والخيلاء، والتوسل إلىٰ الشهوات، وأن يكون هو غاية العبد، وأقصىٰ مطلبه؛ فإن كثيرًا من النفوس ليس لها همة في سوىٰ ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٤).

• **وأما ما لا يُحمد ولا يُذم**: فهو ما خلا عن هذين القصدين، وتجرد عن الوصفين»[1].

الأثر الثامن: الرضا عن الجميل، وعن أفعاله وقضائه وقدره، فكلها تتسم بالجمال:

كلما زاد علم العبد بالله زاد رضاه عنه، وكلما قل علمه قل رضاه، فالعلم متعلق بالرضا؛ إذ الرضا من لوازم الإيمان، والسخط من لوازم الكفران، والرضا من لوازم القرب، والسخط من لوازم البعد، فالرضا بما يقدر الله عَزَّوَجَلَّ ويقضيه من صلب الإيمان، ومما يرقي العبد في درج الجنان؛ لأنه سُبْحَانَهُ لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والخير لعبده المؤمن؛ لأن كل أفعاله جميلة، وما ينشأ من الفعل الجميل إلا جميل، وهذا يثمر في قلب المؤمن الطمأنينة إلىٰ جميع أقدار الله عَزَّوَجَلَّ، وحسن الظن بالله تَعَالَىٰ، وذلك بعد الأخذ بالأسباب الشرعية لمدافعة ما يمكن مدافعته.

فمن آمن بجميل تولي الله لعبده أنزل الله علىٰ قلبه الرحمة، والسكينة التي تسعده ولو فقد كل شيء.

فاللهم إنا نسألك لذة النظر إلىٰ وجهك، والشوق إلىٰ لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم جمِّلنا بالصبر الجميل، وَزَيِّنَّا بالخلق الحسن، واهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.



(١) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٨٦).

الحَيِيُّ السِّتِّير جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: معنى (الحيي):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحياة: ضد الموت، والحيٰ: ضد الميت، والمحيا مفعل من الحياة، تقول: محيايٰ ومماتي، والجمع: المحاييٰ...، وقال أبو زيد: حييت منه أحيا: استحييت»[١].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حي) الحاء والياء والحرف المعتل، أصلان: أحدهما: خلاف الموت، والآخر: الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة، فأما الأول فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والموتان، ويسمىٰ المطر حَيًا؛ لأن به حياة الأرض، قولهم: استحييت منه استحياء، وقال أبو زيد: حَيِيتُ منه أَحْيَا، إذا استحييتَ»[٢].

ثانيًا: معنى الستير:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الستر: واحد الستور والأستار، والسترة: ما يستر به كائنًا ما كان....والستر بالفتح: مصدر سترت الشئ أستره، إذا غطيته...»[٣].

---

(١) الصحاح (٦/ ١٧٣).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢).

(٣) الصحاح (٢/ ٢٣٩)

- **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(سَتَرَ) السين والتاء والراء كلمة تدل على الغِطاء. تقول: سَتَرْتُ الشَّيء سترًا...»[1].

ورود اسمي الله (الحيي الستير) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله الحيي في القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله الحيي في القرآن الكريم.

ثانيًا: ورود اسم الله الستير في القرآن الكريم:

لم يرد اسمه سُبْحَانَهُ (الستير) في القرآن الكريم.

ورود اسم الله (الحيي الستير) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الحيي) في السنة النبوية، ومن وروده:

١- عن يعلى بن أمية: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: **إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**»[2].

٢- عن سلمان عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[3].

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٠١٢)، والنسائي، رقم الحديث: (٤٠٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٧٥٦).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٢١١)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٨٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٦٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٧٥٧).

ورد اسم الله (الستير) في السنة النبوية، ومن وروده:

حديث يعلىٰ بن أمية: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقَالَ: **إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**»[1].

ثبوت اسمي الله (الحيي والستير) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسمي الله (الحيي والستير) في حق الله تَعَالَىٰ:

❊ **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله: «حيي ستير، يحب أهل الحياء والستر»[2].

❊ **السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله: «وهو الحيي الستير، يحب أهل الحياء والستر»[3].

معنى اسم الله (الحيي الستير) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم الحيي:

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما حياء الرب تَعَالَىٰ من عبده فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم وبِر وجود وجلال؛ فإنه: **(حَيِيٌّ كريمٌ، يَسْتَحْيِي مِن عبدِهِ إذا رفعَ إليه يديه أنْ يردَّهما صفرًا)**[4]»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٠١٢)، والنسائي، رقم الحديث: (٤٠٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٧٥٦).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، (ص: ٢٣٦)

(٣) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٥٤)

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن اسمه** سُبْحَانَهُ **(الحيي)**: «هذا مأخوذ من قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إنَّ الله حييٌّ كريمٌ، يَستَحْيِي مِن عبدِهِ إذَا رَفَعَ إليهِ يديهِ أنْ يَردَّهُما صفْرًا**)[1]، وهذا من رحمته وكرمه وكماله وحلمه، أن العبد يجاهر بالمعصية مع فقره الشديد، حتىٰ أنه لا يمكنه أن يعصي إلا أن يتقوىٰ عليها بنعم ربه، والرب مع كمال غناه عن الخلق كلهم من كرمه يستحيي من هتكه، وفضيحته، وإحلال العقوبة به، فيستره بما يقيض له من أسباب الستر، ويعفو عنه، ويغفر له»[2].

❁ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]:

وهوَ الـحَيِيُّ فليسَ يَفضحُ عبدَهُ عنـدَ التَّجَاهُـرِ منـهُ بِالعصـيانِ

لكـنَّهُ يُلـقِي عليـهِ سِـتْرَهُ فهـوَ السَّـتِيْرُ وصاحِـبُ الغفـرانِ

ثانيا: معنى اسم الله (الستير):

❁ **قال البيهقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ستير، يعني: أنه ساتر يستر علىٰ عباده كثيرًا، ولا يفضحهم في المشاهد، كذلك يحب من عباده الستر علىٰ أنفسهم، واجتناب ما يشينهم»[4].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: من شأنه وإرادته حب الستر والصون»[5].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٥٤-٥٥).

(٣) النونية (ص٢٠٤) .

(٤) الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ٢٢٣).

(٥) النهاية، لابن الاثير (٢/ ١٣٤).

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله سُبْحَانَهُ ساتر ذنوب عباده بالتوبة الصادرة منهم، أو بعفوه وغَفْره لهم؛ تفضلًا منه عليهم»[1]؛ بل ويستر سُبْحَانَهُ مَن ستر المسلمين؛ ففي الحديث: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]:

وَهُوَ الْـحَيِيُّ فَلَيْسَ يَفْضَـحُ عَبْدَهُ   عِنْـدَ التَّجَاهُـرَ مِنْـهُ بِالْعِصْيَـانِ
لَكِنَّـهُ يُلْقِـي عَلَيْـهِ سِـتْرَهُ   فَهْـوَ السَّـتِيْرُ، وَصَاحِـبُ الْغُفْـرَانِ

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الحيي الستير):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الحيي الستير) من صفات الله تعالىٰ:

فالله سُبْحَانَهُ هو الحيي الستير، حياء وسترًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، فحياؤه وستره يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه سُبْحَانَهُ.

ومن مظاهر حياء الله وستره ما يلي:

- **حياؤه وستره** سُبْحَانَهُ، **مِن هتك ستر عبده المذنب في الخفاء وفضيحته، في الدنيا،** قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ:**

---

(١) الأسنىٰ، للقرطبي (١/ ١٦٧-١٦٨).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٤٤٢).

(٣) النونية (ص: ٢٠٧).

يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ»(1).

- **حياؤه وستره** سُبْحَانَهُ، **لا يقتصر علىٰ ستر عبده المذنب**، بل إنه سُبْحَانَهُ مَن كمل غناه عن خلقه، إلا أنه يهيئ أسباب التوبة له، ويتوب عليه ويغفر له ذنوبه، يقول تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

- **حياؤه** سُبْحَانَهُ **من رد دعوة الداعي له**، يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِيْ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(2).

- **حياؤه** سُبْحَانَهُ **من رد من أقبل علىٰ مجلس يذكر اسمه فيه**، عن أبي واقد الليثي: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَىٰ فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَىٰ إِلَىٰ اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»(3).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٦٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

- ستره سُبْحَانَهُ، كما يكون في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة، ففي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّىٰ يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

فالله سُبْحَانَهُ كريم عفو غفور، حليم علىٰ عباده، يسترهم ولا يفضحهم، ويتحبب لهم بجزيل النعم مع كمال وتمام غناه سُبْحَانَهُ.

الأثر الثاني: توحيد الله باسمي الله الحيي الستير:

- دلالة اسمي الحيي والستير علىٰ توحيد الألوهية والربوبية:

من آمن باسمي الله الحيي والستير؛ غلب علىٰ قلبه استشعار كمال اطلاع الله علىٰ أعمال السر والعلن، وتذكر دوام إحسان الله إليه، وقلة شكره لربه، وعلم أن هناك يومًا ينتظره سيسأل فيه عما اقترف، من آمن بذلك كله علم أنه لا إله يستحق العبادة إلا الله سُبْحَانَهُ، وأخلص التوحيد لله تَعَالَى، وأحسن في العمل والحب والخضوع والتضرع لله تَعَالَى، واستحىٰ أن يخالف أمره، أو يقترف ما نهىٰ عنه سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٩٠).

- دلالة اسمي الحيي والستير علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات الحياء لله عَزَّوَجَلَّ كما يليق بجلاله: «هو حياء الكمال، يليق بالله عَزَّوَجَلَّ وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الله حَيِيٌّ كَرِيمٌ)[1]، وقال الله تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، والله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يوصف بهذه الصفة، لكن ليس مثل المخلوقين؛ لأن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يقول في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]»[2].

فالقول في هذه الصفة كالقول في سائر صفات الرب سُبْحَانَهُ، فتثبت من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل، يقول تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فكما أن لله علمًا ليس كعلم خلقه، وبصرًا ليس كأبصارهم، وسمعًا ليس كسمعهم، فكذلك له حياء وستر ليس كحيائهم وسترهم تَعَالَىٰ وتقدس سُبْحَانَهُ، وعليه فلا يصح تأويل الحياء بالرحمة أو المغفرة أو غير ذلك.

ومن تأمل في هذين الاسمين، وجد فيهما معنىٰ اسم الله العفو والغفور والرحيم والحليم والكريم، إلىٰ غيره من أسماء الله تَعَالَىٰ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح رياض الصالحين (ص: ١٦٥٧).

الأثر الثالث: الاقتداء بحياء صفوة البشر:

فمن تأمل في سير الأنبياء والمرسلين، وجدهم أشد الناس حياء من الله؛ وفي ذلك يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: التَّعَطُّرُ، وَالنِّكَاحُ، وَالسِّوَاكُ، وَالْحَيَاءُ**»[1]، وذلك لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته، ثم يليهم الصحابة وأتباعهم من المؤمنين، ومن شواهد ذلك ما يلي:

- حياء أبينا آدم وأمِّنا حواء:

فحينما أكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، بدت لهما سوءاتهما، فأسرعا يأخذان من أوراق الجنة ليسترا عوراتهما، فتحدث القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وهذا يدل على أن الإنسان مفطور على الحياء، وأما قلة الحياء فهي منافية للفطرة، بل من اتِّباع الشَّيطان.

- حياء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فكان عَلَيْهِ السَّلَامُ حييًّا ستيرًا يغتسل بناحية من قومه، ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مُوسَىٰ كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَىٰ مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَىٰ...**» الحديث[2].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٠٦٥)، والترمذي، رقم الحديث: (١٠٨٠)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٠٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٣٩).

- حياء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فقد كان أشد الخلق حياءً من الله تَعَالَى، ففي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»[1].

- حياء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كنت أدخل بيتي، الذي دُفِنَ فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي، فأضع ثوبي، فأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دُفن عمر معهم، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي؛ حَيَاءً من عمر»[2].

- حياء فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قَدْ مَرِضَتْ فَاطِمَةُ مَرَضًا شَدِيدًا، فَقَالَتْ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: أَلَا تَرَيْنَ إِلَىٰ مَا بَلَغْتُ أُحْمَلُ عَلَىٰ السَّرِيرِ ظَاهِرًا؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: أَلَا لَعَمْرِي، وَلَكِنْ أَصْنَعُ لَكِ نَعْشًا كَمَا رَأَيْتُ يُصْنَعُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، قَالَتْ: فَأَرِينِيهِ، قَالَ: فَأَرْسَلَتْ أَسْمَاءُ إِلَىٰ جَرَائِدَ رَطْبَةٍ، فَقُطِعَتْ مِنَ الْأَسْوَافِ، وَجُعِلَتْ عَلَىٰ السَّرِيرِ نَعْشًا، وَهُوَ أَوَّلُ مَا كَانَ النَّعْشُ، فَتَبَسَّمَتْ فَاطِمَةُ، وَمَا رَأَيْتُهَا مُتَبَسِّمَةً بَعْدَ أَبِيهَا إِلَّا يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ حَمَلْنَاهَا وَدَفَنَّاهَا لَيْلًا»[3]، فكانت تستحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الظهور مجللة علىٰ سرير أمام الرجال في حال وفاتها!

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦١٠٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٢٠)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٥٦٦٠)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (١٧٧١).

(٣) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (٤٧٩١).

- حياء المرأة مع نبي الله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

قال تَعَالَى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

وقد أثنىٰ الله علىٰ مشيتها، فقال: ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ مشيةَ الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة، حين تلقىٰ الرجال ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ في غير ما تَبَذُّل ولا تبرُّجٍ، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا يدل علىٰ كرم عنصرها، وخلقها الحسن؛ فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصًا في النساء»[1]، وقد جاءته لِتُنْهِيَ إليه دعوةً في أقصَر لفظ، وأخصرِه، وأدلِّه، يحكيه القرآن بقوله: ﴿إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

- حياء المرأة التي تُصرَع:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَع، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: **إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»[2].

حدثنا محمد، أخبرنا مخلد عن ابن جريج، أخبرني عطاء: «أَنَّهُ رَأَىٰ أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ عَلَىٰ سِتْرِ الْكَعْبَةِ»[3].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦١٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٥٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٥٢).

وحكي عن بعض السلف: «خَفِ الله علىٰ قدر قدرته عليك، واستَحِ منه علىٰ قدر قربه منك»، وقد يتولد الحياء من الله من مطالعة النعم، فيستحيي العبد من الله أن يستعين بنعمته علىٰ معاصيه، فهذا كله من أعلىٰ خصال الإيمان[1].

الأثر الرابع: محبة الحيي الستير:

الإيمان باسمي الله الحيي الستير يورث في القلب محبة الله، وذلك بما يقتضيه معناهما من الحلم، والكرم، والعفو، والحياء، والستر منه سُبْحَانَهُ علىٰ عباده، وحق لمن هذه صفاته أن يجرد له الحب كله، والإخلاص، والتعظيم، والحمد والثناء، واللهج بشكره والتقرب إليه بطاعته.

الأثر الخامس: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»(٢):

فالله سُبْحَانَهُ يكره من عبده إذا ابتلي بمعصية أن يذيعها ويشهرها، بل يدعوه إلىٰ أن يتوب إلىٰ الله منها، وسترُ الله مسبولٌ عليه، وعليه أن لا يُظهِرَها لأحد من الناس.

وقد جاءت السُّنَّة بالنهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، فالمجاهر بالمعاصي لا يعافىٰ منها أو من عقوبتها، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**»[3].

---

(١) فتح الباري، لابن رجب (١/ ٩٦).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٦٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٠).

(٣) سبق تخريجه.

وفي معنىٰ قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مُعَافًىٰ إِلَّا المُجَاهِرِينَ**» **قولان:**

الأول: «**مُعَافَىٰ**» بضم الميم وفتح الفاء، مقصورًا اسم مفعول من العافية، أي: يعفىٰ عن ذنبهم، ولا يؤاخذون به «**إِلَّا المُجَاهِرُينَ**» بكسر الهاء إلا المعلنون بالفسق؛ لاستخفافهم بحق الله تَعَالَىٰ ورسوله وصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد، فارتكاب المعصية مع سترها أهون وأخف من المجاهرة بها؛ لأن المعصية مع الستر تقبل العفو الإلهي، أما مع المجاهرة فإنه لا يعفىٰ عنها.

ثانيًا: قال الطيبي رَحِمَهُٱللَّهُ: والأظهر أن يقال المعنىٰ: كل أمتي يتركون في الغيبة إلا المجاهرين، والعفو بمعنىٰ الترك، ومعنىٰ «**مُعَافًىٰ**»، أي: يترك من ألسنة الناس، فلا يغتابونه[1].

«سئل الشيخ ابن عثيمين: هل يجوز لمن ارتكب ذنبًا وستر الله عليه أن يخبر به غيره؟ قال: لا يجوز لمن ارتكب ذنبًا، وتاب منه، أن يخبر به غيره؛ لأن هذا من كشف ستر الله عَزَّوَجَلَّ، وهو من خلاف العافية، وجاء في الحديث: (**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا المُجَاهِرِينَ**)، وهم الذين يذنبون فيحدثون بما فعلوه، نعم لو كان الذنب له حد وعقوبة، وأراد الإنسان أن يخبر به ولي الأمر ليطهره من هذا الذنب، وهذه العقوبة، فهذا لا حرج فيه، وإن كان الأولىٰ أن يتستر بستر الله، أما لو كان الذنب ليس هكذا فلا يجوز للإنسان أن يتحدث به أمام الناس؛ لما في ذلك من ظلم نفسه وفتح باب التهاون به عند غيره»[2].

---

(١) ينظر: شرح المشكاة، للطيبي، (١٠/ ٣١١٩)، وفتح الباري (١٠/ ٤٧٨).

(٢) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب، للعثيمين (٢٤/ ٢).

أما في الجمع بين هذا حديث: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ**»[1]، وحديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا ؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُم، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»[2].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هناك فرق بين المعصية التي تأتي مع الانكسار، والمعصية التي تأتي بغير انكسار، بين شخص يعصي الله في ستر، وبين شخص عنده جرأة على الله عَزَّوَجَلَّ، فصارت حسناته في العلانية أشبه بالرياء، وإن كانت أمثال الجبال، فإذا كان بين الصالحين أَحْسَنَ أيما إحسانٍ؛ لأنه يرجو الناس ولا يرجو الله، فيأتي بحسنات كأمثال الجبال، فظاهرها حسنات، لكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها، فهم في السر لا يرجون لله وقارًا، ولا يخافون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بخلاف من يفعل المعصية في السر وقلبه منكسر، ويكره هذه المعصية، ويمقتها ويرزقه الله الندم، فالشخص الذي يفعل المعصية في السر، وعنده الندم والحرقة ويتألم، فهذا ليس ممن ينتهك محارم الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه- في الأصل- معظِّم لشعائر الله، لكن غلبته شهوته فينكسر لها، أما الآخر فيتسم بالوقاحة والجرأة على الله؛ لأن الشرع لا يتحدث عن شخص أو شخصين، ولا يتحدث عن نص محدد، إنما يعطي الأوصاف كاملة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٥) حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٠٢٨).

من الناس من إذا خلا بالمعصية خلا بها جريئًا علىٰ الله، ومنهم من يخلو بالمعصية وهو تحت قهر الشهوة وسلطان الشهوة، ولو أنه أمعن النظر وتريث، ربما غلب إيمانُه شهوته وحال بينه وبين المعصية، لكن الشهوة أعمته، والشهوة قد تعمي وتصم، فلا يسمع نصيحة ولا يرعوي، فيهجم علىٰ المعصية فيستزله الشيطان، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، فإذا حصل الاستزلال من الشيطان، فزلت قدم العبد، لكن في قرارة قلبه الاعتراف بالمعصية، والله يعلم أنه لما وقع في المعصية أنه نادم، وأنه كاره لها، حتىٰ إن بعضهم يفعل المعصية وهو في قرارة قلبه يتمنىٰ أنه مات قبل أن يفعلها، فهذا معظم لله عَزَّوَجَلَّ، ولكنه لم يرزق من الإيمان ما يحول بينه وبين المعصية»(١).

ولذا فعلىٰ المؤمن أن يستتر بستر الله، وأن يجتنب الذنوب ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ عورته، ويصون عرضه، ويجتنب أبواب الرذائل ودروب الفساد، ويقبل علىٰ الله تائبًا منيبًا، داعيًا ربه بالستر والعفو والقبول، ومن هنا كان من أذكار الصباح والمساء الدعاء بالستر، فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: **إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»(٢).

---

(١) شرح زاد المستقنع، للشنقيطي (٣٣٢/ ١٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٨٧٧)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٧٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٧١)، حكم الألباني: صحيح، تخريج الكلم الطيب، رقم الحديث: (٢٧).

الأثر السادس: مَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة:

من آمن بأن الله سُبْحَانَهُ رحيم يحب الرحماء، وستير يحب من يستر علىٰ عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، ويجازي عباده بحسب هذه الصفات فيهم وجودًا وعدمًا، فمن سترهم سَتَرَه، ومن صفح عنهم صَفَحَ عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، فمن عامل خلقه بصفة عامله الله تَعَالَى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تَعَالَى لعبده علىٰ حسب ما يكون العبد لخلقه[1]، وجاء في الحديث: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»[2].

وليس من سمات المسلم أن يشهِّر بإخوانه، ويتتبَّع عثراتهم، ويتصيد أخطاءهم، ويفضح مستورهم، ويكشف مكنونهم، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم المتخلقين بهذا الخلق، والملتزمين بهذا الأدب، والأحاديث بذلك كثيرة، فقد جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ: **وَيْحَكِ! ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ**، فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: **وَمَا ذَاكِ**؟ قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَا، فَقَالَ: **آنْتِ**؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: **حَتَّىٰ تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ**، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّىٰ وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَ: **إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا، لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ**، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا)[3].

---

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم (ص: ٤٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٩٥).



وجاء في الحديث: «جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ انْصَرَفَ، وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ، فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟** قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَال: **ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟** فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ -أَوْ قَالَ ذَنْبَكَ-**»[1].

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النصيحة العامة لا يذكر الناس بأعيانهم، بل يعمها بقوله: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ**»[2] يفعلون كذا...

وما أحسن تبويب البخاري لمثل هذا الخبر بقوله: «بَابُ: مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالْعِتَابِ»![3].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ معلقًا: «هذا العتاب وإن كان خطب به، فلم يعين من أراد به، ولا يقرعه من بين الناس، وكل ما جرىٰ هذا المجرىٰ من عتاب يعم الكل ولا يقصد به أحدًا بعينه، فهو رفق بمن عنىٰ به وستر له، كما أراد عمر بن الخطاب- حين أمر الناس كلهم بالوضوء يوم الجمعة، وهو يخطب- من

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٦٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٥٦)، ومسلم، رقم الحديث: (١٥٠٤).

(٣) صحيح البخاري (٨/ ٢٦).

أجل الرجل الذي أحدث بين يديه؛ للستر له والرفق به، وليس ذلك بمنزلة أمره له بالوضوء من بينهم وحده في الستر له لو فعل ذلك»[1].

وقد نهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وسلف الأمة العظماء هذا النهج الأكمل والخلق الأجمل، كما ذكر طرفًا من ذلك ابن بطال في نصه السالف، فهذا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «لو أخذت سارقًا لأحببت أن يستره الله، ولو أخذت شاربًا لأحببت أن يستره الله عَزَّ وَجَلَّ»[2].

وبلغ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أحد قوَّاده علىٰ جيش من الجيوش قال لمن معه: إِنَّكُمْ نَزَلْتُمْ أَرْضًا فِيهَا نِسَاءٌ وَشَرَابٌ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْكُمْ حَدًّا، فَلْيَأْتِنَا حَتَّىٰ نُطَهِّرَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «لَا أُمَّ لَكَ تَأْمُرُ قَوْمًا سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَهْتِكُوا سِتْرَ اللهِ عَلَيْهِمْ»[3].

وهذه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تعبر عن معنىٰ الستر تعبيرًا موجزًا رائعًا بديعًا يأخذ بالألباب، تقول: «يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَعْجِزُ إِحْدَاكُنَّ إِذَا أَذْنَبَتْ فَسَتَرَ اللهُ عَلَيْهَا أَنْ تَسْتُرَهُ عَلَىٰ نَفْسِهَا فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُونَ وَلَا يُغَيِّرُونَ، وَإِنَّ اللهَ يُغَيِّرُ وَلَا يُعَيِّرُ»[4].

ومن الستر علىٰ عباد الله: النهي عن تتبع عوراتهم، وتوعد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، ففي الحديث: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا**

---

(١) شرح ابن بطال لصحيح البخاري (٩/ ٢٨٦).

(٢) مكارم الأخلاق، للخرائطي، رقم الحديث: (٥٣٨).

(٣) أخرجه وكيع في الزهد، رقم الحديث: (٤٥٥)، وهناد في الزهد (٢/ ٦٤٦).

(٤) أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده، رقم الحديث: (١٦٦٠).

تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[1]، ويقول تَعَالَى أيضًا: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور: ١٩]، فَمَنِ استتر بستر الله عليه، فلا يجوز فضحُهُ، وكشفُ سترِ الله عليه.

الأثر السابع: العناية بستر العورات:

أمر الله عَزَّوَجَلَّ بني آدم بستر العورات، وأخبر في كتابه أن كشفها من عمل الشيطان الذي ينزع عن الإنسان لباسه، فحذرنا الله منه، فقال تَعَالَى: ﴿ **يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وأكد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الاعتناء بالستر، والنهي عن التعري، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا تَمْشُوا عُرَاةً**»[2]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**»[3]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ قَوْمٌ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، قَالَ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ خَالِيًا؟ قَالَ: فَاللهُ**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٩٧٧٦) وأبو داود، رقم الحديث: (٤٨٨٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٧٩٨١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٤١).

(٣) سبق تخريجه.

أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَىٰ مِنْهُ)[1]، قال السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: فاستر طاعة له وطلبًا لما يحبه منك ويرضيه، وليس المراد، فاستتر منه، إذ لا يمكن الاستتار منه جل ذكره وثناؤه، والله تَعَالَىٰ أعلم» [2] وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْفَخِذَ عَوْرَةٌ»**[3].

الأثر الثامن: الحياء من الله عَزَّوَجَلَّ الحيي الستير:

فأعظم الحياء وأوجبه هو الحياء من الله سُبْحَانَهُ، الذي يمن بنعمة الليل والنهار، ويعلم تقصير عبده ويستره.

ويبيِّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **معنىٰ الحياء الحق** في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَىٰ، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَىٰ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَىٰ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»**[4].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يدخل فيه: حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظ البطن وما حوىٰ يتضمن حفظ القلب عن الإصرار

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٠٣٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٠١٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٧٦٩)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٧٠٦).

(٢) فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٤/ ٨٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦١٧٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٠١٤)، حكم الألباني: ضعيف، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٣١١٢).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٧٢٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٥٨)، حكم الألباني: ضعيف، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (١٦٠٨).

علىٰ ما حرَّم الله، ويتضمن- أيضًا- حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عَزَّوَجَلَّ: اللسان والفرج»[1].

وفي الملحق الآتي ما يعين- بإذن الله- علىٰ تحقيق هذه الخلة العظيمة والمنزلة الكريمة.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، اللهم احفظنا من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهم اغفر ذنوبنا وزلاتنا، واختم بالصالحات أعمالنا وأعمارنا.



(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٤٦٤).

«حيي ستير، يحب الحياء والستر»

في موضوع الحياء سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: المقصود بالحياء:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحياء خُلق يبعث علىٰ اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومقام الحياء جامع لمقام المعرفة والمراقبة»[2].

ثانيًا: فضل الحياء:

ورد في فضل الحياء أدلة وشواهد كثيرة، منها:

أن الحياء علامة الإيمان، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمانُ بِضْعٌ[3] وَسِتُّونَ شُعْبَةً [4]، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ**»[5]، وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١/ ٥٢).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ١٥٧).

(٣) البضع: العدد من ثلاثة إلىٰ تسعة.

(٤) الشعبة: الخصلة.

(٥) سبق تخريجه.

دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»[1].

١- **الحياء خُلق الإسلام**، وكان أخصَّ أوصاف رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الحديث الصحيح: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ**»[2]، ولقد ضرب رسول الله المثل الأعلىٰ فيه، فقد كان أرقَّ الناس طبعًا، وأنبلهم سيرة، وأعمقهم شعورًا بالواجب، ونفورًا من الحرام، وأشدهم حياء، وعن أبي سَعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياءً من العذراء في خِدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه»[3].

٢- **الحياء مفتاح كل خير**، يقول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[4]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحياء أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه»[5].

٣- **الحياء مغلاق لكل شر**، يقول رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»[6].

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه: أن مما بقي فأدركوه من كلام الأنبياء المتقدمين: أن الحياء هو المانع من اقتراف القبائح والاشتغال

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٨١)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٩٤٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٧).

(٥) الداء والدواء، لابن القيم (ص: ٩٦).

(٦) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٨٤).

بمنهيات الشرع ومستهجنات العقل، وذلك أمر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت الشرائع والعقول علىٰ حسنه، وما هذه صفته لم يجر عليه النسخ والتبديل»[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو مِن أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، وصورتهم الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء»[2].

٤- **من أعظم أسباب دخول الجنة**، ففي الحديث الصحيح: «**الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ**»[3].

٥- **ذهاب الحياء أمارة النفاق**؛ فعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ**»[4].

٦- **الدين كله قائم علىٰ الحياء**، عن قرة بن إياس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذُكر عنده الحياء، فقالوا: يا رسول الله الحياء من الدين؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ**، ثم قال رسول الله

---

(١) فيض القدير (١/ ٤٣).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٢٧٧- ٢٧٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٠٦٦١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠٠٩)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٨٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣١٩٩).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٧٤٣)، واللفظ له، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠٢٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٢٠١).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعَفَافَ وَالْعِيَّ، عِيَّ اللِّسَانِ لا عِيَّ الْقَلْبِ وَالْعَمَلِ، مِنَ الإِيمَانِ، وَإِنَّهُنَّ يُزِدْنَ فِي الآخِرَةِ وَيُنْقِصْنَ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا يُزِدْنَ فِي الآخِرَةِ أَكْثَرُ مِمَّا يُنْقِصْنَ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الشُّحَّ وَالْفُحْشَ وَالْبَذَاءَ مِنَ النِّفَاقِ، وَإِنَّهُنَّ يَزِدْنَ فِي الدُّنْيَا، وَيُنْقِصْنَ مِنَ الآخِرَةِ، وَمَا يُنْقِصْنَ مِنَ الآخِرَةِ أَكْثَرُ مِمَّا يَزِدْنَ فِي الدُّنْيَا»[1].

٧- الحياء من مفاتيح الزينة والبهاء، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ، وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ»[2].

ثالثًا: أقسام الحياء:

قسَّم العلماء الحياء باعتبارات مختلفة، قسموه باعتبار أصله، وباعتبار نوعه، وباعتبار المستَحَىٰ منه.

أولًا: تقسيم الحياء من حيث الأصل إلىٰ قسمين:

١- حياء فطري غريزي، وهو من أجلِّ الأخلاق التي يمنحها الله للعبد، ويجبله عليها، ومن هذا الحياء: حياء البكر التي جعل النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذنـها صَمْتَهَا، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ سَوْأَةِ بَعْض، وَكَانَ مُوسَىٰ

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٧٣١٣)، وأبو نعيم في الحلية، (٣/ ١٢٥)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٦٣)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٥٣٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٨٨٦)، والترمذي، رقم الحديث: (١٩٧٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٨٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٠١).

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَىٰ أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ، قَالَ: فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَىٰ حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، قَالَ: فَجَمَحَ مُوسَىٰ بِإِثْرِهِ، يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّىٰ نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ سَوْأَةِ مُوسَىٰ، قَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَىٰ مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ حَتَّىٰ نُظِرَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبُ مُوسَىٰ بِالْحَجَرِ، ونزل قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]»[١].

٢- حياء مكتسب، ويكتسب الإنسان الحياء بقدر معرفته بالله، وقربه منه، وإيمانه باطلاع الله علىٰ خائنة العين وما يخفي الصدر، وحُكي عن بعض السلف: «خَفِ اللهَ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيِ مِنَ اللهِ فِي قُرْبِهِ مِنْكَ»[٢].

ثانيًا: تقسيم الحياء من حيث النوع:

قسمه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى عشرة أقسام:

١- **حياء الجناية**: فمنه حياء آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما فرَّ هاربًا في الجنة، قال الله تَعَالَىٰ: «**يَا آدَمُ فِرَارًا مِنِّي؟ قَالَ: بَلْ حَيَاءً مِنْكَ سَيِّدِي**»[٣].

٢- **حياء التقصير**: كحياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٠٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٣٣٩).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الهواتف، رقم الحديث: (٢٣).

(٣) أخرجه ابن ابي الدنيا في الرقة والبكاء، رقم الحديث: (٣٢٨).

٣- **حياء الإجلال**: وهو حياء المعرفة، وعلىٰ حسب معرفته بربه يكون حياؤه منه.

٤- **حياء الكرم**: كحياء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القوم الذين دعاهم إلىٰ وليمة زينب، وطوَّلوا الجلوس عنده، فقام واستحىٰ أن يقول لهم: انصرفوا[(١)].

٥- **حياء الحشمة**: كحياء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المذي؛ لمكان ابنته منه[(٢)].

٦- **حياء الاستحقار**، واستصغار النفس: كحياء العبد من ربه عَزَّ وَجَلَّ حين يسأله حوائجه، احتقارًا لشأن نفسه، واستصغارًا لها، وقد يكون لهذا النوع سببان:

أحدهما: استحقار السائل نفسه، واستعظام ذنوبه وخطاياه.

الثاني: استعظام مسئوله، وهو المولىٰ عَزَّ وَجَلَّ.

٧- **حياء المحبة**: فهو حياء المحب من محبوبه، حتىٰ إنه إذا خطر علىٰ قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه، وأحسَّ به في وجهه ولا يُدْرَىٰ ما سببه.

٨- **حياء العبودية**: فهو حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدرَه أعلىٰ وأجلُّ منها، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

٩- **حياء الشرف والعزة**: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان، فإنه يستحيي مع بذله حياء شرف نفس وعزة.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥١٦٣)، ومسلم، رقم الحديث:(١٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٦٩)، ومسلم، رقم الحديث:(٣٠٣).

١٠- **حياء المرء من نفسه:** فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدون، فيجد نفسه مستحييًا من نفسه، حتىٰ كأن له نفسين، يستحيي بإحداهما من الأخرىٰ، وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإن العبد إذا استحىٰ من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر[١].

ثالثًا: تقسيم الحياء باعتبار المستحيَىٰ منه:

١- الحياء من الله:

إن أعظم أنواع الحياء علىٰ الإطلاق وأرفعها وأجلها: هو الحياء من الله تَعَالَىٰ، يقول تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، ويقول أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

والحياء من الله يكون باتباع أوامر الله، واجتناب نواهيه، ومراقبة الله في السر والعلن، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **كَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ**»[٢] وهذا الحياء يسمىٰ حياء العبودية الذي يصل بصاحبه إلىٰ أعلىٰ مراتب الدين، وهي مرتبة الإحسان الذي يُحس فيها العبد دائمًا بنظر الله إليه، وأنه يراه في كل حركاته وسكناته، فيتزين لربه بالطاعات، وهذا الحياء يجعله دائمًا يشعر بأن عبوديته قاصرة حقيرة أمام ربه؛ لأنه يعلم أن قدر ربه أعلىٰ وأجلُّ.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد، رقم الحديث: (٢٤٨)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٥٥٣٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٥٤١).

ومن أنواع الحياء من الله: الحياء من نظر الله إليه في حالة لا تليق؛ كالتعري، كما في حديث بهز بن حكيم قال: حدثني أبي عن جدي، قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَوْرَاتُنَا، مَا نَأْتِي مِنْهَا، وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: **احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**، **قَالَ**: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ **قَالَ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا**، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ **قَالَ: اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَىٰ مِنْهُ مِنَ النَّاسِ**»[1].

ولذلك عقد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا سماه: «بَابٌ: مَنِ اغْتَسَلَ عُرْيَانًا وَحْدَهُ فِي الْخَلْوَةِ وَمَنْ تَسَتَّرَ فَالتَّسَتُّرُ أَفْضَلُ»[2].

٢- الحياء من الملائكة:

من المعلوم أن الله قد جعل فينا ملائكةً يتعاقبون علينا بالليل والنهار... وهناك ملائكة يصاحبون أهل الطاعات مثل: الخارج في طلب العلم، والمجتمعين علىٰ مجالس الذكر، والزائر للمريض، وملائكة لا يفارقوننا، وهم الحفظة والكتبة.

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الأنفطار: ١٠-١١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨].

والحياء من الملائكة يكون بالبعد عن المعاصي والقبائح وإكرامهم عن مجالس الخنا، وأقوال السوء، والأفعال المذمومة المستقبحة، قال

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٠١٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٧٦٩)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٩٢٠)، حكم الألباني: حسن، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٣١١٧).

(٢) صحيح البخاري، (١/ ٦٤).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ، فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ، وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ»[1].

٣- الحياء من الناس:

وهذا النوع من الحياء هو أساس مكارم الأخلاق، ومنبع كل فضيلة؛ لأنه يترتب عليه القول الطيب، والفعل الحسن، وكل خلق حسن، والحياء من الناس قسمان:

١- قسم صاحبه يستحي من الناس؛ بأن لا يأتي هذا المنكر والفعل القبيح؛ خوفًا من الله تَعَالَىٰ أولًا، ثم اتقاءَ ملامة الناس وذمهم ثانيًا، فهذا يأخذ أجر حيائه كاملًا؛ لأنه استكمل الحياء من جميع جهاته؛ إذ ترتب عليه الكف عن القبائح التي لا يرضاها الدين والشرع ويذمه عليها الخَلق.

٢- قسم يترك القبائح والرذائل حياءً من الناس، وإذا خلا من الناس لا يتحرَّج من فعلها، وهذا النوع من الناس عنده حياء، ولكنه حياء ناقص ضعيف، يحتاج إلىٰ علاج وتذكير بعظمة ربه وجلاله، وأنه أحقُّ أن يُستحيا منه؛ لأنه القادر المطَّلع الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فكيف يليق به أن يأكل من رزقه ويعصيه، ويعيش في أرضه وملكوته ولا يطيعه، ويستعمل عطاياه فيما لا يرضيه.

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٨٠٠)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢١٩٤).

وعلىٰ ذلك فإن هذا العبد لا يليق به أن يستحي من الناس الذين لا يملكون له ضرًّا ولا نفعًا، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ثم لا يستحي من الله الرقيب عليه، المتفضل عليه، الذي ليس له غناء عنه.

أما الذي يجاهر بالمعاصي، ولا يستحي من الله، ولا من الناس؛ فهذا من شر ما مُنِيَتْ به الفضيلة، وانتُهكت به العفة؛ لأن المعاصي داء سريع الانتقال، لا يلبث أن يسري في النفوس الضعيفة، فيعم شر معصية المجاهر ويتفاقم خطبها، فشره علىٰ نفسه وعلىٰ الناس عظيم، وخطره علىٰ الفضائل كبير.

٤- الحياء من النفس:

وهو حياء النفوس العزيزة من أن ترضىٰ لنفسها بالنقص أو تقنع بالدون.

ويكون هذا الحياء بالعفة، وصيانة الخلوات، وحسن السريرة، فيجد العبد المؤمن نفسه تستحي من نفسه، حتىٰ كأنَّ له نَفْسَينِ تستحي إحداهما من الأخرىٰ، وهذا أكمل ما يكون من الحياء؛ فإن العبد إذا استحىٰ من نفسه فهو بأن يستحي من غيره أجدرُ.

فكما أن هناك نفسًا أمارة بالسوء تأمر صاحبها بالقبائح، قال تَعَالَى علىٰ لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣]، فهناك النفس الأخرىٰ الأمارة بالخير، الناهية عن القبائح وهي النفس المطمئنة، قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وليس من الحياء الإخلال بالحقوق والواجبات الشرعية، ومن فعل الخير والدعوة إلىٰ الله وطلب العلم والتفقه في الدين، فلا يصح الحياء في طلب العلم ولا في السؤال عما يشكل علىٰ المؤمن في أمر دينه خاصة.

وقد كانت أم سليم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا تسأل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في مسائل دقيقة من أحكام النساء وتستفتح سؤالها بقولها: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ»[1]، وفي ذلك يقول مجاهد أيضًا: «لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ»[2]، وقالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»[3].

رابعًا: تحقيق مرتبة الحياء من الله تَعَالَىٰ:

لا بد للعبد - ليكون من أهل الحياء - أن يستحضر عدة أمور، ويستشعرها، ويحرص أن لا تغيب عن ذهنه، ومنها:

١ - **الدعاء**: وهو سلاح المؤمن، فيلجأ إلىٰ ربه؛ ليرزقه الحياء، ويصرف عنه سيء الأخلاق، وقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول في دعاء الاستفتاح: «**وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»[4]، وكان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث:(٦٠٩١)، ومسلم، رقم الحديث: (٣١٣).

(٢) صحيح البخاري، (١/ ٣٨).

(٣) صحيح البخاري، (١/ ٣٨).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ»[1]، ولا ريب أن الحياء من الأخلاق الحسنة.

٢- **مراقبة الله** تَعَالَى **في السر والعلن**: ومن ثَمَّ فيقوىٰ الإيمان في القلب بزيادة الطاعات واجتناب المنكرات، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الله عَزَّوَجَلَّ: «فإن العبد متىٰ علم بنظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأىٰ منه ومسمع- وكان حيًّا حَيِيًّا- استحىٰ من ربه أن يتعرض لمساخطه»[2].

٣- **العلم بالله** عَزَّوَجَلَّ: وذلك من خلال التفقه في أسمائه وصفاته التي تستوجب مراقبته كالرقيب والشهيد والعليم والسميع والبصير...

٤- **معرفة أهمية الخلق في الإسلام، والتأمل في الآثار المترتبة عليها:** ومن ذلك الحياء خاصة، والأخلاق الحسنة بعامة؛ فإن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها؛ من دواعي فعلها، وتمثلها، والسعي إليها.

٥- **الحذر من اليأس من إصلاح النفس**: فهناك من إذا ابتلىٰ بشيء مما يُسيء الأخلاق، وحاول التخلص منه فلم يفلح أيس من إصلاح نفسه، وترك المجاهدة، وهذا الأمر لا يَحْسُن بالمؤمن القوي، بل ينبغي عليه أن يقوي إرادته، وأن يسعىٰ لتكميل نفسه، وأن يجُدَّ في تلافي عيوبه.

٦- **مخالطة الصالحين، والتخلق بأخلاقهم**: قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ المسلم لو لم يُصبْ من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه»، والمرء فطرةً مولعٌ بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه، فمجالس

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٩١)، وابن حبان، رقم الحديث: (٩٦٠)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٢٤٧١).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٧٠).

الأخيار تقوي الحياء المكتسب وتنميه، أما مجالسة الأرذال، فإنها تحول بين العبد وبين اكتساب الحياء.

٧- **مطالعة سير أهل الفضل والحلم**، والنظر في تراجمهم عامةً مما يُحرك العزيمة علىٰ اكتساب المعالي، ومكارم الأخلاق؛ ذلك أنَّ حياتهم توحي إلىٰ القارئ بالاقتداء بهم، والسير علىٰ منوالهم.

فاللهم إنا نسألك أن ترزقنا مِن خشيتك والحياء منك، ما يحول بيننا وبين معصيتك!



الرفيقُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرفق: ضد العنف، وقد رفق به يرفق، وحكىٰ أبو زيد: رفقت به وأرفقته بمعنىٰ، وكذلك ترفقت به، ويقال أيضًا: أرفقته، أي نفعته»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الراء والفاء والقاف أصل واحد يدل علىٰ موافقة مقاربة بلا عنف، فالرفق: خلاف العنف؛ يقال: رفقت أرفق، وفي الحديث: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**[2]»[3].

ورود اسم الله (الرفيق) في القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله (الرفيق) في القرآن الكريم.

ورود اسم الله (الرفيق) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الرفيق) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: **يَا**

(١) الصحاح في اللغة (٤/ ١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٢٤)، ومسلم، رقم الحديث:(٢١٦٥).

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٤١٨).

عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»[1].

٢- وعن عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ»[2].

ثبوت اسم الله (الرفيق) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله (الرفيق) في حق الله تَعَالَىٰ:

❋ **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله: «وتعبده باسمه البر، اللطيف، المحسن، الرفيق، فإنه رفيق يحب الرفق»[3].

❋ **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[4].

معنى اسم الله (الرفيق):

❋ **قال الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ)**[5]، أي: «ليس بعجول، وإنما يعجل من يخاف الفوت، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها»[6].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٩٢٧)، واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٩٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٩٣).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ٢٧٠).

(٤) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، لابن عثيمين (ص: ١٥).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) النهج الأسمىٰ، للنجدي (٣/ ١٠).

❊ **قال الزرقاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ**)[1]، أي: لطيف بعباده، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فيكلفهم فوق طاقتهم، بل يسامحهم ويلطف بهم»[2].

❊ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالله تَعَالَى رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا، بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر علىٰ خلقها دفعة واحدة، وفي لحظة واحدة، ومَن تدبَّر المخلوقات وتدبَّر الشرائع كيف يأتي بها شيئًا بعد شيء، شاهَدَ من ذلك العجبَ العجيبَ»[3].

❊ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُوَ الرَّفِيْقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرِّفْقِ يُعْـ
ـطِيهِمْ بِالرِّفْقِ فَوْقَ أَمَانِ[4]

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الرفيق):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الرفيق) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الرفيق سُبْحَانَهُ هو اللطيف بعباده، القريب منهم، يغفر ذنوبهم ويستر عيوبهم، وهو الذي تكفل بهم من غير عوض أو حاجة، يسَّر أسبابهم، وقدَّر أرزاقهم، وهداهم لما يصلحهم، فنعمته عليهم سابغة، وحكمته فيهم بالغة،

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح الزرقاني علىٰ موطأ مالك (٤/ ٦٢٤).

(٣) الحق الواضح المبين (ص: ٦٣).

(٤) النونية، لابن القيم (ص: ٢٠٨).

يحب عباده الموحدين، ويتقبل أعمالهم، ويقربهم وينصرهم علىٰ عدوهم، ويعاملهم بلطف وعطف ورحمة وإحسان، ويدعو من خالفه إلىٰ التفكر والتذكر والتوبة والإيمان، فهو الرفيق المحسن في خفاء وستر، يتابع عباده في حركاتهم وسكناتهم، ويتولاهم في حلهم وترحالهم بمعية عامة وخاصة، العالم بخفايا أمورهم، والخبير ببواطن شؤونهم، تعددت مظاهر رفقه وإحسانه في خلقه، ومن ذلك:

- رفقه سُبْحَانَهُ في أفعاله:

الرفيق سُبْحَانَهُ خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئًا فشيئًا، بحسب حكمته ورفقه، مع قدرته علىٰ خلقها دفعة واحدة، وفي لحظة واحدة، ومن ذلك:

- **خلق السموات والأرض في ستة أيام**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

- **خلق الإنسان مراحل من نطفة حتىٰ اكتمل الخلق**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الحج: ٥].

فخلق الله قائم علىٰ التدرج، وهذا دليل علىٰ رفق الله وحكمته وعلمه ولطفه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرفوا ذلك وبينّوه للناس، وعرفوا أنَّ حدوث الحوادث اليومية المشهودة تدل علىٰ أن العالم مخلوق، وأن له ربًّا خلقه ويحدث فيه الحوادث»[1]، وكان سُبْحَانَهُ قادرًا علىٰ خلق الحوادث كلها في وقت واحد وهيئة واحدة، لكنه الرفيق الذي لا يعجل سُبْحَانَهُ.

رفقه سُبْحَانَهُ في أحكامه:

فالله سُبْحَانَهُ لا يكلف عباده إلا بما يطيقون، فأوامره كلها بقدر الاستطاعة، وما فيه مشقة عليهم أسقطه ورخصه، حتىٰ تزول مشقته.

بل إن الأحكام والتكاليف الشرعية فُرضت علىٰ العباد بالتدريج، ولم تفرض دفعة واحدة، حتىٰ تألف النفوس وتلين الطباع ويتم الانقياد، فقد مكث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا وعشرين سنة يبني المجتمع الإسلامي لبنة لبنة، ويعده نفسيًّا وذهنيًّا لتقبل الأحكام، فالخمر - مثلًا - حُرِّمَ علىٰ عدة مراحل، وهي:

- تأثيم شرب الخمر، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

- تحريم شرب الخمر وقت الصلاة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

- التحريم القطعي، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

والصلاة كذلك فُرضت في أول الأمر ركعتين ركعتين، ثم أُقرت في

---

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية (ص: ١٣٩).

السفر علىٰ هذا، وزِيدت في الحضر إلىٰ أربع (الظهر والعصر والعشاء)، ويدل علىٰ ذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا»[1]، وفي حديث آخر: «فُرِضَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا أَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ لِطُولِ الْقِرَاءَةِ، وَصَلَاةُ الْمَغْرِبِ لِأَنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ»[2].

والصيام فُرِضَ أولًا علىٰ التخيير، فمن شاء صام ومن شاء أفطر وفدىٰ، ثم أنزل الله فرض صيامه في قوله تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وأخرج البخاري عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قولها: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا»[3].

ومن آثار رفقه سُبْحَانَهُ بعباده: ما شرع لهم من الرخص الشرعية التي ترفع عنهم الحرج، والعبد إذا ترفه بالرخص الشرعية، فإنما يتعبد لله تعَالَى باسمه «الرفيق» كما وضح ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «فرق بين أن يكون التفاته إليها- أي: الرخص- ترفهًا وراحة، وأن يكون متابعة وموافقة،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٩٣٥).

(٢) أخرجه ابن خزيمة، رقم الحديث: (٩٤٤)، وابن حبان، رقم الحديث: (٢٧٣٨)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٨١٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٩٩٣).

ومع هذا فالالتفات إليها ترفهًا وراحة لا يُنافي الصدق، فإن هذا هو المقصود منها، وفيه شهود نعمة الله علىٰ العبد، وتعبد باسمه: (البرِّ)؛ (اللطيف)؛ (المُحسن)؛ (الرَّفيق)، فإنه (رفيق) يحب الرفق»(١).

رفقه سُبْحَانَهُ بعباده العصاة:

فهو الرفيق الذي يمهل من عصاه ليتوب إليه، ولو شاء لعجل بعقوبته، لكنه رفق به وتأنىٰ، وحلم عليه، يقول تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو يؤاخذ الله عصاة بني آدم بمعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ [النحل: ٦١]- يعني: الأرض- ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ تَدُبُّ عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ [النحل: ٦١] يقول: ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة، فلا يعاجلهم بالعقوبة، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١] يقول: إلىٰ وقتهم الذي وقَّت لهم، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [النحل: ٦١] يقول: فإذا جاء الوقت الذي وقَّت لهلاكهم لا يستأخرون عن الهلاك ساعة فَيُمهَلُون، ولا يستقدمون قبله حتىٰ يستوفوا آجالهم»(٢).

وحري بمن عرف اسم الله الرفيق وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله وحده عفوه ورفقه.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٨٢).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٨٥).

الأثر الثاني: محبة الله الرفيق:

إن من رأىٰ آثار لطف الله ورفقه بعباده، في خلقه، وشرعه، وقدرته، ورأفته ورحمته[1]، مع غناه سُبْحَانَهُ عن خلقه؛ أحب ربه وعظمه، وأجله وحمده، ووحده.

الأثر الثالث: الرفق في أخذ الدين، وعدم التشدد:

فالإسلام دين يُسر وسهولة، لا يكلف بما لا يطاق، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينهىٰ عن تكليف النفس فوق ما تطيق ولو كانت عبادة، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»**[2].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الحديث: «ما أعظم هذا الحديث، وأجمعه للخير والوصايا النافعة، والأصول الجامعة، فقد أسس صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوله هذا الأصل الكبير، فقال: (**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ**): أي: ميسر مسهل في عقائده وأخلاقه وأعماله، وفي أفعاله وتُروكه، فإن عقائده التي ترجع إلىٰ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقَدَر خيره وشره: هي العقائد الصحيحة التي تطمئن لها القلوب، وتوصِّل مقتديها إلىٰ أجلِّ غاية وأفضل مطلوب، وأخلاقه وأعماله أكمل الأخلاق، وأصلح الأعمال، بها صلاح الدين والدنيا والآخرة، وبفواتها يفوت الصلاح كله، وهي كلها ميسرة مسهلة، كل مكلف يرىٰ نفسه قادرًا عليها لا تشق عليه، ولا تكلفه، عقائده صحيحة

---

(١) للاستزادة في آثار الرحمة واللطف تراجع الأسماء: الرحمن، الرحيم، اللطيف.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٩).

بسيطة، تقبلها العقول السليمة، والفطر المستقيمة... وأما من شدد على نفسه فلم يكتف بما اكتفى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بما علَّمه للأمة وأرشدهم إليه، بل غلا، وأوغل في العبادات: فإن الدين يغلبه، وآخر أمره العجز والانقطاع، ولهذا قال: (**وَلَن يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**)، فمن قاوم هذا الدين بشدة وغلو، ولم يقتصد: غلبه الدين، واستحسر ورجع القهقرى»[1].

ومن شواهد الرفق والنهي عن التشدد في العبادة فوق ما شرع الله، ما يلي:

- حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنَّ الحولاء بنت تُوَيْتِ بن حبيب بن أسد بن عبد العزَّى مرَّت بها، وعندها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: فقلتُ: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَنَامُ اللَّيْلَ! خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَسْأَمُ اللهُ حَتَّى تَسْأَمُوا**»[2].

- حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخر: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[3].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للسعدي (ص: ٧٨).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٨٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠٦٣).

- حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: **مَا هَذَا الْحَبْلُ**؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**»[1].

ومن الرفق في أخذ الدين: الترخص برخص الرفيق سُبْحَانَهُ، واستشعار العبودية في ذلك، وابتغاء محبته ورضاه، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَىٰ رُخَصُهُ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُتْرَكَ مَعْصِيَتُهُ**»[2]، وفي حديث حمزة بن عمرو الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَجِدُ بِي قُوَّةً عَلَىٰ الصِّيَامِ فِي السَّفَرِ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ**»[3].

الأثر الرابع: الرفق في كل الأمور، اقتداءً برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كان نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرفق الناس، وشواهد رفقه في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته في سيرته واضحة، بل إنه ضرب أروع الأمثلة في تحقيق الرفق والأناة في تعامله مع الناس ودعوته إلىٰ دين الله، ومعالجته لما قد يقع من أخطاء ومخالفات، ومن شواهد ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٨٤).

(٢) أخرجه ابن خزيمة، رقم الحديث: (٢٠٢٧)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٠٥٩).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١١٢١).

١- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَا تُزْرِمُوهُ، ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ**»(١).

يبول في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « **دَعُوهُ، وَلَا تُزْرِمُوهُ**» (٢) ولم يكن منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن دعا بدلو من ماء فَصُبَّ عليه، فحلَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسألةَ ببساطة وبغير فظاظة، لا إغلاظ ولا سخرية ولا غيره، وفي رواية أن هذا الأعرابي قال وهو في الصلاة: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: **لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**»(٣).

٢- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: **يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**، قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قُلْتُ: **وَعَلَيْكُم**»(٤).

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **دَعُوه، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا**، ثُمَّ قَالَ: **أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ: **أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً**»(٥).

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠١٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٣٠٦)، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٠١).

٤- عن أنس رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ أنه قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِه، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»(١).

٥- عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ، قال: «بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: **إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»(٢).

٦- عن أبي أمامة رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ، قال: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: **ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا** قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟** قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٨٠٩) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٥٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٣٧).

قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ** قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ**؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَىٰ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ شَيْءٍ»[1].

٧- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتىٰ علىٰ أزواجه، وسَوَّاق يسوق بهن، يقال له: أنجَشَة، فقال: **فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ**»[2].

٨- عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَىٰ فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَىٰ فَخِذِهِ الْأُخْرَىٰ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: **اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا**»[3].

بل إن من وصايا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العامة: الرفق في كل الأمور، ففي الحديث: «**إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**»[4].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٦٤١)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٦٧٩، ٢٢٢٦٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١/ ٧١٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦١٤٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٢٣).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٠٣).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٥٢٥٩)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٤٥٣٠) حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٢٥٢٤).

الأثر الخامس: التفريق بين الرفق والتفريط:

إن الرفق لا يعني التفريط والكسل وتفويت فرص الخير، بل الرفق الممدوح وسط بين العجلة والطيش وبين الكسل وتفويت الفرص، وفي ذلك يقول **الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفرق بين المبادرة والعجلة: أن المبادرة انتهاز الفرص في وقتها، ولا يتركها حتىٰ إذا فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في إدبارها، ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها، ووثب عليها وثوب الأسد علىٰ فريسته، فهو بمنزلة من يبادر إلىٰ أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها، والعجلة طلب أخذ الشيء قبل وقته، فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها، فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين؛ أحدهما: التفريط والإضاعة، والثاني: الاستعجال قبل الوقت؛ ولهذا كانت العجلة من الشيطان، فإنها خفة وطيش، وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من الشرور وتمنعه من الخير، وهي قرين الندامة، فقل من استعجل إلا ندم، كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة»[1].

وقال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب علىٰ العاقل: لزوم الرفق في الأمور كلها، وترك العجلة والخفة فيها؛ إذ الله تَعَالَىٰ يحب الرفق في الأمور كلها، ومن منع الرفق منع الخير، كما أن من أعطي الرفق أعطي الخير، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء علىٰ حسب الذي يحب، إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة»[2].

---

(١) الروح، لابن القيم (ص: ٢٥٨).

(٢) روضة العقلاء، لابن حبان البستي (ص: ٢١٦).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العاقل يلزم الرفق في الأوقات، والاعتدال في الحالات؛ لأن الزيادة علىٰ المقدار في المبتغىٰ عيب، كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف، ولا دليل أمهر من رفق، كما لا ظهير أوثق من العقل، ومن الرِّفق يكون الاحتراز، وفي الاحتراز تُرجَىٰ السلامة، وفي ترك الرِّفق يكون الخرق، وفي لزوم الخرق تُخَافُ الهلكةُ»(١).

الأثر السادس: الرفق في التعامل مع الخلق:

فحقيقة الرفق هي: التحكم في هوىٰ النفس ورغباتها، وحملها علىٰ الصبر والتحمل والتجمل، وكفها عن العنف والتعجل، والعلم بأن الصبر بالتصبر، والحلم بالتحلم، والعلم بالتعلم، والرفق بالترفق، وحسن الخلق كله بالتخلق، ومن يتوخ الخير يعطه، ومن يتوقىٰ الشر يوقه.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنه إنما كان جهاد النفس أكبر من جهاد الأعداء؛ لأن النفس محبوبة وما تدعو إليه محبوب؛ لأنها لا تدعو إلا إلىٰ ما تشتهي وموافقة المحبوب في المكروه محبوبة، فكيف إذا دعا إلىٰ محبوب؛ فإذ عكست الحال وخولف المحبوب فيما يدعو إليه من المحبوب اشتد الجهاد، وصعب الأمر، بخلاف جهاد الكفار؛ فإن الطباع تحمل علىٰ خصومة الأعداء، وقال ابن المبارك - في قوله تَعَالَىٰ -: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨] قال: هو جهاد النفس والهوىٰ»(٢).

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) ذم الهوىٰ، لابن الجوزي (ص: ٤٠).

ومن مظاهر رفق المؤمن بغيره ما يلي:

الرفق بأهل البيت خاصة:

فإن أولىٰ الناس بالحلم والرفق واللين: الأهلُ وذوو الأرحام، يقول ﷺ في ذلك: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خيرًا أَدْخَلَ عَلَيهِمُ الرِّفْقَ**»[1]، ويقول: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»[2]، وقد وردت نصوص كثيرة في الرفق بأهل البيت، منها:

- **الرفق بالوالدين**، يقول تعالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

- **الرفق بين الزوجين**، فقد أوصىٰ النبي ﷺ بالنساء خيرًا في قوله: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**»[3]، وأخبر ﷺ عن الزوجة الصالحة الخيرة بقوله: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: كُلُّ وَلُودٍ وَدُودٍ،**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٥٠٦٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٨٩٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٣٨٩٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٣٣١)، ومسلم، رقم الحديث: (١٤٦٨).

إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ -أَيْ: زَوْجُهَا- قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بِغُمْضٍ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ»[1].

- **الرفق بالأبناء**، وفي ذلك روىٰ أبىٰ هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن الأقرع بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبصر النبىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبِّل الحسن، فقال: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: **مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ** »[2].

الرفق مع عامة الناس:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من رفق بعباد الله رفق الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد الله عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تَعَالَىٰ لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه»[3]، وفي هذا المعنىٰ شواهد نبوية كثيرة، منها:

- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ**»[4].

- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»[5].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، رقم الحديث: (١١٨) حكم الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٩٤١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٩٩٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣١٨).

(٣) الوابل الصيب، لابن القيم (ص: ٣٥).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٩٣).

(٥) سبق تخريجه.

- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»[1].

- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأَنَاةُ مِنَ اللهِ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[2].

الرفق بمن أساء:

كان الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح يتعاملون بالرفق مع من يسيئون إليهم، يقول عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- لرجل سَبَّهُ-: «يا عكرمة، هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فَنَكَّسَ الرجل رأسه، واستحىٰ مما رأىٰ من حلمه عليهِ»[3]، وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رجلًا سَبَّهُ فرمىٰ إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم وإسقاط الأذىٰ وتخليص الرجل مما يبعده عن الله عَزَّ وَجَلَّ، وحمله علىٰ الندم والتوبة ورجوعه إلىٰ مدحٍ بعد الذم، اشترىٰ جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير»[4].

ويدخل هنا- أيضًا- الرفق والإحسان في الدعوة إلىٰ الله، أو التعامل مع المخالف، يقول سُبْحَانَهُ في بيان هذه العلة: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٣)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٤٦٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٣).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٢)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٥٧٠٢)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٦٥).

(٣) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، لياسر عبد الرحمن (١/ ٣٤٦).

(٤) نضرة النعيم (٥/ ١٧٤٩).

وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ أَخَاكُمْ قَارَفَ ذَنْبًا، فَلَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ، أَنْ تَقُولُوا: اللَّهُمَّ أَخْزِهِ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، وَلَكِنْ سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّا لَا نَقُولُ فِي أَحَدٍ شَيْئًا، حَتَّىٰ نَعْلَمَ عَلَىٰ مَا يَمُوتُ، فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ عَلِمْنَا - أَوْ قَالَ: رَجَوْنَا - أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ خَيْرًا، وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِشَرٍّ، خِفْنَا عَلَيْهِ عَمَلَهُ»(١).

وعليه فالرفق في الأمر بالمعروف والنهىٰ عن المنكر متعيِّن، وهو وظيفة الأنبياء والرسل ومنهجهم جميعهم في الدعوة، ومنه رفق إبراهيم مع أبيه رغم كفره وجفاء قوله، يقول تعالَى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: ٤٢-٤٧].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ في هاتين الآيتين الكريمتين أن إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرفق واللين، وإيضاح الحق، والتحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يُبصر، ومن عذاب الله تعالَى، وولاية الشيطان، خاطبه هذا الخطاب العنيف وسماه باسمه، ولم يقل له: يا بُنَي، في

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد، رقم الحديث: (٨٩٦)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٨٥٧٤).

مقابلة قوله له: يا أبت، وأنكر عليه أنه راغب عن عبادة الأوثان، أي: مُعرض عنها لا يريدها؛ لأنه لا يعبد إلا الله وحده عَزَّوَجَلَّ، وهدده بأنه إن لم ينته عما يقوله له ليرجمنه، قيل: بالحجارة، وقيل: باللسان شتمًا، والأول أظهر، ثم أمره بهجره مليًّا، أي: زمانًا طويلًا، ثم بين أن إبراهيم قابل - أيضًا- جوابه العنيف بغاية الرفق واللين، في قوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ [مريم: ٤٧]»[1].

الرفق بالحيوان والنبات ونحوه:

ومن الرفق بالحيوان: أن يُدفع عنه أنواع الأذىٰ، كالعطش والجوع، والمرض، والحمل الثقيل، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَىٰ الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»[2].

وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوُا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا»[3].

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٣/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٣٦٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٢٤٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٥٨).

ومن الرفق بالنبات ونحوه قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

الأثر السابع: الحرص على نيل ثواب الرفق:

الله سُبْحَانَهُ رفيق يحب الرفق، ويجازي عليه بثواب الدنيا والآخرة، ومن ذلك:

- تحريم النار على كل ليِّن سهل رفيق:

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ**»(١)، وفي رواية «**قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ**»(٢).

- الخير الجزيل منه سُبْحَانَهُ:

ففي الحديث: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ**»(٣)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ**»(٤)، ودعاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن يتولى أمر المسلمين ويرفق بهم في قوله: «**وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٠١٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٨٨)، واللفظ له، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب رقم الحديث: (١٧٤٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٠١٧)، واللفظ له، والترمذي، رقم الحديث :(١٩٦١)، حكم الألباني: ضعيف جداً، السلسلة الضعيفة، رقم الحديث :(١٥٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٥٢).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٢٨).

- الرفق يزين الأشياء كلها:

ففي الحديث: «**مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ**»[1]، فالنفوس تنشرح للرفق وتأنس به.

- الرفق سبب في لين القلب:

فقد شكا رجل إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسوة قلبه، فقال له: «**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ**»[2].

فاللهم ارزقنا الرفق في الأمور كلها، وارفُق بنا، واشملنا بعطفك ورحمتك وغفرانك، اللهم ارزقنا الحلم والأناة، واهدنا إلىٰ ما تحبه من الأعمال والأخلاق.



---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٦٥٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٤٠٩).

السُبُّوح القُدُّوس جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: (السبوح):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... والتسبيح: التنزيه، وسبحان الله، معناه: التنزيه لله، نصب علىٰ المصدر، كأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة، والعرب تقول: سبحان من كذا، إذا تعجبت منه... وسبوح من صفات الله، قال ثعلب: كل اسم علىٰ (فعول) فهو مفتوح الاول، إلا السبوح والقدوس، فإن الضم فيهما أكثر»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(سبح) السين والباء والحاء أصلان... ومن الباب التسبيح، وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء، والتنزيه: التبعيد، والعرب تقول: سبحان من كذا، أي: ما أبعده... وفي صفات الله عَزَّوَجَلَّ: سبوح، واشتقاقه من الذي ذكرناه أنه تنزه من كل شيء لا ينبغي له»[2].

---

(١) الصحاح (١/ ٣٧٢).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٢٥).

ثانيًا: (القدوس):

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقدوس: اسم من أسماء الله تَعَالَى، وهو فعول من القدس، وهو الطهارة»[1].

- **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاف والدال والسين أصل صحيح، وأظنه من الكلام الشرعي الإسلامي، وهو يدل علىٰ الطهر، ومن ذلك الأرض المقدسة هي المطهرة، وتسمىٰ الجنة: حظيرة القدس، أي: الطهر، وجبرئيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ روح القدس، وكل ذلك معناه واحد، وفي صفة الله تَعَالَى: القدوس، وهو ذلك المعنىٰ؛ لأنه منزه عن الأضداد والأنداد، والصاحبة والولد، تَعَالَى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا»[2].

ورود اسم الله (السبوح القدوس) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله السبوح:

لم يرد اسم الله (السبوح) في القرآن.

ثانيًا: ورود اسم الله القدوس:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (القدوس) مرتين في كتاب الله، وهما:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

---

(١) الصحاح (٣/ ٩٩).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٦٣-٦٤).

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]

ورود اسم الله (السبوح القدُّوس) في السنة النبوية:

أولًا: ورد اسم الله السبوح في السنة، مقرونًا باسمه القدوس في حديث عائشة: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: **سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»(١).

ثانيًا: ورد اسم الله (القدوس).

من وروده ما يلي:

١- حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا السابق.

٢- حديث أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ فِي الْوَتْرِ، قَالَ: **سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**»(٢).

٣- حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، لما سئلت بِمَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ؟ فقالت: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، كَانَ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ عَشْرًا وَحَمِدَ عَشْرًا، وَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَشْرًا وَقَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ عَشْرًا وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ عَشْرًا، ثُمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا، وَضِيقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَشْرًا ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١١٤٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٣٠)، واللفظ له، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (١٢٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٥)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٨٥).

ثبوت اسم الله (السبوح) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله السبوح[1] في حق الله تعالىٰ:

❊ **النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله: «السبوح القدوس المسبح المقدس، فكأنه قال: مسبَّح مقدَّس، رب الملائكة والروح، ومعنىٰ سُبُّوح: المبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق بالإلهية»[2].

❊ **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[3].

معنى اسم الله (السُّبُّوح القُدُّوس):

أولًا: (السُّبُّوح):

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...قولهم: (سبوح قدوس)، يعني بقولهم: (سبوح)، تنزيه لله...فمعنىٰ قول الملائكة إذًا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠]: ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك، ونصلي لك»[4].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السبوح: المنزه عن كل عيب، جاء بلفظ: فعول من قولك: سبحت الله؛ أي: نزهته، وقد روي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه سئل عن تفسير قوله: سبحان الله فقال: (إنكاف الله من كل سوء)؛ أي: تنزيهه»[5].

---

(١) لم نورد اسم الله (القدوس) هنا؛ لأنه ثيت بنص القرآن الكريم، فلا حاجة.

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم، (٤/ ٢٠٤).

(٣) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، لابن عثيمين، (ص: ١٥).

(٤) تفسير الطبري (١/ ١٦٧).

(٥) شأن الدعاء (١/ ١٥٤).

❁ **قال الحَليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها السبوح: ومعناه: المنزه عن المصائب، والصفات التي تعتور المحدثين من ناحية الحدث، والتسبيح التنزيه»[1].

❁ **قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السبوح القدوس المسبح المقدس، فكأنه قال: مُسبَّح مُقَدَّس، رب الملائكة والروح، ومعنىٰ سبوح: المبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق بالإلهية»[2].

ثانيًا: القدوس:

يدور اسم الله القدوس في حق الله - تَعَالَىٰ - علىٰ معنين:

١-الطاهر من الأدناس والنقائص والمعايب.

٢- المبارك ذي الخير الواسع العظيم.

ومن الأقوال في المعنىٰ الأول:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتقديس هو التطهير والتعظيم، فمعنىٰ قول الملائكة: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠]: نسبك إلىٰ ما هو من صفاتك، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك»[3].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدوس: هو الطاهر من العيوب، المنزه عن الأنداد، والأولاد»[4].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٧).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (٤/ ٢٠٤).

(٣) تفسير الطبري، (١/ ١٦٧).

(٤) شأن الدعاء، (١/ ٤٠).

❁ **قال البيهقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدوس: هو الطاهر من العيوب، المنزه عن الأولاد والأنداد، وهذه صفة يستحقها بذاته»[(١)].

❁ **قال البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القدوس) الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به»[(٢)].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القدوس): المنزه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير: هو (الطاهر) من كل عيب المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة»[(٣)].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أسمائه: (القدوس) (السلام) أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها، وعن أن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه، أو يماثله أحد في شيء من الكمال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، فـ(القدوس) كـ(السلام) ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه؛ لأن النقص إذا انتفىٰ ثبت الكمال كله»[(٤)].

---

(١) الاعتقاد، للبيهقي (ص: ٥٩).

(٢) تفسير البغوي (٨/ ٧٨).

(٣) شفاء العليل (٢/ ٥١٠).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).

- **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

هَـذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ القُدُّوسُ ذُو التَّـ ـنْزِيهِ بِالتَّعْظِيـمِ لِلرَّحْمَـنِ[1]

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ **قال قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدوس أي: المبارك»[2].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقدوس: المبارك»[3].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال مجاهد، وقتادة: أي: المبارك»[4].

الفرق بين السُّبُّوح والقُدُّوس:

اختلفت أقوال أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في التفريق بينهما، ومن هذه الأقوال:

١-أن التسبيح تنزيه الله وتبرئته مما أضافه إليه أهل الشرك، والتقديس نسبته سُبْحَانَهُ إلىٰ ما هو من صفاته من الطهارة من الأدناس، وما أضافه إليه أهل الكفر به. قاله الطبري[5].

٢- **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدوس: ومعناه الممدوح بالفضائل والمحاسن، والتقديس مضمن في صريح التسبيح، والتسبيح مضمن في صريح التقديس؛ لأن نفي المذام إثبات للمدائح،...إلا أن قولنا: هو كذا ظاهرة

(١) النونية (ص: ٢١٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٤٧٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٩).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٥).

التقديس، وقولنا: ليس بكذا ظاهرة التسبيح؛ لأن التسبيح موجود في ضمن التقديس، والتقديس موجود في ضمن التسبيح، وقد جمع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بينهما في سورة الإخلاص، فقال عز اسمه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]، فهذا تقديس، ثم قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]. فهذا تسبيح»[1].

٣- أن التسبيح يكون بالقول والعمل، وأما التقديس فيكون بالاعتقاد.

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمعنىٰ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠]: نحن نعظمك وننزهك، والأول بالقول والعمل، والثاني باعتقاد صفات الكمال المناسبة للذات العلية، فلا يتوهم التكرار بين (نسبح) و(نقدس)»[2].

٤- التسبيح يختص بالله عَزَّوَجَلَّ، بخلاف التقديس، فيستعمل في حق الآدميين، فيقال: فلان رجل مقدَّس إذا أريد تبعيده عن مسقطات العدالة ووصفه بالخير، ولا يقال: رجل مسبَّح، بل ربما يستعمل في غير ذوي العقول، قال تَعَالَى: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١] أي: أرض الشام[3].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٠٦).

(٣) ينظر: معجم الفروق اللغوية، لابن مهران (ص: ١٢٥).

اقتران اسم الله (القُدُّوس) بأسمائه الأخرى في القرآن الكريم:

أولًا: اقترن اسم الله (القدوس) باسم الله (الملك):

ورد اقتران هذين الاسمين الجليلين في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في موضعين، هما:

١- قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

٢- قوله تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

وجه الاقتران:

أن ملكه جل في علاه لا يمثل ملوك الدنيا؛ فقد تنزه عما في ملكهم من النقائص والمعايب[1].

ثانيًا: اقترن اسم الله (القدوس) باسم الله (السلام):

تقدم بيانه في اسم الله (السلام).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ١٠٧).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله السبوح القدوس:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (السبوح القدوس) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله تَعَالَى هو السبوح القدوس في أسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله؛ فأسماؤه كلها حسنىٰ لا عيب فيها، وصفاته كلها عليا لا نقص فيها، وأفعاله كلها حكمة لا شر فيها، وأقواله كلها فصل لا هزل فيها ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ [الطارق: ١٣- ١٤].

برأ من كل نقص وعيب، وتنزه عن كل ما لا يليق بجلاله، قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومجموع ما تنزه عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى شيئان:

١-تنزهه جل في علاه عن كل ما ينافي صفات كماله، فإن له المنتهىٰ في كل صفة كمال.

فهو السبوح القدوس الحي القيوم الذي تنزه عن ضدها من الموت والفناء، والسنة، والنوم، قال تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٩).

وهو السبوح القدوس **العليم** الذي تنزه عن الجهل، والنسيان والغفلة، وأن يعزب عنه شيء في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وقال: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

وهو السبوح القدوس **القادر القدير** الذي تنزه عن العجز، والتعب، والإعياء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وهو السبوح القدوس **الحكيم** الذي تنزه عن العبث والسفه، أو أن يفعل أو يشرع ما ينافي الحكمة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨- ٣٩]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وهو السبوح القدوس **الغني** الذي تنزه عن الفقر والفاقة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [آل

عمران: ١٨١]، وتنزه عن الحاجة إلىٰ الولد، والصاحبة، والشريك، والمعين أو إلىٰ أحد من خلقه بوجه من الوجوه، قال تَعَالَى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ [الإخلاص: ٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ٦٨]، وقال: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، وقال: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وقال: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وهو **السبوح القدوس الكريم** الذي تنزه عن البخل والشح قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**يَدُ اللهِ مَلْأَىٰ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَىٰ الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»(١).

وهو **السبوح القدوس المؤمن** الذي تنزه عن الظلم والجور، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤١١).

عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وفي الحديث القدسي:

«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»(١).

وهو **السبوح القدوس الحق** الذي تنزه كلامه عن الكذب والباطل، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢]، وقال: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وهكذا في جميع صفاته منزه عن كل ما ينافيها ويضادها.

٢-تنزهه جل في علاه عن مماثلة أحد من خلقه، قال تَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]؛ فالمخلوقات كلها وإن عظمت وشرفت وبلغت المنتهىٰ من العظمة والكمال اللائق بها؛ فليس شيء منها يقارب أو يداني الباري جل في علاه، بل جميع صفاتهم تضمحل إذا نسبت إلىٰ صفات باريها وخالقها، بل جميع ما فيها من الكمالات هو الذي أعطاها إياها؛ فهو الذي خلق فيها العقول والسمع والأبصار والقوىٰ الظاهرة والباطنة، وهو الذي علمها وألهمها، وهو الذي نماها ظاهرًا وباطنًا وكملها، فتَعَالَىٰ وتقدس وتنزه.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

وبهذا تنزه جَلَّجَلَالُهُ عن أن يكون له شريك في عبادته، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَـٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، وقال: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

فتبارك السبوح القدوس الذي لما انتفىٰ عنه كل نقص ثبت له كل كمال؛ فكملت أوصافه وكثرت خيراته[١]، ولو تتبع المتتبع أوجه كماله وتسبيحه وتقديسه محاولًا استقصائها ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا؛ لأنها لا نهاية لها، كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»[٢]، فشأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيها أحد من الخلق، أو أن يبلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سُبْحَانَهُ[٣].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (السبوح القدوس) علىٰ التوحيد:

إذا علم العبد معنىٰ اسم الله جَلَّجَلَالُهُ (السبوح القدوس) وما فيهما من تنزيه الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن النقائص والمعايب وعن كل ما لا يليق بجلاله، فعليه أن يعلم أن تسبيحه وتقديسه إنما يكون مع إثبات المحامد وصفات الكمال له سُبْحَانَهُ؛ وذلك لأن «النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٦).

(٣) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (ص: ٢٧٣).

فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلًا عن أن يكون مدحًا أو كمالًا، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال.

فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنًا لإثبات مدح، كقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلىٰ قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] فَنَفْيُ السِّنةِ والنومِ يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبيِّن لكمال أنه الحي القيوم...»[1].

ومن هنا يُعلم أن ما يفعله المعطلة من أهل البدع من النفي المحض، والتعطيل للصفات عن معانيها وحقائقها بحجة التسبيح والتقديس، إنما هو في الحقيقة جحود وإنكار، وضلال وبهتان، نزه الله نفسه عنه بقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨١] فسبَّح نفسه عما وصفه المخالفون للرسل، وسلَّم علىٰ المرسلين لسلامة ما قالوه في حقه سُبْحَانَهُ[2].

ولا بد أن يعلم أن التنزيه عن النقائص، وإثبات الكمال إنما يكون علىٰ وفق دلائل الكتاب والسنة، وفي ضوء فهم سلف الأمة، لا علىٰ الأهواء

(١) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية (ص: ٥٧).

(٢) ينظر: التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية، (ص: ٩)، وفقه الاسماء الحسنىٰ، للبدر، (ص: ٢٢٣-٢٢٤).

المجردة أو الظنون الفاسدة أو الأقيسة العقلية الكاسدة، وهذه حقيقة توحيد الأسماء والصفات[1].

ثم إن تنزيهه تَبَارَكَ وَتَعَالَى شامل لتنزيهه عن الشريك في الربوبية، فلا رب ولا خالق ولا رازق ولا نافع ولا ضار ولا محي ولا مميت معه، قال تعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣]، وقال: ﴿هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

وشامل أيضًا لتنزيهه عن الشريك في الألوهية، فلا إله حق إلا هو، قال تعَالَى: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وبهذا كان اسم الله (السبوح القدوس) دالًّا علىٰ أقسام التوحيد الثلاثة.

---

(١) ينظر: فقه الاسماء الحسنىٰ، للبدر، (ص: ٢٢٣)، النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١١١-١١٢).

الأثر الثالث: تنزيه العبد لله السبوح القدوس:

الله عَزَّوَجَلَّ قدوس سبوح، يحب من عباده أن ينزهوه في أقواله، وأفعاله، وأسمائه وصفاته عن كل نقص وعيب، ويتعبدوا له سُبْحَانَهُ بذلك.

ولهذا التنزيه صور عدة، منها:

١- تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن الشريك، والند، والمثيل، والصاحبة، والولد، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص].

٢- تنزيه الله عن العدم، بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فجمع بين نفي مماثلة المخلوقات، وإثبات الصفات، فدل علىٰ أن تنزيهه لا يعني نفي الصفات والأفعال التي أثبتها لنفسه[١].

٣- تنزيه حكم الله الشرعي عن النقص والعيب، واعتقاد كماله؛ تصديقًا لقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٤- تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يظن به سوءًا، أو يظن به ما لا يليق بحمده وحكمته ورحمته وعلمه؛ فإن هذا من شأن الكافرين والمنافقين، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٥٤).

ٱلسَّوۡءِۚ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح: ٦]، وقال: ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ [الفتح: ١٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ آية الفتح، ومستعرضًا لبعض صور سوء الظن بالله تَعَالَىٰ المنافية لتنزيهه سُبْحَانَهُ: «وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية المنسوب إلىٰ أهل الجهل، وظن غير الحق؛ لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهيه، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون، فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك علىٰ التوحيد، والباطل علىٰ الحق، إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق، اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا- فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلىٰ خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبىٰ ذلك، وتأبىٰ أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره، فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته، وكذلك من أنكر أن يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فوتها، وأن تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها لا يخرج

تقديرها عن الحكمة؛ لإفضائها إلىٰ ما يحب، وإن كانت مكروهة له فما قدرها سدىٰ، ولا أنشأها عبثًا، ولا خلقها باطلًا، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته.

الأثر الرابع: المحبة للسبوح القدوس:

إذا آمن العبد باسم الله السبوح القدوس، وتدبر ما فيه من كمال، وتعالٍ عن النقائص والمعايب، أورثه ذلك محبته وإجلاله؛ لأن النفوس جبلت علىٰ محبة من اتصف بالكمال، ثم هذه المحبة تورث حلاوة في القلب، ونورًا في الصدر، وهذا هو النعيم الدنيوي الحقيقي الذي يصغر بجانبه كل نعيم.

الأثر الخامس: التسبيح لله تَعَالَىٰ وتقديسه جَلَّجَلَالُهُ:

الله جَلَّجَلَالُهُ لكماله وعظمته وسعة سلطانه لهج ويلهج علىٰ الدوام جميعُ ما في السماوات والأرض من الحيوانات الناطقة، والصامتة، والأشجار والنبات، والجوامد، والأحياء، والأموات؛ بالتسبيح والتقديس له بمختلف اللغات، وأنواع الأصوات، قال تَعَالَىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]، وقال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١][1].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، (٥/ ٧٩)، وتفسير السعدي (ص: ٨٣٧).

وهذا التسبيح تسبيح حقيقي يصدر من الكائنات، بحسب ما يليق بحالها دون أن يفقهه الناس أو يسمعونه، كما قال تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤][1].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللائقة به، وقد ألهمه الله تلك الصلاة والتسبيح، إما بواسطة الرسل، كالجن والإنس والملائكة، وإما بإلهام منه تَعَالَى، كسائر المخلوقات غير ذلك»[2].

فسبحه وقدسه أولياءه، وأهل طاعته من الملائكة والإنس والجن.

فأما ملائكته فتسبيحهم في جميع الأوقات بلا ملل ولا توقف، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥][3].

وأما الإنس: فعلىٰ رأسهم الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وقد حكىٰ الله لنا تسبيحهم في كتابه، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]،

---

(١) ينظر: فقه الأدعية والأذكار، للبدر، (١/ ٢١٣، وما بعدها).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٧٠).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٢٠).

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال في يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣- ١٤٤]، وقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وأكثَرَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تسبيح ربه، كما جاء في حديث ربيعة بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قوله: «كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَارِي، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَوَيْتُ إِلَىٰ بَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِتُّ عِنْدَهُ، فَلَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ: **سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ رَبِّي**، حَتَّىٰ أَمَلَّ أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَنَامُ»[1][2].

وكان من هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قول: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**. في الركوع والسجود»[3]، وقول: «**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**، ثلاثًا، رافعًا صوته بالآخرة، إذا سلم من الوتر»[4].

---

(١) أخرجه الطبراني، رقم الحديث: (٤٥٧٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٨٨).

(٢) قال أهل العلم: ويستفاد من الحديث: أن العبد إذا أنهىٰ ورده قبل النوم، يسن له أن ينتقل إلىٰ التسبيح.

(٣) سبق تخريجه، وينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، (١/ ٢١١).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١/ ٣٢٦).

وذكر الله تسبيح الصالحين ممن هم دون أنبيائه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦- ٣٧].

وأما الجن فحكىٰ الله تنزيههم له عن الصاحبة والولد، قال تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

وسبحه وقدسه الرعد بحمده، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

وسبحه وقدسه الجبال الصم، والطير البهم، قال تَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٨- ١٩]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

وسبَّحه وقدَّسه الطعامُ، والحصىٰ الصغارُ، كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ»(١)، أي: في عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٥٧٩).

فِي حَلْقَةٍ، وَفِي يَدِهِ حَصًىٰ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، فَسَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، سَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دُفِعْنَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَسَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا، فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا»[1].

وقال عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأسطوانة تسبح، والشجرة تسبح»[2].

وقال بعض السلف: «إن صرير الباب تسبيحه، وخرير الماء تسبيحه، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]»[3].

وهذا التسبيح من المخلوقات لا سيما غير المكلف منها، يدعو المكلف للانضمام إلىٰ هذه العوالم ومشاركتها بالتسبيح والتقديس، وسيتناول الملحق- بإذن الله- ما يعين علىٰ هذا.



---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (١٢٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة، رقم الحديث: (١١٤٦).

(٢) ينظر: الدر المنثور (٥/ ٢٩١).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨٠).

«التسبيح والتقديس»

في موضوع «التسبيح والتقديس» سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف التسبيح والتقديس:

فسر السلف رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ التسبيح، بتنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل ما لا يليق به.

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ نفسه عن السوء»[(١)].

قال ميمون بن مهران رَحِمَهُٱللَّهُ: «(سُبْحَانَ اللهِ) اسْمٌ يُعَظَّمُ اللهُ بِهِ وَيُحَاشَىٰ بِهِ مِنَ السُّوءِ»[(٢)].

قال أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ رَحِمَهُٱللَّهُ: «(سبحان الله) تنزيه الله وتبرئته»[(٣)].

ونحوه معنىٰ التقديس، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «ونقدس لك، أي: نثني عليك بالقدس والطهارة عما لا يليق بعظمتك وجلالك»[(٤)].

قال الطبري رَحِمَهُٱللَّهُ: «ننسبك إلىٰ ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس، وما أضاف إليك أهل الكفر بك»[(٥)(٦)].

---

(١) ينظر: الدر المنثور (١/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، رقم الحديث: (٣٤٤).

(٣) ينظر: الدعاء، للطبراني (ص: ٤٩٩-٥٠٠).

(٤) تفسير البغوي (١/ ١٠٢).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٧٥).

(٦) ينظر: فقه الأدعية والأذكار، للبدر (١/ ٢١٩).

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونقدس لك، أي: نثني عليك بالقدس والطهارة عما لا يليق بعظمتك وجلالك، وقيل: ونطهر أنفسنا لطاعتك، وقيل: وننزهك»(١).

ثانيًا: فضل التسبيح(٢)؟

شرع الله عَزَّوَجَلَّ لعباده تسبيحه، وعظم سُبْحَانَهُ شانه؛ فجعله من أفضل العبادات الموصلة إليه، ومن أجلِّ القربات التي يتقرب بها إليه، ونوع الدلائل من الكتاب والسنة في بيان فضله، وعظيم شأنه، ورفيع مكانته، وجزيل ثواب أهله، **وبيان هذه الفضائل علىٰ النحو الآتي:**

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ كرر ذكر التسبيح في القرآن بصيغ مختلفة وأساليب متنوعة، فورد التسبيح في القرآن أكثر من ثمانين مرة، تارة بصيغة الأمر، كقوله تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٢]، وتارة بصيغة الماضي، كما في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]، وتارة بالمضارع كقوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]، وتارة بلفظ المصدر كقوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

وقال بعض أهل العلم: «والتسبيح ورد في القرآن علىٰ نحو من ثلاثين وجهًا، ستة منها للملائكة، وتسعة لنبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأربعة لغيره

---

(١) تفسير البغوي (١/ ١٠٢).

(٢) ينظر: الأذكار، للنووي (ص: ١٥-١٦)، وفقه الأدعية والأذكار، للبدر، (١/ ٢٠١، وما بعدها).

من الأنبياء، وثلاثة للحيوانات والجمادات، وثلاثة للمؤمنين خاصة، وستة لجميع الموجودات.

أما التي للملائكة، فمنها قوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا﴾ [غافر: ٧]...، وأما التي لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمنها قوله تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩]...، وأما التي للأنبياء فقول الله تَعَالَى لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١]...، وأما التي للمؤمنين فقوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]...، وأما التي في الحيوانات والجمادات فمنها قوله تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤]...، وأما التي لعموم المخلوقات فمنها قوله تَعَالَى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]...»، ولا شك أن هذا التكرار والتنويع دال علىٰ جلالة قدر التسبيح، وعظم شأنه في الدين»[1].

٢- أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعله من سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أمرنا بالاقتداء به؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سئلت: بِمَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، كَانَ إِذَا هَبَّ[2] مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ عَشْرًا وَحَمِدَ عَشْرًا وَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ

(١) ينظر: فقه الأدعية والأذكار، للبدر (١/ ٢٠١).

(٢) هب، أي: استيقظ، من هب النائم هبًّا وهبوبًا إذا استيقظ. ينظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/ ٢٩١).

وَبِحَمْدِهِ عَشْرًا وَقَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ عَشْرًا وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ عَشْرًا، ثُمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا، وَضِيقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَشْرًا ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ** »[١].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في سجوده وركوعه: **سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»[٢].

وعن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ فِي الْوَتْرِ، قَالَ: **سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**»[٣].

٣- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل التسبيح أفضل الكلام وأحبه إليه، كما في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**»[٤]، وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[٥]، وفي رواية: سُئِلَ: أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَا اصْطَفَىٰ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ، أَوْ لِعِبَادِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»[٦]، وجاء في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ هَالَهُ اللَّيْلُ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٣٧).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٣١).

(٦) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٣١).

يُنْفِقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُقَاتِلَهُ، فَلْيُكْثِرْ أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ جَبَلِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ يُنْفِقَانِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»[1].

٤- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعلها سبب لذكره للعبد؛ فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يَذْكُرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ؟**»[2].

٥- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل التسبيح ومعه الحمد، والشهادة، والتكبير خيرًا مما طلعت عليه الشمس؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[3].

٦- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل التسبيح من أفضل ما يأتي به الآتي يوم القيامة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**»[4].

٧- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعله سببًا لمغفر الذنوب، وزيادة الحسنات؛ فعن أبي

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٧٩٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٥٤١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٣٦٢)، والحاكم، رقم الحديث: (١٨٤٧)، حكم الألباني: صحيح، مختصر العلو، رقم الحديث: (٢٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٥).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٢).

هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»(١)، وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»(٢)، وعن جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ -فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَتْ كَالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ كَانَتْ كَفَّارَتَهُ**»(٣).

٨- أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعله ثقيلًا في الميزان، كما أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث يقول: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»(٤)(٥)،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٩١).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٨).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث:(١٠٨٥)، والحاكم، رقم الحديث:(١٩٧٦)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٨١).

(٤) قال الشيخ عبدالرزاق البدر: «وفي أكثر هذه الأحاديث قرن مع التسبيح حمد الله تَعَالَىٰ؛ وذلك لأن التسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، والتحميد فيه إثبات المحامد كلها لله عَزَّ وَجَلَّ، والإثبات أكمل من السلب، ولهذا لم يرد التسبيح مجردًا، لكن ورد مقرونًا بما يدل علىٰ إثبات الكمال، فتارة يقرن بالحمد كما في هذه النصوص، وتارة يقرن باسم من الأسماء الدالة علىٰ العظمة والجلال، كقول: سبحان الله العظيم، وقول: سبحان ربي الأعلىٰ، ونحو ذلك».

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٤).

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»[1].

٩-أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل التسبيح غرسًا للجنة؛ فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ**»[2]، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»[3].

١٠-أن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر أنه من عبادة الملائكة، كما قال الله عنهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وما سبق من فضل التسبيح يندرج تحت التقديس؛ إذ كل منهما تنزيه للرب عَزَّوَجَلَّ من النقائص.

وفي قول الملائكة السابق: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] معنىً لطيف للتقديس، ألا وهو تطهير النفس لله عَزَّوَجَلَّ.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ كما سبق: «ونقدس لك، أي: نثني عليك بالقدس

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٤)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٢٣٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٦٢).

والطهارة عما لا يليق بعظمتك وجلالك، وقيل: ونطهر أنفسنا لطاعتك، وقيل: وننزهك»[1].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي: نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة»[2].

اللهم يا سبوح يا قدوس، ارزقنا تسبيحك آناء الليل والنهار، وطهرنا من كل ما لا يرضيك.



(١) تفسير البغوي (١/ ١٠٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٨-٤٩).

السَّيِّد جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ساد قومه يسودهم سيادة وسوددًا وسيدودة، فهو سيدهم، وهم سادة،... وقال أهل البصرة: تقدير سيد (فيعل)، وجمع علىٰ فعلة، كأنهم جمعوا سائدًا، مثل قائد وقادة»(١).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ اللَّهُ: «السين والياء والدال كلمة واحدة، وهي السيد.... أما السيادة، فقال قوم: السيد: الحليم، وأنكر ناس أن يكون هذا من الحلم، وقالوا: إنما سمي سيدًا؛ لأن الناس يلتجئون إلىٰ سواده... والسيد هو: الرئيس... وقيل: الكريم»(٢).

ورود اسم الله (السيد) في القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله (السيد) في القرآن الكريم.

ورود اسم الله (السيد) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (السيد) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللهُ،

---

(١) الصحاح (٢/ ٥٢).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٢٠).

قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[1].

ثبوت اسم الله (السيد) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله (السيد) في حق الله تَعَالَى:

❁ **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله: «وأما وصف الرب تَعَالَى بأنه السيد، فذلك وصف لربه على الإطلاق؛ فإن سيد الخلق هو مالك أمرهم، الذي إليه يرجعون، وبأمره يعلمون، وعن قوله يصدرون»[2].

❁ **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[3].

معنى اسم الله (السيد) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السيد الله، أي: السؤدد كله حقيقة لله عَزَّوَجَلَّ وأن الخلق كلهم عبيد الله»[4].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السيد المحتاج إليه بالإطلاق، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرون، ومن قوله يستهدون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقًا للباري- جل ثناؤه-، ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود؛ إذ لو لم يوجدهم

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٠٦)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٢١١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨٠٦).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ١٢٦)

(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين (ص: ١٥).

(٤) معالم السنن (٤/ ١١٢).

لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء، وكان حقًّا له- جل ثناؤه- أن يكون سيدًا، وكان حقًّا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم»[1].

❁ **قال الأصبهاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: السيد: المُحتاج إليه، والمحتاج إليه بالإطلاق هو الله؛ ليس للملائكة ولا الإنس ولا الجن غنية عنه؛ لو لم يوجدهم لم يوجَدوا، ولو لم يُبقهم بعد الإيجاد لم يكن لهم بقاء، ولو لم يعنهم فيما يعرض لهم لم يكن لهم معين غيره، فحق علىٰ الخلق أن يدعوه بهذا الاسم»[2].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سيد الخلق هو مالك أمرهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن قوله يصدرون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقًا له، وملكًا له، ليس لهم غنىٰ عنه طرفة عين، وكل رغباتهم إليه، وكل حوائجهم إليه، كان هو السيد علىٰ الحقيقة»[3]، وقال: «السيد إذا أُطلق عليه تَعَالَىٰ فهو بمعنىٰ: المالك والمولىٰ والرب؛ لا بالمعنىٰ الذي يطلق علىٰ المخلوق»[4].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَهوَ الإِلَـهُ السَّـيِّدُ الصَّمَـدُ الَّـذِي ... صَمَـدَتْ إِلَيْـهِ الخَلْـقُ بِالإِذْعَـانِ
الكَامِلُ الأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُو ... هِ كَمَالُـهُ مَـا فِيـهِ مِـنْ نُقْصَـانِ

---

(١) الأسماء والصفات (١/ ٦٧).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٦٨).

(٣) تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ١٢٦).

(٤) بدائع الفوائد (٣/ ٧٣٠).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (السيد):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (السيد) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

السيد سُبْحَانَهُ هو الذي ساد الكون سيادة مطلقة بكل أوجه الكمال والجلال، فالسموات والأرض، والملائكة، والإنس والجن، والنبات والحيوان، كل هؤلاء خلق للسيد سُبْحَانَهُ، ليس بهم غنية عنه في بدء أمرهم الوجودي، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض التي قد تطرأ أثناء البقاء، فكلها تزيد بأمره، وتنقص بأمره، وتحيا بأمره، وتموت بأمره، وتتحرك بأمره، وتسكن بأمره، وتنفع وتضر بأمره أيضًا، يقول تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

فله سُبْحَانَهُ كل صفات السؤدد وكمالها، «فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف: الذي قد كمل في شرفه، والعظيم: الذي قد كمل في عظمته، والحليم: الذي قد كمل في حلمه، والغني: الذي قد كمل في غناه، والجبار: الذي قد كمل في جبروته، والعالم: الذي قد كمل في علمه، والحكيم: الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سُبْحَانَهُ هذه صفته، لا تنبغي إلا له»[(١)].

فحري بالعبد الموحد أن يلجأ إلىٰ رب العزة والجلال، السيد سُبْحَانَهُ، ويوحده في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه.

---

(١) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٢٣).

الأثر الثاني: محبة الله السيد:

الإيمان باسم الله السيد يورث في القلب محبة الله عَزَّوَجَلَّ، ويجعل العبد يدرك ألا مالك للكون سوىٰ السيد سُبْحَانَهُ، ولا مدبر للعالم غيره، ولا مصرف للكائنات إلا هو، فينصرف القلب إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ، ويزداد ارتباطًا بمن ملك السؤدد كله علىٰ الحقيقة، والخلق كلهم عبيده.

الأثر الثالث: لا سيادة لفاسق:

الشرف والسؤدد الحقيقي في هذه الدنيا إنما ينال بطاعة الله وتقواه، حيث إن الكرامة والشرف والرفعة وعلو الذكر- وهذه أركان السؤدد- إنما هي لأنبياء الله عَزَّوَجَلَّ وأوليائه وهم السادة علىٰ الناس، أما الكفرة والمنافقون والفساق فلا كرامة لهم ولا سيادة، وإن حصلت لهم السيادة الزائفة في وقت من الأوقات، ولذا جاء النهي عن تسمية المنافق بالسيد، كما جاء في الحديث: «**لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ**»[1]، لأن المنافق يقع في فخ الذنوب والمعاصىٰ، ويهوىٰ في درك الفواحش والآثام، وهذا مخالف لمعنىٰ السيد من المنظور الشرعي، الذي هو: الترفع عن الآثام، والتطهر من المعاصي، والتحلىٰ بمعالي الأخلاق، ولذلك قال جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، للنجاشي عندما سأله عن الإسلام: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٩٧٧)، والبخاري في الأدب المفرد رقم الحديث: (٧٦٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي دواد، رقم الحديث: (٤٩٧٧).

عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ»[1]، فوصف جعفر الإسلام بأنه مجموعة من القيم الأخلاقية، وعليه ينبغي علىٰ كل مسلم أن يلتزم بتلك القيم؛ ليرتفع قدره عند خالقه، وليكون سيدًا بين الناس.

الأثر الرابع: التذلل بين يدي السيد:

إن الإنسان مهما بلغ من السؤدد في هذه الدنيا فهو سؤدد ناقص زائل، وهذا الشعور يثمر التواضع في قلب المسوَّد، وعدم استخدام سيادته في ظلم الناس والتكبر عليهم؛ لأن السؤود الحقيقي السرمدي لله عَزَّوَجَلَّ.

وقد توعد الله من يستكبر عن التذلل بين يديه بالعذاب الأليم، والبعد عن مرضاة رب العالمين، يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ [النساء: ١٧٣]، فإنه يعني: وأما الذين تعظَّموا عن الإقرار لله بالعبودية، والإذعان له بالطاعة، واستكبروا عن التذلل لألوهيته وعبادته، وتسليم الربوبية والوحدانية له ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧٣]، يعني: عذابًا موجعًا ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣]، يقول: ولا يجد المستنكفون من عبادته والمستكبرون عنها- إذا عذبهم الله الأليم من عذابه- سوىٰ الله لأنفسهم وليًّا؛ ينجيهم من عذابه وينقذهم منه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يعني: ولا ناصرًا ينصرهم»[2]، فعلىٰ العبد الخضوع والتذلل للسيد سُبْحَانَهُ خضوع الفقير المحتاج الذي لا طاقة له في البعد عن جناب سيده.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٦٤)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرح بالسماع، ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٢٧).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٧١٠).

الأثر الخامس: أحسِن لمن تحت يدك:

حين يتعرف العبد علىٰ خالقه، ويعلم أن الله له السيادة الكاملة، فالسؤدد كله حقيقة لله، والخلق كلهم عبيده، فإنه يتعامل مع الناس علىٰ هذا الأساس، وخاصة مع الخدم، ومن هم أقل منه شأنًا ومنزلة.

ومن يتتبع سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد أنموذجًا عمليًّا يحتذىٰ به في هذا الجانب، ومن ذلك:

- تحذيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ضرب العبد أو إيذائه، فعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت أضرب غلامًا لي، فسمعتُ مِنْ خَلْفِي صوتًا: **اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ**»[1]، وجعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفارة ضرب العبد بعتقه، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**»[2].

- حضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المعاملة الحسنة لهم حتىٰ في الألفاظ والتعبيرات، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلَامِي، وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ، وَفَتَاتِي**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٥٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٥٧).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٢٤٩).

- نهيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تكليف العبيد والخدم بأعمال شاقة تفوق طاقتهم، أو الدعاء عليهم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[1]، وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[2].

- وصيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه بالعفو عن إساءة الخدم وخطئهم... فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ إِلَيْهِ الْكَلَامَ، فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: **اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[3].

- أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإحسان إلىٰ العبيد والخدم، وعدم الاستهزاء بهم؛ بل وإطعامهم وإلباسهم من نفس طعام ولباس أهل البيت، فعن المعرور بن سويد قال: «لقيت أبا ذر بالربذة (موضع قرب المدينة)، وعليه حُلَّة (ثوب) وعلىٰ غلامه حُلة، فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلًا، فعيرته بأمه، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟** ثُمَّ قَالَ: **إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[4]، وعن

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٥٤٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٠١٤).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥١٤٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥١٦٤).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٥٤٥).

عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا»[1].

بل بلغ اهتمامه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالعبيد في حياته مبلغًا عظيمًا، حتىٰ أوصىٰ بهم خيرًا حين موته وفي آخر كلامه، فعن علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[2]، وفي هذا كله دلالة علىٰ وجوب اللين مع الخدم والعمال والضعاف، واستحضار أن لا سيد إلا الله.

الأثر السادس: حكم إطلاق اسم السيد علىٰ المخلوق:

تحرير محل النزاع:

- اتفق العلماء علىٰ أن إطلاق اسم السيد علىٰ المنافق والكافر لا يجوز، لحديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ** عَزَّوَجَلَّ»[3].

- اختلف العلماء علىٰ إطلاق اسم السيد علىٰ المسلم، علىٰ ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول: الجواز، واستدلوا بعدد من الأدلة، منها:

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣٢٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٩٥)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (١٥٨)، حكم الألباني: صحيح، الأدب المفرد، رقم الحديث: (١٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٩٧٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٩٧٧).

- قول الله تَعَالَى عن نبيه يحي بن زكريا عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٩]، قال ابن الأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن قال قائل: كيف سمَّىٰ الله عَزَّوَجَلَّ يحيىٰ سيدًا وحصورًا، والسيد هو الله؛ إذ كان مالك الخلق أجمعين، ولا مالك لهم سواه؟ قيل له: لم يُرد بالسيد هنا المالك، إنما أراد الرئيس والإمام في الخير، كما تقول العرب: فلان سيدنا، أي: رئيسنا والذي نُعظِّمه»[(١)].

- قول الله تَعَالَى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥] فسمىٰ الزوج بالسيد.

القول الثاني: التحريم، واستدلوا بعدد من الأدلة منها:

- حديث أبي نضرة عن مطرف، قال: قال أبي: «انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، قَالَ: **السَّيِّدُ اللهُ**، قَالُوا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: **قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»[(٢)].

- **القول الثالث**: الكراهة، واستدلوا بعدة أدلة منها:

أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قالوا له: «أَنْتَ سَيِّدُنَا»، قال لهم: «**السَّيِّدُ اللهُ**»[(٣)]، مع أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو سيد ولد آدم، وقوله هذا يدل علىٰ الكراهة

---

(١) اللسان (٣/ ٢١٤٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

الشديدة أن يقال لأحد: أنت السيد؛ لأنه قد يفهم منه استغراق معاني السيادة؛ والبشر ليس مستغرقًا لمعاني السيادة، لكن له سيادة تخصه وتميزه»[1].

يقول الشيخ صالح آل الشيخ تعليقًا عليه: «إن إطلاق لفظ السيد علىٰ البشر مكروه، ومخاطبته بذلك يجب سدها، فلا يخاطب أحد بأن يقال له: أنت سيدنا، علىٰ جهة الجمع، وذلك لأن فيها نوع تعظيم من جهة المخاطبة، يعني: الخطاب المباشر، والجهة الثانية من جهة استعمال اللفظ، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سيد، كما قال عن نفسه: (**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ**)[2]، ولكن مخاطبته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع كونه سيدًا كرهها ومنع منها؛ لئلا تؤدي إلىٰ ما هو أعظم من ذلك، من تعظيمه والغلو فيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ،... وفيه ما يفيد أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حَمَىٰ حِمَىٰ التوحيد، وسد الطرق الموصله للشرك، ومنها طريق الغلو في الألفاظ»[3].

وبعد عرض هذه الأقوال، لعل الصواب والله أعلم: أن إطلاق اسم السيد علىٰ المخلوق جائز؛ لأن السيد بمعنىٰ المقدم في القوم، وكذلك بمعنىٰ الرئيس، وبمعنىٰ المولىٰ، وما أشبه ذلك، ولكن إذا أطلق علىٰ الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو بمعنىٰ الرب المالك المتصرف، فهو غير ما يطلق علىٰ البشر، ولا سيما وقد صح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ**»، ثم ذكر حديث الشفاعة[4].

---

(١) ينظر: التمهيد لشرح كتاب الله التوحيد، لصالح آل الشيخ، (٢/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١١١٤٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٣١٤٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٣٠٨)، حكم الالباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٥٧٤١).

(٣) المرجع السابق، (ص: ٥٨٢).

(٤) سبق تخريجه.

فهذا صحيح ثابت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما إطلاقه علىٰ الله رَحِمَهُ الله فله معنىٰ غير هذا، وهو المولىٰ والمالك والمتصرف والرب الذي يربي خلقه بالنعم، وبما يصلح لهم، وما يصلحهم[(١)].

ويمكن الجمع - أيضًا - بأن يحمل النهي علىٰ إطلاق لفظ السيد علىٰ غير المالك والإذن بإطلاقه علىٰ المالك، وكذلك أن الكراهة خاصة بالنداء، فيكره أن يقول: يا سيدي، ولا يكره في غير النداء»[(٢)].

فاللهم إنا نسألك يا الله يا سيدنا، أن تغفر لنا ذنوبنا،

وأن لا تحوجنا لغيرك.



(١) ينظر: شرح فتح المجيد، للغنيمان. هذا الكتاب عبارة عن دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الدرس هو: ١٣٤، ويوجد أقوال أخرىٰ في المسألة مدارها علىٰ الجواز، وهي: الجواز مطلقًا بلا كراهة، إلا إذا خيف من الغلو؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف عليهم من الغلو، فإذا خيف علىٰ الإنسان من الغلو يُنهىٰ عن ذلك، أما إذا لم يُخفْ عليه من الغلو فلا بأس؛ عملًا بالأحاديث الكثيرة التي جاء فيها إطلاق السيد علىٰ المخلوق، وهناك قول رابع ألمح إليه المشايخ، وهو: أنه لا يجوز إطلاق السيِّد علىٰ الشخص في حضوره ومواجهته، ويجوز إطلاقه عليه وهو غائب؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما استنكر هذا لما واجهوه به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيُمنع مواجهة الإنسان بقول: «أنت السيِّد»، «أنت سيِّدنا»، أو ما أشبه ذلك؛ خوفًا عليه من الإعجاب بنفسه، كما نهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مدح الإنسان حال حضوره. إعانة المستفيد (٢/ ٢١٣/ ٢١٤).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/ ١٧٩).

الشَّافي جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشفاه الله من مرضه شفاء، ممدود،... واستشفىٰ: طلب الشفاء، وأشفيتك الشيء: أي أعطيتكه تستشفىٰ به، ويقال: أشفاه الله عسلًا، إذا جعله له شفاء»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(شفىٰ) الشين والفاء والحرف المعتل يدل علىٰ الإشراف علىٰ الشيء؛ يقال: أشفىٰ علىٰ الشيء إذا أشرف عليه، وسمي الشفاء: شفاء؛ لغلبته للمرض وإشفائه عليه، ويقال: استشفىٰ فلان؛ إذا طلب الشفاء، ويقال: أعطيتك الشيء تستشفي به، ثم يقال: أشفيتك الشيء»(٢).

ورود اسم الله (الشافي) في القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله تَعَالَىٰ (الشافي) في القرآن الكريم.

ورود اسم الله (الشافي) في السنة النبوية:

ورد اسم الشافي في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

- عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان إذا أتىٰ مريضًا أو أتي به، قال: **أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ**

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٤٤).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ١٩٩).

شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا»[1].

ثبوت اسم الله (الشافي) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله (الشافي) في حق الله تَعَالَى:

* **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله: «ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين... اسمه: الشافي، كما ثبت في الصحيح»[2].

* **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[3].

معنى اسم الله (الشافي) في حقه سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ **هو الشافي من أمراض الأبدان والشافي من أمراض القلوب.**

* **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]: «يقول تَعَالَى ذكره: وننزل عليك- يا محمد- من القرآن ما هو شفاء يُستشفىٰ به من الجهل ومن الضلالة، ويُبصَّرُ به من العمىٰ للمؤمنين، ورحمة لهم دون الكافرين به»[4].

- **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله عَزَّوَجَلَّ يشفي الصدور من الشبه والشكوك، ومن الحسد والغلول، والأبدان من الأمراض والآفات لا يقدر علىٰ ذلك غيره، ولا يدعىٰ بهذا الاسم سواه»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٩١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٤٨٥).

(٣) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص: ١٥).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٦٢-٦٣).

(٥) الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ٢١٩).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الشَّافِي):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الشافي) من الصفات:

الله سُبْحَانَهُ هو الشافي بقدرته وحكمته، وعلمه وإحاطته، فلا شافي علىٰ الإطلاق إلا الله وحده، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[1]، فهو سُبْحَانَهُ الذي يرفع البأس والعلل، ويشفي العليل بالأسباب والأمل، فقد يُبرأ الداء مع انعدام الدواء، وقد يُشفىٰ الداء بلزوم الدواء، ويرتب عليه أسباب الشفاء، وكلاهما باعتبار قدرة الله سواء، فهو الشافي الذي خلق أسباب الشفاء، ورتب النتائج علىٰ أسبابها والمعلولات علىٰ عللها، فيشفي بها وبغيرها؛ لأن حصول الشفاء عنده يحكمه قضاؤه وقدره، فالأسباب سواء ترابط فيها المعلول بعلته، أو انفصل عنها هي من خلق الله وتقديره، ومشيئته وتدبيره.

وشفاء الشافي سُبْحَانَهُ **نوعان، دل عليهما عموم قوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**»[2]، وهما:

النوع الأول: الشفاء المعنوي الروحي، وهو الشفاء من علل القلوب.

يقول تَعَالَى ممتنًّا علىٰ خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم علىٰ رسوله الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٧٨).

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير الآية**: «أي: زاجرًا عن الفواحش، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] أي: من الشبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [يونس: ٥٧] أي: محصل لها الهداية والرحمة من الله تَعَالَى، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه»[1].

ويفصل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **القول في أمراض القلوب وشفائها، فيقول**: «**ومرض القلب نوعان: نوع** لا يتألم به صاحبه في الحال؛... كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات.

وهذا النوع هو أعظم النوعين ألمًا، ولكن لفساد القلب لا يُحس بالألم، ولأن سَكْرة الجهل والهوىٰ تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوارٍ عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما، وعلاجه إلىٰ الرسل وأتباعهم، فهم أطباء هذا المرض.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال، كالهم والغم والحزن والغيظ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية، كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب، وما يدفع موجبها مع قيامها، وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن ويشقىٰ بما يشقىٰ به البدن، فكذلك البدن يألم كثيرًا بما يتألم به القلب، ويشقيه ما يشقيه.

فأمراض القلب التي تزول بالأدوية الطبيعية من جنس أمراض البدن، وهذه قد لا توجب وحدها شقاءه وعذابه بعد الموت، وأما أمراضه التي لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية فهي التي توجب له الشقاء والعذاب الدائم،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٤).

إن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها، فإذا استعمل تلك الأدوية حصل له الشفاء، ولهذا يقال: «شفي غيظه» فإذا استولىٰ عليه عدوه آلمه ذلك، فإذا انتصف منه اشتفىٰ قلبه، قال تعالَى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤-١٥]، فأمر بقتال عدوهم، وأعلمهم أن فيه ستَّ فوائد.

فالغيظ يؤلم القلب، ودواؤه في شفاء غيظه، فإن شَفاه بحق اشتفىٰ، وإن شفاه بظلم وباطل زاده مرضًا من حيث ظن أنه يشفيه...، وكذلك الجهل مرض يؤلم القلب، فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضًا إلىٰ مرضه؛ لكن اشتغل القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه، بسبب جهله بالعلوم النافعة، التي هي شرط في صحته وبُرْئه، قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الذين أفتوا بالجهل، فهلك المستفتي بفتواهم: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**»[١]، فجعل الجهل مرضًا، وشفاءه سؤال أهل العلم.

والمقصود: أن من أمراض القلوب ما يزول بالأدوية الطبيعية، ومنها ما لا يزول إلا بالأدوية الشرعية الإيمانية»[٢].

النوع الثاني: الشفاء المادي، وهو الشفاء من علل الأبدان:

فإن الشفاء من الأمراض لا يحدث بالطبيب وخبرته، أو بالدواء وقوته، وإنما يحدث بإذن الله وقدرته، فالله عَزَّ وَجَلَّ خالق البدن ومدبر أمره، يعلم الداء والدواء

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٣٦)، حكم الألباني: حسن لغيره، رقم الحديث: (٥٣١).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٦-١٩).

جملة وتفصيلًا؛ ولذا جاء الشفاء مخصصًا في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] بـ(هو)، وكذلك أكدها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث: «**اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ**»[1]، ومن دلائل ذلك أيضًا ما يلي:

- قول جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين عاده في مرضه، فعن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: **نَعَمْ**، قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»[2]، فجبريل هو خير الأطباء من الخلق؛ لأنه يعالج بالوحي، والمريض هو خير الناس وأطيبهم بدنًا ونفسًا، وهو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والدواء هو خير دواء؛ لأنه رقية (بسم الله الشافي)، ومع ذلك فإن جبريل يتبرأ من حوله وقوته إلىٰ حول الله وقوته، ويقول: «**الله يَشْفِيكَ**» أي: أن الرقية مني، ولكن الشفاء كله من الله وحده.

- ما أكرم الله به نبيه عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من شفاء المرضىٰ، وإبراء الأعمىٰ فيبُصر، والأبرص فيُشفىٰ، وحتىٰ إحياء الموتىٰ، ولكن هذا كله بإذن الله، وهذا ما قاله نبي الله عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩].

- قصة أصحاب الأخدود، عندما جاء جليس الملك وقد عمي إلىٰ الغلام المؤمن بهدايا، وقال: «**مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ**»[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٨٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٠٠٥).

ومن المعلوم أن اعتقاد العبد وإيمانه بأن الشافي هو الله وحده، وأن الشفاء بيده ليس مانعًا من بذل الأسباب النافعة بالتداوي، وطلب العلاج، وتناول الأدوية المفيدة، فقد جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث عديدة في الأمر بالتداوي، وذكر أنواع من الأدوية النافعة المفيدة[1]، وهذا لا ينافي التوكل علىٰ الله واعتقاد أن الشفاء بيده.

الأثر الثاني: توحيد الله باسمه (الشافي):

- دلالته علىٰ توحيد الألوهية والربوبية:

إن الله عَزَّوَجَلَّ هو القدير الحكيم، فبالقدرة خلق الأشياء وأوجدها وهداها وسيَّرها، وانفرد بذلك دون سواه، وهذا توحيد الربوبية، وبالحكمة رتب الأسباب ونتائجها وابتلانا بها، وعلق عليها الشرائع والأحكام تحقيقًا لتوحيد العبودية، والعبد المؤمن يوقن تمامًا بأن الشفاء بيد الله وحده، «وأن الأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا، أمر مأمور به شرعًا، لا ينافي التوكل علىٰ الله بحال؛ لأن المكلف يتعاطىٰ السبب امتثالًا لأمر ربه، مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه، فهو متوكل علىٰ الله، عالم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر، ولو شاء الله تخلُّف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلَّف»[2].

وفي ذلك يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾

---

(١) سيأتي مزيد بيان في الأثر الثالث.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، (٣/ ٣٩٨).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨١]: «فهو وحده سُبۡحَانَهُ المنفرد بذلك، فيجب أن يفرد بالعبادة والطاعة، وتترك هذه الأصنام، التي لا تخلق، ولا تهدي، ولا تمرض، ولا تشفي، ولا تطعم ولا تسقي، ولا تميت، ولا تحيي، ولا تنفع عابديها، بكشف الكروب، ولا مغفرة الذنوب، فهذا دليل قاطع، وحجة باهرة، لا تقدرون أنتم وآباؤكم علىٰ معارضتها»[١].

- دلالته علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

وكما تقدم فاسم الله (الشافي) يدل باللزوم علىٰ الحياة والقيومية، والسمع والبصر، والعلم والقدرة، والخبرة والحكمة، والغنىٰ والقوة، وغير ذلك من صفات الكمال.

الأثر الثالث: التوكل علىٰ الله الشافي:

فالله سُبۡحَانَهُ هو خالق الأسباب ومسبباتها، وفارق كبير بين التعلق بالأسباب، والأخذ بالأسباب، فإن من صدق توكل العبد علىٰ الله أن يأخذ بالأسباب وهو يعلم أنها لا تنفع ولا تضر إلا بإذنه تَعَالَى، ولا ترد شيئًا من أقداره، ومن أدلة ذلك: ما رواه أبو خزامة، قال: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ رُقًىٰ نَسْتَرْقِيهَا، وَدَوَاءً نَتَدَاوَىٰ بِهِ، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ شَيْئًا؟ قَال: **هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ**»[٢].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك:** «إن القلب متىٰ اتصل برب العالمين خالق الداء والدواء، ومدبر الطب ومصرفه علىٰ ما يشاء، كانت له أدوية

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٠٦٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٤٣٧)، حكم الألباني: حسن، تخريج مشكلة الفقر، رقم الحديث: (١٣).

أخرىٰ غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه، فإذا قويت النفس بإيمانها وفرحت بقربها من بارئها، وأنسها به وحبها له، وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه، وجمع أمورها عليه، واستعانتها به وتوكلها عليه، فإن ذلك يكون لها من أكبر الأدوية في دفع الألم بالكلية»[1].

فالأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره، لا خروج لها عنه، والله تَعَالَى يتصرف فيها كيف يشاء، إن شاء أبقىٰ سببيتها، وإن شاء غيرها كيف يشاء؛ لئلا يعتمد العباد عليها، وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، كما تقدم في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ**»[2]، والله سُبْحَانَهُ لم ينزل داء إلا ومعه الدواء، كما في الحديث: «**فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ**»[3]، ودل عباده علىٰ أسباب تنفع بإذنه تَعَالَى للشفاء، ومن تلك الأسباب:

١ - القرآن:

قال الله عَزَّوَجَلَّ عن أثر القرآن في شفاء القلوب وهدايتها: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

---

(١) الطب النبوي، لابن القيم، (ص: ١١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٨٥٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٤٣٦)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٤٨٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٠٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحدٍ يوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه علىٰ دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبدًا، وكيف تقاوم الأدواءُ كلامَ رب الأرض والسماء، الذي لو نزل علىٰ الجبال لصدَّعها، أو علىٰ الأرض لقطَّعها»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَوْا عَلَىٰ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلَا نَفْعَلُ حَتَّىٰ تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفُلُ، فَبَرَأَ، فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّىٰ نَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ، وَقَالَ: **وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**»[2].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَىٰ يَقْرَأُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»[3].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَىٰ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ،

---

(١) الطب النبوي، لابن القيم (ص: ٢٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٧٣٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٢٠١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠١٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٩٢).

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا - وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا: **بِاسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَىٰ بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا**»[1].

وعلىٰ هذا فالقرآن فيه شفاء لأرواح المؤمنين، وشفاء لأجسادهم.

٢- العسل:

يقول تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: في العسل شفاء للناس من أدواء تعرض لهم،... ثم ذكر الحديثُ الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اسْقِهِ عَسَلًا**، فَسَقَاهُ، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَال: إِنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلًا، فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا! فَقَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: **اسْقِهِ عَسَلًا**، فَقَالَ: لَقَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ!** فَسَقَاهُ فَبَرَأَ[2].

قال بعض العلماء بالطب: «كان هذا الرجل عنده فضلات، فلما سقاه عسلًا وهو حار تحللت، فأسرعت في الاندفاع، فزاده إسهالًا، فاعتقد الأعرابي أنَّ هذا يضره وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه فازداد، ثم سقاه فكذلك، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه، وصلح مزاجه،

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٧١٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٢١٧)، واللفظ له.

واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته»[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ**»[2].

٣- الحبة السوداء:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا مِنَ السَّامِ، قُلْتُ: وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: الْمَوْتُ**»[3].

٤- ماء زمزم:

ثبت في الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرب من ماء زمزم، وأنه قال: «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**»[4]، وقد غسل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ صدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بماء زمزم.

٥- الصدقة:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ**»[5]، وهذا هو الطب الحقيقي الذي لا يخطئ، لكن لا يظهر نفعه إلا لمن رق حجابه وكمل استعداده ولطفت بشريته... فإن الصدقة دواء

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٠١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٨١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٨٧).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٤٧٣).

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٣٢٧٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٣٥٨).

منجح، ونبه بها علىٰ بقية أخواتها من القُرَب، كعتق، وإغاثة لهفان، وإعانة مكروب[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للصدقة تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو من ظالم، بل من كافر، فإن الله تَعَالَىٰ يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم جربوه»[2].

٦-التلبينة:

عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض، وللمحزون علىٰ الهالك، وكانت تقول: إني سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**التَّلْبِينَةُ مَجَمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ**»[3].

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(مَجَمَّة) بفتح الميمين والجيم مشدد، أي: مريحة لفؤاد المريض، وفي رواية: الحزين، أي: تريح قلبه وتسكنه، بإخمادها للحمىٰ من الإجمام، وهو الراحة (تذهب ببعض الحزن)، فإن فؤاد الحزين يضعف باستيلاء اليبس علىٰ أعضائه ومعدته؛ لقلة الغذاء، والحساء، يرطبها ويغذيها ويقويها»[4].

---

(١) شرح الجامع الصغير، للمناوي (٢/ ٢).

(٢) الوابل الصيب (١ / ٤٩).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٨٩).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوىٰ (١ / ٩٣٦).

٧- التداوي بالطب الحديث:

وهو ما يكون علىٰ أيدي الأطباء، فعلىٰ المريض مع يقينه بأن الشافي هو الله أن يأخذ بالأسباب بجوارحه دون قلبه، فلا يمتنع من الأسباب ومن بينها الطب الحديث الذي ثبتت دراساته، وقد بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك جليًّا لما سأله الأعراب: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَتَدَاوَىٰ؟ قَالَ: **نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا**»[1].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الطب غير قادح في التوكل؛ إذ تطبب رسول الله صلىٰ الله عليه و سلم والفضلاء من السلف، وكل سبب مقطوع به كالأكل والشرب للغذاء والري لا يقدح في التوكل عند المتكلمين في هذا الباب، ولهذا لم ينف عنهم التطبب»[2].

الأثر الرابع: محبة الله الشافي:

الله عَزَّوَجَلَّ هو الشافي الذي لا شفاء إلا شفاؤه، والذي لا يكشف الضر إلا هو ولا يأتي إلا بالخير إلا هو، وهو الذي أنزل الكتب وأرسل الرسل؛ ليشفي الناس من أمراض الشرك والكفر والشكوك، والحقد والحسد وغيرها من أمراض القلوب، ويعافيها بالهداية إلىٰ الدين القيم، والصراط المستقيم الذي يوصل إليه، وهو الذي يحفظ أبدانهم ويشفي أبدانهم من الأسقام والآفات، وهذا كله يثمر في القلب محبة مَن هذه صفاته، وتوحيده والتعبد له بكل أنواع العبادة لا شريك له.

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٠٣٨)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٢٩١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد (٢٩١).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (٣/ ٩١).

أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدِّر من الأسباب الموصلة إليه[1].

الأثر الخامس: تحريم التداوي بمحرم:

من آمن باسم الله (الشافي) كان متحريًا في طلب الدواء الحلال، ومتجافيًا عن الحرام الذي يباعد بينه وبين ربه، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»[2]، وفي حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»[3]، فقالت له زوجته: لِمَ تقول هذا؟ والله لقد كانت عيني تقذف، وكنت اختلف إلى فلان اليهودي يرقيني، فإذا رقاني سكنت، فقال عبد الله: إنما ذاك الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[4].

وعلل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **التحريم بقوله:** «التداوي بالمحرم لا يجوز؛ لأن الله لم يجعل شفاء هذه الأمة فيما حرمه عليها؛ ولأن الله لا يحرم علينا الشيء إلا لضرره، والضار لا ينقلب نافعًا أبدًا، حتى لو قيل: إنه اضطر

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٦٤٩)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٣٣).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٦٨٥)، وأبو داود، رقم الحديث: (٣٨٨٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٥٣٠)، حكم الألباني: حسن، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٣٩).

(٤) سبق تخريجه.

إلىٰ ذلك فإنه لا ضرورة للدواء إطلاقًا؛ لأنه قد يتداوىٰ ولا يشفىٰ، وقد يشفىٰ بلا تداوٍ، إذًا: لا ضرورة إلىٰ الدواء»[1].

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة أدلة لتحريم التداوي بما حرمه الله، وقسم هذه الأدلة إلىٰ قسمين، كالتالي:

أولًا: الأدلة الشرعية، ومنها:

- قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»[2].

- عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ»[3].

- حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ»[4].

- حديث طارق بن سويد الجعفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخمر: «فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ**»[5].

---

(١) لقاءات الباب المفتوح (٥٦ / ١٥)، حكم التداوي بالمحرم.

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث:(٣٨٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٩٧٤٣)، حكم الالباني: شطره الأول صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٤٥٣٨).

(٣) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (٧٦٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٩٧٤١).

(٤) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٨٦٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠٤٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٤٥٩)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٤٥٣٩).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٨٤).

ثانيًا: الأدلة العقلية، ومنها:

- أن الله سُبْحَانَهُ إنما حرمه لخبثه، فإنه لم يحرم علىٰ هذه الأمة طيبًا عقوبة لها، كما حرمه علىٰ بني إسرائيل، بقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

- في التحريم حمية لهم، وصيانة عن تناوله، فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثر في أزالتها لكنه يعقب سقمًا أعظم منه في القلب، بقوة الخبث الذي فيه، فيكون المداوي به قد سعىٰ في إزالة سقم البدن بسقم القلب.

- أن التداوي بالخبيث يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث؛ لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالًا بينًا، فإذا كانت كيفيته خبيثة أكسب الطبيعة منه خبثًا، فكيف إذا كان خبيثًا في ذاته.

- أن شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول، واعتقاد منفعته، وما جعل الله فيه من بركة الشفاء، فإن النافع هو المبارك،... ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين مما يحول بينه وبين اعتقاد بركتها ومنفعتها وبين حسن ظنه بها[1].

الأثر السادس: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]:

فإن عقل العبد يعجز ويضيق عن استيعاب كل ما يجري عليه؛ إذ الله يعامله بعلمه، ولا يخلو من فضل تَعَالَى، فكثير مما يُقدر عليه من أمراض أومكروهات هي في ذاتها شفاء لأمراض في القلب قد تفتك به لو استمرت

(١) انظر: الطب النبوي، لابن القيم (ص: ١٢١).

فيه، فيأتي المرض أو المصيبة؛ ليكونا سببًا في التخلص منها، فالشفاء ليس بالضرورة هو المعافاة من المرض، أو زواله بالكلية، و في هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يعدد حكم الله عَزَّوَجَلَّ ورحمته في المصائب: «السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع ساقه إليه (الطبيب) العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر علىٰ تجرعه ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه، فيذهب نفعه باطلًا، والثامن: أن يعلم أن في عقبىٰ هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته، فلينظر إلىٰ عاقبته وحسن تأثيره»[(١)].

ويؤكد السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك بقوله: «إن الغالب علىٰ العبد المؤمن أنه إذا أحب أمرًا من الأمور فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع؛ لأنه يعلم أن الله تَعَالَى أرحم بالعبد من نفسه، وأقدر علىٰ مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه، كما قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩] فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم»[(٢)].

ومما يعين العبد علىٰ ذلك: أن يعلم بعضًا من الحِكم في دائه الذي يرجو منه شفاء، ومنها:

١- مغفرة الذنوب:

عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/ ٤١٦).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٩٦).

قال: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًىٰ وَلَا غَمٍّ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[1]، والوصب: المرض.

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: **أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**، قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: **أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًىٰ شَوْكَةٌ، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»[2].

٢- النجاة من النار:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَادَ مَرِيضًا وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ وَعَكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **أَبْشِرْ إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يَقُولُ: نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَىٰ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ**»[3].

٣- المريض يظفر بمعية الله:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٤١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٤٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٦٧٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠٨٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٤٧٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٢).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٩).

٤- دخول الجنة:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ**»[1]، بحبيبتيه: أي: عينيه.

وعن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: **إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»[2].

٥- أجر عيادة المريض:

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ، إِنْ كَانَ مُصْبِحًا حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُمْسِيًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**»[3].

غدوة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، العشية: آخر النهار، الخريف: الثمر المخروف: أي: المجتنىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٤١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٥٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٦).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦١٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٩٦٩)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٤٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣١٣).

٦- ومن المرضىٰ من له أجر الشهداء:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»[١]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ وَالْمَبْطُونُ وَالْغَرِقُ وَصَاحِبُ الْهَدْمِ وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[٢].

المبطون: الذي يموت بداء البطن، والمطعون: الذي يموت بالطاعون، وصاحب الهدم: الذي يموت تحت الهدم.

وعن جابر بن عَتِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَىٰ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ**»[٣].

والمريض متسبب في أجر لمن زاره: وهذه بركة خُص بها المريض:

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٨٣٠)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩١٦).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٨٢٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩١٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣٧٥٣)، وأبو داود، رقم الحديث: (٣١١١)، والنسائي، رقم الحديث: (١٨٤٥)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٣٩).

(٤) سبق تخريجه.

غدوة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، العشية: آخر النهار، الخريف: الثمر المخروف: أي: المجتنىٰ.

الأثر السابع: الدعاء باسمه (الشافي):

فمتىٰ ما أراد العبد الشفاء، أوبحث عن أسباب الدواء فإن من أهم الاسباب التي يأخذ بها: دعاء الله باسمه (الشافي) أن يتولاه بقدرته ويشفيه، ويدله علىٰ دائه ودوائه، كما كان يقول ويفعل نبينا ﷺ بأن يمسح علىٰ المريض، ويقول: «**أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[1]، ومنه رقية جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لنبينا، فقد ثبت في الصحيح أن جبريل أتىٰ النبىٰ ﷺ: « **فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**»[2].

وقد كان ذلك نهج صحابته من بعده، كما ثبت عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لثابت: أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ الْبَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[3].

فاللهم رب الناس، اذهب البأس، أنت الشافي، اشف قلوبنا من عللها، واشف أبداننا من أمراضها، شفاء لا يغادر سقمًا، شفاء أنت أهله ووليه.



(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٨٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٧٤٢).

الطَيِّب جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطيب: خلاف الخبيث، وطاب الشيء يطيب طيبة وتطيابًا»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطاء والياء والباء أصل واحد صحيح؛ يدل على خلاف الخبيث»(٢).

ورود اسم الله (الطيب) في القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله تَعَالَى (الطيب) في القرآن الكريم.

ورود اسم الله (الطيب) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الطيب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] **وَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾

---

(١) الصحاح (١/ ١٩٢).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٤٣٥).

[البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[١].

ثبوت اسم الله (الطيب) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله (الطيب) في حق الله تَعَالَى:

❊ **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله: «فهو طيب وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، وأسماؤه أطيب الأسماء، واسمه الطيب»[٢].

❊ **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[٣].

معنى اسم الله (الطيب) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال القاضي: الطيب في صفة اللهتَعَالَى بمعنىٰ: المنزَّه عن النقائص، وهو بمعنىٰ القدوس، وأصل الطيب: الزكاء والطهارة والسلامة من الخبث»[٤].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ**»[٥]، وذلك في دعاء التشهد: «وكذلك قوله: (**وَالطَّيِّبَاتُ**) هي

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠١٥).

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٥١).

(٣) ينظر: القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص: ١٥).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٥٣٥).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٣١)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٠٢).

صفة الموصوف المحذوف أي: الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله وحده، فهو طيب وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، وأسماؤه أطيب الأسماء، واسمه (الطيب)، ولا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، وإليه يصعد الكلم الطيب وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه، فالطيبات كلها له ومضافة إليه وصادرة عنه ومنتهية إليه»[1].

❊ **قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطيب معناه: الطاهر، والمعنىٰ: أن الله مقدس منزه عن النقائص والعيوب كلها»[2]، فهوسُبْحَانَهُ المنزه عن الآفات والعيوب، وعن كل وصف خلا عن كمال، أو عن طيب الثناء.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الطيب)(٣):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الطيب) من الصفات، ودلالته علىٰ التوحيد:

«الله سُبْحَانَهُ الطيب، فالأسماء الطيبات، والصفات الطيبات، والكلمات الطيبات، والأفعال الطيبات، كلها له سُبْحَانَهُ لا يستحقها أحد سواه، بل ما طاب شيء قط إلا بطيبته سُبْحَانَهُ، فطيب كل ما سواه من آثار طيبته»[4].

ومن مظاهر كون الله طيبًا ما يلي:

---

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص: ٢١٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٤).

(٣) للاستزادة: تراجع آثار اسم الله (السبوح القدوس).

(٤) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم (ص: ٢١٤).

كلام الطيب أطيب كلام:

فالقرآن أطيب الكلام؛ لأنه خرج من أطيب من تكلم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال بعض المفسرين في قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤] أي: القرآن، وقيل: لا إله إلا الله، وقيل: الأذكار المشروعة»[١]، ويقول السعدي -أيضًا- في تفسير ﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]: «الذي أفضله وأطيبه كلمة الإخلاص، ثم سائر الأقوال الطيبة التي فيها ذكر الله، أو إحسان إلىٰ عباد الله»[٢].

ولا ينبغي أن يتقرب إليه العبد إلا بالطيب من الأقوال، والأعمال المنبعثة من المقاصد الطيبة.

عقيدة الطيب أطيب العقائد:

يقول تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وهي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ منتشر ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وهي كثيرة النفع دائمًا، ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا﴾ أي: ثمرتها ﴿كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن،

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٠٨).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٣٦).

علمًا واعتقادًا، وفرعها من الكلم الطيب، والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائمًا، يصعد إلىٰ الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان، ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، ويجد ثمرتها في حياته؛ بل ويجدها بعد مماته وهذه الكلمة مع العبد حتىٰ يصل إلىٰ البرزخ، فإذا قيل: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيثبت الله في ذلك الموقف من يشاء سُبْحَانَهُ»[1].

شرع الطيب أطيب الشرائع:

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ [النساء: ٥٨]: «يعني بذلك جل ثناؤه: يا معشر ولاة أمور المسلمين، إن الله نعم الشيء يعظكم به، ونعمت العظة يعظكم بها»[2].

الطيب أحل الطيبات، ورزقه أطيب الأرزاق:

يقول تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤]، وقال تَعَالَىٰ عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وإذا تقرر لدىٰ العبد عظمة سعة طيب الله تَعَالَىٰ، وشموله لصفاته كلها؛ تيقن أن لا إله ولا رب يستحق التوحيد والعبادة إلا الرب الطيب الجميل

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٢٥).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٤٩٤).

الكريم السبوح القدوس، الذي له الكمال كله، والطيب كله، والحمد كله، والقدرة كلها.

وكما أن اسم الله (الطيب) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الكريم والجميل والرحيم إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: محبة الله الطيب:

من آمن بأن الله طيب في ذاته، بأسمائه، وصفاته، وطيب في أفعاله، وأنه لايقبل من الصدقات إلا ما كان طيبًا، ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبًا؛ أحب ربه وأجله.

الأثر الثالث: المؤمن طيب في أحواله كلها:

أهل الإيمان بالله هم الطيبون الذين عمرت قلوبهم بمحبة الله واتباعه، فطابت أقوالهم وأعمالهم، فلا يحبُّون إلا الطيب من كل شيء، ومن ذلك:

طيب أقوالهم:

فلا يتكلمون إلا بالطيب الحسن من الكلام، كما قالتَعَالَى في وصفهم: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦].

قال مجاهد وابن جبير وأكثر المفسرين: «المعنىٰ: الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول، وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من

الناس للطيبات من القول»[1]، وقيل المعنىٰ: «الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وكذا الطيبات للطيبين»[2].

وقد قسم الله تَعَالَىٰ الكلام إلىٰ طيب وخبيث، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، و﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾: «وهو طيب سُبْحَانَهُ، لا يصعد إليه إلا طيب، والكلم الطيب إليه يصعد، فكانت الطيبات كلها له ومنه وإليه، له ملكًا ووصفًا، ومنه مجيئها وابتداؤها، وإليه مصعدها ومنتهاها»[3][1].

طيب أفعالهم:

فلا يقدمون إلا علىٰ الأفعال والأخلاق الطيبة؛ وهي التي اجتمعت علىٰ حسنها الفِطَرُ السليمةُ مع الشرائع النبوية، وزكتها العقول الصحيحة، فاتفق علىٰ حسنها الشرعُ والعقلُ والفِطرةُ، فهي المنبعثة من مقاصد وأهداف طيبة، ومن ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٢١١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) (١) بدائع الفوائد (٢/ ١٦٢).

وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ومن أعظم ما تحصل به طيبة الأعمال للمؤمن طيب المطعم، وذلك بأن يكون حلالًا، فيزكو بذلك عمله، يقول تعالَى: ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة: ٨٨].

ولذا أمر الله عباده المؤمنين بأن يأكلوا حلالًا طيبًا ثم يعملوا صالحًا، ولا يقبل الله منهم إلا ما كان طيبًا من الطعام والأعمال، ومما يدل علىٰ ذلك قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١] **وَقَالَ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[1].

ومما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب، ولا يرضىٰ إلا به، ولا يسكُن إلا إليه، ولا يطمئن قلبُه إلا به، فله من الكلام الكَلِمُ الطيب الذي لا يصعد إلىٰ اللهتَعَالَى إلا هو، وهو أشدُّ شيء نُفرة عن الفحش في المقال، والتفحش في اللسان والبذاء، والكذب والغيبة، والنميمة والبُهت، وقول الزور وكل كلام خبيث، وكذلك لا يألف من الأعمال إلا أطيبها، وهي الأعمال التي اجتمعت علىٰ حسنها الفِطَرُ السليمة مع الشرائع النبوية، وزكتها

(١) سبق تخريجه.

العقول الصحيحة، فاتفق علىٰ حسنها الشرع والعقل والفطرة، مثل أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا، ويؤثر مرضاته علىٰ هواه، ويتحبب إليه جهده وطاقته، ويُحسن إلىٰ خلقه ما استطاع فيفعل بهم ما يحب أن يفعلوا به، ويعاملوه به ويَدَعَهم مما يحب أن يدعُوه منه، وينصحهم بما ينصح به نفسه، ويحكم لهم بما يحب أن يحكم له به، ويكف عن أعراضهم ولا يقابلهم بما نالوا من عرضه، وإذا رأىٰ لهم حسنًا أذاعه، وإذا رأىٰ لهم سيئًا كتمه، ويقبل أعذارهم ما استطاع؛ فيما لا يُبطل الشريعة، ولا يُناقض لله أمرًا ولا نهيًا، وله- أيضًا- من الأخلاق أطيبها وأزكاها، كالحلم والوقار والسكينة والرحمة والوفاء، وسهولة الجانب ولين العريكة، والصدق وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد، والتواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان والعزة، والغلظة علىٰ أعداء الله، وصيانة الوجه عن بذله وتذلله لغير الله، والعفة والشجاعة والسخاء والمروءة، وكل خلق اتفقت علىٰ حسنه الشرائع والفطر والعقول.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها، وهو الحلال الهنيء المريء الذي يُغذِّي البدن والروح أحسن تغذية مع سلامة العبد من تبعته، وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها وأزكاها، ومن الروائح إلا أطيبها وأزكاها، ومن الأصحاب والعُشراء إلا الطيبين منهم، فروحه طيبة، وبدنُه طيب، وخُلُقُه طيب، وعملُه طيب، وكلامه طيب، ومطعمه طيب، ومشربه طيب، وملبسه طيب، ومدخله طيب، ومخرجه طيب، ومنقلبه طيب، ومثواه كله طيب، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل الطيب بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار.

فجعل الدور ثلاثة: دارًا أخلصت للطيبين، وهي حرام علىٰ غير الطيبين،

وقد جمعت كل طيب وهي الجنة، ودارا أخلصت للخبيث والخبائث، ولا يدخلها إلا الخبيثون وهي النار، ودارا امتزج فيها الطيب والخبيث، وخلط بينهما وهي هذه الدار؛ ولهذا وقع الابتلاء والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط، فإذا كان يوم معاد الخليقة ميز الله الخبيث من الطيب، فجعل الطيب وأهله في دار علىٰ حدة لا يخالطهم غيرهم، وجعل الخبيث وأهله في دار علىٰ حدة لا يخالطهم غيرهم، فعاد الأمر إلىٰ دارين فقط: الجنة وهي دار الطيبين، والنار وهي دار الخبيثين[1].

الأثر الرابع: الحياة الطيبة جزاء الطيبين في الدنيا والآخرة:

فالمؤمن حاز طيب الحياة الأبدي في الدنيا والآخرة، وبيان ذلك ما يلي:

أولًا: الحياة الطيبة في الدنيا:

إن أطيبَ العيشِ العيشُ مع الله، من ناله فقد نال أوفر الحظ والنصيب، **يقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «قد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته، فقال تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة والرضا، والرزق الحسن وغير ذلك، والصواب: أنها حياة القلب ونعيمه، وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله، ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، كما كان بعض العارفين يقول: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وقال غيره: إنه ليمر بالقلب أوقات

---

(١) ينظر: زاد المعاد (ص ٦٥،٦٦).

يرقص فيها طربًا، وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح، فإنه ملكها، ولهذا جعل الله المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكره، وهي عكس الحياة الطيبة، وهذه الحياة الطيبة تكون في الدور الثلاث، أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، والمعيشة الضنك- أيضًا- تكون في الدور الثلاث، فالأبرار في النعيم هنا وهنالك، والفجار في الجحيم هنا وهنالك، قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠]»[1]

ثانيًا: الحياة الطيبة في الآخرة:

لما طابت أقوال المؤمنين وأفعالهم في الدنيا، طابت لهم الدار الآخرة، وأنزلهم الله المساكن الطيبة، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا،** قَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ **قَالَ: مَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[2]، فلايسمعون فيها إلا طيبًا: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥]، ولايرون إلا طيبًا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة هي رؤية وجه الكريم سُبْحَانَهُ، وحتىٰ أنفسهم وأنفاسهم طابت؛ كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ،** قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ **قَالَ: جُشَاءٌ، وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»[3].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (١٢٠٠)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٢٨٢٥)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (١٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٣٥).

يقول تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] وقال تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] «فعقَّب دخولها علىٰ الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول، أي: بسبب طيبكم قيل لكم: ادخلوها»[١].

وقد وصف الله تَعَالَى منقلَب المؤمنين في الآخرة بالطيب، فحياتهم طيبة، ومساكنهم طيبة ومطاعمهم ومشاربهم طيبة، وذلك في غير ما آية من كتابه، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

اللهم اجعلنا من عبادك الطيبين الذين يقال لهم يوم القيامة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

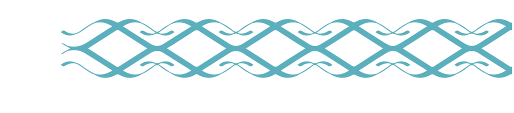
اللهم ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا.



---

(١) الوابل الصيب (ص: ٤٠).





القابِضُ الباسِطُ جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

أولًا: معنى القابض:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قبضت الشيء قبضًا: أخذته، والقبض: خلاف البسط، ويقال: صار الشيء في قبضتك، أي: في ملكك»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(قبض) القاف والباء والضاد أصل واحد صحيح يدل على معنيين، أحدهما: أخذ الشيء، تقول: قبضت الشيء من المال وغيره قبضًا، ومقبض السيف ومقبضه: حيث تقبض عليه، والثاني: جمع الشيء وتجمعه، ومنه القبَض، بفتح الباء: ما جمع من الغنائم وحصل»(٢).

ثانيًا: معنى الباسط:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بسط الشيء: نشره، وبالصاد أيضًا، وبسط العذر: قبوله، والبسطة: السعة... والبساط، بالفتح: الأرض الواسعة»(٣).

- **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(بسط) الباء والسين والطاء أصل واحد، وهو امتداد الشيء في عرض أو غير عرض، فالبساط: ما يبسط، والبساط: الأرض،

---

(١) الصحاح (٤/ ٢٣٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٥٠).

(٣) الصحاح (٤/ ٢٥٣).

وهي البسيطة... ويد فلان بسط: إذا كان منفاقًا، والبسطة في كل شيء السعة، وهو بسيط الجسم والباع والعلم، قال الله تَعَالَى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]»[1].

ورود اسم الله (القابض الباسط) في القرآن الكريم:

لم يرد هذان الاسمان في القرآن الكريم.

ورود اسم الله (القابض الباسط) في السنة النبوية:

ورد الاسمان في السنة النبوية، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «قال الناس: يا رسول الله، غلا السعرُ، فَسَعِّرْ لنا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ الْمُسَعِّرُ، الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**»[2].

ثبوت اسمي الله (القابض والباسط) في حق الله تعالىٰ:

من العلماء الذين أثبتوا اسمي الله (القابض والباسط) في حق الله تَعَالَى:

- **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول في النونية:

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ = هُوَ رَافِعٌ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ[3]

- **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[4].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٤٢٧٣)، والترمذي، رقم الحديث: (١٣١٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٢٠٠)، حكم الألباني: صحيح، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٣).

(٣) نونية ابن القيم (ص: ٢١١).

(٤) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص: ١٥).

معنى اسمي الله (القابض الباسط) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]: «(يقبض): يقتر بقبضه الرزق عمن يشاء من خلقه، ويعني بقوله: (ويبسط): يوسع ببسطة الرزق علىٰ من يشاء منهم»[(١)].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقتر علىٰ من يشاء ويوسع علىٰ من يشاء علىٰ حسب ما يرىٰ من المصلحة لعباده، فالقبض ها هنا: التقتير والتضييق والبسط: التوسعة في الرزق والإكثار منه، فالله عَزَّوَجَلَّ القابض الباسط يقتر علىٰ من يشاء ويوسع علىٰ من يشاء»[(٢)].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقابض الباسط هو الذي يوسع الرزق ويقتره، ويبسطه بجوده ورحمته، ويقبضه بحكمته علىٰ النظر لعبده، كقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورىٰ: ٢٧]، فإذا زاده لم يزده سرفًا وخرقًا، وإذا نقصه لم ينقصه عدمًا ولا بخلًا، وقيل: القابض هو الذي يقبض الأرواح بالموت الذي كتبه علىٰ العباد»[(٣)].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها الباسط: ومعناه الناشر فضله علىٰ عباده، يرزق ويوسع ويجود ويفضل ويمكن ويخول ويعطي أكثر مما يحتاج إليه، ومنها القابض، يطوىٰ بره ومعروفه عمن يريد، ويضيق ويقتر أو يحرم فيفقر، ولا ينبغي أن يدعىٰ ربنا جَلَّجَلَالُهُ باسم القابض، حتىٰ يقال معه: الباسط»[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٨٩).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٩٧).

(٣) شأن الدعاء (١/ ٥٨).

(٤) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٣).

❊ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القابض هو الذي يمسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، المتقابلة التي لا يطلق كلٌّ واحد منها إلا مع الآخر»[١].

والسبب في ذلك - والله أعلم -: أن الكمال المطلق إنما يكون باجتماعهما؛ وذلك لأن في اجتماعهما جمع بين صفات الجمال والإحسان والتودد والرحمة التي يدل عليها اسم الله (الباسط)، وبين صفات الجلال والعظمة والكبرياء والعدل والانتقام التي يدل عليها اسم الله (القابض)[٢]، يقول الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد يحسن في مثل هذين الاسمين أن يقرن أحدهما في الذكر بالآخر، وأن يوصل به ليكون ذلك أنبأ عن القدرة، وأدل علىٰ الحكمة، كقوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وإذا ذكرت القابض مفردًا عن الباسط كنت كأنك قد قصرت بالصفة علىٰ المنع والحرمان، إذا أوصلت أحدهما بالآخر، فقد جمعت بين الصفتين منبئًا عن وجه الحكمة فيهما...»[٣].

ويقبض الأرواح عند الممات».[٤]، وقال في الباسط: «هو الذي يبسط الرزق لعباده ويوسعه عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة»[٥].

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام (١ / ٤١).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٣٩).

(٣) شأن الدعاء (١/ ٥٨).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٦).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٢٧).

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يُثنىٰ علىٰ الله بها إلا كل واحد مع الآخر؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق، والرحمة، والقلوب...»[1]، وقال في موضع آخر: « من أسمائه الحسنىٰ المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده علىٰ الله إلا مقروناً بالآخر فإن الكمال من اجتماعهما »[2].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ ... هُوَ رَافِعٌ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ[3]

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (القابض الباسط):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (القابض الباسط) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ القابض الباسط الذي له الكمال في ذلك والمنتهىٰ؛ فهو القابض الباسط الملك الذي له ملك السموات والأرض وبيده مقاليد كل شيء وخزائنه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥][4].

---

(١) الحق الواضح المبين (ص: ٨٩).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص:٢٣٨).

(٣) نونية ابن القيم (ص: ٢١١).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٥٤).

ومن مظاهر قبض الله وبسطه ما يلي:

- هو القابض الباسط الفعال لما يريد، يبسط لمن يشاء ويقبض، ويصرف كيف شاء، لا حجر له، ولا مانع يمنعه مما أراد، قال تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٥٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤][(١)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ**»[(٢)].

- هو القابض الباسط العليم الخبير، الذي يعلم أحوال عباده وما يصلح لكل واحد منهم، فيبسط عليهم بعلم، ويقبض عنهم بعلم، قال تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]، وجاء في بعض الآثار أن الله تَعَالَى يقول: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنىٰ، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٣٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٧٣٢)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٩٩)، وابن أبي عاصم في السنة، رقم الحديث: (٣٨١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٩٧).

يصلح إيمانه إلا المرض ولو عافيته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني خبير بصير»[1].

- هو القابض الباسط الكريم الحكيم، قال تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] فيداه سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرارًا، وخزائنه ملأى، لا تغيضها النفقة، فإذا بسط بسط بجوده وكرمه من غير إسراف ولا تبذير، وإذا قبض فلحكمة بالغة، لا بخلًا وشحًا، ولا نقصًا وفقرًا، ولا ظلمًا وجورًا[2].

- هو القابض الباسط الرحيم اللطيف، يعطي عبده حاجته رحمة منه وشفقة به، ويمنعه رحمة به ولطفًا؛ لعلمه أنه لو بسط له لكان في ذلك هلاكه وشقائه، قال تَعَالَى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧][3].

- هو القابض الباسط الحليم الذي لا يمنع من عصاه بسطه، ولا يحرمه خيره، فهؤلاء اليهود- قبحهم الله- قالوا مقالتهم القبيحة ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] فلم يمنعه مقالهم من أن يبسط خيره عليهم[4].

- هو القابض الباسط الواسع الذي شمل بسطه الحركات، وقبضه السكنات، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يشهد العبد حركات العالم وسكونه صادرة عن الحق تَعَالَى في كل متحرك وساكن، فيشهد تعلق الحركة باسمه (الباسط)،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥١١)، تفسير السعدي (ص: ٧٥٤، ٧٥٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٣٨).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٢٧).

(٤)ينظر: المرجع السابق (ص: ٨٣٢).

وتعلق السكون باسمه (القابض) فيشهد تفرده سُبْحَانَهُ بالبسط والقبض»[1].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (القابض الباسط) علىٰ التوحيد:

المتأمل في اسم الله القابض الباسط يجده دالًّا علىٰ توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

فأما دلالته علىٰ الربوبية: فلما فيه من تفرد الله ووحدانيته في القبض والبسط، فهما بيده وتحت تصريفه وتدبيره لا يشاركه فيه أحد[2]، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه الذي بيده قبض أرزاق العباد وبسطها، دون غيره ممن ادعىٰ أهل الشرك به أنهم آلهة، واتخذوه ربًّا دونه يعبدونه»[3]، ويؤيد ذلك قوله سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، وقوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١]، وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «غلا السعر علىٰ عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فقالوا: يا رسول الله، غلا السعر فأسعر لنا! فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الله هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ الله وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»**[4]، فدل علىٰ «أن الغلاء والرخص والسعة والضيق بيد الله دون غيره»[5].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٤١).

(٢) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٣٤٠-٣٤١).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٢٨٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٢٨٨).

وأما دلالته علىٰ الألوهية: لما فيه من إقامة الحجة بما ثبت في الربوبية علىٰ الألوهية، قال تعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١ - ٦٣] فمن كان بيده القبض والبسط، والنفع والضر، وتدبير الأرزاق مستبدًّا بها من غير مشارك ولا مؤزر؛ استحق العبادة وحده دون ما سواه؛ فكما أنه الواحد في قبضه وبسطه وتصريفه وتدبيره فليكن الواحد في عبادته جل في علاه»[1].

وأما دلالته علىٰ الأسماء والصفات: لما في هذا الاسم من الدلالة علىٰ أسماء وصفات أخرىٰ، فأما الأسماء: فهذا الاسم دال علىٰ اسم الله الحي، القيوم، الرزاق، العزيز، العليم، الخبير، الحكيم، الحليم، الرحيم ونحو ذلك.

وأما الصفات: فهذا الاسم دال علىٰ صفة الإرادة، واليدين لله جَلَّجَلَالُهُ، فأما الإرادة فلكونه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يبسط لمن أراد وشاء، ويقبض عمن أراد وشاء، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٦].

وأما اليدين فلكونه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يبسط يداه بما شاء، ويقبضهما بما شاء، قال تعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٤)، تفسير السعدي (ص: ٦٣٥).

مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**»(١)، وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **قَالَ لِي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»(٢)، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَىٰ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَىٰ الْفَيْضُ، أَوِ الْقَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**»(٣)، وعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(٤)، إلىٰ غير ذلك من الأدلة التي يطول ذكرها(٥).

الأثر الثالث: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠]:

وأرزاق الله لعباده عديدة ومتنوعة، لا تقتصر علىٰ رزق المال أو الولد، بل هي أعم من ذلك وأشمل، والله سُبْحَانَهُ يبسط بها علىٰ من يشاء من خلقه بالتوسيع والكثرة، ويقبضه عمن يشاء بالتضيق والقلة، يقول تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٨١٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤٩٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٦٨٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٩٣).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٥٩).

(٥) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٣/ ١٣٣، وما بعدها).

* ومن أنواع الأرزاق:

-الهداية: فيبسط لمن شاء قلبه حتىٰ يتسع لأمر الله انشراحًا وإقبالًا و عملًا، فيستنير قلبه للإسلام ويُهدىٰ إلىٰ سواء السبيل، ويقبض لمن شاء صدره عن الخير فيضل الطريق، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].[1]

- العمر: فيبسطه الله علىٰ من يشاء حتىٰ يصل به إلىٰ سن الهرم والشيخوخة، ويضيقه علىٰ من يشاء حتىٰ يموت في شبابه وقواه، ولربما زاد تضيقه فيموت في طفولته، بل ربما مات وهو جنين في بطن أمه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾ [الحج: ٥]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ**[2] **لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[3][4].

- الجسم: فيبسط علىٰ من يشاء فيه ويقبض علىٰ من يشاء، فيظهر القوي والضعيف، والحسن والقبيح، والصحيح والمريض.

- الأولاد: فيعطي من يشاء الذكور، ومن يشاء الإناث، ومن يشاء الذكور

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١ / ٨٩)، وتفسير السعدي (ص: ٠٧).

(٢) ينسأ، أي: يؤخر، والأثر: الأجل؛ لأنه تابع للحياة في أثرها. ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١١٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٠٦٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٧).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٦)، تفسير السعدي (ص: ٥٣٤).

والإناث، ويمنع من يشاء، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ [الشورىٰ: ٤٩- ٥٠].

-العلم والفهم: فيفتح علىٰ من يشاء فيه حتىٰ يبلغ المراتب العالية، ويضيق علىٰ من يشاء فيقل حظه ونصيبه منه، ولربما ضيق عليه جدًّا، حتىٰ لم يكن له منه حظ أصلًا.

قال تَعَالَى عن طالوت وبسطه له في العلم والجسم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةٗ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

- الأموال: فيقبضها ويبسطها سُبْحَانَهُ كيف شاء، فيظهر علىٰ أثرها الغني والفقير، والحر صاحب الأملاك والثروات، والرقيق الذي لا يملك شيئًا حتىٰ نفسه التي بين جنبيه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٖ﴾ [الإسراء: ٢١][(١)].

- المناصب: فيقسمها علىٰ خلقه وينوعها بينهم، فيوجد الرئيس والمرؤوس، والملك والمملوك، والوزير والخادم، قال تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضٗا سُخْرِيّٗاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٞ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

- الأمطار والسحب: فيرسلها علىٰ ما يشاء من الأرض، فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، ويمسكها عما يشاء من الأرض، فتجدب وتغبر لا

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٤٤).

خضر فيها ولا نبات، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨][(١)].

- الرحمة: فيفتح رحمته ويبسطها علىٰ من يشاء من خلقه، فيجدها في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حال، وفي كل مكان، حيثما كان، وكيفما كان، ويقبضها عمن يشاء فيفقدها في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حال، وفي كل مكان، ولو وجد كل شيء مما يعده الناس علامة الوجدان والرضوان، وما من نعمة إلا وتنقلب عليه نقمة، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢].

الأثر الرابع: الرضىٰ بما قسم القابض الباسط للعبد:

إذا تيقن العبد أن قبض الله وبسطه ناشئ عن علم تام بمصالح العبد، وحكمة بالغة، ورحمة عظيمة؛ رضي بما قسم الله له وقدر من الأرزاق وغيرها، سواء كان بسطًا أو قبضًا، ولم ينظر لمن فوقه نظرة حسد وبغضاء، فيعيش في نكد وشقاء، بل ينظر لمن هو دونه فيزداد بذلك رضىٰ وقناعه، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»[(٢)].

فله الحمد علىٰ كل أفعاله، وله الحمد في خلقه وأمره.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٣٤، ٦٤٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٦٣).

الأثر الخامس: التوكل علىٰ القابض الباسط:

إذا علم العبد أن الله وحده القابض الباسط، فلا باسط لما قبض ولا قابض لما بسط كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «**اللهمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللهمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ**»[(١)] تعلق قلبه به وحده توكلًا وتفويضًا واعتمادًا واستعانة واستغاثة، وانقطع عن التعلق بالمخاليق ولو كان علىٰ يدهم رزقه، فإذا شكرهم لإعطائهم شكرهم شُكر الموقن بأن الله هو الذي بسط له الرزق وأمره بشكر من أحسن إليه، وإذا ذمهم أو مقتهم لمنعهم الرزق فإنما ذلك لكونهم أساؤا إليه مع يقينه أن الله هو الباسط القابض.

ثم إن هذا التوكل لا يعني عدم الأخذ بالأسباب؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قدر الأشياء وجعل لها أسبابًا متىٰ قام العباد بها حصلت لهم.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الاسم الكريم وأمثاله: «وكما أنه هو المنفرد بهذه الأمور كلها جارية تحت أقداره، فإن الله جعل لرفعه وعطائه وإكرامه أسبابًا، ولضد ذلك أسبابًا من قام بها ترتبت عليه مسبباتها، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فيُيَسَّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُيَسَّرون لعمل أهل الشقاوة، وهذا يوجب للعبد القيام بتوحيد الله، والاعتماد علىٰ ربه في حصول ما يحب، ويجتهد في فعل الأسباب النافعة، فإنها محل حكمة الله»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٩٠).

وقد جمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين التقدير والأخذ بالأسباب في قوله: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١)، فبسط الرزق والعمر بيد الله وتقديره، وصلة الرحم سبب من العبد متىٰ ما قام به حصل له الموعود بإذن الله.

وكذلك كون الله هو المسعر «**إِنَّ الله هُوَ الْمُسَعِّرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ**»(٢) لا يمنع أن يكون هناك أسباب، إذا قام بها العباد اندفع عنهم الغلاء وحصل لهم الرخص، كما قيل لأحد الفضلاء: «لقد غلت الأسعار! فقال: أرخصوها بالترك»(٣).

وهكذا في سائر الأمور، فإن سنة الله وحكمته اقتضت ربط الأسباب بمسبباتها، ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

الأثر السادس: اليقين بأن القبض والبسط لا يدل علىٰ المحبة والبغض:

إذا علم العبد اسم الله (القابض الباسط) وما فيه من التفاوت بين الخلق في البسط والقبض، لا بد أن يعلم أن البسط من الدنيا ليس دليلًا علىٰ الرضا والمحبة، وليس القبض منها دليلًا علىٰ السخط والبغض، بل ربما كان العكس، فيقبض الله علىٰ أوليائه رحمة ولطفًا بهم ومنحة عاجلة توصلهم للنعيم المقيم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٧]، ويوسع ويبسط علىٰ أعدائه إملاءً لهم

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٨٧).

واستدراجًا، قال تَعَالَى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، فظنوا أن زيادتهم بالأموال والأولاد دليل علىٰ أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن هذا امتداد لخير الآخرة ومقدمة له، كما قال سُبْحَانَهُ عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] فرد الله عليهم ظنهم الخاطئ بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٦- ٣٧]، فبين أن بسط الرزق وتضيقه ليس دليلًا علىٰ ما قالوا، بل هو تحت مشيئة الله، إن شاء بسط وإن شاء ضيق، وفق ما تقتضيه حكمته[1].

وقد أشار الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذا المعنىٰ، حينما قدم له الطعام وكان صائمًا، فخشي من بسط الدنيا وفتحها عليه، فقال: «قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ، إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّىٰ تَرَكَ الطَّعَامَ»[2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٨١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٢٧٥).

الأثر السابع: الصبر والشكر فيما يصيب العبد من قبض وبسط:

إذا عُلم ما سبق من أن القبض والبسط ليس دليلًا علىٰ الكرامة علىٰ الله، ولا الإهانة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧]، فليعم أن الله قدره ابتلاء وامتحان يمتحن به العباد؛ ليرىٰ من يقوم له بالشكر والصبر فيثيبه علىٰ ذلك الثواب الجزيل، ومن ليس كذلك فينقله إلىٰ العذاب الوبيل، كما فعل بقارون، حينما بطر وأشر وكفر نعمة الله عليه ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]، وكما فعل بصاحب الجنة الذي بُسط له في رزقه، فكان له جنتان من الكروم محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع، ويتفجر من بينهما الأنهار، فأذهله رزقه حتىٰ نسي مُسديه وباسطه، فكفر به وجحد قيام الساعة، فأتاه العذاب الأليم ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٢ - ٤٣][1].

وإذا استشعر العبد هذا وكان له علىٰ بال؛ سعىٰ إلىٰ ما يرضي الله في الحالين، **فإن قبض عنه وضيق عليه** رضي وصبر، وتيقن أن هذا قضاء قُدر عليه قبل أن يخلق، ومع ذلك لم ييأس من رحمة الله وفتحه وتبديل حاله من قبض لبسط، ومن منع لعطاء، ومن عسر ليسر ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] فيسعىٰ لدفع هذا التضييق بالأسباب المشروعة مع تعلق

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٢٤).

قلبه بالرَّازق؛ إذ هو مسبب الأسباب وهو القابض الباسط علىٰ الحقيقة، حيث لا باسط لما قبض ولا قابض لما بسط، قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، واللجوء إليه بالتضرع والدعاء، كما قال صلىٰ الله عيله وسلم داعيًا ربه: «**اللهمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللهمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ**»[1].

وإن بسط له وفتح عليه لم يستعمل ذلك في معصية الله، بل شكره بقلبه اعترافًا واقرارًا بنعمته، وبلسانه حمدًا وتحدثًا بنعمته، وبجوارحه عملًا بها في طاعته، وسعيًا في بذل شيء منها للخلق والإحسان إليهم فيها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وبهذا يكون المؤمن كما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٩).

الأثر الثامن: محبة الله القابض الباسط:

إذا تيقن العبد أن البسط والقبض بيد الله عَزَّوَجَلَّ؛ تولاه بنفسه، ولم يجعل لمخلوق فيه يدًا، فما من نعمة بسطت له إلا بفضله، وما من نعمة قبضت عنه إلا لحكمة وخير أريد به؛ حمله ذلك اليقين علىٰ محبته وتوليه، والتجرد إليه إخلاصًا وإقبالًا.

فاللهم يا قابض يا باسط، ابسط علينا من بركاتك ورحمتك، وفضلك ورزقك.



الـمُحْسِن جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❋ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحسن: نقيض القبح، والجمع محاسن، علىٰ غير قياس...والحاسن: القمر، وحسَّنت الشئ تحسينًا: زيَّنته، وأحسنت إليه وبه، وهو يحسن الشئ، أي: يعمله، ويستحسنه: يعده حسنًا، والحسنة: خلاف السيئة، والمحاسن: خلاف المساوي، والحسنىٰ: خلاف السوأىٰ»(١).

❋ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(حسن) الحاء والسين والنون أصل واحد، فالحُسن ضِدُّ القبح، يقال: رجل حسن، وامرَأة حسناء وحسانة... والمحاسن من الإنسان وغيره: ضدُّ المساوي...»(٢).

ورود اسم الله (المحسن) في القرآن الكريم:

لم يرد اسم الله (المحسن)في القرآن الكريم.

ورود اسم الله (المحسن) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (المحسن) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١-ما جاء عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ**»(٣).

---

(١) الصحاح، (٦/ ٣٧٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٥٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٢٩٩٩)، وابن أبي عاصم في الديات (ص٥٢)، =

٢- ماجاء عن شداد بن أوس، قال: حفظت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنتين قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، ثُمَّ لِيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[1].

ثبوت اسم الله (المحسن) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله (المحسن) في حق الله تَعَالَى:

- **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله: «وتعبده باسمه البر، اللطيف، المحسن»[2].
- **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية»[3].

معنى اسم الله (المحسن) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله المحسن في حق الله علىٰ معنيين:

١- الإتقان والإحكام.

٢- الإنعام والجود والعطاء.

وحول هذه المعاني تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

- **قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]: «أحكم خلقها»[4].

= حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٩٤).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧١٢١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٨٢٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٠)

(٣) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص: ١٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٧٠).

❁ **قال مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أتقن كل شيء خلقه»[1].

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]: «وأولىٰ الأقوال في ذلك عندي بالصواب علىٰ قراءة من قرأه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:٧] بفتح اللام قول من قال: معناه أحكم وأتقن...»[2].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها: «إنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها»[3].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❁ **قال المناوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **مُحْسِنٌ**»[4]، «أي: الإحسان له وصف لازم، لا يخلو موجود عن إحسانه طَرْفة عين، فلا بد لكل مُكوَّن من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد»[5].

اقتران اسم الله (المحسن) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (المحسن) بأي اسم من أسماء الله الحسنىٰ.

---

(١) المرجع السابق (٢٠/ ١٧١).

(٢) المرجع السابق (٢٠ / ١٧١).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) فيض القدير (٢/ ٢٦٤).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (المحسن):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (المحسن) من الصفات:

لما كان لله عَزَّوَجَلَّ كمال الحُسن في الأسماء والصفات ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] كان كذلك في الأفعال؛ فهو سُبْحَانَهُ المحسن في فعله كله إيجادًا وإنعامًا، وإمدادًا وحكمًا، وهداية وجزاء.

وإحسانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عام وخاص:

فأما العام[(١)]: فعم إحسانه الخلق أجمع، وغمرهم بجوده وفضله، فلا يخلو موجود من إحسان المحسن طرفة عين، بل لا قيم لهم إلا بإحسانه وإنعامه.

أحسن المحسن إلىٰ الخلق بالإيجاد من العدم، قال تَعَالَىٰ علىٰ وجه الامتنان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، ثم أحسن إليهم بأن أوجدهم علىٰ وجه محمود في غاية الإحكام والإتقان، فلا يرىٰ في خلقهم خلل، ولا نقص، ولا فطور، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٢]، أي: «خلق الخليقة، وسوىٰ كل مخلوق في أحسن الهيئات»[(٢)]، فأبدع خلقه، وأحكم صنعه، وأعطىٰ كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطىٰ كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته، وهيئته، وجعله وافيًا بالمقصود من خلقه، «فصلابة الأرض مثلًا للسير عليها، ورقة الهواء؛

---

(١) ينظر: الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ٥١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٩).

ليسهل انتشاقه للتنفس، وتوجه لهيب النار إلىٰ فوق؛ لأنها لو كانت مثل الماء تلتهب يمينًا وشمالًا لكثرت الحرائق، فأما الهواء فلا يقبل الاحتراق»[1]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وأحسنَ المحسنُ خلقَ الإنسان، فخلقه في أحسن تقويم، حتىٰ صار في أكمل الصور، وأبهىٰ المناظر، وأحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، قال تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا أردت أن تعرف حُسن الآدمي وكمال حكمة الله تَعَالَى فيه، فانظر إليه، عضوًا عضوًا، هل تجد عضوًا من أعضائه، يليق به، ويصلح أن يكون في غير محله؟ وانظر - أيضًا- إلىٰ الميل الذي في القلوب، بعضهم لبعض، هل تجد ذلك في غير الآدمين؟ وانظر إلىٰ ما خصه الله به من العقل والإيمان، والمحبة والمعرفة، التي هي أحسن الأخلاق المناسبة لأجمل الصور»[2].

ثم أحسنَ المحسنُ إلىٰ خلقه بعموم نعمه التي لا تبلغ الأوهام تصورها، ولا تطمع العقول في إحصائها وعدها[3]، قال تَعَالَى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ٢١٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٤١).

(٣) ينظر: طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ٤٧٠).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨]، وأحسن إليهم برزقه الواسع الظاهر والباطن، وبرزقه الطيب من المأكل، والمشرب، والمنكح، والملبس، والمنظر، والمسمع، ونحو ذلك، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [غافر: ٦٤]، فذكر إحسانه بخلق الدار، والسكان، والأرزاق، تبارك الله رب العالمين[1].

وأحسن إليهم بالهداية إلىٰ تحصيل المنافع والمصالح، ودفع المضار والمخاطر، حتىٰ أعطىٰ الحيوان البهيم منهم القدرة علىٰ ذلك، قال تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

ثم أحسن إليهم المحسنُ غايةَ الإحسان وأعظمه، بأن عرفهم بمعبودهم الحق بما أودع في فطرهم، وبما أرسل إليهم من الرسل، وأنزل من الكتب، ولم يتركهم يتخبطون في معرفته والزلفىٰ إليه.

وأحسن إليهم بما حكم وقضىٰ من الأقدار التي لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، قال تَعَالَى: ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، وأحسن إليهم بما حكم في الشرائع والأديان التي بُنيت علىٰ علم، وعدل، ورحمة حتىٰ صارت في غاية الحسن والبهاء والكمال، قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠][2].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٥٦)، تفسير السعدي (ص: ٧٤١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١)، تفسير السعدي (ص: ٢٣٥).

ثم زاد المحسنُ أمةَ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إحسانًا وفضلًا، بأن شرع لها أحسن الأديان دين الإسلام، قال تَعَالَىٰ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعنىٰ تَعَالَىٰ ذكره بـ(الصبغة: صبغة الإسلام)»[1]، وكمَّله لهم غاية الإكمال، قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وأنزل لهم أحسن كتاب، وأكمل حديث، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣] فألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، ومعانيه أجلُّ المعاني وأعظمها، وقصصه أصدق القصص وأحقُّها، قال تَعَالَىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، فكان بذلك متشابهًا في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه[2].

وأما إحسانه الخاص:

فإحسان المحسن سُبْحَانَهُ إلىٰ أوليائه وأهل طاعته، فأحسن إليهم أعظم الإحسان بأن هداهم للدين الحق، وأخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، ويسرهم لليسرىٰ وجنبهم العسرىٰ، ثم أحسن إليهم بما علَّمهم من دينه وشرعه، ورزقهم العمل به، فوفقهم للطاعات ودفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبين فعلها، وأحسن إليهم بعصمته لهم من الذنوب والآثام، فما من قول طاعة ولا فعل طاعة ولا مسابقة للخيرات إلا والله المحسن به علىٰ العبد، وما من حرام ولا مكروه ترك ولا مشتبه تورع عنه إلا والله المحسن به

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١١٧).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٣، ٧٢٢).

علىٰ العبد، لا بحوله وقوته، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧- ٨]، وأحسن إليهم بأن وفقهم لنشر العلم وتبليغه، وأحسن إليهم بالثبات علىٰ الحق إلىٰ الممات(١).

وأحسن إليهم المحسن بمعيته الخاصة، ونصرته، وإجابته لدعواتهم، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(٢).

وأحسن إليهم المحسن بما يجازيهم من حسن الثواب علىٰ فعل الخيرات؛ فيجازيهم بالحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، بل يحسن إليهم بما يعطيهم من الأجور التي لا تبلغها أعمالهم، بل ولا تبلغه أمنيتهم، فيعطيهم من الأجر بلا عدٍّ ولا كيل، قال تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨] [النحل: ٩٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩)، فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٤٨).

(٢)أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٠٥٦).



مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧][1].

ويحسن إليهم بما يجازيهم من الجنة الكاملة في حسنها ونعيمها، قال تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الرعد: ١٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: ٣١]، بل يزيدهم إحسانًا بما ينعم عليهم من لذة النظر إلىٰ وجهه الكريم، وسماع كلامه العظيم، والفوز برضاه والبهجة بقربه ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦][2].

ومن صور هذا الإحسان الخاص: إحسانه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لنبيه ورسوله يوسف عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، الذي قال عن ربه: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فأحسن له الإحسان الجسيم من أوجه عدة، منها[3]:

١- أن صرف إخوته عن قتله إلىٰ إلقائه في غيابات الجب، قال تَعَالَى: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠].

٢- أن أوحىٰ إليه في الموقف العصيب، حينما ألقاه إخوته في الجُبِّ، أن العاقبة له، وأنه سيخبر إخوته بفعلهم هذا، قال تَعَالَى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٤٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٦٢).

(٣) ينظر: تفسير سورة يوسف، للسعدي في تفسيره.

﴿بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، وفي هذا بشارة له بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته علىٰ وجه العز والتمكين له في الأرض.

٣- أنْ حفِظه في الجُبِّ من الهلاك، مع أنه مظنة لذلك.

٤- أن قدَّر شراء عزيز مصر له دون غيره، وعزمه علىٰ إكرامه، قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ﴾ [يوسف: ٢١]، وفي هذا مقدمة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق.

٥- أن آتاه النبوة والرسالة وتأويل الرؤيا، قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢١- ٢٢].

٦- أن صرف عنه الوقوع في السوء والفحشاء، مع دعوة امرأة العزيز لذلك، وتوافر الدواعي للإجابة، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

٧- أن أظهر براءته من الفاحشة، بإنطاق شاهد من أهل بيت المرأة.

٨- أن صرف عنه كيد النسوة بإجابته لدعوته، حين قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٣ - ٣٥].

٩- أن جعله موحدًا مخلصًا العبودية له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا أعظم الإحسان والفضل، قال تَعَالَىٰ حكاية عن قول يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧- ٣٨].

١٠- أن رفع شأنه وأعلىٰ ذكره بما قدر من رؤيا الملك وتعبيرها، مع عجز القوم عن ذلك.

١١-أن أخرجه من السجن وأظهر براءته، بقول النسوة لما سألهم الملك: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

١٢- أن مكَّن ليوسف في الأرض، وجعله علىٰ خزائن الأرض واليًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٥، ٥٦].

١٣-أن قدر إتيان إخوته إليه محتاجين، ثم قدر له إبقاء أخيه عنده، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٧٦].

١٤-أن وفقه للإحسان لإخوته بالعفو العظيم والصفح الجميل: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

١٥-أن أكرمه وأقر عينه بأبويه وإخوته وإتيانهم من البادية إليه، قال تَعالَى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].

١٦-أن حقق رؤياه التي رأىٰ في الصغر، فأسجد له أبويه وإخوته علىٰ وجه الإكرام والتبجيل، قال تَعالَى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ [يوسف: ١٠٠].

١٧- أن وفقه لشكر إحسان المحسن إليه، قال تَعالَى عن قول يوسف: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

١٨- أن أبقىٰ ذكره في العالمين، وجعله قصته أحسن القصص، قال تَعالَى في مطلع قصة يوسف: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

١٩- أن جمع له مع الإحسان في الدنيا الإحسان في الآخرة، الذي به تمام الإحسان وكماله، قال تَعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٦- ٥٧].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (المحسن) علىٰ التوحيد:

من تأمل في اسم الله (المحسن) وما فيه من الإحسان إلىٰ الخلق بخلقهم، وتربيتهم بما أدرَّ عليهم من النعم الظاهرة والباطنة؛ علم أن من كان كذلك هو الإله الذي لا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح الربوبية لغيره، قال تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤ - ٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٥]، فكيف يسوَّىٰ بين الله المحسن جَلَّجَلَالُهُ وبين صنم لا يضر، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ فما هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغي؟!(١).

وكما أن اسم الله (المحسن) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله الخالق، العليم، الرزاق، الرحمن، الرحيم، الكريم، الحليم، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثالث: محبة الله المحسن:

إذا تأمل العبد في اسم الله (المحسن) ثم نظر في آثاره عليه، وكيف أنه أحسن إليه بإخرجه من العدم إلىٰ الوجود، وأحسن إليه بكمال الصورة، واعتدال الخلقة وفصاحة اللسان، وسلامة الهيئة من التشوه ونقص الأعضاء،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤١٠)، وتفسير السعدي (ص: ٧٠٧).

حتىٰ خرج صحيحًا سليمًا عاقلًا، لا مجنونًا ولا معتوهًا ولا سفيهًا، وأحسن إليه بما رزقه من الطعام والشراب واللباس وسعة المال حتىٰ لا يحتاج معه إلىٰ أحد من الخلق، وأحسن إليه بأن علمه بعد أن كان جاهلًا ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، وأحسن إليه بالأهل والولد والعشيرة الذين يأوي إليهم ويأنس بهم ويتقوىٰ بقربهم، وأحسن إليه بالأمن والاستقرار، إلىٰ غير ذلك من آلائه وإحسانه الذي لا ينقطع مع كل شهيق وزفير[١].

فإذا تأمل ذلك العبد امتلأ قلبه محبة ومودة له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ «فإن القلوب مجبولة علىٰ محبة المحسن إليها، فأيُّ إحسان أعظم من هذا الإحسان الذي يتعذر إحصاء أجناسه فضلًا عن أنواعه، فضلًا عن أفراده، وكلُّ نعمة منه تطلب من العباد أن تمتلئ قلوبهم من مودته وحمده وشكره والثناء عليه»[٢].

الأثر الرابع: الفرح بشريعة المحسن والتمسك بها:

كان من إحسان المحسن عَزَّوَجَلَّ إلىٰ خلقه أن تولىٰ بنفسه الحكم والفصل بينهم بما أنزل من الأحكام والشرائع، ولم يتركهم هملًا يحكمون بأهوائهم وآرائهم وعقولهم القاصرة، بل تكفل بذلك، فحكم عن رحمة وحكمة وعلم حتىٰ صار حكمه أكمل الأحكام، وشرعه أتم الشرائع وأحسنها، متميزًا عن القوانين الوضعية والديانات المحرفة، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

---

(١) ينظر: الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ٥١٢).

(٢) فتح الرحيم الملك العلام (١ / ٤٢).

ومن أوجه كمال وحسن حكمه وتشريعه[1]:

١- أنه رباني؛ فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلق الخلق وهو الأعلم بما يصلحهم وبما يفسدهم، فشرع لهم ما يلائمهم ويناسبهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٢- أنه شامل لجميع جوانب الحياة الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية، والسياسية... إلخ، قال تَعَالَى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

٣- أنه عام شامل للثقلين ولكل زمان ومكان، فلا يختص بشعب دون شعب ولا مجتمع دون مجتمع، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٤- أنه باق دائم؛ إذ تكفل الله بحفظه إلىٰ أن يرث الأرض ومن عليها، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٥- أنه ثابت مَرِن؛ إذ حوت أحكامه أمورًا تتسم بالثبات، ولا تقبل التغيير أبدًا، وأمورًا أخرىٰ تقبل التغيير بما يتمشىٰ مع المجتمعات والأعراف، وتغير الأحوال والبيئات.

٦- أنه وسط، بعيدًا عن الإفراط والتفريط في جميع جوانبه، قال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) ينظر: مدخل إلىٰ دراسة النظم الإسلامية، لإسماعيل علي محمد، (ص: ١٤٢، وما بعدها)، والنظم الإسلامية، لعبد الرحمن الضحياني (ص: ٤٣-٤٥).

٧- أنه مراعٍ للطبيعة الإنسانية وما فيها من حاجات، ورغبات، وضعف، ونسيان، ونحو ذلك.

٨- أنه قائم علىٰ العدل بين العباد، فلا فرق في أحكامها بين العربي والأعجمي، ولا الغني والفقير، ولا الشريف والوضيع، قال تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[1].

٩- أنه جاء بالحرية والإكرام للبشرية؛ إذ يحررهم من التحاكم لأمثالهم من البشر والخضوع إليهم، وينقلهم إلىٰ التحاكم لحكم رب البشر والخضوع إليه الذي هو مقتضىٰ فطرهم وحاجتهم النفسية.

١٠-أنه جمع بين الجزاء الدنيوي والأخروي، ولم يقتصر علىٰ الجزاء الدنيوي كما في أحكام البشر، قال تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

وبهذا كملت وكمل حسنها، قال تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ثم إن المؤمن إذا تيقن هذا واستشعره؛ كان ذلك داعيًا له للفرح والغبطة بشرع الله وحكمه، وداعيًا له- أيضًا- لتحكيمه والتمسك به والدعوة إليه،

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٨٨).

والسعي في نشره، لتهنأ البشرية بهذا الإحسان العظيم من الله المحسن جل في علاه؛ وذلك بالعيش في ظلال الشريعة الحسنىٰ المتقنة التي كفلت الخير والمصلحة للبشرية في الدارين، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

الأثر الخامس: اتصاف العبد بالإحسان:

الله سُبْحَانَهُ (المحسن) يحب من عباده أن يتقربوا له بمقتضىٰ معاني أسمائه، فهو الكريم يحب الكرماء، وهو الرحمن يحب الرحماء، وهو المحسن يحب المحسنين، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

والإحسان أعلىٰ مراتب الدين وأعظمها، فإذا كان الإسلام هو الأركان الظاهرة، والإيمان هو الأركان الباطنة، فإن الإحسان هو تحسين الظاهر والباطن(١).

وفي الملحق الآتي ما يعين- بإذن الله- علىٰ تحقيق هذه الخلة العظيمة والمنزلة الكريمة.



(١) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول، للحكمي (٣/ ٩٩٨).

«المحسن يحب المحسنين»

في موضوع الإحسان سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف الإحسان:

ينقسم الإحسان إلىٰ قسمين: إحسان في عبادة الله، وإحسان إلىٰ عباد الله.

فأما الإحسان في عبادة الله:

فهو كما عرفه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(١)].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إحسان في عبادة الخالق، بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، وهو الجد في القيام بحقوق الله علىٰ وجه النصح، والتكميل لها»[(٢)].

والإحسان في عبادة الله علىٰ مرتبتين[(٣)]:

١- مرتبة المشاهدة التي أشار إليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»[(٤)]، وهي: دوام استحضار قرب الله من عبده ومعيته حتىٰ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٨).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للسعدي (ص: ١٤١).

(٣) ينظر: شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين (ص: ٥٣)، وشرح الأربعين النووية، لصالح آل الشيخ (ص: ٧٣-٧٥).

(٤) سبق تخريجه.

كأنه يراه، وهذه المرتبة أعلىٰ المرتبتين.

٢- مرتبة المراقبة التي أشار لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[١]، وهي: استحضار دوام نظر الله للعبد، واطلاعه علىٰ سره وعلانيته وباطنه وظاهره.

وأما الإحسان إلىٰ عباد الله:

فهو: «بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون»[٢].

قال الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإحسان يقال علىٰ وجهين: أحدهما: الإنعام علىٰ الغير، يقال: أحسن إلىٰ فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا، أو عمل عملًا حسنًا. والإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له.

والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له»[٣].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «بذل الخير لهم من مال، أو جاه، أو غير ذلك»[٤].

والإحسان إلىٰ الخلق علىٰ درجتين:

١-إحسان واجب، وهو: القيام بما يجب للخلق من حقوق، كالقيام ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإنصاف في جميع المعاملات[٥].

(١) سبق تخريجه.

(٢) المرجع السابق (ص: ١٤٢).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص ٢٣٧).

(٤) شرح الأربعين النووية (ص: ٥٣).

(٥) ينظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للسعدي (ص: ١٤١-١٤٢).

٢-إحسان مستحب، وهو: «ما زاد علىٰ ذلك من بذل نفع بدني، أو مالي، أو علمي، أو توجيه لخير ديني، أو مصلحة دنيوية، فكل معروف صدقة، وكل ما أدخل السرور علىٰ الخلق صدقة وإحسان، وكل ما أزال عنهم ما يكرهون، ودفع عنهم ما لا يرتضون من قليل أو كثير، فهو صدقة وإحسان»[1].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمر بالإحسان تارة يكون للوجوب كالإحسان إلىٰ الوالدين والأرحام، بمقدار ما يحصل به البر والصلة والإحسان إلىٰ الضيف بقدر ما يحصل به قراه علىٰ ما سبق ذكره، وتارة يكون للندب كصدقة التطوع ونحوها»[2].

ثالثًا: فضائل الإحسان:

للإحسان فضائل عديدة، ومنافع عظيمة، منها:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكره في مواضع عديدة من كتابه بصور مختلفة، فتارة يأتي به مقرونًا بالإسلام، كما في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢]، وتارة مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح، كما في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠]، وتارة مقرونًا بالتقوىٰ، كما في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وتارة مفردًا كقوله تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][3].

---

(١) المرجع السابق (ص: ٢٤١).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨١).

(٣) ينظر: المرجع السابق (١/ ١٢٥).

وهذا كله دال علىٰ فضله وعظيم شأنه؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ عظيم ولا يأمر إلا بعظيم، فإذا أمر بالشيء مرة واحدة كان عظيمًا، فكيف إذا كرره وأبداه وأعاده!!.

٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر به في كل شيء، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**»(١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديث يدل علىٰ وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها علىٰ وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأما الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب.

والإحسان في ترك الحرمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠] [الأنعام: ١٢٠]، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب»(٢).

٣- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل امتحان العباد علىٰ حسن العمل، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

٤- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل هداية كتابه ورحمته وبشارته لأهل الإحسان، فقال: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٢ -٣]،

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٥٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨١).

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

٥- أن الله عَزَّوَجَلَّ يحب أهله- أهل الإحسان-، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

٦- أن الله عَزَّوَجَلَّ أعلن البشرى لأهل الإحسان، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

٧- أن الله عَزَّوَجَلَّ وعد أهل الإحسان بأنه يجازيهم بالإحسان كما أحسنوا، قال تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٨- أن الله عَزَّوَجَلَّ يتقبل من أهل الإحسان، ويحفظ عليهم عملهم، ويشكر سعيهم، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠][1].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩١).

٩- أن الله عَزَّوَجَلَّ وعد أهل الإحسان بالجزاء الحسن في العاجل والآجل، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، ووعدهم بالزيادة فيه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١][1].

١٠- أن الله عَزَّوَجَلَّ يكون مع أهل الإحسان بالهداية والتوفيق والعون والنصر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩][2].

١١- أن الله عَزَّوَجَلَّ يهديهم إلىٰ الطرق الموصلة إليه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩][3].

١٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ يؤتي أهل الإحسان الحكم والعلم، قال تعالى عن نبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، ونبيه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٣).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥)، وتفسير السعدي (٦٤٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٣٦).

١٣- أن الله عَزَّوَجَلَّ يجازي أهل الإحسان بصلاح ذريتهم بحسب إحسانهم، قال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤][1].

١٤- أن الله عَزَّوَجَلَّ يمكِّن لأهله في الأرض، قال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

١٥- أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ينشر الثناء علىٰ أهل الإحسان، ويرفع ذكرهم بحسب إحسانهم إلىٰ يوم الدين، قال تَعَالَى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٨ - ٨٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٨ - ١١٠]، وكذا قال سُبْحَانَهُ في موسىٰ وهارون وآل ياسين[2].

١٦- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الإحسان سببًا لانشراح الصدر، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أسباب انشراح الصدر: «ومنها: الإحسان إلىٰ الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه، والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريمَ المحسنَ أشرحُ الناسِ صدرًا، وأطيبُهم نفسًا، وأنعمُهُم قلبًا، والبخيلُ الذي ليس فيه إحسانٌ أضيقُ الناسِ صدرًا، وأنكدُهم عيشًا وأَعْظَمُهُم همًّا وغمًّا.

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٦٣).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٠٥).

وقد ضَرَبَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلًا للبخيل والمتصدق، أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ مَثَلُ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَىٰ تَرَاقِيهِمَا فَكُلَّمَا هَمَّ الْمُتَصَدِّقُ بِصَدَقَتِهِ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تُعَفِّيَ أَثَرَهُ وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ انْقَبَضَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ إِلَىٰ صَاحِبَتِهَا وَتَقَلَّصَتْ عَلَيْهِ وَانْضَمَّتْ يَدَاهُ إِلَىٰ تَرَاقِيهِ فَسَمِعَ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ فَيَجْتَهِدُ أَنْ يُوَسِّعَهَا فَلَا تَتَّسِعُ**)[1]؛ فهذا مثل انشراح صدر المؤمن المتصدق وانفساح قلبه، ومثل صدر البخيل وانحصار قلبه»[2].

١٧- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل اللوم ساقطًا عن أهل الإحسان إذا فعلوا ما يقدرون عليه، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١][3].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويستدل بهذه الآية علىٰ قاعدة، وهي: أن من أحسن علىٰ غيره، في نفسه أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب علىٰ إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل علىٰ المحسنين، كما أنه يدل علىٰ أن غير المحسن- وهو المسيء- كالمفرط، أن عليه الضمان»[4].

١٨- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل رحمته قريبة من أهل الإحسان، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٩١٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٢١).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٢٢).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٤٨).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٣٤٨).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكلما كان العبد أكثر إحسانًا؛ كان أقرب إلىٰ رحمة ربه، وكان ربه قريبًا منه برحمته، وفي هذا من الحث علىٰ الإحسان ما لا يخفىٰ»[1].

١٩- أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الإحسان سببًا لتكفر السيئات، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٤، ٣٥].

٢٠- أن الله عَزَّوَجَلَّ وعد أهل الإحسان بالأجر العظيم، قال تَعَالَىٰ لزوجات رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩].

٢١- أن الله عَزَّوَجَلَّ وعد أهل الإحسان بالجنة، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥]، وقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤].

٢٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ وعد أهل الإحسان بالنظر إلىٰ وجهه الكريم، قال تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة: النظر لوجه الله الكريم، كما جاء عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[2].

---

(١) المرجع السابق (ص: ٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا علىٰ وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك: النظر إلىٰ الله عيانًا في الآخرة.

وعكس هذا ما أخبر الله به عن جزاء الكفار في الآخرة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران علىٰ قلوبهم، حتىٰ حُجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم علىٰ ذلك أن حُجبوا عن رؤيته في الآخرة»[1].

ثالثًا: تحقيق مرتبة الإحسان:

تحقيق الإحسان إنما يكون بالقيام بقسميه: الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلىٰ عباد الله.

وتحقيق الإحسان في عبادة الله إنما يكون بأمور، منها:

١-إخلاص العبودية لله عَزَّوَجَلَّ[2].

٢-المتابعة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في أداء العبادة[3].

قال تَعَالَىٰ: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [هود: ٧] قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخلصه وأصوبه»[4]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٥).

(٢) ينظر: شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين (ص: ٥٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) تفسير البغوي (٥/ ١٢٤).

﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال سعيد بن جبير: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ﴾ أخلص، ﴿وَجۡهَهُۥ﴾ قال: دينه، ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ أي: متبع فيه الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

فإن للعمل المتقبل شرطين، أحدهما: أن يكون خالصًا لله وحده، والآخر: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، فمتىٰ كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يتقبل؛ ولهذا قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[1] [2].

٣- بذل الجهد في القيام بالعبادة وتحسينها وإتمامها وإكمالها[3].

وقد وصف الله عَزَّ وَجَلَّ أهل الإحسان بجملة من العبادات، منها:

أ-الإيمان، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٤ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٣ - ٨٥].

ب- التقوىٰ، قال تَعَالَىٰ عن إخوة يوسف: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٥).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٦)، وتفسير السعدي (ص: ٢٩٢).

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣١- ٣٢]، واجتناب الكبائر من التقوى.

ج- الصبر بأنواعه، كما في قول يوسف السابق: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، وكما في قول تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]، لا سيما الصبر في جهاد الأعداء، قال تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ – ١٤٨].

د- اليقين بالآخرة وإقام الصلاة، قال تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: ٢ -٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥- ١٩].

ه- الإنفاق في سبيل الله كما في الآيات السابقة، وكما في قول الله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

و-الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ بقلب مخلص خائف طامع، قال تَعَالَى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

ي- الإحسان إلىٰ الخلق الذي هو القسم الثاني من أقسام الإحسان، قال تَعَالَى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٨].

وأما تحقيق الإحسان إلىٰ عباد الله، فيكون: بالقيام بحقوقهم وبذل الخير لهم، ودفع ما يكرهون، سواء كان ذلك قليلًا أو كثيرًا.

والإحسان للخلق عام لا يخص بصورة معيّنة، ولا بمخلوق دون مخلوق، كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**»[(١)].

ومن صور الإحسان للخلق[(٢)]:

أ-الإحسان إلىٰ الوالدين، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وهذا شامل للإحسان إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف والدعاء

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٧٨).

الصادق، وبالفعل الجميل من طاعة أمرهما واجتناب نهيهما، والإنفاق عليهما، وإكرام من له تعلُّق بهما، ونحو ذلك.

وقد أشار الله لهذا الإحسان القولي والفعلي، لا سيما حال الكبر في قوله: ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»[1].

ب- **إحسان المرأة لزوجها، والرجل لزوجته**: قال تَعَالَى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]، قال علي وابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «المرأة»[2]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] وذلك بالصحبة الجميلة، وحسن المعاملة، وبذل النفقة والكسوة ونحوهم، وكف الأذىٰ حتىٰ مع الكراهة والطلاق والنزاع، قال تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وعدم نسيان الفضل وكفران العشير، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال ابن

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٠).

عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**»[1][2].

ج - **الإحسان إلىٰ ذوي القربي والأرحام**، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦] من صلته وبره وإكرامه بالقول والفعل، والعفو عن زلاته والمسامحة عن هفواته، والنفقة عليه والصدقة علىٰ المحتاج، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ**»[3] إلىٰ غير ذلك من أوجه الإحسان[4].

د- **الإحسان إلىٰ الجار**، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**

والإحسان إلىٰ الجار راجع إلىٰ العرف، ومنه: تعاهده بالهدية والصدقة والدعوة، وملاطفته بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل، وقد حذر

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٧٢).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٤٨٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٦٥٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٨٥٨).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٤٢).

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك بقوله: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْجَارُ؛ جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قَالُو: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: شَرُّهُ**»[1]، وفي رواية لمسلم: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»[2]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: **هِيَ فِي النَّارِ**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: **هِيَ فِي الْجَنَّةِ**»[3].

هـ- الإحسان إلى الصاحب، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]، قال زيد بن أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هو جليسك في الحضر، ورفيقك في السفر»[4].

والإحسان إليه يكون بمساعدته في أمر دينه ودنياه، وبذل النصح له، والوفاء معه في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، ونحو ذلك.

و- الإحسان إلى عموم الناس، فعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٨٧٨).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٦).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٧٥٨)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٧٦٤)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (١١٩)، والبزار، رقم الحديث: (١٩٠٢ - كشف الأستار).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٠).

النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1]، كذلك الإحسان إليهم بالكلمة الطيبة، يقول تَعَالَى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ويدخل في ذلك النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، وبذل السلام ورده، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، والموعظة والجدال بالأحسن، قال تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، كذلك الإحسان إليهم بقضاء حوائجهم؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»[2].

ز- الإحسان إلى الخدم ونحوهم، فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ**[3] **جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[4]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا أَتَىٰ أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ،**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٣٥٤)، والترمذي، رقم الحديث: (١٩٨٧)، حكم الألباني: حسن، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٥٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٩٨٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٠٩).

(٣) الخول: جمع خائل، وهم حشم الرجل وأتباعه.

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٥٤٥).

فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلَاجَهُ»(١).

ح- **الإحسان إلىٰ الحيوانات**؛ فعن شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الله كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**»(٢)، ومن ذلك: الإحسان إليهم بالطعام والشراب؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَىٰ الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»(٣).

ومن الإحسان إليهم: الإحسان حال الذبح والقتل؛ فعن شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»(٤)، وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «مر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ رجل واضع رجله علىٰ صفحة شاة، وهو يحد شفرته، وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: «**أَفَلَا قَبْلَ هَذَا، أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتَانِ!**»»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٥٩١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٣٦٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٢٤٤).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٥٥).

(٥) أخرجه الضياء في المختارة، رقم الحديث: (١٧٤)، واللفظ له، والحاكم، رقم الحديث: (٧٥٦٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٤).

ومن الإحسان إليهم أيضًا: عدم تعذيبهم وأذيتهم، وقد جاء الوعيد علىٰ ذلك، فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنه مر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها، فلما رأوه تفرقوا عنها، فقال: «من فعل هذا؟ إن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعن من فعل هذا»[1]، وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»[2]، وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي مر علىٰ حمار قد وسم وجهه، فقال: «**لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ**»[3].

وما سبق من الصور ليس علىٰ سبيل الحصر وإنما المثال؛ إذ المقام يطول جدًّا بذكرها.

اللهمَّ اجعلنا من عبادك المحسنين، الذين هم أحبابك وأهل معيتك.

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٥١٥)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩٥٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٣١٨)، واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦١٩).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١١٧).

الـمُقدِّمُ الـمؤخِّرُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

معنى اسم الله (المقدم) في اللغة:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قدم بالفتح يقدم قدمًا، أي: تقدم، قال الله تعَالَى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّـارَ﴾ [هود:٩٨]»[١].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاف والدال والميم أصل صحيح يدل على سَبْقٍ..»[٢].

معنى اسم الله (المؤخر) في اللغة:

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهمزة والخاء والراء أصل واحد، إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم، وهذا قياس أخذناه عن الخليل، فإنه قال: الآخر نقيض المتقدم، والأخر نقيض القدم، تقول: مضىٰ قدمًا، وتأخر أخرًا، وقال: وآخرة الرحل وقادمته، ومؤخر الرحل ومقدمه»[٣].

---

(١) الصحاح (٥/ ٢٨٤).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٦٥).

(٣) مقاييس اللغة (١/ ٧٠).

ورود اسمي الله (المقدِّم المؤخِّر) في القرآن الكريم:

لم يرد أي من الاسمين في القرآن الكريم.

ورود اسمي الله (المقدِّم المؤخِّر) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (المقدِّم المؤخِّر) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١. عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أنه كان يدعو بهذا الدعاء: **رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي، وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[1].

٢- علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصفه لصلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ يقول: «ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[2].

٣- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ،**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٩٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧١٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٤).

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[1].

ثبوت اسمي الله (المقدم والمؤخر) في حق الله تعالىٰ:

من العلماء الذين أثبتوا اسمي الله (المقدم والمؤخر) في حق الله تَعَالَى:

- **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول في نونيته:

وَهُوَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ ذَانِكَ الصْـ ـصِفَتَانِ لِلْأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ

وَهُمَا صِفَاتُ الذَّاتِ أَيْضًا إِذْ هُمَا بِالذَّاتِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ[2]

❊ **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[3].

معنى اسمي الله (المقدِّم - المؤخِّر) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «(المقدِّمُ) هو المنزل للأشياء منازلها، يقدم ما شاء منها ويؤخر ما شاء، قدم المقادير قبل أن يخلق الخلق، وقدم من أحب من أوليائه علىٰ غيرهم من عبيده، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات، وقدم

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٢٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٩).

(٢) النونية (٢/ ٢٤١).

(٣) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص: ١٥).

من شاء بالتوفيق إلىٰ مقامات السابقين، وأخر من شاء عن مراتبهم وثبطهم عنها، وأخر الشيء عن حين توقعه؛ لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم»(١).

قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المقدِّمُ هو المعطي لعوالي الرُّتَب، والمؤخِّرُ هو الدافع عن عوالي الرُّتب»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقدِّم من يشاء من خلقه إلىٰ رحمته بتوفيقه، ويؤخر من يشاء عن ذلك لخذلانه»(٣).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المقدِّمُ والمؤخِّرُ من أسمائه الحسنىٰ المزدوجة المتقابلة التي لا يُطْلَقُ واحد بمفرده علىٰ الله إلا مقرونًا بالآخَر؛ فإن الكمال من اجتماعهما؛ فهو تَعَالَىٰ المقدِّم لمن شاء، والمؤخِّر لمن شاء بحكمته»(٤).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ ذَانِكَ الصِّـ ـفَتَانِ لِلْأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ

وَهُمَا صِفَاتُ الذَّاتِ أَيْضًا إِذْ هُمَا بِالذَّاتِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ(٥)

---

(١) شأن الدعاء (١/ ٨٧).

(٢) المنهاج (١/ ٢٠٧).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٤/ ٧٠).

(٤) الحق الواضح المبين (ص١٠٠).

(٥) النونية (٢/ ٢٤١).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (المقدِّم – المؤخِّر):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (المقدم المؤخر) من الصفات، ودلالتهما علىٰ التوحيد:

الله سُبْحَانَهُ هو المقدم المؤخر بعلم وحكمة، فهو العليم الخبير المحيط القدير سُبْحَانَهُ، يدبر الكون كيفما شاء، ويمكن تقسيم تقديمه وتأخيره سُبْحَانَهُ علىٰ نوعين، وهما:

- تقديم وتأخير كوني.
- تقديم وتأخير شرعي.

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك:** «وهذا التقديم يكون كونيًّا كتقديم بعض المخلوقات علىٰ بعض، وتأخير بعضها علىٰ بعض، وكتقديم الأسباب علىٰ مسبباتها، والشروط علىٰ مشروطاتها، وأنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير بحر لا ساحل له، ويكون شرعيًّا كما فضَّل الأنبياء علىٰ الخلق، وفضَّل بعضهم علىٰ بعض، وفضَّل بعض عباده علىٰ بعض، وقدَّمهم في العلم، والإيمان، والعمل، والأخلاق، وسائر الأوصاف، وأخَّر مَن أخَّر منهم بشيء من ذلك، وكلُّ هذا تبعٌ لحكمته»[1].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله قدَّم بعضًا من مخلوقاته علىٰ بعض في الخلق والإيجاد، ففي الحديث: **(أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **الْقَلَمُ)**،[2]

---

(١) الحق الواضح المبين (ص: ١٠٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣١٤٥)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٧٠٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٣١٩)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٣٣).

وخلق السموات والأرض في ستة أيام، وقدَّمَ خلق الملائكة علىٰ خلق الإنس والجن، وتقدَّم خلق الجن علىٰ خلق الإنس ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، وأول البشر خلقًا آدمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم تتابَع بنيه في الخلق والوجود، فمنهم المتقدِّم، ومنهم المتأخِّر، وهذا التقديم كوني قدري، ولا يلزم منه أن يكون المتقدِّم أفضل مِن المتأخِّر، فآدم خُلِق في آخر الأيام الستة، وله فضل هو وبنوه علىٰ كثير ممن تقدَّمهم في الخلق ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]»، أما التقديم والتأخير الشرعي الديني، فكتقديم الأذان علىٰ الصلاة، وخطبة الجمعة علىٰ صلاة الجمعة، وصلاة العيد علىٰ خطبة العيد.

وحري بمن عرف اسمي الله المقدم والمؤخر، وآمن بهما أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، ويسأله وحده بهذين الاسمين خيري الدنيا والآخرة.

الأثر الثاني: المقدَّم مَن قدَّمَهُ اللهُ ورفعه:

إن ميزان التقديم والتأخير، والحب والبغض، والولاء والبراء هو ميزان الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك كله، لا كما يزن به أكثر الناس اليوم، حين يقدمون أهل الجاه والمال والرئاسات وغيرها من أعراض الدنيا علىٰ غيرهم من أهل الدين والتقوىٰ، وهذا يخالف ميزان الله عَزَّوَجَلَّ في التقديم والتأخير، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، ولقد كان الرسول

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام يسيرون بهذا الميزان في تقديم الرجال والمواقف وغيرها.

«جاء في سيرة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام، وأبا سفيان بن حرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وجماعة من كبراء قريش من الطُّلَقاء استأذنوا علىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأذن قبلهم لصهيب وبلال؛ لأنهما كانا من السابقين إلىٰ الإسلام ومن أهل بدر، فوجد أبو سفيان في نفسه، وقال بانفعال: لم أر كاليوم قط؛ يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا علىٰ بابه! فيقول له صاحبه- وقد استقرت في حسِّه حقيقة الإسلام-: أيها القوم، إني- والله- أرىٰ في وجوهكم، إن كنتم غضابًا فاغضبوا علىٰ أنفسكم، دُعي القوم إلىٰ الإسلام ودُعيتم فأسرعوا وأبطأتم، فكيف إذا دعوا يوم القيامة وتُرِكتم؟

ويفرض عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأسامة بن زيد أكبر مما يفرض لعبد الله بن عمر، حتىٰ إذا سأله عبد الله عن سر ذلك، قال له: لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِيكَ، وَكَانَ أُسَامَةُ أَحَبَّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ مِنْكَ، فَآثَرْتُ حِبَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ حِبِّي»[1].

هذا هو المؤمن الحق الذي يعز من أعز الله بطاعته من إخوانه المؤمنين، مقياسه: التقوىٰ والإيمان، وعن سهل بن سعد قال: «مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: **مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟** فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ:

(١) أخرجه الترمذي،رقم الحديث: (٣٨١٣)، حكم الألباني: ضعيف، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٦١٧٣).

فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»[1].

الأثر الثالث: الإيمان بحكمة المقدم المؤخر سُبْحَانَهُ:

فلله الحكمة البالغة في تقديم ما قدم وتأخير ما أخَّر، وأي أمر قدَّم أو أخَّر فإنما هو بعلم الله تَعَالَى وإرادته وحكمته البالغة، وهذا يشمل كل شيء قدم أو فضل علىٰ غيره، أو أخر عنه، ومن ذلك: تقديم الآجال وتأخيرها، وتقديم أو تفضيل بعض الأزمنة والأمكنة علىٰ بعضها، وتقديم بعض خلقه وتفضيلهم علىٰ بعض، وتقديم إيجاد شيء علىٰ شيء آخر، وتقديم عقوبة أقوام وتأخير آخرين، وكذلك فيما يحصل للمؤمن من تقديم أمر لا يحب تقديمه أو تأخير أمر يكره تأخيره، فإن مقتضىٰ هذين الاسمين الكريمين ومقتضىٰ حكمته سُبْحَانَهُ يجعل المؤمن يرضىٰ ويسلم ويعتقد بأن الخيرة فيما اختاره الله له من تقديم أو تأخير، وقد يكون في ذلك الرحمة واللطف وهو لا يشعر.

الأثر الرابع: محبة الله المقدِّم المؤخِّر:

الإيمان بأنه سُبْحَانَهُ المقدم والمؤخر يثمر في قلب المؤمن محبة الله وحده، والتعلق به؛ لأنه مهما حاول البشر من تقديم أمر لم يرد الله عَزَّوَجَلَّ تقديمه، أو تأخير أمر لم يرد الله تَعَالَى تأخيره فلن يستطيعوا، وهذا يجعل القلب يتعلق بمحبة الله؛ لأنه وحده القادر علىٰ كل شيء، والنفس بطبيعتها

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٤٧).

تميل إلىٰ محبة صاحب القدرة والعلم، والله تَعَالَىٰ هو المقدم المؤخر بعلمه وقدرته، لا رادَّ لتقديمه أو تأخيره، ولا مُعَقِّبَ لحكمه.

الأثر الخامس: التقدم الحقيقي هو التقدم في الطاعات:

إن التقدم الحقيقي النافع هو التقدم في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وجنته ومرضاته، والتأخر عن ذلك هو التأخر الحقيقي المذموم، فقد قال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّىٰ يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ فِي النَّارِ**»(١)، وقال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا لَاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»(٢).

وفي كتاب الله: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]

أما التقدم في الدنيا والتأخر عنها فليس بمقياس للتقدم والتأخر؛ ولذا ينبغي للمسلم أن يتوسل إلىٰ ربه سُبْحَانَهُ بهذين الاسمين الكريمين؛ لنيل التقدم الحقيقي عنده سُبْحَانَهُ، وترك كل ما يؤخر عن جنته ومرضاته.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعبد سائر لا واقف، فإما إلىٰ فوق، وإما إلىٰ أسفل، وإما إلىٰ أمام، وإما إلىٰ وراء، وليس في الطبيعة، ولا في الشريعة وقوف البتة، ما هو إلا مراحل تطوىٰ أسرع طي إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار، فمسرع

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٦٧٩)، واللفظ له، وابن حبان، رقم الحديث: (٢١٥٦)، حكم الألباني: صحيح لغيره دون قوله: «فِي النَّارِ». السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: (٦٤٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٣٧).

ومبطئ، ومتقدم ومتأخر، وليس في الطريق واقف البتة، وإنما يتخالفون في جهة المسير، وفي السرعة والبطء: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٥٣ - ٧٣] ولم يذكر واقفًا؛ إذ لا منزل بين الجنة والنار، ولا طريق لسالك إلىٰ غير الدارين البتة، فمن لم يتقدم إلىٰ هذه بالأعمال الصالحة فهو متأخر إلىٰ تلك بالأعمال السيئة.

فإن قلت: كلُّ مُجَدٍّ في طلب شيء لا بد أن يعرض له وقفة وفتور، ثم ينهض إلىٰ طلبه، قلت: لا بد من ذلك، ولكن صاحب الوقفة له حالان: إما أن يقف ليجمَّ نفسه، ويعدها للسير، فهذا وقفته سير، ولا تضره الوقفة؛ فـ«إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ»[1]، وإما أن يقف لداع دعاه من ورائه، وجاذب جذبه من خلفه، فإن أجابه أخره ولا بد! فإن تداركه الله برحمته، وأطلعه علىٰ سبق الراكب له وعلىٰ تأخره، نهض نهضة الغضبان الآسف علىٰ الانقطاع، ووثب واشتد سعيًا ليلحق الركب، وإن استمر مع داعي التأخر، وأصغىٰ إليه لم يرض برده إلىٰ حالته الأولىٰ من الغفلة، وإجابة داعي الهوىٰ حتىٰ يرده إلىٰ أسوأ منها وأنزل دركًا»[2].

ويكفي السابقين أن جُعلوا من المقربين، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١]، فما من عبد سابق إلىٰ الطاعات إلا فاز بالتقريب من رب البريات.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٨٨٠)، وابن حبان، رقم الحديث: (١١)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٨٥٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٦٧- ٢٦٨).

وفي كتاب الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، والسابقون في الدنيا إلىٰ الإيمان والأعمال والخيرات هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات، وهم المقربون عند الله في جنات النعيم في أعلىٰ عليين.

وهم الذين يعطون من أنفسهم مما أمروا به من كل ما يقدرون عليه من صلاة وزكاة، وصيام وحج، وطاعات وأعمال صالحة.

ومع هذا قلوبهم وجلة وخائفة عند عرض أعمالها علىٰ ربها، والوقوف بين يديه؛ خشية أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله؛ لكمال علمهم بربهم، وما يستحقه من أنواع العبادات، السابقون هم أعلىٰ الخلق درجات، وأعلاهم مقامات.

والسابق بالخيرات همه في تحصيل الأرباح، وشد أحمال التجارات؛ لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرىٰ خسرانًا أن يدخر شيئًا مما بيده ولا يتجر به، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم، ويرىٰ خسرانًا بينًا أن يمر عليه وقت في غير متجر.

- والسابقون بالخيرات نوعان: أبرار ومقربون، «فالسابقون المقربون جملة أمرهم: أنهم قوم امتلأت قلوبهم من معرفة الله، وغمرت قلوبهم محبة الله وخشيته، ومراقبته وإجلاله، فسرت المحبة في قلوبهم وأبدانهم، فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب، وقد أنساهم حبه ذكر غيره، وأوحشهم أنسهم به ممن سواه، قد استغنوا بحبه عن حب ما سواه، وبذكره عن ذكر ما سواه، وبخوفه ورجائه عن خوف ورجاء من سواه، وصارت رغبتهم إليه، وتوكلهم عليه، ورهبتهم منه، وإنابتهم إليه، وسكونهم إليه، وانكسارهم بين

يديه، فلم يتعلقوا بشيء من ذلك بغيره»[1].

ولا يزال العبد الموفق يتقرب من ربه حتىٰ يحتفي الله به، يقول تَعَالَى علىٰ لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] أي: رحيمًا رءوفًا بحالي، معتنيًا بي، كثير الحفاوة بي والإكرام لي؛ لعلم إبراهيم مقام ربه في قلبه، وحبه له، فإذا أراد العبد أن يعرف أين هو من الله فلينظر أين الله منه؟ فإذا أراد الله أن يقدم عبدًا رفعه درجات بطاعته ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فإذا تيقن المؤمن ذلك وعلم أن الله هو المقدم والمؤخر لم يطلب لنفسه جاهًا أو مالًا أو منصبًا ليتقدم به، وإنما يتقدم بقربه من ربه، وبحرص أن يقدم من قدمه الله.

ومن أراد أن يقدمه الله ويرفعه، فعليه أن يأخذ بأسباب التقديم، وهي:

١- الحرص علىٰ الأعمال الصالحة، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، فلا يزال العبد يرتفع عمله حتىٰ يرفع الله ذكره، فيعرف عند الملائكة، ويطرح قبوله وذكره في الأرض، وفي الحديث الصحيح حين أثنىٰ الناس علىٰ جنازة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً تَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ**»[2] وإن من عباد

---

(١) موسوعة فقه القلوب، لمحمد إبراهيم التويجري (١٤/ ٦٦).

(٢) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (١٤٠١)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٨٨٧٦)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٩٤).

الله من هو في الأرض وذكره في السماء، قد عمرت دوره في الفردوس الأعلىٰ، ألم يصح: «أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا بِلَالًا، فَقَالَ: **يَا بِلَالُ، بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي!** فَقَالَ بِلَالٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهَا، وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **بِهِمَا**»[1]، وفي الحديث الآخر: «**بَيْنَا أَنَا فِي الْجَنَّةِ سَمِعْتُ صَوْتَ رَجُلٍ بِالْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، كَذَلِكَ الْبِرُّ، كَذَلِكَ الْبِرُّ، وَكَانَ حَارِثَةُ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ**»[2]، ورأىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصرًا في الجنة، فسأل عنه، فأخبرته الملائكة أنه قصر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[3]، فقدم نفسك في الخير؛ لترفعها بالدرجات العلىٰ، وأعد لك مستقبلًا عامرًا في الجنة.

٢- العناية بكتاب الله تلاوةً وحفظًا وتدبرًا وتطبيقًا، فعن عامر بن واثلة: «أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان- وكان عمر يستعمله علىٰ مكة- فقال: من استعملت علىٰ أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزىٰ، قال: ومن ابن أبزىٰ؟ قال: مولًىٰ من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولًىٰ؟! قال: إنه قارئ لكتاب

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٩٩٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٦٨٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٣٢٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٤٦٠٥)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٧٤٦٧)، والحاكم، رقم الحديث: (٤٩٥٨)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٩١٣).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث :(٣٦٧٩)، ومسلم، رقم الحديث :(٢٣٩٤).

الله عَزَّوَجَلَّ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[1].

٣- طلب العلم والإخلاص فيه، يقول تعَالَى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[المجادلة:١١].

٤- التخلق بالأخلاق الفاضلة الحسنة، عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ**»[2]، ومن ذلك التواضع، وخفض الجناح للمؤمنين، في صحيح مسلم: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[3]، وفيه: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**»[4]، وفي الطبراني: «**مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا فِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ**[5] **بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِذَا تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حِكْمَتَهُ، وَإِذَا تَكَبَّرَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حِكْمَتَهُ**»[6].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨١٧).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٨)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق، رقم الحديث: (٥٩)، حكم الألباني: صحيح، تحقيق رياض الصالحين، رقم الحديث: (٦٣٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٨٨).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٦٥).

(٥) الحَكَمَة: ما أحاط بحَنَكَيِ الفرس من لجامه وفيها العِذَاران وهما من الفرس كالعارضَيْنِ من وجه الإنسان.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث :(١٢٩٣٩)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث :(٥٣٨).

الأثر السادس: التقديم والتأخر يوم القيامة في دخول الجنة:

أعظم تقديم وتأخير للمقدم المؤخر سُبْحَانَهُ هو ما كان في يوم القيامة، وهذا من عظيم عدله، فإن من كان سابقًا للخيرات مسارعًا للطاعات في الدنيا يسبق الناس في دخول الجنة، ويقدمه الله علىٰ رؤوس الأشهاد، ومن تأخر عن ربه أُخِّر يوم القيامة، وفي صحيح مسلم حديث طويل في تفاوت الناس في عبورهم الصراط إلىٰ الجنة بقدر أعمالهم، الشاهد منه: «..... **فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُم كَالْبَرْقِ،** قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ **قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ، سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا** - قَالَ: وَفِي حَافَتَي الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»، والذي نفس أبي هريرة بيده، إن قعر جهنم لسبعون خريفًا[(١)].

وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال وصفة أول زمرة تدخل الجنة، وحال آخر من يدخلها أيضًا، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصف حال السابقين: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ الْأَنْجُوجُ**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٥).

عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ عَلَىٰ خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»[1]، أما آخر من يدخل الجنة، فقال عنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَىٰ رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَىٰ الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَيَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَىٰ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَىٰ خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّىٰ حَتَّىٰ إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّىٰ إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٣٢٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨٣٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤٣٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٨٢).

الأثر السابع: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]:

الإيمان بالمقدم المؤخر سُبْحَانَهُ يجعلنا نؤمن بحكمته في تأخيره لعذاب من تجبر وتكبر، فيفسح لهم الزمان ويمد لهم في الأعمار حتىٰ تنقطع حجتهم، فإن تابوا ورجعوا فهو الغفور الرحيم، وإن أصروا واستكبروا لم يُعجِزُوه، تأمل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣]، فهو سُبْحَانَهُ يؤخِّر العقوبة لحكمة بالغة، ويُقدِّمُ المكافأة لحكمة بالغة.

ومن الحكم في تأخير العقوبة:

- رحمة من الله تَعَالَى بالظالم؛ حتىٰ يتدارك خطأه فيتوب إليه ويندم علىٰ ما فعله، قال تَعَالَى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]، وقد أرسل الله نبيه موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ فرعون وقد ظلم وزاد في ظلمه حتىٰ طغىٰ، فقال تَعَالَى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] فالآية الكريمة توضح إمكانية رجوع هذه الطاغية، بإرسال الرسل إليه لينصحوه.

- استدراج من الله تَعَالَى، فإذا أراد الله بالظالم شرًّا استدرجه، ومدَّ له، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]»[1].

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٦٨٦).

- تسلُّط الظالمين بعضهم علىٰ بعض، ومن الأدعية المشهورة «اللهم أهلك الظالمين بالظالمين»، قال عز من قائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فما من ظالم إلا ويُبتلىٰ بأظلم منه؛ لنجد في النهاية أنهم يفنون بعضهم البعض في الدنيا، وينالون أشد العذاب في الآخرة.

- فتح باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المؤمنين، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[١].

- معرفة المؤمنين لشره، وإدراكهم خطورته؛ ومِن ثَمَّ يلتجئون إلىٰ ربهم فيدعونه، ليكفيهم هذا الشرَّ، فلو عوقب الظالم فور ظلمه لما شعر الناس بالشر ولما خافوا من الظلم والظالمين.

الأثر الثامن: دعاء الله المقدِّم المؤخِّر:

ومن علم معنىٰ اسم الله المقدم المؤخر تضرع لله به، و ولقد كان مِن هدي النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو الله بهذين الاسمين المشَرَّفين؛ فعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[٢]، وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصفه لصلاة

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٩٥٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٩٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧١٩).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: «ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: **(اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(١)، ومما رواه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل يتهجد، قال: **اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** - أو: **لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ** - قال سفيان: وزاد عبد الكريم أبو أمية: **وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»(٢).

فاللهم إنا نسألك أن ترفع لنا الدرجات، وأن تقربنا منك، وأن تغفر لنا الخطأ والزلل.



(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

المَنَّانُ جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المَنُّ: القَطْعُ، ويقال: النقص، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [فصلت: ٨]... ومن عليه منا: أنعم، والمنان، من أسماء الله تَعَالَى. ومَنَّ عليه مِنَّةً، أي: امْتَنَّ عليه»[١].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الميم والنون أصلان، أحدهما: يدل علىٰ قطع وانقطاع، والآخر: علىٰ اصطناع خير.

الأول (المنُّ): القطعُ، ومنه يقال: مننتُ الحبلَ: قطعتُهُ.

والأصل الآخر (المنُّ)، تقول: مَنَّ يَمُنُّ مَنًّا، إذا صنع صنعًا جميلًا، ومن الباب: المنَّةُ، وهي القوة التي بها قوام الإنسان»[٢].

ورود اسم الله (المنان) في القرآن الكريم:

لم يرد اسم المنان في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٢٠٧).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٢٦٧).

ورود اسم الله (المنان) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (المنان) في السنة النبوية، في عدة مواضع وأحاديث؛ ومن وروده ما يلي:

حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[1].

ثبوت اسم الله (المنان) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله المنان في حق الله تعالىٰ:

- **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول في ذلك: «فإذا وصل إلىٰ القلب نور صفة المنة، وشهد معنىٰ اسمه المنان...»[2].

- **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[3].

معنى اسم الله (المنان) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور اسم الله المنان علىٰ معنيين:

١-كثير النعم والعطايا.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٦١١)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٩٥)، حكم الألباني: مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٢٢٩٠).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص: ٢٦).

(٣) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، لابن عثيمين (ص: ١٥).

٢-المانُّ علىٰ عباده بما أولاهم من النعم.

وحول هذه المعاني تدور أقوال العلماء:

فمن الأقوال في المعنىٰ الأول:

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما المنان: فهو كثير العطاء، والمن: العطاء لمن لا تستثيبه»[1].

❁ **وقال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها المنان: وهو عظيم المواهب، فإنه أعطىٰ الحياة والعقل والنطق وصور فأحسن الصور، وأنعم فأجزل، وأسنىٰ النعم وأكثر العطايا والمنح، قال- وقوله الحق-: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾»[2].

❁ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمنَّان: الذي يجود بالنوال قبل السؤال»[3].

وقد أنكر بعض العلماء المعنىٰ الثاني، وقال: المنة تكدر النعمة، كما نقل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عنهم، وقد رد عليهم هذا الإنكار وأبطله، فقال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين: ٦]**: «وقوله ﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين: ٦]، أي: غير مقطوع، ولا منقوص، ولا مكدَّر عليهم، وهذا هو الصواب.

وقالت طائفة: غير ممنون به عليهم، بل هو جزاء أعمالهم، ويُذكَرُ هذا عن عكرمة ومقاتل، وهو قول كثير من القدرية، قال هؤلاء: إن المنة تُكَدِّرُ

---

(١) شأن الدعاء (١/ ١٠٠).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٠٢).

(٣) النبوات (١/ ٣٦٥).

النعمةَ، فتمام النعمة أن يكون غيرَ ممنونٍ بها علىٰ المنعَم عليه.

وهذا القول خطأ قطعًا، أُتي أربابُهُ من تشبيه نعمة الله علىٰ عبده بإنعام المخلوق علىٰ المخلوق، وهذا من أبطل الباطل؛ فإن المنة التي تُكَدِّرُ النعمةَ هي منة المخلوق علىٰ المخلوق، وأما منة الخالق علىٰ المخلوق ففيها تمام النعمة، ولذتها، وطيبها؛ فإنها منة حقيقية، قال تعَالَىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال تعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ١١٤-١١٥]؛ فتكون منةً عليهما بنعمة الدنيا، دون نعمة الآخرة، وقال أهل الجنة: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، وفي الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للأنصار: (**أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي، وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي، وَيَقُولُونَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ فَقَالَ: أَلَا تُجِيبُونِي؟ فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ**)(١)؛ فهذا جواب العارفين بالله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهل المنة إلا لله المنان بفضله، الذي جميع الخلق في منته؟ وإنما قبحت منة المخلوق؛ لأنها منة بما ليس منه، وهي منة يتأذىٰ بها الممنون عليه، وأما منة المنان بفضله التي ما طاب العيش إلا بمنته، وكل نعمة منه في الدنيا والآخرة فهي منة يمن بها علىٰ من أنعم عليه، فتلك لا يجوز نفيها.

وكيف يجوز أن يقال: إنه لا منة لله علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات في دخول الجنة؟ وهل هذا إلا من أبطل الباطل؟! فإن قيل: هذا القدر لا يخفىٰ علىٰ من قال هذا القول من العلماء، وليس مرادهم ما ذكر، وإنما مرادهم:

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٣٠)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٦١)، واللفظ له.

أنه لا يمن عليهم به، بل يقال: هذا جزاء أعمالكم التي عملتموها في الدنيا، وهذا أجركم، فأنتم تستوفون أجور أعمالكم لا نمن عليكم بما أعطيناكم، قيل: وهذا- أيضًا- هو الباطل بعينه؛ فإن ذلك الأجر ليست الأعمال ثمنًا له، ولا معاوضةً عنه، وقد قال أعلم الخلق باللهصَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ)**[1]؛ فأخبر أن دخول الجنة برحمة الله وفضله، وذلك محض مِنَّتِهِ عليه، وعلىٰ سائر عباده، وكما أنه سُبْحَانَهُ المانُّ بإرسال رسله، وبالتوفيق لطاعته، وبالإعانة عليها، فهو المانُّ بإعطاء الجزاء، وذلك كله محضُ مِنَّته وفضله وجوده، ولا حق لأحد عليه»[2].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (المنان):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (المنان) من الصفات:

الله سُبْحَانَهُ هو المنان كثير العطاء، عظيم المواهب، واسع الإحسان، يُدِرُّ العطاء علىٰ عباده، ويوالي النعماء عليهم، فلا يبلغون شكرها فضلًا عن إحصائها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨].

وهو المنان الذي شهدت الخليقة كلها برها وفاجرها بإحسانه وعظيم نواله، وكريم أياديه، وجميل صنائعه، وسعة رحمته وبِرِّه ولطفِه، وإجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفِها بعد وقوعها، ولطفِه تَعَالَىٰ في ذلك

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٧٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ٥٠).

إلىٰ ما لا تبلغه الآمال، كل ذلك تفضلًا منه وتكرمًا ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٨] لا طلبًا لأجر أو رزقًا، قال تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧][1].

وهو المنَّان المحسن إلىٰ العباد والمنعم عليهم من غير أن يطلب الجزاء علىٰ إحسانه إليهم، بل من عظيم إحسانه أوجب لعباده حقًّا عليه، منةً منه وتكرمًا إن هم وحدوه في العبادة ولم يشركوا به شيئًا، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ- فَقَالَ: **يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: **يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: **يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: **هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟** قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: **يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: **هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ؟** قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»[2].

وهو المنَّان الذي يمن علىٰ عباده بما أعطىٰ وأولىٰ،، له المنة ولا منَّة لأحد عليه، المنان علىٰ الإطلاق، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيجب علىٰ كل مسلم أن يعلمَ أن لا منَّانَ علىٰ الإطلاق إلَّا الله وحده، الذي يبدأ بالنَّوال قبل السؤال»[3].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، (ص: ١٣٢)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر، (ص: ٣٤٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٥٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ٩٤).

والمنان قد منَّ علىٰ عباده بنعمه العظيمة، وعطاياه الكريمة، ومن ذلك:

- منته علىٰ عباده المؤمنين بالهداية لهذا الدين، والإخراج من ظلمات الشرك والكفر برب العالمين، قال تَعَالَى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وهذه النعمة والمنَّة أعظم منَّة يمن الله بها علىٰ عباده، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ موضحًا لها: «وهدايته خاصته وعباده إلىٰ سبل دار السلام، ومدافعته عنهم أحسن الدفاع وحمايتهم عن مراتع الآثام، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وسماهم المسلمين قبل أن يخلقهم، وذكرهم قبل أن يذكروه وأعطاهم قبل أن يسألوه... وذكرهم بآلائه وتعرف إليهم بأسمائه، وأمرهم بما أمرهم به رحمة منه بهم وإحسانًا

لا حاجة منه إليهم، ونهاهم عما نهاهم عنه حماية وصيانة لهم لا بخلًا منه عليهم، وخاطبهم بألطف الخطاب وأحلاه، ونصحهم بأحسن النصائح، ووصاهم بأكمل الوصايا، وأمرهم بأشرف الخصال ونهاهم عن أقبح الأقوال والأعمال... وصرف لهم الآيات، وضرب لهم الأمثال، ووسع لهم طرق العلم به ومعرفته، وفتح لهم أبواب الهداية، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه وتبعدهم عن غضبه»[1].

- منته علىٰ هذه الأمة ببعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، صفوة رسله وخيرة أنبيائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وقد ذكَّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنصار بهذه المنَّة العظيمة، فقال: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ**»[2].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ - في الفتح-: «وقد رتَّب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما مَنَّ الله عليهم علىٰ يده من النعم ترتيبًا بالغًا، فبدأ بنعمة الإيمان- التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا- وثنَّىٰ بنعمة الأُلفة، وهي أعظم من نعمة المال؛ لأن

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص: ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٣٠)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٦١).

الأموال تبذلُ في تحصيلها وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع؛ لما وقع بينهم من حرب بُعاث وغيرها، فزال ذلك كلُّه بالإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]»[1].

- منته علىٰ أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين بالتمكين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٤-١١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥-٦].

ومن ذلك: منته علىٰ يوسف بعدم تضييع صبره وتقواه، بل أورثه حُسن العاقبة والتمكين في الأرض، قال تعالىٰ عن يوسف عليه وسلم متذكرًا هذه المنة: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

- منته علىٰ عباده المؤمنين بدخول الجنة، والنجاة من النار، قال تعالىٰ حاكيًا عن أهل الجنة استشعارهم لهذه المنة العظيمة والعطية الجزيلة: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦-٢٨]،

(١) فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٥٠).

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣][1].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (المنَّان) علىٰ التوحيد:

إذا عرف العبد ربه باسمه المنان، وعلم أنه وحده ولي المنِّ والعطاء صاحب الهبة والنعماء، صغيرها وكبيرها ظاهرها وباطنها منه وحده، لا يشاركه فيها أحد، كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣][2] علم أنه لا يستحق أحد أن يعبد إلا هو تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وقد نبه الله عباده علىٰ هذا المعنىٰ، فقال: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥١ - ٥٤]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يأمر تَعَالَى بعبادته وحده لا شريك له، ويستدل علىٰ ذلك بانفراده بالنعم والوحدانية، فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾... ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ من أهل الأرض أو أهل السماوات، فإنهم لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعًا، والله المنفرد بالعطاء والإحسان ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ ظاهرة وباطنة ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ لا أحد يشركه فيها، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ من فقر ومرض وشدة ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ أي: تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٣٤٣-٣٤٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٣٤٦).

الضر والشدة إلا هو، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده»[1].

وذم سُبْحَانَهُ المشركين علىٰ عبادتهم لغيره مع أنه المنعم، فقال: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعرفون أن الله تَعَالَىٰ هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلىٰ غيره»[2].

الأثر الثالث: التوكل علىٰ الله المنان:

إذا عرف العبد اسم الله (المنان) وأن ما يتقلب فيه من النعيم من أثر منته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه لا بحوله وقوته ولا بحول وقوة مخلوق مثله، وإنما المنة لله وحده؛ أورثه ذلك التطامن والاعتراف بالضعف والنقص والعجز، وأنه لو وكل إلىٰ نفسه أو غيره طرفة عين لخاب وخسر وهلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا وصل إلىٰ القلب نورُ صفة الـمِنَّةِ، وشهد معنىٰ اسمه (المنَّان)؛ وتجلَّىٰ سُبْحَانَهُ علىٰ قلب عبده بهذا الاسم مع اسمه (الأول)- ذهِلَ القلبُ والنفسُ به؛ وصار العبد فقيرًا إلىٰ مولاه بمطالعة سبق فضله الأول، فصار مقطوعًا عن شهود أمر أو حال ينسبه إلىٰ نفسه»[3].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٢).

(٣) طريق الهجرتين، لابن القيم، (ص: ٥٧).

وهذا يثمر في قلب العبد التوكل علىٰ الله، والتعلق به، وقطع التعلق بالأسباب والركون إليها؛ فالأسباب إنما أثرت ونفعت بمنته وإذنه، ولولا ذلك لم تجد علىٰ فاعلها شيئًا.

فالمانُّ بكل خير هو الله وحده مسبب الأسباب، والقاهر لكل شيء، والفعال لما يريد فوجب التوكل عليه وحده وتفويض الأمور إليه.

الأثر الرابع: محبة الله المنان:

إذا تدبر المرء في اسم الله (المنان) وتأمل في عظيم مواهبه، وكثير عطاياه ومنحه، وما أسبغ به علىٰ العباد من النعم مع كثرة معاصيهم وذنوبهم؛ أوجب له ذلك محبته والشوق إليه؛ فإن القلوب فُطِرَت علىٰ محبة من يحسن إليها، ولا أعظم إحسانًا وإنعامًا من المنَّان تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الأثر الخامس: شكر الله المنان:

إذا تأمل العبد في اسم الله المنان، وتفكر فيما منَّ عليه به من الهداية للإسلام، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتكريمه بالعقل، والسمع والبصر، والصحة والمعافاة، والأمن والاستقرار، إلىٰ غير ذلك من ألوان النعم والمنن التي تفضل بها المنان قبل السؤال والطلب؛ أوجب له ذلك حمده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ نعمه، وشكره علي آلائه ومننه بالقلب واللسان والجوارح، وإعمالها في طاعته والتقرب إليه، وحفظها من أن تستعمل في معصيته، أو أن تنسب لأحد غيره، قال تَعَالَىٰ: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣]، أي: بإضافتهم النعمة إلىٰ غير المنعِم[1].

---

(١) ينظر: فقه الاسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٣٤٦).

الأثر السابع: المنة لله سُبْحَانَهُ:

المنَّة بالعطية إنما تكون لله وحده، وليست لأحد من الخلق؛ لذا نهىٰ الله ورسوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يتصف المؤمن بها وأن يؤذي الخلق بهذا الخُلق الذميم، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «لا تعط العطية؛ تلتمس أكثر منها»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «لا تمنُنْ علىٰ الناس بما أسديتَ إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتتكَثَّر بتلك المنة، وترىٰ لك الفضل عليهم بإحسانك المنة، بل أحسِن إلىٰ الناس مهما أمكنَك، وانْسَ عندهم إحسانك، ولا تَطْلُب أجرَه إلا من الله تَعَالَىٰ، واجعل مَن أحسنت إليه وغيرَه علىٰ حَدٍّ سواء»[(٢)].

قال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»[(٣)]، وقال أيضًا صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ**»[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٦٤).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٩٥).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠٦).

(٤) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (٥٦٨٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (٥٦٧٢).

وعلَّة هذا النهي بيَّنها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «وحظر الله علىٰ عباده الـمَنَّ بالصنيعة، واختصَّ به صفةً لنفسه؛ لأنَّ مَنَّ العبادِ تكديرٌ وتعييرٌ، ومَنُّ الله إفضالٌ وتذكيرٌ، وأيضًا: فإنه هو المنعم في نفس الأمر، والعباد وسائط، فهو المنعم علىٰ عبده في الحقيقة.

وأيضًا فالامتنان استعباد وكسر وإذلال لمن يَمُنُّ عليه، ولا تصلح العبودية والذل إلا لله.

وأيضًا فالـمِنَّة أن يشهد المعطي أنه رب الفضل والإنعام، وأنه ولي النعمة ومسديها، وليس ذلك في الحقيقة إلا لله.

وأيضًا فالمان بعطائه يشهد نفسَه مترفعًا علىٰ الآخذ، مُستعليًا عليه، غنيًّا عنه عزيزًا، ويشهد ذل الآخذ وحاجته إليه وفاقته، ولا ينبغي ذلك للعبد.

وأيضًا فإن الـمعطي قد تولىٰ الله ثوابه، ورد عليه أضعاف ما أعطىٰ، فبقي عوض ما أعطىٰ عند الله، فأي حق بقي له قبل الآخذ؟ فإذا امتن عليه فقد ظلمه ظلمًا بينًا، وادعىٰ أن حقه في قلبه، ومن هنا- والله أعلم- بطلت صدقته بالـمن؛ فإنه لما كانت معاوضته ومعاملته مع الله، وعوض تلك الصدقة عنده، فلم يرض به، ولاحظ العوض من الآخذ، والمعاملة عنده، فمنَّ عليه بما أعطاه؛ أبطل معاوضته مع الله ومعاملته له»(١).

واتصاف المخلوق بالمنة علىٰ نوعين أوضحهما ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أيضًا- في كلامه عن المنفقين وأنواعهم، حيث قال: «فالـمن نوعان؛ **أحدهما:** من بقلبه، من غير أن يصرح به في لسانه، وهذا إن لم يبطل الصدقة، فهو من

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص: ٣٦٦).

نقصان شهود منة الله عليه في إعطائه المال وحرمان غيره، وتوفيقه للبذل ومنع غيره منه، فلله الـمنة عليه من كل وجه، فكيف يشهد قلبه منة غيره.

والنوع الثاني: أن يمن عليه بلسانه، فيعتدي علىٰ من أحسن إليه بإحسانه، ويريه أنه اصطنعه، وأنه أوجب عليه حقًّا وطوقه منةً في عنقه، فيقول: أما أعطيتك كذا وكذا؟ ويعدد أياديه عنده، **قال سفيان**: (يقول: أعطيتك فما شكرت)، وقال **عبد الرحمن بن زياد**: (كان أبي يقول: إذا أعطيت رجلًا شيئًا، ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكفَّ سلامك عنه).

وكانوا يقولون: (إذا اصطنعتم صنيعةً فانسوها، وإذا أسديت إليكم صنيعة فلا تنسوها)»[(١)].

وللمنة آثار سيئة، لا سيما إذا كانت في الطاعة، فقد بين الله أثرها علىٰ الطاعات عمومًا وعلىٰ الصدقات خصوصًا، فبين أنها:

١- مبطلة للعمل، قال تعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذىٰ، فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذىٰ، ثم قال تعَالَىٰ: ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ، كما تبطل صدقة من راءىٰ بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص: ٣٦٦).

قطع نظره عن معاملة الله تَعَالَى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه»[1].

والـمَنُّ ولو كان بعد العمل بمدة ضار به، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نبَّهَ بقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٢] علىٰ أن الـمن والأذىٰ، ولو تراخىٰ عن الصدقة، وطال زمنه، ضرَّ بصاحبه، ولم يحصل له مقصودُ الإنفاق، ولو أتىٰ بالواو، وقال: ولا يتبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذًىٰ، لأوهَمَتْ تقييدَ ذلك بالحال، وإذا كان الـمَنُّ والأذىٰ المتراخي مبطلًا لأثر الإنفاق، مانعًا من الثواب؛ فالمقارن أولىٰ وأحرىٰ»[2].

٢- جعل رد السائل بالمعروف والعفو عنه خير من التصدق عليه مع المن والأذية له، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٢- ٢٦٣] وذلك؛ لأن رد السائل بالقول المعروف الكريم يدخل السرور علىٰ نفسه، والعفو عما قد يصدر من السائل مما لا ينبغي وعدم مؤاخذته بذلك، كله من الإحسان الذي لا مفسدة فيه، فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذىٰ بمنٍّ أو غيره[3].

وكل ما سبق دال علىٰ أن اتصاف المخلوق بالمنَّة كبيرة من كبائر الذنوب، فعلىٰ المسلم أن يحذر من هذا الوصف الذميم، سلمنا الله منه ورزقنا كريم الخلق.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٩٤).

(٢) طريق الهجرتين، ابن القيم (ص: ٣٦٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١١٣).

الأثر الثامن: سؤال المنان من واسع فضله والتوسل إليه باسم المنان:

إذا علم العبد اسم الله المنان وما يحويه من عظيم المنن والنعم مع ما رغب به عباده من سؤاله والتوسل إليه بأسمائه وصفاته ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ حرص علىٰ أن يكون لاسم الله (المنان) نصيب من دعائه.

وقد ورد دعاء الله باسمه (المنان) في السنة النبوية، ومن ذلك:

- حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أنه كان مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جالسًا ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[1].

اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم: أن تمن علينا بالخير، والإحسان، واليقين، والإيمان، وأن تجعلنا من أهل القرآن، وأن ترزقنا دوام ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك.



(١) سبق تخريجه.

الوَتْرُ جَلَّ جَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوِتر- بالكسر-: الفرد»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ اللَّهُ: «...الوِتر: الفرد»[2].

ورود اسم الله (الوتر) في القرآن الكريم:

لم يرد اسمه سُبْحَانَهُ (الوتر) في كتاب الله.

ورود اسم الله (الوتر) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الوتر) في السنة النبوية، ومن ورودها ما يلي:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لِلهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ**»[3].

٢- عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ،**

(١) الصحاح (٢/ ٨٤٢).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٨٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤١٠).

أَوْتِرُوا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»[1].

ثبوت اسم الله (الوتر) في حق الله تعالى:

من العلماء الذين أثبتوا اسم الله (الوتر) في حق الله تَعَالَى:

- **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله: «فإن الله وتر يحب الوتر»[2].
- **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد عده من الأسماء المثبتة بالسنة النبوية[3].

معنى اسم الله (الوتر):

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله عَزَّوَجَلَّ وتر، وهو واحد»[4].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوتر هو الواحد الأحد، الذي لا شريك له، ولا نظير ولا مثيل، المتفرد عن خلقه، البائن منهم بصفاته: فهو سُبْحَانَهُ وتر، وجميع خلقه شفع، خُلقوا أزواجًا؛ فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]»[5].

قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها: (الوتر)؛ لأنه إذا لم يكن قديم سواه، لا إله ولا غير إله، لم ينبغ لشيء من الموجودات أن يضم إليه فيعد معه، فيكون

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٩٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤١٦)، حكم الألباني: رقم الحديث: (١٤١٦).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٠).

(٣) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص: ١٥).

(٤) غريب الحديث (١/ ١٧٢).

(٥) شأن الدعاء (ص: ٢٩).

والمعدود معه شفعًا، لكنه واحد فرد وتر»[١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواحد الوتر: الذي لا شبيه له، ولا نظير ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك»[٢].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الوتر):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الوتر) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الله تَعَالَى وتر انفرد عن خلقه فجعلهم شفعًا، وقد خلق الله المخلوقات بحيث لا تعتدل ولا تستقر إلا بالزوجية ولا تهنأ علىٰ الفردية والأحدية، يقول تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فالرجل لا يهنأ إلا بزوجته، ولا يشعر بالسعادة إلا مع أسرته، والتوافق بين محبتهم ومحبته.

أما ربنا عَزَّوَجَلَّ فذاته صمدية وصفاته فردية، فهو المنفرد بالأحدية والوترية، لا ولد له ولا والد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣-١] ولم يتخذ صاحبة: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]

وقد ثبت من حديث أبي هريرة: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **وَتْرٌ يُحِبُّ الوَتْرَ**»[٣].

---

(١) المنهاج (١/ ١٩٠).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٤٤).

(٣) سبق تخريجه.

وكما أنه وتر في ذاته سُبْحَانَهُ، فهو الوتر الذي انفرد في صفاته، فهو العزيز بلا ذل، والقدير بلا عجز، والقوي بلا ضعف، والعليم بلا جهل، وهو الحي الذي لا يموت، والقيوم الذي لا ينام، والواحد الأحد الذي لا يشبهه أحد من الخلق، فهو جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقد قال سُبْحَانَهُ عن نفسه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ومن آمن بهذا أفرد الله بالعبادة، ووحَّده﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]

ونَزَّهَهُ عن المشابهة والمماثلة، فهو الوتر الذي لا مثيل ولا شريك له، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١] ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]

الأثر الثاني: استشعار أن كثير من العبادات والطاعات شُرعت وترًا:

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ حديث: «**وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**»[١]: «الظاهر أن الوتر هنا للجنس؛ إذ لا معهود جرىٰ ذكره حتىٰ يحمل عليه، فيكون معناه أنه: يحب كل وتر شرعه، ومعنىٰ محبته له: أنه أمر به، وأثاب عليه... قال أبو العباس القرطبي: والوتر يراد به التوحيد، فيكون المعنىٰ: إن الله- في ذاته وكماله وأفعاله- واحد، ويحب التوحيد، أي: يوحد ويعتقد انفراده دون

(١) سبق تخريجه.

خلقه، فيلتئم أول الحديث وآخره، وظاهره، وباطنه»[1]، ومن تأمل في كثير من العبادات والأعمال الصالحة وجدها شُرعت وترًا، ومن ذلك:

أولًا: أركان الإسلام وما يتعلق بها:

١) جعل الطهارة ثلاثًا:

عن سلمة بن قيس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا تَوَضَّأْتَ فَانْتَثِرْ، وَإِذَا اسْتَجْمَرْتَ فَأَوْتِرْ**»[2]، أي: اجعل الحجارة التي تستنجي بها فردًا، استنج بثلاثة أحجار، أو خمسة، أو سبعة، ولا تستنج بالشفع.

٢) جعل الصلاة خمسًا:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **عَلَى الْعِبَادِ مَنْ أَتَى بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ**»[3].

٣) جعل نصاب الزكاة وترًا:

فكلها تشترك بالوتر، ففي الزروع خمسة أوسق، وفي الورق خمس أواق، وفي الإبل خمس من الإبل، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ**

---

(١) المفهم (٧/ ١٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٩١١٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي: رقم الحديث: (٢٧).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٦٩٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٠١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٠١).

أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةٌ»(١).

٤) جعل الطواف والسعي سبعًا:

ففي الطواف: حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ ثُمَّ أَتَى الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ قَالَ: نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، وَقَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]»(٢).

والسعي سبعًا: حديث عمرو بن دينار قال: «سَأَلْنَا ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَجُلٍ طَافَ بِالْبَيْتِ فِي عُمْرَةٍ، وَلَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، أَيَأْتِي امْرَأَتَهُ؟ فَقَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، فَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]»(٣).

٥) رمي الجمار سبعًا:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّهُ كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يُسْهِلَ، فَيَقُومَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْوُسْطَى، ثُمَّ يَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ فَيَسْتَهِلُ، وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، وَيَقُومُ طَوِيلًا، ثُمَّ يَرْمِي جَمْرَةَ

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٥٩)، و مسلم، رقم الحديث: (٩٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٨٦٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٨٦٢).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٦٤٥).

ذَاتِ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَيَقُولُ: هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ»[1].

ثانيًا: ما يتعلق بعامة السنن:

١) جعل آخر صلاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالليل وترًا:

عن نافع، أن ابن عمر قال: «مَنْ صَلَّىٰ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَجْعَلْ آخِرَ صَلَاتِهِ وِتْرًا قَبْلَ الصُّبْحِ، كَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُهُمْ»[2].

٢) كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل التمرات وترًا:

فعن أنس بن مالك قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّىٰ يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ يَأْكُلُهُنَّ إِفْرَادًا »[3].

٣) أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاكتحال وترًا:

وإذا اكتحل فليكتحل وترًا؛ فلقد روي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْتَحِلُ وِتْرًا» [4].

٤) سن التكفين وترًا، وتغسيل الميت وترًا:

عن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت: «لما ماتت زينب بنت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اغْسِلْنَهَا وِتْرًا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، وَاجْعَلْنَ فِي**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٦٣٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٥١).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٤٦٢)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٢٨٠٣).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٦٠١٠)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٧٤٦).

الْخَامِسَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا غَسَّلْتُنَّهَا، فَأَعْلِمْنَنِي، قَالَتْ: فَأَعْلَمْنَاهُ، فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ، وَقَالَ: أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ»[1].

٥) أعاد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرقية وترًا:

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي، ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ، ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وِتْرًا»[2].

* وهنا مسألة يكثر السؤال عنها: هل يشرع الوقوف علىٰ وتر فيما لم ينص الشرع فيه كالأكل أو التطيب وغيره؟

هذه المسألة محل خلاف بين العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ، فمنهم من قال بالقطع علىٰ وتر تبركًا، كما قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وأما جعلهن وترًا فقال المهلب: فللإشارة إلىٰ وحدانية الله تَعَالَى، وكذلك كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعله في جميع أموره تبركًا بذلك»[3].

وذهب إلىٰ هذا من المعاصرين الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.

ومن العلماء من رأىٰ أنه يقتصر علىٰ ما ورد في النص من القطع علىٰ وتر، وما عدا ذلك فلا يستحب له، منهم الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، حيث قال في مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ[4]:

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٣٩).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٨٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٨٨).

(٣) فتح الباري (٢/ ٤٤٧).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٨٨٣١).

«وهل كلما أكل الإنسان تمرًا في غير هذه المناسبة يقطعها علىٰ وتر؟ نقول: لا، وهل الإنسان يقطع كل شيء علىٰ وتر؟ فإذا أكل نقول له: اقطع ثلاث لقمات، فهذا غير مشروع، وعندما يحب أن يزيد من الطيب، فيقول: أوتر، ولكن هذا لا أصل له، فأنا لا أعلم أن الإنسان مطلوب منه أن يوتر في مثل هذه الأمور، فأما قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ)**[1]، فليس هذا علىٰ عمومه، لكنه عَزَّوَجَلَّ وتر يحكم شرعًا أو قدرًا بوتر، فمثلًا الصلاة في الليل نختمها بوتر التطوع، وفي النهار نختمها بوتر المغرب، وأيام الأسبوع وتر، السموات وتر، والأرض وتر، فيخلق الله عَزَّوَجَلَّ ما يشاء علىٰ وتر، ويحكم بما يشاء علىٰ وتر، وليس المراد بالحديث أن كل وتر فإنه محبوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإلا لقلنا: احسب خطواتك من بيتك إلىٰ المسجد لتقطعها علىٰ وتر، احسب التمر الذي تأكله علىٰ وتر، احسب الشاي الذي تشربه لتقطعه علىٰ وتر، وكل شيء احسبه علىٰ وتر.

فهذا لا أعلم أنه مشروع، فأكل تمرات وترًا من السنن التي تفعل في عيد الفطر، خاصة أن لا تأتي المسجد حتىٰ تأكل تمرات وترًا»[2].

الأثر الثالث: محبة الله الوتر:

الله سُبْحَانَهُ هو الوتر الأحد، الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها وضروراتها، وهو القادر علىٰ كل شيء، والمالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث:(٩٥٣).

وهذا الشعور يولد المحبة لله تَعَالَى وحده، ويريح القلوب من شتاتها، واضطرابها، ويجعلها تسكن إلىٰ ربها ومعبودها، وتقطع التعلق بمن لا يملكون شيئًا، ولا يقدرون علىٰ شيء، إلا بما أقدرهم الله عليه، ولا يملكون لأنفسهم ضرًّا، ولا نفعًا، فضلًا عن أن يملكوه لغيرهم!

الأثر الرابع: (فأوتروا):

يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **وِتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ**»[1]، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه شرح المشكاة: «أي: صلوا الوتر»[2]، ثم علل بتعليل لطيف لما خصَّ الأمر بالوتر لأهل القرآن، حيث قال: «المراد بأهل القرآن: المؤمنون الذين صدقوا القرآن، وخاصة من يتولي القيام بحفظه، وتلاوته، ومراعاة حدوده وأحكامه. أقول- والله أعلم-: لعل المناسبة لتخصيص النداء بأهل القرآن في مقام الفردانية إنما كانت لأجل أن القرآن ما أنزل إلا لتقرير التوحيد، قال تَعَالَى علىٰ سبيل الحصر وتكريره: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [فصلت: ٦]، أي: مقصور علي استئثار الله بالتوحيد، كأنه قيل: إن الله واحد يحب الوحدة، فوحدوه يا أهل التوحيد»[3].

وصلاة الوتر سنة مؤكدة، وقتها: ما بين صلاة العشاء إلىٰ طلوع الفجر، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ أَمَدَّكُمْ بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ؛ الْوِتْرُ، جَعَلَهُ اللهُ لَكُمْ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ**»[4].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٢٢٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٤٥٢)، حكم الألباني: صحيح دون قوله: «خير النعم»، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٢).

وأقل الوتر ركعة واحدة، وأدنىٰ الكمال ثلاثًا، وأكثره ثلاث عشرة ركعةً، ويجوز بما بين ذلك من الأوتار؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْوِتْرُ حَقٌّ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُوتِرْ بِخَمْسٍ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُوتِرْ بِثَلَاثٍ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُوتِرْ بِوَاحِدَةٍ**»[1]، وإن أوتر بأكثر من ذلك فلا حرج، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب زاد المعاد لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

فاللهم أنت الملك لا إله غيرك، ولا رب سواك، أنت الواحد لا شريك له، الأحد لا شبيه له، الوتر لا مثيل له، لن تطاع إلا بإذنك، ولن تُعصىٰ إلا بعلمك، تطاع فتَشْكُر، وتُعصىٰ فتَغْفر، فلا إله إلا أنت؛ فاغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وأعنَّا علىٰ ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك، يا أرحم الراحمين[2].



(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (١١٩٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١١٩٠).

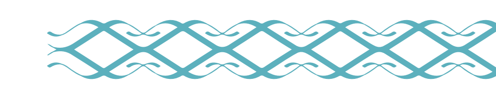
(٢) للاستزادة من الآثار، يرجع لاسم الله (الواحد الأحد).



الخاتمة







الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

الحمد لله الذي يسر وأعان علىٰ إتمام هذه الموسوعة، موسوعة شرح أسماء الله الحسنىٰ، والتي قضينا فيها سبع سنوات سِمان، مليئة بالعلم والفائدة، ابتدأتها بسلسلة دروس علمية في بيت من بيوت الله، في جامع عثمان بن عفان، في حي الواحة في العاصمة الرياض، ومن ثم تشكيل فريق علمي بإدارة الأستاذة الكريمة الفاضلة المسددة/ وفاء بنت محسن التركي؛ لتفريغ الدروس، وإعادة صياغتها، لإخراجها علىٰ شكل موسوعة علمية، تكون مرجعًا علميًا أصليًا، لمن رام الفائدة والعيش مع أسماء الله الحسنىٰ.

وقد راجعتُ الموسوعة متنقلة بين مدينة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيت الله الحرام، وكان ختام الانتهاء من مراجعتها في أعظم يوم عند الله تعالىٰ؛ يوم النحر، العاشر من شهر ذي الحجة من عام ١٤٤٠ للهجرة، وكنت من حجاج بيت الله تَعَالَى، فالفرحة مضاعفة بإتمام النسك، وإتمام الموسوعة، نسأل الله أن يتقبلها قبولًا حسنًا مباركًا.

فلربنا الحمدُ والامتنانُ، والفضلُ والطَّوْلُ والشكرانُ، ونحن راجون بفَضْلِ اللهِ تعالىٰ دعوة صالحة ننتفع بها تقرّبنا إلىٰ الله الكريم، وانتفاع مسلمٍ ببعض ما فيها نُعينه علىٰ مرضاة الله وطاعته، ونسألُه سبحانه سلوك سبيل الرشاد، والعصْمة من أهواء أهل الزَّيْغ والعِناد، ونتضرع إليه سبحانه أن يرزقنا

التوفيقَ للصواب، وما توفيقينا إلا بالله، عليه توكلنا وإليه متاب، حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوكيل، ولا حول وَلا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ العَلِيّ العَظيمِ.

والحمدُ لله ربّ العالمين أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطنًا، هذا مبلغ الجهد والعلم، فما كان في الموسوعة من خير فمن الله وحده، وما كان من خطأ وتقصير فمن أنفسنا ونستغفر الله منه، ورحم الله امرئًا أهدىٰ إلينا عيوبنا.

وصلواتُ الله وسلامُه الأطيبان الأتمّان الأكملان علىٰ خير خلق الله سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلىٰ سائر النبيّينَ، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

نوال بنت عبدالعزيز العيد



فهرس المراجع والمصادر



فهرس المراجع والمصادر

١. الإبانة الكبرىٰ، أبو عبدالله عبيد الله العكبري، المعروف: بابن بطة العكبري، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢. إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (دروس مفرغة)، ١٤١٧هـ.

٣. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٤هـ.

٤. اجتماع الجيوش الإسلامية، شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف: بابن قيم الجوزية، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

٥. الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم أحمد الشيبان، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ.

٦. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله محمد الحنبلي المقدسي، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٧. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

٨. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي

القرطبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٩. الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح، عالم الكتب، مصر، الطبعة الأولىٰ.

١٠. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، المعروف: بالماوردي، دار مكتبة الحياة، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٦م.

١١. أدب المجالسة وحمد اللسان، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، المعروف: بابن عبد البر، تحقيق: سمير حلبي، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١٢. الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل البخاري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ.

١٣. الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.

١٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.

١٥. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ.

١٦. الاستقامة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، المعروف: بابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ.

١٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري

القرطبي، المعروف: بابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.
١٨. الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني المعروف بالبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣ هـ.
١٩. الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، شمس الدين محمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عرفان بن سليم الحشا حسونه الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ.
٢٠. اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: عبد رب الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٢١. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المعروف: بابن حجر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علىٰ محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.
٢٢. الأصول الثلاثة، محمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة العاشرة، ١٤٢٠ هـ.
٢٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٤. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.
٢٥. الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان، أبو بكر عبد الله بن محمد الأموي القرشي، المعروف: بابن أبي الدنيا تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار البشير، عمان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ.

٢٦. الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، المعروف: بأبو بكر البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠١هـ.

٢٧. أعلام الحديث شرح صحيح البخاري، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرىٰ (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩ هـ.

٢٨. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢هـ.

٢٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، المعروف: بابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.

٣٠. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسىٰ السبتي، تحقيق: الدكتور يحيىٰ إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ.

٣١. الأموال، أبو أحمد حميد بن مخلد الخرساني، المعروف: بابن زنجويه، تحقيق: الدكتور شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ.

٣٢. الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت.

٣٣. أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، زين الدين أبو عبد الله محمد الحنفي الرازي، تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣ هـ.
٣٤. أوجز المسالك إلىٰ موطأ مالك، محمد بن زكريا الكاندهولي المدني، تحقيق: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، المعروف بابن تيمية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.
٣٥. الأوسط، المعجم الأوسط الطبراني، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد الشامي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
٣٦. البحر الزخار، مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، المعروف: بالبزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠ هـ.
٣٧. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.
٣٨. بدائع الفوائد، شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٤٠. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٤١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ.

٤٢. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٤٣. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف: بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ.

٤٤. التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٤٥. التبيان في أقسام القرآن، شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن المعروف: بابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٤٦. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة.

٤٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٨. تحفة الودود بأحكام المولود، شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩١ هـ .

٤٩. تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ.
٥٠. تخريج الكلم الطيب لابن تيمية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لطبعة الثالثة، ١٣٩٧ هـ.
٥١. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.
٥٢. التدمرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ.
٥٣. التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق ودراسة: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥ هـ.
٥٤. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي، المعروف بابن شاهين، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ.
٥٥. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٣هـ.
٥٦. التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، محمد ناصر الدين الألباني، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة.
٥٧. تفسير ابن رجب، الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي الدمشقي الحنبلي، جمع

وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ.

٥٨. تفسير ابن عثيمين لجزء عم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ.

٥٩. تفسير أسماء الله الحسنىٰ، إبراهيم بن السري بن سهل، المعروف: بأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولىٰ.

٦٠. تفسير الأسماء الحسنىٰ، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

٦١. تفسير العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة، الأولىٰ، ١٤٣٦ هـ.

٦٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٦٣. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ.

٦٤. التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

٦٥. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار التوحيد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.

٦٦. تهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ابن حزم، أبو محمد

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
٦٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ.
٦٨. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ.
٦٩. التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حميد، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة طبرية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢ هـ.
٧٠. توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنىٰ به ونسقه وعلق عليه: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ.
٧١. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن زين العابدين الحدادي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.
٧٢. التوهم في وصف أحوال الآخرة، الحارث بن أسد المحاسبي، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
٧٣. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب تحقيق: زهير الشاويش،



المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

٧٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

٧٥. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد، المعروف: بعبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٧٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

٧٧. جامع الرسائل تقي الدين أبو العباس أحمد الحراني الحنبلي، المعروف: بابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

٧٨. الجامع الصحيح، سنن الترمذي، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الضحاك، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ

٧٩. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ.

٨٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٨١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.
٨٢. جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
٨٣. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ
٨٤. حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: زايد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ.
٨٥. حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن محمد النجدي، المعروف بابن قاسم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ.
٨٦. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد القرشي، المعروف: بإسماعيل الاصبهاني، وأبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحنبلي المعروف بابن تيمية تحقيق: محمد المدخلي، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ.
٨٧. الحسبة في الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، المعروف: بابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٨. الحسنة والسيئة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني

الحنبلي، المعروف: بابن تيمية، الطبعة الأولىٰ.

٨٩. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشامية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن القيم، الطبعة الأولىٰ.

٩٠. حلية الأنبياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ.

٩١. خلق أفعال العباد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٢١ هـ.

٩٢. الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، الطبعة الأولىٰ.

٩٣. الدعوات الكبير، أحمد بن الحسين الخراساني، المعروف بأبو بكر البيهقي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولىٰ.

٩٤. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين الخراساني المعروف: بأبي بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ.

٩٥. الديات، أبو بكر بن عاصم الشيباني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي.

٩٦. ذم الهوىٰ، الامام الحافظ ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ.

٩٧. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

٩٨. الرسالة التبوكية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزير شمس، مجمع الفقه الإسلامي، جدة،

الطبعة الأولىٰ.

٩٩. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة.

١٠٠. الرقاء والبكاء، أبو بكر عبد الله بن محمد الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ.

١٠١. روض المحبين ونزهة المشتاقين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عزير شمس، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، الطبعة الأولىٰ.

١٠٢. الروض النضير الجامع بين تحفة الطلاب والتيسير، قاسم بن محمد النوري، دار البشائر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥هـ.

١٠٣. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٤. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محي الدين النووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

١٠٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

١٠٦. الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

١٠٧. الزهد، أبو السري هناد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

١٠٨. الزهد، أبو سفيان وكيع بن الجراح، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤ هـ.
١٠٩. الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ.
١١٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ.
١١١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب المعارف، الطبعة الأولىٰ.
١١٢. سنن أبي داود، أبوداوود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولىٰ.
١١٣. السنن الكبرىٰ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، المعروف بالنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ.
١١٤. السنن الكبرىٰ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، المعروف: بأبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ.
١١٥. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، المعروف بالنسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
١١٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ.
١١٧. السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن هشام، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولىٰ.

١١٨. شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الثالثة،١٤١٢هـ.
١١٩. شرح أسماء الله الحسنىٰ في ضوء الكتاب والسنة، د.سعيد بن علي القحطاني، مطبعة السفير، مؤسسة الجريسي، الرياض، الطبعة الأولىٰ.
١٢٠. شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الأولىٰ.
١٢١. شرح الأربعين النووية، يحيىٰ بن شرف النووي، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١ هـ.
١٢٢. شرح الأسماء، شيخ الإسلام فخر الدين الرازي، الطبعة الأولىٰ.
١٢٣. شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.
١٢٤. شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
١٢٥. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،١٤١١هـ.
١٢٦. شرح العقيدة الطحاوية، صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار المودة، المنصورة، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢ هـ.
١٢٧. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه واعتنىٰ به: سعد بن فواز الصميل
١٢٨. شرح المشكاة الطيبي علىٰ مشكاة المصابيح، المعروف بالكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الحسين الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،

مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ

١٢٩. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ.

١٣٠. شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٣١. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد، المعروف: بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.

١٣٢. شرف أصحاب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د.محمد سعيد خطي اوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، الطبعة الأولىٰ.

١٣٣. شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة السفير، الرياض، الطبعة الأولىٰ.

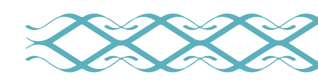
١٣٤. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، المعروف: بأبو بكر البيهقي، تحقيق: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ.

١٣٥. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، أبو عبد الله محمد أيوب الزرعي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٣٦. الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، المعروف: بابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ.

١٣٧. صحيح ابن خزيمة، ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفىٰ الأعظمي،

المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.
١٣٨. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ.
١٣٩. صحيح الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ.
١٤٠. صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ.
١٤١. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧ هـ.
١٤٢. صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧ هـ.
١٤٣. صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩ هـ.
١٤٤. صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.
١٤٥. صحيح وضعيف سنن النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني المعروف بالنسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ.
١٤٦. صفة الصلاة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ.



١٤٧. الصلاة وحكم تركها، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن القيم الجوزية، تحقيق الشيخ كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

١٤٨. الصمت، أبو بكر عبد الله بن محمد الأموي القرشي، المعروف: بابن أبي الدنيا، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.

١٤٩. الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

١٥٠. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولىٰ.

١٥١. الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسىٰ بن حماد العقيلي المكي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ.

١٥٢. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

١٥٣. طبقات الشافعية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤م

١٥٤. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: نايف بن أحمد مجمع الفقه الإسلامي، جدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ.

١٥٥. طريق الهجرتين وباب السعادتين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن

أيوب، المعروف: بابن القيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ

١٥٦. العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، المعروف: بابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة السابعة،١٤٢٦ هـ.

١٥٧. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن القيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

١٥٨. العرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشمير، تحقيق: محمود شاكر أبو فهد، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥ هـ.

١٥٩. العظمة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، المعروف: بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

١٦٠. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧ هـ.

١٦١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد بن بدر الدين العينىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

١٦٢. عمل اليوم والليلة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني المعروف: بالنسائي، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ

١٦٣. عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد بن إسحاق، المعروف: بابن السني، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولىٰ.
١٦٤. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ
١٦٥. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ
١٦٦. فتاوىٰ اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض.
١٦٧. فتاوىٰ نور علىٰ الدرب للعثيمين، محمد بن صالح العثيمين.
١٦٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق: عبد العزيز بن باز، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت،١٣٧٩هـ
١٦٩. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
١٧٠. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ.
١٧١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة

الأولىٰ، ١٤١٤هـ.
١٧٢. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، المعروف بابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ.
١٧٣. فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد بن نصر الدين محمد عويضة.
١٧٤. فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
١٧٥. فقه الأسماء الحسنىٰ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولىٰ.
١٧٦. الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ
١٧٧. القدر، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.
١٧٨. القضاء والقدر، أبو بكر أحمد بن الحسين الخرساني المعروف بالبيهقي، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.
١٧٩. القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.
١٨٠. القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
١٨١. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (شرح القصيدة النونية)، شمس

الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن العريفىٰ، ناصر بن يحيىٰ الحنيني، عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل، فهد بن علي المساعد، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ.

١٨٢. الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، المعروف: بابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ.

١٨٣. كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

١٨٤. كتاب السنة، أبو بكر بن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ.

١٨٥. كتاب الصفدية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، المعروف: بابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

١٨٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسىٰ الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

١٨٧. لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

١٨٨. لسان العرب، محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بان منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٨٩. لقاء الباب المفتوح، محمد بن صالح العثيمين، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

١٩٠. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ البصري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

١٩١. مجلة البحوث الإسلامية -مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة للإدارات البحوث العلمية والإفتاء الدعوة والإرشاد-، مجموعة من المؤلفين، الرئاسة العامة للإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٩٢. مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٩٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.

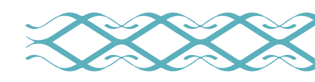
١٩٤. مجموع الفتاوىٰ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، المعروف بابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

١٩٥. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار الجوزي، ١٤٢٤هـ.

١٩٦. مجموع فتاوىٰ ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف علىٰ جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

١٩٧. مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن - دار الثريا، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ

١٩٨. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.



١٩٩. مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٢٠٠. مختصر العلو للعلي العظيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق واختصار: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٢٠١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف: بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

٢٠٢. مدخل إلىٰ دراسة النظم الإسلامية، إسماعيل علي محمد، دار الكلمة،١٤٣٧هـ.

٢٠٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ويليه الإكمال في أسماء الرجال، ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، نور الدين ملا علي بن سلطان القاري، تحقيق: جمال العيتاني، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٢٠٤. مساوئ الأخلاق ومذمومها، أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: مصطفىٰ بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ.

٢٠٥. المستدرك علىٰ الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ،١٤١١هـ.

٢٠٦. مسند أبي داوود الطيالسي، أبو داوود سليمان بن داوود بن الجارود

الطيالسي، تحقيق: محمد عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ.

٢٠٧. مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المرزوي المعروف بابن راهويه، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

٢٠٨. مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

٢٠٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، المعروق بصحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١٠. المسند، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر- حمزة الزين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة، الأولىٰ، ١٤١٦هـ.

٢١١. مشكاة المصابيح، ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة. ، ١٩٨٥ م.

٢١٢. المصنف في الأحاديث و الآثار، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

٢١٣. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق:

حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢١٤. مطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، زينب كردي ..

٢١٥. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار القيم، الدمام، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.

٢١٦. المعتمد في أصول الدين، أبو يعلىٰ محمد بن الحسين الحنبلي البغدادي، تحقيق: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٦م.

٢١٧. المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد الشامي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد- عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الناشر، القاهرة.

٢١٨. المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد الشامي، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

٢١٩. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري، تحقيق: بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

٢٢٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٢٢١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٢. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ

الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

٢٢٣. المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولىٰ،١٤٠٧هـ.

٢٢٤. مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ، المكتب الإسلامي

٢٢٥. المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسي ويقال له الكشىٰ، تحقيق: مصطفىٰ العدوي، دار بلنسية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ

٢٢٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٢٧. المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبد الله الحليمي الحسين بن الحسن البخاري الجرجاني، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٩هـ.

٢٢٨. منهج الإمام ابن القيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنىٰ، مشرف بن علي بن عبد الله الغامدي، إشراف: أحمد بن عبد اللطيف آل العبد اللطيف،١٤٢٣-١٤٢٤هـ

٢٢٩. موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المحقق محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية.

٢٣٠. المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي،

اعتنىٰ به: عمر بن عبد الله المقبل، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٢هـ.

٢٣١. موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ.

٢٣٢. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢٣٣. النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي المعروف: بابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

٢٣٤. نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.

٢٣٥. النظم الإسلامية، عبد الرحمن الضحياني، دار المآثر، المدنية المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

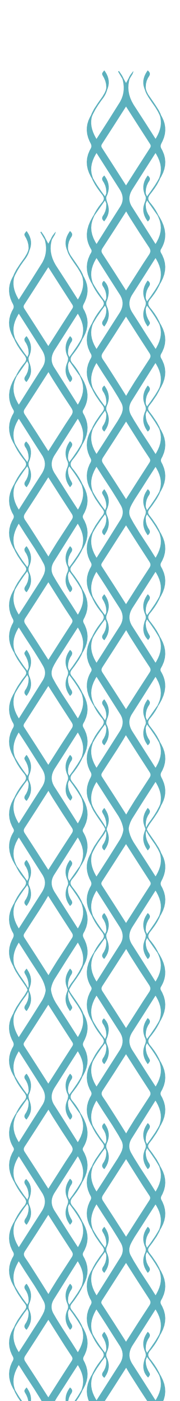
٢٣٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب الإسلامي، القاهرة.

٢٣٧. النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد البغدادي المعروف بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

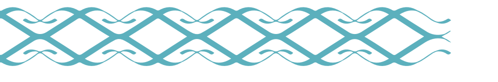
٢٣٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري المعروف: بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٣٩. النهج الأسمي في شرح أسماء الله الحسنىٰ، محمد الحمود النجدي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت.
٢٤٠. نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلىٰ الله عليه وسلم لابن العباس، عبد الرحمن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.
٢٤١. الوابل الصيب من الكلم الطيب، شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف: بابن القيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثالثة،١٩٩٩م.
٢٤٢. الورع، أبو بكر عبد الله بن محمد الأموي القرشي، المعروف: بابن أبي الدنيا، تحقيق: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.
٢٤٣. ولاية الله والطريق إليها، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٢٤٤. اليوم الآخر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، دار النفائس، ١٤١٥هـ.



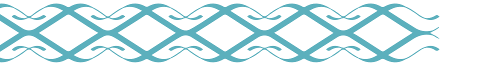


فهرس الموضوعات



فهرس الجزء الأول





فهرس الجزء الثاني



فهرس الجزء الثالث

الأسماء التي ثبتت في السنة النبوية فقط